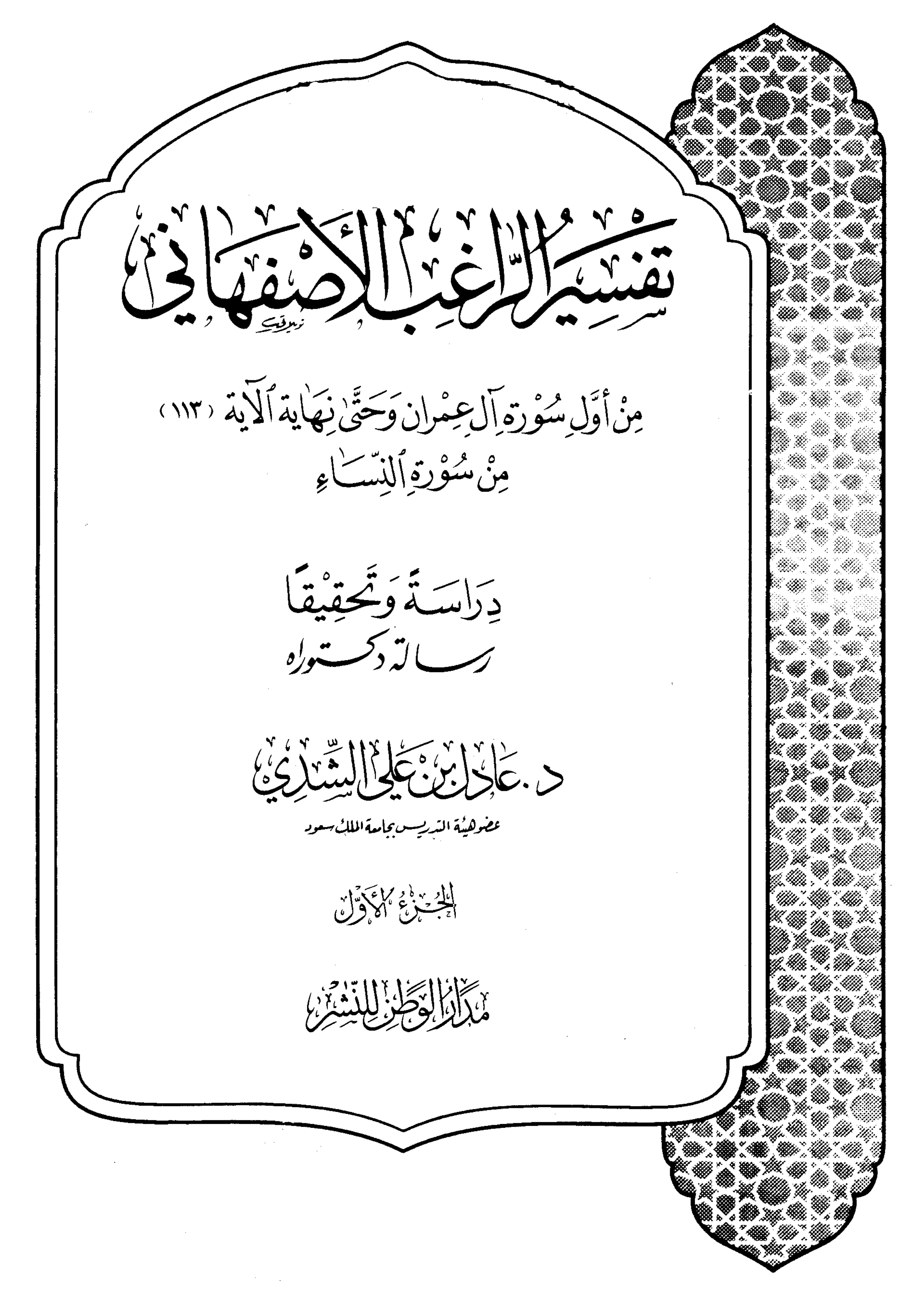


تفسير الراغب الأصفهاني

مِنْ أوّلِ سُورةِ آلِ عِمْرانَ وحتّى نِهايةِ الآيةِ (١١٣)
مِنْ سُورةِ النّساءِ

دِراسةً وتَحقيقاً
رسالة دكتوراه

د. عادل بن علي الشدي
عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود

الجزء الأول

مدار الوطن للنشر

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مدار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١- ص . ب : ٣٣١٠

- البريد الالكتروني : pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الانترنت : www.madar-alwatan.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد:

فإن كلام الباري ـ جلّ وعزّ ـ هو أشرف كلام عُنيت بتدبره العقول، وبُذلت في تفهّمه ومعرفة مدلولات خطابه الأعمار والأوقات. وقد أنزل الله ـ عز وجل ـ كتابه ليُتدبَّر، وليكون ذكرى لأولي الألباب: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٩.

وإن من توفيق الله ـ عز وجل ـ وحسن تقديره أن هيَّأ لي أسباب دراسة العلم الشرعي، ولاسيما العلوم المتصلة بالقرآن الكريم، ومن أجلّها وأعظمها نفعاً علم التفسير.

وقد يسَّر الله لي الحصول على مخطوط لتفسير الراغب الأصفهاني أثناء زيارتي للمكتبة السليمانية بتركيا في أوائل عام ١٤١٦هـ، فشرعت في قراءته، فألفيته تفسيراً نافعاً غزير الفوائد مشبعاً بالنكات والتقريرات، ولاسيّما في مجال المعاني والمترادفات والتراكيب اللغوية والصيغ البلاغية. وبعد الاستخارة والاستشارة عزمت على التقدم بدراسة وتحقيق جزء من هذا التفسير؛ لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى تحت عنوان:

تفسير الراغب الأصفهاني

من أول سورة آل عمران وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء دراسةً وتحقيقاً.

أسباب اختياري لتفسير الراغب الأصفهاني:

١ ـ أنه لم يسبق أن حُقق هذا الجزء من المخطوط وأُخرج لطلاب العلم، بل ظل حبيس مكتبات المخطوطات، فرأيت أنَّ إخراجه محققاً عمل يستحق بذل الجهد والوقت فيه.

٢ ـ تبحّر الراغب الأصفهاني في علوم البلاغة والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان، حتى إن كتابه [مفردات ألفاظ القرآن] لا يكاد يستغني عنه متخصص في التفسير وعلوم القرآن. وقد توسَّع ـ رحمه الله ـ في تفسيره المخطوط في استخدام هذه العلوم للتوصل من خلالها إلى فهم آي القرآن والاستدلال على مراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ حسب الطاقة، محاولاً استنباط بعض اللطائف التفسيريَّة، التي لا تكاد توجد عند غيره من المفسرين بالرأي مدعومة بقوة حجته وسعة اطلاعه ورسوخ قدمه في علوم اللغة العربية.

٣ ـ أنَّ العمل على تحقيق تفسير الراغب الأصفهاني يستلزم البحث في مجموعة متنوعة من العلوم، وهذا ما يوفّر للباحث فرصة عظيمة لتنمية معارفه بعلوم: العقيدة؛ والتفسير وأصوله، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة، والقراءات، والنحو والصرف، والبلاغة، والمعاني، والشعر؛ وكل هذه العلوم استعان بها الراغب أثناء تفسيره لآي كتاب الله. وبالتالي فإن رجوع الباحث إلى أمهات الكتب في هذه الفنون والنهل منها يقوّي بناءه العلمي، ويزيده رسوخاً، ولاسيَّما في مقتبل حياته العلمية.

٤ ـ مكانة الراغب الأصفهاني وشهرته العلمية، ولاسيَّما من خلال كتابيه: [مفردات ألفاظ القرآن]و[الذريعة إلى مكارم

الشريعة] فإذا أضفنا إلى ذلك أن وفاته تقدمت على وفاة كثير من المفسرين بالرأي كالزمخشري (ت ٥٢٨هـ)، وابن عطية (٥٤١هـ)، والقرطبي (٦٧١هـ)، وأبي حيّان (٧٧٤هـ) وغيرهم مما يُعطي لتفسيره قيمة علميّة تشجع أي باحث على تحقيقه والعمل فيه.

٥ ـ الحرص على الارتباط بكتاب الله ـ عز وجل ـ لعظم أجر تلاوته وتدبره وتفهّم معانيه، فكان الاشتغال بمخطوط يتعلق بتفسير القرآن الكريم لأربع سنوات متصلة فرصة مباركة للنهل من علومه ومحاولة الانتظام في سلك أهله، الذين هم أهل الله وخاصته، وتلك أمنيّة كانت تراودني، وكان لها دور كبير في اختياري لموضوع هذه الرسالة.

خطة البحث:

قسمت البحث في هذه الرسالة إلى قسمين :

أولاً: قسم الدراسة:

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول: حياته الشخصية:

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عصره.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته.

المطلب الثالث: وفاته.

الفصل الثاني: حياته العلمية:

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: طلبه للعلم وشيوخه.

المطلب الثاني: تلامذته.

المطلب الثالث: آثاره العلمية.

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : آثاره العلمية المطبوعة .

المبحث الثاني : آثاره العلمية المخطوطة .

المبحث الثالث : آثاره العلمية المفقودة .

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.

الفصل الثالث: دراسة تحليلية للكتاب المحقق:

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: نسبته.

المطلب الثاني: أهميته.

المطلب الثالث: منهجه في كتابه (من خلال الجزء المحقق).

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مصادر الراغب الأصفهاني في تفسيره.

أولاً: المصادر العامة.

ثانياً: المصادر الخاصة.

المبحث الثاني: تحديد نوعية تفسير الراغب الأصفهاني.

المبحث الثالث: محاور منهج الراغب الأصفهاني في التفسير.

وفيه سبعة محاور

المحور الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المحور الثاني: السنة النبوية في تفسيره.

المحور الثالث: أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره.

المحور الرابع: العربية في تفسيره.

المحور الخامس: مجالات النظر في تفسيره.

المحور السادس: مسائل العقيدة في تفسيره.

المحور السابع: مسائل الفقه في تفسيره.

المطلب الرابع: موضوعاته، ودراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة (من خلال الجزء المحقق).

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: مقارنة بين منهج الزمخشري والراغب في التفسير.

المبحث الثاني: مقارنة بين منهج ابن عطية والراغب في التفسير.

المبحث الثالث: مقارنة بين منهج البغوي والراغب في التفسير.

المطلب الخامس: النسخ الخطية وتوصيفها.

* * *

وقد كان في تقديري أن تكون الدراسة التحليلية المقارنة بكتب التفسير المشابهة قبل المطلب المتعلق بمنهجه في كتابه، لكنِّي عدلت عن ذلك، فقدمت المطلب المتعلق بمنهجه قبل المطلب المتعلق بالدراسة التحليلية المقارنة مع كتب التفسير المشابهة، لكثرة الإحالة على المطلب المتعلق بمنهجه في المطلب المتعلق بالمقارنة مع كتب التفسير المشابهة، ولرغبتي في تحاشي التكرار بذكر الأمثلة في أكثر من موضع.

ثانياً: قسم التحقيق:

وقد كان عملي فيه على النحو الآتي:

١ ـ قمت بنسخ المخطوط، وضبط نصِّه وفق قواعد الإملاء المتعارف عليها، حيث كان الناسخ يكتب بعض الكلمات على خلاف تلك القواعد.

وأثناء اشتغالي بنسخ المخطوط قسمت الكلام إلى فقرات وجمل، مستعيناً في ذلك بعلامات الترقيم المعروفة.

٢ ـ وضعت خطًّا مائلًا هكذا (/) للدلالة على موضع ابتداء الصفحة في المخطوط، وأضع بحذائه في الهامش رقم اللوحة والوجه منها.

٣ ـ أثبتُّ الآيات القرآنية من المصحف الشريف وفق الرسم العثماني، وجعلت الآية بين قوسين ﴿ ﴾، وذكرت اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

وقد صوَّبت ما أخطأ الناسخ في كتابته من الآيات دون الإشارة إلى ذلك في الهامش.

٤ ـ قمت بتوثيق القراءات المختلفة التي ذكرها الراغب، وذلك بنسبتها إلى أصحابها بعد الرجوع إلى كتب القراءات المعتمدة، كما قمت بالرجوع إلى الكتب التي عُنيت بأسباب النزول وغيرها من كتب التفسير والحديث طلباً لتوثيق أسباب النزول التي ذكرها الراغب.

٥ ـ خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها،

وذلك بالرجوع إلى المصادر الحديثية الأصلية، إضافة إلى كتب التفسير المسندة. وقد اجتهدت في تخريج الأحاديث من معظم المصادر المتوفرة لدي، ولو كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما. وقد ندّ عليَّ نزرٌ يسير من الأحاديث لم أقف على تخريجها في المصادر المتوفرة لديّ.

أما بالنسبة للحكم على الأحاديث، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني لا أتعرض للحكم عليه لصحة أحاديث هذين الكتابين وتلقي الأمة لهما بالقبول.

وإذا كان الحديث في غير الصحيحين فإنني أحاول ـ قدر الإمكان ـ إثبات كلام أهل العلم ونقاد الأسانيد حول هذا الحديث من حيث الصحة أو الضعف، فإذا وجدت كلاماً للمتقدمين حول الحديث فإنني أكتفي به، فإن لم أجد أثبتُّ ما أجده من كلام المتأخرين في الحكم على الحديث، وأحياناً أجمع بينهما زيادة في التوثيق.

وقد لاحظت أثناء النسخ أن الناسخ يُغفل التصلية والتسليم أحياناً عند ذكر النبي ﷺ، وقد يرمز لها اختصاراً، فكنت أقوم بإثباتها كاملة دون الإشارة في الهامش إلى ذلك.

وقد جعلت الأحاديث النبوية بين حاصرتين: « ». وقُمتُ بتسويد نصِّها لتتميز عن الآثار والنصوص الأخرى التي يذكرها المؤلف في المتن.

٦ ـ خرَّجت الآثار الواردة في المخطوط عن الصحابة

والتابعين، بقدر الطاقة، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير المسندة: كتفسير: ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعبد بن حميد، والنسائي، وعبدالرزاق، وغيرهم، ثم أذكر تخريج الأثر من كتب الحديث الأصلية، ثم من كتب التفسير غير المسندة كتفسير ابن كثير، وابن الجوزي، والقرطبي، وغيرهم.

٧ ـ لاحظت أثناء تخريجي للأحاديث والآثار أن الراغب كثيراً ما يوردها بالمعنى دون الالتزام باللفظ الذي وردت به، فكنت أثبتُ تخريج هذه الأحاديث والآثار من أقرب الألفاظ، وإن كان هناك اختلاف في اللفظ مادام المعنى متَّفقاً.

٨ ـ تتبّعت الأبيات الشعرية والأمثال الوارد ذكرها في المخطوط، واجتهدت في نسبتها إلى قائليها، والكتب التي أوردتها بقدر الطاقة، وربما مرّت عليّ الأيام المتوالية في البحث عن شطر بيت أو عجزه في مظانه، فلا أعثر عليه إلا بعد قراءة المئات من الصفحات، وربما لا أعثر عليه بعد ذلك، والله المستعان.

٩ ـ شرحت كثيراً من الألفاظ الغريبة والمصطلحات التي ذكرها الراغب، وكان اعتمادي في ذلك على المصادر الأصليّة في اللغة وكتب الغريب في القرآن والسنة. وقد كنت أكتفي أحياناً بشرح الراغب لها في تفسيره إذا كان الشرح وافياً والمعنى قريباً من الأفهام.

وكنت ـ أحياناً ـ أعلّق على بعض القضايا اللغوية والنحوية والبلاغية ـ حسب الحاجة ـ معتمداً على المصادر الأصلية في كل فن من تلك الفنون.

١٠ ـ قمت بالتعليق على كثير من المواضع التي رأيتها تحتاج إلى تعليق، وذلك لبيان مشكل، أو كشف غامض، أو إزالة لبس، أو تصويب خطأ، أو زيادة فائدة، أو تأييد رأي ذهب إليه الراغب أو مخالفته، فقمت بنقل آراء من يوافقه أو يخالفه من المفسرين.

ولم ألتزم التعليق على كل قضية في المخطوط خوفاً من إثقال الحواشي بما لا يخدم مجال البحث، كما أشرت في كثير من المواضع إلى الفقرات التي نقلها بعض المفسرين عن تفسير الراغب الأصفهاني زيادة في توثيق النص وبيان مكانة تفسير الراغب لدى من جاء بعده من المفسرين.

١١ ـ ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في المخطوط ترجمة مختصرة، وقد تركت الترجمة لبعض الأعلام لشهرتهم: كالأنبياء والملائكة، أو لعدم وجود ذكر لهم في كتب التراجم المتوفرة لدي، وقد اكتفيت بترجمة العَلَم عند أوّل موضع يرد فيه من التحقيق، فإذا تكرر ذكر العَلَم بعد ذلك فإني لا أشير إلى موضع ترجمته السابق، لكثرة ذكر بعض الأعلام وتوالي ذلك في الورقة الواحدة أكثر من مرة في بعض الأحيان، ولعدم إثقال الحواشي، ولوجود فهرس تفصيلي للأعلام في آخر الرسالة يمكن من خلاله العثور على مكان الترجمة بسهولة.

١٢ ـ تتبَّعت ما ذكره الراغب من أقوال عن غيره من العلماء، فوثَّقت معظمها بالرجوع إلى كتب أصحابها إن وجدت، أو إلى المصادر التي ذكرت تلك النقول عنهم. وقد استغرق منِّي ذلك جهداً ووقتاً كبيرين بسبب عقلية الراغب الموسوعية وسعة اطلاعه وكثرة نقوله في فنون متعددة من العلم. وفات عليَّ شيءٌ يسير من ذلك، لكون كتب من نقل عنهم مفقودة، ولعدم إشارة المراجع التي بين يديّ إلى هذه النقول في مظانها.

١٣ ـ وثّقت كثيراً من المسائل الفقهية التي ذكرها الراغب من الكتب المعتمدة لكل مذهب من المذاهب التي أشار إليها، وقد حرصت على عدم التوسع والاستقصاء في ذلك، لعدم إطالة الحواشي بما ليس من صُلب البحث. وإذا لم يُشر إلى مذهب من المذاهب فإنِّي لا ألتزم البحث في ذلك.

١٤ ـ ذكرت تعريفاً موجزاً بالأماكن والقبائل والفِرق والمذاهب التي ورد ذكرها في المخطوط، وذلك بالرجوع إلى الكتب المختصة في ذلك. واستثنيت من ذلك ما كان مشهوراً بحيث تغني شهرته عن التعريف به، وكذا ما لم أقف له على ذكر في المصادر المتوفرة لديَّ.

١٥ ـ قمت بعمل اثني عشر فهرساً لتيسير البحث في الرسالة هي:

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبويّة.

٣ ـ فهرس الآثار .
٤ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم .
٥ ـ فهرس الأشعار .
٦ ـ فهرس القبائل والجماعات .
٧ ـ فهرس الأماكن والمواضع والبلدان .
٨ ـ فهرس الفرق والمذاهب والأديان .
٩ ـ فهرس الكلمات الغريبة المفسّرة .
١٠ - فهرس الفوائد النحوية واللغويّة والبلاغيّة .
١١ - فهرس المصادر والمراجع .
١٢ - فهرس الموضوعات .

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ من أهم الصعوبات التي واجهتها في قسم الدراسة أن المصادر التي ترجمت للمؤلف كانت شديدة الاختصار شحيحة المعلومات إلى درجة كبيرة، وخصوصاً فيما يتعلق بحياته الشخصية مما تطلَّب مني وقتاً طويلًا في البحث عن معلومات متناثرة هنا وهناك حول المؤلف، وأدَّى إلى رجوعي إلى العديد من المصادر، وتصفحها بدقة دون طائل في أغلب الأحيان، وذلك جهد غير منظور، لا يدركه إلا من كابده من الباحثين .

ومن الصعوبات التي واجهتها : خوض المؤلف في علوم شتى، وعدم تقيده بتخصص محدد - كعادة العلماء السابقين ذوي الثقافة الموسوعية - مما يستلزم الرجوع إلى كتب كل فن خاض فيه، وتوثيق المعلومات التي يوردها من خلال الكتب المعتمدة في ذلك الفن .

كما أن من الصعوبات التي واجهتها: نقل المؤلف عن بعض أئمة المعتزلة، الذين تعتبر كتبهم في التفسير في حكم المفقودة، مما يتطلب تتبُّع هذه الأقوال عند المفسرين، الذين قد يهتمون بإيراد أقوال أئمة المعتزلة ولو في مواضع وسور أخرى، غير تلك التي ذكر المؤلف أقوالهم عندها، وما يتبع ذلك من الجهد طلباً للتوثيق العلمي بقدر الطاقة.

وما عدا ذلك فلم تكن هناك صعوبات تذكر، ولله الحمد والمنّة.

وفي ختام هذه المقدمة فإنني أشكر الله ـ عز وجل ـ على ما أنعم به عليّ من النعم العظيمة والآلاء الجسيمة، وما وفق إليه من تيسير إنجاز هذا البحث.

كما أتوجه إلى والدي بالشكر الجزيل على رعايته لي، وَحَدَبِهِ عليَّ ونصحه وتوجيهه وإرشاده، فقد كان بعد الله سبباً رئيساً، يدفعني دوماً إلى مواصلة طلب العلم والنهل منه. فجزاه الله عنِّي خير ما جزى والداً عن أبنائه، وأسأل الله أن يوفّقني إلى برّه والإحسان له فيما بقي من عمري، وأن يجعلني دوماً عند حسن ظنه.

كما أسأل الله أن يغفر لجدّي/ أحمد بن علي الشدي الذي توفّي أثناء إعداد هذه الرسالة، وكم كان ـ رحمه الله ـ يدفعني للمضي قدماً في المجال العلمي، ويتساءل عن موعد مناقشة هذه الرسالة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنّي خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي على قبوله الإشراف على هذه الرسالة رغم كثرة مشاغله، وما غمرني به من حسن الرعاية وكريم التواضع، فقد فتح لي قلبه ومنزله ومكتبته، وسارع دوماً بالإجابة على استفساراتي، ولم يتبرم بكثرة اتصالاتي وزياراتي، التي توالت عليه حتى في أوقات الإجازات الرسمية، فجزاه الله عنّي خير الجزاء وأوفاه.

والشكر موصول للشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين:

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي

٢ ـ وفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن صادق البيرة

على قبولهما مناقشة هذه الرسالة، وإفادتي بتوجيهاتهما وملاحظاتهما القيمة.

كما أشكر كل من قدّم لي نصحاً أو توجيهاً أو مساعدة في الحصول على صور المخطوطات وفي المراجعة والتصحيح، فلهم منِّي جزيل الشكر والتقدير.

وأخص منهم أخي الشيخ/ سعود بن إبراهيم الشريم، وأخي الدكتور/ محمد بن تركي التركي، وأخي الأستاذ/ عبدالله بن عبدالحميد الأثري على دورهم في حصولي على صور المخطوطات، التي احتجتها أثناء البحث.

كما أشكر الأستاذ الدكتور/ أحمد حسن فرحات على سعة صدره وتجاوبه معي أثناء المكالمات الهاتفية التي أجريتها معه والتي أفادتني في قسم الدراسة، والشكر موصول

للدكتور/ إقبال فرحات، والدكتور/ شلواح المطيري على مبادرتهما بتزويدي بنسخة من رسالتيهما للدكتوراه حول الراغب الأصفهاني بمجرد طلبي، فجزاهما الله عنّي خيراً.

وأشكر إخواني الكرام الأساتذة: أحمد المزيد، وعبدالرزاق طاهر، وجمال صاولي، ومحمد بن عبدالرحمن ابن محمود، وعمر السُلمي على دورهم في حصولي على مراجع قيمة ومعلومات مفيدة سهَّلت لي مهمتي.

والشكر الجزيل لأخي الأستاذ/ خالد أبو صالح على دوره في المراجعة والتصحيح بجهد متواصل ونشاط دائم، وللأخ محمد عوض على قيامه بطباعة هذه الرسالة وإخراجها بهذا الشكل، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء وأوفاه.

كما لا يفوتني أن أشكر زوجتي وأبنائي على ما وفّروه لي من أجواءٍ معينة على البحث العلمي، وما عانوه معي من السهر والتعب.

وختاماً: فلوالدتي حقٌّ عليَّ عظيم، فقد كانت دوماً تلهج بالدعاء لي بالتوفيق والفلاح، أسأل الله أن يعظم أجرها ويجزل مثوبتها ويجزيها عنِّي خيراً.

وبعد: فهذا هو جُهد المقل وبضاعة المقصِّر، أقدّمه بعد أربع سنوات من العمل المتواصل، وحسبي أنِّي لم أدّخر جهداً في سبيل إتقان عملي، وأسأل الله القبول والسداد والهدى والرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

حياته الشخصية

وفيه مطالب:

* المطلب الأول : عصـــــره
* المطلب الثاني: ولادته ونشأته
* المطلب الثالث: وفـــاته

المطلب الأول

عصـــــره

شهد القرن الرابع الهجري ـ وهو القرن الذي يُرجّح أن الراغب الأصفهاني ولد بعد مضي نصفه الأوّل ـ توالي ظهور الدويلات الصغيرة التي تنسلخ عن الخلافة العباسيّة مكرسة حالة الفرقة والانقسام، التي أضعفت المسلمين سياسيًّا وعسكريًّا في ذلك العصر.

ويذكر ابن كثير في أحداث سنة ٣٢٤هـ أن: «أمر الخلافة ضعف فيها جدًّا.. واستقل نواب الأطراف بالتصرُّف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها.. وأما بقيّة الأطراف: فالبصرة مع ابن رائق يولّي فيها من شاء، وخوزستان إلى أبي عبدالله البريدي. وقد غلب ابن ياقوت على مملكة تستر، وأمر فارس إلى عماد الدولة بن بويه... وكرمان بيد محمد بن إلياس، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، وبلاد أفريقيّة والمغرب في يد القائم بأمر الله بن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد الناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة وحجر في يد أبي طاهر القرمطي..»[1].

وقد كانت العلاقات بين هذه الدويلات الناشئة متوترة وعدائيّة في الغالب، وظهرت النزاعات العسكريّة بين البويهيين والسامانيين[2]

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٩٦) بتصرف يسير.

(٢) انظر: والكامل لابن الأثير (٧/ ١٠٨).

وبين السامانيين والغزنويين[1]، وبين البويهيين والحمدانيين[2].

وهذا الأمر ولّد حالة من عدم الاستقرار السياسي، جعلت حكام هذه الدويلات يعملون السيف في الناس بالبطش والترهيب؛ لتثبيت أركان حكمهم، وردع الموالين لأعدائهم، خوفاً من زوال سلطانهم واجتثاث كياناتهم.

وكانت أبرز هذه الدويلات [دولة بني بويه][3] التي تأسست سنة ٣٢٠هـ، واستمر حكمها حتى سنة ٤٤٧هـ، وسيطرت خلال هذه الفترة على بلاد فارس المترامية الأطراف ومنها: أصفهان التي ينتمي إليها: [الراغب الأصفهاني]، بل بلغ من قوتها أن أخضعت العراق وعاصمة الخلافة [بغداد] لسيطرتها في عام ٣٣٤هـ على يد معز الدولة بن بويه[4]، وأصبح الخليفة في بغداد مجرد رمز يتحكم

---

(١) انظر: الكامل (٧/ ١٩٦)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: الكامل (٨/ ١٠) و(٧/ ٩٢)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٢٦).

(٣) ينتسب بنو [بويه] إلى بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك، ورغم نسبهم الفارسي العريق، فقد كان أبو شجاع بن بويه والد الإخوة الثلاثة عماد الدولة الحسن وركن الدولة الحسين ومعز الدولة أحمد فقيراً مدقعاً يعمل بصيد السمك، حتى قيّض الله لأبنائه الاتصال بملك يقال له مرداويج فأكرمهم، واستعمل أحدهم وهو عماد الدولة على الكرخ ثم استولى عماد الدولة على أصفهان وأذربيجان وبلداناً كثيرة، وبذلك نشأت دولة بني بويه. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٨٥).

(٤) واستمر حكم [معز الدولة] حتى توفي سنة ٣٥٦هـ فخلفه ابنه [بختيار] الذي مال إلى حياة اللهو والترف، فاضطربت أمور دولته حتى استولى ابن عمه [عضد الدولة] على الحكم، وقبض على بختيار سنة [٣٦٤هـ] واستمر حكمه حتى توفي سنة [٣٧٢هـ] فخلفه ابن المرزبان أبو كاليجار ولقبه [صمصام الدولة] ولم يستتب الأمر له طويلًا، إذ وثب على الملك أخوه [شرف الدولة] سنة [٣٧٦هـ]، واعتقله في إحدى قلاع فارس، =

فيه البويهيون، وصار لحكام بني بويه القدرة على عزل الخليفة، بل وتأديبه وسجنه إذا لزم الأمر.

ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٣٣٤هـ أنّ: «معز الدولة [البويهي] حضر - في بغداد - إلى مجلس الخليفة العباسي [المستكفي بالله]، فجلس على سرير بين يدي الخليفة، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة، فأنزلاه عن كرسيّه، وسحباه، فعلقت عمامته في حلقه، ونهض معز الدولة، وسيق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأُحضر [أبو القاسم بن المقتدر] فبويع بالخلافة وسُملت عينا [المستكفي]، وأُودع السجن، فلم يزل به

= وبعد وفاة [شرف الدولة] سنة [٣٧٩هـ] تولى الأمر [بهاء الدولة] مع منافسة شديدة من قبل [فخر الدولة البويهي]، الذي كانت له الري وهمذان وأصبهان، وكان طامعاً في الاستيلاء على العراق بتشجيع من وزيره: الصاحب بن عبّاد الكاتب المشهور؛ ولم يكد [بهاء الدولة] ينتصر على [فخر الدولة] حتى بدأت المعارك بينه وبين [صمصام الدولة]، الذي سُلب الحكم منه سنة [٣٧٦هـ] ولم تنقطع هذه المعارك إلا بمقتل [صمصام الدولة] في سنة [٣٨٨هـ]، «ولم يكن في ملوك بني بويه أظلم من [بهاء الدولة] ولا أقبح سيرة منه» وقد توفي سنة ٤٠٣هـ فخلفه ابنه أبو شجاع [سلطان الدولة] الذي غادر بغداد سنة [٤١١هـ] قاصداً الأهواز، واستخلف أخاه [مشرف الدولة] وفي سنة [٤١٦هـ] دخل [جلال الدولة البويهي] بغداد وتسلّم الأمر فيها على ضعف وسوء تدبير أدى إلى تزايد نفوذ الأتراك، حتى باتوا يتدخلون في تولية سلاطين بني بويه وعزلهم، وتعرض [جلال الدولة] للإخراج من بغداد، ثم إعادته إليها أكثر من مرة على يد الأجناد من الترك. وبعد وفاة جلال الدولة سنة [٤٣٥هـ] سارع أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة إلى بغداد، فاستولى على حكم الدولة البويهيّة فيها وفي سنة [٤٤٠هـ] توفي أبو كاليجار، وتولى الملك بعده ولده [الملك الرحيم أبو نصر] الذي سقطت الدولة البويهيّة في عهده سنة [٤٤٧هـ] فكان آخر ملوكها. انظر: الكامل (٨/ ٤٤ وما بعدها)، والبداية والنهاية/ ١١/ ٢٢٥ وما بعدها).

مسجوناً حتى كانت وفاته في سنة [٣٣٨هـ]»[١].

«ثم بويع لأبي القاسم بن المقتدر بالخلافة وسمّي [المطيع لله] وضعف أمر الخلافة جدًّا حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير أيضاً، وإنما يكون له كاتب على إقطاعه، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة [البويهي][٢]، واستمر الحكام من بني بويه على هذه الحال من الهيمنة على الخلافة وعاصمتها[٣]، حتى بدأ شأنهم يضعف بكثرة النزاعات على الحكم فيما بينهم[٤]، فاستطاع السلاجقة الأتراك أن يوطدوا أمر دولتهم على انقاض دولة بني بويه، وتوّج ذلك بدخول [طغرلبك] إلى بغداد، وتسلّمه زمام الأمر والنهي فيها، واعتقاله [الملك الرحيم] آخر ملوك بني بويه»[٥].

وكان السلاجقة قبل ذلك قد استولوا على [أصفهان] والري وجرجان وطبرستان وخوارزم وأذربيجان[٦]؛ واستمر [طغرلبك] في الحكم حتى توفي سنة [٤٥٥هـ]، فخلفه ابن أخيه [ألب أرسلان]

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٦) بتصرف يسير. والكامل (٦/ ٣١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، بتصرف يسير.

(٣) في سنة ٣٦٣هـ عزل البويهيون الخليفة العباسي المطيع لله وولّوها للطائع بالله، وفي سنة ٣٨١هـ عزل البويهيون الطائع لله عن الخلافة وولّوها القادر بالله. انظر: الكامل (٧/ ٥٣) و(٧/ ١٤٧).

(٤) انظر: الكامل (٧/ ٢٣٧) و(٧/ ١٣٨) و(٧/ ١٩٢) و(٧/ ٣٢٨) و(٧/ ٣٤٩) و(٨/ ٣٨).

(٥) انظر: الكامل (٨/ ٧٠، ٧١)، والبداية والنهاية (١٢/ ٧١)، وقد كانت مدة ولاية البويهيين على بغداد وعاصمة الخلافة قريب المائة وعشر سنين.

(٦) انظر: الكامل (٨/ ٣٠ و٣٣ و٣٤ و٥٤)، والبداية والنهاية (١١/ ١٢/ ٥٣ و٥٤ و٦٦).

حتى توفي سنة [٤٦٥هـ]، وخلفه ابنه [ملك شاه]، الذي توسع ملكه حتى شمل حلب وترمذ واليمن وبلاد ما وراء النهر، وكانت وفاته سنة ٤٨٥هـ.

في ظل هذه الصراعات السياسيّة والعسكرية في مناطق العراق وأصفهان وبلاد فارس وتنازع هذه الدويلات مع بعضها البعض من جهة، وتنازع ملوك هذه الدويلات وتطاحنهم على الحكم من جهة أخرى، نشأ [الراغب الأصفهاني] في هذه البيئة غير المستقرة سياسيًّا.

وفي تلك الفترة «انتشرت مذاهب الرافضة في عامّة بلاد المغرب، ومصر، والشام، وديار بكر، والكوفة، والبصرة، وبغداد وجميع العراق، وبلاد خراسان، وما وراء النهر، مع بلاد الحجاز، واليمن، والبحرين وكان الحكم في أغلب هذه الأقاليم لهم كالفاطميين وبني بويه وغيرهم»[١]، مما حدا ببعض الباحثين إلى تسمية القرن الرابع الهجري بـ: «عصر الحكم الرافضي»[٢].

وقد عُرف [البويهيون] الذين عاش [الراغب الأصفهاني] في ظل حكمهم أكثر حياته بالتشيع لآل البيت ونصرة مذهب الرافضة، حتى قال عنهم ابن كثير: «وكلهم فيهم تشيّع ورفض»[٣].

ويذكر ابن كثير في أحداث سنة ٣٤٧هـ أن البلاد: «امتلأت

---

(١) انظر: الخطط للمقريزي ٣/ ٣٠٥.

(٢) الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير، شلواح المطيري ص (٦).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٢٨).

رفضاً وسبًّا للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان، وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثر السبّ والتكفير منهم للصحابة»[1].

وفي سنة ٣٥١هـ «رفع المنافقون رؤوسهم في بغداد، وقامت الدولة الرافضة، وكتبوا على أبواب المساجد: لعنة معاوية. ولعنة من غصب فاطمة حقها من فدك - يعنون أبا بكر الصديق -. ولعنة من أخرج العباس من الشورى - يعنون عمر بن الخطاب -. ولعنة من نفى أبا ذر - يعنون عثمان بن عفان - فمسحته أهل السنة في الليل، فأمر معز الدولة - البويهي - بإعادته. فأشار عليه الوزير المهلبي أن يكتب: «ألا لعنة الله على الظالمين لآل محمد، ولعنة معاوية فقط»[2].

فهذا النص يوضح مدى تبني معز الدولة البويهي لمذهب الشيعة، وتأييده لمعتقد الروافض إلى الحد الذي دفعه إلى إقرار كتابة لعن الخلفاء الثلاثة ومعاوية - رضي الله عنهم أجمعين - على أبواب المساجد، متحديًا بذلك أهل السنة والجماعة، الذين كانوا يشكلون إذ ذاك غالبية أهل بغداد، ومع ذلك فلم يستطيعوا منع هذه الكتابات المسيئة للصحابة، ولم يقدروا على محوها إلا بالليل خفية، بسبب تأييد حكام بني بويه لمذهب الرافضة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٤٧، ٢٤٨).
(٢) انظر: العبر، للذهبي ٢/ ٨٦ بتصرف يسير. وانظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٥٦).

وكانت الفتنة تقع بين أهل السنة والرافضة فيقتل كثير من الخلق من الفريقين نتيجة استعلان الرافضة بمذهبهم وسبهم للصحابة[1] ركوناً إلى تأييد البويهيين لهم.

واستمر الشيعة في إظهار بدعتهم يوم العاشر من شهر الله المحرم كل سنة بالبكاء والنواح على الحسين بن علي[2] رضي الله عنه، وكانوا قبل [بني بويه] لا يجرؤون على ذلك.

وكان حكام بني بويه يُظهرون المغالاة في التشيّع، حتى إن منهم من كان يمشي حافياً قبل أن يصل إلى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه نحو فرسخ، وكذا يفعل عند مشهد الحسين بن علي[3] رضي الله عنه، وكان عامتهم يُدفن بعد موته في مشهد علي بن أبي طالب[4] رضي الله عنه، وعلى الرغم من هذه الحالة السياسيّة المضطربة، فقد شهد القرن الرابع الهجري نهضة علميّة وفكريّة كبيرة، ساعد عليها تنافس الحكام في تقريب العلماء وأرباب الأدب والشعراء والمتكلمين، وإجزال العطاء لهم، وتشجيعهم على التأليف والتدريس[5].

وبالتالي فإن الاضطرابات السياسيّة لم تؤثر على الحركة العلميّة في ذلك العصر ـ باستثناء اضطرار بعض العلماء والمفكرين إلى عدم الجهر برأيهم في بعض المذاهب، التي يرون بطلانها بسبب اعتناق

---

(١) انظر: البداية والنهاية، أحداث سنة ٣٤٨هـ، وسنة ٣٥١هـ (١١/ ٢٤٨) (١١/ ٢٥٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٦/ ٢٨٦).

(٣) وهو: جلال الدولة. انظر: الكامل (٨/ ٢٧).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٣٢٨).

(٥) انظر: تاريخ الأدب العباسي، نيكلسون، صفاء خلوصي، ص (٣٧).

حكام تلك الأقاليم لها .

وهكذا فقد انضمت إلى العراق مراكز أخرى للحياة العلمية والفكريّة : كمصر وبلاد الشام والمغرب والأندلس، وتميّز جنوبي بلاد فارس، ومنه [أصبهان] موطن [الراغب]، التي كانت تسمّى [عش العلماء] لكثرتهم فيها والرّي وخراسان وما وراء النهر بنهضة علمية قوية في ذلك العصر[١]؛ ففي الشام اجتمع في بلاط سيف الدولة الحمداني من الشعراء : المتنبي، وابن نباتة، والسعدي، وأبو فراس الحمداني، وأبو الفرج الببغاء، والسري الرفاء، ومن اللغويين ابن خالويه وابن جني[٢]. وقام أبو الفرج الأصفهاني بتقديم كتابه الشهير : الأغاني، لسيف الدولة[٣] لمعرفته بتشجيعه للأدباء ومن في حكمهم، وإلى جانب الشعراء والأدباء وأهل اللغة، اجتمع في بلاط سيف الدولة كبار الفلاسفة كالفارابي، والأطباء الذين بلغوا أربعة وعشرين طبيبًا كما ذكر ابن أصيبعة، مما جعل بلاطه أزهى بلاطٍ في عصره»[٤].

وفي المقابل كان للبويهيين في العراق وبلاد فارس أثر كبير في النهضة العلمية في مجال التأليف والتدريس، وكانت [الرّي] عاصمة للقسم الشمالي من بلاد فارس في العهد البويهي، والذي يضم

(١) انظر : ظهر الإسلام، لأحمد أمين، (١/ ١٦١ - ٣١٠).
(٢) انظر : تاريخ الأدب العباسي، نيكلسون، ص (٤١).
(٣) انظر : المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٤) انظر : ظهر الإسلام، أحمد أمين، (١/ ١٨٦، ١٨٧).

كرمان والري وهمذان وأصبهان[1] ـ التي يُقال بأن الاسكندر بناها ـ وأن أصلها بالفارسيّة شاهان أي مجمع العساكر[2] .

وينقل أحمد أمين عن المقدسي أن «أصبهان مدينة كبيرة عامرة آهلة، كثيرة الخيرات، أهل سنة وجماعة وأدب وبلاغة، كم أخرجت من مقرئ وأديب وفقيه ولبيب»[3] .

وقد برز عضد الدولة من بين حكام الدولة البويهيّة في مجال تشجيع الحركة العلميّة والأدبيّة، وإقامة العمران، وتشييد المشافي، وأخذ النحو واللغة عن أبي علي الفارسي النحوي الشهير، وزيَّن بلاطه بالأدباء والشعراء الذين قصدوه من كل مكان[4] .

كما برز ابن العميد كبير وزراء بني بويه في وقت [ركن الدولة] واشتهر ببلاغته ونثره المتميّز بجمال التصوير ودقة التعبير حتى ظهر القول المشهور: «ختمت البلاغة بابن العميد»[5] . وكان أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد يكتب عنده، ويلازمه حتى لُقِّب بالصاحب بن عبَّاد، وكانت إقامته في أصفهان، وآل به الأمر إلى أن تولى الوزارة [لمؤيد الدولة]، ثم لأخيه [فخر الدولة]. وكان [الصاحب] مولعاً بالسجع، نظَّم الشعر وقرّب الشعراء والكتاب، حتى لقد

---

(١) انظر: المصدر السابق، (١/ ٢١٩).
(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٤٨، ٤٩)، ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصبهاني.
(٣) انظر: ظهر الإسلام (١/ ٢٢٠).
(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٤٧، ٢٤٨).
(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٤٨)، وانظر: يتيمة الدهر، للثعالبي (٣/ ٣٢).

ذكر الثعالبي أكثر من عشرين شاعراً وعالماً يزينون بلاطه في الرّي وأصبهان وجرجان، منهم: القاضي الجرجاني وأبو بكر الخوارزمي وأبو العباس الضبي وأبو سعيد الرستمي، وأبو دلف الخزرجي وآخرون[1]؛ ومع اعتقاد [الصاحب] لمذهب الاعتزال وتشجيعه للتشيّع؛ فإنه قد تبحر في العلوم الشرعيّة والأدبيّة، ولم يضيّق على أهل المذاهب الأخرى، الذين لا يتفقون معه في اعتزاله[2].

وهكذا فقد كانت جهود [عضد الدولة] و [ابن العميد] و [الصاحب ابن عبَّاد] واضحة في تشجيع النهضة العلميّة إبّان حكم الدولة البويهية، حتى «إنهم قد جعلوا هذا القسم من فارس في منتهى الخصب العلمي والأدبي، إذ كان كل واحد منهم على إمارته أو وزارته عالماً أديباً، يرى أول ما يجب عليه أن يزيِّن بلاطه ومجلسه بالعلماء والأدباء»[3].

وقد شهد عصر الراغب الأصفهاني تراجع مذهب المعتزلة وانحسار مدّه، ولا سيّما بعد إعلان [أبي الحسن الأشعري] في سنة [٣٣٠هـ] رجوعه عنه، ومخالفته لشيخ المعتزلة في وقته [أبي علي الجبَّائي] الذي مكث الأشعري يتتلمذ على يديه أربعين سنة[4].

واستمر نجم المعتزلة في أفول مع تكاثر المؤيدين لمذهب أبي الحسن الأشعري: كالباقلاني وأبي حامد الإسفراييني وابن فورك

---

(١) انظر: يتيمة الدهر، للثعالبي، (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).
(٢) انظر: ظهر الإسلام (١/ ٢٤٩).
(٣) انظر: ظهر الإسلام (١/ ٢٤٧).
(٤) انظر: تاريخ الأدب العباسي، ص (١٧٩).

وأبي المعالي الجويني إمام الحرمين وأبي حامد الغزالي[1]، بل و[الراغب الأصفهاني] نفسه حيث كان ينصر مذهب الأشاعرة في كتبه المختلفة، حتى وصل الأمر في أوائل القرن الخامس الهجري إلى استتابة الخليفة العباسي [القادر بالله] فقهاء المعتزلة وإظهارهم الرجوع عن الاعتزال[2]. وإلى قراءة كتاب بدار الخلافة في بغداد في مذهب أهل السنة، وفيه: «إن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم»[3] وكان بعض القضاة يستتيب من ذُكر عنه الاعتزال[4].

وفي سنة ٤٢٠هـ «جُمع القضاة والعلماء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه [القادر بالله] فيه.. تفسيق من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي وعبدالعزيز الكتاني.. وأُخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه»[5].

وفي سنة ٤٥٦هـ «هجم قوم من أصحاب عبدالصمد على أبي علي بن الوليد المدرس للمعتزلة فسبّوه وشتموه، لامتناعه من الصلاة في الجامع ولتدريسه مذهب المعتزلة، وأهانوه وجرّوه، ولُعِنت المعتزلة في جامع المنصور»[6] وكان الناس يسيئون الظن بمن يتردد على أشياخ المعتزلة ولو كان من العلماء المبرزين، كما نقموا على

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (١٦).
(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٧).
(٣) ذكر ذلك ابن كثير في أحداث سنة ٤٠٩هـ. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٨).
(٤) المصدر السابق (١٢/ ٨) حيث أورد قصة استتابة القاضي ابن أبي الشوارب للمصيري عمّا ذُكر عنه من الاعتزال في سنة ٤١٧هـ.
(٥) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٨) بتصرف يسير.
(٦) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٩٧) بتصرف يسير.

أبي الوفاء بن عقيل، وهو من كبراء الحنابلة بتردده على أبي علي بن الوليد المعتزلي[1]، الذي كان شيخاً للمعتزلة، فأنكر عليه أهل السنة تدريس المذهب، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفي سنة ٤٧٨هـ[2].

ومع ذلك فقد خلَّف المعتزلة ـ أثناء فترة علو أمرهم واشتهاره باعتناق الخليفة المأمون لمذهبهم، وحمل الناس عليه - إرثاً علميًّا كبيراً، ولاسيما مع نبوغ بعض أشياخهم في علوم اللغة والبيان والنحو والإعراب إلى الحد الذي جعل مفسراً شهيراً كالراغب الأصفهاني يكثر من النقل عن أئمتهم: كالجبّائي والنّظام وأبي الهذيل العلّاف والبلخي وأبي مسلم الأصفهاني والجاحظ وغيرهم، على سبيل المناقشة والرد حيناً، وعلى سبيل التأييد والاستشهاد في أحايين أخرى، كما سيأتي بيانه لاحقاً.

ومن الواضح أن عصر [الراغب الأصفهاني] قد شهد ظهوراً واضحاً لمذهب [الأشاعرة]، ولاسيما مع تبنِّي كثير من العلماء المبرزين له، وتأييدهم إياه، بل وتشنيعهم على مخالفيه[3].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١٠٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١٣٧).

(٣) من ذلك ما وقع في سنة ٤٦٩هـ حين قدم أبو نصر بن أبي القاسم القشيري بغداد، فجلس يعظ الناس في المدرسة النظاميّة ـ التي بناها نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه. فقرر القشيري للناس مذهب الأشعري ونصره، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وساعده أبو سعد الصوفي ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، الذي كان يتولى التدريس بالنظامية، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة، ويسأله المعونة عليهم، وذهب أتباعه والمتعصبون له إلى شيخ الحنابلة في وقته أبي جعفر بن أبي موسى وهو في مسجده، فدافع عنه آخرون، واقتتل الناس بسبب ذلك، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة. انظر: الكامل (٨/ ١٢٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٢٢).

ورغم ذلك فقد بقي لأهل السنة والجماعة أهل الأثر والاتباع للسلف الصالح مكانتهم المرموقة، واحترام أولي الأمر من العلماء والحكام لهم وعدم قبولهم لطعن العامّة في مذهبهم[1]. وكان لتأييد الخليفة العباسي [القادر بالله] الذي تولى الخلافة من سنة ٣٧١هـ إلى سنة ٤٢٢هـ[2] وابنه [القائم بالله] الذي تولى الخلافة

---

(١) يذكر ابن كثير في أحداث سنة ٤٦٩هـ أن الخليفة قد جمع في أعقاب كلام القشيري على الحنابلة ورميه إياهم بالتجسيم ـ بين أطراف القضيّة عند الوزير نظام الملك، فأقبل الوزير على أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة يعظمه في الفعال والمقال، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مدرّس النظامية يعتذر إليه فقال: أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب.. ثم قبّل رأس أبي جعفر. فقال له أبو جعفر: صدقت إلا أنك لما كنت فقيراً لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان ونظام الملك وشبعت أبديت ما كان مختفياً في نفسك. وقام أبو سعد الصوفي وقبل رأس أبي جعفر أيضاً. وتلطّف به فالتفت إليه مغضباً وقال: أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، وأما أنت فصاحب لهو وسماع وتغيير، فمن زاحمك منا على باطلك؟ ثم قال: أيها الوزير: أنّى تصلح بيننا ونحن نوجب ما نعتقده وهم يحرمون ويكفرون؟ وهذا جدّ الخليفة القائم والقادر قد أظهرا اعتقادهما للناس على رءوس الأشهاد على مذهب أهل السنة والجماعة والسلف ونحن على ذلك. فأرسل الوزير إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يعلّمه بما جرى، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصاً أبا جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة، وبعد عدّة أشهر ورد كتاب من نظام الملك إلى أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه الذي شكا فيه الحنابلة، وجاء الرد: بأنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ـ يعني في الاعتقاد ـ ومحله معروف عند الأئمة والناس وقدره معلوم في السُّنّة.
انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٢٣).

(٢) قال عنه ابن كثير: كان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء في ذلك الزمان، وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد وصنف قصيدة في فضائل الصحابة.. وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس و.. وكان.. محبًّا للسنة وأهلها مبغضاً للبدعة وأهلها.
انظر: البداية والنهاية (١١/ ٣٣٠) و (١٢/ ٣٤) بتصرف يسير.
وذكر في موضع آخر أنه صنّف كتاباً فيه الرد على أهل البدع وتفسيق من قال بخلق=

بعد أبيه حتى سنة ٤٦٧هـ[1] مذهب أهل السنة والجماعة واعتقادهما إياه أثر في تعزيزه وانتشاره في ذلك العصر.

وبعد هذه الإشارات الموجزة إلى عصر [الراغب الأصفهاني] والظروف المحيطة به سياسيًا وعلميًا ننتقل بالحديث إلى درجة أكثر التصاقاً بالحياة الشخصيّة للراغب الأصفهاني مولداً ونشأةً. . وبالله التوفيق.

* * *

= القرآن وجمع القضاة العلماء في دار الخلافة وأخذ خطوطهم بالموافقة على ما سمعوه. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٨).
وذكر في موضع ثالث أنه أحضر فقهاء المعتزلة واستتابهم فأظهروا الرجوع عن الاعتزال والبراءة منه (١٢/ ٧).

(١) قال عنه ابن كثير: «وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة»، البداية والنهاية (١٢/ ١١٧).

المطلب الثاني

ولادته ونشأته

«الراغب الأصفهاني» علم مشهور بكنيته ولقبه، وقد اختلف في اسمه على أقوال أصحّها وأشهرها أنّه:

الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني. وهو ما ذهب إليه الذهبي[١] والفيروز آبادي[٢]؛ وتبعهما في ذلك أكثر من ترجم للراغب[٣].

في حين أسقط البيهقي اسمه الأوّل عند ترجمته فقال: «الحكيم أبو القاسم بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني»[٤].

أما السيوطي فإنه يترجم له فيقول: «المفضل بن محمد الأصفهاني»[٥] وقد تبعه الداودي في طبقاته[٦]، وإن لم يصرح بذلك.

وفي فهرس المكتبة التيموريّة هو: «الحسين بن المفضل بن محمد الأصفهاني الملقب بالراغب»[٧].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص (٩١).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (١٣/ ٤٥). وكشف الظنون (٥/ ٣١١) و«كنوز الأجداد» لمحمد كرد علي ص (٢٦٥)، والأعلام ـ للزركلي (٢/ ٢٥٥)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٤/ ٥٩)، و «تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة د. رمضان عبدالتواب وآخر (٥/ ٢٠٩)، و «تاريخ آداب اللغة العربية» (٣/ ٤٥).

(٤) انظر: «تاريخ حكماء الإسلام» ص (١١٢).

(٥) انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص (٢/ ٣٩٧).

(٦) انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٢٩).

(٧) انظر: فهرس المكتبة التيموريّة (٣/ ١٠٨)، وفي نزهة الأرواح «الفضل» بدل «المفضل»=

ويعاني كل باحثٍ في حياة الراغب الأصفهاني من مشكلة قلّة المعلومات المتوفرة عنه إلى حد الندرة، بل إن جميع المصادر التي ترجمت له ـ على قلتها ـ لا تذكر تاريخ ولادته ولا مكانها[١]، وإن كان يرجِّح أنه عاش في «أصفهان» التي يُنسب إليها[٢].

وتشير بعض المصادر إلى أن الراغب نزل بغداد وأقام بها، فقد قال حاجي خليفة: «الحسين بن محمد بن مفضل الإمام أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني نزيل بغداد»[٣].

وتذكر «الموسوعة العربية الميسرة» أن الراغب عاش ببغداد، وأن أصله من أصفهان[٤].

= وهو خلاف المشهور. انظر: نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة لشمس الدين الشهرزوري (٢/ ٤٤).

(١) انظر على سبيل المثال: تاريخ حكماء الإسلام ـ لظهير الدين البيهقي ص (١١٢)، و «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٢٠)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٩٧)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص (٩١)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٣٦)، و(٥/ ٣١١) والأعلام ـ للزركلي (٢/ ٢٥٥)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٥٩)، وتاريخ الأدب العربي (٥/ ٢٠٩)، وكنوز الأجداد ص(٢٥٦)، وتاريخ آداب اللغة العربيّة (٣/ ٤٧)، ودائرة المعارف الإسلاميّة، مادة: الراغب.

(٢) عثر الأستاذ محمد عدنان الجوهري على نسخة نادرة لكتاب «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني، بينما كان يُفهرس مكتبة أحد هواة جمع المخطوطات النادرة بدمشق، وقد جاء النص الصريح في الصفحة الأخيرة منها: بأن النسخ كان في «محرم من شهور سنة تسع وأربعمائة». وقد كُتب تعليق متأخر على الحاشية ذُكر فيه أن هذا الكتاب بخط الراغب الأصفهاني، وأنه وُلد في مستهل رجب من شهور سنة ثلاث وأربعون (كذا) وثلاثمائة في قصبة أصبهان صانها الله. انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد الحادي والستون ـ الجزء الأوّل ـ يناير ١٩٨٦م.

(٣) انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٥/ ٣١١).

(٤) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، (٥/ ٨٥٤).

ويزداد الإشكال حين يفتش الباحث عن ترجمة له في «أخبار أصفهان» لأبي نعيم الأصبهاني فلا يُعثر لها على أثر، وفي «تاريخ بغداد» فيعود بخُفي حُنين، ويبحث عنه بين الأدباء في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي فلا يظفر ببغيته[1]، وكذلك الأمر بالنسبة «لشذرات الذهب» لابن العماد، و «العبر» للذهبي، و «خريدة القصر» للعماد الأصفهاني، وليس حظه من الترجمة في «طبقات الشافعيّة» للسبكي بأحسن من حظه فيما سبق.

وقل مثل ذلك بالنسبة لـ «المنتظم» لابن الجوزي، و «حلية الأولياء» لأبي نعيم، و «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، و «البداية والنهاية» لابن كثير، و «إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين» لعبد الباقي اليماني؛ بل وحتى الأعيان الذين حظوا بالذكر في «الوفيات» لابن خلكان، و «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي لم يُتح للراغب أن يكون منهم.

وعلى الرغم من الاحتفاء الواضح من قبل مؤرخي الشيعة بالراغب الأصفهاني حيث ترجم له الخوانساري[2]، وأغا برزك الطهراني[3]، والعاملي[4]، وعباس القمّي[5]، والطبرسي[6]

---

(١) على الرغم من أن الخوانساري صاحب «روضات الجنات» أن ذكر الراغب قد ورد في معجم الأدباء!! انظر: روضات الجنات (٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ص (٢٤٩).

(٣) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٥/ ٤٥).

(٤) انظر: أعيان الشيعة، ص (٢٧ و ٢٢٠).

(٥) انظر: سفينة البحار (١/ ٢٥٨).

(٦) في كتابه «أسرار الإمامة» نقلًا عن «أعيان الشيعة» للعاملي، ولم أستطع الوقوف عليه.

إلا أن المعلومات عنه كانت شحيحة لدرجة أن هذه التراجم لا تكاد تضيف إلى الباحث شيئاً يُذكر حول حياته الشخصيّة.

ومن هنا فقد تساءل معظم من تعرّض لترجمته من المعاصرين عن السّر الكامن وراء ندرة الترجمة له، والتجاهل الكبير الذي عُومِل به الراغب الأصفهاني[1].

وقد اجتهد كلٌّ منهم في استنباط الأسباب المؤدية لذلك؛ فمنهم من عزاه إلى عدم اتصاله برجال السلطة وغشيان بلاطهم وتقلُّد الوظائف العامَّة، فقال: «لاتصال العلماء والأدباء برجال السلطان وتصرُّفهم لهم في القضاء والعمالات، أو تقرُّبهم منهم بالمنادمة والتأديب والشعر دخل كبير في استفاضة شهرتهم، وتناقل آرائهم وتآليفهم، وكم من عظيم لم يتول قضاءً ولا عملًا للدولة بقي على خمول لا يكاد يُشعرُ به، ولا يعرفه غير بعض أبناء حيّه. ومنهم على ما يظهر الراغب الأصفهاني، لم يُترجم له حتى أصحاب الطبقات من أهل مذهبه»[2].

---

(١) ومنهم على سبيل المثال: الأستاذ محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد» ص (٢٦٨)، والدكتور أبو اليزيد العجمي عند تحقيقه كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني ص (١٩)، والدكتور عمر الساريسي في كتابه «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» ص (٤٦)، وله بحث منشور في مجلة «مجمع اللغة العربية الأردني» ـ العددان ١١-١٢ ـ ربيع الأول ـ رجب ١٤٠١هـ بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» ص (٤٣)، والدكتور أحمد حسن فرحات في كتابه «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة» للراغب الأصفهاني ص (١١).

(٢) انظر: كنوز الأجداد، محمد كرد علي، ص (٢٥٦).

ومنهم من عزاه إلى التهمة الباطلة التي ألصقت به بالتشيّع لآل البيت، بسبب احتفاله البيّن بأقوال الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخدام كلمة [عليه السلام] و [كرم الله وجهه] عند ذكره في كثير من المواضع، مما أفقده اهتمام علماء أهل السنة والجماعة، ولاسيما أصحاب التراجم منهم[١].

ومنهم من عزاه إلى تواضعه وعدم حديثه عن نفسه وحياته الشخصيّة في ثنايا كتبه[٢]، ويشهد لذلك قول الراغب: «وأعوذ بالله أن أكون ممن مدح نفسه وزكّاها فعابها بذلك وهجاها، وممن أزرى بعقله بفعله»[٣]، وقوله: «كتبت إلى أبي القاسم أبي العلاء أبياتاً أستعير منه شعر عمران بن حطّان» ثم ذكر الأبيات وعلّق على ذلك بقوله: «والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما خاطبته به، أعوذ بالله أن أكون ممن يزري بعقله بتضمين مصنفاته شعر نفسه»[٤].

وبالتالي، فإن تواضع الراغب، ورغبته في خمول الذكر؛ ترفعاً

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٤٨)، وبحث منشور للدكتور عمر الساريسي بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ العددان (١١-١٢) ١٤٠١هـ، ص (٧٣).

(٢) انظر: مقدمة «المفردات» لصفوان داوودي، ص (١٤). وانظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، د. عمر الساريسي، ص (٤٨)، وقد أضاف إلى ذلك احتمال كون اشتغاله بالفكر الفلسفي وقد كانت العامّة كما يقول ـ تقف من أمثاله موقف الريبة والشك سبباً للتجاهل أو لفقدانه عطف الأحزاب السياسية التي كانت تقوم على أساس فكري أو ديني لعدم وضوح انتسابه إلى إحدى الفرق الإسلاميّة وضوحاً يكفل له الترجمة في حلقاتهم.

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، للراغب الأصفهاني، (١/ ٧).

(٤) انظر: محاضرات الأدباء (١/ ١١٩، ١٢٠).

بنفسه عن تضمين مؤلفاته حديثاً عن نفسه، أفقد المترجمين له مصدراً هاماً يمكن أن يستمدوا منه المعلومات الموثقة عن حياته الشخصيّة.

وفي حقيقة الأمر فإن هذه الأسباب باستثناء الأول منها لا ترقى إلى درجة تفسير التجاهل، الذي تعرض له عَلَمٌ كالراغب الأصفهاني. فأمّا تُهمة التشيُّع فلم تكن قويّة لدرجة اشتباه الأمر على أصحاب كتب التراجم من علماء أهل السنة، وقد رأينا الذهبي والسيوطي والفيروز آبادي وظهير الدين البيهقي وغيرهم يُترجمون للراغب، وينسبونه للسُّنَّة، ولا يتعرَّضون إلى هذه التُّهمة من قريب أو بعيد، مما يدل على بطلانها وعدم تأثيرها على ترجمة الراغب عندهم[1]. على أن بعض الشيعة حاول أن يرجِّح تشيّع الراغب، ليكسب عالماً مميّزاً إلى صفوف مذهبه، وقد أدخل الوهم عليه وعلى أمثاله كثرة سلامه وترضيّه على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلفظ [عليه السلام] و[كرم الله وجهه]، ولذلك فقد قال حسن بن علي الطبرسي في ترجمته: «كان من حكماء الشيعة الإماميّة»[2]، وقد أنكر ذلك مجموعة من علماء الشيعة، الذين ترجموا للراغب الأصفهاني، ومنهم: الخوانساري الذي جزم بأن الراغب من الشافعية، ورجَّح أنه كان أشعريَّ الأصول، وأنكر كونه من الشيعة لعدم موافقته لهم

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠، ١٢١)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٩٧)، والبلغة (٩١)، وتاريخ حكماء الإسلام (١١٢).

(٢) في كتابه «أسرار الإمامة» ولم أستطع الوقوف على الكتاب رغم اجتهادي في البحث عنه، وقد نقل هذا القول عنه الميرزا عبدالله في كتابه «رياض العلماء وحياض الفضلاء» (٢/ ١٧٢) وأغا برزك الطهراني في «طبقات أعلام الشيعة» في الجزء المسمى «الثقات العيون في سادس القرون» ص (٨٢)، والعاملي في «أعيان الشيعة» (٢٢١).

في جملة الضروريات في أصول المذهب وفروعه[1].

وقال أغا برزك الطهراني: «اختلف في كونه شيعيًّا، والعامّة صرّحوا بكونه من عامّة المعتزلة، وكذا بعض الخاصّة، ولكن الشيخ حسن بن علي الطبرسي صاحب «كامل بهائي» صرّح في آخر كتابه «أسرار الإمامة» أنه من حكماء الشيعة الإمامية»[2].

ويكفي لردِّ هذه التُّهمة مطالعة رسالة الراغب الأصفهاني في الاعتقاد، التي شرح فيها المعتقد الحق، الذي يدين به، ومما جاء في هذه الرسالة قوله: «والفرق المبتدعة الذين هم كالأصول للفرق الاثنين والسبعين سبعة: المشبهة، ونفاة الصفات، والقدريّة، والمرجئة، والخوارج، والمخلوقيّة، والمتشيعة؛ فالمشبهة ضلَّت في ذات الله، ونفاة الصفات ضلَّت في صفات الله، والقدرية في أفعاله، والخوارج في الوعيد، والمرجئة في الإيمان، والمخلوقيّة في القرآن، والمتشيعة في الإمامة.. والفرقة الناجية هم أهل السُّنَّة والجماعة الذين اقتدوا بالصحابة»[3].

وممّا جاء في هذه الرسالة أيضاً قول الراغب الأصفهاني: «وأذكر الحق الذي كان عليه أعيان السلف من الصحابة والتابعين قبل أن حدثت البدع من قوم يخذلون الدين، ويزعمون أنهم أنصاره، ويخربون ويوهمون أنهم عمَّاره، ويُطفئون نوره، ويُخيلون أنهم

(١) انظر: روضات الجنات، للخوانساري، ص (٢٤٨).
(٢) انظر: طبقات أعلام الشيعة «الثقات العيون في سادس القرون» ص (٨٢).
(٣) انظر: رسالة في الاعتقاد، للراغب، تحقيق: د. شمران العجلي، ص (٢٥).

يوقدون ناره، ويرفعون مناره، وأعظمهم آفة فرقتان: فرقة تدب في ضرّاء وتسر حسواً في ارتغاء، تظهر موالاة أمير المؤمنين وبها إضلال المؤمنين، يتوصلون بمدحه وإظهار محبته إلى ذمّ الصحابة وأزواج النبي ﷺ الذين رضي الله عنهم...»[1].

وأمّا القول: بأن سبب التجاهل لترجمة الراغب يعود إلى تواضعه وعدم حديثه عن نفسه في ثنايا كتبه، فإن كثيراً من علماء الإسلام على مرّ العصور قد اشتركوا مع الراغب في هذه الصفة، ومع ذلك فقد حظوا بترجمة وافية لحياتهم الشخصيّة، وهذا أمر لا يخفى.

على أن باحثاً معاصراً هو الدكتور إحسان عباس كان له رأي آخر مفاده «أن الأمر ليس من قبيل التجاهل، وإلا فكيف وصل ذكره إلى البيهقي؟ لابد أن تكون هنالك مصادر سابقة للبيهقي قد عرّفت به، ولكنها لم تصلنا، ولعل لزومه لأصفهان وعدم مبارحتها ـ فيما أُقدِّر ـ قد جعله بعيداً عن (دائرة الضوء)»[2].

وهذا رأي له وجاهته، لكنه لا يُغيّرُ شيئاً من الحقيقة الماثلة أمام الباحث عن شخصية الراغب الأصفهاني.

ومع ذلك فإن الذي يظهر أن شُحَّ المعلومات المتعلقة بحياته يعود إلى سببين اثنين:

أوّلهما: أن عقيدته التي يؤمن بها تخالف عقيدة حُكّام عصره،

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، للراغب ـ رسالة ماجستير، بتحقيق: أختر لقمان، ص (٤٣).

(٢) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العددان ٢٣-٢٤ (ربيع الأول ـ رمضان ١٤٠٤هـ) في مقال بعنوان «تعليقان» ص (١٩٧).

الذين كانت لهم السلطة على أصفهان وما حولها، فالدولة البويهيّة التي عاش الراغب في عصرها كانت تعتنق المذهب الشيعي، وأما الراغب فقد كان سنيًا أشعريًا؛ ومن هنا فقد أُبعد الراغب عن المناصب العلميّة والإدارية، وتمَّ تجاهله والحضّ من منزلته، يوضح ذلك هذا النص الذي ذكره الراغب في «رسالة مراتب العلوم»: «. . . وما كان لي في الكشف في ذلك إلا أمران: أحدهما: أن أعلمه أن لا يعتمد في الحكايات من لا يقيد كلامه. والثاني: أنه قيل لبعض الصالحين: فلان يُسيء ظنه بك فدعه يثقل به ميزانك، فقال: لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار إخواني، ولكن طال تعجُّبي من ذلك الشيخ الفاضل حرسه الله لأمور رأيتها منه طريفة، أحدها: إنكاره عليّ التفوه بلفظ «القوة» اعتلالاً بأن هذه اللفظة يستعملها ذوو الفلسفة، وأن أقول بدله «القدرة» كأنه لم يعلم ما بينهما من الفرق في تعارف عوامِّ الناس فضلًا عن خواصِّهم، ثم ما كان من إبهاماته وتعريضاته، بل تصريحاته تنفق منه على أشياعه وأتباعه بالوضع عنّي والغض منّي وازدياده بعد المقال مقالاً لما رأى مني في مجاوبته جملًا ثقالاً. . . »[1].

ويتضح من هذا النص أن الراغب كان يواجه بحملة انتقاص تهدف إلى الغض من منزلته، وقد طالت هذه الحملة من التعريض إلى التصريح، وازدادت حدّتها، فلما لم يجد الراغب من يدافع عنه سارع للدفاع عن نفسه، وسواءً أكان مصدر هذه الحملة حُكام

---

(١) انظر: مخطوط رسالة في مراتب العلوم، للراغب الأصفهاني، مكتبة أسعد أفندي، استانبول، رقم ٣٦٥٤.

عصره من بني بويه أو بعض علماء عصره وتلاميذهم؛ فإن أجواء هذه الحملة تشي بموافقة السُّلطة عليها وعدم الوقوف في وجهها، بدليل أن الراغب يتهيَّب ممن تزعَّم هذه الحملة عليه، رغم تصريحا بانتقاص الراغب، والغض من قدره، واستمراره على ذلك، فترى الراغب عند ذكره يجلّه ويقدره ويدعو له، فيقول: «ولكن طال تعجبّي من ذلك الشيخ الفاضل، حرسه الله».

وأما السبب الثاني: الذي يفسر ندرة المعلومات عن حياة الراغب الشخصيّة: فهو أن الراغب لم يُوفَّق - فيما يبدو - إلى تلاميذ ينشرون علمه بين الناس، ويكتبون عن شيخهم وحياته وسمته وأخلاقه؛ بل إن كلَّ مُطالِع لتراجم العلماء، الذين خلَّفوا عصر الراغب، وعاشوا في أصفهان وما حولها، لا يجد أيَّ ذكر للراغب الأصفهاني في قائمة شيوخهم؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى انصرافه للتأليف وانشغاله بالتصنيف في العلوم المختلفة وعدم اهتمامه الكافي بمجالس الدرس التي يتحلّق فيها التلاميذ، ومن هنا فقد زادت مصنفاته على العشرين، وتنوَّعت فنونها ما بين اللغة والأدب والبلاغة، والعقيدة، والتفسير وعلوم القرآن، والأخلاق والحكمة والسلوك، وفي المقابل قلّ تلاميذه إلى درجة انعدام المبرزين منهم، الذين يُشتهر أمرهم، ويُشار إليهم بالبنان.

وبناءً على ما سبق، فإن البحث عن تاريخ محدد لمولد الراغب، ومعلومات محددة عن نشأته لا يمكن أن يوصِّل إلى نتيجة علميّة ترضي الباحث، إلا أننا يمكن أن نتلمَّس من خلال كتبه المختلفة

خبر جديد عن الراغب يعثُر عليه الباحث ـ الذي أطال النظر والبحث فيما كتب عن الراغب ـ يحمل علامة استفهام كبيرة، وهذا ما حصل إزاء ما ذكر محقق كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»[(١)] للراغب الأصفهاني من أن الراغب قد ولي القضاء مكرهاً عليه، وأقام ببغداد خمس سنين واستقر بمرسية واستقضى فيها، ثم استعفى، وخرج منها فارّاً إلى المرية، فأقام بها وقبل قضاءها على كُرهٍ، ولما كانت وقعة «قُتُنْدَةَ» بثغر الأندلس شهدها غازياً واستشهد فيها»[(٢)] وقد أحال الباحث توثيقاً لهذه المعلومة إلى «الأعلام» للزركلي، إلا أن الرجوع إلى «الأعلام» أوصل إلى نتيجة مفادها أن هذه المعلومات لا تخصّ الراغب الأصفهاني من قريب أو بعيد، بل تتعلق بالحسين بن محمد ابن سكّرة المتوفى سنة ٥١٤هـ»[(٣)].

وقد وقع محقق كتاب «مجمع البلاغة» للراغب في وهم آخر حيث ذكر في كتاب له بعنوان «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» أنه وجد على الورقة الأولى من مخطوط «حل متشابهات القرآن»، كلاماً لكاتبٍ وصفه بالمتسرِّع، وفيه أنّ المؤلف ـ أي الراغب ـ هو

---

(١) هو الدكتور: أبو اليزيد العجمي، وقد صدر الكتاب في طبعته الأولى بتحقيقه عن دار الصحوة بالقاهرة عام ١٤٠٥هـ. وانظر طبعات الكتاب ص (٨٠) من هذه الرسالة.

(٢) المصدر السابق، ص (٢١).

(٣) انظر: الأعلام، للزركلي، (٢/ ٢٥٥). وقد حذف الدكتور أبو اليزيد العجمي هذا الخبر من الطبعة الثانية لكتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» التي صدرت عن دار الصحوة بالقاهرة عام ١٤٠٨هـ، إلا أنه فات عليه أن يحذف ما يشير إلى هذا النقل في ص ٢٥، فقد قال: «أما مكان وفاته وكيف انتهت حياته فلم يتعرض لها سوى العاملي..» وسوى صاحب الأعلام حيث ذكر كما سبق «ولما كانت وقعة قتندة بثغر الأندلس شهدها غازياً واستشهد فيها».

أبو محمد بن الحسين الأصفهاني، وأنه «تصدَّى للوعظ والتدريس والتأليف، وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات عجيبة، وله رحلة للهند وغيره، وأنه لما رجع إلى نيسابور مات في الطريق سنة ستٍّ وأربعمائة، فنُقِلَ لنيسابور ودُفِنَ بها»[1].

ونظراً لأهميّة المعلومات التي تحتوي عليها هذه الإشارة المختصرة من الكاتب، فقد اجتهدت في الحصول على مخطوط كتاب «حل متشابهات القرآن» الذي أشار إليه الباحث، وهو يحمل الرقم (١٨٠) في مكتبة راغب باشا بإستانبول، وبالفعل فقد تمكَّنتُ من الحصول عليه أثناء زيارتي للمكتبة السليمانية بإستانبول، وبمجرد تفحُّص الورقة الأولى توصَّلت إلى أن هذا الرقم المشار إليه آنفاً يشمل رسالتين للراغب: «حل متشابهات القرآن» و «تفصيل النشأتين»، كما يشمل رسالة بعنوان «حل متشابهات الحديث» لابن فورك، وقد كانت الإشارة التي سطَّرها الكاتب تخص ابن فورك أبا محمد بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة ٤٠٦هـ[2]، ولا علاقة للراغب الأصفهاني بها.

كتب ترجمت للراغب الأصفهاني:

١- «تاريخ حكماء الإسلام» - ظهير الدين البيهقي (ولد ٤٩٩هـ) - تحقيق محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي - دمشق ١٩٤٦م، ص (١١٢).

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٣٣).

(٢) وقد أسعدني أن أطلع بعد ذلك على ما توصل إليه باحث آخر هو الدكتور شلواح المطيري في رسالته للماجستير بعنوان «الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن» حيث توصل إلى هذه النتيجة أيضاً.

٢- «سير أعلام النبلاء» ـ الذهبي ـ الرسالة ـ بيروت، (ج ١٨، ص ١٢٠) ـ ط ١، ١٩٦٥م.
٣- «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» ـ للسيوطي ـ ٣٦٩ ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية.
٤- «كشف الظنون عن أسامي الفنون» ـ حاجي خليفة ـ منشورات ـ مكتبة المثنى ـ بغداد.
٥- «البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة» ـ الفيروز آبادي ـ ٦٩، ص (٧٩) ـ تحقيق محمد المصري - الكويت - جمعية إحياء التراث الإسلامي.
٦- «الأعلام» ـ الزركلي ـ طبعة دار العلم، ١٩٧٦ (٢/ ٢٧٩).
٧- «معجم المؤلفين» ـ عمر رضا كحالة ـ (٥/ ٥٩) - دار إحياء التراث - بيروت.
٨- «تاريخ الأدب العربي» ـ بروكلمان ـ (٥/ ٢٠٩)، ترجمة د. رمضان عبدالتواب وآخر، دار المعارف ـ مصر.
٩- «كنوز الأجداد» ـ محمد كرد علي ـ (٢٦٨) - دار الفكر - دمشق.
١٠- «تاريخ آداب اللغة العربية» ـ جرجي زيدان ـ (٣/ ٤٤-٤٧) ـ دار الهلال.
١١- «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» ـ محمد باقر الموسوي ـ الخوانساري الشيعي، ص (٢٤٩) ـ طهران.
١٢- «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ـ أغا برزك الطهراني ـ (٥/ ٤٥).
١٣- «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» ـ أحمد بن مصطفى الشهير بـ: طاش كبرى زاده (٢/ ٧٠). تحقيق: كامل بكري - دار الكتب الحديثة - القاهرة.

١٤- «أعيان الشيعة» ـ محسن الأمين الحسيني العاملي الشيعي ـ ط ١، ١٩٤٨م، دمشق، ص (٢٧/ ٢٢٠)، مطبعة ابن زيدون.

١٥- «دائرة المعارف الإسلامية» ـ مادة: الراغب، ترجمة أحمد الشنتناوي - القاهرة.

١٦- «الإتقان في علوم القرآن» ـ السيوطي (١/ ٧٢)، تحقيق فؤاد زمرلي - بيروت - دار الكتاب العربي.

١٧- «رياض العلماء وحياض الفضلاء» ـ الميرزا عبدالله أفندي الأصبهاني (٢/ ١٧٢)، تحقيق السيد أحمد الحسيني - مطبعة الخيام - إيران.

١٨- «سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار» ـ عباس القمِّي (١/ ٥٢٨) - بيروت · مؤسسة الوفاء.

١٩- «الوافي بالوفيات»، للصفدي. (١٣/ ٤٥) - ألمانيا.

٢٠- «أسرار الإمامة» ـ حسن بن علي الطبرسي.

٢١- «طبقات المفسرين» ـ للداودي، (٢/ ٣٢٩) - دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٢- «معجم المطبوعات العربية» ـ يوسف سركيس ـ مطبعة سركيس ـ مصر، ١٩٢٨م، ص (٩٢١).

٢٣- «الموسوعة العربيّة الموسعة» ـ دار القلم ومؤسسة فرانكلين ـ القاهرة، ١٩٦٥م، ص (٨٥٤).

٢٤- «القاموس الإسلامي» ـ أحمد عطيّة الله ـ مكتبة النهضة العربيّة، القاهرة، ١٩٦٦م، (٢/ ٤٧٢).

٢٥- «فهرس المكتبة الخديويّة التيموريّة» ـ (٤/ ٢٥٤، ٢١٦، ٢١٧)، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.

٢٦- «نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة» ـ لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، (٢/ ٤٤) - الهند - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

رسائل علمية وتحقيقات لكتب الراغب الأصفهاني:

١- «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» ـ د. عمر الساريسي ـ ط ١، مكتبة الأقصى ـ الأردن.

٢- «الراغب الأصفهاني وجهوده في تفسير القرآن الكريم من خلال كتاب (المفردات)» رسالة ماجستير ـ شلواح بن لويحق المطيري ـ الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة.

٣- «الراغب الأصفهاني ومنهجه في المفردات» ـ رسالة ماجستير ـ عباس محمد أحمد ـ كلية الآداب ـ الإسكندرية، ١٩٧١م.

٤- «الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير مع تحقيق تفسيره: سورة البقرة» ـ رسالة دكتوراه: محمد إقبال أحمد فرحات ـ جامعة الزيتونة ـ تونس.

٥- «مجمع البلاغة» ـ للراغب الأصفهاني ـ تحقيق د. عمر الساريسي ـ مكتبة الأقصى ـ الأردن، ١٤٠٦هـ.

٦- «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة» ـ للراغب ـ تحقيق: د. أحمد حسن فرحات ـ دار الدعوة ـ الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٧- «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ـ للراغب الأصفهاني ـ تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي ـ دار الصحوة ـ القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ.

٨- «المفردات في غريب القرآن» ـ للراغب ـ تحقيق: د. صفوان عدنان داوودي ـ دار القلم ـ دمشق، ط ١.

٩- «رسالة في الاعتقاد» ـ للراغب الأصفهاني ـ رسالة ماجستير ـ أختر جمال محمد لقمان ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى.

١٠- «رسالة في الاعتقاد» ـ للراغب ـ تحقيق: د. شمران العجلي ـ طبع مؤسسة الأشرف ـ بيروت.

* * *

المطلب الثالث

وفـــاتـه

حين يصل البحث في حياة الراغب الأصفهاني إلى: وفاته فإنه يصطدم بالاضطراب الشديد في تحديد تاريخ وفاته، لدرجة لا يمكن التوفيق فيها بين الأقوال المتعارضة، التي يصل الاختلاف بينها إلى قرنٍ كاملٍ من الزمان!!

ففي حين يذكر السيوطي في «بغية الوعاة» أن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة[1]، أي في حدود الفترة من ٤٠٠ إلى ٤١٠ هـ تقريباً، نجد صاحب «كشف الظنون» يذكر أن وفاته كانت في سنة ٥٠٢ هـ[2]، ويوافقه على ذلك كلٌّ من «بروكلمان»[3] و «خير الدين الزركلي»[4] و «عمر رضا كحالة»[5] و «الخوانساري»[6] و «عباس القمّي»[7] و «أغا برزك الطهراني»[8] ....

---

(١) انظر: بغية الوعاة، ص ٣٩٧.

(٢) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (٢/ ١٧٧٣)، عند ذكره لكتاب «مفردات القرآن»، وعند ذكر «تفسير الراغب» و«تفصيل النشأتين»، عاد ليذكر أن وفاته كانت في رأس المائة الخامسة. (٢/ ٤٨٨ و ١/ ٣١٧).

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي (٣/ ٢٠٩).

(٤) انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٥) انظر: معجم المؤلفين (٤/ ٥٩).

(٦) انظر: روضات الجنات (٣/ ١٩٧).

(٧) انظر: «الكنى والألقاب» لعباس القمّي، (٢/ ٢٤).

(٨) انظر: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (٢٠/ ١٢٨)، ويظهر التناقض جليًّا حين يورد تواريخ متضاربة لوفاته في مواضع أخرى من كتابه حيث ذكر في: (٨/ ٩٥)، أن وفاته كانت سنة ٣٢٢هـ، وهذا قول لم يُسبق إليه مطلقاً، وفي: (١/ ٢٨)، ينقل عن كتاب «أخبار البشر» أنه توفي سنة ٥٦٥هـ.

و «العاملي»[١] وآخرون[٢].

ويؤيد قول السيوطي بأن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة من الهجرة «محمد كرد علي»[٣] وبعض المحققين المعاصرين، الذين تتبَّعوا مراحل حياة الراغب الأصفهاني، وبعض الإشارات المبثوثة في ثنايا كتبه[٤]. وأنكروا أن يكون الراغب قد توفي سنة ٥٠٢هـ لاسيما وأن الإمام أبا حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ كان يستحسن كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ويحمله معه في أسفاره، كما ذكر ذلك حاجي خليفة في «كشف الظنون»[٥] و «المتوفى عام ٥٠٥هـ يصعب في العقل أن يحمل مصنفاً لمعاصر له توفي قبله بثلاث سنوات فقط»[٦]،

---

(١) انظر «أعيان الشيعة» لمحسن الأمين العاملي، مطبعة الإتقان، ٢٧/ ٢٢٠.

(٢) منهم: «دائرة المعارف الإسلامية» نشرة إبراهيم زكي خورشيد، مادة: الراغب (٩/ ٤٧٣)، و«تاريخ الآداب العربيّة» لجرجي زيدان (٣/ ٤٥)، و «الموسوعة العربيّة» ص (٨٥٤)، و «القاموس الإسلامي» (٢/ ٤٧٢)، ومحقق «الذريعة إلى مكارم الشريعة» د. أبو اليزيد العجمي ص (٢٥)، والدكتور أحمد حسن فرحات في «مقدمة جامع التفاسير» ص (١٢).

(٣) محقق كتاب «تاريخ الحكماء للبيهقي» وقد أشار في إحدى حواشيه إلى أن وفاة الراغب كانت سنة ٤٠٢هـ في أصح الروايات (ص ١١٢)، إلا أنه عاد في كتابه «كنوز الأجداد» فذكر أن وفاة الراغب كانت سنة ٥٠٢هـ. انظر: كنوز الأجداد، ص (٢٥٦).

(٤) ومن هؤلاء الدكتور عمر الساريسي في كتابه «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» ص (٤٥). والدكتور شلواح المطيري في رسالته للماجستير وهي بعنوان «الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن» ص (٣٠). والدكتور إحسان عباس في مقال نشر بمجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد رمضان ١٤٠٤هـ، ص (١٩٧). والأستاذ محمد عدنان الجوهري، في مقال نشر له بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الحادي والستون، الجزء الأول، يناير ١٩٨٦م، ص (١٩١).

(٥) انظر: «كشف الظنون» (١/ ٨٢٧).

(٦) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٤٣).

ولاسيما إذا كان في منزلة أبي حامد الغزالي[1].

وبين هذين القولين يظهر قول ثالث يتبنّاه «الذهبي» مفاده أن «الراغب» كان حيّاً في سنة ٤٥٠هـ، حيث ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ضمن الطبقة الرابعة والعشرين أي في حدود سنة ٤٥٠هـ وقال: «لم أظفر له بوفاة ولا ترجمة، وكان إن شاء الله في هذا الوقت حيًّا»[2].

ولاشك أنه في مثل هذه الحالات التي ينعدم فيها اليقين لا يستطيع الباحث أن يجزم بتأريخ يقطع بصحته، وحينئذٍ تكثر الاجتهادات، التي قد يجانبها الصواب في أحيان كثيرة، ولا يبقى إلا التدقيق والتمحيص والاستقراء المتأني لكتب «الراغب» ـ على صعوبة ذلك ومشقته ـ علّ الباحث يقف على نصٍّ، يقوّي أيّاً من هذه الأقوال، وينصره.

فأمّا القول بأن وفاة الراغب كانت في سنة ٥٠٢هـ فقد جاء الاعتراض عليه من وجوه:

الأوّل: أن أحداً من المتقدمين لم ينص على ذلك، وإنما ذكره «حاجي خليفة»[3] ثم أيّد هذا القول «بروكلمان»[4] فتابعه على ذلك جمهور المعاصرين، ممن تقدم ذكرهم[5].

---

(١) انظر: بحث منشور بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» للدكتور عمر الساريسي، بمجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني في يناير ١٩٨١م، ص (٦٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، (١٨/ ١٢١).

(٣) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٧٧٣).

(٤) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢٠٩).

(٥) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٤٣).

ولعل «حاجي خليفة» قد وقع في خطأ، حيث لم يدرك إشارة «السيوطي» بأن «الراغب» توفي في أوائل المائة الخامسة[١]، فظنه يقصد سنة ٥٠٠هـ وما بعدها مع أن المائة الخامسة تبدأ من سنة ٤٠٠هـ.

الثاني: ما ذُكر أن الإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ كان يستصحب معه في أسفاره كتاب «الذريعة» للراغب الأصفهاني، على التفصيل المشار إليه آنفاً.

الثالث: نص الراغب على لقائه ببعض معاصري الصاحب بن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥هـ[٢]، كأبي القاسم بن أبي العلاء[٣]، وعبدالصمد بن بابك[٤]، فإذا كان بعض معاصري الراغب الأصفهاني شهدوا أواسط القرن الرابع وأواخره، فهل يمكن أن تتأخر وفاته إلى أوائل القرن السادس؟![٥].

قال الراغب الأصفهاني: «كتبت إلى أبي القاسم بن أبي العلاء أبياتاً أستعير منه «شعر عمران بن حطّان» ـ إلى أن قال ـ والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما خاطبته به»[٦].

والتصريح من الراغب بأنه قد كتب لأبي القاسم بن أبي العلاء

---

(١) انظر: بغية الوعاة، ص (٢/ ٢٩٧).
(٢) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٧/ ١٦٩)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٣٣٥).
(٣) ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر فذكر أنه: غانم بن أبي علي بن أبي العلاء الأصفهاني، شاعر ملء ثوبه.. وذكر أنه من شعراء الصاحب بن عبّاد. انظر: يتيمة الدهر (٣/ ٣٢٤).
(٤) شاعر مشهور قدم على الصاحب بن عباد، انظر: ترجمته في «الكامل» لابن الأثير (٧/ ٣٠٣).
(٥) انظر: مقال بعنوان «تعليقات» للدكتور إحسان عباس، نشر بمجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، عدد رمضان، ١٤٠٤هـ، ص (١٩٧).
(٦) انظر: محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني (١/ ١١٩، ١٢٠).

وخاطبه يقطع بمعاصرته له، وكونه يكاتبه مستعيراً منه كتاباً يدل على توطّد الصداقة، وأبو القاسم بن أبي العلاء كان من شعراء الصاحب ابن عبّاد، فقد ذكر الثعالبي أن أبا القاسم بن العلاء وصف داراً للصاحب بن عبّاد بناها بأصفهان، وكان مما قاله فيها:

دار تمكَّنت المباهج فيها نطقت سعود العالمين بفيها[1]

ولما توفي الصاحب بن عبّاد رثاه أبو القاسم بن أبي العلاء[2]، وقال الراغب الأصفهاني في موضع آخر: «أنشد أبو القاسم بن أبي العلاء يوماً شعراً كاتب به رئيساً، وكنّا سمعناه منه قبل، فعوتب في ذلك، فقال: أنا نظمته أقلّد به من أشاء»[3].

فهذا النص يدل على كثرة مجالسته لابن أبي العلاء، والرئيس الذي كاتبه ابن أبي العلاء بهذا الشعر لا يبعد أن يكون: الصاحب ابن عبّاد، لكثرة تردده عليه، ومدحه إياه.

ويشير «الراغب» إلى حادثة وقعت لأحد شعراء «الصاحب بن عبّاد» وهو: عبدالصمد بن بابك، بما يدل على معاصرته له، فيقول: «وحدثني أبو سعيد بن مرداس أنه قعد مع جماعة فيهم ابن بابك تحت عريش كرم يشربون..»[4].

وابن بابك أحد شعراء «الصاحب بن عبّاد»، ويذكره ابن الأثير

---

(١) انظر: يتيمة الدهر (٣/ ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٢٩).

(٣) انظر: محاضرات الأدباء (١/ ٨٦).

(٤) انظر: محاضرات الأدباء (٢/ ٧٠٦).

في وفيات سنة ٤١٠هـ، فيقول: وعبدالصمد بن بابك أبو القاسم الشاعر وفد على الصاحب بن عبّاد، فقال: أنت ابن بابك؟ فقال: أنا ابن بابك، فاستحسن قوله[١].

ويؤكد الراغب أن بعض معاصريه قد التقى بالصاحب بن عبّاد، فيقول: «وتكلّم بعض أهل زماننا عند الصاحب، فسأله عن شيء، فقال: لا أطال الله بقاءك. فقال: لا وأطال الله بقاءك. فقال بعضهم: ما رأينا واواً أحسن موقعاً من واوك»[٢].

الرابع: النص الصريح في آخر ورقة من مخطوط «مفردات غريب القرآن» للراغب الأصفهاني على أن تاريخ النسخ كان في سنة ٤٠٩هـ[٣]، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الراغب الأصفهاني ذكر في مقدمة هذا الكتاب «المفردات في ألفاظ القرآن» كتاباً آخر له، هو «الذريعة إلى مكارم الشريعة» فقال: «وأشرت في كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة . . . . . .»[٤].

وأنه قد قال في آخر كتاب «الذريعة» مشيراً إلى كبر سنه، وبلوغه سن الشيخوخة: «فسهِّل يا ربِّ المجاز، ويسرِّ لي الجواز، فقد حان حصادي وإن لم يصلح فسادي ولم يحصل رشادي»[٥].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، ص (٧/ ٣٠٣).
(٢) انظر: محاضرات الأدباء، ص (١/ ٦٨).
(٣) انظر: صورة الورقة الأخيرة من المخطوط في الصفحات التالية.
(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، بتحقيق: د. صفوان داوودي، دمشق، ص (٥٤).
(٥) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٤٢٦).

فحينئذٍ نجزم بأن الراغب الأصفهاني قد تعدّى سنّ الشباب، ووصل إلى سن الكهولة قبل سنة ٤٠٩هـ، بدليل تصنيفه لكتاب «الذريعة»، ومن قبله كتاب «تحقيق البيان في تأويل القرآن» قبل كتابه «المفردات»، الذي عثر الأستاذ محمد عدنان الجوهرجي[1] على نسخة خطيّة له، بينما كان يفهرس مكتبة الأستاذ محمد لطفي الخطيب أحد هواة جمع الكتب والمخطوطات النادرة في دمشق، وقد وصفها بأنها «بحالة جيّدة»، أما الخط فهو مهمل التنقيط أحياناً، وقد وقفت هذه النسخة «سميحان بنت السلطان سليم الأوّل» على مكتبة مسجد أبي أيوب الأنصاري، وكانت سنة الوقف عام ٩٧١هـ، والصفحة الأخيرة من الكتاب جاء فيها: «تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله وحده ونعم المعين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم».

«وفي محرم من شهور سنة تسع وأربع مائة» ثم هناك سماع في الصفحات الأخيرة من الكتاب كُتبت سنة ٥١٢هـ.

---

(١) انظر: مقال بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، يناير ١٩٨٦م.

الصفحة الأخيرة من المخطوط وفيها :

«تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه ، . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على النبي محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله وحده ونعم المعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، في محرم من شهور سنة تسع وأربعمائة» .

الخامس: وجود تعليق متأخر على حاشية مخطوطة « مفردات ألفاظ القرآن»، المذكورة في الفقرة السابعة، ينصُّ على أن «هذا الكتاب بخط الراغب الأصفهاني، وأنه ولد في مستهل شهر رجب من شهور سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة في قصبة أصبهان، صانها الله، وتوفيِّ في ربيع الآخر من شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة»[١]، وهو ما وجده بخط أبي السعادات[٢].

فهذا النصُّ يحدد تاريخ ومكان مولد الراغب الأصفهاني ووفاته كذلك، ولكنه بخط كاتب مجهول، متأخر عن تأريخ نسخ المخطوط، وبالتالي فإنه لا يمكن قبوله والأخذ به.

وعلى الرغم من قوّة الأدلة على عدم صحة التأريخ لوفاته في سنة ٥٠٢هـ وما بعدها، إلا أن هذا لا يعني الإقرار والتسليم بأن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة، كما أشار «السيوطي» ومن وافقه من الباحثين، ولاسيما المتأخرين الذين حددوا وفاته فيما بين ٤٠٠ - ٤١٠هـ عند بعضهم[٣]، و ٤١٢هـ عند البعض الآخر[٤]، وفريق ثالث اكتفى بالتأكيد على كونها أوائل القرن الخامس الهجري[٥]؛

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص ٤٥.
(٤) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، يناير ١٩٨٦م، مقال بعنوان «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني».
(٥) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، رسالة ماجستير، للباحث شلواح المطيري، ص ٣٠.

وذلك بأن مقالة «الذهبي» بأن «الراغب الأصفهاني» كان حيّاً في عام ٤٥٠ هـ قد استوقفتني كثيراً، وتساءلت: ما الذي يدفع مؤرخاً عُرف بالتثبُّت كالذهبي إلى مثل هذا القول لو لم يكن لديه قرائن ترجِّح ما ذهب إليه؟

ومن هنا فقد اجتهدت في البحث في سائر كتب الراغب الأصفهاني، التي صنفها في الأدب والبلاغة وفي الأخلاق والسلوك، لعلي أجد إشارات إلى بعض الأعلام، تزيد الأمر وضوحاً، بيد أنّي رجعت من ذلك بخُفّي حُنين، إلا أن عدم الترجمة للراغب الأصفهاني في مصنفات شهيرة توفي أصحابها بعد مرور العقد الأوّل من القرن الخامس الهجري - وهو الوقت الذي يُفترض أصحاب القول الثاني أن الراغب الأصفهاني قد تُوفِّي فيه - يعضد - ولو بطريقة غير مباشرة - ما رجحه الذهبي من أن وفاته تأخرت إلى ما بعد سنة ٤٥٠ هـ، فأبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة (٤٣٠ هـ)[١] لم يُترجم للراغب في «أخبار أصبهان» على الرغم من انتسابه إلى «أصبهان»، واستشهار مصنفاته.

والخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ)[٢] لم يذكر الراغب في «تاريخ بغداد»، على الرغم من أن الراغب قد دخلها وعاش فيها، كما تشير بعض المصادر[٣].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٤٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: كشف الظنون (٥/ ٣١١) والموسوعة العربية الميسرة (٥/ ٨٥٤).

وفي حين أن الراغب قد ذكر ابن مسكويه في أحد كتبه[1] فإن ابن مسكويه المتوفى سنة (٤٢١هـ)[2] لم يذكر الراغب في مصنفاته.

وأبو منصور الثعالبي المتوفى سنة (٤٢٩هـ)[3]، الذي صنف كتاباً فريداً يؤرّخ فيه للأدب في عصره هو «يتيمة الدهر»، ومع ذلك لم يذكر أحد أشهر أدباء عصره صاحب «المحاضرات» و «مجمع البلاغة».

وأبو الحسن الماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ)[4] صاحب التصانيف المشهورة في الأخلاق والآداب و «أدب الدنيا والدين» و «الأحكام السلطانية»، لا يذكر الراغب الأصفهاني ولا شيئاً من كتبه في الأخلاق والحكمة، مثل: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» و «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين».

وعلى الرغم من أن هذه المؤشرات لا تكفي للترجيح في مثل هذه المسألة، إلا أن عبارة الذهبي التي تنص على أن الراغب الأصفهاني كان حيًّا في حدود سنة (٤٥٠هـ). ويمكن أن تُعدّ أقرب ما قيل في هذه القضية، ولا سيما أنها لا تتعارض مع أدلة أصحاب القول الثاني المرجح، بأن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة، وهي تُفسِّر لنا بطريقة منطقية أسباب عدم ذكر الراغب في المصنفات، التي تُترجِمُ لأمثاله بسبب أن أصحابها قد تُوفوا قبل وفاة الراغب الأصفهاني. والله أعلم.

---

(١) انظر: مجمع البلاغة، ص (٣٤٤).

(٢) انظر: معجم الأدباء (٢/ ٤٩).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٤٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٨٥).

الفصل الثاني

حياته العلمية

وفيه مطالب:

* المطلب الأول : طلبه للعلم وشيوخه
* المطلب الثاني: تلاميذه
* المطلب الثالث: آثاره العلمية
* المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه

المطلب الأول

طلبه للعلم وشيوخه

صفحة أخرى مجهولة من صفحات حياة الراغب الأصفهاني، تلك هي صفحة طلبه للعلم وشيوخه الذين تلقى عنهم، فجميع المصادر المتاحة للباحثين لا تذكر شيئاً يتعلق بسيرته العلميّة، وعمّن تلقى من علماء عصره.

وفي مثل هذه الحالات التي ينعدم فيها الخبر الموثق يلجأ الباحث إلى الحدس والتخمين والتوقُّع، المبنّي على بعض الإشارات، التي قد لا يُلقي لها بالاً لو توافرت لديه المعلومات الخاصة بالحياة العلميّة للراغب الأصفهاني.

ومن هذا الباب يُلاحظ أن الراغب كان في طلبه للعلم ذا نزعة منفتحة، تميل للأخذ من كل علم بطرفٍ، دون طلب الاستقصاء فيه، يقول في كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» في فصل جعل عنوانه: الحث على تناول البلغة من كل علم والاقتصار عليه: «.. فحقه أن يجعل أنواع العلوم كزادٍ موضوع في منازل السفر، فيتناول منه في كل منزل قدر البُلغة، لا يُعرِّج على تقصّيه واستفراغ ما فيه، فتقصّي الإنسان نوعاً واحداً من العلوم على الاستقصار يستفرغ عمراً، بل أعماراً، ثم لا يُدرك قعره، ولا يُسبر غوره»[1]، وهذه النزعة جعلت الراغب موسوعيَّ الثقافة مساهماً في مجالات مختلفة من العلوم: لغة

---

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٢٣٦).

وأدباً وبلاغة من جهة، وعقيدة وتفسيراً وأخلاقاً وسلوكاً من جهة أخرى. وما ذاك إلا لأنه في مسيرته العلميّة وأثناء طلبه للعلم قد تنقل بين العلوم المختلفة، وأحسب أن هذا الأمر قد أثّر عليه من جهتين:

أولاهما: أنه لم ينل البروز المطلق في فنٍّ من الفنون، التي خاض فيها ـ باستثناء «المفردات في ألفاظ القرآن» ـ وإن كان قد برع في جميعها، لكنه كان يستطيع التميّز أكثر لو كان تركيزه منصبّاً على تخصص واحدٍ من العلوم، كما كان أغلب علماء عصره يفعلون.

وثانيهما: وقوعه في بعض الأخطاء والتناقضات، التي تُستغرب على عالمٍ مثله، فتراه واعظاً مؤثراً للآخرة على الدنيا، داعياً إلى الاشتغال الدائم بالعبادة والذكر وتطهير النفس، ودحر الهوى، والبعد عن الرذائل وسفاسف الأمور في بعض كتبه: كـ«الذريعة» و«تفصيل النشأتين»، وتراه في المقابل مكثراً لذكر أمور السخف والمجون والغزل غير العفيف شعراً ونثراً في كتب أخرى له: كالمحاضرات ومجمع البلاغة على التفصيل، الذي سيأتي بيانه عند الحديث عن كل كتاب من هذه الكتب، ضمن آثاره العلميّة[1].

وبينما تراه ينص على أن عقيدته التي يدين الله بها، هي ما كان عليه السلف الصالح: «كمالك بن أنس والليث بن سعد والأوزاعي وسفيان الثوري وابن عُيينة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة

---

(١) انظر: ص (٧٣) وما بعدها من هذا البحث.

الأخيار»[1]، إذا بك تراه في مواضع أخرى من كتبه قد سارع إلى تأويل بعض الصفات، وصرفها عن ظاهرها، خلافاً لمذهب الأئمة الذين نصّ عليهم[2]، وتراه وقد نقل أقوالاً منكرة لبعض غلاة المتصوفة، دون أن يُعلّق عليها معترضاً ومنكراً[3].

وفيما يتعلق بشيوخه، فيمكن أن يكون الراغب قد أخذ عن:

* أبي منصور الجبّان: محمد بن علي بن عمر الرازي، عالم اللغة الشهير، صاحب كتاب «الشامل» في اللغة، قال السيوطي: «الشامل في اللغة قُرئ عليه سنة ست عشرة وأربعمائة»[4]، والفضل في هذه المعلومة يعود للأستاذ صفوان داوودي محقق كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» حيث رجَّح ذلك لسببين هما:

«أولاً: أنه كان معاصراً للراغب وفي طبقة قبل طبقته، إذ إنه أدرك الصاحب بن عبّاد[5]، والراغب لم يدركه مجالسة. ثانياً: أن الراغب نقل عنه باسمه في كتابه «المفردات»[6]، فأظنه حضر دروسه في كتاب «الشامل»، لأنهما كانا في أصبهان»[7].

---

(١) انظر: رسالة الاعتقاد، للراغب، ص (٦١).
(٢) انظر: ص (٢٧٥ - ٢٧٨) من هذا البحث.
(٣) انظر: ص (٢٧٩، ٢٨٠) من هذا البحث.
(٤) انظر: بغية الوعاة، (١/ ١٨٥).
(٥) انظر: إنباه الرواة (٤/ ١٧٦)، ومعجم الأدباء (١٨/ ٢٦٠).
(٦) انظر: المفردات، ص (٣١٧).
(٧) انظر: مقدمة المفردات، ص (٨).

* كما أن الراغب ينقل أحياناً عن ابن مسكويه[1]، أبي علي الخازن أحمد بن يعقوب بن مسكويه صاحب «خريدة القصر» المتوفى سنة ٤٢١هـ[2]، ولذا فاحتمال تلقيه عنه قائم لتعاصرهما مع تقدم وفاة ابن مسكويه عنه، ونقل الراغب عنه مصرّحاً باسمه.

* كما أن معاصرته لأبي بكر بن فورك الأصبهاني المتوفى سنة (٤٠٦هـ)[3]، وكونهما ينتسبان إلى بلد واحد مع اهتمامهما بالتفسير والأدب والنحو، يُشير إلى احتماليّة أخذ الراغب الأصفهاني عن ابن فورك الأصبهاني أيضاً المعاصر له، ولكن في طبقة أقدم من طبقته.

* * *

(١) انظر: مجمع البلاغة، ٢/ ٧٣٦. والراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة، ص (٣٤).
(٢) انظر: معجم الأدباء (٢/ ٤٩).
(٣) انظر: العِبر، للذهبي (٢/ ٢١٣).

المطلب الثاني

تـلاميـذه

لا تشير المصادر التي بين أيدي الباحثين في حياة الراغب الأصفهاني إلى أي معلومة تتعلق بتلاميذه، أو بأحد منهم، ولذلك فإنه يتعذر إيراد أي اسم فيما يتعلق بتلاميذ الراغب الأصفهاني، ومع ذلك فإنه يمكن لنا أن نلاحظ أن الراغب كان له تلاميذ، يرجعون إليه في الكثير من المسائل، التي تَعرضُ لهم، ويطلبون رأيه فيها، فمن ذلك قوله في مقدمة «رسالة في الاعتقاد»: «سألت أيها الأخ الفاضل. . أن أعمل رسالة أبيّن فيها أنواع الاعتقادات، التي يُحكَمُ بها على الإنسان بالإيمان والكفر. . وقد استخرت الله تعالى في ذلك، وعملتُ ما اقترحتَه»[1].

ويبدو أن انشغال الراغب بالتأليف قد أثَّر عليه سلباً من حيث قلة التلاميذ النجباء، الذين يتلقون عنه ويدرسون على يديه، ولعلَّ من أسباب عزوف الراغب عن التدريس ومخالطة التلاميذ بكثرة، أنه لا يتفق في عقيدته مع حكام عصره من بني بويه، كما أسلفت[2]. ولهذا فقد كان يكتفي بالتأليف صيانة لنفسه ومعتقده، والله أعلم.

ويستوقف الباحث في هذا المجال كثرة رفع الراغب الأصفهاني كتبه ومؤلفاته لمن أسماه: بالأستاذ والشيخ، مع التبجيل الواضح له،

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٥).

(٢) انظر: ص (٤١) من هذا البحث.

مما يعني أنه يرفع كتبه إلى رجل من ذوي المكانة الاجتماعية المميزة في عصره، يقول الراغب في مقدمة رسالته في «مراتب العلوم»: «قصدي في هذه الرسالة أن أبيّن للأستاذ، أدام الله تأييده - مراتب علوم الشريعة وأعمالها بالقول المجمل، ليعلم من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي..»[1]، ويظهر مع الاحترام الواضح لهذا الأستاذ، الذي يقدم له رسالته؛ أنه يقصد تعليمه «من أين يبتدئ وإلى أن ينتهي في العلوم» وقبول ذلك الأستاذ لرسالة الراغب يدل على موافقته على أن يتتلمذ على يديه، ويتعلم منه.

وفي رسائل أخرى يقول الراغب: «وقد عملتُ ذلك للأستاذ الكريم - أيده الله - لما رأيته معنيّاً باكتساب الإنسانية الموصلة إلى السعادتين»[2]، «ولما رأيت الأستاذ - حرسه الله - سالكاً طريق أسلافه في مراعاة الحسب.. أحببت أن أعرّفه بالقوانين الصحيحة والواضحة؛ أن الفضيلة الكاملة والسعادة المتناهية في تحلية النفس بالعلوم النافعة..»[3].

فالراغب يُحب أن يُعرّف ويعلّم هذا الأستاذ بالقوانين الواضحة؛ أن الفضيلة والسعادة في تعلم العلم واكتسابه.

وفي رسالة أخرى يقول الراغب: «كنا تذاكرنا - أطال الله بقاء الشيخ الفاضل، وأدام تأييده - في لفظ (الواحد) و(الأحد)

---

(١) انظر: رسالة في مراتب العلوم، مخطوط رقم ٣٦٥٤/ ٤، مكتبة أسعد أفندي، إستانبول، ق ١.
(٢) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، المقدمة ص (٥٠).
(٣) انظر: رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم، مخطوط، ٣٦٥٤/ ١، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول، ق ١.

وتحقيقهما، فسأل أن أُثبت ذلك كتابة، ففعلت»[1].

وهنا نلحظ أن الراغب كان يتذاكر العلم مع ذلك الشيخ، وأن للراغب منزلة كبيرة عند ذلك الشيخ، تحمله على أن يسأله إثبات ما قاله كتابة، ليستفيد منه طلاب العلم، فيجيبه الراغب إلى ما سأل.

بل إن الراغب ينبري للخوض في قضيةٍ بلغه أن الحاضرين عند ذلك الشيخ تناقشوا فيها، فيقول فيها رأيه كتابة، ويهديه إلى ذلك الشيخ: «بلغني ما جرى بحضرة الشيخ - أطال الله بقاءه - من ذكر مخالطة الناس ومجانبتهم، وأن الحاضرين عنده اختلفوا. . . فأحببت أن أجعل ذلك كتاباً، أذكر فيه نكت ما قاله العلماء والحكماء، وأجعله هدية إليه»[2].

وهذا يدلّ على منزلة ذلك الشيخ عند الراغب الأصفهاني، واهتمامه الشديد بأمره؛ ولعل الراغب رأى فيه ـ مع كونه من علية القوم وذوي الجاه فيهم ـ قبولاً لآرائه، وتقديراً لمكانته، فأحبَّ أن يواصله بالتوجيه والكتابة، طمعاً في ترغيبه في الفضائل ومعالي الأمور، التي لا ينزع إليها كثير من ذوي الجاه والسلطان.

ولكن هل بين أيدينا ما يُشير إلى شخصيّة ذلك الأستاذ أو الشيخ، الذي أكثر الراغب من إهداء كتبه إليه؟

---

(١) انظر: رسالة ذكر الواحد الأحد، مخطوط، رقم ٣٦٥٤/ ٢، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.

(٢) انظر: رسالة في أدب مخالطة الناس، مخطوط، رقم ٣٦٥٤/ ٣، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.

لقد حاول أحد الباحثين[1] أن يؤكد أن المقصود هو: الأستاذ الرئيس أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي، المتوفى سنة ٣٩٩هـ، والذي تولَّى الوزارة لفخر الدولة البويهي بعد وفاة الصاحب بن عبّاد سنة ٣٨٥هـ[2]. واستند في ذلك على أن الراغب أورد بيتاً في «مجمع البلاغة»، ونسبه لـ: «الأستاذ الرئيس أحمد بن إبراهيم»، وذلك عند ذكره لهذا البيت:

لا تحسبنّ دموعي البيض غير دمي   وإنما نفسي الحامي يصعّده[3]

ومن الواضح أن هذا الاستنتاج لا يعدو الظنّ والتخمين، الذي لا يرقى إلى درجة رجحان الظن وغلبته، ذلك أن لقب: (الأستاذ الرئيس) ليس حكراً على أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي، بل كان غيره يلقَّب به أيضاً، لما فيه من الإشارة لمعنى العلم ـ المنصوص عليه بكلمة: الأستاذ ـ والقيادة ـ المنصوص عليها بكلمة الرئيس ـ ومع علم هذا الباحث بذلك بدلالة قوله:

«ولقد عرف هذا اللقب لغير هذا الوزير أيضاً، إذ كان أبو الفضل ابن العميد، كبير وزراء بني بويه، يلقَّب بالأستاذ الرئيس»[4].

ويبدو أن كلمة «الأستاذ» كانت ذات دلالة على منصب مرموق في الحكم، وبذلك يكنى المتنبي عن كافور، وهو يمدحه، وقد عُرف بالأستاذ:

---

(١) هو الدكتور عمر الساريسي. انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٣٥).
(٢) انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢/ ١٠٥).
(٣) انظر: مجمع البلاغة، ص (٢/ ٦٨١).
(٤) انظر: وفيات الأعيان (٥/ ١٠٤) وفيه: «وكان يقال له: الأستاذ» ولم أجد ذكر الرئيس.

مَدَى بلّغ الأستاذ أقصاه ربُّه ونفسٌ له لم ترض إلا التناهيا[1]

وإذا ذكرت في موضع الفضل في العلم والأدب فإنها تعني المركز المرموق فيهما أيضاً، ولذا يقول البحتري عن أبي تمام: «كلا والله، ذاك الرئيس الأستاذ»[2].

إلا أنه يعود فيؤكد رأيه السابق، مستنداً إلى أن الراغب حين يذكر ابن العميد فإنه لا يصفه بـ «الأستاذ الرئيس»، بل يذكره باسمه. لكنه في المرّة الوحيدة التي ذكر فيها الوزير أحمد بن إبراهيم الضبّي وصفه بـ: «الأستاذ الرئيس أحمد بن إبراهيم»[3].

وواضح أن هذه الملاحظة لا تنهض دليلًا على كون الراغب حين يرفع كتاباً له إلى من يسميه «بالأستاذ»، فإنه يقصد بالضرورة من وصفه عند ذكر بيت شعر ينسب له في «مجمع البلاغة» (بالأستاذ الرئيس).

وبناء على ذلك، فإن هذه الدعوى لا يمكن إثباتها بمجرد هذه الملاحظة، التي أوردها الباحث، كما أننا لا يمكن أن نجزم بردها واطرّاحها بالكلية، لأنها غير ممتنعة، والله أعلم.

***

---

(١) انظر: ديوان المتنبي (٤/ ٤٣١).

(٢) انظر: أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي، ص (٦٧).

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٣٧).

المطلب الثالث

آثاره العلميّة

خلَّف الراغب الأصفهاني تراثاً علميّاً جديراً بالاحترام والتقدير؛ وقد ظهرت عناية المحققين من أهل العلم بمصنفاته، فرأينا «أبا حامد الغزالي» يستحسن كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ويحمله معه في أسفاره[1]، ورأينا «الزركشي» و«أبا حيّان» و«الطيبي» و«السمين الحلبي» و«البيضاوي» وغيرهم يكثرون من النقل عن تفسيره؛ حتى إذا جاء عصر الطباعة الحديثة رأينا اهتمام المحققين لكتب التراث بالآثار العلميّة للراغب الأصفهاني: نشراً ودراسة وتحقيقاً على النحو الذي سيأتي بيانه في هذا المطلب إن شاء الله تعالى.

ويمكن أن نقسّم البحث في الآثار العلميّة للراغب الأصفهاني إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: آثاره العلميّة المطبوعة.

المبحث الثاني: آثاره العلميّة المخطوطة.

المبحث الثالث: آثاره العلميّة المفقودة.

***

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٨٢٧).

ويندرج في هذا الإطار الكتب التالية:

١- رسالة في الاعتقاد:

ويوجد منها النسخ الخطية التالية حسب علمي:

أ- نسخة مكتبة سعيد علي باشا بالسليمانية - إستانبول، برقم ٣٨٢/ ٣.

ب- نسخة مكتبة: تشستربني - بريطانيا.

ج- نسخة قسم المخطوطات بالجامعة الإسلاميّة، برقم ٤٩٥.

وقد قام الباحث أختر جمال لقمان بتحقيقها - على نسخة واحدة هي نسخة مكتبة سعيد باشا باستنبول - في رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى في عام ١٤٠١هـ- ١٤٠٢هـ، وقد طبعت هذه الرسالة، حيث قام الدكتور شمران العجلي بتحقيقها على ثلاث نسخ خطيّة، وصدرت عن مؤسسة الأشرف في بيروت.

وتشتمل هذه الرسالة على ثمانية فصول، ابتدأها الراغب بتناول أصول الأديان، والاختلافات بين أهل الأديان عامّة، وما وقع من التفرُّق والاختلاف بين أهل الإسلام خاصّة، ثم ذكر ما عليه أهل السنة، ثم تناول معرفة الله وتوحيده وصفاته وإثبات رؤيته وما يتعلق بذلك، وذكر النبوة والمعجزات وما يتعلق بها، ثم تطرّق إلى الملائكة وأحوالهم والجن وأحوالهم، ثم انتقل إلى القرآن وتحقيق الكلام

فيه، وبعد ذلك تناول اليوم الآخر والقدر وصعوبة الوقوف على سرّه، والحكمة في خلق الله تعالى، وإثبات الإرادة والمشيئة. والفصل الثامن والأخير عقده للكلام في الإيمان والإسلام، والوعد والوعيد.

وبيّن الراغب في مقدمة هذه الرسالة السبب الحامل له على تأليفها، فيقول: «سألتَ أيها الأخ الفاضل ـ وفقك الله وإيانا ووقى برحمته ديننا، وقوى دنيانا - ورغبتَ رغبة صادقة أن أعمل رسالة أبيّن فيها أنواع الاعتقادات، التي يُحكَمُ بها على الإنسان بالإيمان والكفر، والهداية والضلال، وأذكر الحق الذي كان عليه أعيان السلف من الصحابة والتابعين. . وقد أسعفتك أيها الأخ بما اقترحتَ. . وقد استخرتُ الله تعالى في ذلك، وعملتُ ما اقترحته، وقنَّنتُ في ابتداء الكتاب قانوناً، كشفت به حقيقة ما ينطوي عليه كل دين من الاعتقادات النظريّة والعمليّة. . »[١].

ويصل الراغب إلى إثبات ما يعتقده وما يدين به ربه سبحانه وتعالى، فيقول: «وأقول: إن هذا الذي دللت صحته في هذا الكتاب، وذكرت أنه مذهب أهل الحق هو الذي أدين الله به سرّاً وجهراً وظاهراً وباطناً، وأن ما عدا ذلك مما هو خارج الشرع من تعطيل وإلحاد وإنكار للبعث وغير ذلك من أنواع الكفر، ومما هو داخل الشرع من تشبيه وقدر وإرجاء ورفض وسائر أنواع البدع، فأنا بريءٌ منه ومن كل من يعتقده»[٢].

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٤٣-٤٧).

(٢) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٤٧).

ويقول في موضع آخر: «فهذه جملة إذا اعتقدها المسلم يُرجى في الدين سلامته، وهي المأثورة عن الأسلاف: كمالك بن أنس والليث بن سعد والأوزاعي وسفيان الثوري وابن عيينة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة الأخيار»[1].

ويحسن هنا أن أشير إلى أن الراغب الأصفهاني ذكر هذه الرسالة باسم آخر في مقدمة كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، حيث قال:

«كنت قد أشرت فيما أمليته من كتاب «تحقيق البيان في تأويل القرآن» إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها»[2].

وتوجد نسخة من مخطوط «تحقيق البيان في تأويل القرآن» في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وبمقابلتها على رسالة الاعتقاد يتبين اتفاقهما في الفصول والموضوعات[3]، فهما إذاً كتاب واحد للراغب الأصفهاني[4].

وقد ذكر رسالة «تحقيق البيان في تأويل القرآن» حاجي خليفة[5] وبروكلمان[6]، وأشار إلى وجودها في مكتبة العتبات المقدسة الرضوية بمشهد برقم ٥٦.

---

(١) انظر: رسالة في الاعتقاد، ص (٦١).
(٢) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٥٨).
(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص (٤٦).
(٤) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٥١).
(٥) انظر: كشف الظنون (١/ ٣٧٧).
(٦) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).

٢- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين :

وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطية متعددة منها :

أ- نسخة مكتبة : نور عثمانية كتبخانة ، برقم ٢٣٩٤ ، أخلاق وتصوف .

ب- نسخة مكتبة : راغب باشا - إستانبول .

ج - نسخة مكتبة : أسعد أفندي ، بالسليمانية - إستانبول .

د - نسخة المكتبة الخالديّة بالقدس ، رقم ٧٢ ، س ٣ .

وقد ذكره منسوباً للراغب كل من : حاجي خليفة[١] ، وأغا برزك الظهراني[٢] ، والخوانساري[٣] ، وطاش كبرى زاده[٤] ، وبروكلمان[٥] ، والزركلي[٦] .

وقد طبع الكتاب في بيروت عام ١٣١٩ هـ بعناية طاهر الجزائري[٧] ، وطبع عام ١٣٢٣ هـ بالمطبعة الحميديّة بمصر[٨] .

وطبع بعناية أحمد حسين كعكو في المطبعة العربية في حلب[٩] .

---

(١) انظر : كشف الظنون (١/ ٤٦٢) .
(٢) انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٤/ ٣٥١) وذكر أنه ينسب كذلك لابن مسكويه .
(٣) انظر : روضات الجنات (٢٤٨) .
(٤) انظر : مفتاح السعادة (٢/ ٧٩) .
(٥) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١) .
(٦) انظر : الأعلام (٢/ ٢٥٥) .
(٧) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١) .
(٨) انظر : المصدر السابق .
(٩) انظر : المصدر السابق .

وطُبع بتحقيق الدكتور عبدالمجيد النجار في بيروت سنة ١٩٨٨م، عن دار الغرب الإسلامي.

والكتاب يقع في مقدمة وثلاثة وثلاثين باباً، تتناول الإنسان وماهيته وكيفيّة خلقه ومكانته، والغرض الذي لأجله خُلق. وتفاوت الناس وتفاضلهم وأحوالهم، وتظاهر الشرع والعقل، والعبادة وأهميتها، وأنواع الفضائل، والاهتمام بالعمل للآخرة مع عدم نسيان نصيب الإنسان من الدنيا، والموت والمعاد، وما في الآخرة من ألوان السعادة.

وقد بيَّن الراغب في مقدمته مقصوده بالنشأتين والسعادتين، فقال: «هذه رسالة في تفصيل النشأتين وتحصل السعادتين، أما النشأتان: فإحداهما المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١]، والثانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]، وأما السعادتان: فإحداهما المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[٣]، والثانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾[٤]»[٥].

«ومحور البحث في هذا الكتاب هو الإنسان: عناصر تركيبه،

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٦٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٥) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص (٤٩، ٥٠).

حقيقة ماهيته، ثم الغاية من وجوده، السبيل المؤدي إلى تحقيق تلك الغاية، ثم مصيره الذي ينتظره متمثلًا في الحياة الأبدية بعد الموت»[1].

٣- الذريعة إلى مكارم الشريعة:

وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطيّة متعددة منها:

أ- نسخة مكتبة: برلين، ورقمها oct. ٣٣٤٥.

ب- نسخة مكتبة: راغب باشا، إستانبول، برقم ١١٧٩.

ج - نسخة: نور عثمانية كتبخانة، برقم ٢٣٨٣.

د- نسخة: أيا صوفيا، ٢٨٩٦.

هـ- نسخة: أيا صوفيا، ٢٨٩٨.

و- نسخة: أيا صوفيا، ٤٠٢٧.

ز- نسخة: دار الكتب المصريّة، برقم (٢٢٩٩٤ ب).

وقد ذكر هذا الكتاب منسوباً للراغب الأصفهاني، حاجي خليفة[2] ـ وذكر أن أبا حامد الغزالي كان يستصحب الذريعة دائماً، ويستحسنه لنفاسته ـ وذكره كذلك بروكلمان[3]، حيث عدّ له أكثر من ١٢ نسخة مخطوطة في مكتبات العالم.

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص (٥٦).

(٢) انظر: كشف الظنون (١/ ٨٢٧).

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).

وقد أشار الراغب نفسه في مقدمة كتابه «المفردات في ألفاظ القرآن» إلى كتابه هذا «الذريعة إلى مكارم الشريعة»[1].

وأما طبعات الكتاب فيمكن حصرها فيما يلي:

أ - طبعة عام ١٢٩٩هـ، من مطبعة الوطن، بتصحيح النجار.

ب - طبعة عام ١٣٠٨هـ، من مطبعة الوطن أيضاً، بعناية عبدالهادي البولاقي.

ج - طبعة عام ١٣٢٤هـ، المطبعة الشرفيّة، وهي مصورة عن الطبعة السابقة.

د - طبعة عام ١٣٩٢هـ، عن مكتبة الكليات الأزهريّة، بعناية طه عبد الرءوف سعد.

هـ - طبعة عام ١٤٠٠هـ عن دار الكتب العلمية بيروت.

و - طبعة عام ١٤٠٥هـ، عن دار الصحوة بالقاهرة، بتحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي.

ز - طبعة عام ١٤٠٨هـ، عن دار الصحوة بالقاهرة، بتحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي، وهي الطبعة الثانية بتحقيقه.

و «الموضوع الرئيسي للكتاب هو وضع الضوابط التي تأخذ بيد الفرد؛ لتؤهله لما خُلق له من الخلافة المتضمنة للعبادة،

---

(١) انظر: المفردات، ص (٥٤).

ولحمل الأمانة، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

ولئن كان الكتاب مصنفاً ضمن كتب الأخلاق - بل من أهمها - فإنه لا يخلو من أصول التعليم ومناهج البحث والجدال والمناظرة، ولا يخلو كذلك من الحديث عن الصلة بين العقل والشرع والجبر والاختيار مما يُدخله في باب: الحكمة والعقيدة[2].

وقد أشار الراغب إلى ما شجعه على تصنيف هذا الكتاب بقوله: «ورغبني أيها الأخ الفاضل وفقك الله وأرشدك وأعاذك من شرّ نفسك - في تصنيفه ما رأيت من تشوقك أن تزيّن ما وليه الله من حسن خَلقك وخُلقك بما تتولاه من تحسين أدبك وإكمال مروءتك»[3].

كما أن الراغب بيَّن مقصوده بمكارم الشريعة بقوله: «أما مكارم الشريعة فبدؤها طهارة النفس باستعمال التعلم واستعمال العفة والصبر والعدالة، ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والإحسان، فبالعلم يُتوصل إلى الحكمة، وباستعمال العفة يتوصل إلى الجود، وباستعمال الصبر تُدرك الشجاعة والحلم، وباستعمال العدالة تُصحح الأفعال، ومن حصل له ذلك فقد تذرع المكرمة المعنية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4]، وصلح لخلافة الله تعالى، وصار من الربانيين والشهداء والصديقين»[5].

---

(١) انظر: مقدمة الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٤١).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤١)، بتصرف.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٦٠).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٥) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٩٣).

ويشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول هي :

الفصل الأول : في أحوال الإنسان وقواه وفضيلته وأخلاقه.

الفصل الثاني : في العلم والعقل والنطق وما يتعلق بها وما يضادها.

الفصل الثالث : فيما يتعلق بالقوى الشهويّة.

الفصل الرابع : فيما يتعلق بالقوى الغضبيّة.

الفصل الخامس : في العدالة والظلم والمحبة والبغض.

الفصل السادس : فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والإنفاق والجود والبخل.

الفصل السابع : في ذكر الأفعال.

وتحت كل فصل منها يتطرق الراغب إلى جملة من الموضوعات المهمّة، التي يحشدها تحت كل فصل من الفصول بشمولية قلَّ نظيرها في الكتب المشابهة؛ فمن ذلك ما أورده من الموضوعات تحت الفصل الثاني : في العلم والعقل والنطق وما يتعلق بها وما يضادها، حيث حشد تحت هذا الفصل الموضوعات التالية : فضيلة العقل، أنواع العقل، المكتسب من العقل الدنيوي والأخروي، منازل العقل، جلالة العقل، وشرف العلم، الفرق بين العلم والعقل، توابع العقل، ثمرة العقل، كون العقل والرسل هادين الخلق إلى الحق، تعذر إدراك العلوم النبويّة على من لم يتدرب في العلوم العقلية، الإيمان والإسلام والتقوى والبرّ، في أنواع الجهل، في معنى قول النبي ﷺ «الإيمان بضع وسبعون باباً»، كون العلم

مركوزاً في نفوس الناس؛ حصر أنواع المعلومات، ما يُعرف به فضيلة العلوم، استحسان معرفة أنواع العلوم، الحثُّ على تناول البلغة من كل علم والاقتصار عليه، ما يجب على المتعلِّم أن يتحراه مع المعلم، ما يجب على المعلم أن يتحراه مع المتعلمين منه، وجوب منع الجهلة عن حقائق العلوم، والاقتصار بهم على قدر أفهامهم، وجوب ضبط المتصدين للعلم ومضرة إهمال ذلك، ذكر من يصلح لوعظ العامّة، كراهية الجدال للعامّة وذمّه على كل حال، الوجوه التي يقع فيها الشبهة والخلاف، بيان اختلاف الناس في الأديان والمذاهب، النطق والصمت، الصدق ومدحه، والكذب وذمه، أنواع الكذب، والسبب الداعي إليه، الذكر الحسن من المدح والثناء، الشكر، الغيبة والنميمة، الكلام المستقبح، المزاح والضحك، الحلف[1].

وتحت كل موضوع من هذه المواضيع يفصّل الراغب القول، مع ذكر الفروق اللغويّة بين الألفاظ والنقول المؤيدة لآرائه، مما يدل بجلاء على رياديته في علم الأخلاق، ومعرفته بخبايا النفس البشريّة، التي لا تصلح إلا بالتزام الشرع واتباع طريقه.

٤ - مفردات ألفاظ القرآن:

وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطيّة متعددة، منها:

أ - نسخة مكتبة: أيا صوفيا، ورقمها ١٩٢٠، السليمانية، إستانبول.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٦٥).

ب - نسخة: مكتبة راغب باشا، بإستانبول، ورقمها ١٤٤٨ .

ج - نسخة: مكتبة كوبرلي وزير، بإستانبول، ورقمها ١٥٧٧ .

د - نسخة: مكتبة محمد أفندي، السليمانية، إستانبول، ورقمها ٣/١٥١٣ .

هـ - نسخة: مكتبة أحمد الثالث، إستانبول، ورقمها ٧٥٥٣/ أ/ ٢٧٤٨ .

و - نسخة: مكتبة جامعة استانبول، ورقمها ٥١٥ .

ز - نسخة: مكتبة الحرم المكي الشريف، ورقمها ١٣٧ ، تفسير .

ح - نسخة: المكتبة المحموديّة، بالمدينة المنورة، ورقمها ٢٠١٩ .

ط - نسخة: مكتبة عارف حكمت، بالمدينة المنورة، ورقمها ٢٢٣/٤٧ .

ي - نسخة: المكتبة المحموديّة، بالمدينة المنورة، ورقمها ٢١٨ .

وقد طبع كتاب المفردات عدّة طبعات على التفصيل الآتي:

١- طبع لأول مرّة سنة ١٢٨٧هـ .

٢- المطبعة الأدبيّة بالقاهرة في سنة ١٣٠٦هـ .

٣- مطبعة الحريّة بالقاهرة في سنة ١٣٢٢هـ .

٤- مطبعة الخشاب بالقاهرة على هامش كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري في سنة ١٣٢٢هـ .

٥- قام محمد الزهري الغمراوي في القاهرة بطباعته في سنة ١٣٢٤هـ .

٦- طبع في إيران ـ طهران بعناية حسن المصطفوي .

٧- المطبعة الميمنيّة بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ.

٨- مطبعة الحلبي بالقاهرة بعناية محمد سيد كيلاني في عام ١٣٦١هـ.

٩- المطبعة الفنيّة الحديثة بالقاهرة بعناية الدكتور محمد أحمد خلف الله في سنة ١٩٧٠م.

١٠- دار الفكر ببيروت بعناية نديم مرعشلي سنة ١٩٧٢م.

١١- دار القلم بدمشق بتحقيق الدكتور صفوان عدنان داوودي في سنة (١٤١٢هـ) الطبعة الأولى.

وقد حظى كتاب «المفردات» للراغب بثناء العلماء واهتمامهم، فالزركشي يعدّه من أحسن ما أُلف في غريب القرآن[١]، وكذلك السيوطي[٢]، ووصفه الفيروز آبادي بالتميّز، فقال عنه: «المفردات: لا نظير له في معناه»[٣]، وقال عنه حاجي خليفة: «وهو نافع في كل علم من علوم الشرع»[٤]، وهذا يدّل على أهميّة كتاب المفردات في بابه وتميّزه، الذي لاحظه وشهد به كل من اطلع عليه من العلماء المتقدمين والمتأخرين.

وقد صدّر الراغب كتابه بمقدمة أوضح فيها منهجه فيه، فقال: «وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى، فيه مفردات

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، (١/ ٣٩٤).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) انظر: البلغة، ص (٩١).

(٤) انظر: كشف الظنون، ص (٢/ ١٧٧٣).

ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوّله الألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبراً فيه أوائل حروفه الأصليّة، دون الزوائد والإشارة فيه إلى المناسبات، التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات»[١].

و «الراغب يجمع المفردات القرآنية في أسر تحددها حدود الاشتقاق اللغوي بعضها إلى بعض، وبعد أن يبينّ المعنى العام للمصدر الذي اشتقت منه، يشرح كل مفردة في سياقها من آيتها، وبذلك يجمع بين المعنى العام لها من أسرة الاشتقاق والمعنى الخاص من السياق، وبذلك يكون قد رسم لنفسه منهاجاً خاصًّا في تناول غريب القرآن، يكاد لم يسبقه أحد قبله إليه»[٢].

وقد لاحظ الزركشي هذه الميزة التي ينفرد بها الراغب في مفرداته، فأشار إليها قائلًا: «اعلم أن القرآن قسمان: أحدهما: ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد.. وما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ في لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به (الراغب) كثيراً في كتاب (المفردات)، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق»[٣].

وقد قسّم الراغب كتابه إلى ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص (٥٥).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٨٣).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣١٢، ٣١٣).

المعجم، ويأتي في كل باب بالمفردة الواردة في القرآن، والتي تبدأ بحرفه مجردة عن الأحرف الزائدة، فيذكر الأصل اللغوي لهذه المفردة، وما يشتق منه مستدلاً على ذلك بشواهد من الشعر وكلام العرب، ويورد الآيات القرآنية التي ذكرت هذه المفردة، مع شرح لمعنى هذه المفردة في سياقها من الآية.

ويراعي الراغب ترتيب المفردات المتفقة في حرفها الأوّل، داخل الباب الواحد بالنظر إلى الحرفين الأوّلين من كل مفردة.

وحين ننظر على سبيل المثال إلى ما أورده في باب الهاء حول كلمة: هدى، نجده يقول:

«هدى: الهداية دلالة بلطف، ومنه الهديّة، وهوادي الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها، وخُصّ ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاءً بأهديت. نحو: أهديت الهديّة، وهديت إلى البيت، إن قيل: كيف جعل الهداية دلالة بلطف، وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[1]، و ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2]، قيل: ذلك استُعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم، مبالغة في المعنى، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]، وقول الشاعر:

.... تحية بينهم ضرب وجيع»[4].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤.

(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٢٤.

(٤) انظر: المفردات، ص (٨٣٥).

وفي باب الألف يبيّن معنى الإثم، فيقول: «الإثم والإثام: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب. وجمعه: آثام، ولتضمنه لمعنى البطء، قال الشاعر:

جمالية تغتلي بالرَّوادف   إذا كذب الأثمات الهجيرا

وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]، أي في تناولهما إبطاء عن الخيرات، وقد: أثم إثماً وأثاماً، فهم آثِمٌ أثم وأثيم، وتأثَّم خرج من إثمه، كقولهم: تحوَّب وتحرّج، خرج من حوبه وحرجه: أي ضيقه. وتسمية الكذب إثماً لكون الكذب من جملة الإثم.. وقوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[2] أي حملته عزته على فعل ما يؤثمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[3] أي عذاباً، فسمّاه أثاماً لما كان منه..»[4].

٥- **محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء.**

وقد طُبِعَ الكتاب عدّة طبعات على التفصيل الآتي:

١- مطبعة بولاق ـ القاهرة، عام ١٢٨٤هـ.

٢- المطبعة العثمانية ـ القاهرة، عام ١٢٨٧هـ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.
(٤) انظر: المفردات، ص (٦٣). وانظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص (٩١ - ٩٣).

٣- مطبعة جمعيّة المعارف ـ القاهرة، عام ١٣٠٥هـ.
٤- المطبعة الشرفية ـ القاهرة، عام ١٣١٠هـ.
٥- مطبعة السعادة ـ القاهرة، عام ١٣٢٤هـ.
٦- المطبعة العامرة ـ القاهرة، عام ١٣٢٦ـ.
٧- مطبعة الهلال ـ مصر، عام ١٩٠٢م، وهي طبعة مختصرة في اثني عشر باباً فقط، بعناية إبراهيم زيدان.
٨- وزارة الثقافة بمصر، عام ١٩٦٠م، وهي طبعة مختصرة في تسعة عشر باباً فقط، بعناية أنور الجندي.
٩- مكتبة الحياة ـ بيروت، عام ١٩٦٠م، في مجلدين بدون تحقيق ولا عناية.

وقد نال كتاب «المحاضرات» للراغب الأصفهاني شهرة كبيرة في أوساط الأدباء والشعراء، حتى عدّه حاجي خليفة العمدة في فن المحاضرات والأدب[١]، وبلغت شهرته حدّاً جعلت بعض المستشرقين يترجمه إلى اللغات الأوربيّة[٢]، ويصفه بعض الباحثين بأنه خزانة أدب وشعر وحكم وأمثال[٣].

وعن سبب تأليفه يقول الراغب: «فإن سيدنا - عمَّر الله بمكانه مرابع الكرم - أحبّ أن أختار له مما صنَّفتُ من نكت الأخبار ومن عيون الأشعار ومن غيرهما من الكتب فصولاً في محاضرات الأدباء

---

(١) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٦٠٩).
(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١٠)، ودائرة المعارف الإسلامية (٩/ ٤٧٤) حيث جاءت الإشارة إلى أن فلوجل قد ترجمه إلى اللغات الأوربيّة.
(٣) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان (٣/ ٤٥).

ومحاورات الشعراء والبلغاء.. ففعلت ذلك إيجاباً له.. وقد ضمَّنت ذلك طرفاً من الأبيات الرائعة والأخبار الشائقة.. من شاء وجد فيه ناسكاً يعظه ويبكيه، ومن شاء صادف فيه فاتكاً يضحكه ويلهيه..

الجـد والهـزل فـي تـوشيـح لحمتهـا
والنبل والسخف والأشجان والطرب»[1]

وتتضح الغاية التعليميّة التي قصد الراغب أن يصل إليها بمحاضراته من النص السابق، ومن كثرة تمهيده للصيغ اللغويّة والتراكيب الأدبية، التي يكثر منها بعبارة: «تقول في كذا وكذا».

ثم يورد ما يريد أن يتعلمه القارئ لمحاضراته من التراكيب والصيغ[2].

«وطريقته في التأليف فيه أن يبحث تحت الموضوع عن آية قرآنية، وحديث شريف، وأقوال حكميّة مأثورة، وأشعار مرويّة سائرة، وأمثال حيّة، ونوادر، وأخبار، كلها تصبُّ في حوض واحد، هو حوض الموضوع الذي جُمِعَتْ تحته»[3].

وقد قسّم الراغب كتابه هذا إلى خمسة وعشرين باباً، وسمّى كلّ باب حدّاً، وتحت كلٍّ منها موضوعات متعددة تتبع له، إلا أنه توسع في أَبواب السخف والمجون والهزل، وأورد في ذلك كله أقوالاً

---

(١) انظر: مقدمة محاضرات الأدباء، ص (٧).
(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (١٨٥).
(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٨٦).

مستنكرة، وأبياتاً فاحشة، لا تليق بأمثاله من أصحاب تفسير كتاب الله تعالى. فهل كان ذلك منه في مبدأ حياته، ثم تركه واتجه لمكارم الأمور ومعاليها، التي جاءت بها الشريعة ـ كما في كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ـ وإلى الأسباب الموصلة إلى تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة ـ كما في كتابه «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين» ـ فانشغل لأجل ذلك بكلام الله عز وجل وتفسيره وبيان معانيه؛ هذا ما أفترضه وأتوقَّعه بالنسبة لِعَلَمٍ كالراغب. وكتاب حافل كالمحاضرات فيه من نوادر الأشعار ودرر الفصاحة والبيان، ما يجعل كل أديب يفتقر إليه ويحتاج إلى مطالعته، وفيه بالمقابل توسّع في ذكر أبواب العزل والفحش والمجون، الذي يتنافى مع الخلق الرفيع والتدين الحق.

٦- مجمع البلاغة، وتسمّيه بعض المصادر «أفانين البلاغة»:

وتُوجد لهذا الكتاب نسختان خطيّتان، فيما أعلم:

أولاهما: نسخة مكتبة مسجد السلطان أحمد الثالث بإستانبول وتحمل الرقم ٢٥٠٠، ويوجد منها نسخة مصورة بمعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة، وتحمل رقم ٧١٦ أدب.

والثانية: نسخة أخرى بمكتبة مسجد السلطان أحمد الثالث بإستانبول، وتحمل رقم ٢٣٩٠.

وقد طُبِعَ هذا الكتاب مرّة واحدة، فيما أعلم بتحقيق الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي، ونشرته في جزأين مكتبة الأقصى

بالأردن عام ١٤٠٦هـ.

وقد بيّن الراغب سبب تأليف الكتاب وموضوعه، فقال في مقدمته: «ولما رأيتك - حرس الله جميل الفضل بك - مائلًا إلى الألفاظ المونقة، والمعاني الغضَّة المورقة، والبدائع من الكلم التي تقصر عن درجة المتعمق المتكلّف، وتتجاوز مرتبة العيّ المُسَفسِف، تتبعت نوادر الأشعار وغررها، فما عثرت عليه من واسطة فِقَرٍ انتخبتها، وما انتهيت إليه من أعلام حِبَرٍ اقتنصتها وجمعتها، وما وجدته في كلام البلغاء من لفظ يُعدّ في السحر الحلال والعذب الزلال ضممته إليه، فعملت من ذلك كتاباً مبوباً سميته «مجمع البلاغة». وليس هذا الكتاب إلا لمن تجاوز المنزلة الدنيا في البلاغة، وعرف الاستعارات وأنواع المجازات»[(١)].

وقد كان جانب الاهتمام باللغة واضحاً جدّاً في «مجمع البلاغة»، مع العناية الفائقة بمفردات اللغة، وتراكيبها، وشرحها شرحاً معجميًّا وافياً، يتضمن إظهار الفروق الدقيقة بما يدل على تبحر في اللغة كبير[(٢)].

ويظهر أن «الراغب الأصفهاني قد صنف كتابه «المحاضرات» أولاً، وحينما عقد العزم على تأليف «مجمع البلاغة» اختار مادته من مادة المحاضرات، مختصراً منه ما استطاع إلى ذلك

(١) انظر: مجمع البلاغة، ص (١/ ٣٦، ٣٧).
(٢) انظر: مقدمة محقق مجمع البلاغة، ص (١٨). و «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب»، ص (٨٨).

سبيلًا»[1].

وقد قسَّم الراغب كتابه إلى حدود وأبواب ستة عشر منها[2]:

الحد الأوّل : حدّ العقل وضده وما يتعلق بهما.

الحد الثاني : حد النطق.

الحد الثالث : في الإباء والرفعة والضعة والأخلاق المحمودة والمذمومة والولاية والسيادة وما يتعلق بهما.

الحد الرابع : في المال والرغبة فيه والآمال والهمم والتكسب والجدّ وما يتعلق بهما.

الحد الخامس : في الاستغطاء والعطاء وما يتعلق بهما.

الحد السادس : في الحرب وأربابها وآلاتها وما يقرب منها وما يتعلق بها.

الحد السابع : في المودة وأنواعها وما يضادهما.

الحد الثامن : في الحسن والقبح والشباب والشيب.

الحد التاسع : في القرابة وشرف الأبوة ودناءتها والدعوة وأحوالها.

الحد العاشر :

---

(١) انظر: مقدمة مجمع البلاغة، ص (٢١)، بتصرف يسير.

(٢) لم يخل الراغب هذا الكتاب أيضاً من أبواب السخف، والمجون ولذلك فإني آثرت عدم إيراد ها هنا.

الحد الحادي عشر :

الحد الثاني عشر : في المشي والسير ووصف المفاوز .

الحد الثالث عشر : في التقوى والتدين والدهر وتقلبه وأحواله من الهم والصبر والمرض والموت .

الحد الرابع عشر : في السماء والكواكب والملوين والحر والبرد والأمطار والرياح والنبات والأشجار والنيران والأبنية .

الحد الخامس عشر : في الحيوان .

الحد السادس عشر : في فنون مختلفة .

ويكفي للتدليل على عنايته بالجانب اللغوي والبلاغي ـ إلى الحدّ الذي يجعل كتابه هذا ثروة علميّة لأهل اللغة وأرباب الفصاحة والبيان ـ أن نطالع بإمعان هذا المثال ، والذي يتكرر أمثاله كثيراً في كل موضوع يطرقه الراغب في «مجمع البلاغة» .

فعند كلامه عن الفقر في الحدّ الرابع من كتابه يقول : «الفقر : يقال : افتقر وأقترو أقفر ، وأصله : أن يبيت في قفرٍ بغير زاد ، وأخفق ، وأملق ، وأفلس ، وأبلس ، وأقوى ، وأصفى ، وهو فقير وقير مسكين قتين صعلوك ضريك مُعدم مُصْرِم مُزهَّد منقَّذ ومجروز جرزه الدهر ، ومسكين كافح مرقع ، وقد زمر وفقر وترب أي لصق بالتراب ، وأرمل وأنفض : ذهب طعامه ، وقيل : النُّفاض يُقَطِّر الحَلَب أي

من ذهب زاده قطر إبله، فيجلبها للبيع. هو في عيش أشكل، وعيش ناصب، وعيش رَمَاقَ، وضَعْفٍ، وخففٍ، وقشف. في ثوب من العيش ليس بالفضفاض، وهو صفر المباءة نحو خالي الدار. أصبحت بين خصاصة وتجمل، هو حال ترشفت الليالي ماءها. تتبعت الجلائف ماله. حل على ماله دهر غشوم، تمسّك بذ ناب عيش، صَفْرُ اليدين مرحّل الزاد.. حاله إذا استُشِفت أرقُّ من الزجاج هو في غموض أمرٍ، وخمول ذكر، وضيق معيشة، وقلّة عدد ناهضة، وفي أقبح إضافة، وأوتح فاقة.

ومـركـوبـه رجـلاه والثـوب جلـده
واشعـــث ذو طمـــريـــن شمـــلال

هو بين طيلسان ابن حرب وخُفّي حُنين، كفقير عليه ثوبٌ رثٌّ أخصب من منزله ظهر الطريق.. تميس في جلبابه المسكنة، مريض الحال، فلان يكثر ذم الزمان، كناية عن الفقر.. أتاني والبؤس رادف رحله، والفقر مُزمّلٌ في ثوبه..»[1].

***

(١) انظر: مجمع البلاغة، ص (١/ ٣٣٢ - ٣٣٤).

يسّر الله لي حين زرت المكتبة السليمانية بإستانبول أن أطلع على مخطوط يحمل رقم ٣٦٥٤ أسعد أفندي(١)، ويحوي هذا المخطوط أربع رسائل، جاء النص على أنها من تصنيف الراغب الأصفهاني لم يسبق طبعها، على التفصيل التالي:

١- رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم:

وتقع في عشر ورقات، ومسطرتها (١٧) سطراً بالخط الفارسي. وتنقسم إلى سبعة فصول، تحدث في أولها عن فضل الإنسان على سائر الحيوان، وفي الثاني عن الفضيلة، وفي الثالث عن العقل، وفي الرابع عن أنواع العقل، وفي الخامس عن أنواع المعارف المكتسبة، وفي السادس عن أفضل العلوم وأنفعها، وفي السابع عمّا يحتاج إليه طالب العلم وكيفيّة تعلّمه.

وبيّن الراغب سبب تصنيف هذه الرسالة، فيقول: «ولما رأيت الأستاذ - حرسه الله - سالكاً طريق أسلافه في مراعاة الحسب، محبًّا بطبعه اكتساب الأدب. . أحببت أن أُعرِّفه بالقوانين الصحيحة الواضحة أن الفضيلة الكاملة والسعادة المتناهية في تحلية النفس بالعلوم النافعة عاجلًا وآجلًا»(٢).

---

(١) وقد اطلع على هذا المخطوط قبلي كلٌّ من الدكتور عمر الساريسي والدكتور شلواح المطيري وأثبتا ذلك في كتابيهما عن الراغب الأصفهاني. انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة ص (٦٥)، والراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير ص (٦١).

(٢) انظر: مقدمة رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم، مخطوط رقم ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية.

٢- رسالة في ذكر الواحد الأحد:

وهي الرسالة الثانية في المخطوط رقم ٣٦٥٤ بمكتبة أسعد أفندي ـ السليمانية إستانبول ـ وهي رسالة صغيرة جدّاً تقع في ثلاث ورقات فقط، وموضوعها شرح هذين الاسمين من أسمائه تعالى (الواحد) و (الأحد).

وبيّن الراغب في بدايتها مناسبة تأليفها فيقول: «كنا تذاكرنا - أطال الله بقاء الشيخ الفاضل، وأدام تأييده - في لفظ الواحد والأحد، فسأل أن أثبت ذلك كتابة، ففعلت إيجاباً»[١].

٣- رسالة في آداب مخالطة الناس:

وهي الثالثة ضمن المخطوط ذي الرقم ٣٦٥٤ أسعد أفندي، وتقع في ١٩ ورقة، وموضوعها عن مخالطة الناس واعتزالهم والمحبة والصداقة، وما يتعلق بها من صفات الصديق وعيوبه.

وقد قسّم الراغب رسالته إلى مقدّمة واثني عشر باباً، وبيّن في مقدمته سبب تصنيفها، فقال: «بلغني ما جرى بحضرة الشيخ - أطال الله بقاءه - من ذكر مخالطة الناس ومجانبتهم. . ثم اختلفوا في الصداقة، هل في معناها وجود أم هي لفظ على غير معنى، وكما قال بعض القدماء وقد سئل عن الصديق، فقال: هو اسم على غير معنى حيوان غير موجود، وإن كان لمعناها وجود هل هي مرغوب إليها أم مرغوب

---

(١) انظر: مقدمة رسالة في ذكر الواحد الأحد، مخطوط رقم ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية.

عنها.. فأحببت أن أجعل ذلك كتاباً، أذكر فيه نكت ما قال العلماء والحكماء، وأجعله له هديّة»[1].

٤- رسالة في مراتب العلوم:

وهي الرسالة الأخيرة ضمن مجموع رسائل الراغب ذي الرقم ٣٦٥٤ بمكتبة أسعد أفندي ـ السليمانية.

وتقع الرسالة في سبع ورقات، وتتألف من مقدمة وثلاثة أبواب. الباب الأول: علوم الديانة، والثاني في الأعمال الدنيويّة، والثالث في العلم والعمل.

وقد بيّن الراغب في مقدمتها: أن بيان مراتب علوم الشريعة وأعمالها هو الغرض الأساسي الذي رمى إليه عند تأليفه لهذه الرسالة، فقال: «قصدي في هذه الرسالة أن أبيّن للأستاذ - أدام الله تأييده - مراتب علوم الشريعة وأعمالها بالقول المجمل، ليعلم من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي»[2].

ومن آثار الراغب الأصفهاني المخطوطة التي تضاف إلى هذه الرسائل الأربع ما يلي:

٥- تفسير القرآن:

وسوف أؤجل الكلام عن هذا الأثر العلمي الهام للراغب

---

(١) انظر: مقدمة رسالة في آداب مخالطة الناس، مخطوط رقم ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانية.
(٢) انظر: مقدمة رسالة في مراتب العلوم، مخطوط ٣٦٥٤، مكتبة أسعد أفندي، السليمانيّة.

الأصفهاني، لأن الفصل الثالث من هذه الرسالة مخصص بالكامل للحديث عنه[1].

٦- تحقيق البيان عن تأويل القرآن:

وقد أشار إليه الراغب الأصفهاني في مقدمة كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»[2]، وذكره بروكلمان[3] مشيراً إلى وجوده في مكتبة: العتبات المقدسة الرضوية بمشهد تحت رقم ٥٦.

ويقع هذا المخطوط أصلًا في ١٦٩ ورقة، لم يبق منها سوى ١٥٢، والصفحات المفقودة تقع أصلًا في أوّل الكتاب.. وكُتِبَ بخطٍّ نسخي واضح.. وفي الصفحة واحد وعشرون سطراً.. ويختتم بالعبارة التالية التي تدل على تاريخ النسخ: «تم في ذي الحجة سنة تسع وسبعين وستمائة حامداً مصليّاً»[4].

---

(١) انظر: ص (١٢٠) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (٥٨)، حيث قال: «كنت قد أشرت فيما أمليته من كتاب (تحقيق البيان في تأويل القرآن) إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها».

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).

(٤) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٥١) وما بعدها. وقد ذكر أن الصفحات المنقوصة من المخطوط قداستوعبت الفصول الثلاثة الأولى، وشيئاً من موضوعات الفصل الرابع، ومن ثم يأتي الفصل الخامس عن كتاب الله واختلاف الناس فيه، والبيان في وصفه بأنه مخلوق أو غير مخلوق.. وفي الفصل السادس يتحدث عن اليوم الآخر ومتعلقاته، والفصل السابع في ذكر القدر وصعوبة الوقوف على سرّه. وتحقيق الإرادة والمشيئة. والفصل الثامن في الإيمان والإسلام والوعد والوعيد، وقد اعتمدت على ما ذكره الدكتور عمر الساريسي في كتابه: «الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب» للمقارنة بين فصول مخطوط «تحقيق البيان» الذي لم يتيسر لي الاطلاع عليه، وبين فصول «رسالة الاعتقاد» التي صدرت بتحقيق د. شمران العجلي.

وحين نقابل بين هذا المخطوط ومخطوط رسالة في الاعتقاد للراغب الأصفهاني، والذي سبقت الإشارة إليه[1]، نلحظ التطابق التام بينهما، مما يجعل الباحث يجزم بكونهما كتاباً واحداً للراغب الأصفهاني.

يقول أحد الباحثين عن «تحقيق البيان في تأويل القرآن»: «وقد اطلعت على نسخة مخطوطة لهذا الكتاب بالجامعة الإسلامية، وبقراءتها تبيّن لي أنها للمخطوط المحقق الذي أسماه محققه: «رسالة في الاعتقاد»[2]، وذلك لاتفاقهما في الفصول والموضوعات»[3].

٧- درّة التنزيل وغرّة التأويل:

وتوجد له النسخ الخطيّة التالية:

أ - نسخة رقم ١٧٦ مكتبة أسعد أفندي ـ السليمانية ـ إستانبول.

ب - نسخة رقم ١٨٠ مكتبة راغب باشا في إستانبول باسم «حل متشابهات القرآن».

ج - نسخة رقم ٢٥ مكتبة خسرو باشا ـ السليمانية ـ إستانبول ـ باسم «تفسير المتشابهات».

---

(١) انظر: ص (٧٤) من هذه الرسالة.

(٢) المخطوط رقم ٣/٣٨٢، مكتبة علي سعيد باشا ـ السليمانية ـ إستانبول، وتوجد منه نسخة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحمل رقم ٤٩٥.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير، للباحث شلواح المطيري، ص (٤٦). وقد توصل الدكتور عمر الساريسي إلى النتيجة نفسها. انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٥١).

د - نسخة رقم ٧ تفسير مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية باسم «أسرار التأويل وغرّة التنزيل» وهي مصورة من المخطوط رقم (٧٨٤) بالمتحف البريطاني.

هـ - نسخة رقم ١٧٤٨/ أ/ ٨٥٠ مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث (طوبقبواي سراي) إستانبول.

و - نسخة رقم ١٧٤٩/ ر/ ١٨٣٠ مكتبة جامع السلطان أحمد الثالث (طوبقبواي سراي) إستانبول.

وكل هذه النسخ تنسب الكتاب صراحة إلى الراغب الأصفهاني، وإن اختلفت فيما بينها على عنوان الكتاب، لكن مضمونه يتفق فيما بينها.

وقد طُبعَ هذا الكتاب منسوباً لمؤلف آخر هو الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ[١]، وقد نسبه للخطيب الإسكافي، ياقوت في «معجم الأدباء»[٢]، وتوجد لهذا الكتاب نسخ خطيّة تنسبه للخطيب الإسكافي[٣]. أما السيوطي فقد نسبه في «الإتقان»[٤] لأبي عبدالله الرازي.

ويستدل المؤيدون لنسبة هذا الكتاب للراغب الأصفهاني بأدلة منها[٥]:

---

(١) صدر من دار الآفاق الحديثة ببيروت سنة ١٩٧٣م وطُبع قبل ذلك بمطبعة الخانجي عام ١٩٠٨م.
(٢) انظر: معجم الأدباء (٨/ ٢١٤).
(٣) انظر: على سبيل المثال النسخة رقم ١٣٣ تفسير مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.
(٤) انظر الإتقان (١/ ٥٣، ٢٣٢).
(٥) ومنهم الدكتور عمر الساريسي في بحث له بعنوان «تحقيق نسبة كتاب درة التنزيل وغرّة التأويل».

١- وجود النسبة الصريحة إلى الراغب الأصفهاني على جميع النسخ الخطيّة المشار إليها آنفاً[١] .

٢- إشارة بعض المصادر إلى هذا الكتاب من ضمن مؤلفات الراغب الأصفهاني ، فقد جاءت الإشارة إليه عند البيهقي[٢] وحاجي خليفة[٣] وبروكلمان[٤] .

٣- إن الراغب الأصفهاني قد أشار بنفسه إلى كتابه هذا في كتاب آخر له ، هو «مفردات في ألفاظ القرآن» .

حيث يقول في مقدمته : «وأُتبع هذا الكتاب -إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل- بكتاب يُنبئُ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، وما بينهما من الفروق الغامضة ، فبذلك يُعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من إخوانه ، نحو ذلك : القلب مرّة والفؤاد مرّة ، والصدر مرّة ، ونحو ذكره تعالى في عقب قصة : «إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» وفي أخرى «لقوم يتفكرون» وفي أخرى «لقوم يعلمون» وفي أخرى «لقوم يفقهون» وفي أخرى «لأولى الأبصار» وفي أخرى «لذي حجر» وفي أخرى «لأولى النهى» ونحو ذلك مما

---

(١) انظر : الصفحة السابقة .

(٢) انظر : تاريخ حكماء الإسلام ص (١٢٢) .

(٣) انظر : كشف الظنون (١/ ٧٣٩) .

(٤) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١) .

يعده من لا يُحق الحق ولا يُبطل الباطل أنه باب واحد»[1].

فالراغب أشار إلى كتاب له يُعنى فيه بالألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وتحقيق ما بينها من الفروق التي تخفى على الكثيرين، ويرى هؤلاء المؤيدون لنسبه كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» للراغب أنه قد وفى بما وعد به، كما فعل على سبيل المثال في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]، والآية الثانية بعدها: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[3]، والآية الثالثة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4]»[5].

٤- إن الراغب أشار في «درّة التنزيل وغرّة التأويل» إلى كتاب آخر له، هو «جامع التفسير»، فقال عند كلامه عن سورة (الكافرون): «إن سأل سائل عن التكرار في هذه السورة؟ فالجواب أن يقال: إنا قد أجبنا في (جامع التفسير) عن ذلك بأجوبة كثيرة..»[6]، وقد وجد على غلاف إحدى نسخ تفسير الراغب اسم «جامع التفسير»، وهي النسخة ذات الرقم ٢١٢ في مكتبة أيا صوفيا بإستانبول[7].

---

(١) انظر: مقدمة المفردات ص (٥٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٥) انظر: درة التأويل ـ المطبوع منسوباً للإسكافي ص (٦٨). وانظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٦).

(٦) انظر: درة التأويل ـ المطبوع منسوباً للإسكافي ص (٣٠٥).

(٧) انظر: ص (٣٨٩، ٣٩٠) من هذه الرسالة.

وقد وردت الإشارة أيضاً في «درّة التنزيل» إلى كتابين آخرين، تنسبهما بعض المصادر للراغب الأصفهاني، ففي مقدمة النسخة الخطية المنسوبة للراغب باسم «حل متشابهات القرآن»، وتحمل الرقم ١٨٠ بمكتبة راغب باشا بإستانبول، نجد قوله: «وذلك بعد ما عملت من كتاب (المعاني الأكبر) وأمليت من (احتجاج القرّاء)».

وقد ذكر حاجي خليفة هذين الكتابين، ونسبهما إلى الراغب الأصفهاني[(١)].

٥- وضوح أسلوب الراغب الأصفهاني في كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل»: «ذلك أنه يغوص فيه كما عوَّدنا في أعماق اللغة، فيحدِّد ما بين المتشابهات من فروق، تدِق على الكثيرين، ويستخدم الشعر في التمثيل على شرح بعض المعاني»[(٢)].

٦- إن المقابلة بيّن كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» المطبوع باسم الخطيب الإسكافي وبين المخطوطات التي تنسب الكتاب للراغب الأصفهاني بأسماء متقاربة مثل «أسرار التأويل وغرّة التنزيل»، «حل متشابهات القرآن» وغيرها تظهر التطابق التام بينها في العبارات والألفاظ والترتيب والآيات، التي تم التعرُّض لها. والاختلافات اليسيرة جدّا بينها لا تعدو الاختلافات العاديّة بين نُسخ الكتاب الواحد[(٣)]. وبالتالي فالكتاب يجب أن ينسب

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٣٩).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٧).

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن ص ١٤٥، ومجلة اللغة=

لمؤلفه الحقيقي، وهو الراغب الأصفهاني، وليس الخطيب الإسكافي.

فهذه هي أدلة القائلين بنسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» إلى الراغب الأصفهاني.

إلا أن باحثاً آخر نشر مقالاً مطوّلاً عنوانه «كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل لا تصح نسبته إلى الراغب الأصفهاني»[1] ناقش فيه أدلة من ينسب الكتاب للراغب الأصفهاني، وأبطلها من وجهة نظره، وخلص إلى نسبة الكتاب إلى أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن المفضل الأصفهاني الملقب بـ «قوام السنّة» المتوفى سنة ٥٣٥هـ، وأن «سبب نسبة الكتاب في بعض نسخه الخطيّة إلى الراغب يعود للاشتراك بينه وبين المؤلف الحقيقي في معظم الاسم والكنية، فالراغب هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني. والمؤلف الحقيقي هو: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن المفضل الأصفهاني، فهما يختلفان بالاسم الأوّل، ويتفقان ببقية الاسم والكنية»[2].

ومّما جاء في مناقشته للدليل الأوّل وهو: وجود النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني على أغلفة بعض النسخ الخطية، «أن هذا يصلح فرضاً قابلًا للبحث والدراسة، وقد يصح بعد الدراسة أو لا يصح»[3]،

= العربيّة الأردني، العدد المزدوج ٣-٤ لعام ١٣٩٩هـ ص (٩٧)، مقال بعنوان «تحقيق نسبة كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل» للدكتور عمر الساريسي.

(١) وهو الدكتور أحمد حسن فرحات، وقد نُشر المقال في مجلة الشريعة والدراسات الإسلاميّة، العدد ١٥ جمادى الأولى ١٤١٠هـ ص (٢٣).

(٢) المصدر السابق ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق ص (٣١).

ثم يشير إلى أن بعض النسخ تنسب الكتاب للفخر الرازي، مثل نسخة مكتبة كوبيرلي وزير برقم ١٥٥ تفسير، ويلاحظ الباحث كثرة الاختلاف في اسم الكتاب بين النسخ الخطيّة، وكونها ترجع إلى المكتبات التركيّة باستثناء نسخة المتحف البريطاني، التي يحتمل أيضاً أنها تعود إلى أصل تركي. وهذا كلّه يقوّي الشك في صحة النسبة التي كتبها النسّاخ على أغلفة النسخ الخطيّة، وأنها إنما وقعت من «قبيل الالتباس الذي يحدث عادة عند النساخ نتيجة التشابه والاشتراك في أسماء المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم، ومن ثمَّ فلا يصلح دليلًا على نسبة الكتاب إلى الراغب»[١].

كما أن بعض النسخ الخطيّة تنسب الكتاب صراحة للخطيب الإسكافي، كما في النسخة الخطيّة ذات الرقم (١٣٣) تفسير، في مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة. فمجرد وجود اسم المؤلف على غلاف النسخة الخطيّة لا يثبت صحة نسبة الكتاب إليه، وأما كون بعض المصادر تذكر الكتاب منسوباً للراغب الأصفهاني، فلا شك أن أصحابها قد اعتمدوا على تلك النسخ الخطيّة، التي تنسب الكتاب للراغب الأصفهاني، فأثبتوا ذلك في كتبهم بدليل أن أحدهم وهو: «حاجي خليفة» يذكر هذا الكتاب منسوباً للراغب الأصفهاني مرّة[٢]، وللفخر الرازي مرّة أخرى[٣]، وكذلك فعل «بروكلمان»، فقد ذكر الكتاب منسوباً للراغب

---

(١) المصدر السابق ص (٧٩).

(٢) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٣٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٧٣٩).

مرّة[1] ، ومنسوباً للفخر الرازي مرّة أخرى[2] ، بل إن بعض المصادر تنسب الكتاب للخطيب الإسكافي أو الرازي فقط ، ولا تذكر نسبته للراغب الأصفهاني مطلقاً ، كما فعل الزركشي[3] والسيوطي[4] وياقوت[5] ، وهكذا ، فإن الزعم بأن مجرد ذكر الكتاب في بعض المصادر منسوباً للراغب الأصفهاني ينهض دليلًا على صحة هذا القول لا يصمد أمام النقد ، فكما أن بعض المصادر نسبته للراغب ، فبعضها قد نسبته لغيره .

وأمّا القول بأن الراغب الأصفهاني قد أشار إلى كتابه هذا في مصنف آخر له هو «المفردات» فيرُدّ عليه بأن الراغب ذكر في كتابه «المفردات» كتاباً آخر له يختلف في العنوان والموضوع عن كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» فعنوانه «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة» وهو يختلف اختلافاً جذريًا مع عنوان الكتاب الذي نحن بصدده[6] ، وهذا الاختلاف في العنوان يعود إلى اختلاف في الموضوع ، «فكتاب تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد» هو أولاً : كتاب في الألفاظ المترادفة ، التي يظن الناس عدم وجود فروق بينها ، ومن ثمّ يمكن استعمالها بمعنى واحد ، وقد مثّل لها الراغب بـ «القلب» و «الفؤاد» و «الصدر» . . وأما كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» فهو في بيان الآيات المتشابهة

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١) .
(٢) انظر : المصدر السابق (١/ ٥٠٦) .
(٣) البرهان (١/ ٢٠٦) .
(٤) انظر : الإتقان (١/ ٢٢٣٢) .
(٥) انظر : معجم الأدباء (٨/ ٢١٤) .
(٦) انظر : بحث الدكتور أحمد حسن فرحات بعنوان «كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» ص (٣٤) .

تشابهاً لفظيًا، وليس هو من باب «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة». . فالألفاظ المترادفة تختلف في اللفظ وتشترك في المعنى، أما «درّة التنزيل» فهو في الآيات المتشابهة في اللفظ والمختلفة في المعنى، نتيجة لاختلاف السياق، الذي وردت فيه، ومن ثم فهناك اختلاف كبير بين موضوعي الكتابين»[1].

ويؤكد ذلك الرجوع إلى المثال الذي أشار إليه القائلون بنسبة الكتاب للراغب الأصفهاني، المتعلق بقوله تعالى في الآيات ٩٧، ٩٨، ٩٩ من سورة الأنعام ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَـٰتٍ ﴾ ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾، وفي الثالثة: ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾، ذلك أن الكلام في «درّة التنزيل»[2] ينصب على بيان الحكمة من قوله: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ بعد ذكر آيات نبهت على معرفة الله تعالى، وهو أشرف معلوم، وعلى بيان الحكمة من قوله: ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ تنبيهاً على تنقُّل الإنسان من حال إلى حال، من عدم إلى وجود، ومن مكان إلى مكان، من صُلب إلى رحم، ومن بطن أمٍ إلى ظهر الأرض، ومن ظهر الأرض إلى بطنها، فأصحاب الفقه والبصيرة هم الذين يستدلون بانتقال الإنسان من موت إلى حياة، ومن حياة إلى موت، يستدلون بذلك على انتقاله من القبر إلى المحشر، ومن الموت إلى الحياة الآخرة، فناسب حينئذٍ أن يقول: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾.

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣٥) بتصرف يسير.

(٢) انظر: (ص ٦٨) من «درّة التنزيل» المنسوب للخطيب الإسكافي.

ويذكر كذلك الحكمة من قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بعد ما عدد نعمه على خلقه وما وسّعه من رزقه، وهذا كلّه يستدعي الإيمان به، المشتمل على شكر نعمته، فلذلك كانت الآيات في ذلك معرضة لمن آمن بالله، فلذلك قال في الأخيرة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وبناءً على ما سبق فإننا لا نلاحظ أثراً لذكر الفروق الدقيقة الغامضة في الألفاظ المترادفة، بل نلاحظ عناية ببيان الحكمة في ختم الآية أو الآيات بما يناسب ما جاء في سياقها من المعاني. وأمّا بالنسبة للدليل الرابع من أدلة القائلين بنسبة الكتاب للراغب، وهو أنه ذكر فيه كتاباً آخر له هو «جامع التفسير»، وقد وجد هذا الاسم في النسخة الخطية ذات الرقم (٢١٢) في مكتبة أيا صوفيا بإستانبول، فقد ناقشه الباحث المشار إليه آنفاً[١] من وجوه.

أولها: أن تفسير الراغب لم يرد فيه ما يشير إلى أن المؤلف بنفسه قد سمّاه «جامع التفسير»، وهناك نسخ أخرى لتفسيره، بعضها باسم «تفسير القرآن العظيم» للعالم العلّامة الراغب الأصفهاني[٢]، وبعضها باسم «تفسير الراغب» الأصفهاني[٣]، ولم يذكر اسم «جامع التفسير» له أي مصدر من المصادر المعتمدة، ولذلك فإن تسميته بـ «جامع التفسير» يبدو أنه من عمل بعض النساخ، ولا يُعتد به في مجال إثبات أن المؤلف سمّى كتابه بهذا الاسم.

---

(١) الدكتور أحمد حسن فرحات.

(٢) انظر: بحث بعنوان «كتاب درّة التنزيل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» ص (٤٢).

(٣) نسخة أيا صوفيا ١٧١، السليمانية ـ إستانبول.

وأما كون «حاجي خليفة» يذكر كتاب «المعاني الأكبر» وكتاب «احتجاج القرّاء» وينسبهما للراغب الأصفهاني، فالذي يظهر أنه فعل ذلك نتيجة لرؤيته للنسخ الخطيّة لكتاب «أسرار التنزيل» و «حل متشابهات القرآن» المنسوب للراغب الأصفهاني، والتي جاء في مقدمتها ذكر هذين الكتابين، وبالتالي فإن استناده على مجرد نسبة الكتاب للراغب من قِبَلِ أحد النساخ لا ينهض دليلًا كافياً للجزم بصحة تلك الفرضيّة؛ بدليل أن «حاجي خليفة» نفسه عاد فنسب كتاب «درّة التنزيل» إلى الفخر الرازي[1]، فهل يُقال حينئذ: بأن كتابي «المعاني الأكبر» و «احتجاج القرّاء» للفخر الرازي.

ويستدل القائلون بنسبة كتاب «درّة التنزيل» للراغب الأصفهاني إلى أن أسلوب الراغب الأصفهاني واضح فيه، وهي دعوى يمكن معارضتها بضدها ما لم يقم دليل واضح على تأييدها. والاحتجاج بأنه «يغوص كما عودنا في أعماق اللغة ويستخدم الشعر في التمثيل على شرح بعض المعاني»[2] فهو أمر تعودنا عليه من كثير من العلماء، وليس الراغب وحده «وهو كلام عام ينطبق على كتب الراغب وعلى غيرها، ولا يمكن الاعتماد عليه في صحة إثبات الكتب لمؤلفيها أو نفيها»[3].

«ولا شك بأن الناظر في أسلوب «درّة التنزيل» وفي أسلوب كتب

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٧٣٩).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٧).

(٣) انظر: بحث بعنوان «كتاب درّة التنزيل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» ص (٤٣).

الراغب يجد أن كتب الراغب أعلى بياناً وأكثر إشراقاً وأشد إحكاماً»[1] بل إن في مقدمة «درّة التنزيل» حديثاً من قبل المؤلف عن نفسه، لا يستخدمه الراغب أبداً في أيٍّ من كتبه التي بين أيدينا، وقد لاحظ القائلون بنسبة الكتاب للراغب الأصفهاني ذلك، واستغربوه، ولكنهم حاولوا تأويله بوجوه مختلفة من مثل قوله: «ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاناً»، وقوله: «جردت لحرف أشكالها مبرداً»[2].

وأما بالنسبة للتطابق بين الكتاب المطبوع منسوباً للخطيب الإسكافي والنسخ الخطيّة المنسوبة للراغب الأصفهاني، فهذا يدل على خطأ النسبة لأحدهما أو لكليهما معاً، وأن للكتاب مؤلفاً آخر غير المذكورين، وليس هذا مجال بحثنا.

وقد حصلت على النسخة الخطيّة ذات الرقم (١٨٠) في مكتبة راغب باشا بإستانبول، وتحمل اسم «حل متشابهات القرآن» للراغب الأصفهاني، وقمت بمقابلتها على كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» للخطيب الإسكافي، فظهر التطابق التام بينهما واضحاً جليّاً باستثناء بعض الاختلافات اليسيرة، التي تحدث بين النسخ الخطيّة المختلفة لكتاب واحد. والحاصل أن هناك شكًّا كبيراً في صحة نسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» للراغب الأصفهاني، والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الكتاب ليس من مصنّفات الراغب الأصفهاني.

(١) انظر: المصدر السابق ص (٤٤).
(٢) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب ص (٧٩).

المبحث الثالث: آثاره العلميّة المفقودة

١- أصول الاشتقاق:

أشار إليه الراغب في كتابه «مفردات في ألفاظ القرآن»، فقال: «والجيدر: القصير. اشتق ذلك من الجدار، وزيد فيه حرف على سبيل التهكم، حسبما بيّناه في (أصول الاشتقاق)»[١].

٢- تحقيق البيان في تأويل القرآن:

أشار إليه الراغب في مقدمة كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، فقال: «كنت قد أشرت فيما أمليته من كتاب «تحقيق البيان في تأويل القرآن» إلى الفرق بين أحكام الشريعة ومكارمها»[٢]، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب «رسالة في الاعتقاد»، الذي طُبع بتحقيق د. شمران العجلي[٣].

٣- الرسالة المنبهة على فوائد القرآن:

أشار إليها الراغب في كتابه «مفردات في ألفاظ القرآن» فقال في مقدمته: «كنت قد ذكرت في «الرسالة المنبهة على فوائد القرآن» أن الله تعالى كما جعل النبوة بنبوة نبينا مختتمة، وجعل شرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكمّلة متمّمة.. جعل كتابه المنزل عليه متضمناً لثمرة كتبه..»[٤].

---

(١) انظر: المفردات، مادة: جدر ص (١٨٩).

(٢) انظر: مقدمة «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص (٥٨).

(٣) انظر: ص (٧٤) من هذه الرسالة.

(٤) انظر: مقدمة المفردات ص (٥٣).

٤- رسالة مفردة لشرح حديث «ستفترق أمتي»:

أشار إليها الراغب في كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» فقال: «وقد روي الخبر في ذلك على وجهين: أحدهما: «**ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»[١] وفي الخبر الآخر: «**كلها في الجنة إلا واحدة، وهم الزنادقة**»[٢]، وهذان خبران لا يمتنع أن يكونا صحيحين، ولكن على نظرين ومعنيين، وقد ذُكر ذلك وبُيّن في رسالة مفردة»[٣].

٥- عيون الأشعار:

أشار إليه الراغب في مقدمة كتاب «محاضرات الأدباء» فقال: «فإن سيدنا -عمَّر الله بمكانه مرابع الكرم- أحب أن أختار له مما صنَّفت من «نكت الأخبار» ومن «عيون الأشعار» ومن غيرهما من الكتب فصولاً في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء»[٤].

---

(١) هذا الحديث روي بألفاظ مختلفة مرفوعاً عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وسعد، وعبدالله بن عمرو، وأنس بن مالك، ومعاوية بن أبي سفيان، وعوف بن مالك رضي الله عنهم. أما حديث أبو هريرة فقد أخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٦). والترمذي رقم (٢٦٤٠)، كتاب الإيمان وقال: حسن صحيح، وابن ماجه رقم (٣٩٩١) كتاب الفتن. وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (٢٠٣، ٢٠٤، ١٤٩٢).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ العقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٠١)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٦٧)، وقال الألباني: موضوع بهذا اللفظ انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٠٣٥).

(٣) انظر: الذريعة ص (٢٦٦).

(٤) انظر: مقدمة محاضرات الأدباء ص (١/ ٧) بتصرف يسير.

وأشار إليه في كتاب «مجمع البلاغة» فقال: «وللأدباء أشعار كثيرة في الهرّ اخترت صدراً منها في عيون الأشعار»[1].

٦- نكت الأخبار:

أشار إليه الراغب في مقدمة «محاضرات الأدباء»[2].

٧- شرف التصوف:

أشار إليه الراغب عندتفسيره للآية (٣٧) من سورة البقرة، فقال: «ولكل فرقة مقامات معدودة، يترتب بعضها على بعض، وهذه مسألة كبيرة، قد أحكمتها في كتاب: «شرف التصوف»، وبيّنتُ تخصيص كل مقام»[3] وتشترك هذه الكتب السابقة في أن الراغب بنفسه قد ذكرها في كتب أخرى له، بالإضافة إلى كتاب «تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد»، الذي وعد به في مقدمة كتابه «المفردات»[4]، ولكنه لم يذكر في مواضع أخرى من كتبه إن كان قد ألّفه بالفعل أم لا؟ ولذلك لم أذكره ضمن آثاره العلميّة المفقودة لاحتمال أن الراغب لم يؤلف ذلك الكتاب الذي وعد به.

وقد ذكرت بعض المصادر كتباً أخرى، نسبتها للراغب الأصفهاني على التفصيل الآتي:

---

(١) انظر: مجمع البلاغة ص (٧٩٩).

(٢) انظر: مقدمة محاضرات الأدباء ص (١/ ٧).

(٣) انظر: تفسير الراغب، مخطوط ق (٤٢). وانظر: ق (٥٠). وانظر نص عبارته في الصفحة السابقة هامش رقم ٤.

(٤) انظر: مقدمة المفردات ص (٥٥).

١ - أخلاق الراغب :

ورد ذكره عند «بروكلمان»، وأشار إلى نسخة خطيّة منه في برلين برقم ٥٣٩٢[١].

٢ - احتجاج القرّاء :

ذكره حاجي خليفة[٢]، ويظهر أنه اعتمد في إثباته على ما ورد في مقدمة «حل متشابهات القرآن»[٣] المنسوب للراغب الأصفهاني من ذكر لكتاب «احتجاج القرّاء»، وقد سبق الحديث عن نسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل»، الذي يسمى في بعض نسخه «حل متشابهات القرآن»، وأن في نسبته إلى الراغب الأصفهاني شكّاً كبيراً[٤].

٣- أدب الشطرنج :

ذكره بروكلمان[٥]، ونسبه للراغب الأصفهاني.

٤ - كلمات الصحابة :

أشار إليه ظهير الدين البيهقي[٦] منسوباً إلى الراغب الأصفهاني.

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).
(٢) انظر : كشف الظنون (١/ ١٥).
(٣) مخطوط رقم ١٨٠ مكتبة راغب باشا ـ استانبول.
(٤) انظر : ص (١٠٠) من هذه الرسالة.
(٥) انظر : تاريخ الأدب العربي (٥/ ٢١١).
(٦) انظر : تاريخ حكماء الإسلام ص (١٢).

٥- مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت:

وقد تناول فيه كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكيت بالتهذيب والاختصار مع العناية بالجوانب الأدبية بأسلوب مقتضب دون إغراق في التفصيلات الأدبية، وهو لا يزال مخطوطاً، وقد أشار إليه الأستاذ شلواح المطيري في رسالته عن الراغب الأصفهاني، وذكر أن له نسخة خطيّة في مركز البحوث الإسلاميّة بجامعة أم القرى برقم (٣١٦)، مصوراً عن المكتبة التيمورية برقم (١٣٧)[١].

٦- المعاني الأكبر:

ذكره حاجي خليفة[٢]، ويظهر أنه اعتمد في نسبته إلى الراغب إلى نسخة خطيّة تنسب للراغب من كتاب «حل متشابهات القرآن»[٣]، ورد في مقدمتها بلسان المصنف ذكر كتاب «المعاني الأكبر» منسوباً للمصنف.

وقد سبق الحديث عن نسبة كتاب «درّة التنزيل وغرّة التأويل» الذي يسمّى في بعض نسخه «حل متشابهات القرآن»، وأن في نسبته للراغب الأصفهاني شكّا كبيراً[٤].

***

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن ص (٤٠). وانظر: مقدمة «المفردات» ص (١١).

(٢) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٧٢٩).

(٣) انظر: مخطوط رقم ١٨٠ مكتبة راغب باشا ـ إستانبول.

(٤) انظر: ص (١٠٥ - ١٠٧) من هذه الرسالة.

المطلب الرابع

ثناء العلماء عليه

١ - قال عنه ظهير الدين البيهقي :

«كان من حكماء الإسلام، وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في مصنفاته . . وكان حظه من المعقولات أكثر»[١] .

٢- قال عنه الذهبي :

«العلّامة الماهر، والمحقق الباهر، كان من أذكياء المتكلمين»[٢] .

٣- وذكر فخر الدين الرازي :

«أن الراغب من أئمة السُّنَّة، وقرنه بالغزالي»[٣] .

٤- وقال السيوطي :

«وقد كان في ظنِّي أن الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من «القواعد الصغرى» لابن عبدالسلام ما نصّه : ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول : أن أبا القاسم الراغب من أئمة السُّنة، وقرنه بالغزالي، وهي فائدة حسنة، فإن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي»[٤] .

---

(١) انظر : تاريخ حكماء الإسلام ص (١١٢).
(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠، ١٢١).
(٣) انظر : أساس التقديس ص (١٧).
(٤) انظر : بغية الوعاة ص (٢/ ٢٩٧).

٥- وقال عنه الصفدي:

«أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، متحقق بغير فن من العلم، وله تصانيف تدل على تحقيقه، وسعة دائرته في العلوم، وتمكُّنه منها»[١].

٦- وقال عنه محمد كرد علي:

«كان صاحب لغة وعربيّة وحديث وشعر وكتابة وأخلاق وحكمة.. عارف بعلوم الأوائل»[٢].

٧- وقال عنه الزركلي:

«أديب من الحكماء العلماء»[٣].

٨- وقال عنه عمر رضا كحالة:

«أديب لغوي حكيم مفسر»[٤].

وأما بالنسبة لأصحاب كتب التراجم من الشيعة فقد أكثروا من ذكره والثناء عليه، ومنهم:

٩- الخوانساري:

حيث قال عنه: «الإمام الأديب والحافظ العجيب، صاحب اللغة والعربيّة والحديث والشعر والكتابة والأخلاق والحكمة

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات (١٣/ ٤٥).
(٢) انظر: كنوز الأجداد ص ٢٥٦.
(٣) انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٥).
(٤) معجم المؤلفين (٤/ ٥٩).

والكلام وعلوم الأوائل، وغير ذلك، فَضْلُه أشهر من أن يُوصف، ووصفه أرفع من أن يُعرف»[1].

١٠- **وقال عنه عباس القمّي:**

«صاحب اللغة، والعربيّة، والحديث، والشعر، والأدب»[2].

١١- **وقال عنه الميرزا عبدالله أفندي:**

«العالم الفاضل، الأديب المفسّر، اللغوي المتكلم، الحكيم الصوفي، كان من مشاهير حكماء الإسلام»[3].

***

(١) انظر: روضات الجنات للخوانساري (٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: سفينة البحار لعباس القميّ (١/ ٢٥٨).

(٣) انظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء للميرزا عبدالله أفندي (٢/ ١٧٢).

الفصل الثالث

دراسة تحليلية للكتاب المحقق

وفيه مطالب:

* المطلب الأول : نسبته
* المطلب الثاني : أهميته
* المطلب الثالث : منهجه في كتابه من خلال الجزء المحقق
* المطلب الرابع : دراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة من خلال الجزء المحقق
* المطلب الخامس : النسخ الخطية وتوصيفها

المطلب الأوّل

نسبته

يمكن القطع بصحة نسبة هذا التفسير للراغب الأصفهاني لأدّلة كثيرة منها:

أولاً: اطلاع مجموعة من الأئمة عليه وإثباتهم نسبته للراغب الأصفهاني، فمن هؤلاء:

١- الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ):

صاحب «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» حيث قال: «الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهاني.. له التفسير الكبير في عشرة أسفار، غاية في التحقيق، وله المفردات لا نظير لها في معناها»[١].

٢- الإمام الزركشي (٧٩٤هـ):

صاحب «البرهان في علوم القرآن»، وقدذكر ما يفيد اطلاعه على تفسيره وصحة نسبته عنده إلى الراغب الأصفهاني فقال: «ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة: الظنّ أعمّ ألفاظ الشك واليقين، وهو اسم لما حصل عن أمارة..»[٢].

(١) انظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص (٩١).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٣٩).

٣- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ):

صاحب كتاب «كشف الظنون» حيث ذكر تفسير الراغب الأصفهاني، ثم وصفه بما يُثبت اطلاعه عليه، فقال: «هو تفسير أوّله (الحمد لله على آلائه . .)»[١].

وهي بداية مخطوط تفسير الراغب الأصفهاني الذي بين أيدينا[٢].

ثانياً: نقل مجموعة من المفسرين عن تفسير الراغب الأصفهاني، وتصريحهم بالنقل عنه، وبالرجوع إلى التفسير الذي بين أيدينا نجد التطابق، فمن هؤلاء:

١- الإمام شرف الدين الطيبي:

المتوفى سنة ٧٤٣هـ، حيث صنّف حاشية على كتاب «الكشاف» للزمخشري، وسمّاها «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب»، وقد أحصيت فيها أكثر من تسعين موضعاً - في سورتي النساء والمائدة فقط - نقل فيها عن الراغب الأصفهاني مصرِّحاً باسمه، وبمطابقة نقولاته بما في تفسير الراغب المخطوط وجدتها متطابقة[٣].

فمن ذلك:

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٤٤٧).

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، مخطوط برقم ١٧١، بمكتبة أيا صوفيا بجامع السليمانية في إستانبول.

(٣) انظر على سبيل المثال الفقرات: (١٩، ٨٣، ١٧٨، ١٨٦، ١٩٥، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٠٦، ٥٢١، ٥٣٤، ٥٣٨، ٦٦٩، ٧٠٦، ٧١٦، ٧٤٥، ٨٧٤) من فتوح الغيب، للطيبي، رسالة دكتوراه للباحث صالح الناصر، كلية القرآن، الجامعة الإسلامية.

(أ) قول الطيبي عن «الراغب: أفضى فلان إلى فلان أي وصل إلى فضاءٍ منه، أي سعة غير محظورة. فمن الفقهاء من جعل ذلك عبارة عن الخلوة، حصل معها المسيس أو لم يحصل، ومنهم من جعله كناية عن المسيس، وإليه ذهب ابن عباس ومجاهد، ونبَّه أن المهر بإزاء ذلك المعنى، وقد نلتموه منهن فلا حقَّ لكم إذاً عليهنّ»[1].

وهذا النقل يتطابق مع ما ذكره الراغب أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

(ب) نقل الطيبي عن الراغب أنه قال: «التزكية: إما بالفعل، وهو أن يتحرَّى الإنسان ما فيه تطهير بدنه، وذلك يصح أن ينسب إلى العبد، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، وإلى من يأمره بفعله، كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[4]، وإما بالقول، وذلك بالإخبار عنه بذلك ومدحه به، ومحظور على الإنسان أن يفعل ذلك بنفسه لا بالشرع فقط، بل بمقتضى العقل أيضاً من غير داع إلى ذلك. فالتزكية في الحقيقة هي الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان، ولا يعرف ذلك إلا الله، ولهذا قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[5]»[6].

---

(١) انظر: فتوح الغيب (١/ ٦٠) الفقرة ١٩٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢١. وانظر: كلام الراغب ص (١١٥٦) من هذه الرسالة.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤٩.
(٦) انظر: فتوح الغيب (١/ ١٢٠) الفقرة رقم ٣٨٤.

وهذا النقل مطابق لما ذكره الراغب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾[1] مع اختصار يسير قام به «الطيبي»[2].

(ج) نقل الطيبي عن الراغب قوله: «القول البليغ إذا اعتبر بنفسه فهو ما يجمع أوصافاً ثلاثة: أن يكون صواباً، وطبقاً للمعنى المقصود به، لا زائداً ولا ناقصاً عنه، وصدقاً في نفسه. وإذا اعتبر بالمقول له والقائل فهو الذي يقصد به قائله الحق، ويجد من المقول له قبولاً، ويكون وروده في الموضع الذي يجب أن يورد فيه»[3].

وقد قال الراغب هذا الكلام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[4] مع تصرفٍ يسير للطيبي في نقله عنه[5].

٢- الإمام أبو حيّان:

المتوفى سنة ٧٤٥هـ صاحب تفسير «البحر المحيط»، حيث نقل عن الراغب الأصفهاني في أكثر من عشرين موضعاً في تفسيره لسورتي آل عمران والنساء[6]. ومن أمثلة ذلك:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٢) انظر: ص (١٢٧٠) من هذه الرسالة.

(٣) انظر: فتوح الغيب (١/ ١٣٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٥) انظر: ص (١٢٩٧) من هذه الرسالة.

(٦) وقد أثبت هذه النقول أثناء التحقيق في مواضعها من التفسير.

(أ) قال أبو حيّان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[1] ما نصّه: «قال الراغب: ووصف الإنسان بأنه خُلِق ضعيفاً إنما هو باعتباره بالملأ الأعلى، نحو ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾[2]، أو باعتباره بنفسه دون ما يعتريه من فيض الله ومعونته، أو اعتباراً بكثرة حاجاته وافتقار بعضهم إلى بعض، أو اعتباراً بمبدئه ومنتهاه، كما قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[3] فأما إذا اعتبر بعقله وما أعطاه من القوة التي يتمكن بها من خلافة الله في أرضه، ويبلغ بها في الآخرة إلى جواره تعالى، فهو أقوى ما في هذا العالم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[4]»[5].

وهذا الكلام موجود بنصّه في تفسير الراغب لهذه الآية من سورة النساء[6].

(ب) نقل أبو حيّان عن الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[7] فقال ما نصّه:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الروم، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٥) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).
(٦) انظر: ص (١٢٠٠، ١٢٠١) من هذه الرسالة.
(٧) سورة النساء، الآية: ٦٩.

«وقال الراغب: قسَّم الله المؤمنين في هذه الآية أربعة أقسام، وجعل لهم أربعة منازل، بعضها دون بعض، وحثَّ كافة الناس أن لا يتأخروا عن منزل واحد منهم. الأوّل: الأنبياء الذين تمدهم قوّة الإلهية، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من قريب، ولذلك قال تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[1]، والثاني: الصِّدِّيقون وهم الذين يزاحمون[2]، الأنبياء في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيد..»[3].

واستمر أبو حيّان في النقل الحرفي عن الراغب لخمسة أسطر إضافة للأسطر السابقة.

وبالرجوع إلى تفسير الراغب وجدت هذا الكلام بنصّه دون اختلافٍ يُذكر[4].

(ج) وعند تفسير أبي حيّان لقوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾[5] قال ما نصّه:

«قال الراغب: الركس والنكس والرذل. والركس أبلغ من النكس، لأن النكس ما جُعل أسفله أعلاه، والركس أصله ما رجع رجيعاً بعد أن كان طعاماً، فهو كالرجس، وصف أعمالهم به،

---

(١) سورة النجم، الآية: ١٢.

(٢) هكذا وردت في «البحر المحيط» وأما في مخطوط «تفسير الراغب» فهي: يُتاخمون.

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٤) انظر: ص (١٣١١، ١٣١٢) من هذه الرسالة.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٨.

كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1] وأركسه أبلغ من ركسه كما أن أسقاه أبلغ من سقاه»[2].

وما نقله أبو حيّان عن الراغب موجود بنصّه في تفسير الراغب مع اختلاف يسير لا يُذكر[3].

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تُثبت نقل أبي حيّان عن تفسير الراغب، الذي بين أيدينا، لا يتَّسع المقام للإتيان عليها جميعاً[4].

٣- الإمام الزركشي:

حيث نقل عن تفسير الراغب مصرّحاً بالنسبة إليه في عدّة مواضع على التفصيل التالي:

(أ) قال الزركشي: «قال الراغب في مقدمة تفسيره: وذهب عامّة المتكلمين إلى أن القرآن يجب أن يكون معلوماً، وإلا لأدى إلى إبطال فائدة الانتفاع به، وحملوا قوله ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ بالعطف على قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وقوله: (يقولون) جملة حالية»[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.
(٢) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٢٦).
(٣) انظر: ص (١٣٧٣) من هذه الرسالة.
(٤) انظر على سبيل المثال الصفحات (٣/ ٤٠، ١٠٢، ٢٣٦، ٢٨١، ٢٩٨، ٣١٤) من البحر المحيط وقارنها بالصفحات: (٨١٨، ٩٤٦، ١١٩٧، ١٢٧٠، ١٣٠٧، ١٣٣٤، ١٣٣٥) من هذه الرسالة.
(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٠٤).

وبالعودة إلى المخطوط وجدنا ما قاله الزركشي منسوباً إلى الراغب، موجوداً بنصّه في «فصل في أنه هل في القرآن ما لا تعلم الأمّة تأويله»[١].

(ب) قال الزركشي: «وقال الراغب في مقدمة تفسيره: اختُلِفَ في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فمنهم من بالغ ومنع الكلام. . »[٢] . . . إلخ. وواصل نقل خمسة أسطر تقريباً.

وبالعودة إلى المخطوط نجد الراغب يقول ما نصّه: «اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض يشدد في ذلك، وقال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن. . »[٣] إلخ. ثم واصل بنفس ما نقله الزركشي عنه مع تصرُّف يسير جدّاً للزركشي.

(ج) قال الزركشي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾: قال الراغب في تفسيره: كيف هنا استخبار لا استفهام، والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً، ولا يقتضي علم المستخبر، والاستفهام بخلاف ذلك»[٤].

---

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢ بمكتبة أيا صوفيا ق ١٣.
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦).
(٣) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ١٤.
(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٨٤).

وبالرجوع إلى المخطوط وجدنا الراغب يقول ما نصّه: «كيف هاهنا استخبار لا استفهام، والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً، ولا يقتضي جهل المستخبر، والاستفهام بخلاف ذلك»[١].

(د) قال الزركشي: «ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة: الظّن أعم ألفاظ الشك واليقين، وهو اسم لما حصل عن أمارة، فمتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّاً لم تتجاوز حدّ الوهم، وأنّه متى قوي استعمل فيه (أنّ) المشدّدة، و (أنْ) فيه المخففة منها، ومتى ضعف استعمل معه (إن) و (إنّ) المختصة بالمعدومين من الفعل والقول، نحو: ظننت أن أخرج؛ وأن يخرج؛ فالظّن إذا كان بالمعنى الأول محمود، وإذا كان بالمعنى الثاني فمذموم، فمن الأوّل ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾[٢]، ومن الثاني: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾[٤]»[٥].

وبالرجوع إلى المخطوط نجد العبارة مع تصرف يسير للزركشي، حيث بدأها الراغب بقوله: «قدتقدم الكلام في الظّن، وأنه أعمّ ألفاظ الشك واليقين، وأنه اسم لما يحصل عن أمارة، فمتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدّاً لم تتجاوز حدّ الوهم..»[٦] إلى

---

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ٥٤-٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٤) سورة النجم، الآية: ٢٨.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٣٩).

(٦) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ٦٤.

أن انتهت العبارة بمثل ما نقل الزركشي عنه .

وهكذا فإن تفسير الراغب الأصفهاني كان أحد مصادر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ في كتابه «البرهان»، كما نص الدكتور يوسف المرعشلي محقق كتاب «البرهان في علوم القرآن» حيث يقول : «فمن مصادر علوم القرآن التي أكثر الزركشي من الاعتماد عليها، وصرّح بها تلك الكتب المؤلفة في (علوم القرآن) قبله، وكان العلماء يضمونها في مقدمات تفاسيرهم، كما فعل الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره «جامع البيان»، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٥هـ) في تفسيره»[١] .

٤- الإمام السيوطي :

حيث نقل جزءاً من مقدمة الراغب الأصفهاني لتفسيره، تحت عنوان «في شرف علم التفسير» وذلك في كتابه «الإتقان» واعتبر تفسير الراغب من تفاسير غير المحدّثين[٢] .

ثالثاً: النسبة الصريحة إلى أبي القاسم الراغب في أوّل ورقة من مخطوط تفسير الراغب، الذي بين أيدينا، حيث جاء فيها ما نصّه :

«قال الشيخ أبو القاسم الراغب ـ رحمه الله تعالى ـ: القصد من هذا الإملاء إن نفّس الله في العمر، ووقانا نوب الدهر، وهو مرجو

---

(١) انظر : مقدمة البرهان في علوم القرآن (١/ ٧٥).

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٣)، و(٢/ ٤٣٢، ٤٣٣) وقارن بما ذكره الراغب بعنوان «في شرف علم التفسير» في مقدمة «جامع التفاسير» للراغب بتحقيق د. أحمد حسن فرحات ص (٩١).

أن يسعفنا بالأمرين . . »[1] .

رابعاً: إحالة الراغب الأصفهاني في تفسيره الذي بين أيدينا على كتاب آخر له مقطوع بصحة نسبته إليه، ألا وهو: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» حيث قال:

«من ترك تحرّي موالاة الله وفعل ما أدى إلى موالاة الشيطان تارة بالإرادات الرديّة والخواطر الفاسدة حسب ما ذُكر في كتاب (الذريعة إلى مكارم الشريعة)»[2] .

خامساً: تطابُقُ كثير من مواضع هذا التفسير المخطوط مع مواضع من كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» المقطوع بنسبته للراغب الأصفهاني، وأورد للدلالة على ذلك الأمثلة التالية:

(أ) قال الراغب في التفسير: «قوله عز وجل: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الهداية دلالة بلطف، ومنه الهديّة، وهوادي الوحش إنما هو متقدماتها لكونها هادية لسائرها، وخص ما كان دلالة بفعلت نحو هديته الطريق، وما كان من الإعطاء بأفعلت نحو: أهديت الهديّة، وأهديت إلى البيت، ولما تصور العروس على وجهين قيل فيه: هديت وأهديت، فإن قيل: كيف جعلت (الهدي) دلالة بلطف، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وقال تعالى:

---

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢ مكتبة أيا صوفيا ق ١، ونسخة أخرى برقم ١٧١ مكتبة أيا صوفيا بعنوان «تفسير القرآن» ق ١ .

(٢) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٨٤ مكتبة ولي الدين جار الله ق ٢٩٨ عند تفسيره للآية رقم (١١٩) من سورة النساء .

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ قيل : إن ذلك على حسب استعمالهم اللفظ للتهكم ، كما قال :

وخيـل قـد دلفـت لـه بخيـل   تحية بينهم ضرب وجيع»[1]

وحين ننظر إلى مادة (هدى) في كتاب «المفردات» للراغب الأصفهاني ، نجد العبارة تتكرر بنصها حيث يقول :

«هدى : الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهداية ، وهوادي الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها ، وخُص ما كان دلالة بهديت ، وما كان إعطاء بأهديت نحو : أهديت الهدية ، وهديت إلى البيت ، إن قيل كيف جعل الهداية دلالة بلطف ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾؟! قيل : ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم ، مبالغة في المعنى ، كقوله : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وقول الشاعر :

....   تحية بينهم ضرب وجيع»[2]

ولا شكَّ أن هذا التطابق يدلّ على صحّة نسبة الكلام الأوّل إلى صاحب الكلام الثاني ، وهو الراغب الأصفهاني في الحالتين .

وقد اقتصرت على هذا الجزء من معنى الهداية لعدم الإطالة ، وإلا فالتطابُقُ مستمرٌ لأكثر من صفحتين بين ما في التفسير المخطوط وما في المفردات .

---

(١) انظر : مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢ مكتبة أيا صوفيا ق ٢٤ .
(٢) انظر : المفردات ، مادة : هدى ، ص (٨٣٥) .

(ب) مثل آخر:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ما نصّه: «الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر تبديه على خلاف ما تخفيه، ومنه قيل: خَدَعَ الضَّبُّ إذا استتر في جحره، واستعمال ذلك فيه لما اعتقدوا في الضب أنه يُعِدُّ عقرباً تلدغ من يُدخِلُ يده في جحره، حتى قالوا: العقرب بواب الضب، ولاعتقاد الخديعة فيه قالوا: أخدع من ضبٍّ، وطريق خادع مخالف لما يقتضيه ظاهره، والمخدع كأنك جعلته خادعاً، لمن رام تناول ما فيه، لأنه بيت في بيت. . »[1].

وعند الرجوع إلى العبارة في مادة خدع في كتاب الراغب «مفردات ألفاظ القرآن» نجدها بنصها وحروفها مع تقديم وتأخير يسير حيث قال: «خدع: الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه. . إلى أن قال. . وقيل: خَدَعَ الضبُّ أي استتر في جحره، واستعمال ذلك في الضب أنه يُعِدّ عقرباً تلدغ من يُدْخِلُ يديه في جحره، حتى قيل: العقرب بواب الضب وحاجبُهُ، ولاعتقاد الخديعة فيه قيل: أخدع في ضب، وطريق خادع وخيدع مضلّ كأنه يخدع سالكه، والمخدع بيت في بيت كأنه بانيه جعله خادعاً لمن رام تناول ما فيه»[2].

(ج) مثال ثالث: قال الراغب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ

---

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، أيا صوفيا ق ٣٩.

(٢) انظر: المفردات، مادة: خدع، ص (١٤٣).

﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ما نصّه: «الرّب في الأصل التربية، يقال: ربّه وربّاه. فسمّى الرّاب ربًّا لزيادة معنى تُصور منه، قيل: لأن يَربني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربّني رجل من هوزان. فربُّ العالمين هو المتكفِّل بمصلحتهم..»[1].

وفي المفردات ما نصّه:

«الربُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال: ربّه وربّاه وربّبه، وقيل: لأن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إلي من أن يرُبَّنِي رجل من هوزان، فالرّب مصدر مستعار للفاعل، ولا يُقال الرب مطلقاً إلا لله المتكفل بمصلحة الموجودات..»[2].

وهكذا فالأمثلة متكاثرة تدلّ على تطابق العبارات في مواضع متعددة من التفسير المخطوط وكتاب «المفردات» للراغب الأصفهاني.

وبناء على ما سبق من الأدلّة يمكن الجزم بصحة نسبة التفسير إلى الراغب الأصفهاني، والله أعلم.

***

(١) انظر: مخطوط تفسير الراغب برقم ٢١٢، مكتبة أيا صوفيا ق ٢١.
(٢) انظر: المفردات، مادة: ربّ، ص (١٨٤).

المطلب الثاني

أهميته

يستمدُّ كل كتاب أهميته بالدرجة الأولى من أهميّة مؤلفه وشهرته في فنّه، وتلقي العلماء مؤلفاته بالقبول. ولا تكاد تخلو مكتبة طالب علم ـ ولاسيما في مجال التفسير ـ من كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني، وذلك لشموله وتبّحر مؤلفه ـ بشكل واضح ـ في علوم اللغة وتراكيب ألفاظها ومفرداتها؛ لكن الباحث يصطدم بالاختصار الشديد الذي أملته طبيعة الكتاب ـ حيث يُعنى بشرح معاني الألفاظ والمفردات الغريبة التي ترد في القرآن ـ مما يحرم مطالعيه من متابعة النكت البلاغيّة والتقريرات التفسيريّة التي برع فيها الراغب الأصفهاني رحمه الله.

ومن هنا تنبع أهميّة «تفسير الراغب الأصفهاني» حيث إنه قد قابل ذلك الاختصار ـ المطلوب ـ في كتابه «المفردات» بإطناب وتوسع ـ مطلوب أيضاً ـ في تفسيره الذي بين أيدينا، ومما يؤكد أهميّة هذا التفسير ما يلي:

١ - تبحّر الراغب الأصفهاني في علوم البلاغة والنحو، والاشتقاق والمعاني، وقد ضمّن تفسيره خلاصة خبرته ودرايته بهذه العلوم بتوسُّع وإطناب.

وكان مسلكه بعد إيراد الآية أن يبدأ بالألفاظ، فيرجعها إلى أصولها اللغويّة التي اشتقت منها، ويستدل على ذلك بطريقة متميّزة، جعلت ناقداً حصيفاً كالزركشي يقول مبيّنا تفرد الراغب الأصفهاني بقدر زائدٍ على أهل اللغة:

«اعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم: لم يرد.. وما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ في لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به «الراغب» كثيراً في كتاب «المفردات»، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق»[1]، ولقد كانت عناية الراغب باقتناص قيد زائد على أهل اللغة من السياق، توضح مدلول اللفظ ومعناه أشدّ وضوحاً في تفسيره منها في كتاب «المفردات»، بسبب توسعه فيه وإطنابه في بيان مدلولات الألفاظ.

٢- إكثار «الراغب الأصفهاني» في تفسيره من النقل عن أئمة اللغة ومجموعة من المفسرين، الذين تعتبر كتبهم في حكم المفقودة، مما يجعل تفسير الراغب مصدراً هامّاً للباحثين، الذين يريدون توثيق أقوال أولئك المفسرين، ولاسيّما أنه أكثر من النقل عن أئمة المعتزلة معارضاً أو مؤيّداً، فمن هؤلاء: النظام[2] (ت ٢٣١هـ)،

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣١٣).

(٢) وسوف تأتي تراجمهم في قسم التحقيق من هذه الرسالة.

وأبو علي الجبّائي (ت ٣٠٣هـ)، وأبو القاسم البلخي (ت٣١٩هـ)، وأبو هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ)، وابن بحر: أبو مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢هـ).

٣- يحتوي تفسير الراغب على جملة طيبة من الفوائد والنكت واللطائف التفسيريّة، التي لا تكاد توجد عند غيره من المفسرين، يتفرَّد بها لظهور شخصيته العلميّة، ورسوخ قدمه في علم التفسير، ويدعمها بقوة حجته وحسن استدلاله وسعة اطلاعه على آراء من سبقه من المفسرين.

٤- أن «تفسير الراغب الأصفهاني» لم يُحقق ويُطبع قبل ذلك، بل ظل حبيس المكتبات مخطوطاً[1]، في حين أن ما فيه من الجهد الذي بذله مؤلفه يفوق جهده في كتابه «المفردات» على أهميته، بل ويفوق كثيراً من كتب التفسير اللاحقة له، التي وجدت من يخدمها بالنشر والتحقيق ويخرجها مطبوعة. وبالتالي فإن لتحقيقه وإخراجه مطبوعاً أهميّة خاصّة عند طلاب العلم، ولاسيما المختصين بعلم التفسير.

٥- تقدم وفاة الراغب الأصفهاني على كثير من المفسرين المشهورين: فالزمخشري صاحب «الكشاف» توفي سنة ٥٣٨هـ، وابن عطيّة صاحب «المحرر الوجيز» توفي سنة ٥٤١هـ، والقرطبي

---

(١) باستثناء تحقيق د. أحمد حسن فرحات لمقدمة التفسير مع تفسير سورة الفاتحة وأول خمس آيات من سورة البقرة. وقد صدر ذلك في كتاب عنوانه «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة».

صاحب «الجامع لأحكام القرآن» توفي سنة ٦٧١هـ، وأبو حيّان صاحب «البحر المحيط» توفي سنة ٧٤٥هـ، ولاشك أن المفسّر لا يكتسب الأهميّة لتفسيره بمجرد تقدُّم وفاته على من بعده من المفسرين، ولكن حين يقترن ذلك بمميزات أخرى سبقت الإشارة إلى طرفٍ منها: كالتبحر في علوم اللغة، والرسوخ في علم التفسير، وكثرة النقول عمن سبقه، فإنه والحال هذه يستحق التقديم، ويكتسب الأهميّة لتفسيره، والله أعلم.

***

المطلب الثالث

منهجه في كتابه «من خلال الجزء المحقق»

المبحث الأول: مصادر الراغب الأصفهاني في تفسيره

اعتاد الباحثون في مناهج العلماء أن يمهدوا لذلك بمقدمة تتعلق بالمصادر، فالتعرف على مصادر عالم في كتاب ما يعدُّ الخطوة الأولى في تحديد منهجه في كتابه، حيث يقوم الباحث بجمع وحصر وتصنيف تلك المصادر، ثم يقوم بتوزيعها على العلوم والفنون المختلفة.

ومن خلال هذا التصنيف والحصر، يستطيع الباحث تكوين رؤية أوليّة عن هذا المؤلّف، من حيث: اطلاعه وإلمامه بالعلوم والفنون ذات العلاقة بالكتاب موضوع الدراسة، وكذلك من حيث: قدرته وبراعته في استخدام تلك المصادر والاستفادة منها في تشكيل عمل خاص ذي منهجية علمية محددة، دون أن يطغى مصدر على آخر، أو يكون العمل مجرد محاكاة وترديد لما قاله السابقون.

والناظر في تفسير الراغب الأصفهاني يلحظ تنوُّعاً في المصادر العامة، التي ضمَّنها كتابه. فالقرآن الكريم يعتبر مصدراً رئيسيًّا للراغب في تفسيره، والسنة النبوية كذلك لها حضورها في التفسير، وأقوال مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن اشتهروا بالتصنيف في التفسير مذكورة، وأقوال أئمة اللغة والمعاني والنحو

تشكل خصوصية لهذا التفسير، وهناك مصادر الراغب المتعلقة بأسباب النزول والقراءات والفقه وغيرها، إضافة إلى رصيده الشخصي من أقوال الحكماء والأدباء والمتكلمة والمتصوفة، وكذلك من الأمثال العربية والأقوال المأثورة.

إن هذا التنوع والشمول في مصادر الراغب يشير إلى المنهج الذي ارتضاه الراغب في تفسيره، وهو منهج الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول، حيث استفاد الراغب من مصادر التفسير بالمأثور، ولكنه - في الوقت نفسه - لم يهمل جانب المعقول الذي ظهر جليًّا من خلال المناقشات والردود والجمع بين الأقوال وتخطئة بعضها، وترجيح بعضها على بعض، والدخول في مناقشات حادة مع بعض المفسرين وأهل اللغة، مما أظهر الشخصية العلمية المتميزة لهذا العالم.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنه مع هذا التنوع والتوسع والشمول في استعانة الراغب بكل ما يخدم كتابه من علوم وفنون مختلفة، إلا أنه في أغلب الأحيان لا ينصُّ على مصادره الخاصة، فإما أن يذكر القول منسوباً إلى صاحبه دون المصدر، وإما أن يكتفي بذكر القول دون الإشارة إلى صاحبه أو المصدر، ومن هنا فقد رأيت تقسيم تلك المصادر إلى: مصادر عامة، ومصادر خاصة.

* * *

أولاً: المصادر العامة:

١- القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[١] أي يشبه بعضه بعضاً في الآي والحروف، ويصدق بعضه بعضاً، فليس فيه اختلاف أو تناقض[٢].

ومن هنا كان لابد لمن يتناول تفسير القرآن أن يكون حافظاً له، مستحضراً لآياته كلما احتاج إلى ذلك، لأن خير ما يفسَّر به القرآن هو القرآن نفسه، كما قال ابن كثير رحمه الله: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصحَّ الطريق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد بُسِطَ في موضع آخر[٣].

ولقد كان الراغب موفَّقاً في نهله من معين القرآن الكريم، فكان يفسّر الآية بذكر نظائرها في القرآن، وكان يجمع ما تكرر في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وكان أيضاً يذكر المعاني المتعددة للمفردة الواحدة، معتمداً في ذلك على ورودها في عدة مواضع من القرآن الكريم، وقد ساعده على ذلك قوة حافظته، واستحضاره ما يريد من آيات الكتاب العزيز، وبراعته في معرفة مفردات القرآن الكريم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ١٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤).

ومعانيها، حيث إنه ألّف في ذلك كتاباً ضخماً وهو كتاب «المفردات»، وسوف نبحث هذا الموضوع بإسهاب عند الحديث عن المنهج.

٢- السنة النبوية:

لم يهمل الراغب السنة النبوية في كتابه، لأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع، وقد بيّنت كثيراً من أحكام الكتاب العزيز المجملة: كالصلاة مثلًا، وحين تعرَّض لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾[1]، ذكرقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾[2]، ثم نقل عن ابن عباس أنه قال: «الآيتان متضمنتان لأوقات الصلاة مجملة، وأن السنة شرحتها»[3]، ولذلك لجأ الراغب إلى الاستدلال بالسنة النبوية في كثير من المواضع، كلما سنحت له الفرصة.

ولكن الراغب وهو العالم المدقق الخبير بالقرآن وعلوم اللغة والبيان، لم يكن بنفس المستوى في الحديث النبوي، فلم يعتنِ به عنايته بالقرآن واللغة، ولذلك كثر في كتابه ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذا قورنت بمجموع الأحاديث التي ذكرها في هذا القسم موضوع الدراسة بل كان ـ أحياناً ـ ينسب للنبيّ ﷺ ما لا أصل له مرفوعاً، وإنما هو من قسم الموقوف على الصحابة، أو المقطوع على التابعين، وقد بلغ عدد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا القسم المحقق ٥٧ حديثاً، من مجموع ١٦٣ حديثاً.

ومع أنه أورد جملة لا بأس بها من الأحاديث الصحيحة، إلا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٣) الرسالة ص (١٤٢٤).

أنه لم يهتم بجانب عزو تلك الأحاديث وتخريجها من مصادرها، فلم يعز أيَّ حديث إلى كتاب من كتب السنة في الجزء الذي أسند إلي تحقيقه، ولم يتعرض لأقوال نقاد الحديث وأهل الجرح والتعديل في أيَّ حديث ذكره، مما يدلّ على قلة بضاعته في هذا الشأن.

وتفصيل القول في ذلك سيكون عند الحديث عن منهج الراغب في تفسيره.

٣- أقوال الصحابة:

اهتم الراغب اهتماماً كبيراً بذكر أقوال الصحابة عند كل آية وردت أقوالهم فيها، والغالب أنه كان يذكر اسم الصحابي صاحب القول، ولكنه لم يذكرإلا أقوال أعيان الصحابة، حيث لم يتعد من ذكر أقوالهم من الصحابة اثني عشر صحابيًا، وكانت نسبة ذكر أقوالهم متفاوتة، فمنهم من أكثر عنهم النقل: كابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومنهم من كان نقله عنهم قليلًا: كأبي هريرة وجابربن عبدالله وزيد بن ثابت وعائشة رضي الله عنهم.

وفيما يلي حصرٌ لعدد المرات التي نقل فيها الراغب أقوال كل صحابي:

الصحابي	عدد المرات
١- عبدالله بن عباس	٦١
٢- علي بن أبي طالب	١٢
٣- عمر بن الخطاب	١١
٤- عبدالله بن مسعود	٥
٥- عبدالله بن عمر	٤

الصحابي	عدد المرات
٦- عائشة	٣
٧- أبو هريرة	٢
٨- أبو بكر الصديق	٢
٩- زيد بن ثابت	٢
١٠- جابر بن عبدالله	١
١١- حسان بن ثابت	١

وهناك أقوال أخرى كثيرة، ذكرها الراغب في تفسيره، دون نسبتها إلى أصحابها من الصحابة، وعند التوثيق تبين أنها أقوال الصحابة، وقد ذكرت في الحاشية المصادر التي نصَّت على ذلك.

ولم يُشِرِ الراغب إلى مصادره التي استقى منها أقوال الصحابة، وبالرجوع إلى كتب التفسير المسندة: كجامع البيان للطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، يمكن القول بأن الراغب الأصفهاني قد وفّق في نسبة معظم هذه الأقوال التي ذكرها منسوبة إلى أصحابها، وقد وهم في بعض المواضع القليلة جدًّا، فنسب القول إلى غير قائله، وتفصيل ذلك سيكون عند الحديث عن منهج الراغب في تفسيره.

٤- أقوال التابعين:

يوازي اهتمام الراغب بذكر أقوال الصحابة اهتمامه بذكر أقوال التابعين، لأنهم تلامذة الصحابة، الذين أخذوا عنهم، ونهلوا من معينهم، فكان يذكر أقوالهم بعد أقوال الصحابة، وربما اكتفى

بذكر أقوال التابعين إذا لم تكن لديه أقوال للصحابة .

وما قيل عن طريقة الراغب في ذكر أقوال الصحابة يقال هنا في أقوال التابعين ، فالغالب أنه كان يذكر اسم صاحب القول من التابعين ، وكان ذكره لأقوالهم تختلف قلة وكثرة على التفصيل التالي :

التابعي	عدد المرات
١- الحسن البصري	٤٥
٢- قتادة	٣١
٣- مجاهد بن جبر	٢٦
٤- السدي	١٥
٥- الربيع	١٠
٦- الضحاك	٥
٧- ابن زيد	٥
٨- ابن جريج	٥
٩- ابن جبير	٥
١٠- عطاء بن أبي رباح	٤
١١- زيد بن أسلم	٤
١٢- أبو العالية	٣
١٣- سعيد بن المسيب	٢
١٤- سفيان الثوري	٢
١٥- الأوزاعي	٢
١٦- سفيان بن عيينة	٢

التابعي	عدد المرات
١٧- طاووس	١
١٨- مكحول	١
١٩- مسروق	١
٢٠- إبراهيم النخعي	١
٢١- شريح القاضي	١
٢٢- مقاتل	١
٢٣- وهب بن منبه	١
٢٤- محمد بن جعفر	١
٢٥- جعفر بن محمد	١

وقد ذكر الراغب أقوالاً أخرى دون النصّ على أصحابها، كأن يقول: وقيل كذا، وقيل كذا. وعند التوثيق والنظر في كتب التفسير تبين أن أصحاب هذه الأقوال من التابعين.

وكما فعل الراغب في أقوال الصحابة، فإنه لم يُشِـرْ إلى مصادره التي استقى منها أقوال التابعين، ولكنه ـ أيضاً ـ وُفِّق في نسبة الأقوال التي نصَّ على أصحابها إلا في بعض المواضع القليلة، وتفصيل القول في ذلك سيكون عند الحديث عن منهج الراغب في تفسيره.

ثانياً: المصادر الخاصة:

على الرغم مما تقرر من أن الراغب لا يكاد يذكر مصادره إلا نادراً، فقد أمكنني الوقوف على عدد من المصادر التي استفاد منها الراغب

ونقل عنها في تفسيره، وذلك من خلال وجود هذه النقول بعينها في تلك المصادر إذا كانت مطبوعة، أو ذكر بعض العلماء لمصدر القول إذا كان غير مطبوع، مما يؤكد رجوع الراغب إلى هذه المصادر والنقل عنها.

ومما يجب التنبيه عليه هنا: أن الراغب لا يلتزم الدقة في النقل عمن استشهد بأقوالهم، حيث كان يتصرف في كلامهم، بالاختصار تارة، وبذكره بالمعنى تارة أخرى، وسوف يتضح ذلك من خلال ذكر بعض الأمثلة عند كل مصدر من المصادر.

١- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

ذكر الراغب قول الخليل عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] فقال: قال الخليل: التمحيصُ: التخليص عن العبد، يقال: مَحِّص عنا ذنوبنا.

والذي في العين قال الخليل: المَحْصُ: خلوص الشي، محصتُه محصاً: خلّصته من كلّ عيب.. والتمحيصُ التطهير من الذنوب»[٢].

٢- كتاب معاني القرآن للأخفش (ت ٢١٠هـ):

قال الراغب: «والراجع إليه من قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾[٣] أحد شيئين: إما محذوف، أي جاءكم رسول

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

(٢) العين (٣/ ١٢٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

به، وإما لأن قوله: ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ هو في المعنى الكتاب، فاستغنى به عن الضمير، كقولك: الذي أتاني لا أضرب عمراً إذا كان عمروٌ هو الذي أتاه، وهذا أجازه الأخفش»[1].

قال الأخفش: «وإن شئت جعلت خبر (ما) ﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ تريد: لما آتيتكم كتابٌ وحكمة، وتكون (من) زائدة»[2].

٣- معاني القرآن للفرّاء (ت ٢٠٧هـ):

(أ) قال الراغب عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[3] «اللهم: تقديره عند سيبويه: يا الله.. وعند الفرّاء تقديره: يا الله امنا بخير»[4].

وهذا القول مذكور في معاني القرآن للفرّاء على ما ذكر الراغب[5].

(ب) ونقل الراغب قول الفرّاء عند قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6] فقال: «..وقول الفرّاء: اصطفاؤهم: اختيار دينهم»[7]، وهذا القول موجود في معاني القرآن للفرّاء حيث قال: «يقال: اصطفى دينهم

---

(١) انظر الرسالة ص (٦٧٧).
(٢) معاني القرآن (١/ ٤١٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٤) الرسالة ص (٤٨٨، ٤٨٩).
(٥) انظر: معاني القرآن، للفراء (١/ ٢٠٣).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٧) الرسالة ص (٥٢٣).

على جميع الأديان»[١] . وفيه تصرف من الراغب .

(ج) ونقل الراغب قول الفرّاء عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾[٢] فقال : «قال الفرّاء : قُرِئَ تَدْخرون خفيفة»[٣] . والقول موجود في معاني القرآن على ما ذكر الراغب[٤] .

(د) ونقل الراغب قول الفرّاء عند قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾[٥] فقال : «وقال الفرّاء : يقال حَسَسْتُ ، وحَسِسْتُ وحسيت وأحست»[٦] .

وقد اختصر الراغب كلام الفرّاء وتمام كلامه : « . . فإذا قلت حَسَسْتُ بغير ألف فهي في معنى الإفناء والقتل ، من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾[٧] . والحسُّ أيضاً العطف والرقة . . وسمعت بعض العرب يقول : ما رأيت عُقَيليًا إلا حَسَسْتُ له ، وحَسِسْتُ لغة . والعرب تقول : من أين حَسَيْت هذا الخبر؟ يريدون : من أين تخبَّرته؟ وربما قالوا : حسيت بالخبر وأحسيت به . . وقد تقول العرب : ما أَحَسْتُ بهم أحداً فيحذفون السين الأولى»[٨] .

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٠٧).

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .

(٣) الرسالة ص (٥٧١).

(٤) انظر : معاني القرآن (١/ ٢١٥).

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٥٢ .

(٦) الرسالة ص (٥٨١).

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٨) معاني القرآن (١/ ٢١٦ ، ٢١٧) . وانظر : أقوالاً أخرى عن الفرّاء وتوثيقها من كتاب معاني القرآن في هذه الرسالة ، ص : (٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٧٨٨ ، ٨٠٥ ، ٩١٧ ، ١١٩٣ ، ١٣٥٣ ، ١٣٨٢).

٤- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ):

ذكر الراغب قول ابن قتيبة عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[(١)] فقال: «وقال القتيبي: يضاعف للمرة ويضعّفُ للتكثير»[(٢)].

والذي في غريب القرآن ﴿ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ أي يؤتي مثلها مرات، ولو قال: يضَعِّفها لكان مرة واحدة[(٣)]، ويبدو أن عبارة الراغب قد تصحَّفت في التفسير، مما أدى إلى قلب المعنى، فجعل يضعّف للتكثير، ويضاعف للمرة، يدلّ على ذلك أن الراغب قال في المفردات: «قال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضَعَّفتُ»[(٤)].

٥- مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ):

(أ) ذكر الراغب قول أبي عبيدة عند قوله تعالى: ﴿ بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[(٥)] فقال: «وقال أبو عبيدة: كتاب الله»[(٦)]. وهذا القول موجود في مجاز القرآن على ما ذكر الراغب[(٧)].

(ب) وذكر الراغب قول أبي عبيدة عند قوله تعالى: ﴿ وَلِأُحِلَّ

(١) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٢) الرسالة ص (١٢٤٢).
(٣) تفسير غريب القرآن ص (١٢٧).
(٤) المفردات ص (٥٠٨).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٦) الرسالة ص (٥٣٧).
(٧) مجاز القرآن (١/ ٩١).

﴿لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[1] فقال: «وقال أبو عبيدة: عنى ببعض الذي حرّم الكلّ، واحتجَّ بقوله:

أو يرتبط بعض النفوس حمامها»[2].

وهذا الكلام ذكره الراغب مختصراً، فقد قال أبو عبيدة: «بعضٌ يكون شيئاً من الشيء، ويكون كلَّ الشيء. قال لبيد بن ربيعة:

تـرّاكُ أمكنـةٍ إذا لـم أرضهـا أو يَعْتَلِق بعض النفوس حمامُها

فلا يكون الحُمام ينزل ببعض النفوس، فيُذهب البعضَ، ولكنه يأتي على الجميع»[3].

(ج) وذكر الراغب قول أبي عبيدة عند قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[4] فقال: «وقول أبي عبيدة: الحواريون صفوة الأنبياء»[5]، والقول مذكور في مجاز القرآن على ما ذكر الراغب[6].

٦- كتاب سيبويه (ت ١٨٨هـ):

(أ) ذكر الراغب قول سيبويه عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[7] فقال: اللهم: تقديره عند سيبويه يا الله، والميمان بدل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٥٠).

(٢) الرسالة ص (٥٧٨).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٩٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٥٢).

(٥) الرسالة ص (٥٨٤).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٩٥).

(٧) سورة آل عمران، الآية: (٢٦).

من يا، ولا يستعمل ذلك إلا في هذه اللفظة فقط»[1].

ونصّ كلام سيبويه في الكتاب: «وقال الخليل ـ رحمه الله ـ اللهم نداء، والميم هنا بدل يا.. فقد صرفوا هذا الاسم على وجوه لكثرته في كلامهم، ولأن له حالاً ليست لغيره»[2] وتصرُّفُ الراغب في الكلام ظاهرٌ.

(ب) وذكر الراغب قول سيبويه عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[3] فقال: «.. وعلى هذا حمل سيبويه الآية، وقال: وسألته ـ يعني الخليل ـ عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ فقال: ما هاهنا بمنزلة (الذي) ودخلتها اللام كما دخلت على (إن) حين قلت: والله لئن فعلت لأفعلن»[4]. وهذا الكلام مذكور في كتاب سيبويه بنحو ما ذكر الراغب[5].

٧- معاني القرآن للزجاج (ت ٣١١هـ):

نقل الراغب أقوال الزجاج في كثير من مواضع كتابه، ومن ذلك:

(أ) ذكر قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[6] فنقل قول أبي عبيدة، ثم قال: «وقال الزجاج: هذا فاسد، لأن البعض لا يكون بمعنى الكل، وعنى لبيد ببعض

---

(١) الرسالة ص (٤٨٨، ٤٨٩).
(٢) الكتاب (٢/ ١٩٧).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٤) الرسالة ص (٦٧٨، ٦٧٩).
(٥) الكتاب (٣/ ١٠٧).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

النفوس نفسه خاصة فعَرَّض، ولأن عيسى حلَّل بعض المحرمات، وهو الذي كانوا حَرَّموا على أنفسهم»[1].

وقد تصرف الراغب في نقل عبارة الزجاج، واختصرها، حيث قال الزجاج ما نصّه: «وهذا مستحيل في اللغة وفي التفسير وما عليه العمل، فأما استحالته في اللغة، فإن البعض والجزء لا يكون الكلَّ، وأنشد في ذلك أبو عبيدة بيتاً غلط في معناه وهو قول لبيد:

ترّاك منزلة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حِمامها

قال: المعنى: «أو يعتلق كلّ النفوس حمامها» وهذا كلام تستعمله الناس، يقول القائل: بعضنا يعرفك، يريد أنا أعرفك، فهذا إنما هو تبعيض صحيح، وإنما جاءهم عيسى بتحليل ما كان حراماً عليهم، قال الله عز وجل: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[2] وهي نحو الشحوم وما يتبعها في التحريم، فأما أن يكون أحلَّ لهم القتل والسرقة والزنا فمحال»[3].

(ب) ونقل الراغب قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾[4] فقال: «وقال الزجاج: الرَّبَّاني: منسوب إلى الربِّ، لكن يزيد فيه ألف ونون للمبالغة في النسبة، كما زِيْدَ في لحياني وجماني»[5].

---

(١) الرسالة ص (٥٧٩).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٠.
(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٥) الرسالة ص (٦٦٨).

والذي في معاني القرآن للزجاج: «والربانيون: أرباب العلم والبيان، أي كونوا أصحاب علم، وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما زيد في لحياني وجماني»[1].

(ج) ونقل الراغب قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2] فقال: «وقال الزجاج: أحسن من تأويلكم من غير ردٍّ إلى كتاب الله والسنة»[3]. ونصُّ الزجاج في المعاني: «أي أن ردَّكم ما اختلفتم فيه إلى ما أتى من عند الله، وترككم التحارب خير وأحسن تأويلًا لكم، أي أحسن عاقبةً لكم، وجائز أن يكون أحسن تأويلًا: أي أحسن من تأوُّلكم أنفسكم، دون ردّكم إياه إلى الكتاب والسنة»[4]، وتصرف الراغب واختصارُهُ من الكلام ظاهر[5].

٨- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ):

يبدو أن الراغب استفاد من كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وإن كان لم يشر إلى ذلك، وقد ظهر ذلك من خلال التشابه الواضح في عرض بعض قضايا التأويل واللغة. فمثلًا عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[6] قال الراغب: «وتعالَ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) الرسالة، ص (١٢٩٠).
(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨).
(٥) انظر نماذج أخرى من استدلال الراغب بكلام الزجاج وتوثيقها من كتاب معاني القرآن وإعرابه في هذه الرسالة، ص (٥٢٣، ٨٠٣، ٩٤٠، ١٠٣٤، ١٣٥٧، ١٣٦٤).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

قال أهل اللغة: أصله أن يدعو إلى مكان رفيع، ثم جُعِلَ عاماً في الدعاء إلى كل مكان»[1].

وهذا المعنى نفسه ذكره ابن قتيبة في «تأويل المشكل» فبعد أن نقل قول الفرّاء قال: «هو من العلوّ، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرفٍ: تعال، أي اهبط، وإنما أصلها الصعود»[2].

مثال آخر: عند قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[3] قال الراغب: وقوله: أكفرتم تقديره: فيقال: أكفرتم، وحذف القول من نحو ذلك كثير نحو: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾[5]، أي يقولون»[6].

وهذا الكلام نفسه عند ابن قتيبة في «تأويل المشكل» حيث قال: «﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ والمعنى: فيقال لهم: أكفرتم؟ وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ والمعنى: يقولون: ربنا أبصرنا»[7].

---

(١) الرسالة ص (٦٠٥).
(٢) تأويل مشكل القرآن ص (٥٥٦).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٥) سورة السجدة، الآية: ١٢.
(٦) الرسالة ص (٧٨٤).
(٧) تأويل مشكل القرآن ص (٢١٦).

مثال ثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾[1] قال الراغب: وفي موضع آخر: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2] وذلك أنك إذا بلغت الكبر فقد بلغك الكبر»[3]. وكلام الراغب يعتبر شرحاً لكلام ابن قتيبة في المشكل، حيث قال: «قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي بلغته[4].

فهذه الأمثلة جميعاً تشير إلى استفادة الراغب من كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وكونه مصدراً له في تفسيره، يؤكد ذلك معرفة الراغب بابن قتيبة وكتابه تفسير غريب القرآن كما سبق بيانه.

٩- المقتضب للمبرد (ت ٢٨٥هـ):

ذكر الراغب قول المبرد عند قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾[5] فقال: «وقال المبرد: هو دعاء عليهم»[6].

وقد ذكر الراغب خلاصة كلام المبرد في المقتضب، وتمام كلامه: «وقد أجاز قوم أن يضعوا (فعل) في موضعها، كما نقول: إن ضربتني ضربتك.. وتأولوا هذه الآية من القرآن على هذا القول، وهي قوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾، وليس الأمر عندنا كما

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.
(٢) سورة مريم، الآية: ٨.
(٣) الرسالة ص (٥٤٤).
(٤) تأويل مشكل القران ص (١٩٥).
(٥) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٦) الرسالة ص (١٣٨٣).

قالوا، ولكن مخرجها ـ والله أعلم إذا قرئت هكذا ـ الدعاءُ كما تقول: لُعِنُوا، قُطِعَتْ أيديهم»[1].

١٠- كتاب الفروق لأبي هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ):

لم يشر الراغب إلى أبي هلال العسكري ولا إلى كتابه «الفروق» ولو مرة واحدة، ومع ذلك فإن الباحث يرجح معرفة الراغب لكتاب «الفروق»، واستفادته منه، وذلك للأسباب التالية:

أولًا: أن أبا هلال العسكري متقدم على الراغب، فقد توفي سنة ٤٠٠هـ.

ثانياً: إكثار الراغب من ذكر الفروق بين الكلمات في كتابه، ومنها كثير من الفروق التي ذكرها العسكري في كتابه.

ثالثاً: تطابُقُ رؤية الاثنين في ظاهرة الترادف اللغوي، فإنهما لا يكادان يسلِّمان بأن هناك ترادفاً لغويًّا ألبتة.

رابعاً: تشابه كلام الراغب مع كلام العسكري في بعض ما ذكر من الفروق: ككلامهما في الفرق بين التأويل والتفسير، فقد قال الراغب في مقدمة جامع التفاسير: «والتفسير أكثره يُستعملُ في مفردات الألفاظ، والتأويل يستعمل أكثره في الجمل»[2].

وعند العسكري: الفرق بين التأويل والتفسير: «أن التفسير هو الإخبار عن إفراد آحاد الجملة، والتأويل: الإخبار بمعنى الكلام»[3].

---

(١) المقتضب (٤/ ١٢٤).

(٢) مقدمة جامع التفاسير ص (٤٧).

(٣) الفروق ص (٦٢).

وانظر كلامهما في الفرق بين الإفضال والإحسان[1]، والفرق بين السرعة والعجلة[2].

١١- تفسير الجبَّائي (ت ٣٠٣هـ):

نقل الراغب عن الجبائي في مواضع كثيرة من كتابه، فكان يقول: وقال الجبائي. أو: وقول الجبائي. ثم يذكر كلامه، ويردّ عليه غالباً، ولم يُشِرْ إلى أن كلامه هذا من التفسير، وقد رجَّح الباحث أن يكون مصدر الراغب في ذلك هو تفسير الجبائي لما يلي:

أولاً: أن الكلام يتعلق بتفسير القرآن، فأقرب المصادر في ذلك هي كتب التفسير.

ثانياً: أن من ترجم للجبائي ذكر أنه كان من كبار مفسِّري المعتزلة، وذكروا من مصنفاته: كتاب في تفسير القرآن[3].

ثالثاً: أن بعض العلماء ذكروا نفس الأقوال، التي ذكرها الراغب عن الجبائي، ونسبوها للجبائي في تفسيره، وهذا دليل على أن مصدر الراغب في هذه النقول هو تفسير الجبائي، مثال ذلك ما ذكره الراغب عن الجبائي في قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا** ﴾ قال: «وقال الجبائي: يجوز أن كان رزقاً يأتيها به غير زكريا من حيث لا يعلمه»[4].

---

(١) ص (٩٨٧) من هذه الرسالة.

(٢) ص (٩٩٩) من هذه الرسالة.

(٣) انظر ترجمته (ص٤٣٨). وقد ذكر ابن عساكر أن الإمام أبا الحسن الأشعري ردّ على تفسير الجبائي في كتابه المسمى: «تفسير القرآن، والردّ على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان، ونقض ما حرّفه الجبائي والبلخي في تأليفهما» انظر: تبيين كذب المفتري ص (١٣٦، ١٣٧).

(٤) الرسالة ص (٥٣٣).

وهذا القول عن الجبائي ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره، ثم قال: «وهذا مجموع ما قاله الجبائي في تفسيره، وهو في غاية الضعف»[1].

١٢- تفسير الأصم (ت ٢٠٠هـ):

ذكر الراغب كلام الأصم في كثير من المواضع[2]، وردَّ عليه في بعضها، وقد أشار مترجموه في ترجمته أن له تفسيراً على طريقة المعتزلة[3].

ومن المواضع التي نقل فيها عنه ما يلي:

(أ) عند تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[4]. نقل عن الأصم قوله: «المحكمات ما حججه ظاهرة، والمتشابه ما حججه غامضة»[5].

(ب) قال الراغب: «وقال الأصم: سُمِّي عيسى كلمة، لأنه تعالى خلق كلمة فجعل منها عيسى، كما خلق آدم من تراب، وسائر الناس من نطفة»[6].

(ج) عند تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

---

(١) مفاتيح الغيب (٨/ ٢٨).
(٢) انظر: الرسالة، ص: (٥٩٠، ٧٣٤، ٩٣٥، ١١٨٦، ١٢٢٧، ١٢٨٩، ١٣٩٠).
(٣) انظر: ترجمته ص (٤٢١) من هذه الرسالة.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٥) انظر: ص (٤٢١) من هذه الرسالة.
(٦) انظر: ص (٥٦١) من هذه الرسالة.

﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1]، قال: «وقال الأصم: عادة الله جارية فيما أخبر عن كونه أن يقول في وقت ما يحدثه: كن. كخلقه لآدم. كما قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾ قال له: كن. لما أراد إحداثه تنبيهاً لهم. وكذلك لما أخبر أنه سيبعث نبيًّا خلقه من غير ذكر. قال له: كن. لما أراد إحداثه»[2].

١٣- كتاب النظم للجرجاني (من علماء القرن الرابع):

وهذا الكتاب ذكره الراغب في تفسيره عند كلامه عن قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[3] فقال: «وقال الجرجاني في كتاب النظم: تقديره: إن جاؤوكم حصرت صدورهم. فحذف (إن). قال: والفعل الماضي يقع في الشرط موقع المستقبل»[4].

١٤- تفسير ابن بحر (ت ٣٢٢هـ):

ذكر مترجمو ابن بحر أن له تفسيراً على طريقة المعتزلة، اسمه «جامع التأويل لمحكم التنزيل»[5]، وقد نقل الراغب عن ابن بحر كثيراً من أقواله في التفسير مما يؤكد رجوعه إلى كتابه هذا[6].

ومن ذلك ما يلي:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.
(٢) انظر: ص (٥٦٨) من هذه الرسالة.
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٤) الرسالة ص (١٣٨٣).
(٥) انظر: ترجمته في الرسالة ص (٨٥٧).
(٦) انظر: هذه الرسالة، ص: (٨٥٧، ٩١٧، ١٢١٥، ١٣٤١، ١٤٢٦، ١٤٣٥).

(أ) عند تفسيره للآية رقم (١٠٥) من سورة النساء، قال الراغب: «قال ابن بحر: يجوز أن تكون هذه الآية راجعة إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[1] فبيّن أنهم مع إظهارهم الإيمان بما أُنْزِل على الأنبياء يصدون عمّا يُدعون إليه من حكم الكتاب»[2].

(ب) عند تفسيره للآية رقم (١١٢) من سورة النساء، قال الراغب: «قال ابن بحر: إن ذلك يرجع إلى المنافقين الذين حكى . . »[3].

(ج) عند تفسيره للآية رقم (١١٣) من سورة النساء ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾، قال الراغب: «وذكر ابن بحر وجهين: أحدهما: لولا فضل الله بما أنزله من الكتاب والحكمة لهمَّ الكافرون بإضلاله وإدخاله معهم في عبادة الأصنام. . والثاني: أن الإضلال عبارة عن الإهلاك»[4].

هناك مصادر أخرى للراغب استفاد منها في كتابه، ونقل عن أصحابها، في مجال التفسير، أو اللغة أو الفقه، إلا أنه لم يعيّن تلك المصادر، ولم يترجح لي شيء منها، لذلك فسوف أذكر أصحاب هذه النقول لكونهم أصحاب تلك المصادر، دون تحديد أي كتاب لهم، فمن هؤلاء:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.
(٢) انظر: هذه الرسالة ص (١٤٢٦).
(٣) انظر: هذه الرسالة ص (١٤٣٣).
(٤) انظر: هذه الرسالة ص (١٤٣٥).

١٥- ١- البلخي المعتزلي(١).

١٦- ٢- الجاحظ المعتزلي(٢).

١٧- ٣- النظّام المعتزلي(٣).

١٨- ٤- أبو الهذيل العلاف المعتزلي(٤).

١٩- ٥- الكسائي(٥).

٢٠- ٦- مؤرج(٦).

٢١- ٧- الأصمعي(٧).

٢٢- ٨- الشافعي(٨).

٢٣- ٩- ابن داود(٩).

٢٤- ١٠- ابن الأعرابي(١٠).

٢٥- ١١- مالك بن أنس(١١).

---

(١) انظر: قوله وترجمته ص (٤٩٢)، وله قول آخر ص (٥٢٣).
(٢) انظر: قوله وترجمته ص (٥٦١).
(٣) انظر: قوله وترجمته ص (٥٦٢).
(٤) انظر: قوله وترجمته ص (٥٦٨).
(٥) انظر: قوله وترجمته ص (٦٤٣)، وله قول آخر ص (٦٤٥).
(٦) انظر: قوله وترجمته ص (٦٦٨).
(٧) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٤).
(٨) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٣)، وانظر: بقية أقواله ص (١١٥٨، ١١٨٣، ١١٨٦).
(٩) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٤).
(١٠) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٤).
(١١) انظر: قوله وترجمته ص (١٠٩٦)، وانظر: بقية أقواله ص (١١٨٣، ١١٨٦، ١١٨٩، ١٢٢٧، ١٣٩٧).

٢٦- ١٢- قطرب[١].

٢٧- ١٣- أبو حنيفة[٢].

٢٨- ١٤- أبو علي الفسوي[٣].

٢٩- ١٥- علي بن موسى القمّي[٤].

* * *

(١) انظر: قوله وترجمته ص (١١٣٢).

(٢) انظر: ترجمته ص (١١١٠)، وانظر: أقواله وأقوال أصحابه ص (١١١٠، ١١٥٨، ١١٧٥، ١١٧٩، ١١٨٣، ١٢١٩).

(٣) انظر: قوله وترجمته ص (١٣٨٤).

(٤) انظر: قوله وترجمته ص (١٣٩٠، ١٣٩١).

المبحث الثاني: تحديد نوعية تفسير الراغب

هناك نوعان من التفسير؛ تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، فإلى أي النوعين ينتمي تفسير الراغب الأصفهاني؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل لابد من معرفة طبيعة هذين النوعين من التفسير، وما يشتمل عليه كل منهما من مزايا وضوابط، وما يفترق فيه كل منهما عن الآخر.

فالتفسير بالمأثور يشمل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وبما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك بما ورد عن التابعين من أقوال في التفسير[1].

أما التفسير بالرأي فهو قسمان: قسم جائز، وقسم مذموم. فالجائز عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر.

أما المذموم من التفسير بالرأي فهو تفسير القرآن بالهوى والتخمين والظن دون الرجوع إلى الأدلة الشرعية من القرآن والسنة، ودون السير وفق قوانين اللغة العربية، فيفسر القرآن مع جهالته بقوانين اللغة وأصول الشريعة، ويخوض فيما استأثر الله بعلمه من الأمور

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ١٥٢).

الغيبية، ويقطع بأن مراد الله كذا وكذا دون حجة واضحة، ويجعل مذهبه الفاسد أصلًا والتفسير تابعاً له، فيحتال في التأويل حتى يتوافق مع مذهبه وعقيدته بكل ما أمكنه[1].

وإذا نظرنا إلى ما قاله الراغب في قضية المأثور والرأي، وجدنا أنه يأخذ مذهباً وسطاً في ذلك، فيقول: اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علمٍ الخوض فيه؟ فبعضٌ شدّد في ذلك، وقال: لا يجوز لأحدٍ تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متَّسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روي له عن النبيّ ﷺ، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين. . . .

وذكر آخرون أن من كان ذا أدبٍ وسيع فموسَّع له أن يفسره، فالعقلاء الأدباء فوضى فضاً[2] في معرفة الأغراض، واحتجوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

وذكر بعض المحققين أن المذهبين هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكلِّ أحدٍ الخوض فيه فقد عرَّضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى:

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٥).

(٢) فوضى فضاً: أي شركاء متساوون. انظر اللسان (٧/ ٢١٠).

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .

ثم ذكر الراغب بعد ذلك العلوم، التي هي لازمة لكل من تعاطى تفسير كتاب الله تعالى، وقسمها إلى علوم لفظية وعقلية وموهبية :

فالأول : معرفة الألفاظ، وهو علم اللغة .

والثاني : مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، وهو الاشتقاق .

والثالث : معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتصاريف والإعراب، وهو النحو .

والرابع : ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات .

والخامس : ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاصيص التي تنطوي عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار .

والسادس : معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمل والمفسر، والقياسات الشرعية، والمواضع التي يصح فيها القياس، والتي لا يصح، وهو علم أصول الفقه .

والسابع : أحكام الدين وآدابه وآداب السياسات الثلاث، التي هي سياسة النفس والأقارب والرعية، مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد .

والثامن : معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونات وغير ذلك، وهو علم الكلام.

والتاسع : علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله من عمل بما علم.

ثم قال الراغب: فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسر، ولا تتم صناعة إلا بها هي هذه العشرة: علم اللغة والاشتقاق والنحو والقراءات والسير، والحديث وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه، ومن نقص عن بعض ذلك مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، وأحس من نفسه في ذلك بنقصه واستعان بأربابه واقتبس منهم، واستضاء بأقوالهم لم يكن ـ إن شاء الله ـ من المفسرين برأيهم[1]. فإن القائل بالرأي هاهنا من لم تجتمع عنده الآلات التي يستعان بها في ذلك، ففسَّره وقال فيه تخميناً وظنَّاً[2] اهـ.

إذا نظرنا إلى تفسير الراغب في ضوء ما سبق أمكن القول بأنه من أقسام التفسير بالرأي الجائز، لأنه وإن احتوى على خصال التفسير بالمأثور من تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، إلا أنه لم يكتفِ بذلك في تفسيره، ولم يلتزم به في كل آية قام بتفسيرها، ولم يورد أقوال جميع الصحابة في التفسير، بل ذكر أقوال أعيانهم

---

(١) أي برأيهم المذموم.

(٢) مقدمة جامع التفاسير، للراغب ص (٩٣-٩٦).

الذين لم يتعدوا اثني عشر صحابيًّا فقط .

وهو ليس من قبيل التفسير بالرأي المذموم، لأنه لم يفسر القرآن بالهوى والظن والتخمين، وإنما فسَّره في ضوء معرفته بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، مسترشداً في بعض الأحيان بأقوال الصحابة والتابعين، سائراً على قوانين اللغة، كما أنه التزم ببقية العلوم المساعدة للمفسر، المخرجة له عن كونه مفسراً بالرأي المذموم.

* * *

المبحث الثالث: محاور منهج الراغب في التفسير

يمكن البحث في منهج الراغب من خلال المحاور التالية :

المحور الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

المحور الثاني : السنة النبويّة في تفسيره .

المحور الثالث : أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره

المحور الرابع : العربيّة في تفسيره .

المحور الخامس : مجالات النظر في تفسيره .

المحور السادس : مسائل العقيدة في تفسيره .

المحور السابع : مسائل الفقه في تفسيره .

***

اهتم الراغب كثيراً بهذا النوع من التفسير بالمأثور، علماً منه بأهمية وحاجة المفسِّر إليه، فكان يفسِّر الآية بذكر نظائرها في القرآن، ويستدل بالقرآن على تعدد المعاني للكلمة الواحدة، ويحمل المجمل على المبين ليفسر به، وكذلك يحمل المطلق على المقيد، بل كان يجمع ما يُتوهم أنه مختلف من خلال القرآن نفسه، أو يقرر قواعد لغوية، وأساليب بلاغية معتمداً على القرآن. وهذا يدل على براعة الرجل في الاستفادة من كتاب الله تعالى، ويدلُّ كذلك على قوة حفظه، واستحضاره لنصوص الكتاب العزيز متى ما أراد، وسوف نذكر بعض الأمثلة على كل فقرة من الفقرات السابقة، تدلُّ على اهتمام الراغب بهذا النوع من التفسير:

أولاً: تفسير الآية بذكر نظائرها:

١ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). ذكر الراغب الآيات التي تشبه هذه الآية، فقال: «وقد عظّم الله موالاة الكافرين ومودتهم والركون إليهم في آيات، كقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾(٢).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨. انظر: الرسالة ص (٥٠٢).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١.

وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1].

وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[2].

وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[3]، وأمرنا بالإعراض عنهم، فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾[4].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[5] ذكر الراغب نظائر هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[6].

وقوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾[7].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[8].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ﴾[9].

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾[10] قال

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٧، وانظر: الرسالة ص (٦٥٩، ٦٦٠).
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٨) سورة المؤمنون، الآية: ٨.
(٩) سورة الرعد، الآية: ٢٠.
(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

الراغب[1] : كقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ ﴾[4] .

٤- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾[5] ذكر الراغب نظائر هذه الآية من الآيات التي تدل على عدم نفع إيمان من آمن عند رؤية العذاب ، أو إيمان من مات كافراً عند البعث والحساب[6] ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[7] .

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ ﴾[8] .

وقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾[9] .

---

(١) الرسالة ص (٨٢٨، ٨٢٩).

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٤ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٦٧ .

(٤) سورة آل عمران، الآية : ٧٢ .

(٥) سورة النساء، الآية : ١٨ .

(٦) الرسالة ص (١١٤٨).

(٧) سورة غافر، الآية : ٨٥.

(٨) سورة الأنعام، الآية : ١٥٨ .

(٩) سورة المؤمنون، الآية : ٩٩ ، ولمزيد من معرفة الشواهد انظر : الرسالة، ص : (٥١٧ ، ٥٥٩ ، ٦٧٠ ، ٧٢٣ ، ٨١١ ، ٨١٧ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٨٧ ، ١١٩٦ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٧٨ ، ١٣١٥ ، ١٣١٩ ، ١٣٣٢ ، ١٣٤٤).

ثانياً: الاستدلال بالقرآن على تعدد معاني الكلمة الواحدة:

١ - استدل الراغب بالقرآن عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[١] على أن كلمة (الرجم) تطلق على النجم المنقض، وتطلق أيضاً على الظنّ والكلام المقرّع.

قال الراغب[٢]: وأصل الرجم الرمي بالرجام أي الحجارة، وقيل ذلك للنجم المنقض، لقوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾[٣]، وقيل للظنّ والكلام المقَرّع: رجم، ومنه ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾[٤].

٢- واستدل الراغب بالقرآن على أن كلمة (الوحي) تقال للكتابة والإلهام والكلام والوساوس، وذلك عند تفسير قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾[٥]. فقال[٦]: قد تقدم أنواع الوحي، وأن أصله الإشارة، ويقال للكتابة وحي، وإذ هي إشارة ما، وقد يكون الوحي بالإلهام، كما يكون بضرب من الكلام، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾[٧]، وقد يقال ذلك للوساوس نحو قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾[٨].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٢) انظر: الرسالة ص (٥٢٨).
(٣) سورة الملك، الآية: ٥.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٦) الرسالة ص (٥٥٨).
(٧) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[(١)] ذكر الراغب[(٢)] أن الفسق يطلق على الذنب الصغير، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾[(٣)]. ويطلق تارة على الكفر والشرك، نحو ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[(٥)].

٤- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ ﴾[(٦)] ذكر الراغب[(٧)] أن الهداية تأتي في القرآن بمعنى العقل المميز، لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[(٨)]، وأنها تأتي بمعنى التزكية والتوفيق، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾[(٩)]. وأنها تأتي بمعنى دخول الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[(١٠)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٢.
(٢) انظر: الرسالة ص (٦٨٥).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٨.
(٥) سورة السجدة، الآية: ٢٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٧) انظر: الرسالة ص (٦٩٤، ٦٩٥).
(٨) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٩) سورة يونس، الآية: ٩.
(١٠) سورة محمد، الآيات: ٤-٦، ولمزيد من الشواهد انظر: الرسالة، ص: (٤١٣، ٤٥٢، ٤٥٣، ٥٢٦، ٥٤٩، ٥٦٢، ٦٧٤، ٧٥٠، ١٢٥٣، ١٢٧٠، ١٣٠٧).

ثالثاً: توضيح المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات الأخرى:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[١] ذكر الراغب[٢] ما يدل على تقييد عدم قبول توبتهم، فقال: قيل معناه لن تقبل توبتهم بعد الموت. وقيل عند الموت والمعاينة، نحو: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾[٣].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤] بين الراغب بعضاً من جوانب هذا الصراط، فقال: أي الطريق المسئول أن يهدينا إياه في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٥] والمدعو إليه بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾[٦]، والمأمور به في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٧].

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[٨] قال الراغب[٩]: «وعلى قوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ يُحمَلُ قوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.
(٢) الرسالة ص (٧٠٦).
(٣) سورة النساء، الآية: ١٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.
(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٧) سورة النحل، الآية: ١٢٥. وانظر الرسالة ص (٧٥٦).
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٩) الرسالة ص (٧٣٥، ٧٣٦).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[2]، وقوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[3].

٤- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾[4] بين الراغب أن النهي عن الجدال ليس على إطلاقه، فقال[5]: والجدال المطلق المذموم، ولهذا لم يطلقه للنبي ﷺ حتى قيده، فقال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[6].

رابعاً: الجمع بين ما يُتَوَهَّم أنه مختلف من آيات الكتاب العزيز:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[7] قال الراغب[8]: «إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقال فيما قبله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[9] قيل:» ثم شرع الراغب في الجمع بين الآيتين.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[10] ذكر الراغب[11] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٧.
(٥) الرسالة ص (١٤٢٧).
(٦) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧١.
(٨) الرسالة ص (٦٣٤).
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.
(١٠) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(١١) الرسالة ص (٦٩٦، ٦٩٧).

﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾[1] ثم قال: إن قيل: كيف نفى عن الكافر الهداية في هذه المواضع، وأثبت له في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[2]؟» ثم شرع الراغب في الإجابة على هذا التساؤل بما ينفي أيَّ تضارب بين آيات الكتاب العزيز.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[3] قال الراغب[4]: إن قيل: لِمَ وصفهم بالفرح، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[5]، ثم بين رحمه الله أنه لا تعارض بين الآيتين.

٤- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۞ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[6]. ذكر الراغب أن قوماً من الملحدة طعنوا في هاتين الآيتين، وذكروا أنهما متناقضتان، لأنه يقول في الأولى ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ويقول في الثانية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾. ثم شرع الراغب في الردّ على هؤلاء، وبيّن وَهَنَ قولهم وهَزِيلَ اعتراضِهم[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.
(٤) الرسالة ص (٩٨٤).
(٥) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٦) سورة النساء، الآيتان: ٧٨، ٧٩.
(٧) الرسالة ص (١٣٣٢ - ١٣٣٥). ولمزيد من الشواهد انظر: الرسالة، ص: (٦٦١، ٦٦٢، ٨٠٩، ١٢٣٣، ١٣٣٢، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٧٤).

القراءات في تفسير الراغب:

ذكر الراغب الأصفهاني علم القراءات ضمن العلوم التي ينبغي على المفسِّر معرفتها، وجعله مما يتعلق بذات التنزيل، وعلَّل السيوطي ذلك بكون هذا العلم وسيلةً لمعرفة كيفية النطق بالقرآن، وبه أيضاً يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض[1]. وقال أيضاً: «من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة، وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فيُظَنُّ اختلافاً وليس باختلاف، وإنما كلٌّ تفسير على قراءة، وقد تعرض السلف لذلك»[2].

فالقراءة إذن لها تأثير عظيم في اختلاف التفسير وتعدد الأقوال حتى عند المفسر الواحد.

وقد كان اهتمام الراغب الأصفهاني بالقراءات من هذا الجانب فقط، وهو جانب «الدراية». أما جانب «الرواية» فلم يعتن به عند ذكر القراءات، وقد اتضح ذلك من خلال ما يلي:

١- أنه لم يحدد طريقته في التعامل مع القراءات المختلفة من حيث القبول أو الرد.

٢- كان اهتمامه بالقراءات منصبًّا على جانب التعليل والتوجيه دون الاهتمام بثبوت القراءة من عدمه.

---

(١) الإتقان (٢/ ٤٥٠).

(٢) الإتقان (٢/ ٤٥٦).

٣- لم يُشِـرْ إلى مصادره في القراءات .

٤- لم يُشِـرْ إلى صاحب القراءة إلا نادراً .

٥- كان يورد القراءات المتواترة والشاذة معاً دون تفرقة .

٦- أكثر من ذكر القراءات الشاذة دون التنبيه على شذوذها .

ومع ذلك فقد برع الراغب في الاستفادة من القراءات بما يخدم جانب التفسير، حيث استخلص من القراءات القرآنية كثيراً من المعاني، التي ساعدت على استجلاء ما في النصّ القرآني من: سمو البلاغة، وكمال الإعجاز، وبديع النظم .

وسوف أُشير في الصفحات التالية إلى نماذج من اهتمام الراغب بالقراءات، مع استخلاص الفوائد المتعلقة بمنهجه في ذلك .

أ- الجمع بين المتواتر والشاذ دون تنبيه:

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[١] ذكر الراغب بعض الأقوال، ثم قال: «وهذه الأقوال على قراءة من رفع (جنات) . فأما من جرَّها فلاشك أن ذلك داخل في جملة الاستفهام، لأنه بدل من قوله (بخير)»[٢] . ففي المثال قرن الراغب قراءة الرفع المتواترة، بقراءة الجر الشاذة[٣] ولم يُفرِّق بينهما، بل إنه وجّه القراءة الشاذة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥ .

(٢) الرسالة ص (٤٥٦، ٤٥٧).

(٣) انظر: مختصر شواذ القراءات ص (١٩)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

دون تنبيه على شذوذها من ناحية الرواية .

وقد حدّد ابن الجزري ضابط القراءات الشاذة والمتواترة، فقال: «كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة، التي لا يجوز ردُّها، ولا يحلُّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى أختلَّ ركن من هذا الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح الذي عند أئمة التحقيق من السلف والخلف»[(١)] .

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾[(٢)] قال الراغب: «وقرئ: (ألا تكلمُ) بالرفع والنصب»[(٣)] .

وقراءة النصب متواترة، أما قراءة الرفع فهي شاذة، لم يقرأ بها إلا ابن أبي عبلة، ومع ذلك أقرّها الراغب، ولم يشر إلى شذوذها»[(٤)] .

ب- والراغب كثيراً ما يذكر التوجيه الإعرابي للقراءة:

١- فعند قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[(٥)] قال: «وقرئ:

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤١ .

(٣) الرسالة ص (٥٥٠).

(٤) انظر: إعراب القراءات الشواذ (١/ ٣١٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٨ .

ويُعلّمه، عطفاً على قوله: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ﴾[1]. وبالنون عطفاً على قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ﴾[2]».

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[3] قال الراغب: «وقرئ (إني) على الاستئناف، ويكون تفسيراً للآية.. وإذا قرئ (أني) بالفتح، فعلى تقدير الجرِّ بدلاً من (آية) أو على تقدير الرفع خبر ابتداء مضمر، كأنه قال: الآية أني قد جئتكم»[4].

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾[5] قال الراغب: «بالرفع على الاستئناف، وبالنصب على العطف»[6].

ج- ذكر اختلاف المعنى لاختلاف القراءة:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[7] قال الراغب: «وإذا قرئ (تعلِّمون) فمعناه تعلّمون الناس الكتاب.. وإذا قرئ (تَعْلَمون) فمعناه: كونوا عاملين بما تعلِّمون غيركم»[8].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٤، وانظر الرسالة ص (٥٧٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٤) الرسالة ص (٥٧٦).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٦) الرسالة ص (٦٧٢).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٨) الرسالة ص (٦٧٤، ٦٧٥).

وَحِكْمَةٍ﴾[1] قال الراغب: «وأما من قرأ (لِمَا آتيتكم) بالكسر، فمعناه: أخذ الله الميثاقَ منهم لأجل الذي آتيتكم. و (ما) لا تكون هٰهنا إلا موصولة.. وقرئ (لَمَّا آتيتكم) أي أخذ الله ميثاق النبيين حين آتيتكم الكتاب»[2].

د- عدم التعليق على بعض الأقوال الشاذة حول القراءات:

١- من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[3] قال الراغب: «وروي أن الربيع قرأ (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وقال: هكذا أنزل وأخطأ الكاتب»[4]. وكان على الراغب أن يعلّق على هذا القول، ذاكراً ضعفه وخطأه، كما فعل الطبري في تفسيره[5]. أو عدم ثبوته عن مجاهد[6]، كما فعل أبو حيان في تفسيره[7]. لأنه لا يجوز التشكيك في كتبة الوحي، وردّ القراءة المتواترة لأجل ما لا يتعدى كونه اجتهاداً من بعض المفسرين.

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[8] يذكر الراغب قول من ضعّف قراءة من قرأ (الأرحام) بالخفض،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٢) الرسالة ص (٦٨٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(٤) الرسالة ص (٦٨١).
(٥) جامع البيان (٦/ ٥٥٧).
(٦) الصحيح أن هذا القول عن مجاهد، وليس عن الربيع، كما ذكر الراغب.
(٧) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٣٢).
(٨) سورة النساء، الآية: ١.

ولا يعلق على هذا التضعيف، الذي شكك في قراءة متواترة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ، قرأ بها حمزة، وكان على الراغب أن يردّ على من ضعّف هذه القراءة، كما ردَّ أبو حيان على ابن عطية لجسارته على تضعيف هذه القراءة[1]. وقال النيسابوري بعد أن ذكر قول المضعّفين: «إلا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، فلا يجوز الطعن فيها، لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت»[2].

هـ- ترجيح بعض القراءات على بعض أحياناً:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾[3] قال الراغب: «وقرئ (آية بينة)[4]، وكأن قارئه نظر إلى لفظ ما أبدل منه وهو مقام إبراهيم، فلما كان مفرداً جعل الآية مفردة، والصحيح ما عليه الكافة، فالمقام مصدر، ويتناول الواحد والجمع»[5]. وقد أجاد الراغب في هذا الترجيح، لأنه رجح القراءة الثابتة المتواترة على القراءة الشاذة التي لم تثبت.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ ﴾[6] ذكر الراغب أنه قرئ (يَغُلّ) و (يُغَلّ) ثم قال: «وقرأ رجل بحضرة ابن عباس (يُغَل) فقال: بلى ويقتل، ولم يرتض قراءته. . وقال بعض

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/ ١٦٧).

(٢) تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٤) وهي قراءة ابن عباس وأهل مكة ومجاهد وسعيد، ذكره القرطبي في تفسيره (٤/ ١٣٩).

(٥) الرسالة ص (٧٣٦).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

الناس: وقراءة من قرأ (يَغُلّ) أولى، لأن كلَّ ما جاء في التنزيل من هذا النحو فمسند إلى الفاعل دون المفعول»[1].

والصحيح أن القراءتين متواترتان ثابتتان، لا يجوز الطعن في إحداهما بوجه.

و- ذكر صاحب القراءة أحياناً:

١- عند تفسير أول سورة آل عمران ﴿الٓمٓ﴾ قال الراغب: «ويروى عن عاصم وغيره سكون الميم وقطع الألف»[2].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾[3] قال الراغب: «وقرأ أبو جعفر المدني: (بما حفظ اللهَ) بالنصب»[4].

ولم يذكر الراغب غير هذين الموضعين من القسم المحقق اسم صاحب القراءة.

***

(١) الرسالة ص (٩٥٨ - ٩٦٠).
(٢) الرسالة ص (٤٠٢).
(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٤) الرسالة ص (١٢٢٢).

المحور الثاني : السنة النبوية في تفسير الراغب

على الرغم من أن الراغب الأصفهاني قد ضمَّن تفسيره قدراً لا بأس به من الأحاديث النبوية[1] ، إلا أن عنايته بهذا الجانب كانت ناقصةً بالنظر إلى عنايته بالقرآن واللغة ومحاولة الوقوف على أسرار بلاغة النصّ القرآني .

وإن السبب في ذلك ـ فيما أعلم ـ هو أن الراغب لم يُوَلِّ جانب الرواية ذاك الاهتمام الذي أولاه جانب الدراية ، وليس هذا في التفسير فحسب ، بل في كل ما صنف الراغب من مصنفات في مختلف العلوم والفنون .

وقد ظهر هذا الضعف في جانب الحديث النبوي من خلال :

١- عدم عناية الراغب بالإسناد .

٢- عدم ذكر رواة الأحاديث عن النبي ﷺ من الصحابة غالباً .

٣- عدم تحـرِّي الدقة في عزو الأقوال إلى النبي ﷺ ، ولذلك كثر استشهاد الراغب بالأحاديث الضعيفة والموضوعة .

٤- رفع الأحاديث الموقوفة والأقوال المقطوعة ، ونسبتها إلى النبيّ ﷺ .

٥- عدم الإشارة إلى أيّ مصدر من مصادر السنة ، التي خرَّجت الحديث .

٦- عدم نقل كلام نُقَّاد الحديث في التصحيح والتضعيف .

---

(١) بلغ عدد الأحاديث التي وردت في القسم المحقق من هذه الرسالة (١٦٣) حديثاً .

٧- إدخال بعض الأحاديث في بعض أحياناً، وجعلها حديثاً واحداً.

٨- رواية الأحاديث بالمعنى، وعدم التقيد باللفظ.

ولكن الراغب نجح من خلال ما أورده من أحاديث في خدمة جانب التفسير، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: الاستشهاد بالحديث على معنى الآية وتأكيده:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[(١)] قال الراغب: «وقيل: تعزُّ من تشاء بأن تصونه عن تمكينه من الملك في الدنيا، وتذلُّ من تشاء بإعطائه ذلك، وهذا التفسير على النظر إلى ما قال عليه الصلاة والسلام: «**ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرة وندامة إلى يوم القيامة**»[(٢)].

ولا يخفى بُعْدُ هذا القول الذي لم أجده عند غير الراغب، حيث إنه يؤدي إلى اتهام خلفاء المسلمين بأن الله تعالى قد أراد إذلالهم بتمكينهم من الملك في الدنيا، وهذا لا يقول به أحد.

كذلك فإن الحديث الذي ذكره الراغب ليس له تعلّق ظاهر بالآية، فالآية عامة، والحديث خاص بموضوع الإمارة.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[(٣)] قال الراغب: «ولا حرج في مداراة الكافر، حيث يُخاف شره، أو يُرجى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) الرسالة ص (٤٩٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

صلاحه، فقد رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه استأذن عليه بعض الناس، فقال: «**بئس أخو العشيرة هو**» فلما دخل أكرمه، وسألته عائشة بعد خروجه، فقال: «**إن شرَّ الناس من يُكْرَمُ اتقاء لسانه**»[1] وهذا من الاستشهاد بالحديث على معنى الآية.

٣- ومن تأكيد معنى الآية بالحديث أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾[2] قال الراغب: «أي أربابهن، وذلك يقتضي أن لا يصحّ تزوُّج الأمة إلا بإذن أهلها، يُقوِّي ذلك قوله ﷺ: «**إذا تزوج العبد بغير إذن سيده فهو عاهر**»[3].

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[4] ذكر الراغب الحديث المفسِّر للاستطاعة، وهو قول النبيّ ﷺ: «**الاستطاعة: الزاد والراحلة**»[5].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[6] ذكر الراغب قول من فسَّر ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بقوله ﷺ لمعاذ: «**هل تدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. فقال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**» ثم قرأ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾. وهذا من تفسير

---

(١) الرسالة ص (٥١٠).
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٥.
(٣) الرسالة ص (١١٨٨).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٥) الرسالة ص (٧٣٩).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

القرآن بالسنة، وإن كان قوله: «ثم قرأ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ غير ثابت»[1].

٣- ومن تفسير القرآن بالسنة ما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[2] حيث قال: «قيل: في قوله ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ قولان: أحدهما: أن ذلك حثّ على أن يغيّر الإنسان على نفسه قبل أن يُنكرَ على غيره، وهو خطاب للعامة.

الثاني: ما قال أبو ثعلبة الخشني وقد سئل عن هذه الآية، فقال: سألت عنها خبيراً، لقد سألت رسول الله ﷺ فقال: **«ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيت شحّاً مطاعاً، وهوىً متَّبعاً، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك العوام»**[3].

٤- ومن تفسير القرآن بالسنة ما ذكره الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾[4] قال الراغب: «وقد أُخْتُلِفَ في العدد الذي يجوز أن ينتهي إليه في النكاح، فمذهب عامة الفقهاء أنه لا يجوز مجاوزة الأربع، ومذهب بعض الشيعة أنه يجوز بلا عدد كالسراري.. وذهب بعضهم ممن لا يعرف شرط الكلام إلى أن المباح منهن

---

(١) الرسالة ص (٧٦١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٥. وقد استشهد بها الراغب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(٣) الرسالة ص (٧٧٦).

(٤) سورة النساء، الآية: ٣.

تسع . . وهذه الأقوال المتقدمة يبطلها ما رُوِيَ أنه لما نزلت هذه الآية كانت تحت قيس بن الحارث ثمان نسوة، فقال له النبيّ ﷺ: «خلّ سبيل أربع» وكذا قال لابن مسعود الثقفي»[1]، فقد فسّر الراغب الآية بالحديث، وجعله فيصلًا في القضية، وحاكماً على جميع الأقوال السابقة.

٥- ومن هذا الباب أيضاً ما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[2] قال: أي قبل الموت بدلالة قوله ﷺ: «**إن الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب**» قيل: يا رسول الله وما وقوع الحجاب؟ قال: «**موت النفس مشركة**»[3].

أما المآخذ الثمانية التي ذكرتها، فإن أربعة منها لا تحتاج إلى شواهد، وهي: عدم العناية بالأسانيد، وعدم ذكر الرواة من الصحابة، وعدم الإشارة إلى مصادر السنة، وعدم الاستشهاد بكلام علماء الحديث حول التصحيح والتضعيف.

فهذه الملاحظات الأربع عامة في كل الأحاديث التي ذكرها الراغب، إلا في جانب ذكر الرواة، فقد نصَّ الراغب على بعض الرواة في مواضع معدودة[4].

أما المآخذ الأربعة الأخرى، فهي كالتالي:

---

(١) الرسالة ص (١٠٩٠).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.
(٣) الرسالة ص (١١٤٦).
(٤) كما في حديث أبي ثعلبة الخشني ص (٧٧٦) من هذه الرسالة، وحديث شداد بن أوس ص (١٢٣٢) من هذه الرسالة.

أ- الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة:

١- ذكر الراغب أن النبيّ ﷺ قال: «**إذا أتاكم عني حديث يدلُّ على هدى، ويكفُّ عن ردى، فأقبلوه، قلتُه أو لم أقلْه فإني قلتُه**». ولم أجد حديثاً بهذا اللفظ عن النبي ﷺ، وإنما ورد نحوه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا أعرفنّ أحدكم متكئاً يأتيه الحديث من حديثي، فيقول: اتل عليَّ قرآناً، وما أتاكم من خير عني قلته أو لم أقله فأنا أقوله، وما أتاكم من شرٍّ فإني لا أقول الشَّرَّ**»، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٨) وقال: منكر بمرة.

وروى البزار نحوه مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حدّثتم عني حديثاً فوافق الحقَّ فأنا قلته**» قال البزار: ما عرفت أشعث (أحد الرواة) قال الحافظ ابن حجر في مختصر زوائد مسند البزار (١/ ١٢٧) «قلت: هو معروف بالضعف. قال البخاري: منكر الحديث»[١].

٢- ومن الأحاديث الضعيفة التي استدل بها الراغب في تفسيره، قوله ﷺ: «**إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**»[٢] وهذا الحديث رواه البيهقي في سننه والبزار وابن المبارك في الزهد والقضاعي في مسند الشهاب من طريق أبي عقيل، عن محمد بن سوقة، عن ابن المنكدر، عن جابر مرفوعاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٦٢): «فيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل، وهو كذَّاب» وضعَّفه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٢٥٩ - فيض القدير) وقال المناوي:

---

(١) انظر: الرسالة ص (٦٦٦).

(٢) انظر: الرسالة ص (٧٤١).

وفيه اضطراب في الصحابي: أهو جابر أو عائشة أو عمر. ورجح البخاري في التاريخ إرساله. اهـ.

٣- ومن الأحاديث الموضوعة التي أوردها الراغب في تفسيره، ما ذكره عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق الأرواح قبل الأجسام بكذا سنة**»[١]، وهذا الحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٤١٠)، وأورده السيوطي في اللآلىء (١/ ٣٨٣) وقال: عبدالله وأبو كذابان، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٣٦٨)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة» رقم (٣٨٢) وقال: «رواه الأزدي عن علي مرفوعاً، وفي إسناده عبدالله بن أيوب بن أبي علاج عن أبيه، وهما كذَّابان».

٤- ومن الأحاديث الضعيفة التي ذكرها الراغب، قوله ﷺ: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»[٢]، وهذا الحديث ذكره العراقي في تخريج «الإحياء» (٣/ ٧ - هامش الإحياء) وقال: «أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر، وقال: «هذا إسناد فيه ضعف». وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٢٤) وقال: «قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عيلة».

٥- ومن الأحاديث الضعيفة كذلك في تفسير الراغب، قوله ﷺ: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[٣]، وقد ضعَّف

---

(١) انظر الرسالة ص (١٠٧٢).
(٢) الرسالة ص (٥١٣).
(٣) الرسالة ص (٧٦٥).

جميع طرقه الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠)، وضعفه كذلك ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٢٥٢)، وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٥٨).

٦- ومن الأحاديث الباطلة التي ذكرها الراغب في تفسيره، قوله ﷺ: «**إن الله يحاسب عباده بقدر عقولهم**»[1] ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ١٨٥) ونقل عن ابن معين وأبي حاتم أنهما قالا: هذا باطل.

ب- رفع الأحاديث الموقوفة والأقوال المقطوعة ونسبتها إلى النبي ﷺ:

١- من الأحاديث الموقوفة التي ذكرها الراغب مرفوعة إلى النبي ﷺ قوله: «**بيع الأمة طلاقها**»[2]، فقد روي هذا الحديث موقوفاً على ابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وسعيد بن المسيب وأُبي ابن كعب وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك، ولم أجده مرفوعاً.

٢- ومما رفعه أيضاً قوله ﷺ: «**لا صغيرة مع إصرار**»[3] فهذا الحديث لا يصحّ مرفوعاً إلى النبي ﷺ. رواه الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً، وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٧) وقال: «خبر منكر».

---

(١) انظر: الرسالة ص (١٣٦٦).

(٢) الرسالة ص (١١٧٤).

(٣) الرسالة ص (١٢١٢).

إلا أنه ثبت موقوفاً على ابن عباسٍ رضي الله عنه، أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما.

٣- ومن هذا الباب أيضاً ما عزاه الراغب إلى النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ثلاث يؤدين إلى البرّ والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم**»[١]، والصواب أنه من كلام ميمون بن مهران.

٤- ومن ذلك أيضاً قوله: «وقد روي عن النبيّ ﷺ أن رجلًا جاءه فقال: هل للقاتل توبة؟ فقال: «**نعم**»، ثم جاءه آخر فسأله عن ذلك فقال: «**لا توبة له**»...» والصواب أنه موقوف على ابن عباس[٢].

٥- ومن ذلك أيضاً ما عزاه للنبي ﷺ أنه قال: «**من تناول شيئاً فهو له**»، والصواب أنه ليس من كلام النبي ﷺ، بل هو كلام منسوب للكلبي أو مقاتل أو النقاش على ما ذكر المفسرون[٣].

ج- إدخال بعض الأحاديث في بعض أحياناً وجعلها حديثاً واحداً أو العكس:

١- مثال ذلك ما رواه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدَّ الله أعلاها للمجاهدين في سبيله**»[٤]، فقال رجل: ما الدرجة؟ فقال عليه

(١) انظر: الرسالة ص (١٢٤٨).
(٢) انظر: الرسالة ص (١٤٠١).
(٣) انظر: الرسالة ص (٩٥٨).
(٤) انظر: الرسالة ص (١٤١٠).

الصلاة والسلام: «**أما إنها ليست بعتبة**». فالحديث إلى قوله: «**في سبيله**» تام أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما الزيادة التي ذكرها الراغب فهي قطعة من حديث آخر، أخرجه النسائي وأحمد من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ارموا، من بلغ العدوَّ بسهمٍ، رفعه الله به درجة**» قال ابن النحَّام: يا رسول الله! وما الدرجة؟ قال: «**أما إنها ليست بعتبة أمك**»[1].

٢- وعكس ذلك أن الراغب قسم حديثاً واحداً، وجعله حديثين، فقال: «وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تراءى ناراهما**»، وقال: «**أنا بريءٌ من كل مسلم مع مشرك**».

والصواب أنهما حديث واحد عن جرير بن عبدالله البجلي، عن النبي ﷺ قال: «**أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**». قالوا: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «**لا تراءى ناراهما**»[2].

د- رواية الأحاديث بالمعنى:

١- ذكر قوله ﷺ: «**أنا بريءٌ من كل مسلم مع مشرك**» ولفظ الحديث كما تقدم في المثال السابق.

٢- ذكر قوله تعالى في الحديث القدسي: «**من آذى لي وليًّا فقد آذاني**»[3]، وقد قال البخاري هذا الحديث بلفظ: «**من عادى لي**

---

(١) انظر: الرسالة ص (١٤١١).
(٢) انظر: هذه الرسالة ص (٥٠٣).
(٣) الرسالة ص (٩٩٨).

وليًا فقد آذنته بالحرب»، ورواه أبو نعيم في الحلية وأبو يعلى في مسنده بلفظ: «من آذى لي وليًا فقد استحل محاربتي»، وعلى كلا اللفظين فقد ذكره الراغب بالمعنى[1].

٣- ذكر قوله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظلِّ عرشه، يوم لا ظل إلا ظله**»، ولفظ الحديث: «**سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله**»[2].

٤- ذكر قوله ﷺ: «**استحيوا من الله، كما تستحيون من أحدكم**»، ولفظ الحديث: «.. **أوصيك أن تستحي من الله عز وجل، كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**»[3].

أسباب النزول في تفسير الراغب:

ذكر الراغب علم أسباب النزول من ضمن العلوم التي ينبغي على المفسِّر معرفتها والإلمام بها[4]. وكذلك اشترط السيوطي على المفسِّر معرفة هذا العلم: «إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه، بحسب ما أنزلت فيه»[5].

وقال السيوطي أيضاً: «لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال: لا فائدة له، لجريانه مجرى التاريخ، ومن فوائده: الوقوف

---

(١) الرسالة ص (٩٩٨).

(٢) الرسالة ص (١٢٨١).

(٣) انظر: الرسالة ص (١٤٢٩).

(٤) انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٩٥).

(٥) الإتقان (٢/ ٤٥٠).

على المعنى أو إزالة الإشكال. قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها[(١)]، وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها، فزال عنهم الإشكال»[(٢)].

وكما أن لأسباب النزول فوائد، فإن للجهل بها مضارّاً، وربما أدَّى الجهل بها إلى عواقب وخيمة، كما حدث مع الخوارج، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يرى أنهم شرار الخلق، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين[(٣)].

ويتضح منهج الراغب في أسباب النزول من خلال النقاط التالية:

أ- لم يهتم الراغب بأسباب النزول من ناحية الرواية، فلم يذكر أسانيد الروايات التي ذكرها في أسباب النزول، ولم يفرِّق بين ما صحَّ وما لم يصحّ من هذه الأسباب، وهذا حكم عام في كل ما يتعلَّق بالرواية والإسناد.

ب- والراغب يشير غالباً إلى تعدُّد الأقوال في أسباب النزول:

---

(١) هذا الإطلاق غير سديد، فإن هناك كثيراً من الآيات التي ليس لها سبب نزول، ومع ذلك قام العلماء بتفسيرها وبيان معانيها، وكلام ابن دقيق العيد وابن تيمية أضبط.

(٢) أسباب النزول، للسيوطي ص (١٢). وقد ذكر السيوطي فوائد أخرى لأسباب النزول في كتاب «الإتقان» منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. ومنها: أن اللفظ قد يكون عاما، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته. انظر الإتقان (١/ ١٢٠).

(٣) انظر: مقدمة العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر (١/ ١٣).

١ - فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(١) قال الراغب: قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ رأى جماعة من اليهود فدعاهم فقالوا: على أيّ ملة أنت يا محمد؟ قال: «على ملة إبراهيم» فقالوا: إن إبراهيم كان يهوديًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: كان ذلك في سبب اليهوديين الذين رجمهما النبي ﷺ، ودعا بالتوراة فقرأ منها آية الرجم.

وقيل: كان في سبب نبوته وتكذيبهم إياه(٢).

٢ - وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(٣). قال الراغب: سبب نزولها أن قوماً لم يحضروا بدراً كانوا يقولون: ليت لنا يوماً مثله حتى نجاهد.

وقيل: سببه أن قوماً سألوا النبيَّ ﷺ أن يأذن لهم أن يأتوا المشركين في رحالهم ويقاتلوهم، فقال: «لم أؤمر بذلك»(٤).

٣- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾(٥) ذكر الراغب فيها سببين لنزولها(٦).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.
(٢) انظر: الرسالة ص (٤٨١، ٤٨٢).
(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٤٣).
(٤) انظر: الرسالة ص (٨٨٨، ٨٨٩).
(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٨٦).
(٦) انظر: الرسالة ص (١٠٢٨، ١٠٢٩).

٤- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾[١] قال الراغب: واختُلِفَ في سبب نزول هذه الآية. ثم ذكر خمسة أسباب لنزولها[٢].

٥- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾[٣] ذكر الراغب فيها سببين لنزولها[٤].

ج- والراغب يرى أن الآية يمكن أن تنزل في أكثر من سبب:

فعند قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[٥] قال الراغب: والآية من تمام القصة المتقدمة، وقول من قال: نزل في حاطب بن أبي بلتعة، حيث اختصم مع الزبير بن العوّام في سبب الماء إلى النبي ﷺ، فحكم للزبير، فسخط حاطب، فإنه يجوز أن شأن نزوله هذه الحال، ويجوز أن يكون قد نزل فيهما[٦].

د- والراغب لا يرجح بين أسباب النزول غالباً:

وقد يرجح أحيانا، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٧] قال الراغب: نزل ذلك في عثمان بن طلحة رضي الله عنه لمّا أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، فأمره الله أن يردّه إليه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٨.
(٢) انظر: الرسالة ص (١٣٧٤ - ١٣٧٦).
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٤) الرسالة ص (١٣٩٩، ١٤٠٠).
(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٦) الرسالة ص (١٣٠٤ - ١٣٠٦).
(٧) سورة النساء، الآية: ٥٨.

وقال زيد ومكحول: نزل في ولاة الأمر.

قال ابن عباس: في كل مؤتمن على شيء، وهو أصحّ، فإنه عام[1].

هـ- وإذا تعددت أسباب النزول بحيث لا يستطيع الترجيح بينها، يفسّر الآية تفسيراً عاماً بعيداً عن أسباب النزول.

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾[2]، ذكر الراغب فيها خمسة أقوال، ثم قال: وجملة الأمر أن الناس كانوا اختلفوا في فئة من المنافقين فئتين، أمّنهم بعضهم، ووالاهم بعضهم، فقال تعالى: ما لكم قد صرتم فئتين مختلفتين فيهم، وقد خذلهم الله، فبين أن لا سبيل لهم بعد أن أضلهم الله[3].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾[4] ذكر الراغب ثلاثة أسباب لنزولها، ثم قال: وجملة الأمر أنه لما ذكر فيما تقدم من له عذر بأحد الأمرين اللذين ذكرهما، ذكر هٰهنا فرقة لا عذر لهم، كانوا يظهرون الإسلام، ثم يرجعون إلى عبادة الأصنام[5].

و- وقد يلجأ الراغب إلى أسباب النزول للفصل بين الأقوال المختلفة: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ

---

(١) الرسالة ص (١٢٨٢، ١٢٨٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٣) الرسالة ص (١٣٧٤ - ١٣٧٦).

(٤) سورة النساء، الآية: ٩١.

(٥) الرسالة ص (١٣٨٦، ١٣٨٧).

﴿أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] ذكر الراغب أقوالاً للملاحدة والمعتزلة، ثم قال: «ثم إذا تؤمِّل مورد الكلام، وسبب نزول الآية بان أن لا تعلُّق لأحد الفريقين بالآية على وجه يثلج صدراً أو يزيل شكّاً»[2]، ثم ذكر سبب نزول الآية.

ز- والراغب يطبق قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

١- فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[3] قال الراغب: «والآية تتناول اليهود والنصارى وإن كانت واردةً في اليهود»[4].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[5] قال الراغب: «(الذين كفروا) عام. وإن كان قد قال السُّدِّيُّ: عنى به عبدالله بن أُبي وأصحابه»[6].

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾[7] ذكر كافة المفسرين: أن المسلمين لما خرجوا إلى حمراء الأسد أو بدر الصغرى لم يلقوا قتالاً، فصادفوا هناك سوقاً فاشتروا منه ما ربحوا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) الرسالة ص (١٣٣٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٤) الرسالة ص (٤٨١).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٦) الرسالة ص (٩٤٢).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٧٤.

فيه، فكان ذلك هو النعمة والفضل اللذين ذكر الله. إلا أن الراغب لم يرتض هذا التفسير المعتمد على سبب نزول الآية، وقال: «والمقصود بهذه النعمة والفضل أعظم مما قال بعض المفسرين من أن المسلمين لما حضروا بدراً الصغرى، ولم يحضروا للموعد، صادفوا بها سوقاً، فاشتروا ما ربحوا فيه، فكان ذلك هو الفضل والنعمة، فإن أرباح التجارة الدنيوية أدون من أن يكون مقتصراً عليها في مقابلة المتوكلين على الله، الراضين عن الله تعالى، المرضي عنهم»[1].

٤- وقد مرَّ أن الراغب رجَّح قول ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2] بأنها نزلت في كل مؤتمن على شيء، فقال: وهو أصحُّ فإنه عام[3].

٥- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾[4] ذكر الراغب أنها نزلت في رجل من بني ضمرة كان مريضاً، فقال: أخرجوني، فأشرف في الطريق. وقيل: إنه أخذ يمينه بشماله وقال: قد بايعتك يا رسول الله، فبيّن تعالى أن المهاجر وإن لم يبلغ المقصد، فله بذلك ثواب. ثم قال الراغب: وكذا من نوى خيراً وعاقه عائق عن إتمامه[5].

***

(١) الرسالة ص (٩٩٠، ٩٩١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) انظر: الرسالة ص (١٢٨٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٥) الرسالة ص (١٤١٥، ١٤١٦).

المحور الثالث: أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الراغب

لقد ذكر العلماء أن تفسير الصحابة والتابعين هو من التفسير بالمأثور، الذي يرجع إليه بعد الرجوع إلى القرآن والسنة، إلا أنهم اختلفوا في حُجِّية أقوالهم في التفسير على ما سأبينه إن شاء الله تعالى.

قال ابن كثير في تفسيره: «والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: أجتهد رأيي. فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله**»[1] وهذا الحديث في المسند والسنن بإسناد جيد، كما هو مقرر في موضعه، وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختُّصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماءهم وكبراءهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.. قال عبدالله بن مسعود: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٥٩٢) كتاب الأقضية. والترمذي رقم (١٣٢٧، ١٣٢٨) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. والنسائي وأحمد في المسند (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢) والبيهقي في سننه (١٠/ ١١٤) وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم (٨٨١).

لأتيته. وقال الأعمش: عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

وقال أبو عبدالله السُّلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[1] قال عبدالله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.. فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود، أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة، وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعَمَّرَ بعده عبدالله بن عباس ستًّا وثلاثين سنة، فما ظنُّك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟!»[2].

ثم قال رحمه الله: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين: كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير.. ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب،

---

(١) أخرجها بهذا اللفظ أحمد في المسند (١/ ٢٦٦، ٣٢٨، ٣٣٥)، وفي فضائل الصحابة رقم (١٨٥٨)، وابن حبان رقم (٧٠٥٥ - إحسان)، والطبراني في الكبير رقم (١٠٦١٤)، وهو في الصحيحين دون زيادة «وعلمه التأويل» أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم (١٤٣). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل ابن عباس رقم (٢٤٧٧) ولفظ مسلم: «اللهم فقهه».

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٤).

وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين»[١].

حجية تفسير الصحابة:

يرى بعض العلماء أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حجة، وله حكم المرفوع، وبذلك صرح الحاكم في المستدرك وغيره[٢]، وقد تعقب الحافظ ابن حجر كلام الحاكم، فقال: «والحق أن ضابط ما يفسِّر الصحابي ـ رضي الله عنه ـ إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا منقولاً عن لسان العرب، فحكمه الرفع، وإلا فلا، كالإخبار عن الأمور الماضية: من بدء الخلق وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية، كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها، فيُحْكَمُ لها بالرفع.

وأما إذا فسر آية تتعلق بحكم شرعي، فيُحتمل أن يكون ذلك مستفاداً عن النبي ﷺ، وعن القواعد، فلا يجزم برفعه. وكذا إذا فسَّر مفرداً، فهذا نقل عن اللسان خاصة فلا يجزم برفعه، وهذا التحرير الذي حررناه هو معتمد كثير من كبار الأئمة كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي وأبي جعفر الطبري، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر بن مردويه في تفسيره المسند، وابن عبد البر في آخرين»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٤).

(٢) انظر: المستدرك (١/ ٢٧-١٢٣-٥٤٢)، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص (٢٠).

(٣) النكت على مقدمة ابن الصلاح (٢/ ٥٣١-٥٣٣). وانظر: فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار ص (٣٣).

حجية تفسير التابعين:

نقل الحافظ ابن كثير عن شعبة بن الحجاج وغيره أنه قال: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ ثم علق ابن كثير على هذا الرأي بقوله: يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح. أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك»[1].

وإذا رجعنا إلى تفسير الراغب وجدنا سيلًا كبيراً من أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وقد ذكرت في المصادر كلَّ من نقل الراغب قوله من الصحابة والتابعين مرتبين حسب عدد المرات التي وردت فيها أقوالهم، بادءًا بمن أكثر عنهم النقل، منتهياً بمن نقل عنهم مرةً واحدة.

ويمكن تصوّر منهج الراغب في استدلاله بأقوال الصحابة والتابعين من خلال النقاط التالية:

أولاً: الراغب يذكر تعدد أقوال الصحابة والتابعين في الآية:

وهذا واضح في معظم الآيات، التي أورد الراغب فيها أقوالاً للصحابة أو التابعين، وهو في نقله لأقوال هؤلاء قد يصرح باسم صاحب القول، وقد لا يصرح به، حتى ولو كانت هذه الأقوال

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥).

جميعاً سِيقت في آية واحدة.

١- مثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾[1] ذكر الراغب اختلاف العلماء في حدّ القنطار، فقال: «اختلفوا في حدّه، فقيل: هي أربعون أوقية، وقال الحسن: ألف ومائتا دينار، وقيل: ملءُ مَسْك ثورٍ ذهباً، وعلى ذلك عن ابن عباس، وبعضهم: حدّه يتغيَّر»[2].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] ذكر الراغب في ذلك سبعة أقوال:

الأول : له أسلم من في السمٰوات طوعاً.. وعامة أهل الأرض كرهاً.

الثاني : أسلم المؤمنون له طوعاً، والكافرون كرهاً.

الثالث : عن قتادة: أسلم المؤمنون له طوعاً في حال الصحة والأمن، والكافرون كرهاً عند الموت.

الرابع : عنى بالكره من قوتل وأُلجئ إلى أن يؤمن.

الخامس : عن أبي العالية ومجاهد: أن كلًّا أقر بخلقه إياهم وإن أشركوا معه.

السادس : عن ابن عباس: أسلموا بأحوالهم الناطقة عنهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) الرسالة ص (٤٤٩، ٤٥٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

السابع : عن بعض الصوفية[1] .

٣- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[2] .

قال الراغب : «قيل : بكة هي المسجد، ومكة : الحرم . وقيل : بكة هي البيت . وقيل : هي بطن الحرم، وقال مجاهد : هما واحد»[3] .

٤- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[4] قال الراغب : واختُلِف في الآية على أقوال :

الأول : أنه عنى من ليس بوارث من أولي القربى، وذلك على الاستحباب، فإما أن يعطوا، أو يقال لهم قول معروف .
وقيل : يجمع لهم بين الأمرين .

الثاني : قال مجاهد : هو واجب، لكن يعطوْن على قدر ما تطيب به نفس الورثة، إذ كانوا وارثين . قال الحسن والنخعي : أدركنا الناس وهم يقسمون على الأقارب واليتامى والمساكين من الورق والفضة، فإذا صاروا إلى الأرضين والرقيق ونحوها، قالوا لهم قولاً معروفاً . أي قالوا لهم : بُورِك فيكم .

---

(١) الرسالة ص (٦٨٦ - ٦٨٨) .
(٢) سورة آل عمران، الآية : ٩٦ .
(٣) الرسالة ص (٧٢٥) .
(٤) سورة النساء، الآية : ٨ .

الثالث : أن أولي القربى ضربان: وارث يعطى، وغير وارث. فيقال له قول معروف.

الرابع : يعطى الحاضر البالغ، ويُتحرى في أمر الغائب والصغير، قول معروف أي مصلحة.

الخامس : قال زيد بن أسلم: هذا شيء أمر به الموصي في الوقت الذي يوصي.

السادس : أن ذلك كان في الورثة واجباً، فنسخته آية الميراث[1].

٥- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[2] ذكر الراغب في الآية أربعة أقوال: منها قول عن ابن عباس رضي الله عنه[3].

ثانياً: الراغب يناقش القول، ويحكم عليه، ويرجِّح بعض الأقوال على بعض:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾[4] صحَّح الراغب قول الحسن بقوله: «وقول الحسن: الأكمه: الأعمى. صحيح» وعلَّل ذلك بقوله: «وكل كَمَه عمى، وإن لم يكن كل عمىً كمهًا»[5].

(١) الرسالة ص (١١١١ - ١١١٣).
(٢) سورة النساء، الآية: ٩.
(٣) الرسالة ص (١١١٤، ١١١٥).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٥) الرسالة ص (٥٧١).

٢- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾[(١)] قال الراغب: «وقول الربيع وأبي العالية: ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ هي: لا إله إلا الله. صحيح، لأن أبلغ العدالة التوحيد، وهي الكلمة التي يجب أن يتساوى الناس فيها..»[(٢)].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[(٣)] قال الراغب: «وأما كفرهم بعد إيمانهم، فقد قال الحسن: بعد إظهارهم الإيمان بالنفاق. وقال قتادة: كفروا بالارتداد بعد الإسلام، وقيل: بعد الإقرار الذي اقتضاه قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[(٤)] وقيل: كفروا بالنبي ﷺ بعد أن أقروا به قبل بعثته، وعموم اللفظ يقتضي كل ذلك، ولاتنافي بينها»[(٥)].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾[(٦)] قال الراغب: «وقول الحسن: إنه عنى بالذين كفروا اليهود والنصارى. وقول السُّدِّي: إنه أراد المشركين؛ أبا سفيان وأصحابه، وكلاهما صحيح، فاللفظ عام ومطاوعتهما تردّ على الأعقاب وتورث الخسران»[(٧)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٢) الرسالة ص (٦١٢، ٦١٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٥) الرسالة ص (٧٨٣، ٧٨٤).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.
(٧) الرسالة ص (٩٠٦).

٥- وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾[(١)] ذكر الراغب في القول السادس: إن ذلك كان في الورثة واجباً، فنسخته آية الميراث. ثم قال الراغب: «والصحيح أنه ليس بمنسوخ»[(٢)]. والقول بالنسخ مروي عن سعيد بن المسيب والضحاك وأبي مالك، ورواية عن ابن عباس رضي الله عنه.

٦- وعند قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[(٣)] ذكر الراغب أقوالاً عن ابن عباس ومجاهد والسدي والحسن، ثم قال: «وكلّ ذلك تصحُّ إرادته بالميثاق»[(٤)].

٧- عند قوله: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[(٥)] قال الراغب: «قال ابن جريج: نزل ذلك في عثمان بن طلحة.. وقال زيد ومكحول: نزل في ولاة الأمر، قال ابن عباس: في كل مؤتمن على شيء، وهو أصحُّ، فإنه عام»[(٦)].

ثالثاً: والراغب يميل إلى التفسير بالعموم وعدم التخصيص ما أمكن:

ولذلك فإنه يرجِّح قولاً على قول، بسبب عموم الأول وخصوص الثاني.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨.
(٢) الرسالة ص (١١١٣).
(٣) سورة النساء، الآية: ٢١.
(٤) الرسالة ص (١١٥٧، ١١٥٨).
(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٦) الرسالة ص (١٢٨٢، ١٢٨٣).

١- عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾(١) ذكر الراغب «قول زيد بن أسلم: إن المستغفرين بالأسحار هم الذين يشهدون الصبح في جماعة. ثم قال: وذلك داخل في عموم الآية»(٢).

٢- وعند قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾(٣). قال الراغب: «وقول الحسن ومجاهد والربيع: إن الرحمة ههٰنا النبوة. وقول ابن جريج: هي القرآن. صحيحان، لأن كليهما داخلان في الرحمة، ولاشك أن من أعطيهما فقد خُصَّ برحمة منه. وكذلك قول من قال: عنى بالرحمة الحسنى المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾(٤). وقول من قال: عنى به الوقوف على حقائق كلامه، الذي خصَّ به خواصّ عباده الموصوفين بقوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(٥)، فكلٌّ ذلك داخلٌ في عموم رحمته»(٦).

٣- عند قوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٧) قال الراغب: «قيل: عنى من أهل بيتهم ومن العرب. وقال بعضهم: ليس هذا بسائغ، إذا لم يخصَّ أهل بيته به، ولا العرب خاصة، بل هو مبعوث إلى العالمين. ثم قال الراغب: فالوجه في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي من البشر، وذاك أن كل ما أوجده الله في هذا العالم لا يأخذ نفعه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.
(٢) الرسالة ص (٤٦٢).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١.
(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٢.
(٦) الرسالة ص (٦٥٠).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

إلا مما بينه وبين المأخوذ منه ملائمة ما، وذلك حكم مستمر في كلّ شيء»[1].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[2] قال الراغب: وقد قيل: مخالفتهم أنهم دعوا إلى التحصُّن بالمدينة، فأبوا إلا الخروج، وقيل: لاختيارهم الفداء يوم بدر، وقيل: لمخالفة الرماة. قال الراغب: «والأولى أن يكون عامًّا في جميعها»[3].

٥- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾[4] ذكر الراغب ثلاثة أقوال في تفسير الخبيث والطيِّب، ثم قال: «وكلُّ هذه الأقوال إشارات إلى ما يقتضيه عموم الخبيث والطيِّب»[5].

٦- وعند قوله: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[6] قال الراغب: «فإن قيل: فليس اتباع الشهوات مذموماً في كلّ حال؛ بل منها ما هو محمود، قيل: قد قال بعض المتكلمين وبعض المفسرين: عنى بذلك بعض الشهوات. وقال بعضهم: عنى من يتبع الشهوات كلها». ثم اختار الراغب العموم فقال: «والصحيح أن اتباع الشهوة في كل حالٍ مذموم، لأن ذلك هو الائتمار لها من حيث ما دعت..»[7].

---

(١) الرسالة ص (٩٦٧).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.
(٣) الرسالة ص (٩٧٠).
(٤) سورة النساء، الآية: ٢.
(٥) الرسالة ص (١٠٨٢، ١٠٨٣).
(٦) سورة النساء، الآية: ٢٧.
(٧) الرسالة ص (١١٩٥، ١١٩٦).

٧- في المثال السابع من الفقرة السابقة علَّل الراغب تصحيح قول ابن عباسٍ رضي الله عنه بكونه عامًّا، وهذا يدل على اتجاهه إلى العموم في التفسير، وقد ذكرت في أسباب النزول أن الراغب كان يميل إلى قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذكرت على ذلك عدة أمثلة.

رابعاً: الجمع والتأليف بين الأقوال إذا وجد لذلك مجالاً وعدم تضعيفها إلا إذا لم يوجد لها مساغ في الرواية واللغة:

فمن ذلك ما يلي:

١- عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١] قال الراغب: «قال الحسن وابن جريج: كانت اليهود عاملوا العرب، فلما أسلموا امتنعوا من ردِّ أموالهم، وقالوا: لا يحقُّ لكم بعد أن دخلتم في الإسلام. وقيل معناه: ليس علينا سبيل لكوننا أبناء الله وأحباءه، ومن عدانا عبيد لنا..» ثم قال الراغب: «وهذه أقوال متقاربة»[٢].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[٣] ذكر الراغب أقوالاً عن الزجاج ومؤرج وابن زيد وابن جبير، ثم قال: «وهذا كلّه ألفاظ مختلفة عُني بها معنى واحد»[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٢) الرسالة ص (٦٥٥، ٦٥٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٤) الرسالة ص (٦٦٨ - ٦٧٠).

٣- وعند قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[(١)] قال الراغب: «والقائمة: العادلة. وقال مقاتل: مطيعة. وقال بعضهم: مسلمة. وهذا كلّه واحد، فإن العادل لا يكون عادلاً حتى يكون مسلماً مطيعاً، والمطيع لا يكون مطيعاً حتى يكون مسلماً عادلاً»[(٢)].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ﴾[(٣)]. قال الراغب في قوله: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ﴾: وقول السُّدِّي: ادفعوا بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا. وقول غيره: رابطوا بالقيام على الجبل إن لم تقاتلوا. وقول غيرهما: احضروا موضع الحرب. ليست بأقوال مختلفة في المعنى، كما قدره بعض النقلة، وإلا ذلك اختلاف عبارات وتغيير أمثلة لمقصد واحد»[(٤)].

٥- وعند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(٥)]. قال الراغب: والرقيب: قال مجاهد: هو الحفيظ. وقال ابن زيد: عليم. وكلاهما صحيح، فحافظ الشيء يقتضي أن يكون عالماً به، ليمكنه أن يحفظه[(٦)].

٦- وعند قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[(٧)] ذكر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.
(٢) الرسالة ص (٨٠٤).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٤) الرسالة ص (٩٧٣، ٩٧٤).
(٥) سورة النساء، الآية: ١.
(٦) الرسالة ص (١٠٨١).
(٧) سورة النساء، الآية: ٩.

الراغب في الآية أربعة أقوال، ثم قال: «وكل هذه الأقوال يصحُّ أن تكون مرادة بالآية»، ثم أخذ يجمع بين هذه الأقوال[1].

٧- وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[2] ذكر الراغب خمسة أقوال: منها قول ابن عباس وأبي هريرة وبعض الشيعة، ثم قال: وكل هذه الأقوال صحيح، ومراد بالآية. ثم أخذ في تبيين علّة الجمع بين هذه الأقوال[3].

٨- وضعَّف الراغب قول مجاهد في الأكمه، فعند قوله تعالى: ﴿ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ ﴾[4] صحَّح الراغب قول الحسن، ثم قال: وقول مجاهد: «الأكمه الذي لا يبصر بالليل دون النهار، فليس بشيء»[5]، وذلك لأنه لا يمكن الجمع بينه وبين قول الحسن.

خامساً: والراغب كثيراً ما يوجّه القول، ويذكر علّته، ويبين أحياناً سبب اختلاف الأقوال:

١- فعند قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾[6] الآية. قال الراغب: «واختُلِفَ في هذا الحبّ من الذي زيَّنه؟.. فقال بعضهم: الله عز وجل زيَّنه». ثم ذكر علة هذا القول، فقال: «وذلك لنظره إلى القوة المشتهية أو المشتهى، ولقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى

(١) الرسالة ص (١١١٤، ١١١٥).
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٣) الرسالة ص (١٢٨٦، ١٢٨٧).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٥) الرسالة ص (٥٧١).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

﴿ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[1] وإليه ذهب عمر.

قال بعضهم: «زيَّنها الشيطان، وإلى هذا ذهب الحسن، فيقول: كيف زيَّنها الله وهو يذمُّها؟

ومنهم من قال: «زيَّن الله منها ما يحسن تناوله، وزيَّن الشيطان ما يقبح». ثم أخذ في تبيين علة هذا القول[2].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] ذكر الراغب قول من قال: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عنى به عيسى عليه السلام، وهو قول جمهور العلماء، ثم أخذ الراغب في تعليل هذا القول وتوجيهه، فقال: «وتسمية عيسى بالكلمة قيل: لكونه موجداً بكن، وقيل: سُمي بذلك لكلامه في صغره»[4].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾[5] قال الراغب: «واختلف في بناء البيت، فقال مجاهد وقتادة: هو أول بيت بُنِيَ في الأرض. وقال عليّ: أول بيت وُضع للعبادة». ثم ذكر الراغب سبب هذا الخلاف بقوله: «وهذا الاختلاف لاختلاف التقدير في الآية، لأنه على الثاني: إن أول بيت وُضِعَ للناس مباركاً وهدى للعالمين للذي ببكة».

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧.
(٢) الرسالة ص (٤٥٤، ٤٥٥).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٤) الرسالة ص (٥٣٨).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

ثم ذكر الراغب اختلافهم في قوله: ﴿أَوَّلَ﴾ وتوجيه كل قول، فقال: «ثم اختلفوا في معنى أول، فمنهم من اعتبر ذلك بالشرف والمنزلة، فكأنه قيل: أشرف بيت، وعلى ذلك قال مجاهد: هو قوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

ومنهم من اعتبر أوليته بالزمان. قال: أوّل بيت بعد الطوفان، وهو الذي قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[2]...»[3].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[4] قال الراغب: «وقول قتادة وابن زيد: النَّحلة الفريضة، فنظر منهم إلى حكم الآية، لا إلى موضوع اللفظ والاشتقاق»[5].

٥- وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[6] ذكر الراغب علَّة بعض الأقوال، فقال: «وقول عطاء: حفيظاً. وقول ابن جبير: شهيداً. فإشارة إلى هذا المعنى. وقيل: ﴿حَسِيبًا﴾ أي كافياً من قولهم: أحسبني هذا الشيء ـ أي كفاني ـ حتى قلت حسبي. ومن قال ذلك جعله من باب: الداعي السميع أي المسمع»[7].

***

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٣) الرسالة ص (٧٢٨ - ٧٣٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٤.

(٥) الرسالة ص (١٠٩٦).

(٦) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٧) الرسالة ص (١٣٧١).

لا يحتاج القارئ إلى تقليب عدة صفحات في تفسير الراغب، ليتبين مدى اعتناء الراغب بلغة القرآن، وحرصه على حضورها المميز في كل آية يتناولها بالتفسير والبيان، ولا غرابة في ذلك، فالراغب لغوي وأديب من الطراز الأول، والقرآن الكريم نزل بلسان العرب، فكان من الطبيعي أن يفزع الراغب إلى لغة العرب في إيضاح كلام الباري سبحانه وتعالى، وبخاصة في الآيات التي لا يوجد لها نظائر في القرآن، أو مرويات عن النبي ﷺ أو آثار عن الصحابة والتابعين.

ويمكن معرفة مدى عناية الراغب بالعربية واعتداده بها من خلال النقاط التالية:

أولاً: بيانه للمفردات القرآنية.

ثانياً: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق.

ثالثاً: عنايته بالفروق اللغوية.

رابعاً: عنايته بالتعليل اللغوي.

خامساً: إيراده أقوال اللغويين والنحاة.

سادساً: قدرته على النقد اللغوي.

سابعاً: عنايته بالنحو والإعراب.

ثامناً: عنايته بالبلاغة.

أولاً: بيانه للمفردات القرآنية:

أولى الراغب المفردات القرآنية عناية فائقة، كخطوة أولى في تفسير النصّ القرآني، إذ لا يمكن معرفة المراد بالآية دون فهم مفرداتها، ولذلك فقد كان الراغب كثيراً ما يمهّد لتفسير الآية ببيان بعض مفرداتها اللغوية، ومن ذلك:

١ - عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1] بدأ الراغب تفسير هذه الآية بما يلي:

«الزيغ: الميل عن الاستقامة إلى حد الجانبين، ومنه زاغ البصر، وزاغت الشمس عن كبد السماء، وزاغ قلبه. وزاغ وزال ومال تتقارب، لكن زاغ لا تقال إلا فيما كان عن حقٍّ إلى باطل..»[2].

٢ - وعند قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[3] قال الراغب: «الغرّ: الأثر الظاهر من الشيء، ومنه الغُرَّة. والغرار: حدّ السيف اعتباراً بالأثر.. وغرُّ الثوب أثر كسره، يقال: اطو عليّ غرَّه، واستعير للخديعة، فقيل: غرَّه واغترَّه.. وسمى الدنيا والشيطان غروراً، لكونهما غارين للإنسان. والغرّ: المغرور. والغرر: الخطر المتقدم كأنه الذي به يغتر، وأما غرَّ الطائر الفرخَ. فاستعارة من الصوت الذي يكون منه عند زقِّه. والغرغرة: ترديد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) الرسالة ص (٤١٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

الصوت من الحلق. . والغرى: قطع الأديم»[1].

ومن الملاحظ في هذا المثال أن الراغب لا يكتفي ببيان معنى المفردة القرآنية في الآية، بل يذكر استعمالاتها مطلقاً على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الاستعارة والمجاز.

٣- وعند قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[2]، قال الراغب: الولوج: الدخول في مضيق، فهو أخصُّ من الدخول. يقال: تولج الظبي ولولجه: بناء بين يدي فناء القوم كالمدخل إليه. واستعير الوليجة لبطانة الرجل كالدَّخيل. وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، يتناول تعاقُب أحدهما الآخر، والزيادة من كلّ واحد منهما في الآخر، وقد فسِّر بهما[3].

٤- وعند قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4] مهّد الراغب لتفسير الآيتين بذكر بعض المعاني اللغوية، فكان مما قال: الهيئة: الحالة المحسوسة التي تحدث للشيء، والهيِّ: الحسن الهيئة. ومنها: أخذ المهايأة فيما يتراضى به على وجه التخمين.

والنفخ: جعل الريح في الشيء ومنه النفخة، وعنه استعير نفخة الصور. والنفخة للورم تشبيهاً بما ينفخ فيه. والنفاخة: للحجاة.

---

(١) الرسالة ص (٤٨٥ - ٤٨٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

(٣) الرسالة ص (٤٩٨، ٤٩٩).

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

والادخار: افتعال من الذَّخر، وهو إعداد الشيء لنائبة..

والأكمه: الذي ولد أعمى[١].

٥- وتظهر ثقافة الراغب بشكل ملحوظ حينما يستدل على ما يذكره من معاني المفردات بالآيات القرآنية والشعر العربي القديم، فعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢] قال الراغب: البطانة في الثوب بإزار الظهارة، ويستعمل لمن اختصصته كالشعار والدثار. ويقال: لبستُ فلاناً إذا اختصصته. وعلى ذلك قوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾[٣]، وألوتُ في الحاجة: قصّرت. وألوت فلاناً ألواً أي أوليته تقصيراً بحسب الجهد.. ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾[٤] أي لا يقصروا. آلى: أي حلف.. والخبال: الفساد الذي يلحق ذات الحيوان، يقال: في قوائم الفرس خبل وخبال أي فساد من جهة الاضطراب، وفلان مختبل الرأي. وقول زهير:

هنالك إن يستخلبوا المال يُخلبوا

أي إن طلب المال منهم إفساد شيء من إبلهم فعلوا.

والعنت: تحري المشقة.. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾[٥] وأكمة عنوت: صعبة المسلك[٦].

---

(١) الرسالة ص (٥٧٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٦) الرسالة ص (٨٢٠).

٦- ويلجأ الراغب إلى كلام العرب أيضاً عندما تختلف عبارات المفسرين في المراد ببعض المفردات القرآنية، فعند قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[(١)] قال الراغب: «البروج: بيوت في قصور، وبها شبّه بروج السماء وسميت بها. . وقد حمل البروج في الآية على القصور، فيكون معناه كقول الأسود ابن يعفر:

ولو كنت في غمدان يحرس بابه ... أراجيلُ أُحبوشٍ وأسودُ ألفُ

إذاً لأتتني حيث كنت منيتي ... يخبُّ بها حادٍ لإثري قائفُ

وحُمِل على بروج السماء، فيكون كقول زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقها ... ولو نال أسباب السماء بسُلّم

فعلى هذا وصف البروج بالمشيَّدة على طريق التشبيه»[(٢)].

٧- ومن اهتمام الراغب بالمفردات ذكره اللغات المختلفة للمفردة، مثال ذلك قوله: «ولدن: فيه لغات: قيل: لدُن، ولُدن بضمتين، ولَدَن بفتحتين، ولَدْن بالسكون مع فتح اللام وضمه، وقيل بكسر النون، وقيل: لدُ بحذف النون، ولدى»[(٣)].

وعند قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[(٤)] قال الراغب: «وقيل: وفّى لغة نجد، وأوفى لغة الحجاز، وقيل:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٢) الرسالة ص (١٣٣٠، ١٣٣١).

(٣) الرسالة ص (٤٣٢، ٤٣٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

هما كمحمد وأحمد»[1].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾[2] قال الراغب: «وأهل الحجاز يقولون: فتنته وأهل نجد يقولون أفتنته ففتن فتوناً»[3].

ثانياً: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق:

للراغب الأصفهاني باع واسع، وتميز كبير في تحديد الأصول اللغوية للمفردات واشتقاقاتها، وفي معرفة الاستعمالات المختلفة للمفردة، وهذا ـ بلا شك ـ يزيد في بيان معنى المفردات ويوضحها، وسوف نورد بعض الأمثلة التي توضّح عناية الراغب بذلك.

١ - عند قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[4] قال الراغب: «الحبوط: فساد العمل، وأصله من الحبط، أي فساد بطون الماشية من مأكل الربيع، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم**»[5]. فالراغب هنا يذكر أصل الحبوط، ويستدل لذلك من السُّنة النبوية المطهرة، مما يزيد كلامه توثيقاً.

٢- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ

---

(١) الرسالة ص (٦٥٦، ٦٥٧).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠١.
(٣) الرسالة ص (١٤١٦).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٢.
(٥) الرسالة ص (٤٧٩).

﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[1] قال الراغب: «الأصل في الصدر الجارحة، فاستعير لصدر المجلس والكتاب والكلام، وصدره إذا أصاب صدره، أو قصد نحو ظهره وكتفه، وإذا عُدي بعن اقتضى الانصراف عنه. والمصدر يقال للمصدر اللفظي. والموضع الصدر ولزمانه، والصِّدار: الصُّدرة يغطى بها الصدر على بناء الدثار واللباس. ويقال له الصدرة»[2].

٣- والراغب يتعرض كذلك لبيان الاختلاف في اشتقاق الكلمة، ويذكر أقوال العلماء في ذلك، فعند قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[3] قال الراغب: الذرية: قيل: من ذرأ الله الخلق، فترك همزه نحو رزيّة وبريّة ونبي وخابية وملك من رزأ وبرأ ونبأ وخبأ وملأك. وقيل: بل هو من ذرو الريح، وأصله ذُرُّية. وقيل: هي فعلية من الذرّ نحو قمرية. ويقال: ذرية للواحد والجمع، ويقال للأصل والنسل. قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[4] أي إياهم. ويقال للنساء الذراري. قال عليه الصلاة والسلام: «**حجوا بالذراري**. . » أي بالنساء»[5]. والراغب كما يظهر لا يترك دليلًا يؤيد قوله، سواء كان من القرآن أو السُّنة إلا ويذكره داعماً به رأيه، ومؤيداً به قوله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

(٢) الرسالة ص (٥١٣، ٥١٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٤) سورة يسٓ، الآية: ٤١.

(٥) الرسالة ص (٥٢٥، ٥٢٦).

٤- وعند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[١] قال الراغب: الغلام يجوز أن يكون أصلًا في بابه، وعنه أخذ الاغتلام، لكون المغتلم شبيهاً به في المعنى المخصوص. ويجوز أن يجعل الغليم وهو منبع الماء من ذلك. وسُمِي الغلام لكونه ذا رونق، ولذلك يقال: فلان عليه ماء الشباب.

والعقر: أصل البنّية للدار والإنسان، وعقرته أي أصبت عقره أي أصل بنيته، وذلك يقتضي معنى القتل، ثم سُمِّي الجرح - أي جرح كان - عقراً، وسمى الخمر عقاراً، لكونهما كالعاقر للإنسان، وجعل بناؤه بناء الأرواء كالخمار والكباد. والمعاقرة: المشاربة، كأنه يطلب كل واحد منهما عقر صاحبه بإسكاره، وامرأة عاقر كأنها تعقر النسل لإفسادها ماء الفحل، وجعل العقر اسماً للدية، وكنى به عن بذل البضع»[٢].

وكل هذه المعاني التي ذكرها الراغب للفظ «العقر» متقاربة، تدور حول إصابة الأصل حقيقة كان أو مجازاً.

٥- وعند قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٣] قال الراغب: «والمشاورة: استخراج صائب الرأي عن الغير، واشتقاقه من شور العسل، وشرت الدابة وشورتها»[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.
(٢) الرسالة ص (٥٤٣، ٥٤٤).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٤) الرسالة ص (٩٤٩).

٦- وعند قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[(١)] بيّن الراغب اختلاف العلماء في اشتقاق الزبور، فقال: «الزبور هو الكتاب، لقول الشاعر:

كخط زبور في عسيب يماني

قيل: قد قال بعضهم: الزبور هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام، الشرعية. والكتاب في تعارُف القرآن ما يتضمن الأحكام، ولهذا جاء في عامة القرآن (كتاب وحكمة)، ففصل بينهما لهذا، واستعمل الكتابة في معنى الإيجاب، فعلى هذا اشتقاقه من زبرت الشيء أي حكمته. وقيل: الزبور اسم لما أجمل ولم يفصّل، والكتاب يقال لما قد فصّل، واشتقاقه من الزُّبرة أي القطعة من الحديد، التي تركت بحالها، وعلى هذا قال الشاعر:

وما السيف إلا زبرة لو تركتها   على الحالة الأولى لما كان يقطع

وقيل: الزبور هاهنا اسم للزاجر من قولهم: زبرته أي زجرته»[(٢)].

٧- وعند قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[(٣)] قال الراغب: «فالنِّحلة: العطية التي لا يطلب بها عوض، وأصله - عندي - من النَّحل، فكأن نحلته: أعطيته عطية النَّحل.. وقول قتادة وابن زيد: النِّحلة الفريضة، فنظر منهم إلى حكم الآية، لا إلى موضوع اللفظ والاشتقاق»[(٤)]، وقول الراغب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤.

(٢) الرسالة ص (١٠٢٢، ١٠٢٣).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤.

(٤) الرسالة ص (١٠٩٥، ١٠٩٦).

في هذا المثال: «وأصله عندي» إشارة إلى اعتداده بنفسه، وأنه قد بلغ مرتبة أئمة اللغة، الذين يؤخذ بأقوالهم، ويعتدُّ بكلامهم وخلافهم.

٨- وعند قوله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[١] قال الراغب: «أصل السداد إزالة الاختلال، يقال: سددت الخرق إذا ردمته، والسهم إذا قوَّمته، والفقر إذا أزلته. والسداد ما يُسَدّ به، والسداد يقال في معنى الفاعل وفي معنى المفعول، ورجل سديد متردد بين المعنيين، فإنه مسدّد من قبل متبوعه، مسدّدٌ لتابعه»[٢].

٩- وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾[٣] قال الراغب: «السكر هو من السَّكْر أي سدّ مجرى الماء، وذلك لسدّ البخار الصاعد من المعدة قوة الفهم ـ وسكرت الريح: أي سكنت، تشبيهاً بسكون الماء إذا سدّ مجراه، وكذلك سُكِّرت أبصارنا: أي سدّ مجراها. والسكر قد يقال لما يعرض من الهوى والشباب والغنى. . ويقال: سكارى وسكرى.

والغائط: المنهبط من الأرض فكنَّى به عن الحدث، كالنجو في كونه للمرتفع من الأرض، وكالعذرة للفناء، والحش للبستان، والكنيف للحظيرة. . »[٤].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩.

(٢) الرسالة ص (١١١٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٤) الرسالة ص (١٢٥٠، ١٢٥١).

ثالثاً: عنايته بالفروق اللغوية:

اهتم الراغب بالفروق اللغوية اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الأصل عنده أن تكون الألفاظ مختلفة بحسب اختلاف المعاني، ولذلك كثر ذكره للفروق بين المفردات، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله حينما فرَّق بين الحق والصدق: «والحقُّ أبلغ من الصدق، لأن كلَّ صدق حق، وليس كلّ حقٍّ صدقاً»[١].

٢- وقال في الفرق بين الصورة والصبغة: «الصورة من صيرته أي أحلته، وهي هيئة معقولة أو محسوسة. والصبغة نحوها، إلا أن أكثر ما يستعمل في المحسوسة»[٢].

٣- وقال في الفرق بين الذنب والجُرم: «والذنب والجرم واحد، لكن الجرم يقال اعتباراً بالاكتساب تشبيهاً باجترام الثمرة، والذنب يقال اعتباراً بما يستحق به في الآخرة، مأخوذ من الذنَب.. وقيل سُمي الذنب اعتباراً بذنوب الإنسان منه أي نصيبه»[٣].

٤- وعند تفريقه بين التولِّي والإعراض قال: تولى الشيء أن تليه، فإذا عدي بعن صار لترك ذلك.

والإعراض في الأصل أن تجعل عرضك إليه أي جانبك. ومنه قيل: اعرض لك الصيد فارمه..»[٤].

---

(١) الرسالة ص (٤٠٦).

(٢) الرسالة ص (٤١١).

(٣) الرسالة ص (٤٣٨).

(٤) الرسالة ص (٤٨٣، ٤٨٤).

٥- وقال: «التلاوة والتنزيل والقصّ متقارب، لكن يقال: التلاوة: اعتباراً بمساوقة بعض الكلام بعضاً بالولاء.

والإنزال: اعتباراً بإخبار الأعلى الأدون، والأرفع للأوضع. والقص: اعتباراً باقتطاع الخبر على ما هو عليه»[١].

٦- ويضعِّف الراغب قول من قال: إن المعارف مكتسبة بسبب عدم إدراكهم الفرق بين لفظين، فيقول: «وقول من قال: الآية تدلُّ على أن المعارف مكتسبة بقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، فبعيد عن تصوُّر الفرق بين قولهم: يشعر، ويعلم»[٢].

٧- وقال: «والمسارعة والمبادرة والعجلة تتقارب، لكن السرعة أعمها، والمبادرة لا تكاد تُستَعمل إلا في البدن، والعجلة أكثر ما تُستعمل فيما يُتحرى عن غير فكر وروية، أو في إمضاء العزيمة قبل استكمال الرويَّة، ولهذا يقال: العجلة من الشيطان»[٣].

٨- وقال: «والفرق بين الاكتفاء والاستغناء أن الاكتفاء ما فيه سدّ الخلة، وسع أو ضاق، والاستغناء ما فيه السَّعة، فهو أعم»[٤].

٩- وقال في الفرق بين الخشية والتقوى: «الخشية: الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم، ولذلك وصف به العلماء في قوله تعالى:

---

(١) الرسالة ص (٥٩٨).
(٢) الرسالة ص (٦٢٨).
(٣) الرسالة ص (٨٠٨).
(٤) الرسالة ص (٨٤٠).

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1]. والتقوى: جعل العبد نفسه في وقاية مما يخشاه، ولذلك قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]. فالخشية مبدأ التقوى، والتقوى غاية الخشية»[3].

١٠- وفرّق الراغب بين المولى والنصير بقوله: «قيل: المولى هو الذي يتولىَّ حفظ الشيء في كلّ حال، والنصير هو الذي ينصره إذا حزبه أمر، فكان الوليّ هو النصير في كل حال، والنصير هو المولى في حال دون حال»[4].

١١- الراغب يذكر أحياناً تعدد الأقوال في الفروق، كما فعل عند ذكره الفرق بين الدرجات والمغفرة والرحمة، حيث قال: «قيل: إن المغفرة تُقال اعتباراً بإزالة الذنوب، والرحمة تقال اعتباراً بإيجاب التوبة وإدخال الجنة، والدرجات هي المنازل الرفيعة بعد إدخال الجنة.

وقيل: إن الرحمة هي أن يتوب عليه من الذنب، وإن كان بعد تبكيتٍ وعقاب. والمغفرة هي أن يستر ذنوبه فلا تبكيت به، والدرجات هي أن يجعل لكل واحدٍ درجة بقدر ما يليق به، وهي المعبرة عنها بالغُرُفات»[5].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٣) الرسالة ص (١١١٦).

(٤) الرسالة ص (١٣٢٤).

(٥) الرسالة ص (١٤٠٩، ١٤١٠).

رابعاً: عنايته بالتعليل اللغوي:

مما يتميَّز به الراغب الأصفهاني عنايته بالتعليل اللغوي، فهو لا يكاد يذكر شيئاً إلا ويذكر معه علته، أو فائدته، أو الحكمة منه، ومن الأمثلة على ذلك:

أ - تعليل التكرار:

١- قال الراغب: «وإنما كرر قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾[١] لأنه لما ذكر ما تقدم دليلًا على كون عيسى مخلوقاً، وكونه تعالى خالقاً نبه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أن لا معبود سواه، وأنه العزيز في نقمته، الحكيم في أمره، لا حاجة به إلى ولد، ولا حكمة تقتضي ذلك»[٢].

٢- ويذكر الراغب مرة أخرى علَّة تكرار قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣] بقوله: «فإن قيل: ما وجه تكرار ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ في الآية؟ قيل: لما كان منتهى إدراك الإنسان للبارئ تعالى أن يعرف الموجودات، فيعلم أنه ليس إياها، ولا مشبَّها لشيء منها، صارت صفات التنزيه له أشرف من صفات التمجيد له، إذ كان عامة صفات التمجيد في ألفاظها مشاركة يصحُّ وصف العباد بها، ولأجل ذلك عظم ما ورد من صفاته على لفظ النفي، ونحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٤] قيل في

(١) في الآية: ٢، والآية: ٦، من سورة آل عمران.

(٢) الرسالة ص (٤١٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

سورة الإخلاص: إنها تعدل ثلث القرآن، لكونها تنزيهاً محضاً. ثم أبلغ ما يوصف به التنزيه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فتكريره هاهنا لأمرين: أحدهما: لكون الثاني قطعاً للحكم كقولك: أشهد أن زيداً خارج وهو خارج. والثاني: لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه، إذ قد يوصف بهما المخلوق»[1].

وفي هذا المثال والذي قبله تتجلى قدرة الراغب اللغوية، حيث ذكر عللاً مختلفة لتكرار شيء واحد، حمله على ذلك اختلاف سياق الآيات في الموضعين.

٣- ومن تعليل التكرار ما ذكره الراغب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] بقوله: «تكرير الاصطفاء قيل لمعنيين: الأول: فرغها لعبادته وأغناها عن الكسب. والثاني: أن جعلها أمًّا لعيسى وآية له.

قيل: الأول: الاصطفاء الذي هو الاجتباء، والثاني: الاصطفاء الذي هو سبيل الهداية»[3].

٤- ومن تعليل التكرار ما ذكره الراغب بقوله: «والكلام في تكرير ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾[4] ودخول الفاء في الأخيرة منه صعب، وقد

---

(١) الرسالة ص (٤٦٦، ٤٦٧).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.
(٣) الرسالة ص (٥٥١، ٥٥٢).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

قال الزَّجَّاج: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ مكرَّر لطول القصة. قال: والعرب تعيد إذا طالت القصة (حسبت) وما أشبهها، إعلاماً أن الذي جرى متَّصل بالأول. . » ثم ذكر الراغب رأيه في هذه المسألة»[1].

٥- وقال الراغب: «إن قيل: فما فائدة قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ بعد أن قال: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[2]؟ قيل: وقد قال بعضهم ذلك على التوكيد»، ثم ذكر الراغب قوله في هذه المسألة[3].

ب - تعليل التقديم والتأخير:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾[4] قال الراغب: «وقدَّم الذين أوتوا الكتاب، لأن الحجةَّ تلزمهم من وجهين: من الوجه الذي يلزم الأُميِّين. ومن وجه أنهم يدّعون الإيمان بإبراهيم وغيره. . »[5].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[6] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ قدم الإخفاء على الإبداء، ومن البادي يُتَوصّل إلى الخافي؟. . قيل: لما كان العلم يظهر في النفس، ثم يبرز بالقول أو بالكتاب صار الخافي سبباً للبادي، فنبَّه

---

(١) الرسالة ص (١٠٣٣، ١٠٣٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) الرسالة ص (١٣٧٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(٥) الرسالة ص (٤٧٣).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

بذلك أنه يعلم الشيء منا قبل أن نظهره، وأنه يستوي عنده السرُّ والجهر»[1].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[2] قال الراغب: «إن قيل: كيف أخّر هذا الذكر لمريم عن ذكر قصتها؟ قيل: لما ذكر آيتها قرن بها آية زكريا وعبادته، ثم أتبعها بعبادة مريم متمماً لقصتها، لئلا يحتاج إلى قطع قصة زكريا، فيكون قد قرن ذكر الآية بالآية، والعبادة بالعبادة»[3].

جـ- تعليل التخصيص:

١- عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[4] قال الراغب: «وتخصيص الأرض والسماء لكون ذكرهما أهول بالإضافة إلينا، وفيه دلالة على كل شيء»[5].

٢- وعند قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[6] قال الراغب: «والفائدة في العدول عن الخطاب إلى الخبر، وتخصيص لفظ (الله) بذلك تنبيهٌ أن الذي اختُصصنا بعبادته هذا فعله..»[7].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ

---

(١) الرسالة ص (٥١٤، ٥١٥).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.
(٣) الرسالة ص (٥٥٧).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥.
(٥) الرسالة ص (٤١٢).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩.
(٧) الرسالة ص (٤٣٥).

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1] قال الراغب: «وتخصيص الأسحار لكون العبادة فيها أشقّ، والقلوب أحضر وأرقّ»[2].

فهذه أمثلة ثلاث في تعليل التخصيص فيما لا يتجاوز سبع عشرة آية من سورة آل عمران، وهذا دليل على عناية الراغب بهذا الجانب.

٤- وعند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ خصَّ اليد، وفيما ذكره عنهم أفعال بغيرها من الجوارح؟ قيل: لما كان اليد هو الآلة الصانعة المختصَّة بالإنسان، فإنه لما كفى كل واحد من الحيوانات بما احتاج إليه من الأسلحة والملابس، وسخَّره لاستعمالها في الدفع عن نفسه، وخلق الإنسان عارياً من كل ذلك، جعل له الرؤية واليد الصانعة، ليعلم برؤيته، ويعمل بيده فوق ما أعطى الحيوانات، فلما كان لليد هذه الخصوصية صارت تُخصّ بإضافة عمل الجملة إليها»[4].

د - تعليل الحذف:

١- عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[5] قال الراغب: «إن قيل: ما فائدة حذف الجزاء في هذا المكان ونحوه من قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[6]،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.
(٢) الرسالة ص (٤٦١).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.
(٤) الرسالة ص (١٠١٨، ١٠١٩).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

وقوله: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2]؟ قيل: لمَّا أراد أن ينبِّه أن الإنسان لا يُبخس حظه فيما يفعل من خير، ولا يزاد عليه في جزاء ما يفعل من شرٍّ، ذكر نفس الفعل دون الجزاء، تنبيهاً له أن فعله متوفّى بالجزاء حتى كأنه هو..»[3].

٢- عند قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4] قال الراغب: «ما سئل عنه بكيف محذوف، كأنه قيل: كيف حالهم أو قولهم وافتراؤهم؟ فحذف لدلالة الكلام عليه كحذفه في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾[5] ومعناه: كيف حالهم إذا جُوزُوا بفعلهم؟»[6].

٣- قال الراغب: «إن قيل: لِمَ ذكر في الخلق وفي إحياء الموتى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[7] ولم يذكر في غيرهما؟ قيل: لكون هذين الفعلين إلهيين، لم يجعل للمخلوقين إليهما سبيلًا، بخلاف النفخ والمداواة، والإخبار ببعض الغيب، فقد جعل للإنسان كثيراً من المداواة، وجعل لهم شيئاً من الإخبار بالغيب كالفراسة والإلهام، ولم يجعل

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) الرسالة ص (٥١٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٧.

(٦) الرسالة ص (٤٨٧).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

لهم الخلق ولا إحياء الموتى، فنبه بقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أن ذلك فعل في الحقيقة صادر منه تعالى»[1].

هـ - تعليل اختيار الألفاظ:

١- قال الراغب: «وإنما قال: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾[2] لأنه لما كانت الهبة ضربين: هبة عن عوض، وهبة لا عن عوض، نبّه بقوله: ﴿لَّدُنكَ﴾ أن هذه الهبة اعتراف أنه بتفضُّله يدرك ما يدرك من الدنيا والآخرة، نحو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[3].

٢- قال الراغب: «إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[4]؟ وفي قصة زكريا ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[5]؟ قيل: لما كان الخلق أخصّ من الفعل خصّه بما هو إبداع الفعل فيما هو أقرب إلى المعتاد في إيجاده»[6].

٣- ذكر الراغب تعليل اختلاف بعض الألفاظ في آيتين متشابهتين الأولى في سورة البقرة[7].

والثانية في سورة آل عمران[8] فقال: «يقال: كيف قال هاهنا

---

(١) الرسالة ص (٥٧٤، ٥٧٥).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٣. وانظر: الرسالة ص (٤٣٤).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.
(٦) الرسالة ص (٥٦٩).
(٧) الآية رقم (١٣٦).
(٨) الآية رقم (٨٤).

﴿قُلْ﴾، وهناك ﴿قُولُوٓاْ﴾، وذكر هاهنا ﴿عَلَيْنَا﴾ وثم ﴿إِلَيْنَا﴾، وذكر هناك ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ وترك ما أوتي هاهنا؟» ثم ذكر الراغب الجواب على هذه التساؤلات كلّها[1].

٤- عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ خصَّ لفظ (ظلام) الذي هو للتكثير في نفس الظلم في هذا المكان، ولم يقل على ما قال في قوله: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[3] الذي هو يقتضي نفي الظلم قليله وكثيره؟ قيل: إنما خصّ ذلك لأنه لما كان في الدنيا قد يظن بمن يعذب غيره عذاباً شديداً، أنه ظلَّام قبل أن يُفحص عن حال جرمه بين تعالى ذنبهم، وأنه إذا عاقبهم عقوبة شديدة فليس بظلَّام لهم، وإن كان قد يُظن في الدنيا بمن يفعل ذلك أنه ظلَّام، تعالى الله عن الظلم»[4].

خامساً: إيراده أقوال اللغويين والنحاة:

ومن عناية الراغب الأصفهاني بلغة القرآن استشهاده بأقوال اللغويين والنحاة، وذكره لكلامهم في المعاني أو الإعراب أو فيما يتعلق بفنون البلاغة واللغة الأخرى، وفيما يلي حصر بعدد المرات التي ذكر فيها الراغب أقوال أهل اللغة مبتدئاً بمن نقل عنه أكثر منتهياً بالأقل:

---

(١) الرسالة ص (٦٨٩).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢ .
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠ .
(٤) الرسالة ص (١٠١٩، ١٠٢٠).

١- الفرّاء	١٧ مرة
٢- الزجّاج	١٠ مرات
٣- أبو عبيدة	٤ مرات
٤- الخليل	٣ مرات
٥- سيبويه	٣ مرات
٦- الكسائي	مرتين
٧- المبرد	مرتين
٨- ابن قتيبة	مرة
٩- الأخفش	مرة
١٠- مؤرج	مرة
١١- الجاحظ	مرة
١٢- ابن الأعرابي	مرة
١٣- قطرب	مرة
١٤- الأصمعي	مرة
١٥- الجرجاني	مرة
١٦- أبو علي الفسوي	مرة

وقد تبيَّن لي من خلال مطابقة ما ذكره الراغب عن بعض هؤلاء العلماء بما سطَّروه في كتبهم؛ أن الراغب ينقل عن هؤلاء بالمعنى، ولا يلتزم النقل عنهم حرفيًّا، ولعله ينقل من ذاكرته دون الرجوع إلى كتب هؤلاء الأئمة.

مثال ذلك ما ذكره الراغب عن الفرّاء في معنى الإحساس قال:

«وقال الفرّاء: يقال: حَسَسْتُ وحسِسْتُ، وحسِيتُ وأحستُ»، وهذه الكلمات لم يوردها الفرّاء لمعنى واحد، كما ذكر الراغب، وإنما أوردها لعدة معانٍ، فقد قال: «حَسَسْتُ في معنى الإفناء والقتل. حسِسْتُ وحَسَسْتُ في معنى العطف والرقة. أَحْسَسْتُ وأَحَسْتُ، وأحسيتُ وحسيتُ: الخبر بالخبر علمت»[1].

ونقولات الراغب عن هؤلاء الأئمة تدل على غزارة علمه، وسعة اطلاعه، واهتمامه بما كتبه سابقوه في شتى مجالات المعرفة، ومنها علوم اللغة وفنونها المختلفة.

والراغب لم يكن ناقلًا عن هؤلاء فحسب، بل كان مفسِّراً لكلامهم، ذاكراً علَّته، مناقشاً لأقوالهم، ناقداً لها أحياناً، فهو ينقل عن هؤلاء الأئمة نقل العالم الخبير والناقد البصير، وهذا ما سوف نتناوله بالبحث في المبحث التالي.

سادساً: قدرته على النقد اللغوي:

للراغب قدرة فائقة في مجال اللغة على مناقشة أقوال الغير، والحكم عليها، والترجيح بينها، وذكر العلة، سواء في تصحيح القول أو تضعيفه، وهو غالباً يوفِّق بين الأقوال، ولا يردّ القول إلا إذا لم يجد ما يشهد له من الأدلة الصحيحة: سمعية كانت، أم عقلية، أم لغوية، ويمكن تلمُّس قدرة الراغب على النقد اللغوي من خلال تتبُّع الأمثلة التالية:

---

(١) معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢١٦، ٢١٧). وانظر: اختصار الراغب لكلام الفرّاء في موضع آخر من الرسالة ص (٨٠٥). وتصرُّفه في قول الخليل ص (٨٨٢) من الرسالة.

١- قال الراغب في أول كلامه على سورة آل عمران: «الأصل في حروف التَّهجي السكون، وكان حكم الميم حكم غيره، لكن حُرّك لالتقاء الساكنين، وفُتِحَ استثقالاً للكسرة فيه من أجل الياء قبله. ومن قال: إنما فُتِحَ لأنه أُلْقِيَ عليه حركة الهمزة فخطأ، لأن هذه الهمزة تسقط في الدرج إلا في قولهم: يا الله. والهمزة التي تلقي حركتها على ما قبلها هي الثابتة في الوصل والوقف. نحو: مَنَ ابوك؟ إذا قلت: من أبوك؟ فيروى عن عاصم وغيره سكون الميم وقطع الألف، وليس ذلك بصحيح عند النحويين، لكون الألف فيه للوصل»[1].

فالراغب في هذا المثال ضعف قول الفرّاء القائل بأن الميم في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ إنما فتحت لأنه أُلقِي عليها حركة الهمزة من لفظ الجلالة (الله)، ولم يكتف الراغب بتخطئة القول، بل ذكر سبب ردّه له ورفضه إياه.

ثم ذكر الراغب قراءة عاصم وغيره من القراء لقوله: ﴿الٓمٓ * اللَّهُ﴾ بسكون الميم وقطع الألف، ونظراً لأن الأمر يتناول قراءة متواترة، كان الراغب حريصاً عندما قال: «وليس ذلك بصحيح عند النحويين» فلم يُطْلِق القول بعدم الصحة، لأنه من المعلوم أن القراءة إذا ثبتت بالتواتر عن النبي ﷺ أو عن قراء الصحابة، فلا عبرة بتضعيف النحويين لها.

٢- وناقش الراغب قولاً آخر للفرّاء، وذلك عند قوله تعالى:

---

(١) الرسالة ص (٤٠١، ٤٠٢).

﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾[1] فقال: إن قيل: ما وجه ذلك وقد كانوا ثلاثة أمثالهم، فقد رُوِيَ أن المشركين كانوا تسعمائة وخمسين إلى ألف، والمسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشرة؟ قيل: في ذلك أقوال: أحدها: ما قاله الفرّاء: وهو أن يقول الرجل لغيره: أحتاج إلى مثلك، أي أحتاج إليك وإلى آخر، وعلى هذا أحتاج إلى مثليك، يكون محتاجاً إلى ثلاثة، فكأنه قيل: يرونهم ثلاثة أمثالهم، وهذا لا يساعده اللفظ، لأنه لو كان كما يقول لقال: يرونهم ومثليهم»[2].

٣- والراغب قد يعرض للقضية بما فيها من مناقشات العلماء لآراء بعضهم البعض، دون أن يُرجِّح رأياً على آخر، كما فعل في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[3] قال: «اللهم تقديره عند سيبويه يا الله، والميمان بدل من ياء، ولا يستعمل ذلك إلا في هذه اللفظة فقط.

وعند الفرّاء تقديره: يا الله أمنا بخير، فجُعِلا بمنزلة لفظ واحد، وحذف الهمزة منه كقولهم: هلم. وأصله هل أم. وقال البصريون: لو كان كما ذكر الفرّاء لاستغنى به عن جواب الشرط، إذا قيل: يا الله أمنا بخير لكون ذلك مكرراً»[4].

ويظهر من هذا المثال استيعاب الراغب لأقوال العلماء في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

(٢) الرسالة ص (٤٤٤، ٤٤٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٤) الرسالة ص (٤٨٨ - ٤٩٠).

المسألة، وأدلة كل فريق منهم، وهذا الاستيعاب والمعرفة من الأمور اللازمة لكل ناقد في أي فرع من فروع المعرفة، وإلا فكيف يحكم على الأقوال، ويناقشها، ويفاضل بينها من يجهلها، أو يجهل بعضها، أو يجهل أدلتها وقواعدها.

٤- ومن ذلك أيضاً ما ذكره الراغب من تضعيف الزّجّاج لقول أبي عبيدة، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾(١). قال الراغب: «وقال أبو عبيدة: عنى ببعض الذي حُرِّم الكلّ، واحتجَّ بقوله:

أو يرتبط بعض النفوس حمامها.

وقال الزجاج: هذا فاسد، لأن البعض لا يكون بمعنى الكل، وعنى لبيد ببعض النفوس نفسه خاصة فعرَّض، لأن عيسى حلَّل بعض المحرمات، وهو الذي كانوا حرَّموا على أنفسهم»(٢).

٥- والراغب كثيراً ما يعلِّل أقوال اللغويين، ويستدلُّ لها، ومن ذلك:

قال الراغب: «وقول أبي عبيدة: الحواريون صفوة الأنبياء. فنظر منه إلى حواري عيسى عليه السلام، وإلى قول النبي ﷺ»(٣).

وقال الراغب: «وقوله: ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾(٤) في موضع الحال عند الفرّاء. قال: وتقديره: قد حصرت صدورهم. وتقوّى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.
(٢) الرسالة ص (٥٧٨، ٥٧٩).
(٣) الرسالة ص (٥٨٤، ٥٨٥).
(٤) سورة النساء، الآية: ٩٠.

ذلك بقراءة الحسن (أو جاؤوكم حَصِرةً صدورهم)»[1].

٦- والراغب لا يقوم بتضعيف القول ـ في الغالب، إلا ويذكر علَّة تضعيفه ـ مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[2] نقل الراغب عن المبرد قوله: «لا يكون (أن) في كلامهم مقتضياً (للا) وإنما تقدير ذلك: كراهة أن يؤتى أحد، وجعل المعنى كما تقدم.

وعقَّب الراغب على كلام المبرد بقوله: «وهذا التقدير بعيد، لأجل أن أحداً هنا يختصُّ بالنفي وما في معناه وعلى تقديره، ويكون مستعملًا في الإيجاب. على أن بعض النحويين ذكروا أن أحداً هاهنا هو المستعمل في الإثبات في نحو ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3].

٧- ومما يدل على أن الراغب لا يلجأ إلى تضعيف القول إذا كان هناك ما يشهد له، ما ذكره عن الفرّاء في قوله تعالى: ﴿۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[4]، فقد ذكر الراغب أن قوله: ﴿۞ لَيْسُوا سَوَآءً﴾ كلام تام، أي لا يستوون. ثم قال: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أي منهم أمة قائمة. ورأي الراغب هذا هو اختيار ابن جرير والزجاج والنحاس. ثم قال الراغب: «وقال الفرّاء: ذكر أمة قائمة وحذف الأخرى، كقول الشاعر:

فما أدري أرشد طلابها

---

(١) الرسالة ص (١٣٨٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الإخلاص، الآية: ١. وانظر الرسالة ص (٦٤٤، ٦٤٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

وتقديره أم غي» ومع أن الراغب لا يرى هذا القول، إلا أنه وجّهه قائلًا: «وما قاله إنما يصح إذا جعل ﴿ أُمَّةٌ ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿ ۞ لَيۡسُواْ ﴾، أو جعل الواو فيه كالواو في (أكلوني البراغيث) ويجعل ﴿ أُمَّةٌ ﴾ اسم ليس، وتكون المفاضلة بين أمة قائمة وأمة غير قائمة»[1].

٨- وقد يُعرِّض الراغب للقول ولا يُضعفه، ولكنه يختار غيره، كما فعل مع قول الزجاج في قوله تعالى: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[2] قال الراغب: «وقد قال الزجاج: لا تحسبن. مكرّر لطول القصة. قال: والعرب تعيد إذا طالت القصة حسبت وما أشبهها، إعلاماً أن الذي جرى متصل بالأول، تقول: لا تظن زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا فلا تظنه صادقاً. وقيل: الفاء زائدة».

ثم قال الراغب: «والوجه في ذلك عندي أن قوله: لا تحسبن. على الخبر، وتقدير الكلام فيه، وذلك إشارة إلى يوم القيامة بعد أن يدخل الكفار النار، ويقال لهم: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[3]. والمعنى: والله إنك لا تحسبهم حينئذٍ أنهم بمفازة من العذاب. أي لهم سبيل إلى الخلاص، فلا تحسبنهم الآن، وهذا نهي والأول خبر»[4].

٩- وقد يضعِّف الراغب القول ـ أحياناً ـ دون ذكر سبب وعلة

---

(١) الرسالة ص (٨٠٤ - ٨٠٦).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.
(٤) الرسالة ص (١٠٣٤).

التضعيف، فقد قال عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾[1] الآية. . : «وقال قطرب: الكلالة لمن عدا الأبوين والأخ وليس بشيء. .»[2].

١٠- وقد يضعِّف القول بسبب عدم وروده عن اللغويين، كما في قول الجرجاني عند قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[3] قال: «وقال الجرجاني في كتاب النظم: تقديره (جاءوكم حصرت صدورهم) فحذف (إن). والفعل الماضي يقع في الشرط موقع المستقبل. وفيما ادعاه من إضمار (إن)، عهدة، فما أرى أهل اللغة يطابقونه عليه»[4].

سابعاً: عنايته بالنحو والإعراب:

ذكر الراغب علم النحو ضمن العلوم التي شرط على المفسر معرفتها، فهو من العلوم اللازمة في فهم القرآن ومعرفة تفسيره وأحكامه ومعانيه، وقد أشار الإمام مكي بن أبي طالب إلى أهمية الإعراب في تفسير كلام الله تعالى بقوله: «فإني رأيت أفضل علم صُرِفتْ إليه الهمم، وتعبت فيه الخواطر، وسارع إليه ذوو العقول علم كتاب الله تعالى، إذ هو الصراط المستقيم والدين المبين والحبل المتين»[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢.
(٢) الرسالة ص (١١٣٢، ١١٣٣).
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٤) الرسالة ص (١٣٨٣).
(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن ص (٦٣).

ثم قال: «ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه يحتاج معرفة إعرابه، والوقوف على تصرُّف حركاته وسواكنه؛ ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على إحكام اللفظ به، مطلعاً على المعاني التي تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد»(١).

وقد ظهر جليًّا في تفسير الراغب أثر الإعراب في اختلاف المعنى والتفسير، وسوف نسوق لذلك بعض الأمثلة، التي توضح هذا الأثر، والتي تبين مدى اهتمام الراغب وعنايته بعلم النحو:

١- قال الراغب: «إن قيل: ما معنى ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢)؟ وذلك يقتضي جواز نبي ليس بصالح، قيل: قوله ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ متعلق بمضمر، أي وهو من الصالحين، وذلك مما أكّد به قوله: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾(٣)، ومعناه: من أولاد الصالحين»(٤).

تبيّن من هذا المثال أثر الإعراب في معنى الآية، وأنه لولا القول بتعلق الآية بمضمر لاقتضى جواز وجود نبي ليس بصالح، وهذا يبين أن النحو عند الراغب خادم للمعنى القرآني، لذلك فإننا لا نجد

---

(١) مشكل إعراب القرآن ص (٦٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.
(٤) الرسالة ص (٥٤٢، ٥٤٣).

الراغب ينساق وراء الصناعة النحوية، فيصطدم مع المعاني القرآنية المقررة، وإنما يعالج قضايا النحو من الناحية التي تخدم تفسير القرآن، وتبرز معانيه.

٢- وعند قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[١] أشار الراغب إلى أن المعنى في هذا المثال لم يختلف باختلاف الإعراب، فقال: «و ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هاهنا جارٍ مجرى (الذين) و ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ صلته. وقيل: بل هو تابع لأنتم، جارٍ مجرى عطف البيان. و ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ هو الخبر. والمعنى لا يتغير باختلاف التقديرين»[٢].

٣- ومن ذلك ما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[٣] قال الراغب بعد أن ذكر بعض الأقوال في معنى الآية: «وقيل إن توبتهم غير مقبولة في حال ما هم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان. فالواو في قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ على هذا واو الحال»[٤].

٤- ومن ذلك أيضاً قال الراغب: «وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[٥] لم يجزمه، لأنه إذا جُعِلَ جواباً اقتضى أن النصرة عنهم ممنوعة في حال المقابلة فقط. وإذا رُفِعَ اقتضى أنهم ممنوعون عنها في كل حال»[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.
(٢) الرسالة ص (٦٢١).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.
(٤) الرسالة ص (٧٠٨).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١١.
(٦) الرسالة ص (٧٩٧، ٧٩٨).

٥- ومن آثار اختلاف المعنى لاختلاف الإعراب: ما ذكره الراغب عند تفسير الآية الأولى من سورة النساء بقوله: «إن قيل: ما وجه عطف الأرحام على الله، والتقوى في الحقيقة من الله ومن عذابه، لا من الرحم، وقد كان الوجه أن يقال: اتقوا الله في الأرحام أو للأرحام؟ قيل: أجيب عن ذلك بأوجه».

ثم ذكر الراغب ثلاثة أوجه مختلفة في الآية، كان سبب اختلافها هو اختلاف العلماء في تقدير المحذوف، فمنهم من قال: المعنى: اتقوا عقوبة الله، واتقوا عقوبة قطع الأرحام.

ومنهم من قال: المعنى: اتقوا الله في الرحم. فحذف الجار، وأقيم حرف العطف مقامه.

ومنهم من قال: المعنى: اتقوا الله، وقوا الأرحام[١].

٦- والراغب يذكر بعض القواعد النحوية أثناء تناوله للآيات بالإعراب، ومن ذلك:

أ- قوله: «وإنما يجوز البدل فيما إذا كان بدل بقدر المبدل منه، فأما إذا نقص فليس إلا الاستئناف نحو: مررت بثلاثة: صريعٌ وجريحٌ»[٢].

ب- قوله: إن قيل: لِمَ رفع (يكون)[٣] ولَمْ ينصب على جواب الأمر؟ قيل: جواب الأمر يجب أن يكون غيره، نحو: ائتني فأكرمك.

---

(١) الرسالة ص (١٠٧٥، ١٠٧٦).

(٢) الرسالة ص (٤٤٤).

(٣) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

وتقديره: ائتني فإنك إن تأتني أكرمك. ولو جعل (فيكون) جواباً لكان تقديره: كن فإنك إن تكن تكن، وهذا لا يصح، لأن معنى الجواب معنى الشرط، وإذا رفع فتقديره: فهو يكون»[1].

ج- قوله: «والتمييز على ثلاثة أضرب: الأول أن يدل ما قبله على عدد فلا يجمع، نحو: عشرون درهماً.

والثاني: أن يشتبه، فلابد من جمع إذا أريد الجمع، نحو قولهم: أفره القوم عبيداً.

والثالث: أن يستوي الواحد والجمع، لكونه معلوماً منهما المعنى على حد نحو قولهم: فلان أحسن القوم عيناً، لأنه يعلم أن القوم لم يشتركوا في عين واحدة»[2].

د- قوله: «والفرق بين العطف والنصب على الصرف هو أنه إذا كان عطفاً يراد حصول الفعلين مجتمعين كانا أو مفترقين، وإذا نصب فالمراد حصول الفعلين معاً ونفيهما معاً»[3].

٦- وكما هي عادة الراغب في النقد والتمحيص، فإنه ربما رجّح أحد الأوجه الإعرابية على غيره، وربما ضعَّف أحد الأوجه، وكذلك فإنه ربما ردَّ على بعض النحويين أثناء تناوله الآية بالإعراب.

---

(١) الرسالة ص (٦٠٢، ٦٠٣).

(٢) الرسالة ص (١٠٩٨).

(٣) الرسالة ص (٨٨٧).

أ- فمثال ترجيحه أحد الأوجه الإعرابية قوله: «وقوله: ﴿ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ ﴾[1] مفعول ﴿ تَجِدُ ﴾ ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾ معطوف عليه، كأنه قيل: وما عملت من سوء محضراً و ﴿ تَوَدُّ ﴾ في موضع الحال.

وقيل: ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾ استئناف، إما جزاء، وتودّ جوابه، وعلى هذا لو قرئ (تود) بالفتح أو بالكسر لجاز. وإما أن يكون متضمناً لمعنى الشرط، وإن لم يكن في تقدير الجزم نحو: الذي يأتيني له درهم، والأولى أن يكون معطوفاً كما تقدم»[2].

ب- ومثال تضعيفه أحد الأوجه الإعرابية ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾[3] بقوله: «إن قيل: كيف يصحُّ أن يكون ﴿ تُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ مفعوله ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ وقد عُدِّي إلى قوله: ﴿ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ و ﴿ ءَامَنَ ﴾ لا يصح أن يُعدَّى إلى مفعولين بغير حرف العطف؟ قيل: إن اللام تتعلّق به لا على حدّ المفعول به، وتقدير الكلام: لا تُقَروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع. وقوله من قال: اللام زائدة نحو ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾[4] فبعيد، لأن ﴿ ءَامَنَ ﴾ هذا لا يتعدى إلا بالجار»[5].

ومثال ذلك أيضاً تضعيفه أحد الأوجه الإعرابية في قوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٢) الرسالة ص (٥١٦). ونظر: ترجيحه لأحد الأوجه الإعرابية ص (١٠٣٤، ١٠٣٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٤) سورة النمل، الآية: ٧٢.

(٥) الرسالة ص (٦٣٩، ٦٤٠).

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] فبعد أن ذكر وجهين إعرابيين سكت عنهما، ذكر وجهاً ثالثاً بقوله: «وقال بعضهم: تقديره: لا تنكحوا ما نكح آباؤكم إنه كان فاحشة، وهذا لا يصحّ من أجل اللفظ، فإن ما يتصل بما بعد أن لا يقدّم عليه، ولا تقول: عمراً إن زيداً يضرب، وتعني أن زيداً يضرب عمراً»[2].

ج- ومثال ردّه على بعض النحويين قوله: «وإدخال الواو في قوله: ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾[3] لعموم المعنى، ومعناه: لا يقبل منهم ذلك، وإن أخرجه للقربة في الدنيا، إذ كان لا يتقبل الله إلا من المتقين، ويجوز أن يعنى ذلك في الآخرة، ومعناه: لو ملك ذلك فأخرجه لم يكن ينفعه، وليست الواو بزائدة، كما ظن بعضهم، لأنه حينئذٍ يسقط معنى عموم الحالين»[4].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾[5] قال الراغب: «وقال بعض النحويين: ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ مرفوع رفعاً صحيحاً وتقديره: فلا يضركم، وحذف الفاء كقول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله يشكرها».

ثم قال الراغب: «وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر»[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٢.
(٢) الرسالة ص (١١٦٠، ١١٦١).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.
(٤) الرسالة ص (٧٠٨، ٧٠٩).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٦) الرسالة ص (٨٣١، ٨٣٢).

ثامناً: عنايته بالبلاغة:

اهتم الراغب بالبلاغة القرآنية، كما اهتم بغيرها من علوم القرآن، غير أن الراغب لم يكثر من الحديث عن أوجه البلاغة القرآنية، بحيث تطغى على مهمته كمفسر، فإن مهمة المفسر الأولى هي بيان المعاني القرآنية والأحكام الربانية، وعلوم اللغة الأخرى لابد أن تكون خادمة لهذا المقصد، غير منفصلة عنه أو طاغية عليه، فليس القرآن كتاب بلاغة أو إعراب، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد وإصلاح.

وقد ذكرتُ في مبحث التعليل اللغوي أنواعاً من التعليلات البلاغية، مثل: تعليل التكرار، تعليل التقديم والتأخير، تعليل التخصيص، تعليل الحذف، تعليل اختيار الألفاظ.

وسوف أذكر هنا بعض الأمثلة الأخرى، التي تبيِّن عناية الراغب ببلاغة النصّ القرآني، وتشير إلى تطرُّقه إلى بعض المصطلحات البلاغية، وقضايا البلاغة التي تشير إلى إعجاز القرآن وحسن نظمه.

١ - ذكر الراغب الاعتراض كصورة من الصور البلاغية، فقال: «فقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[(١)] اعتراض بين بعض الجملة وبعضها تسديداً لها، وجواباً لهم.

وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾[(٢)] جواب لهم، والاعتراض

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

بين المتصلين من الجملة بما فيه تحقيق لمقتضاها من بلاغات كلامهم، وعلى ذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُوْلَٰٓئِكَ ﴾[1] فقوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ فصل بين اسم إن وخبره، لتحقيق مقتضى الكلام»[2].

٢- وذكر الراغب أن قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[3] بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ الآيتين[4]. وقوله: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[5] من الاعتراض المسمى في كتب البلاغة: الالتفات»[6].

٣- وذكر الراغب الالتفات مرة أخرى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[7] فقال: «وفصل بين بعض هذا الحكم وبعضه بفصلين: أحدهما قوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾. والثاني: حكم الأمة، كيف ينبغي أن تكون صفتها حتى يجوز التزوُّج بها. ومثل هذا الاعتراض يسمى في البلاغة الالتفات»[8].

٤- وأشار الراغب في بعض المواضع إلى خروج الاستفهام عن

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) الرسالة ص (٦٤١، ٦٤٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

(٦) الرسالة ص (٧٢٢).

(٧) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٨) الرسالة ص (١١٨٥).

معناه إلى معانٍ أخرى، فقد قال عند قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[1] «ولفظ (كيف) وإن كان استفهاماً، فالقصد به النفي هاهنا، وعلى هذا قول الشاعر:

ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم ....

فأدخل الباء في خبر هل، لما أراد معنى ليس»[2].

٥- وقال أيضاً: وقوله ﴿ لِمَ ﴾[3] وإن كان أصله استفهاماً، فالمقصد به هاهنا الإنكار، والتنبيه أن لا جواب لهم»[4].

٦- عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ الآية[5]، قال: معنى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾: لا تحسبوا. واستعارة الاستفهام للنهي، مبالغة في المعنى»[6].

٧- والراغب يذكر فوائد بعض الحروف البلاغية، كما في قوله: «ودخول الفاء في قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴾[7] لتضمُّن الكلام معنى الجزاء، كأنه قيل: إن تابوا وأصلحوا يغفر لهم»[8].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٢) الرسالة ص (٦٩٧، ٦٩٨).
(٣) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٩٨.
(٤) الرسالة ص (٧٤٧).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.
(٦) الرسالة ص (٨٨٤).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.
(٨) الرسالة ص (٧٠٥).

٨- وقال أيضاً: «وإدخال الواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[1] لعموم المعنى، ومعناه: لا يقبل منهم ذلك، وإن أخرجه للقربة في الدنيا، إذ كان لا يتقبل الله إلا من المتقين»[2].

٩- وذكر الراغب التقابل عند قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3]. قال الراغب: «إن قيل: المقابلة في الاثنين غير صحيحة، فإن التقابل الصحيح أن يكون المذكور في الثانية عكس المذكور في الأولى، وليس قوله: ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عكساً لقوله: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ قيل: مراعاة التقابلُ على ضربين: تقابلُ اللفظ، وتقابل المعنى، وهو أفضلهما عند أصحاب المعاني، فالتقابلُ حاصل من حيث المعنى»[4].

١٠- وذكر الراغب التقابل أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[5] فقال: «السراء والضراء إشارة إلى حالي السعة والضيق، كاليسر والعسر، وإلى حالي السرور والاغتمام، وقد فُسِّر بهما، واللفظ يتناولهما، فإن السراء يقابلها الغم، والضراء يقابلها النفع، فأخذ اللفظان المختلفا التقابل، ليدل كلّ واحد على

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٢) الرسالة ص (٧٠٨، ٧٠٩).

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.

(٤) الرسالة ص (٧٨٦).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

مقابله، وهذا من دقائق إيجازات البلاغة»[1].

١١- وعند قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[2]، فرّق الراغب بين الاستخبار والاستفهام[3]، فقال: «إن قيل: كان الوجه أن يقال: ألستم قد كفرتم؟ فلفظ الاستفهام في القرآن محمول على الإنكار، والإنكار متى تجرَّد عن حرف النفي، يكون للنفي نحو قوله: ﴿قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾[4] وإذا كان للإثبات قرن به حرف النفي؟ قيل: الألف في الأصل للاستخبار. والاستخبار أعم من الاستفهام، وكلّ استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً، والمستخبر قد يقصد إلى أخذ إقرار المستخبَر، أو إلى إلجائه إلى الإقرار بما ينكره. وقوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ استخبار على هذا الوجه، وتقريع لهم، وعلى ذلك قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[5].

١٢- عند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[6] ذكر الراغب وجهاً بلاغيًا لقوله: ﴿كُنتُمْ﴾ بدلاً من (أنتم)، فأشار إلى «أن ما تشارك فيه الأصول الثلاث: الماضي والحال والمستقبل، لا فرق بين أن تقول: كنت كذا أو أنت كذا، لأن القصد ليس إلى تخصيص الزمان، بل إلى ذكر ثبوت ذلك الشيء، وأيًا من ذلك ذكرت، فإنه لا يقتضي من حيث اللفظ نفي الآخر، وإذا كان كذلك كان أولى

---

(١) الرسالة ص (٨٥٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٣) انظر: الرسالة ص (٧٨٧، ٧٨٨).

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الألفاظ بمثله (كان) لأنه يقتضي الحصول، ولا يقتضي تغيير الشيء من حيث اللفظ، ولهذا أورد تعالى جُلَّ أوصافه على ذلك، نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

١٣- وتعرَّض الراغب لصحة الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] عندما تساءل: إن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولا يصح في الإثبات أن يقال: اعتصمت إلا بحبل فلان، والاستثناء في الإثبات لا يكون إلا من لفظ عام؟

قيل: إن قوله: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾[3] مقتضٍ لمعنى العموم، كأنه قيل: بكل حال. فصحَّ أن يقال: إلا بحبلٍ[4].

١٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾[5] ذكر الراغب بلاغة لفظ الإفراد بقوله: «ولفظ الإفراد أولى في هذا الموضع، لأنه يتضمن أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ويتضمَّن أنهم يؤمنون بتفاصيل كل كتاب بخلاف من قال فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[6].

١٥- وذكر الراغب الاستعارة عند قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾[7] فذكر قولاً بأن ذلك على الاستعارة، وضَرْبٌ من

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٦. وانظر: الرسالة ص (٧٩٠ - ٧٩٢).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٤) الرسالة ص (٨٠٢، ٨٠٣).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٠. وانظر: الرسالة ص (٨٢٧).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

التهكُّم في كلامهم، كقوله:

تحية بينهم ضرب وجيع»[1].

١٦- وذكر الاستعارة أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[2] فقال: «ومنهم من جعله استعارة لطمأنينة جأشهم وزوال خوفهم..»[3].

١٧- وذكر الاستعارة كذلك عند قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[4] فقال: «الخبيث مستعار للعمل السيء، والطيب للعمل الصالح، تشبيهاً للذكر المسموع بالنشر المشموم»[5].

١٨- وقال الراغب: «وقوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[6] استعارة متناهية في وصول الألم إلى الباطن، وعلى ذلك استعير لهم الطعام في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[7] وذكر مع الذوق المس في قوله: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾[8] تنبيهاً أن ذلك استعارة»[9].

---

(١) الرسالة ص (٩٢٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) الرسالة ص (٩٣٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٥) الرسالة ص (١٠٠٧، ١٠٠٨).

(٦) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٧) سورة المزمل، الآية: ١٣.

(٨) سورة القمر، الآية: ٤٨.

(٩) الرسالة ص (١٢٨٠).

تعددت مجالات النظر في تفسير الراغب الأصفهاني، وأعني بذلك استخدام العقل في فهم كثير من معاني الآيات القرآنية وأسرارها، ولم يكن ذلك إلا بعد النظر والتأمُّل والتدبُّر في تلك الآيات، ويمكن الحديث عن مجالات النظر في تفسير الراغب من خلال النقاط التالية :

أولاً : مكانة العقل عند الراغب .

ثانياً : استخدامه للقياس والقضايا المنطقية :

ثالثاً : نظره في حكمة الترتيب .

رابعاً : حرصُه على دفع توهُّم التعارُض بين أدلة الوحي .

خامساً : قدرته على السبر والتقسيم .

أولاً: مكانة العقل في تفسير الراغب:

جعل الراغب معرفة الأدلة العقلية شرطاً من شروط المفسر، وجعل أيضاً العقل صنو الشرع في هداية الإنسان، حيث ذكر في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1] أن للإنسان هاديين : الشرع والعقل كالأصل للشرع، فبيَّن تعالى أن الذي أتاكم به من الشرع لو كان من عند غير الله لكان مقتضى العقل يخالفه، فلما لم يوجدبينه وبين العقل منافاة علم أنه من عند الله»[2] .

---

(١) سورة النساء، الآية : ٨٢ .

(٢) الرسالة ص (١٣٤٩) .

وبيَّن الراغب أنه لا يمكن أن يكون هناك اختلافاً أو تعارضاً بين العقل الصحيح والنصِّ الصريح، فقال: «فإن قيل: فقد ورد في الشرع أشياء يقتضي العقل خلافها. قيل: كلا، فإن جميع ما ورد به الشرع لا ينفك من وجهين: إما شيء يحكم به العقل لكونه حسناً مثل استعمال إلٰه. . الجملة وعبادة الربّ، أو يكون غير مهتدٍ إلى معرفته لا أنه يستقبحه، فيبين الشرع حسنه، وذلك كأعداد الصلوات وهيئاتها وأركانها في كونها عبادة على وجه دون وجه.

وأما أن يأتي الشرع بشيء قدقضى العقل بكونه قبيحاً فليس ذلك بموجود. وبعض الناس تصوَّر أشياء ينفر الطبع منها: لعادات جارية أو اعتقادات فاسدة، ولم يفرِّقوا بينه وبين حكم العقل، فظنوا أن العقل حكم بضدِّ الشرع كذبح البهائم»[1].

غير أن الراغب بيّن بعد قليل أن العقل وحده لا يستطيع هداية البشر، فقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]: «فالذي هدانا إلى البلوغ إلى ثوابه فضلان: فضل العقل، وفضل الشرع، وعنى هاهنا بالفضل الشرع دون العقل، وبيّن أنه لولا ما أنعم به على الناس من رسوله وكتابه لما اهتدى من خلائقه بالعقل المجرد إلا قليل من الناس»[3].

وجعل الراغب اتباع العقل موازياً لاتباع الشرع، فقد ذكر أنه:

---

(١) الرسالة ص (١٣٥٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) الرسالة ص (١٣٥٥).

«لا يجب على الإنسان أن يتبع الهوى، بل يفعل ما يقتضيه العقل والشرع»[1].

وجعل آيات الله شاملة للحجج والبراهين العقلية، فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[2] قال الراغب: «لم يعن بآيات الله كتابه فقط، بل كل آية دالة عليه: عقلية كانت أم سمعية، فهي كل شيء له عبرة»[3].

ثانياً: استخدامه القياس العقلي والقضايا المنطقية:

مما يدل على احتفال الراغب بالنظر استخدامه القياس العقلي في مواضع من تفسيره، منها:

١- عند قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4] قال الراغب: «وفي الآية تنبيه على قياس، نتيجته أن الله لا يحب اليهود بوجه، وبيانه أن الله يحب المتقين، ومن لا يوفي بعهده فليس بمتقٍ، واليهود غير موفين، فإذن لا يحبهم الله»[5].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[6] قال الراغب: «وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي بعد أن كنتم على دين إبراهيم، أو بعد أن

---

(١) الرسالة ص (١١٥٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤.
(٣) الرسالة ص (٤١٠).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.
(٥) الرسالة ص (٦٥٨).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

اتبعتم النبيَّ فيما دعاكم إليه. وهذا كلام يقتضي قياساً بيانه: النبيّ لا يأمر المسلمين بالكفر، وهذه مقدمة دلَّ عليها قوله: ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ﴾، لأن هذا الإنكار يقتضي أبلغ نفي، والأمر باتخاذ النبيين والملائكة أرباباً أمرٌ بالكفر، فإذن لا يكون ذلك من الأنبياء»[١].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾[٢] قال الراغب: «والآيتان تضمنتا إلزاماً، هو جارٍ مجرى قياسين شرطيين، اقتضيا الحرص على القتل في سبيل الله، وبيانه ما أقول: إن قتلتم في سبيل الله أو متم فيه حصلت لكم المغفرة والرحمة، تنبيهاً أنه أوجبهما للثواب، ولمَّا عنى في الثانية الموت المطلق، والقتل العارض، قدَّم أبينَهما عندهم إذ لابد منه. فكأنه قيل: إن حصل ما لابد منه بوجهٍ وهو الموت حتف الأنف، أو ما هو عارض، وعندكم أنه قد يكون منه خلاص وهو القتل، فالحشر لا محالة حاصل»[٣].

٤- ومن القضايا العقلية المنطقية التي أوردها الراغب ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٤] بقوله: «أي من تولى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته، فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبب إليه بتولّيه عنه، فمحالٌ أن يحبه، فصار تقديره: إنكم إذ كفرتم بالإعراض عنه وعن رسوله

---

(١) الرسالة ص (٦٧٥، ٦٧٦).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.

(٣) الرسالة ص (٩٤٦، ٩٤٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

فإنه لا يحبكم، وفي ذلك إبطال دعواهم حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[1]».

ثالثاً: نظره في حكمة الترتيب:

اعتنى الراغب في تفسيره بمعرفة حكمة الترتيب بين الآيات، وذكر تعلق الآية بما قبلها، وهو لا يتكلم في ذلك إلا على الآيات، التي قد تخفى حكمة تعلقها بما قبلها، أما الآيات الظاهرة الارتباط بما قبلها، فإنه لا يتكلم عنها، ومن ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] قال الراغب: «إن قيل: ما تعلق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: لما عُرّفنا أنه مالك الكل والقادر عليه نهانا عن موالاة من يعاديه»[3].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآية[4] قال الراغب: «إن قيل: كيف تعلق هذه الآية بما قبلها، وما قبلها حكاية حكى الله عن نفسه، وهو ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[5] وهذه حكاية حكاها عن عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾؟ قيل: تقديره: وبعث رسولاً

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨. وانظر: الرسالة ص(٥٢٠، ٥٢١).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
(٣) الرسالة ص(٥١٢).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.

يقول: أني قد جئتكم، ودلَّ على إضمار القول ذكر الرسول، وترك ذكر مريم، وابتدأ بإرسال عيسى، وما قال له، وذكر معجزاته»[1].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[2] قال الراغب: «إن قيل: وما وجه إيراد هذا القول في هذا الموضع؟ قيل: إنه لما بيّن تعالى ما اقتضى عدالته، وعقبه بذكرالتبرؤ من ظلمهم بيّن بهذا القول استغناءه عن الظلم، وأن الظلم يتحراه من يروم ما لغيره، ومحالٌ أن يعتقد في مالك الكل ومن منه البدء وإليه العود الظلم»[3].

٤- قال الراغب: «إن قيل: كيف تعلق قوله: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[4] بما قبله؟ قيل: إن ذلك قضية حذف بعضها، تقديرها: ومن أحسن يجزه الله، فإنه سيجزي الشاكرين»[5].

٥- قال الراغب: فأيُّ تعلُّق لقوله: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾[6]؟ قيل: هذا الكلام فيه إيجاز، كأنه قيل: الذين ينفقون رياء الناس زيَّن لهم الشيطان الذين هم قرناؤهم»[7].

٦- وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ

---

(١) الرسالة ص (٥٧٤).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.
(٣) الرسالة ص (٧٨٩، ٧٩٠).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٥) الرسالة ص (٨٩٢).
(٦) سورة النساء، الآية: ٣٨.
(٧) الرسالة ص (١٢٣٩).

﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[1] قال الراغب: «فإن قيل: فما وجه تعلُّق هذه الآية بما قبلها والإتيان بحكم التيمم عقب ما تقدَّم؟ قيل: لما أمر فيما تقدم بالعبادة بقوله: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[2] وأعظم العبادة الصلاة، ولا تصحّ بغير طهارة بيّن عقيبها حكم ما يطهِّر، وحكم ما ينوب منابه إذا فُقِدَ»[3].

٧- وعند قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[4] قال الراغب: «إن قيل: ما وجه تعلّق هذه الآية بما تقدم؟ قيل: لما ذكر فيما تقدم أحوال الذين يتحاكمون إلى الطاغوت، ويتركون كتاب الله ورسوله، ويقاتلون في سبيل الطاغوت، وذكر الذين يخشون الناس ومقالهم عندما نالهم من حسنة أو سيئة.. نبههم تعالى في هذه الآية أن كل ذلك لقلة تدبرهم، وأنهم لو تدبروا لعلموا أن ذلك حق، نزل عليهم من الله»[5].

٨- وعند قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ الآية[6]، قال الراغب: «وفي اتصال هذه الآية بما قبلها صعوبة» ثم أخذ في بيان حكمة هذا الاتصال[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) الرسالة ص (١٢٥٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٥) الرسالة ص (١٣٥٠، ١٣٥١).

(٦) سورة النساء، الآية: ٩٠.

(٧) الرسالة ص (١٣٨٠، ١٣٨١).

رابعاً: حرصه على دفع توهُّم التعارُض بين أدلة الوحي:

اهتمَّ الراغب بدرء ما قد يظنه البعض تعارضاً بين آيات الكتاب العزيز، مبيِّناً أن أدلة الوحي لا يمكن أن تتعارض، أو يبطل بعضها حكم البعض، لأنها تنزيل من حكيم حميد، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[١] قال الراغب: «إن قيل: كيف قال: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾[٢] قيل: جملة الأمر أن ليس في ذلك منافاة، إذ ليس كل متوفى يكون مقتولاً. وقد قال الفرّاء: معناه: ورافعك إليَّ ومتوفيك فقدّم وأخّر»[٣].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٤] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال فيما قبله: ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥]؟ قيل: الذي نفى عنهم ما ادّعوه من كون إبراهيم يهوديًا أو نصرانيًا، وليس ذلك في كتابهم، وما أثبت لهم هاهنا وقفوا عليه من كتابهم من أمر النبيّ ﷺ فجحدوه، وهذا غاية الذم، إذ جحدوا ما علموا، وادعوا ما جهلوا»[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

(٣) الرسالة ص (٥٩٠، ٥٩١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٦) الرسالة ص (٦٣٤).

٣- عند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[(١)] ذكر الراغب بعض الآيات التي تنفي هدايته للكافر، ثم تساءل: «إن قيل: كيف نفى عن الكافر الهداية في هذه المواضع، وأثبت له في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[(٢)] قيل: المثبت لهم هاهنا هو العقل والتمييز دون الأخرى، التي لا تحصل إلا بعد الاهتداء بهذا، وهذه تارة تثبت للكافر، إذا أريد أنه مطبوع عليها، ومعرض لاستعماله إياها، وتارة تنفى عنه بمعنى أنه لم يستعملها، ولم يحصل قبوله على ما يجب، فكأنه في حكم ما لم يعط»[(٣)].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[(٤)] قال الراغب: «فإن قيل: كيف حثّ هاهنا على الأمر بالمعروف، وقال في غيره: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[(٥)]؟ قيل: في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قولان: أحدهما أن ذلك حثّ على أن يغيرّ الإنسان على نفسه، قبل أن ينكره على غيره، وهو خطاب للعامة. والثاني: ما قال أبو ثعلبة الخشني..»[(٦)].

٥- عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٣) الرسالة ص (٦٩٦، ٦٩٧).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.
(٦) الرسالة ص (٧٧٥، ٧٧٦).

﴿مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[1] قال الراغب: «إن قيل: كيف قال النبيّ ﷺ: «الاختلاف في أمتي رحمة» مع ذكر من ذم الاختلاف؟ قيل: الاختلاف ضربان: اختلاف في الأصول الجارية من الطرق مجرى طريق الشرق من طريق الغرب، وذلك هو المذموم، فإن ما عدا الجهة المأمور بسلوكها مؤدٍّ إلى الباطل، وإلى هذا يوجَّه قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2]، والثاني: اختلاف في الفروع الجارية من الطرق مجرى بُنيَّات طريق إلى مقصد واحد، يسلكها كلٌّ على حسب اجتهاده، ومقصد جميعهم واحد، فإن إباحة الله سلوك كلّ واحدٍ من تلك الطرق فسحة لهم ورحمة»[3].

٦- عند قوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[4] قال الراغب: «إن قيل: لِمَ وصفهم بالفرح، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[5]؟ قيل: الفرح تجاوز الحدّ في السرور بالملاذّ، ولما كانت الملاذّ الدنيوية غير متنافس فيها ذم الفرحين، ولما كانت الملاذّ الأخروية متنافساً فيها، كما قال: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[6] أباح لهم الفرح، حتى قال: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾[7]».

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٣) الرسالة ص (٧٧٩، ٧٨٠).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.
(٥) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٦) سورة المطففين، الآية: ٢٦.
(٧) سورة يونس، الآية: ٥٨. وانظر: الرسالة ص (٩٨٤، ٩٨٥).

٧- وبيّن الراغب عدم التعارض بين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾[١]، وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٢] وسوف نشير إلى ذلك في المبحث الأخير[٣].

٨- قال الراغب: «إن قيل: كيف قال: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾[٤] فنفى نفياً مطلقاً، وقد أثبت للكفار سبيلًا، فقال: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[٦]؟ قيل: اسم الجنس إذا أطلق فليس يتناول إلا الصحيح، ولهذا يقال: لا صلاة إلا بكذا، وقالوا: فلان ليس برجل. لما كان أخلاق الرجل تتناول للكامل، فلذلك لا يعدُّ قائل ذلك كاذباً»[٧].

خامساً: قدرته على السبر والتقسيم:

تميَّز الراغب بقدرة فائقة على: السبر والتقسيم، وتنظيم الأفكار، وترتيبها من خلال نقاط محددة، تعمل على لمّ أطراف القضية، وعدم تشعبها مما لا تشتت ذهن القارئ بين موضوعات، لا صدر لها ولا عجز. ومن الأمثلة على ذلك:

١- تقسيماته للمحكم والمتشابه، وقد سبق الحديث عن ذلك[٨].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٣) الرسالة ص (١٣٣٣ - ١٣٣٥).
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٨.
(٥) سورة النساء، الآية: ٧٦.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٧) الرسالة ص (١٣٧٤).
(٨) انظر: الرسالة ص (٤١٣ - ٤٢٠) وما بعدها.

٢- تقسيمه لنعم الله تعالى على عباده إلى ثلاثة أقسام:

الأول : الأدون وذلك عروض الدنيا.

والثاني : الأوسط وهي الجنة ونعيمها.

والثالث: الأعلى وهو رضوان الله[1].

٣- تقسيمه لمنازل الإسلام إلى ثلاث منازل:

الأولى : الاعتراف الذي يحقن الدم.

الثانية : أن يكون مع الاعتراف اعتقاد صحيح، ووفاءً بالفعل.

الثالثة : أن يكون مع ذلك استسلام فيما يجري عليه من قضاء الله[2].

٤- تقسيماته للموالاة المشروعة والممنوعة[3].

٥- تقسيمه للبس الحق بالباطل على ثلاثة أوجه:

الأول : أن يحرف الحق، فيُجعل في صورة الباطل.

الثاني : أن يزيِّن الباطل، فيُجعل في صورة الحق.

الثالث : أن لا يميِّز أحدهما عن الآخر مع الإمكان[4].

٦- تقسيمه لمكالمة الله عبده، ولسماع الناس كلام الله تعالى[5].

---

(١) الرسالة ص (٤٥٧).

(٢) الرسالة ص (٤٦٨).

(٣) الرسالة ص (٥٠٣ - ٥٠٥).

(٤) الرسالة ص (٦٣١).

(٥) الرسالة ص (٦٦١، ٦٦٢).

٧- تقسيمه للهداية على أربعة أضرب :

الأول : الهداية التي عمَّ بها كل مكلّف ، وهي إعطاؤه العقل المميز بين الخير والشر ، وبين الصدق والكذب .

الثاني : زيادة الهدى التي تأتي بقدر استعمال الأول .

الثالث : التزكية لأعمالهم ، أو توفيقه في أحوالهم .

الرابع : إدخال الجنة[(١)] .

٨- تقسيمه للكذب على ضربين : الأول : اختراع قصة لا أصل لها ، والثاني : الزيادة والتغيير فيما له أصل . قال : «والأول أعظمهما»[(٢)] .

٩- تقسيمه لتمام استطاعة العبادة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : استطاعة نفسية ، وهي المعرفة بها أو التمكُّن من معرفتها .

الثاني : استطاعة بدنية ، وهي أن يكون صحيح البدن ، قادراً على إقامتها .

والثالث : استطاعة من خارج ، وهي وجود الآلة التي بها يتمكَّن من فعلها[(٣)] .

---

(١) الرسالة ص (٦٩٤ ، ٦٩٥) .

(٢) الرسالة ص (٧٢٣) .

(٣) الرسالة ص (٧٣٩) .

١٠- تقسيمه لدرجات إنكار المنكر إلى ثلاثة أقسام :

الأول : للسلاطين وهو الخاص باليد .

والثاني : للعلماء وهو الخاص باللسان .

والثالث : للعامة وهو الخاص بالقلب[١] .

١١- تقسيمه للتفرُّق على ثلاثة أضرب : تفرق بالأبدان، وتفرق بالأقوال والأفعال، وتفرق بالاعتقادات[٢] .

١٢- تقسيمه لمنازل الناس في الإنفاق على أربعة أضرب : ضرب لا ينفق في حالي السَّعة والضيق، وضرب ينفق في حال الضيق دون السعة، وضرب ينفق في السعة دون الضيق، وضرب ينفق في الحالين[٣] .

* * *

---

(١) وقد بينت عدم دقة هذا التقسيم في الحاشية . انظر : الرسالة ص (٧٧٥) .

(٢) الرسالة ص (٧٧٨) .

(٣) الرسالة ص (٨٥٩، ٨٦٠) . وانظر : بعض التقسيمات الأخرى ص (٩٩٥، ١٠٢٩، ١٢٨٥، ١٢٨٨) .

لم يحفل القسم المحقق من هذا التفسير في هذه الرسالة بكثير من مسائل الاعتقاد، التي يستطيع الباحث من خلالها تكوين رؤية كاملة عن منهج الراغب الأصفهاني في مسائل الاعتقاد، ولكن يمكن من خلال هذا القسم تناول بعض القضايا التالية :

أولاً: موقفه من الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة:

يرى الراغب أن أخبار الآحاد يُحتجُّ بها في مسائل العقيدة، التي عبَّر عنها بباب الدين والعلم إلا فيما ترده العقول الصحيحة، قال الراغب : «وما قالوه بأن هذا من أخبار الآحاد فلا يقبل فيما هو من باب الدين والعلم، فإن أخبار الآحاد تردّ فيما تعافه العقول الصحيحة»[1]، وتقييد الراغب ذلك بالعقول الصحيحة، صحَّح قوله، لأن العقل الصحيح لا يمكن أن يخالف النصَّ الصريح، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2].

ثانياً: منزلة العمل من الإيمان عند الراغب:

عند قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3] قال الراغب : «إن قيل : لِمَ أخَّر الإيمان بالله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قيل :

(١) الرسالة ص (١٢٦٨، ١٢٦٩). وانظر الكلام حول الاحتجاج بخبر الآحاد في: الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٠٦) وما بعدها، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص (٤٢).

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١١٠.

الإيمان هاهنا ليس هو الإقرار بالله فقط، بل هو الوفاء بشروطه، والقيام بشرائعه، الذي هو تمام الإيمان وكماله»[1]. فالراغب يرى أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأنها من كمال الإيمان ومستلزماته، وصرَّح في موضع آخر أن الأعمال من شروط الإيمان، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] قال: «ونبّه بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أن من شروط الإيمان رفض الوهن والحزن وأنتم مؤمنون، فواجب أن لا تهنوا ولا تحزنوا، سيما والعلوُّ لكم»[3].

ثالثاً: إثبات بعض الصفات:

١ - صفة المحبة:

أثبت الراغب صفة المحبة لله عز وجل، فقد قال عند قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[4]: «فإن قيل: وكيف علقه بالرأفة؟ قيل: تنبيهاً لمكان المحب من حبيبه، ولهذا قال النبيّ عليه الصلاة والسلام مخبراً عن الله: «**لا يزال العبد يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**» الخبر[5].

ثم قال الراغب عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) الرسالة ص (٧٩٥، ٧٩٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٣) الرسالة ص (٨٧٥، ٨٧٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٥) الرسالة ص (٥١٨، ٥١٩).

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] أي من تولى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته، فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبب إليه بتولّيه عنه، فمحال أن يحبه»[2].

٢- صفة المكر:

تكلَّم الراغب على صفة المكر عند قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[3] فقال: المكر في الأصل حيلة يجلب بها الإنسان إلى مفسدة، وحيلة قد تقال فيما يجلب به إلى مصلحة، وقد يقال في ذلك: المكر والخديعة اعتباراً بظاهر الفعل دون المقصد.

والحكيم قد يفعل ما صورته صورة المكر، ولكن قصده المصلحة لا المفسدة، وعلى هذا سئل بعض المحققين عن مكر الله فأنشد:

ويقبح من سواك الشيء عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا

فإذن مكر الله قد يكون تارة فعلًا يقصد به مصلحة، ويكون تارة جزاء المكر، ويكون تارة بأن لا يقبح مكرهم في أعينهم، وذلك بانقطاع التوفيق عنهم، وتزيين ذلك في أعينهم، حتى كأنه زينه في أعينهم ومكر بهم. ويكون تارة بإعطائهم ما يريدون من دنياهم، فإذا أعطاهم واستعملوا على غير ما يحب، فكأنه مكر بهم،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.
(٢) الرسالة ص (٥٢٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

واستدرجهم من حيث لا يعلمون»[1].

٣- صفة الشكر:

أثبت الراغب صفة الشكر لله تعالى، وأنه تعالى يشكر عبده على إحسانه. وردَّ على الجبَّائي في إنكاره لهذه الصفة[2].

رابعاً: تأويل بعض الصفات:

خالف الراغب مذهب أهل السنة والجماعة بتأويله صفة اليدين لله تعالى، فقال في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[3] «أي نعمه متوالية»[4]، وكذلك أوَّل الراغب صفة الغضب، وهي من الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة لله تعالى بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، قال الراغب: «وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[5] أي استحقوا عقاباً منه»[6]. فأوَّل الراغب صفة الغضب باستحقاق العقاب، وذكر ذلك بوضوح عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[7] قال الراغب: «وقد تقدَّم أن القصد بغضبه تعالى إلى إنزال عقابه دون تغير حال يعتري ذاته، تعالى الله

---

(١) الرسالة ص (٥٨٧، ٥٨٨).
(٢) الرسالة ص (٨١١، ٨١٢).
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٤) الرسالة ص (٩٢٦).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٦) الرسالة ص (٨٠١).
(٧) سورة النساء، الآية: ٩٣.

عن التغيرات»[1].

وأهل السنة والجماعة حينما يثبتون لله هذه الصفة لا يقولون: إنها تقتضي تغيُّر حال يعتري ذاته تعالى، كما يحدث للإنسان، فيثبتون ما أثبته تعالى لنفسه، ولا يشبهونه بمخلوقاته، تعالى الله عن ذلك.

والراغب بذلك يوافق الأشاعرة في إثبات بعض الصفات وتأويل البعض، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون جميع صفات الله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق بعظمته وجلاله سبحانه وتعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[2] قال الراغب: «استجاب: أراد إجابتهم»[3]. والصواب أن استجاب هاهنا بمعنى أجاب، كما ذكر الطبري وابن عطية وأبو حيان وابن كثير، وليس هناك داعٍ لتأويل ذلك بالإرادة.

خامساً: كلامه في النبوة والمعجزات:

قال الراغب: «إن الأنبياء لم يختلفوا في أصول ما دعوا إليه، بل كلهم لسان واحد في الدعاء إلى التوحيد، وأصول الاعتقادات والعبادات وسائر جمل الشريعة، وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ﴾ الآية[4].

---

(١) الرسالة ص (١٤٠٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) الرسالة ص (١٠٥٣).

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وكلّ واحد منهم معتقد لما اعتقده الآخر، ومبلغ ذلك مثل ما بلغه الآخر.

ثم شريعة النبي ﷺ جامعة لأصول شرائع من تقدَّمه، ولذلك قيل له: خاتم الأنبياء»[1].

ويرى الراغب أن النبوة لا تجوز في النساء، فإنه ما أوحى الله إلى امرأة وحي النبوة، فلذلك قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾[2].

وفرَّق الراغب بين معجزات الأنبياء، وما يجريه الله على أيدي البشر العاديين من أفعال مدهشة، وذلك عند حديثه عن معجزات نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، فبين أن أفعال البشر قد تكون معتمدة على تجربة أو اعتبار أمر، ولا تكون في كل وقت وعلى كل حال ولا في دفعة واحدة، وما كان يفعله عيسى كان بخلاف فعل البشر، فلهذا كان معجزة»[3].

ومن الأخطاء البيّنة التي وقع فيها الراغب في هذا الباب ترديد كلام غلاة الصوفيّة، الذين يرون أنهم يمكنهم الاستغناء عن القرآن والسنة عند الوصول إلى مرتبة معيّنة من العبوديّة، فعندقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[4] قال الراغب: «إن

---

(١) الرسالة ص (١٢٤٥).

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٩. وانظر: الرسالة ص (٥٥٤).

(٣) الرسالة ص (٥٧٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

قيل: لِمَ قال أولاً: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾[1] ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ وجعل بين الكلمتين ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2]؟ قيل: لما كان القصد في عبادة الله إلى الاعتصام به، ولاسبيل إلى ذلك إلا بالتقوى عقبه بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ولما كان حقيقة التقوى فعل الطاعات، ولا سبيل للإنسان إلى معرفة ذلك إلا بحبل الله أي كتابه ورسله، أَمَر أَن يعتصموا بحبله، ليتوصَّلوا إلى تقواه، ومن تقواه إلى الاعتصام به، ومن توصَّل إلى الاعتصام ثم إلى التوكل، ثم إلى الإسلام، استغنى حينئذٍ عن الوسائط، الذين هم حبل الله، ويصير ممن قال ﷺ فيه حكاية عن الله: «**فإذا أحببته كنت سمعه**»[3].

وهذا الكلام ظاهر الغلو، بين البطلان، فإن الله تعالى قال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[4] أي الموت، والعبادة لا تصحّ إلا بشرطين، هما: الإخلاص لله، ومتابعة الشرع. أي متابعة الوسائط التي ذكر الراغب، وهي الكتب والرسل. قال ابن القيم: الأعمال أربعة: واحد مقبول، وثلاثة مردودة: فالمقبول ما كان خالصاً وللسُّنَّة موافقاً، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما.. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[5]. قال الفضيل بن عياض: «هو أخلص العمل وأصوبه، فسُئِل عن معنى ذلك، فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٣) الرسالة ص (٧٦٥ - ٧٦٧).
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٥) سورة الملك، الآية: ٢.

يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة»[1].

سادساً: كلامه في الشرك والكفر:

تكلَّم الراغب عن الشرك فقسمه إلى قسمين:

«الشرك الأكبر، قال: وهو إثبات صانع غير الله.

والثاني: الرياء»[2].

وقد ذكرت في هذا الموضع قصور تلك العبارة، التي حصرت الشرك الأكبر في إثبات صانع غير الله، وذكرت ما قاله بعض العلماء المحققين في بيان الشرك الأكبر والأصغر[3]، والشرك عند الراغب له صور متعددة، وهو غير مقصور على اتخاذ الأنداد أرباباً من دون الله، تبين ذلك من قوله: «إن قيل: كيف قال: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4] وكلاهما أفاد ما أفاد قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[5]؟ قيل: ليس كذلك، فإن الشرك بالله قد يكون في غير العبادة، ألا ترى أن النبيَّ ﷺ قال: «**الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء**»[6].

ومن ذلك قول القائل: لولا الديك لأتانا اللصّ، وقال تعالى:

---

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٢/ ٥٤٩).

(٢) الرسالة ص (١٢٣١، ١٢٣٢).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٦٨، ٣٧٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٦) انظر تخريج الحديث في ص ٦١٦ من هذه الرسالة.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ فقد شرط ﴿ مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ وهذا هو الكفر، فأما المملوك إذا اتخذ صاحبه ربًّا لا أنه معبود فليس بمنهي عنه»[2].

أما الكفر فقد قال الراغب: «وقيل: الكفر كفران: كفر تام، وهو إنكار الوحدانية أو ما يجري مجراه، وكفر ناقص، وهو الإخلال ببعض العبادات، التي هي أركان الدين والصلاة والزكاة والحج. ولهذا قال ﷺ: «**من ترك الصلاة فقد كفر**»[3].

وما قيل في الشرك يقال هاهنا، وهو قصور عبارة الراغب في تعريف الكفر الأكبر، وقصره على إنكار الوحدانية أو ما يجري مجراه، فإن الذي ذكره هذا هو نوع واحد من أنواع الكفر الأكبر. قال ابن القيم: «وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق»[4].

سابعاً: ردوده على الفرق والطوائف:

تبيَّن من خلال القسم المحقّق في تفسير الراغب اعتناؤه بإيراد أقوال بعض الفرق والطوائف، المخالفة لأقوال مفسري أهل

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.
(٢) الرسالة ص (٦١٥ - ٦١٧).
(٣) الرسالة ص (٧٤٤).
(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٦٤).

السُّنَّة، وقيامه بالرد عليها، مبيناً فسادها، وقد نالت المعتزلة النصيب الأوفر من ذكر أقوالهم والردّ عليهم، وهناك بعض الردود القليلة على الشيعة والملاحدة، وسوف أورد بعض الأمثلة التي تبين عناية الراغب بهذا الجانب:

١- عند قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[(١)] قال الراغب: وقال الجبَّائي: يجوز أن كان رزقاً يأتيها به غير زكريا حيث لا يعلمه» وردعليه بقوله: «ولو كان الأمر على ما ذكر، لما أعاد الله ذكره تعجباً من أمرها. وقوله: ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يدل على أنه ليس كما ذكر»[(٢)].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[(٣)] ردّ الراغب قول الجبائي: «إنما يجوز أن يكون أوحى إليها معجزة لزكريا، أو توطئة لنبوة المسيح» بقوله: «وقوله هذا إيماءً لمذهبهم أن المعجزات والوحي لا تصحّ إلا في أزمنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك دفعٌ منه لكرامة الأولياء»[(٤)].

٣- وردّ الراغب قول الأصم: «سُمِّي عيسى كلمة، لأنه تعالى خلق كلمة فجعل منها عيسى، كما خلق آدم من تراب، وسائر الناس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) الرسالة ص (٥٣٣، ٥٣٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٤) الرسالة ص (٥٥٤، ٥٥٥).

من نطفة». قال الراغب: «وهذا كما ترى»[1].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾[2] نقل الراغب قول الجبّائي قال: «فلن يكفروه. مجاز في هذا الموضع، لأن وصف الله بأنه يشكر مجاز» وردّ ذلك بقوله: «وقوله ذلك لتصوُّره الشكر على وجه واحد، والشكر باعتبار الشاكر والمشكور على ثلاثة أوجه.. ولعله تصوُّر أن الشكر لا يكون إلا بالقول، ومن الأدون للأعلى، وذلك فاسد، لقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[3] فجعل الشكر معمولاً، ووصْفِه بأن شكور وشاكر»[4].

٥- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[5] ردّ الراغب على المعتزلة قولهم في الروح، حيث قال: «وأما متأخرو المعتزلة الذين لم يتجاوزوا منزلي الحسّ والوهم، ولم يروا الروح إلا ريحاً أو عرضاً، فبعضهم قال: يعني أحياء يوم القيامة، ووصفهم بذلك في الحال، لقرب يوم القيامة عند الله، كقوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾[6] ومعنى (عند ربهم) أي في علم الله. وقال بعضهم: أحياء بالذكر. وبعضهم قال: أحياء بالإيمان، وإرادة هذه المعاني بالآية غير ممتنعة، فإن المؤمنين أحياء

---

(١) الرسالة ص (٥٦١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٥.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٤) الرسالة ص (٨١١ - ٨١٣).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٦) سورة النحل، الآية: ١.

بكل ذلك كما قالوا، ولكنهم مع ذلك أحياء بالأرواح على ما ورد به الخبر. وزعمهم أن ما ورد من الأخبار في أرواح الشهداء ليس بصحيح، فإن العقل لا يقتضي ذلك، فهم إن عنوا العقول الصدئة التي عناها من قال: فلان لم يؤت من العقل إلا مقدار ما يلزم به حجة الله فقد صدقوا. وإن عنوا العقول المجلوة السليمة من دَرَن الهوى. . . فليس كما ظنوا. ومن زعم أن القول بحياة الأرواح يؤدي إلى القول بالرجعة، فوهم فاسد»[1].

٦- وردَّ الراغب قولاً لابن بحر المعتزلي بأنه عدولٌ عن سنن السلف[2].

٧- وردَّ الراغب قول الشيعة في جواز الجمع بين أكثر من أربع من النساء، قال: «ومذهب بعض الشيعة أنه يجوز بلا عدد كالسراري، قال: الآية ليست بتوقيف، بل هي إباحة كقولك: تناول ما أحببت واحداً واثنين وثلاثة، وإن تخصيص بعض مقتضى العموم على طريق التبيين لا يقتضي الاقتصار عليه.

وذهب بعضهم ممن لا يعرف شرط الكلام إلى أن المباح منهن تسع. وقال: الواو تقتضي الجمع، فصار كقولك: اثنين وثلاثاً وأربعاً وذلك تسع. . وهذا فاسد. أما أولاً فإن العدول عن ذكر الشيء بلفظة واحدة إلى لفظين؛ إما أن يكون لغرض نحو ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾[3] لمَّا خالف بين حكميهما أورده بلفظين، أو

---

(١) الرسالة ص (٩٨١ - ٩٨٣).

(٢) الرسالة ص (١١٤٢، ١١٤٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

يكون ذلك للعيّ والاستدراك عن نسيان، وكلام الله تعالى منزه عن ذلك..»، ثم بيَّن الراغب بطلان هذا القول بالسُّنة الصحيحة عن النبي ﷺ[1].

٨- وردّ الراغب على الملاحدة الذين زعموا أن هناك تناقضاً بين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2] وقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[3]، فبين أنه ليس هناك تناقض بين آيات القرآن، وإنما الآفة في فهم هؤلاء وعقولهم.

قال الراغب: «فأما طعن الملاحدة فظاهر الوهن، وذلك أن الحسنة والسيئة من الألفاظ المشتركة، كالحيوان الذي يقع على الإنسان والفرس والحمار، أو من الأسماء المختلفة كالعين. ولو أن قائلًا قال: الحيوان متكلِّم والحيوان غير متكلِّم، وأراد بالأول الإنسان، وبالثاني الفرس والحمار، لم يكن متناقضاً. وكذلك إذا قيل: العين في الوجه، والعين ليست في الوجه، وأراد بالأولى الجارحة، وبالثانية عين الميزان أو السحاب، فكذلك الآية إذا أريد بالحسنة والسيئة في الآية الثانية غير الذي أريد في الآية الأولى، وفي هذا قناعة لإبطال هزيل هذا المعترض»[4].

---

(١) الرسالة ص (١٠٨٨ - ١٠٩١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٤) الرسالة ص (١٣٣٣ - ١٣٣٥).

حفل القسم المحقق من تفسير الراغب الذي تضمنته هذه الرسالة بكثير من مسائل الفقه، التي أورد الراغب فيها أقوال الفقهاء، إلا أن أغلب المهتمين بتراث الراغب الأصفهاني لم يدرجوه ضمن مذهب فقهي معين، وحجتهم في ذلك أنه لم يصرِّح بمذهبه الفقهي، ولم يستخدم عبارات أرباب المذاهب الفقهية مثل: قال أصحابنا، أو ذهب أصحابنا إلى كذا. وكذلك، لأن المصنفين في طبقات المذاهب لم يجعله أي منهم ضمن طبقات ورجال مذهبه.

وأيًّا ما كان الأمر، فإننا سوف نعرض لبعض الملامح التي تشير إلى طريقة الراغب الأصفهاني في عرض المسائل الفقهية، وذلك من خلال الأمثلة التي تضمنها هذا القسم من تفسير الراغب:

أولاً: عناية الراغب بأقوال الفقهاء:

تشير بعض عبارات الراغب ونقولاته إلى عنايته بكلام الفقهاء وأقوالهم، فعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1] قال الراغب بعد أن ذكر شروط الاستطاعة وحدودها: «ولم تتناول الآية العبد، لأنه لا ملك له في قول جلّ الفقهاء، وفي قول بعضهم: سيده أولى بما في يده، وله أن يمنعه باتفاق، وكذا المرأة إذا لم يكن لها محرم، هذا قول الفقهاء»[2].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) الرسالة ص (٧٤٠).

ومما يدل على إلمام الراغب بكلام الفقهاء، ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ الآية[1]. قال الراغب: «وقوله: ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ لا خلاف أنه صفة لربائبكم، وأنه لا يحرم التزوُّج بهن إلا بالدخول بأمهاتهن. واختُلِفَ هل يرجع إلى قوله: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ مع كونه شرطاً في الربائب».

فذكر الراغب قول عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عمرو وابن مسعود، ثم قال: «وحكي عن زيد أنه فصل بين أن يطلقها قبل الدخول أو تموت عنه. ولم يحرّم بالطلاق وحرّم بالموت، وأجرى الموت مجرى الدخول، كما جعل الفقهاء في استقرار المهر.

وذهب عامة الفقهاء إلى أن لا فرق بين تحريم ربيبتك في حجرك كانت أو لم تكن، إلا ما حكى إسماعيل بن إسحاق..»[2].

ثانياً: ترجيحه بين الأقوال:

الغالب على الراغب أنه يذكر أقوال الفقهاء وأدلتهم، مع ترجيح القول الذي يراه، مثال ذلك:

١ - فقد رجّح مذهب فقهاء أهل السنة في عدم جواز الجمع بين أكثر من أربع نسوة، وردّ على فقهاء الشيعة القائلين بجواز ذلك[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) الرسالة ص (١١٦٦ - ١١٦٨).

(٣) الرسالة ص (١٠٨٨ - ١٠٩١).

٢- ورجّح الراغب عدم وجوب النكاح، وردّ على أهل الظاهر القائلين بالوجوب. قال الراغب: «واستدل أهل الظاهر بالآية على وجوب النكاح، واستدل بها بعض الفقهاء على أنه غير واجب، وبيان هذا أن (ما) في قوله ﴿فَأَنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾[١] إما أن يكون عبارة عن المنكوحة، أو عن الزمان، أو عن العدد، فلا يصح الأول، لأن (ما) لا يعبر به عن أعيان العقلاء مجرداً، ولا عن العدد، لأنه محالٌ أن يعني نكاح العدد، وإن عنى المعدود فالكلام راجع إلى أن يكون عبارة عن العقلاء، فيجب أن يكون عبارة عن الزمان، فكأنه قال: اعقدوا وقت ما يطيب لكم، والمخالف يوجبه، طاب لنا أو لم يطب»[٢].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[٣] قال الراغب: «واختلفوا هل الإيمان شرط فيه؟ فقال الحسن ومالك: هو شرط تقديره: إن كان المقتول خطأً مؤمناً. قال مالك: ولا كفارة في قتل الذمي. ومنهم من قال: الآية واردة فيمن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد، فأسلم ثم قتله مسلم من غير حرب. قالوا: وكان هذا في زمن الرسول ﷺ، فأما بعد فقد أمروا بقتالهم، ومنهم من قال: عنى بالميثاق الذمة: إما بالعهد، أو الاستئمان.

والظاهر أن كلَّ قتل في عهدٍ جائزٍ بين المسلمين ففيه الدية والكفارة»[٤].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) الرسالة ص (١٠٩١، ١٠٩٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٤) الرسالة ص (١٣٩٧، ١٣٩٨).

٤ - ورجّح الراغب ظاهر الآية على ما قاله بعض الفقهاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[1] فقال: «ودلّت الآية على أنه يجوز لها أن تهب صداقها إذا كانت بالغة، خلافاً لما قال مالك: إن ذلك إلى وليّها.

وللأوزاعي حيث قال: لا يجوز لها حتى تلد، أو يحول عليها الحول في بيت زوجها.

وللليث بن سعد حيث قال: ولا يجوز عتق ذات الزوج ولا هبتها، إلا في اليسير من غير إذن زوجها»[2].

ثالثاً: انتصاره للشافعي والشافعية:

انتصر الراغب لأقوال الشافعية في بعض القضايا الفقهية والأصولية، وهي:

١ - انتصاره للشافعية في مسألة دلالة الخطاب: عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] قال الراغب: «واستدلّ بعض الحنفية بهذه الآية على فساد بعض ما يدعيه الشافعية من دلالة الخطاب، فقال: لو كان ذلك صحيحاً لكان يجوز أكل الربا إذا لم يكن أضعافاً. وهذا لا يكون دلالة عليهم أولى، لأنه لمّا زهّدنا في الكثير، فلأن نزهد في القليل أولى، على أن القضية بذلك على مقتضى العموم، فمجيءُ ما ترك

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤.

(٢) الرسالة ص (١٠٩٦، ١٠٩٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

دلالة خطابه في بعض المواضع لا يفسد هذا الأصل، كمجيئ لفظ عام ترك عمومه»[1].

٢- وانتصر الراغب للشافعي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾[2] قال الراغب: «وقول الشافعي معناه: أن لا يكثر عيالكم، وقد ذهب إلى هذا التأويل: زيد بن أسلم، وأجازه الأصمعي وابن الأعرابي، ومنه قيل: فلان يعول عشرة. وقال ابن داود: غلط الشافعي، لأن أصحاب الإماء في العيال كصاحب الإزواج. وابن داود لم يتصور ما قاله الشافعي، وذاك أنه لم يرد إلا ما أراد غيره من حقيقة المعنى، وإنما تحرى اشتقاق اللفظ، ولم يرد بالعيال الأولاد، وإنما أراد النساء، فقد يسمى كل من تمونه العيال، وإن لم يكن أولاداً»[3].

٣- وانتصر الراغب لقول الشافعي في حمل النكاح على العقد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4] قال الراغب: «اختلفوا في النكاح هاهنا، فحمله أصحاب أبي حنيفة على الجماع، وقال: هو حقيقة فيه، فحرَّموا كلّ امرأة باضعها الأب حلالاً أو حراماً على الابن. وحمله الشافعي على العقد، وقال: هو حقيقة فيه، ولم يحرِّم من النساء على الابن إلا ما تزوَّج بها أبوه دون من زنى بها.

---

(١) الرسالة ص (٨٥٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣.

(٣) الرسالة ص (١٠٩٣ - ١٠٩٥).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٢.

والصحيح أنه للعقد، لأن أسماء الجماع والفرج والغائط في لسانهم كنايات . . »[1] .

رابعاً: عذر المجتهد:

يرى الراغب أن المجتهد معذور في مسائل الاجتهاد، فعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾[2] قال الراغب: «وروي أنه خرج مقداد في سريته، فمرَّ برجل في غنيمات، فقال: إني مسلم. فلم يلتفت إلى قوله، فقتله وأخذ غنيماته، فلما رجع إلى النبي ﷺ أنكره، فقال: «**هلَّا شققت عن قلبه**». والآية تدل على أن المجتهد في مسائل الاجتهاد معذور، ولولا ذلك لما قارّه النبي ﷺ»[3] .

خامساً: قوله في القياس والاجتهاد والاستنباط:

والراغب من القائلين بالقياس الشرعي، المبني على الاجتهاد والاستنباط عند عدم الدليل من الكتاب أو السنة، قال: « . . جعل الله أحكامه ثلاثة أقسام: مثبتًا بالكتاب، ومثبتاً بالسُّنَّة، وعليهما دلَّ قوله: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[4] . ومثبتاً بالاجتهاد دون الاستنباط، وهو ما يردّ إلى الكتاب وسنَّة نبيه. قال: فالردُّ إليهما، هو البناء على حكمهما، وهذا هو القياس الشرعي»[5] .

---

(١) الرسالة ص (١١٥٨، ١١٥٩).
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.
(٣) الرسالة ص (١٤٠٣، ١٤٠٤).
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٥) الرسالة ص (١٢٨٩).

المطلب الرابع

موضوعاته، ودراسة تحليلية مقارنة بكتب التفسير المشابهة من خلال الجزء المحقق

تمهيـد:

أود من خلال هذا التمهيد الإشارة إلى أمرين مهمين هما:

أولًا: موضوعاته:

يسير المفسِّر دائماً مع النصّ القرآني، إذ بيان معانيه وإيضاح غوامضه هو الموضوع الأول للمفسر، بعكس المصنفين في الفنون الأخرى، الذين يمكن تحديد موضوعاتهم بدقة من خلال توجههم إلى قضية ما أ،و تركيزهم على موضوع محدد، ومع ذلك فقد تميّز الراغب الأصفهاني أثناء تفسيره بتركيزه على موضوعات معينة من مثل:

١ ـ توضيح معاني الألفاظ الغريبة في النص القرآني وإرجاعها إلى أصولها الاشتقاقيّة.

٢ ـ الفروق اللغويّة بين الألفاظ القرآنية.

٣ ـ النكات البلاغيّة المستنبطة من النظم القرآني.

٤ ـ إيضاح معنى الآية بذكر نظائرها، بمعنى أنه يسعى للتركيز على موضوع تفسير القرآن بالقرآن، وما يشمله من ذكر لاختلاف القراءات، وأثر ذلك في اختلاف التفسير.

٥ ـ أسباب النزول: وقد أولى الراغب عنايته لهذا الموضوع، وأشار إلى تعدد الأقوال في سبب نزول آية والجمع بينها، أو الترجيح

حسب ما يظهر له.

٦ ـ اللغة والإعراب: وهو من الموضوعات التي تستهوي الراغب كثيراً، فلا يكاد يُغادر آية دون أن يُعرّج على ما فيها من وجوه الإعراب المختلفة، أو ذكر أقوال اللغويين والنحاة فيها، مع الاستشهاد بالشعر والأمثال وأقوال العرب في هذا السياق.

٧ ـ المسائل الفقهية: يتعرض الراغب كثيراً لهذا الموضوع، ولكن دون تعمق في البحث، بل يكتفي بذكر الحكم الفقهي، وأحياناً ينسبه إلى صاحبه ويعقب بذكر أقوالٍ لفقهاء آخرين في المسألة مع ترجيحه لما يراه.

٨ ـ الردّ على المخالفين وبيان وجه الصواب:

وهذا الموضوع استغرق من الراغب قدراً كبيراً من تفسيره، فهو يرد أحياناً على الشبهات التي يعرضها مبيّناً أدلة أصحابها، ثم ينقضها مدعّماً رأيه بالحجة القوية، وهو يصيغ هذه الشبه والردود عليها في قالب استفهامي غالباً على طريقة: فإن قال قائل. . . ؟ قيل له: كذا وكذا، ويتطرق من خلال هذا الموضوع إلى بيان إحكام القرآن وإعجاز نظمه وتمام المعاني فيه بما لا مزيد عليه.

٩ ـ إشارات المتصوفة: لم يُخلِ الراغب تفسيره من هذا الموضوع، وإن كان واضحاً أنه لا يُعدّ كلام المتصوفة تفسيراً، بل يذكره لأغراض التهذيب والتربية للنفوس، وإن كان يشتطُّ في هذا الموضوع أحياناً، فيذكر بعض الشطحات المنكرة، منسوبة إلى بعض

المتصوفة دون ردّ عليها أو إنكار لها.

ثانياً: وقع اختياري على ثلاثة تفاسير لأقوم بالمقارنة بينها وبين تفسير الراغب، وهي:

١ - «تفسير الكشاف» لمؤلفه أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، المتوفى سنة ٥٢٨هـ.

٢ - «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة ٥٤٦هـ.

٣ - «معالم التنزيل» للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦هـ.

وقد وقع الاختيار على هذه التفاسير لسببين:

الأول: أن أصحابها يُعدُّون من طبقة الراغب الأصفهاني، فوفياتهم مقاربة في تأريخها لوفاة الراغب الأصفهاني.

الثاني: أن هناك أوجهاً للتشابه بين تفسير الراغب وبين هذه التفاسير، كما سيتضح ذلك من خلال المقارنة، وسوف تتناول المقارنة الأوجه التالية:

أولًا: المقارنة في جانب التفسير بالمأثور، وتشمل:

١ - تفسير القرآن بالقرآن.

٢ - تناوُل القراءات القرآنية.

٣ - تفسير القرآن بالسُّنَّة.

٤ - ذكر أسباب النزول.

٥ - ذكر أقوال الصحابة والتابعين في التفسير.

ثانياً: المقارنة في جانب اللغة والنحو.

ثالثاً: المقارنة في مسائل الفقه.

رابعاً: المقارنة في مسائل العقيدة.

وقبل أن أبدأ في المقارنة أحبُّ أن أُشير مجدداً إلى أن منهج الراغب الأصفهاني يتلخص في النقاط التالية.

١ - الاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن، وذلك عن طريق تفسير الآية بذكر نظائرها، والاستدلال بالقرآن على تعدد معاني الكلمة الواحدة، وتوضيح المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات الأخرى، والجمع بين ما يُتوهّم أنه مختلف من آيات الكتاب العزيز.

٢ - الاهتمام بذكر اختلاف القراءات لتأثيرها في اختلاف التفسير، ومعرفة سبب تعدد الأقوال عند المفسّر الواحد.

٣ - كان اهتمام الراغب بالقراءات من ناحية الدراية فقط دون الرواية، أي من ناحية تأثير اختلاف الروايات في المعنى، وذكر التوجيه الإعرابي للقراءة، دون البحث في ثبوت القراءة من عدمها، وتواترها من شذوذها.

٤ - الاعتناء بالسنة النبوية من خلال الاستشهاد بالحديث على معنى الآية، وتأكيده وتفسير القرآن بالسنة. ويؤخذ عليه الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة[1].

٥ - الاهتمام بذكر أسباب نزول الآيات، والإشارة إلى تعدد

---

(١) بلغ عدد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا القسم المحقق ٥٧ حديثاً من مجموع ١٦٣ حديثاً ذكرها الراغب.

الأقوال في سبب نزول الآية. ويؤخذ عليه عدم التعرض لدراسة ما ورد في أسباب النزول من ناحية ثبوته من عدمه.

٦ ـ زيادة الاهتمام باللغة والإعراب، وتمثَّل ذلك في ذكر معاني المفردات، وإرجاع الكلمات إلى أصولها الاشتقاقية، والاستشهاد بالشعر العربي، وذكر أقوال اللغويين وأوجه الإعراب المختلفة مع ذكر الراجح من ذلك.

٧ ـ التعرض لكثير من مسائل الفقه، وتناولها من خلال ذكر أقوال الفقهاء والترجيح بينها، إلا أن عدم تخصص الراغب في هذا العلم واضح من خلال عدم ذكره لأدلة كل فريق، وإهمال كثير من الأقوال المعتبرة.

٨ ـ قلة التعرُّض لمسائل الاعتقاد وبخاصة في الأسماء والصفات، على أنه يغلب عليه تأويل الصفات، كما هو الحال عند الأشعرية.

المبحث الأول: مقارنة بين منهج الزمخشري والراغب في التفسير:

أولًا: التفسير بالمأثور بين الزمخشري والراغب

على الرغم من أن ما يغلب على تفسير الزمخشري هو التفسير بالرأي، إلا أن فيه شيئاً من التفسير بالمأثور، يمكن تقييمه في النقاط التالية:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن:

فسر الزمخشري القرآن بالقرآن في كثير من الآيات:

أ ـ ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾[(١)]، استشهد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾[(٢)].

ب ـ وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[(٣)]، قال: (من) في قوله: (من الله) مثله في قوله: ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾، ثم قال: وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾[(٤)].

جـ ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾[(٥)]. قال: وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله: ﴿زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٩، وانظر: الكشاف (١/ ٣٣٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٧، وانظر الكشاف (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٣.

ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

د ـ وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[2].

ذكر الزمخشري أن معنى قوله: ﴿ولو افتدى به﴾، أي: بمثله، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾[3].

هـ ـ وعند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4] قال: كقوله: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[5].

و ـ وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾[6] قال: تعريض بكذبهم، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[7].

ز ـ وعند قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[8]، ذكر أن معناه كمعنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[9].

ح ـ وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٨، وانظر: الكشاف (١/ ٣٧٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٧، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٣، ٣٨٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٤).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩٥.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٦).

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٩) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧، وانظر: الكشاف (١/ ٣٨٩).

وَرَابِطُوا۟ ﴾[1]. ذكر قوله تعالى: ﴿.. وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[2].

ط ـ والزمخشري قد يفسر الاية بذكر نظائرها كما فعل الراغب، فعند قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، قال: وقد كرّر ذلك في القرآن: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[4]، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[5]. ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ.. ﴾ الآية[6].

وقد يبدو الأمر طبيعيًّا إذا كانت الآيات القرآنية لا تمس مذهب الزمخشري الاعتزالي، أما إذا كانت تمس مذهبه الاعتزالي كآيات الصفات، فإنه يجعلها من المتشابهات، ويردها إلى الآيات المحكمات، التي يرى أنها توافق مذهبه. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[7]: «(محكمات): أحكمت عبارتها، بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه. (متشابهات): محتملات. ﴿هن أم الكتاب﴾ أي أصل الكتاب، تحمل المتشابهات عليها وتردّ إليها. ومثل ذلك:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠..

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠، وانظر: الكشاف (١/ ٤٦٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ٢٢، وانظر: الكشاف (١/ ٣٥١).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٧.

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1]. ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2]. ﴿ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[3]. ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[4]. فانظر كيف جعل قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ الذي يدل عنده على نفي رؤية الله تعالى هو المحكم، وجعل قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ متشابهاً.

٢ ـ القراءات:

تميز الزمخشري عن الراغب في باب القراءات من حيث كثرة القراءات التي أوردها في كتابه، وكذلك في أنه كان كثيراً ما يذكر صاحب القراءة بخلاف الراغب، الذي لم يكن يذكر أصحاب القراءات. فعند قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾[5]. قال الزمخشري: يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين... والدليل عليه قراءة نافع: (ترونهم)... وقرأ ابن مصرف (يرونهم) على البناء للمفعول بالياء والتاء[6].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[7] قال: بمعنى وضمّها إليه، وجعله كافلًا لها وضامناً لمصالحها، ويؤيدها قراءة أُبيّ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦، وانظر: الكشاف (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

(٦) انظر: الكشاف (١/ ٣٤١).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(وأكفلها) من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾[1]، وعند قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[2]، قال الزمخشري: وقُرِئَ (يؤده) بكسر الهاء والوصل، وبكسرها بغير وصل، وبسكونها. وقرأ يحيى بن وثاب: (تئمنه) بكسر التاء. (ودمت) بكسر الدال[3]. والزمخشري يشير إلى اختلاف الإعراب تبعاً لاختلاف القراءة، كما كان الراغب يفعل، فقد قال: «وقُرِئَ: ﴿فئة تقاتل﴾ ﴿وأخرى كافرة﴾ بالجر على البدل من فئتين، وبالنصب على الاختصاص، أو على الحال من الضمير في ﴿التقتا﴾[4].

وفي قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾[5]، قال الزمخشري: قراءة من قرأ (جنَّات) بالجر على البدل من خير[6].

والزمخشري كالراغب في إيراده القراءات المنسوبة لبعض الصحابة والتابعين، كعبدالله بن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما، دون تمييز ما ثبت منها عنهم مما لم يثبت. فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ..﴾[7] الآية.

اعتمد الزمخشري على تقوية الوجه التفسيري الرابع للآية

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٣، وانظر: الكشاف (١/ ٣٥٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٣) الكشاف (١/ ٣٧٥).

(٤) الكشاف (١/ ٣٤١).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٦) الكشاف (١/ ٣٤٣).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

بقراءة أُبيّ وابن مسعود دون التعرُّض لثبوتها[1].

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[2] قال: وقرأ سعيد بن جبير (لَمَّا) بالتشديد، بمعنى حين آتيتكم»[3]، ولم يتعرض لثبوت هذه القراءة عن ابن جبير.

وعند قوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، قال: «تنزلهم. وقرأ عبدالله (للمؤمنين)، بمعنى: تسوي لهم وتهيىء[5].

٣ ـ الاستشهاد بالسُّنة النبويَّة:

لم يخل تفسير الزمخشري من الاستشهاد بالأحاديث النبوية، بل إن استشهاد الزمخشري بالحديث أكثر من الراغب[6]، فهو يرى أن السّنة تفسر القرآن، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[7] قال: «فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء؟ قلت: المعنى أنه بيّـن كل شيء من أمور الدين حيث كان؛ نصًّا على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع الرسول ﷺ وطاعته»[8].

---

(١) الكشاف (١/ ٣٧٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) الكشاف (١/ ٣٧٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢١.

(٥) الكشاف (١/ ٤٠٩).

(٦) خرّج الحافظ الزيلعي أحاديث الكشاف فبلغت (١٥٧٠) حديثاً وأثراً. واختصره واستدرك عليه الحافظ ابن حجر فبلغ عدد الأحاديث والآثار (١٦٨٧) حديثاً وأثراً. انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للحافظ الزيلعي (١/ ٩) و(٤/ ٣٤١) والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر المطبوع في آخر تفسير الكشاف.

(٧) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٨) الكشاف (٢/ ٦٢٨).

ومن الأمثلة على استشهاد الزمخشري بالحديث: ذكره لحديث النبي ﷺ لما سئل عن أول مسجد وضع للناس؟ فقال: «**المسجد الحرام، ثم بيت المقدس**» وسئل كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**»[١]، ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢]. وذكر كذلك عند تفسير هذه الآية والتي تليها قوله ﷺ: «**حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وقرة عيني في الصلاة**»[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[٤] ذكر الزمخشري عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «**هدايا الولاة غلول**»[٥].

ويتشابه كلٌّ من الراغب الأصفهاني والزمخشري في كونهما لا يذكران مصادر ما يوردانه من أحاديث، ولا رواتها، ولا درجاتها من حيث الصحة والضعف، كذلك فإن الزمخشري ـ كالراغب ـ أورد كثيراً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة مع نسبتها إلى النبي ﷺ، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء رقم (٣٣٦٦) ومسلم، كتاب المساجد رقم (٥٢٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧. وانظر الكشاف (١/٣٨٦).

(٣) صحّ هذا الحديث بدون قوله: «ثلاث» فقد أخرجه النسائي (٧/ ٦١) كتاب عشرة النساء، باب حبّ النساء. وأحمد في المسند (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠)، والبيهقي في سننه (٧/ ٧٨). قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ١٥٠، ١٥٢): صحَّ عنه ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «حبب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة». هذا لفظ الحديث. من رواه «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث». فقد وهم، ولم يقل ﷺ: «ثلاث».

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٥) أخرجه بلفظ: «هدايا الأمراء غلول» الطبراني في الأوسط رقم (٢١٤٨، ٢١٤٩) مجمع البحرين. والبيهقي في سننه (١٠/١٣٨) وعزاه الحافظ ابن حجر لهما ولابن عدي وسنيد بن داود في تفسيره وضعفه. انظر تلخيص الحبير (٤/٣٠٨).

﴿ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ذكر عدة أحاديث لا تصح عن رسول الله ﷺ، منها قوله: «**من مات ولم يحج، فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا**»[1].

قال: وروي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم، فقال: «**إن الله كتب عليكم الحج، فحجوا**» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون، وكفرت به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نحجُّه»[2].

ومن الأحاديث التي لا تصحّ عن النبي ﷺ ما ذكره الزمخشري[3] عند قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ حيث ذكر أن النبي ﷺ قال: «**القرآن حبل الله المتين، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة الرّدّ، من قال به صدق، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم**»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب التغليظ في ترك الحج رقم (٨١٢) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبدالله ـ أحد رواته ـ مجهول. والحارث يضعَّف في الحديث. وذكر الحافظ ابن كثير تضعيف العلماء لهذا الحديث في تفسيره (١/ ٣٦٥)، وأفاد أنه صحَّ موقوفاً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠١) وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الضّحّاك مرفوعاً. فهو مرسل.

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٣٩٤).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن رقم (٢٩٠٦) وأحمد في المسند (١/ ٩١) والدارمي في سننه. كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن رقم (٣٣٣٢). قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده=

٤ ـ أسباب النزول:

اهتم الزمخشري بذكر أسباب نزول الآيات، وقد تشابه منهجه مع منهج الراغب في عدم اهتمامه بهذا الجانب من ناحية الأسانيد والرواية، وكذلك في ذكر تعدد الأقوال في أسباب النزول، وكذلك في عدم ترجيحه بين الأقوال في شأن أسباب النزول، بل كان يكتفي بذكر هذه الأقوال دون ترجيح.

فعند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[1] قال الزمخشري: وذلك أن رسول الله ﷺ دخل مدراسهم، فدعاهم، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ قال: على ملة إبراهيم. قالا: إن إبراهيم كان يهوديًّا. قال لهما: إن بيننا وبينكم التوراة، فهلموا إليها. فأبيا.

وقيل: نزلت في الرجم، وقد اختلفوا فيه[2].

ففي هذا المثال اكتفى الزمخشري بذكر تعدد الأقوال في أسباب

= مجهول، وفي الحارث مقال. وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص (٤٥ ـ ٥٦): «لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرىء حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما إنه تعمد الكذب في الحديث فلا، والله أعلم، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وقد وهم بعضهم في رفعه». والحديث ورد من طريق آخر رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٤)، وفي مسند الشاميين رقم (٢٢٠٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٥): فيه عمرو بن واقد وهو متروك.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٢) الكشاف (١/ ٣٤٨).

النزول دون التنبيه على ثبوت هذا السبب عن النبي ﷺ أم لا، ودون الترجيح بين القولين، اللذين ذكرا سببين مختلفين لنزول الآية.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[1] ذكر الزمخشري بعض الروايات في ذلك دون الحكم عليها أو الترجيح بينها[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[3] ذكر الزمخشري ثلاث روايات في سبب نزول الآية، ولم يحكم عليها، أو يرجِّح بينها[4].

وهذا يدل على التشابه الواضح بينه وبين الراغب في هذه الجزئية المتعلقة بالتفسير بالمأثور.

٥ ـ أقوال الصحابة والتابعين:

اهتم الراغب بذكر أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره أكثر من اهتمام الزمخشري بذلك، فالزمخشري نظراً لاعتزاله كان لا يعوّل كثيراً على الروايات المأثورة عن الصحابة والتابعين، لأنه يعلم أن هذه الروايات لن تؤدي إلى نصرة مذهب المعتزلة، بل هي مدحضة لها، دامغة لأصولها، ولذلك اعتد الزمخشري برأيه كثيراً، وأعرض عن ذكر الروايات المأثورة عن الصحابة والتابعين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٤٢٢، ٤٢٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٤٣٤).

مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾[1] تعرّض الراغب لبعض أقوال التابعين في المحكم والمتشابه[2]، أما الزمخشري فلم يذكر في ذلك قولاً لأحد[3].

وعند قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾[4] ذكر الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿طوعاً وكرهاً﴾ ستة أقوال عن ابن عباس، وقتادة وأبي العالية ومجاهد والحسن ومطر الوراق[5]. أما الزمخشري فلم يذكر في ذلك قولاً واحداً[6].

وأحياناً يشير الزمخشري إلى الأقوال دون ذكر أصحابها، فيقول: وقيل كذا. وقيل كذا. كما فعل في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . . . ﴾[7] الآية.

قال الزمخشري: «﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي مستوفي أجلك. . . وقيل: قابضك من الأرض. . . وقيل: مميتك في وقتك بعد النزول

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) انظر الرسالة (ص ٤٢٠، ٤٢١).

(٣) انظر الكشاف (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٥) انظر الرسالة (ص ٦٨٦، ٦٨٧).

(٦) انظر الكشاف (١/ ٣٨٠).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

من السماء، ورافعك الآن. وقيل: متوفي نفسك بالنوم»[1].

أما الراغب فقد قال: «وقال الربيع: توفاه ووفاته: النوم. وقال غيرهما: آخذك وافياً لم ينقص منك شيء. وقال الحسن: وفاة الرفع لا وفاة الموت. وقال ابن عباس ووهب: وفاة موت، فإنه أماته ثم أحياه فرفعه»[2].

وبهذا يتبين تفوُّق الراغب على الزمخشري في جانب ذكر أقوال الصحابة والتابعين وتعيين صاحب القول، أما الزمخشري فقد أهمل ـ إلى حد كبير ـ هذا الجانب المهم من جوانب التفسير بالمأثور.

ثانياً: مسائل اللغة والنحو بين الزمخشري والراغب:

الزمخشري لغوي لا يُشَقُّ له غبار، وأديب بارع واسع الاطلاع، قال عنه ياقوت: «كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل، متفنناً في علوم شتى»[3].

ولذلك فقد أولى الزمخشري عناية فائقة بالمفردات القرآنية وأصولها اللغوية والاشتقاقية، وكذلك اعتنى بالنحو والإعراب وعلوم البلاغة والاستشهاد بالشعر العربي.

واعتنى الزمخشري كذلك بالمترادفات، وفرق بينها تفرقة معنوية دقيقة، مما يدل على طول باعه وتمكُّنه اللغوي. مثال ذلك

---

(١) الكشاف (١/ ٣٦٦، ٣٦٧).

(٢) الرسالة (ص ٥٩١، ٥٩٢).

(٣) معجم الأدباء (٩/ ١٢٦).

قوله: «واستعفَّ أبلغ من عفَّ، كأنه طالب زيادة العفة» وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾[1].

والزمخشري في ذلك كله يشبه الراغب الأصفهاني في العناية باللغة والاعتماد عليها في تفسير كلام الباري سبحانه وتعالى.

غير أننا نلحظ فروقاً بين هذين الإمامين في جانب الاعتماد على اللغة، نجملها فيما يلي:

١ ـ كانت عناية الراغب بالمفردات اللغوية وأصولها الاشتقاقية أكثر من الزمخشري.

٢ ـ كانت عناية الراغب بإيراد أقوال اللغويين أكثر من الزمخشري.

٣ ـ كانت عناية الراغب بالفروق اللغوية أكثر من الزمخشري.

٤ ـ كانت عناية الزمخشري بالنحو والإعراب والوجوه النحوية أكثر من الراغب.

٥ ـ كانت عناية الزمخشري بالبلاغة أكثر من الراغب.

٦ ـ كانت عناية الراغب والزمخشري بالاستشهادات الشعرية متساوية تقريباً. ومن خلال الأمثلة التالية يتبيَّن ما ذكرتُ من فروق:

١ ـ عند قوله عز وجل: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

(١) سورة النساء، الآية: ٦. وانظر: الكشاف (١/ ٤٧٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.

ذكر الراغب معاني وأصول الكلمات التالية: الهيئة، والنفخ، والادّخار، والأكمه[1].

أما الزمخشري فلم يذكر إلا معنى الأكمه فقط[2].

٢ ـ عند قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[3] ذكر الراغب في معنى ﴿أن يؤتى﴾ ما قاله الكسائي والفرّاء والمبـرّد[4]، بينما لم يذكر الزمخشري قول أيٍّ منهم[5].

٣ ـ بالنظر إلى جميع الأمثلة التي أوردتها للاستدلال على اهتمام الراغب بالفروق اللغوية، وجدت أن الزمخشري لم يتعرض لأي منها مما يدل على تفوُّق الراغب في هذا المجال أيضاً.

٤ ـ عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾[6]. قال الراغب: وإعراب (الذين) إما نصب على البدل من (الذين نافقوا) أو رفع على خبر الابتداء المضمر، أو بدل من الضمير في (يكتمون)[7].

وقال الزمخشري: (الذين قالوا) في إعرابه أوجه: أن يكون نصباً على الذم، أو على الردّ على (الذين نافقوا)، أو رفعاً على (هم

---

(١) انظر الرسالة ص (٥٧٠، ٥٧١).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٦٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٤) انظر: الرسالة ص (٦٤٣، ٦٤٤).

(٥) انظر: الكشاف (١/ ٣٧٣)..

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٧) الرسالة ص (٩٧٧).

الذين قالوا)، أو على الإبدال من واو (يكتمون)، ويجوز أن يكون مجروراً بدلاً من الضمير في (بأفواههم) أو (قلوبهم) كقوله: على جوده لَضَنَّ بالماء حاتمُ[1].

ففي هذا المثال نجد أن الراغب يذكر ثلاثة أوجه إعرابية، بينما يذكر الزمخشري خمسة أوجه.

٥ ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ﴾[2].

قال الراغب: «الطَّول: سعة في العطية، وهو أخصُّ من النيل، فإن النيل يقال في القليل والكثير، والطَّول لا يقال إلا فيما يزيد على غيره...»[3].

وقال الزمخشري: الطَّول: الفضل. يقال: لفلان على فلان طَوْل، أي زيادة وفضل، وقد أطاله طَوْلاً، فهو طائل، قال:

لقد زادني حبًّا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرىء غير طائل[4]

ففي هذا المثال نلحظ استدلال الزمخشري بالشعر، في حين أن الراغب اكتفى ببيان المعنى دون اللجوء إلى الشعر.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾[5] ذكر الزمخشري قول الفرزدق:

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٤٣٨).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٣) انظر الرسالة ص (١١٨٢).

(٤) انظر الكشاف (١/ ٤٩٩).

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٤.

وذات حليل أنكحَتْها رماحُنا حلالٌ لمن يبني بها لم تُطلَّقِ[1]

ولم يذكره الراغب.

وذكر الراغب عند قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[2] قول الشاعر:

يا أيها الماتح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

ولم يذكره الزمخشري[3].

وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾[4] ذكر الراغب قول الشاعر:

أناة فإن لم تُغْنِ عقب بعدها وعيدٌ فإن لم تغن أغنت عزائمه

ولم يذكره الزمخشري[5].

ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين الزمخشري والراغب:

لم يقصد الراغب من تأليف كتاب في التفسير أن ينتصر لعقيدته، التي تميل إلى المذهب الأشعري، ولذلك لم يكن يتناول مسائل الاعتقاد، إلا إذا اقتضى تفسير الآية ذلك، وكذلك كان تناول الراغب لهذه المسائل يتَّسم بالإيجاز الشديد، غير أنه في بعض الأحيان كان يطيل النَّفَسَ، إذا كان المقام يقتضي الردّ على نظار الفرق

---

(١) انظر الكشاف (١/ ٤٩٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) انظر الكشاف (١/ ٤٩٧). والرسالة ص (١١٧٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٥) انظر الكشاف (١/ ٥٠٥). والرسالة ص (١١٢٤).

وبخاصة المعتزلة والملاحدة.

أما الزمخشري فقد كتب تفسيره في ضوء عقيدة المعتزلة، بل إن الهدف الأساسي في تأليف هذا التفسير هو الانتصار لمذهب المعتزلة، والدفاع عن أصولهم الخمسة، والدعوة لأقوالهم وآرائهم، وقد أبان الزمخشري إلى هذا المقصد في مقدمة تفسيره، فقال: «ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إليَّ في تفسير آية، فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجُّب، واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك. حتى اجتمعوا إليَّ مقترحين أن أُملي عليهم (الكشف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل) فاستعفيت، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد...»[1].

ولهذه الظروف المذهبية التي كانت سبباً في تأليف كشاف الزمخشري، نجد أنه انتصر انتصاراً كبيراً لهذه العقيدة الاعتزالية، ونافح عنها، وردّ على خصومها، ورماهم بالجهل والضلال، وأخذ في تأويل آيات الكتاب العزيز، وصرفها عن معانيها حتى تتفق مع هذه العقيدة. وسوف أذكر بعض الأمثلة، التي توضح الفرق بين منهجي الراغب والزمخشري في مسائل الاعتقاد.

١ ـ عند قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١) انظر مقدمة الكشاف ص (س).

﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] قصر الزمخشري أولي العلم في الآية على علماء المعتزلة وحدهم، وأخرج من سواهم، فقال: «فإن قلت: ما المراد بأولي العلم الذين عظَّمهم هذا التعظيم، حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟ قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة، وهم علماء العدل والتوحيد»[2].

قال ابن المُنَيِّر في حاشيته على الكشاف: «تلميح بالمعتزلة، حيث سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، لكن الإنصاف التعميم، حتى يشمل أهل السنة والجماعة»[3].

ويحسن التنبيه هنا أن العدل والتوحيد عند المعتزلة ليسا على حقيقتهما، فالعدل عندهم هو قولهم: إن الله لا يخلق الشَّرَّ، وإن العباد يخلقون أفعالهم. أما التوحيد عندهم فهو نفي صفات الله تعالى، التي أثبتها لنفسه[4].

أما الراغب الأصفهاني فإنه لم يخصّ طائفة من العلماء دون طائفة، كما فعل الزمخشري[5].

والزمخشري مولع بذكر أصول المعتزلة الخمسة، وبخاصة العدل والتوحيد، وهما كما سبق يتضمنان نفي صفات الله تعالى،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) الكشاف (١/ ٣٤٤).

(٣) حاشية ابن المنير على الكشاف (١/ ٣٤٤).

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٥) انظر الرسالة ص (٤٦٥).

والقول بأن العباد يخلقون أفعالهم، فتراه يذكر هذه الأصول عند كل مناسبة، بل إنه يذكرها بغير مناسبة كذلك. مثال ذلك قوله في تفسير آخر الآية السابقة: ﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل. يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر، الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله[1].

ثم قال: «وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[2] جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ توحيد. وقوله: ﴿قائماً بالقسط﴾ تعديل، فإذا أردفه قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين».

ثم عـرَّض الزمخشري بأهل السنة، فقال: «وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجَوْرِ، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بيِّنٌ كما ترى. وقُرِئا مفتوحين على أن الثاني بدل من الأول، كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل هو المبدل منه في المعنى، فكان بياناً صريحاً، لأن دين الله هو التوحيد والعدل.

وقُرِىءَ الأول بالكسر والثاني بالفتح، على أن الفعل واقع على

---

(1) انظر الكشاف (١/ ٣٤٤).

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(إن) وما بينهما اعتراض مؤكَّد، وهذا أيضاً شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد، فترى القراءات كلها معتضدة على ذلك... فإن قلت: لِمَ كرر قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾؟ قلت: ذكره أولاً للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانياً بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل. ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام، وهو التوحيد والعدل»[1].

وهكذا، فإن الزمخشري يستخدم كل مهاراته ومعرفته في اللغة والإعراب والقراءات والتفسير لإثبات أصول معتقده، فهو يجعل التفسير تابعاً لهذا المعتقد، وإن أداه ذلك إلى صرف الكلام عن حقائقه بغير حجة أو برهان.

وقد ردّ ابن المُنَيِّر على الزمخشري كلامه السابق، فقال: «هذا تعريض بخروج أهل السُّنَّة من ربقة الإسلام، بل تصريح، وما ينقم منهم ألا أن صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، بأنهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر، لا يُضامّون في رؤيته، ولأنهم وحّدوا الله حقَّ توحيده،

(١) الكشاف (١/ ٣٤٥، ٣٤٦).

فشهدوا أن لا إله إلا هو، ولا خالق لهم ولأفعالهم إلا هو. . . هذا إيمان القوم وتوحيدهم، لا كقوم يغيرون في وجه النصوص، فيجحدون الرؤية التي يظهر أن جحدهم لها سبب في حرمانهم إياها، ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله في مخلوقاته، فيزعمون أنهم يخلقون لأنفسهم ما شاؤوا من الأفعال على خلاف مشيئة ربهم، محادّة ومعاندة لله في ملكه، ثم بعد ذلك يتسترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد»[1].

٣ـ ومن تعريض الزمخشري بأهل السنة قوله عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[2]. قال: «ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب، وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل، كما طمعت المجبرة والحشوية»[3]. وهذا الكلام يشير إلى أصل المعتزلة الثالث المسمى: «الوعد والوعيد» وهذا الأصل يتضمن خلود أهل الكبائر في النار. أما أهل السنة فإنهم قالوا: «يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأن يخرج أهل الكبائر من النار، فلا يخلّد فيها من أهل التوحيد أحداً»[4].

وقال الإمام الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد في النار،

---

(١) حاشية ابن المنير على الكشاف (١/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

(٣) الكشاف (١/ ٢٤٩).

(٤) منهاج السنة لابن تيمية (١/ ٣٢٨).

لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه؛ إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر ـ عز وجل ـ في كتابه ﴿ . . . وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] الآية. وإن شاء عذبهم بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته . . . »[2].

وبالنظر إلى ما ذكره الراغب الأصفهاني في هذه المواضع من تفسيره، نجد أنه لم يتعرض لهذه المسائل الاعتقادية، التي أقحمها الزمخشري في تفسيره إقحاماً.

٤ ـ ومن باب نفي صفات الله تعالى ما ذكره الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3]. حيث قال: «محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم»[4]. وهذا تحريف ظاهر ونفي لما أثبته الله تعالى لنفسه من أنه يحب عباده المؤمنين، ويحبه عباده المؤمنون.

أما الراغب فقد أثبت هذه الصفة لله تعالى ولم يؤولها[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) العقيدة الطحاوية ص (٢٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٤) الكشاف (١/ ٣٥٣).

(٥) أشرت إلى ذلك عند الحديث عن منهجه في مسائل الاعتقاد من خلال كلامه في آية أخرى، أما هذه الآية فيبدو أن الناسخ قد أسقط كلام الراغب فيها.

٥ ـ ويظهر تعسف الزمخشري في تأويل النصوص حتى تتفق مع مذهبه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1].

فيقول: فإن قلت: قد ثبت أن الله ـ عز وجل ـ يغفر الشرك لمن تاب منه، وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة. فما وجه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ قلت: الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين إلى قوله تعالى: ﴿لمن يشاء﴾ كأنه قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك، على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب[2]!!

وقد تعجب ابن المُنَيِّر من هذا التأويل، وردّ عليه قائلًا: «عقيدة أهل السُّنَّة أن الشرك غير مغفور ألبتة، وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفر له، هذا مع عدم التوبة، وأما مع التوبة فكلاهما مغفور، والآية إنما وردت فيمن لم يتب، ولم يذكر فيها توبة كما ترى، فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك، وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بالمشيئة كما ترى» ثم أخذ ابن المُنَيِّر يرد على الزمخشري قوله مبيّناً ضعفه وتهافته[3].

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) انظر الكشاف (١/ ٥١٩، ٥٢٠).

(٣) انظر حاشية الموضع السابق.

أما الراغب الأصفهاني فقد ردّ على المعتزلة في هذا الموضع، وبيّن ضعف قولهم ورجَّح قول أهل السُّنَّة[1].

رابعاً: مسائل الفقة بين الزمخشري والراغب:

ذكرت عند الحديث عن منهج الراغب في مسائل الفقه: أن أحداً من المصنفين لم يدرج الراغب ضمن مذهب فقهي معين، ومع ذلك فقد تعرّض الراغب لكثير من المسائل الفقهية، وتكلم فيها بما يدل على معرفة تامة بمذاهب الفقهاء، واختلاف أقوالهم، وكان في الغالب يرجح قولاً من هذه الأقوال، وكان ينتصر في كثير من الأحيان للمذهب الشافعي، ويؤيد القياس الشرعي المبني على الاجتهاد والاستنباط.

أما الزمخشري فهو حنفي المذهب، صرح بذلك في قوله:

وأسند ديني واعتقادي ومذهبي
إلى حنفاء أختارهم وحنايفا
حنيفية أديانهم حنفية
مذاهبهم لا يبتغون الزعانفا[2]

ويقول كذلك مادحاً مذهبه متعصِّباً له: «رضي الله عن العلماء الخاشين من الله وحسابه.. جمعوا إلى الدين الحنيفي العلم الحنفي»[3].

(١) انظر هذه الرسالة (ص ١٢٦٦ ـ ١٢٦٩).
(٢) انظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن للدكتور مصطفى الصاوي الجويني (ص ١٧٩).
(٣) المصدر السابق (ص ١٧٩).

ولكن إذا نظرنا إلى منهج كل من الراغب والزمخشري في مسائل الفقه من خلال كتابيهما في التفسير، نجد أن الراغب تميَّز عن الزمخشري بذكر اختلاف أقوال الفقهاء، مع نسبة كل قول إلى صاحبه، أما الزمخشري فقد أهمل ذلك في الغالب، ولم يُشِرْ إلى اختلاف الفقهاء إلا نادراً.

مثال ذلك:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[1]. ذكر الراغب قول أصحاب أبي حنيفة، فقال: «فاستدلّ بهذه الآية أصحاب الإمام أبي حنيفة على توريث ذوي الأرحام. وقالوا: الأخوال والخالات وأولاد البنات من الأقربين»[2].

بينما لم يُشِرِ الزمخشري إلى أي مذهب في ذلك[3].

٢ ـ عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4] أشار الراغب إلى مذاهب الفقهاء في معنى النكاح في الآية، فقال: «اختلفوا في النكاح ههنا، فحمله أصحاب أبي حنيفة على الجماع، وقال: هو حقيقة فيه، فحرموا كل امرأة باضعها الأب حلالاً أو حراماً على الابن. وحمله الشافعي على

(١) سورة النساء، الآية: ٧.

(٢) انظر: الرسالة ص (١١١٠).

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٤٧٦، ٤٧٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٢.

العقد، وقال: هو حقيقة فيه . . .»[1].

أما الزمخشري فلم يُشِرْ إلى شيء من ذلك[2].

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[3] ذكر الراغب قول الإمام مالك والإمام أبي حنيفة في مسألة سبي الزوجين معاً أو مفترقين، قال: «وظاهر ذلك يقتضي أن الزوجين إذا سُبِيَا معاً أو مفترقين فإن النكاح يبطل، كما قال مالك. بخلاف ما قال أبو حنيفة حيث قال: إذا سُبِيَا معاً لا يبطل النكاح»[4].

أما الزمخشري فلم يتعرَّض لشيء من ذلك[5].

وحتى في المواضع التي تعرض فيها الزمخشري لأقوال الفقهاء، نجد الراغب في هذه المواضع قد زاد من الأقوال على ما ذكره الزمخشري.

٤ ـ فعند قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[6]. ذكر الزمخشري مذهب الشافعي وأبي حنيفة في

---

(١) انظر: الرسالة ص (١١٥٨).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٢، ٤٩٣).

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٤) انظر: الرسالة ص (١١٧٥).

(٥) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٧).

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٥.

جواز نكاح الأَمَةِ[1]. أما الراغب فقد ذكر قول الشافعي وأبي حنيفة ومالك ـ رحمهم الله ـ[2].

٥ ـ وعند قوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ من الآية نفسها، قال الزمخشري: «الظاهر أن لا يجوز نكاح الأَمَةِ الكتابية، وهو مذهب أهل الحجاز. وعند أهل العراق يجوز نكاحها، ونكاح الأمة المؤمنة أفضل، فحملوه على الفضل لا على الوجوب»[3]. أما الراغب فقد ذكر أقوال الأئمة وأسماءهم فقال: «وقال الحسن ومجاهد والثوري وأبو حنيفة: هو على الاستحباب، فأجازوا التَّزوُّج بالأمة الكتابية. وقال مالك والشافعي والأوزاعي: لا يجوز نكاح الأمة الكتابية»[4]. فكان كلام الراغب في ذلك أتم من كلام الزمخشري.

ومن صور الاختلاف بين منهجي الراغب والزمخشري في مسائل الفقه: أن الزمخشري إذا ذكر أقوال الفقهاء لا يرجِّح بينها في الغالب، إلا في النادر، فيرجِّح قولاً من هذه الأقوال، كما فعل في المثال السابق، حيث رجَّح قول أهل الحجاز.

أما الراغب فإنه يرجِّح بين الأقوال الفقهية غالباً، وقد ذكرت الأمثلة على ذلك عند الحديث عن منهج الراغب في مسائل الفقه.

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٩).

(٢) انظر هذه الرسالة ص (١١٨٣).

(٣) الكشاف (١/ ٥٠٠).

(٤) انظر هذه الرسالة ص (١١٨٦).

المبحث الثاني

مقارنة بين منهجي الراغب وابن عطية في التفسير

إن أول ما يلفت نظر الباحث المقارن بين منهجي الراغب وابن عطية في تفسيريهما هو التشابه الواضح في طريقة التفسير ونوعيته، فكلاهما جمع في منهجه بين المأثور والرأي، ويمكن القول بأن تفسير الراغب وتفسير ابن عطية من نوع التفسير بالرأي الجائز، فابن عطية كالراغب يفسر القرآن بالقرآن، وبما ورد عن رسول الله ﷺ، وبما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم. ويذكر كذلك القراءات وأسباب النزول، ويعتمد في التفسير كذلك على لغة العرب وأشعارها، فيلجأ كثيراً إلى علم النحو والإعراب في حل بعض القضايا اللغوية التي تؤثر في التفسير بإيضاح المعنى تارة، وبالنص على وجه معين من عدة أوجه تارة، وبتضعيف بعض الأوجه تارة أخرى. ويمكن المقارنة بين منهجي الراغب وابن عطية في التفسير من خلال ما يلي:

أولًا: التفسير بالمأثور بين ابن عطية والراغب:

١ - تفسير القرآن بالقرآن:

يتشابه تفسير ابن عطية مع تفسير الراغب في جعل القرآن الكريم أهم مصادر التفسير، إلا أن أغلب استدلالات ابن عطية بالقرآن كانت لبيان وتجلية معاني المفردات اللغوية دون المعنى العام للآية.

١ ـ فعند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[1] يذكر ابن عطية الفرق بين معنى الحرث في هذه الآية ومعناه في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾[2].

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[3].

قال ابن عطية: «أصل شهد في كلام العرب: حضر، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[4] فاستدل بالقرآن على تفسير كلمة شهد[5].

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[6]. استدل ابن عطية بالقرآن على إضمار القول، فقال: «وهذا على إضمار القول، كأنه قال: ﴿فنادته الملائكة﴾ فقالت. وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ ﴾[7] على قراءة من كسر الألف»[8].

٤ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾[9] قال: معناه: تخلطون، تقول: لبَست الأمر بفتح الباء بمعنى خلطه. ومنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨. وانظر تفسير ابن عطية (٣/ ٣٦).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٥) انظر تفسير ابن عطية (٣/ ٤٠).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٧) سورة القمر، الآية: ١٠.
(٨) تفسير ابن عطية (٣/ ٧٢).
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾[1].

٢ - القراءات:

يختلف منهج ابن عطية عن منهج الراغب الأصفهاني في الاستشهاد بالقراءات القرآنية، فالراغب لم يحدد منهجه في التعامل مع هذه القراءات، أما ابن عطية، فقد أوضح منهجه في ذلك بقوله: «وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذَّها، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ»[2].

ويوضح ابن عطية موقفه من المتواتر والشاذ، فيقول: «ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يُصلَّى، لأنها ثبتت بالإجماع، وأما شاذ القراءات فلا يُصلّى به، وذلك لأنه لم يُجمع الناس عليه»[3] فالإجماع إذن هو حجة ابن عطية في ثبوت صحة القراءة من شذوذها، والقراءة الثابتة المجمع عليها يُتعبَّد بها ويُصلّى بها عند ابن عطية، أما القراءة الشاذة فلا يُصلّى بها عنده.

وبيّن ابن عطية رأيه كذلك في القراءات المروية عن بعض الصحابة: كابن مسعود، فقال: «فأما ابن مسعود فأبى أن يزال مصحفه فترك، ولكن أبى العلماء قراءته سدًّا للذريعة، ولأنه رُوِي أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير، فظنها قوم من التلاوة فتخلط

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩. وانظر تفسير ابن عطية (٣/ ١٢١).
(٢) تفسير ابن عطية (١/ ٥).
(٣) تفسير ابن عطية (١/ ٣٢).

الأمر فيه»[1].

أما الراغب الأصفهاني فلم يحدد موقفه من هذه القراءات المروية عن الصحابة، بل كان يذكرها دون أن يبيّن موقفه من الاحتجاج بها.

وتميَّز ابن عطية عن الراغب كذلك في باب القراءات بأنه كان ينصّ على صاحب القراءة، فعند قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾. قال ابن عطية: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿ستغلبون وتحشرون﴾ بالتاء من فوق و(يرونهم) بالياء من تحت. وحكى أبان عن عاصم (ترونهم) بالتاء من فوق مضمومة.

وقرأ نافع ثلاثتهن بالتاء من فوق.

وقرأ حمزة ثلاثتهن بالياء من تحت.

وبكلٍّ قراءة من هذه قرأ جمهور من العلماء.

وقرأ ابن عباس وطلحة بن مصرف وأبو حيوة: (يرونهم) بالياء المضمومة.

وقرأ أبو عبدالرحمن بالتاء من فوق مضمومة»[2].

ولم تقتصر براعة ابن عطية في مجال القراءات على الإحاطة والعزو، ولكنه برع كذلك في مجال التوجيه بما يخدم المعنى الذي هو

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ٣١، ٣٢).

(٢) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٧).

الأساس والمقصد من علم التفسير. فيعلق مثلًا على من قال في تفسير هذه الآية: «أي قل لهؤلاء اليهود سيغلبون يعني قريشاً». بقوله: وهذا التأويل إنما يستقيم على قراءة (سيغلبون ويحشرون) بالياء من تحت. ومن قرأ بالتاء فمعنى الآية: قل للكفار جميعاً هذه الألفاظ. ومن قرأ بالياء من تحت فالمعنى: قل لهم كلاماً هذا معناه، ويحتمل قراءة التاء التأويل الذي ذكرناه آنفاً؛ أي قل لليهود ستغلب قريش، ورجَّح أبو علي قراءة التاء على المواجهة»[1].

ثم قال ابن عطية: «فمن قرأ (ترونهم) بالتاء من فوق، فهي مخاطبة لجميع المؤمنين، إذ قد رأى ذلك جمهور منهم، والهاء والميم في (ترونهم) تجمع المشركين. وفي (مثليهم) تجمع المؤمنين. ومن قرأ بالياء من تحت فالمعنى: يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلي جمع المؤمنين. ومن رأى أن الخطاب لجميع الكفار، ومن رأى أنه لليهود فالآية عنده داخلة فيما أُمر محمد ـ عليه السلام ـ أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم، وتبييناً لصورة الوعيد المتقدم في أنهم سيغلبون. فمن قرأ بالياء من تحت فالمعنى: يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفاز مثلي جمع المؤمنين. ومن قرأ بالتاء فالمعنى: لو حضرتم أو إن كنتم حضرتم، وساغت العبارة لوضوح الأمر في نفسه، ووقوع اليقين به لكل إنسان في ذلك العصر. ومن قرأ بضم التاء أو الياء فكان المعنى: إن اعتقاد

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٨).

التضعيف في جميع الكفار إنما كان تخميناً وظنًّا لا يقيناً»[1].

والحق أن الراغب وإن كانت له جهود في توجيه القراءات والاستفادة منها في مجال التفسير وجلاء المعنى، إلا أن ابن عطية قد تفوَّق عليه في ذلك، حيث إنه كان دقيقاً إلى أبعد حدّ في جمعه للقراءات، وتوجيهها توجيهاً سديداً بما يخدم النص القرآني، ويجلي معانيه، ويدفع التعارض عن آياته.

والذي يؤخذ على ابن عطية في هذا الباب هو جسارته على ردّ بعض القراءات الصحيحة المتواترة الثابتة بالإجماع، وهو بذلك يخالف منهجه الذي بينه في مقدمة كتابه، ففي تفسير سورة النساء ردّ ابن عطية قراءة حمزة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[2] بالخفض فقال: «وقرأ حمزة وجماعة من العلماء (والأرحامِ) بالخفض عطفاً على الضمير. والمعنى عندهم: أنها يُتساءل بها كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم. هكذا فسَّرها الحسن وإبراهيم النخعي ومجاهد. وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمر مخفوض». ثم قال: «ويردّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان:

أحدهما: أن ذكر الأرحام فيما يتساءل به لا معنى له في الحضّ على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها.

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

والوجه الثاني: أن في ذكرها على ذلك تقريراً للتساؤل بها، والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يردُّ ذلك في قوله عليه السلام: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**[1]»[2].

ومع أن الراغب لم يقع فيما وقع فيه ابن عطية من تضعيف قراءة حمزة إلا أنه ساق قول من ضعّف قراءته ولم يردّ عليه أو يبيّن رأيه في ذلك. وليته سلك مسلك من صحَّح هذه القراءة، وحمل على مضعِّفيها كما فعل أبو حيان، حيث حمل على ابن عطية لجسارته على تضعيف هذه القراءة[3]. وقال النيسابوري بعد أن ذكر قول المضعِّفين: «إلا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت»[4].

٣ - الاستشهاد بالسنة النبوية:

ويتشابه المنهجان كذلك في الاستشهاد بالحديث النبوي في التفسير، وإن كان ابن عطية أكثر استدلالاً بالحديث من الراغب، ولم يقتصر ابن عطية على الأحاديث الصحيحة والحسنة، بل أورد كذلك الضعيف وربما الموضوع، شأنه في ذلك شأن الراغب، وذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً، حديث رقم (٦١٠٨). وأخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، حديث رقم (٣).

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٨، ٩).

(٣) البحر المحيط (٣/ ١٦٧).

(٤) تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١).

ابن عطية الأحاديث محذوفة الأسانيد كالراغب، وحذف كذلك اسم الصحابي راوي الحديث في الغالب، وذكره في مواضع، ولم يذكر مصادر ما يورده من أحاديث، ولا مدى صحتها إلا في النادر، حيث كان يشير إلى بعض المصادر كالصحيحين مثلًا، وربما علَّق على بعض الأحاديث وبعض الرواة.

ومن المواضع التي استشهد فيها ابن عطية بالأحاديث الصحيحة:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[١] ذكر ابن عطية وجهاً من التفسير، مفاده أن المراد وضع إبراهيم لقواعد البيت، فقال: «ويحتمل أن يريد وضع إبراهيم عليه السلام»، ثم قال: «ويؤيد هذا التأويل ما قال أبو ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ مسجدٍ وضع أول؟ قال: **«المسجد الحرام»**. قلت: ثم أي؟ قال: **«المسجد الأقصى»**. قلت: كم بينهما؟ قال: **«أربعون سنة»**[٢]. ثم قال: «فيظهر من هذا أنهما من وضع إبراهيم جميعاً»[٣]. ففي هذا المثال رجَّح ابن عطية أحد الأوجه التفسيرية، معتمداً في ذلك على السنة النبوية الصحيحة.

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٠٤).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٦٣).

ٱلنَّاسِۗ﴾[1]. قال ابن عطية: ووردت في كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب أحاديث. . . ومنه قوله عليه السلام: «**ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[2]. وذكر حديثين آخرين[3].

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[4] ذكر ابن عطية[5] أن الآية عامة تتناول علماء هذه الأمة، واستدل على ذلك بقوله ﷺ: «**من سُئِلَ عن علم فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار**»[6].

٤ ـ وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[7] قال ابن عطية[8]: وقوله: (منها). . . وقيل: من يمينه فخلق منه حواء، ويعضد هذا القول

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم (٦١١٤)، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث رقم (١٠٧).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٥) تفسير ابن عطية (٣/ ٣١٣).

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، حديث رقم (٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، حديث رقم (٢٦٤٩). وقال الترمذي: حديث حسن.

(٧) سورة النساء، الآية: ١.

(٨) تفسير ابن عطية (٤/ ٧).

الحديث الصحيح في قوله عليه السلام: «إن المرأة خُلِقَت من ضِلَع»[1].

ومن المواضع التي ذكر فيها أسماء رواة الأحاديث من الصحابة:

١ ـ الحديث الذي ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[2] حيث قال: وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ خطب فقال: . . . وذكر الحديث» ثم قال: وروى نحو هذا الحديث ابن عباس قال النبي ﷺ: . . . فذكره»[3].

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[4] الآية. ذكر بعض الأحاديث عن عمر بن الخطاب ويعلى بن أمية وابن عباس رضي الله عنهم[5].

وابن عطية بذلك يتميّز عن الراغب، لأن المواضع التي ذكر فيها ابن عطية الرواة أكثر مما ذكره الراغب.

ومن المواضع التي نصَّ فيها ابن عطية على المصادر التي خرّجت الحديث ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، حديث رقم (٣٣٣١)، وأخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم (٦٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٨٥، ٢٨٦).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠١.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦).

﴿بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾[1] قال: وقالت فرقة: الإحصان في الآية: التَّزوُّج، إلا أن الحدَّ واجب على الأَمَةِ المسلمة بالسُّنَّة، وهي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري أنه قيل: يا رسول الله. . . فذكر الحديث[2].

ومن المواضع التي تكلم فيها على الأحاديث ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[3] حيث ذكر حديثاً عن النبي ﷺ في تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة. ثم قال: «وضعَّف قوم هذا الحديث، لأن إبراهيم بن يزيد الخوزي تكلم فيه ابن معين وغيره، والحديث مستغن عن طريق إبراهيم»[4].

وهذا أيضاً مما تميز به ابن عطية عن الراغب، الذي لم يظهر في تفسيره ما يدل على اطلاعه على كلام علماء الحديث وأئمة الجرح والتعديل.

ومن الأحاديث الضعيفة التي أوردها ابن عطية في تفسيره[5] قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما أصرَّ من استغفر**» رواه الترمذي، وقال: غريب وليس إسناده بالقوي[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٨٦، ٨٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٠).

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٦).

(٦) انظر: سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب (١٠٧) حديث رقم (٣٥٥٩). ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٤).

ومن الأحاديث التي قيل: إنها موضوعة. وقيل: إنها ضعيفة. ما روي أن النبي ﷺ قال: «**خلاف أمتي رحمة**»[1] وقد استشهد به ابن عطية في تفسيره[2].

وقوله ﷺ: «**لا توبة مع إصرار**» أورده ابن عطية هكذا[3] ولم أجده بهذا اللفظ، ورد بنحوه عن ابن عباس مرفوعاً: «**لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار**» بسند ضعيف[4].

٤ - أسباب النزول:

يتشابه منهج ابن عطية مع منهج الراغب في ذكر أسباب النزول من النواحي التالية:

١ ـ حذف الأسانيد المتعلقة بروايات أسباب النزول.

٢ ـ عدم التعرض لهذه الروايات من جهة الثبوت أو عدمه.

٣ ـ ذكر تعدد الأقوال في سبب النزول.

---

(١) ذكر السيوطي هذا الحديث في الجامع الصغير رقم (٢٨٨) وقال: رواه نصر المقدسي في «الحجة» والبيهقي في «الرسالة الأشعرية» بغير سند، وأورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرمين وغيرهم، ولعله خُرِّج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا. وأورد المناوي في فيض القدير عن السبكي أنه قال: «ليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع»، وقال ابن قيم الجوزية: «روي هذا الحديث عن طرق عن جابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمر، ولم يثبت منها شيء». أعلام الموقعين (٢/ ٢٢٣) وانظر في ذلك: حديث «اختلاف أمتي رحمة» رواية ودراية للدكتور سعود الفنيسان.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ١٨٣).

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٦).

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٥/ ٢٨٧) حديث رقم (٧٩١٤)، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٤٤، ٤٥)، وفي سنده أبو شيبة الخراساني، قال في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٧): أتى بخبر منكر. فذكر هذا الحديث.

٤ ـ القول بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ويتفوق ابن عطية على الراغب في أنه قد يرجّح بعض أسباب النزول، وقد يُضعّف بعضها، أما الراغب فقد كان يكتفي بسردها دون ترجيح، فعند قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾[1]. قال ابن عطية:

«هذا هو تفسير الجمهور لهذه الآية، وأنها غزوة أحد، في الخرجة إلى حمراء الأسد، وشذَّ مجاهد ـ رحمه الله ـ فقال: إن هذه الآية من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾[2] إنما نزلت في خروج النبي ﷺ إلى بدر الصغرى... والصواب ما قاله الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد»[3].

فابن عطية يذكر هنا الخلاف في سبب نزول الآية، ويُضعّف قول مجاهد، ويُرجّح قول الجمهور.

أما الراغب فإنه اكتفى بالإشارة إلى قول بعض المفسرين: إنها نزلت في غزوة بدر الصغرى، ولم يتعرض لقول الجمهور: إنها في غزوة حمراء الأسد[4].

وعند قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) تفسير ابن عطية (٣/ ٢٩٨، ٢٩٩).

(٤) انظر: الرسالة ص (٩٩٠، ٩٩١).

بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾[1] قال ابن عطية: واختلف المتأولون فيمن المراد بالمنافقين؟ فقال ابن عباس: هم قوم كانوا بمكة فكتبوا إلى أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة: أنهم قد آمنوا، وتركوا الهجرة، وأقاموا بين أظهر الكفار، ثم سافر قوم منهم إلى الشام، فأعطتهم قريش بضاعات، وقالوا لهم: إنكم لا تخافون أصحاب محمد، لأنكم تخدعونهم بإظهار الإيمان لهم، فاتصل خبرهم بالمدينة، فاختلف المؤمنون فيهم، فقالت طائفة: نخرج إلى أعداء الله المنافقين. وقالت طائفة: بل هم مؤمنون، لا سبيل لنا إليهم. فنزلت الآية.

وقال مجاهد: بل نزلت في قوم جاءوا إلى المدينة من مكة فأظهروا الإسلام. ثم قالوا: لنا بضاعات بمكة، فانصرفوا إليها وأبطنوا الكفر، فاختلف فيهم أصحاب النبي ﷺ». قال ابن عطية بعد أن ذكر هذين القولين: «وهذان القولان يعضدهما ما في آخر الآية»[2]. ثم ذكر ثلاثة أقوال أخرى في سبب نزول الآية، الذي يحدد هؤلاء المنافقين، فهذه خمسة أسباب ذكرها ابن عطية في آية واحدة، وحاول ترجيح قولين منها بمرجّح رآه في الآية نفسها.

ومع أن الراغب ذكر هذه الأقوال الخمسة في سبب نزول الآية، إلا أنه لم يُرجِّح شيئاً منها[3].

وفي قضية عموم اللفظ وخصوص السبب عند قوله تعالى:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ١٩٨).

(٣) انظر: الرسالة ص (١٣٧٥، ١٣٧٦).

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[1]. يذكر ابن عطية قولين في سبب نزول الآية، ثم يقول بعد ذلك: «وعلى التعليقين فالكلام عام اللفظ خاصُّ المعنى، لأنا نقطع أن الله تبارك وتعالى قد أراد من بعض خلقه ألا يطيعوا»[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[3].

قال ابن عطية: «والآية تتناول المؤمنين والأسرى وحواضر الشرك إلى يوم القيامة»[4]. أي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهو بذلك يتفق مع الراغب، كما أوضحت عند الحديث عن هذه المسألة من منهجه.

٥ - الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين:

وكما اعتنى الراغب الأصفهاني بذكر أقوال كبار الصحابة والتابعين، فإننا نجد مزيداً من تلك العناية عند ابن عطية، مما يدلّ على تفوقه على الراغب في معرفة أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، وإحاطته بها.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ١٦٤، ١٦٥).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٤) تفسير ابن عطية (٤/ ١٧٦).

فعند قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

قال ابن عطية: واختلف الناس في معنى قوله: ﴿كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ فقال الحسن وقتادة وعطاء ومجاهد وغيرهم: هذه وصف حال كانت في الجاهلية... وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن، وإن الأمن في الإسلام كما كان في الجاهلية، والإسلام زاد البيت شرفاً وتوقيراً، فلا يعرض أحد بمكة لقاتل وليّه، إلا أنه يجب على المسلمين ألا يبايعوا ذلك الجاني، ولا يكلّموه، ولا يؤوه، حتى يتبرّم فيخرج من الحرم فيُقام عليه الحد.

وقال بمثل هذا عبيد بن عمير، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح والسُّدِّي وغيرهم[2].

وعند قوله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ قال: ذهبت فرقة من العلماء إلى قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ كلام عام لا يتفسر بزادٍ وراحلة ولا غير ذلك، بل إذا كان مستطيعاً غير شاق على نفسه، فقد وجب عليه الحج. قال ذلك ابن الزبير والضحاك. وقال الحسن: من وجد شيئاً يبلغه فقد استطاع إليه سبيلًا. وقال عكرمة: استطاعة السبيل: الصحة. وقال ابن عباس: من ملك ثلاثمائة درهم فهو السبيل إليه[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) تفسر ابن عطية (٣/ ١٦٨).

(٣) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧١).

وفي موضع آخر من تفسير الآية ساق ابن عطية طائفة من أقوال الصحابة والتابعين، فقال: وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس: المعنى: من زعم أن الحج ليس بفرض عليه. وقال مثله الضحاك وعطاء وعمران القطان والحسن ومجاهد... وقال ابن عمر وجماعة من العلماء: معنى الآية: من كفر بالله واليوم الآخر، وهذا قريب من الأول، وقال ابن زيد: معنى الآية: من كفر بهذه الآيات التي في البيت.

وقال السُّدِّي وجماعة من أهل العلم: معنى الآية: ومن كفر بأن وجد ما يحج به ثم لم يحج. قال السُّدِّي: من كان بهذه الحال فهو كافر»[1].

فإذا نظرنا إلى ما أورده الراغب من أقوال في هذه الآية تبيَّن الفرق حيث إنه لم يذكر إلا قول ابن عباس فقط في معنى الكفر في الآية[2].

ويتشابه ابن عطية مع الراغب في تعليقه على ما يورده من أقوال، واختياره بعضها، وتضعيف بعضها، إذا رأى ما يوجب ذلك. فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[3] قال ابن عطية: اختلف المتأولون في كيف يترتب كفر بعد إيمان، ثم زيادة كفر؟! فقال

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٥).

(٢) انظر: الرسالة ص (٧٤٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

الحسن وقتادة وغيرهما: «الآية في اليهود، كفروا بعيسى بعد الإيمان بموسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ. وفي هذا القول اضطراب، لأن الذي كفر بعيسى بعد الإيمان بموسى ليس بالذي كفر بمحمد ﷺ»، ثم قال بعد ذلك: «وتحتمل الآية ـ عندي ـ أن تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر، وجعل ذلك جزاء لجريمتهم ونكايتهم في الدين»(١). وقد تقدم الكلام على ترجيح الراغب بين الأقوال(٢).

ثانياً: مسائل اللغة والنحو بين ابن عطية والراغب:

يتّفق منهجا ابن عطية والراغب على أن تفسير القرآن الكريم لابد أن يقوم على أساسٍ من اللغة والنحو، وأن اللغة العربية وما تشتمل عليه من بيان لمعنى المفردات وإعراب للكلمات وتصريف للمشتقات تعتبر من أهم ما يعتمد عليه المفسِّر لكلام الله تعالى، إذ كيف يتجرأ على كلام الله تعالى الذي نزل بلسان عربي مبين من هو جاهل بلغة العرب وألفاظها وتصاريفها؟

ويمكن تلمس أوجه التشابه بين منهجي ابن عطية والراغب في الاعتماد على اللغة والنحو في تفسير كلام الله تعالى من خلال النقاط التالية:

١ ـ الاهتمام بمعاني الألفاظ وشرح مدلول المفردات، ولذلك قال ابن عطية في مقدمة تفسيره: «وقصدت تتبع الألفاظ، حتى

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٥٤، ١٥٥).

(٢) الرسالة ص (٢٨٨).

لا يقع طَفْر[1] كما في كثير من كتب المفسرين»[2].

٢ - الاهتمام بذكر أقوال كبار اللغويين وتعيينهم.

٣ - الإكثار من الشواهد الشعرية.

٤ - العناية والاهتمام بالإعراب، وذكر الوجوه الإعرابية، والترجيح بينها مع الإشارة إلى تأثير ذلك في معنى الآية وتفسيرها.

٥ - الاهتمام بتوجيه القراءات القرآنية توجيهاً نحويًّا إعرابيًّا، ولذلك فقد ضعّف قراءة متواترة - كما سبق - بسبب ما رآه ضعفاً في التوجيه الإعرابي.

وللاستدلال على ما سبق من تفسير ابن عطية نكتفي بذكر مثالين اثنين:

الأول: عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[3].

قال ابن عطية: المعنى: ولكن يقول: كونوا ربانيين. وهو جمع رباني. واختلف النحاة في هذه النسبة؛ فقال قوم: هو منسوب إلى الرب... وزيدت الألف والنون مبالغة، كما قالوا: لحياني وشعراني في النسبة إلى اللحية والشعر.

وقال قوم: «الرباني منسوب إلى الربان، وهو معلّم الناس

---

(١) الطّفر: الوثوبُ في ارتفاع. والطفرة من اللبن أن يكثف أعلاه ويرقّ أسفله. والمراد هنا: الخلل الواقع في كثير من كتب المفسرين. انظر: لسان العرب (٤/ ٥٠٢).

(٢) تفسير ابن عطيّة (١/ ٥).

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٧٩ - ٨١.

وعالمهم السائس لأمرهم، مأخوذٌ من ربّ يربّ إذا أصلح وربى. وزيدت فيه هذه النون كما زيدت في غضبان وعطشان. ثم نسب إليه رباني».

ثم ذكر ابن عطية بعد ذلك أقوال العلماء في معنى الرباني في الآية، ثم عمد إلى الإعراب فقال: «وقوله: (بما كنتم) معناه: بسبب كونكم عالمين دارسين. فما مصدرية. ولا يجوز أن تكون موصولة، لأن العائد الذي كان يلزم لم يكن بدّ أن يتضمنه (كنتم تعلمون)، ولا يصح شيء من ذلك، لأن كان قد استوفت خبرها ظاهراً، وهو (تعلمون). وكذلك (تعلمون) قد استوفى مفعوله، وهو (الكتاب) ظاهراً، فلم يبق إلا أن (ما) مصدرية، إذ لا يمكن عائد، وتُعَلِّمون بمعنى تعرفون، فهي متعدية إلى مفعول واحد».

ثم ذكر بعض القراءات وتوجيهها الإعرابي، فقال: «وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (تَعْلَمون) بسكون العين، وتخفيف اللام، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (تُعلّمون) مُثقَّلَا بضم التاء وكسر اللام. وهذا على تعدية الفعل بالتضعيف. والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف تقديره: (تعلمون الناس الكتاب)». ثم ذكر قولاً حكاه الطبري، فقال عنه: «وهو قول يفسده إعراب الآية» وهذا يبين شدة اعتداده بالعربية، ثم قال: «وقرأ حمزة وغيره: (لِمَا) بكسر اللام، وهي لام الجر. والتقدير: لأجل ما آتيتكم، إذ أنتم القادة والرؤوس. . . و(ما) في هذه القراءة

بمعنى (الذي) الموصولة، والعائد إليها من الصلة تقديره (آتيناكموه) و(مِن) لبيان الجنس.

وقوله: ﴿ثم جاءكم﴾ الآية جملة معطوفة على الصلة، ولابد في هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول.

فتقديره عند سيبويه: (رسول به مصدق لما معكم)... وأما أبو الحسن الأخفش قال: قوله تعالى: ﴿لما معكم﴾ هو العائد عنده على الموصول، إذ هو في المعنى بمنزلة الضمير الذي قدّر سيبويه.

وكذلك قال الأخفش في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] ... وسيبويه ـ رحمه الله ـ لا يرى أن يضع المظهر موقع المضمر، كما يراه أبو الحسن. واللام في (لتؤمنن) هي اللام المتعلقة للقسم الذي تضمنه أخذ الميثاق. وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار والمجرور، وذلك جائز[2].

الثاني: عند قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[3].

قال ابن عطية: «والمراغم: المتحوّل والمذهب، كذا قال ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم. ومنه قول النابغة الجعدي:

كطودٍ يلاذُ بأركانه　　　عزيز المراغم والمذهب

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٢) انظر تفسير ابن عطية (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

وقول الآخر:

إلى بلدٍ غير داني المحل بعيد المراغم والمضطرب

وقال مجاهد: المراغم: المتزحزح عما يكره.

وقال ابن زيد: المراغم: المهاجر.

وقال السُّدِّي: المراغم: المبتغي المعيشة.

وعلق ابن عطية على ما سبق بقوله: «وهذا كله تفسير بالمعنى، فأما الخاصُّ باللفظة، فإن المراغم موضع المراغمة، وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين أنف صاحبه، بأن يغلبه على مراده».

ثم ذكر أقوال العلماء في معاني السعة، وأردف ذلك بقوله: «والمشبه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل، . . . ونحو هذا المعنى قول الشاعر:

لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض

ومنه قول الآخر:

وكنت إذا خليل رام قطعي وجدت واري منفسحاً عريضاً[(١)]

وإذا نظرنا إلى تفسير الراغب لهذه الآية نجد أنه ذكر معنى المراغم فقال: المراغم: المتحرك، إما من الرغام أي التراب. وقيل: هو من رغم أنفه إذا غضب، والمراد به قريب من قول الشاعر:

إذا كنت في دارٍ يهينك أهلها ولم تك ممنوعاً بها فتحول[(٢)]

---

(١) تفسير ابن عطية (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩).

(٢) انظر الرسالة ص (١٤١٥).

فلم يذكر الراغب أقوال العلماء في معنى المراغم.

والبيت الذي استدل به ليست فيه اللفظة ذاتها، وكذلك فإنه لم يذكر معنى السعة، مما يدل على تميز ابن عطية في التوسع والإحاطة بالأقوال والشواهد.

ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين ابن عطية والراغب:

يتشابه منهج كل من ابن عطية والراغب في تناول مسائل الاعتقاد، وخاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات، حيث إن كلًّا منهما يرى وجوب تأويل بعض صفات الله ـ عز وجل ـ الذاتية والخبرية، خوفاً من الوقوع في التشبيه. وهما بذلك قد وقعا في التشبيه أولاً وفي التأويل ثانياً، لأن صفات الله تعالى لا تشبه ولا تماثل صفات المخلوقين.

أما ابن عطية فقد كان واضحاً في ميله إلى المذهب الأشعري في باب الاعتقاد، فطالما استشهد في تفسيره بكلام الأشعري وبأقوال الباقلاني وأبي المعالي الجويني وغيرهم من أقطاب الأشاعرة[1]، ومع ذلك يصفهم بالحُذّاق وقد يطلق على مذهبهم أنه مذهب الجمهور[2].

---

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن (ص ١٢٣).

(٢) سيأتي النقل عنه بما يثبت ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل.

فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري - وهو من أجلّ التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً - ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام، الذين قرروا أصولهم بطرقٍ من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السّنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يُعطى كل ذي حق حقَّه، ويُعرَف أن هذا من جملة التفسير على المذهب، فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسَّروا الآية بقولٍ آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا»[1].

وإذا كان الراغب قد أوّل صفة اليدين لله تعالى في قوله - عز وجل -: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[2] بقوله: «أي نعمه متوالية». وأوّل صفة الغضب باستحقاق العقاب، فإن ابن عطية زاد على ذلك

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٦١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

فوصف مذهب سلف الأمة بالاضطراب، وصرَّح بأن تأويل الصفات هو مذهب جمهور الأمة وحُذَّاقها!! فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قال ابن عطية: «العقيدة في هذا المعنى نفي التشبيه عن الله تعالى، وأنه ليس بجسم ولا له جارحة، ولا يُشَبَّه ولا يُكيَّف ولا يُتحيَّز، ولا تحلُّه الحوادث ـ تعالى الله عما يقول المبطلون ـ ثم اختلف العلماء فيما ينبغي أن يُعتقد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿بِيَدَىَّ﴾[1] و﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[2] و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3] و﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾[4] و﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[5] و﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[6] و﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[7] ونحو هذا. فقال فريق من العلماء منهم الشعبي وابن المسيب وسفيان: نؤمن بهذه الأشياء ونقرُّ كما نصَّها الله تعالى، ولا يعن لتفسيرها ولا يشقق النظر فيها.

قال ابن عطية: «وهذا قول يضطرب، لأن القائلين به يجمعون على أنها ليست على ظاهرها في كلام العرب، فإذا فعلوا هذا

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) سورة يس، الآية: ٧١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٤) سورة طه، الآية: ٣٩.

(٥) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٦) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٧) سورة القصص، الآية: ٨٨.

فقد نُظروا. وصار السكوت على الأمر بعد هذا مما يوهم العوام ويتيه الجهلة.

وقال جمهور الأمة: بل تُفسَّر هذه الأمور على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة، وغير ذلك من أفانين كلام العرب، فقالوا: في العين والأعين: إنها عبارة عن العلم والإدراك، كما يقال: فلان من فلان بمرأى ومسمع، إذا كان يُعنى بأموره، وإن كان غائباً عنه.

وقالوا في الوجه: إنها عبارة عن الذات وصفاتها.

وقالوا في اليد واليدين: إنها تأتي مرة بمعنى القدرة، كما تقول العرب، لا يد لي بكذا، ومرة بمعنى النعمة، كما يقال: لفلان عند فلانٍ يد. وتكون بمعنى الملك كما يقال: يد فلان على أرضه.

وهذه المعاني إذا وردت عن الله تبارك وتعالى عبَّر عنها باليد أو بالأيدي أو اليدين، استعمالاً لفصاحة العرب، ولما في ذلك من الإيجاز، هذا مذهب أبي المعالي والحُذّاق».

ثم قال: «والظاهر أن قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[1] عبارة عن إنعامه على الجملة، وعبّر عنه بيدين جرياً على طريقة العرب في قولهم: فلان ينفق بكلتي يديه. ومنه قول الشاعر، وهو الأعشى:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

يداك يدا مجدٍ فكفّ مفيدة وكف إذا ما ضن بالمال تنفق»[1]

وهذا النقل عن ابن عطية فيه كثير من الاضطراب والخلط، ويكفي في بيان ذلك أنه ذكر من جملة القائلين بالإثبات الشعبي وابن المسيب وسفيان الثوري، وحسبك بهم علماً وفضلًا واتباعاً للسنة، ثم مع ذلك وصف قولهم بالاضطراب! ولم يذكر من المؤولين ـ وهم جمهور الأمة على زعمه ـ إلا أبا المعالي الجويني، وهو من متكلمي الأشعرية المشهورين، ثم وصف قوله بأنه قول الحذاق! فأي حذقٍ في قولٍ لم يقل به أحد من الصحابة أو التابعين، الذين هم خير القرون بعد النبي ﷺ؟!

وليس المقصود هنا الردّ على ابن عطية في تأويله صفات الله ـ عز وجل ـ، إنما المقصود هو إثبات التشابه بين منهجه ومنهج الراغب في تأويل بعض الصفات، وإخراجها عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ أخرى: لغوية أو مجازية، بحسب ما ورد عن العرب في لغتهم.

رابعاً: مسائل الفقه بين ابن عطية والراغب:

إذا كان مذهب الراغب الفقهي قد لفّه الغموض كما لفَّ كثيراً من جوانب شخصيته، فإن الأمر بخلاف ذلك عند ابن عطية،

---

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

فهو من فقهاء المالكية المشهورين بالأندلس[1].

ويختلف تناول ابن عطية للمسائل الفقهية عن تناول الراغب، لأن الراغب وإن كان يتمتع بثقافة فقهية ومعرفة بالأقوال، إلا أنها ثقافة عامة غير متخصصة، ولذلك فإن المطالع لكلام الراغب في المسائل الفقهية المبثوثة في تفسيره لا يشعر أنه يقرأ كلام فقيه متخصص في هذا الجانب من العلم.

أما ابن عطية فالأمر بخلاف ذلك، فالمطالع لكلامه حول مسائل الفقه التي حواها تفسيره يشعر أنه أمام فقيه متخصص في الفقه المالكي مع إلمامه بثقافة عامة في فقه المذاهب الأخرى. فهو ينقل عن «الموطأ» للإمام مالك، و«المختصر» لعبدالله بن عبدالحكم، و«المدونة» لسحنون بن سعيد، و«الواضحة» لعبدالملك بن حبيب الأندلسي، و«التفريع» في مسائل الفقه لأبي القاسم بن الجلّاب، و«العتبية» لمحمد بن أحمد بن عبدالعزيز العتبي الأندلسي، وكلها من كتب المالكية[2]. أما الراغب الأصفهاني فإنه لم يذكر أي كتاب من كتب الفقه، وإنما كان يكتفي بذكر الأقوال، وتوضيح الخلاف، واختيار ما يراه راجحاً، أو ذكرها دون ترجيح.

وفي حين أن الراغب لا يظهر من كلامه ميلًا إلى مذهب من

---

(١) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص (١٢٩).

(٢) انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن (ص ١٢٠، ١٢١).

المذاهب الفقهية المعروفة، نجد أن اعتداد ابن عطية بالمذهب المالكي واضح في كلامه، حيث كان يبدأ دائماً بذكر قول الإمام مالك أو المالكية، مع تفصيل القول في ذلك، وذكر مصادره من كتب المذهب، وقد يكتفي بذلك، فلا يتعرض لخلاف المذاهب الأخرى، وقد يستطرد متعرضاً لخلاف المذاهب الأخرى على سبيل الإيجاز. وقد يقوم بالتوفيق بين الأقوال إذا كان هناك مجال لذلك.

فعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[1] بدأ بذكر قول مالك ـ رحمه الله ـ فقال: «وقال مالك رحمه الله: الحج كلّه في كتاب الله، فأما الصلاة والزكاة فهي من جملة الذي فسَّره النبي عليه السلام»[2].

وعند قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ حاول ابن عطية جمع الأقوال، لتتوافق مع قول مالك ـ رحمه الله ـ فقال بعد أن ذكر كلام المفسرين في حدود الاستطاعة: وقال مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ في سماع أشهب من العتبية. وفي كتاب محمد، وقد قيل له: أتقول: إن السبيل الزاد والراحلة؟ فقال: لا والله! قد يجد زاداً وراحلة ولا يقدر على مسير، وآخر يقدر أن يمشي راجلًا، وربّ صغير أجلد من كبير، فلا صفة في هذا أبين مما قال الله تعالى.

قال ابن عطية: وهذا أنبل كلام، وجميع ما حكي عن العلماء

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) تفسير ابن عطية (٣/ ١٦٩).

لا يخالف بعضه بعضاً؛ الزاد والراحلة على الأغلب من أمر الناس في البعـــد، وأنهـــم أصحـــاء غير مستطيعين للمشي على الأقـــدام، والاستطاعة متى تحصلت عامة في ذلك وغيره، فإذا فرضنا رجلًا مستطيعاً للسفر ماشياً معتاداً لذلك، وهو ممن يسأل الناس في إقامته ويعيش من خدمتهم وسؤالهم ووجد صحابة، فالحج عليه واجب دون زادٍ ولا راحلة، وهذه من الأمور التي يتصرف فيها فقه الحال»[1].

وابن عطية أراد بذلك ترجيح مذهب إمامه مالك ـ رحمه الله ـ ولكنَّ نَفْي الخلاف في المسألة فيه نظر، فالخلاف قائم، أشار إليه ابن رشد بقوله: «واختلفوا في تفصيل الاستطاعة بالبدن والمال. فقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد، وهو قول ابن عباس وعمر بن الخطاب: إن من شرط ذلك الزاد والراحلة. وقال مالك: من استطاع المشي فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب في حقه، بل يجب عليه الحج. وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستطاعة، إذا كان ممن يمكنه الاكتساب في طريقه ولو بالسؤال. والسبب في هذا الخلاف معارضة الأثر الوارد في تفسير الاستطاعة لعموم لفظها. وذلك أنه ورد أثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه سئل ما الاستطاعة فقال: «**الزاد والراحلة**» فحمل أبو حنيفة والشافعي ذلك على كل مكلف. وحمله مالك على من لا يستطيع المشي، ولا له قوة على

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧١ ـ ١٧٢).

الاكتساب في طريقه»[1].

ثم تعرض ابن عطية لمسألة فقهية أخرى فقال: واختلف الناس هل وجوب الحج على الفور أو على التراخي؟ على قولين، ولمالك ـ رحمه الله ـ مسائل تقتضي القولين:

قال في المجموعة فيمن أراد الحج ومنعه أبواه: لا يجهل عليهما في حجة الفريضة، وليستأذنهما العام والعامين، فهذا على التراخي.

وقال في كتاب ابن المواز: لا يحج أحد إلا بإذن أبويه إلا الفريضة، فليخرج وليدعهما، فهذا على الفور.

وقال مالك في المرأة يموت عنها زوجها فتريد الخروج إلى الحج: لا تخرج في أيام عدتها. قال الشيخ أبو الحسن اللخمي: فجعله على التراخي.

قال ابن عطية: وهذا استقراء فيه نظر. واختلف قول مالك ـ رحمه الله ـ فيمن يخرج إلى الحج على أن يسأل الناس جائياً وذاهباً، ممن ليست تلك عادته في إقامته.

فروى عنه ابن وهب أنه قال: لا بأس بذلك.

قيل له: فإن مات في الطريق قال: حسابه على الله.

وروى عنه ابن القاسم أنه قال: لا أرى للذين لا يجدون ما ينفقون أن يخرجوا إلى الحج والغزو ويسألون، وإني لأكره ذلك،

---

(١) بداية المجتهد (١/ ٢٣٣).

لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾[1].

قال ابن القاسم: وكره مالك أن يحج النساء في البحر، لأنها كشفة، وكره أن يحج أحد في البحر إلا مثل أهل الأندلس، الذين لا يجدون منه بدًّا.

وقال في كتاب محمد وغيره: قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[2] وما أسمع للبحر ذكراً».

ويبدو أن ابن عطية لم يرتض كراهة مالك ركوب البحر، فقال: «وهذا تأنيس من مالك ـ رحمه الله ـ لسقوط لفظة البحر، وليس تقتضي الآية سقوط البحر» ثم ذكر حديثاً فيه بشارة من النبي ﷺ بركوب البحر للغزو في سبيل الله، ثم قال: «ولا فرق بين الغزو والحج»[3].

ففي هذا المثال تظهر إحاطة ابن عطية ـ رحمه الله ـ بالفقه المالكي، ومصادره ورجاله، ومعرفته بتعدد أقوال صاحب المذهب في المسألة الواحدة. ويظهر كذلك من خلال اعتراضه على كراهة الإمام مالك ـ رحمه الله ـ لركوب البحر في الحج ـ ولو من طرفٍ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٣) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

خفي ـ على تميزه، واجتهاده في الوصول إلى الصواب، ولو عن طريق مخالفة المذهب.

وأما ذكره لخلاف المذاهب فيظهر من خلال تعـرُّضه لمسألة حج المرأة بدون محرم، إذ يقول: «ولا حجَّ على المرأة إلا إذا كان معها ذو محرم، واختلف إذا عدمته، هل يجب الحج بما هو في معناه من نساء ثقات يصطحبن في القافلة أو رجال ثقات؟ فقال الحسن البصري وإبراهيم النخعي وابن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو حنيفة وأصحابه: المحرم من السبيل، ولا حج عليها إلا مع ذي محرم.

وهذا وقوف مع لفظ الحديث.

وقال مالك: تخرج مع جماعة نساء.

وقال الشافعي: تخرج مع حرة ثقة مسلمة.

وقال ابن سيرين: تخرج مع رجل ثقة من المسلمين.

وقال الأوزاعي: تخرج مع قوم عدول، وتتخذ سلّماً تصعد عليه وتنزل، ولا يقربها رجل.

وهذه الأقوال راعت معنى الحديث»[1].

ويبدو أن ابن عطية لم يرد الانتصار لمذهبه المالكي في كل مسألة، لأنه يعلم أنه يكتب في مجال التفسير لا في مجال الفقه، وليس من وظيفة المفسّر الاستطراد والتطويل في ذكر الأحكام الفقهية أو

---

(١) تفسير ابن عطية (٣/ ١٧٤).

الانتصار للمذهب، والردّ على المخالفين في مسائل الفقه، التي يعد أكثرها من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد.

ومع ذلك فابن عطية لا يألو جهداً في تضعيف ما يراه مخالفاً للنصوص من المذاهب الفقهية.

فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[1] ضعّف ابن عطية مذهب أهل الظاهر بقوله: «وأهل الظاهر يرون القصر في كل سفر يخرج عن الحاضرة، وهي من حيث تؤتى الجمعة، وهذا قول ضعيف»[2]. وهو بذلك يتشابه مع الراغب في تضعيف ما لا دليل عليه من الشرع أو العقل، غير أن حرية ابن عطية في الفكر والنظر كانت مقيدة بعض الشيء بمذهبه الفقهي، أما الراغب فلم يحدّ من حريته وانطلاقه شيء.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠١.

(٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٢٣٢).

المبحث الثالث

مقارنة بين منهجي الراغب والبغوي في التفسير

يختلف منهج الإمام البغوي في تفسيره عن منهج الراغب في أنه أقرب إلى التفسير بالمأثور من تفسير الراغب، ولذلك فقد فضَّله شيخ الإسلام ابن تيمية على غيره من التفاسير بعد تفسير الطبري، وذلك حين سئل ـ رحمه الله ـ عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة: الزمخشري أو القرطبي أم البغوي أم غير هؤلاء؟ فأجاب ـ رحمه الله ـ بأن أصح التفاسير التي في أيدي الناس تفسير محمد بن جرير الطبري، ثم قال: «وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة: البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك»[1].

فتفسير البغوي إذن يمتاز بسلامته من البدع، وخلوّه من الأحاديث الموضوعة، وندرة الأحاديث الضعيفة فيه، وقد وصفه الإمام الخازن في مقدمة تفسيره بأنه: «من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها، وأنبلها وأسناها، جامع للصحيح من الأقاويل، عارٍ عن الشبه والتصحيف والتبديل، محلّى بالأحاديث النبوية،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٤٠٤).

مطرّز بالأحكام الشرعية، موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة، مرصّع بأحسن الإشارات، مخرّج بأوضح العبارات، مفرّغ في قالب الجمال بأفصح مقال»[1].

أما إذا أردنا المقارنة بين منهج البغوي ومنهج الراغب في تفسيريهما، فيمكن ذلك من خلال المقارنات التالية:

أولاً: التفسير بالمأثور بين البغوي والراغب:

ذكرت أن تفسير البغوي أقرب إلى التفسير بالمأثور من تفسير الراغب، وذلك لأن البغوي كان يعتمد اعتماداً كليًّا على أركان التفسير بالمأثور في شرح آيات الكتاب العزيز، فكان يلجأ أولاً إلى القرآن، لأن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، ثم إلى السنة، ثم إلى أقوال الصحابة والتابعين، ولم يكن يستخدم الرأي في تفسير القرآن، أو يعارض التفاسير الواردة عن الصحابة والتابعين، فينفرد عنهم برأي جديد، وكذلك فإن سلامة معتقده وبخاصة في باب الأسماء والصفات جعلت لتفسيره منزلة رفيعة في أوساط علماء أهل السنة والجماعة.

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن:

أما لجوء البغوي إلى تفسير القرآن بالقرآن فشواهد ذلك كثيرة جدًّا:

فعند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣).

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[1] قال البغوي: «وإنما قال: ﴿هن أم الكتاب﴾ ولم يقل أمهات الكتاب، لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، وكلام الله واحد. وقيل معناه: كلّ آية منهن أم الكتاب، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[2] أي كل واحدٍ منهما آية»[3].

وفي الآية نفسها قام البغوي بدرء التعارض عن آيات الكتاب العزيز في باب المحكم والمتشابه عن طريق ذكر الآيات والتوفيق بينها، فقال: «فإن قيل: كيف فرّق ههنا بين المحكم والمتشابه، وقد جعل كلّ القرآن محكماً في موضع آخر، فقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[4]. وجعله كلّه متشابهاً في موضع آخر، فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[5]؟ قيل: حيث جعل الكل محكماً أراد أن الكلّ حق، ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن. وجعل هاهنا بعضه محكماً وبعضه متشابهاً»[6].

وطريقة البغوي في ذلك تشبه طريقة الراغب، الذي حرص على التوفيق بين أدلة الوحي ودفع أي شبهة توجب تعارضاً بينها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٣) معالم التنزيل (٢/ ٨).

(٤) سورة هود، الآية: ١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٦) معالم التنزيل (٢/ ٨).

وفي الآية نفسها فسر البغوي القرآن بالقرآن، فعند قوله تعالى: ﴿ابتغاء تأويله﴾ قال البغوي[1]: و﴿ابتغاء تأويله﴾: تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾[2].

فهذه أمثلة ثلاثة في آية واحدة لجأ فيها البغوي إلى الكتاب العزيز، لتوضيح معنى أو تفسير كلمة أو درء شبهة، مما يدل على عنايته بهذا الجانب في تفسير كلام الله تعالى.

٢ ـ القراءات:

تعرّض البغوي للقراءات من غير إسراف، وبخاصة إذا كانت القراءة الأخرى تؤثر في اختلاف المعنى، فكان يذكر القراءات، ويبيّن اختلاف المعنى والوجه الإعرابي تبعاً لذلك الاختلاف، وقد أوضح منهجه في مقدمة كتابه حيث قال: «وقد ذكرت في الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة، واختياراتهم على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المروزي ـ رحمه الله ـ تلاوة ورواية. قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي. قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية، وهم:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع.

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٠).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٨.

وأبو عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن المدنيان.

وأبو معبد عبدالله بن كثير الداري المكي.

وأبو عمران عبدالله بن عامر الشامي.

وأبو عمرو زبّان بن العلاء المازني.

وأبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصريان.

وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي.

وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات.

وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون».

ثم ذكر البغوي شيوخ هؤلاء من الصحابة والتابعين، ثم قال: «فذكرت قراءات هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها»[1].

ويتميّز منهج البغوي عن منهج الراغب في باب القراءات بعدم ذكره للقراءات الشاذة، والاكتفاء بما هو مجمع عليه، وكذلك بالنصّ على صاحب القراءة، ويتشابهان فيما سوى ذلك من ناحية الاقتصاد في ذكر القراءات، والاستفادة من ذكرها في التنبيه على اختلاف المعنى والإعراب وغير ذلك.

فعند قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾[2] قال البغوي: «قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفاً على قوله: (ثم يقول) فيكون مردوداً على البشر.

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٣٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم، فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير، وما لا يليق بحال التفسير»[1]. ولذلك فقد تميز منهجه عن الراغب بما يلي:

١ ـ أنه كان يذكر الأحاديث بأسانيدها رواية منه عن شيوخه إلى النبي ﷺ، وهذه فضيلة عظمى حُرِمَ منها الراغب وغيره ممن لا عناية لهم بالأسانيد.

٢ ـ أنه نزّه كتابه عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلك فضيلة أخرى عَرِيَ عنها تفسير الراغب، حيث لم يلتزم الراغب بذكر الصحيح والمقبول.

٣ ـ أنه اعتمد على الحديث في التفسير، ولم يتجاوزه إلى غيره إلا في حالة عدم وجود ما يصلح للرواية والاستشهاد.

٤ ـ أنه كان يذكر أحياناً بعض من خرج الحديث من أصحاب الكتب المشهورة كالبخاري ومسلم.

فعند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] روى البغوي عدة أحاديث بإسناده، فقال: أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن أبي حمزة، سمعت

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٣٨).

(٢) سورة ال عمران، الآية: ١١٠.

زهدم بن مضرب، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»** قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، وقال: **«إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن»**(١).

وبهذا الإسناد عن علي بن الجعد، أخبرنا شعبة وأبو معاوية، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**(٢).

ثم ذكر البغوي وجهاً آخر في تفسير الآية، فقال: «وقيل: «للناس» صلة قوله: «أخرجت» معناه: ما أخرج الله للناس أمة خيراً من أمة محمد ﷺ» ثم روى بإسناده ما يدل على ذلك من الحديث الشريف، فقال: أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن حبيش المقري، أنا علي بن زنجويه، أخبرنا سلمة بن شبيب، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن بهز بن حكيم، عن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (٣٦٥٠) ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رقم (٢٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلًا» رقم (٣٦٧٣). ومسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رقم (٢٥٤٠).

أبيه، عن جده، أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال: «**إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله عز وجل**»[1].

ثم ذكر البغوي أربعة أحاديث أخرى بإسناده، تدور حول هذا المعنى[2].

وعند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾[3] روى في ذلك حديثاً، فقال: «أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالعزيز بن عبدالله، أنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشدّ القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد[4].

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: أخبرنا محمد بن

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم (٣٠٠١)، وقال: هذا حديث حسن. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ رقم (٤٢٨٨). والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٩٠، ٩١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا» رقم (٤٠٥٤) وفي اللباس، باب الثياب البيض رقم (٥٨٢٦). ورواه مسلم في الفضائل، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد رقم (٢٣٠٦).

بشر، وأبو أسامة، عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن سعد ـ يعني ـ ابن أبي وقاص قال: «رأيت عن يمين رسول الله ء وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني جبريل وميكائيل»[1].

٤ ـ أسباب النزول:

يعتبر اللجوء إلى أسباب النزول من أركان التفسير بالمأثور، فإذا كان سبب النزول وارداً عن النبي ﷺ فهو من جملة التفسير بالسنة، وإن كان وارداً عن الصحابة، فإما أن يأخذ حكم الرفع إذا كان لا مجال فيه للاجتهاد، أو يكون من باب التفسير بأقوال الصحابة والتابعين.

ولقد كانت عناية البغوي بأسباب النزول أكثر من الراغب، وتميز عنه بذكر الأسانيد أحياناً، وكذلك بكثرة الروايات في أسباب نزول الآية الواحدة، وكذلك بحرصه على إثبات كل ما ورد في أسباب النزول، وإن كانت الروايات في ذلك يعتريها الضعف من ناحية الإسناد.

فعند قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾[2].

قال البغوي: «قال مقاتل: أراد مشركي مكة...

(١) أخرجه مسلم في الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ رقم (٢٣٠٦).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

وقال بعضهم: المراد بهذه الآية: اليهود.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن يهود أهل المدينة قالوا لما هَزَمَ رسول الله ﷺ المشركين يوم بدر: هذا ـ والله ـ النبيُّ الذي بشرنا به موسى، لا تردُّ له راية، وأرادوا اتباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة له أخرى، فلما كان يوم أحد، ونكب أصحاب رسول الله ﷺ شكّوا، فغلب عليهم الشقاء، فلم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة ليستفزهم، فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية»(١).

فهذا السبب من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متَّهم، تركه ابن معين وابن مهدي، وقال ابن حبان: «وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، لا يحلّ الاحتجاج به»(٢).

ويبدو أن البغوي أورد أقوال الكلبي التي يشهد لها غيرها، ولم يجعله عمدةً في التفسير، وقد قال ابن عدي: «له غير ما ذكرت أحاديث صالحة، وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير،

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٢، ١٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٣/ ٥٧٠).

وليس لأحدٍ أطول من تفسيره، وحدّث عنه ثقات من الناس، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير»[1].

وقد دعم البغوي رواية الكلبي برواية أخرى قال: «وقال محمد بن إسحاق عن رجاله، ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أيضاً: أنه لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: «يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم، فقد عرفتم أني نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم» فقالوا: يا محمد! لا يغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، وإنا والله لو قاتلناك لعرفت أنّا نحن الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ ﴾[2]. والمستفاد من ذلك هو اهتمام البغوي بذكر أسباب النزول، شأنه في ذلك شأن الراغب، إلا أنه امتاز عن الراغب بذكر مصدر الرواية، وإن كان لم يستطع التخلُّص من الروايات الضعيفة، لأن أغلب الروايات في ذلك ليس لها إسناد قائم.

٥ ـ أقوال الصحابة والتابعين:

وكعادة أصحاب التفسير بالمأثور اهتم البغوي بذكر أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وكانت عادته أن يبدأ بذكر أقوالهم

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ٥٧٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

ثم يستدل لها بما يسوقه من روايات عن النبي ﷺ، وهو بذلك يشير إلى أن أقوال هؤلاء في التفسير لا تخرج عما جاء عن النبي ﷺ في السنة الصحيحة.

وقد امتاز منهج البغوي عن منهج الراغب في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين من جهة أنه روى هذه الأقوال من حفظه مسندة إلى أصحابها، ومع أنه حذف الأسانيد في تفسيره، إلا أنه ذكرها في مقدمة كتابه، حيث قال: «وما نقلت فيه من التفسير عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - حبر هذه الأمة، ومن بعده من التابعين وأئمة السلف مثل مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتادة وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم والكلبي، والضحاك، ومقاتل بن حيّان، ومقاتل بن سليمان، والسُّدّي، وغيرهم، فأكثرها مما أخبرنا به الشيخ أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي، فيما قرأته عليه، عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله».

ثم عدَّد البغوي أسانيد أبي إسحاق الثعلبي إلى هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم، ثم قال: «فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة، وهي مسموعة من طرق سواها، تركت ذكرها حذراً من الإطالة، وربما حكيت عنهم وعن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد، بل أذكر أسانيد بعضها في موضعه

من الكتاب إن شاءالله تعالى»[١] .

وللاستشهاد على اهتمام البغوي بذكر أقوال الصحابة والتابعين في التفسير نورد على ذلك بعض الأمثلة .

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾[٢] قال البغوي: ﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ﴾: جمع قنطار. واختلفوا فيه، فقال الربيع بن أنس: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض. وقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: القنطار: ألف ومائتا أوقية. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ والضحاك: ألف ومائتا مثقال. وعنهما رواية أخرى: اثنا عشر ألف درهم، وألف دينار دية أحدكم.

وعن الحسن: القنطار: دية أحدكم.

وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مائة ألف، ومائة منٍّ، ومائة رطل، ومائة مثقال، ومائة درهم.

وقال سعيد بن المسيب وقتادة: ثمانون ألفاً.

وقال مجاهد: سبعون ألفاً.

وعن السدي: أربعة آلاف مثقال.

وقال الحكم: القنطار: ما بين السماء والأرض من مال.

وقال أبو نضرة: ملء مَسْكِ ثور ذهباً أو فضة.

قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ قال الضحاك: المحصنة المحكمة.

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٣٤ـ ٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

وقال قتادة: هي الكثيرة المنضدة، بعضها فوق بعض.

وقال يمان: المدفونة.

وقال السُّدِّي: المضروبة المنقوشة، حتى صارت دراهم ودنانير، ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الخيل جمع لا واحد له من لفظه، واحدها فرس، كالقوم والنساء ونحوهما. (المسوَّمة) قال مجاهد: المطهمة الحسان.

وقال عكرمة: تسويمها حسنها.

وقال سعيد بن جبير: هي الراعية.

وقال الحسن وأبو عبيدة: هي المعلّمة من السيماء، والسيماء: العلامة.

ثم منهم من قال: سيماها: الشبه واللون، وهو قول قتادة.

وقيل: الكي»[1]. وهنا يبدو واضحاً ـ بعد ذكر هذه الأمثلة ـ فرق مهم بين الراغب والبغوي في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وهو أن الراغب كان كثيراً ما يرجح بين هذه الأقوال، ويختار الراجح عنده منها، أما البغوي فلم يكن يفعل ذلك في الغالب، بل كان يكتفي بذكر الأقوال دون الترجيح بينها.

ثانياً: اللغة والنحو بين البغوي والراغب:

لم يحفل تفسير البغوي بمزيد اهتمام بقضايا اللغة والنحو،

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٥).

التي اهتم بها المفسرون للقرآن بالرأي الجائز: كالراغب وابن عطية وغيرهما، ومع ذلك فقد تعرّض البغوي لبعض المسائل اللغوية والوجوه الإعرابية، وذكر بعض أقوال أهل اللغة في ثنايا كتابه، ولكنه لم يشر إلى منهجه في ذلك في مقدمة كتابه كما فعل مع أركان التفسير بالمأثور.

ولا شك أن الراغب الأصفهاني أطول يداً وأكثر باعاً من البغوي في هذا الباب، إلا أن طبيعة تفسير كل منهما، ومنهجه تحتم على أحدهما الاهتمام الزائد بقضايا اللغة والنحو، وتحتم على الآخر عدم الإكثار من ذلك.

فمن الإشارات النحوية التي أوردها البغوي في تفسيره:

١ ـ عند قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(١)] قال البغوي: «ومحل (أن) رفع على إضمار (هي). وقال الزجاج: رفع بالابتداء. وقيل: محله نصب بنزع حرف الصفة، معناه: بأن لا نعبد إلا الله.

وقيل: محله خفض بدلاً من الكلمة، أي تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله»[(٢)].

٢ ـ وعند قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[(٣)] قال البغوي: «نصب على القطع، قاله الكسائي. وقال المبرد: مصدر أي لأثيبنهم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٢) معالم التنزيل (٢/ ٥٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

ثواباً»(١).

٣ ـ وعند قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾(٢) قال البغوي: نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم كتاب الله. وقيل: نصب على الإغراء. أي: الزموا كتاب الله عليكم»(٣).

أما ذكره أقوال أهل اللغة، فقد ذكر في الأمثلة السابقة أقوالاً إعرابية للزّجاج والكسائي والمبرّد، وذكر لهم أقوالاً في التفسير، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾(٤) فقد ذكر قول الفرَّاء في معنى (المقنطرة) قال: «وقال الفرَّاء: المضعَّفة».

وذكر قول أبي عبيدة في معنى (المسوَّمة) قال: «هي المعلّمة»(٥).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ذكر قول المؤرج، قال: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوبية. كان في الأصل ربِّيٌّ، فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني.

وذكر قول المبرّد قال: هم أرباب العلم، سُمّوا به لأنهم يربون

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٥٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) معالم التنزيل (٢/ ١٩٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٥) معالم التنزيل (٢/ ١٥).

العلم، ويقومون به، ويُربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها. وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربَّه يربُّه، واحدها: (ربّان) كما قالوا: ريّان وعطشان وشبعان وعريان، ثم ضمت إليه ياء النسبة، كما قالوا: لحياني ورقباني»[1]. فهذه الإشارات اللغوية السابقة وإن كانت قليلة في تفسير البغوي مقارنة بتفسير الراغب، إلا أنها تدل على أهمية هذا الجانب اللغوي في تفسير كلام الباري تعالى، ووجوب معرفة المفسّر لقواعد وأحكام اللغة، التي نزل بها القرآن، وأهمية معرفة آراء اللغويين وأقوالهم في التفسير والإعراب.

ثالثاً: مسائل الاعتقاد بين البغوي والراغب:

أما مسائل الاعتقاد فهي مختلفة التناوُل كذلك بين البغوي والراغب، فالبغوي من مدرسة أهل الحديث، الذين هم أئمة مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، والراغب من أهل الرأي، الذين يميلون إلى المذهب الأشعري، وبخاصة في مسائل الأسماء والصفات. ولذلك أوَّل الراغب بعض صفات الله تعالى، وأخرجها عن مدلولاتها الحقيقية، أما البغوي فقد أثبت هذه الصفات لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله سبحانه، فعند قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[2] قال: ويد الله صفة من صفاته كالسمع والبصر

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٦٠، ٦١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

والوجه، وقال جلَّ ذكره: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»[2] والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السّلف من أهل السُّنَّة في هذه الصفات: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيف»[3].

وقد أوضح البغوي عقيدته في الأسماء والصفات في كتابه «شرح السُّنة»، وذلك عند كلامه على حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**» قالوا: يا رسول الله آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها**». قال البغوي: هذا حديث حسن[4]، وأخرجه مسلم[5] من رواية عبدالله بن عمرو رضي الله عنه... والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب والسُّنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك والفرح» ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسُّنة على هذه الصفات، ثم قال: «فهذه

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٧).

(٣) معالم التنزيل (٣/ ٧٧).

(٤) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، حديث رقم (٢١٤٠).

(٥) في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، حديث رقم (٢٦٥٤).

ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها، معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1] وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السُّنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم، فقال عز وجل: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾[2].
وقال سفيان بن عيينة: كلّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عليه، ليس لأحدٍ أن يفسّره إلا الله عز وجل ورسله.

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[3] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً. وأمر به أن يخرج من المجلس.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقال:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٣) سورة طه، الآية: ٥.

أمروها كما جاءت بلا كيف .

وقال الزهري : على الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم .

وقال بعض السلف : قدمُ الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم .

قال أبو العالية : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] : ارتفع فسوّى خلقهن .

وقال مجاهد : استوى : علا على العرش»[2] .

رابعاً: مسائل الفقه بين البغوي والراغب:

يشبه المقال هنا ما قيل عند المقارنة بين الراغب وابن عطية ، فالراغب لا ينتمي إلى مذهب فقهي معين ، أما البغوي فهو من أئمة الشافعية الكبار ، وقد ألف في الفقه كتاب «التهذيب» وهو من أجل كتب المذهب الشافعي .

وثقافة الراغب في الفقه ثقافة عامة غير متخصصة كما ذكرت ، أما البغوي فثقافته الفقهية متخصصة ، نظراً لإمامته في هذا الفن أيضاً .

ويتميز منهج البغوي عن منهج الراغب في تناول مسائل الفقه بذكر أدلة كل فريق يورد قوله ، وقد ساعده على ذلك ثروته الحديثية الضخمة ، التي كان يوظّفها ببراعة ، لتكون خادماً له في مختلف مجالات المعرفة : كالتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٩ .

(٢) شرح السنة (١/ ١٦٥ ـ ١٧١) .

ويتميَّز كذلك عن الراغب بالتوسُّع في ذكر المسائل الفقهية، التي يوردها في حين أن الراغب كان يجملها.

ومع هذا التخصُّص المذهبي لدى البغوي إلا أننا لا نلحظ أي تعصُّب للمذهب عند ذكر الخلاف بين المذاهب، بل كان في الغالب يذكر الخلاف دون ترجيح قول على قول، إلا أنه كان يبدأ دائماً بذكر مذهبه، ثم يقول: وعند مالك كذا باختصار، أو: وعند أبي حنيفة كذا باختصار.

فعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] قال البغوي: «والاستطاعة نوعان: أحدهما: أن يكون مستطيعاً بنفسه. والآخر أن يكون مستطيعاً بغيره.

أما الاستطاعة بنفسه؛ أن يكون قادراً بنفسه على الذهاب، ووجد الزاد والراحلة» ثم ساق بسنده عن محمد بن عباد بن جعفر، قال: قعدنا إلى عبدالله بن عمر فسمعته يقول: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ما الحاجّ؟ قال: «**الشعث التفل**»، فقام رجل آخر، فقال: يا رسول الله أيُّ الحج أفضل؟ قال: «**العجُّ والثجُّ**»، فقام رجل آخر، فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «**زادٌ وراحلة**»[2].

وتفصيله أن يجد راحلة تصلح لمثله، ووجد الزاد للذهاب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٩٩٨) كتاب التفسير (سورة آل عمران). وابن ماجه رقم (٢٨٩٦) كتاب المناسك، والدارقطني (٢/ ٢١٧) كتاب الحج. والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٤). وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم ابن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه». وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٢١): طرقه كلها ضعيفة.

والرجوع، فاضلًا عن نفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه، وعن ديْنٍ يكون عليه، ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت، فإن خرجوا قبله أو أخروا الخروج إلى وقت لا يصلون إلا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج في ذلك الوقت، ويشترط أن يكون الطريق آمناً، فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب شيئاً لا يلزمه، ويشترط أن تكون المنازل المأهولة معمورة، يجد فيها الزاد والماء، فإن كان زمان جدوبة تفـرَّق أهلها أو غارت مياهها، فلا يلزمه ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي، أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج، ويستحب لو فعل، وعند مالك يلزمه.

أما الاستطاعة بالغير هو: أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه، بأن كان زَمِناً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكّنه أن يستأجر من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر، أو لم يكن له مال لكن بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صِدقَه، لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة، ويقال في العرف: فلان مستطيع لبناء دار وإن كان لا يفعله بنفسه، إنما يفعله بماله أو بأعوانه.

وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة، وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال.

وحجة من أوجبه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سليمان بن يسار، عن عبدالله بن عباس، أنه قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم[(١)]»[(٢)].

وعند قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[(٣)] ذكر البغوي بعض المسائل الفقهية على طريقته التي أشرت إليها، ومن ذلك أنه قال: واعلم أن الله تعالى علَّق زوال الحَجْرِ عن الصغير، وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرّشد، فالبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة: اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء، واثنان تختصان بالنساء: فما يشترك فيه الرجال والنساء أحدهما: السن، والثاني: الاحتلام، أما السن فإذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم (١٥١٣)، وفي كتاب جزاء الصيد، باب الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة رقم (١٨٥٤). وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة رقم (١٣٣٤).

(٢) معالم التنزيل (٢/ ٧٢ ـ ٧٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦.

استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاماً كان أو جارية، لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عُيينة عن عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عُرِضْتُ على رسول الله ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فردني، ثم عُرِضْتُ عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني[1]، قال نافع: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبدالعزيز، فقال: هذا فرق بين المقاتلة والذرية، وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة، ومن لم يبلغها في الذرية، وهذا قول أكثر أهل العلم.

وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة، وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة.

وأما الاحتلام: فنعني به نزول المني، سواء كان بالاحتلام أو بالجماع، أو غيرهما، فإذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان. حُكم ببلوغه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ وقال النبي ﷺ لمعاذ في الجزية حين بعثه إلى اليمن: «خذ من كل حالم ديناراً»[2].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم رقم (٢٦٦٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ رقم (١٨٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب في زكاة السائمة رقم (١٥٧٦)، والترمذي في الزكاة، باب ما جاء في زكاة البقر، رقم (٦٢٣) وقال الترمذي: حديث حسن. وأخرجه النسائي في=

وأما الإنبات، وهو نبات الشعر الخشن حول الفرج: فهو بلوغ في أولاد المشركين، لما رُوي عن عطية القرظي قال: كنت من سبي قريظة، فكانوا ينظرون، فمن أنبت الشعر قُتل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت ممن لم ينبت[1].

وهل يكون ذلك بلوغاً في أولاد المسلمين؟ فيه قولان، أحدهما: يكون بلوغاً كما في أولاد الكفار، والثاني: لا يكون بلوغاً، لأنه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع إلى آبائهم، وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم، ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم، فجعل الإنبات الذي هو أمارة البلوغ بلوغاً في حقهم.

وأما ما يختص بالنساء: فالحيض والحَبَل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يُحكم ببلوغها، وكذلك إذا وَلَدَتْ يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر، لأنها أقل مدة الحمل.

وأما الرّشد: فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله، فالصلاح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبذراً، والتبذير: هو أن

= الزكاة، باب زكاة البقر (٥/ ٢٦)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣٠، ٢٣٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٩٨) وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب الغلام يصيب الحدّ، رقم (٤٤٠٤)، والترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في النزول على الحكم، رقم (١٥٨٤)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الحدود، باب من لم يجب عليه الحد رقم (٢٥٤١)، وأحمد في المسند (٤/ ٣١٠).

ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يُحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع، فإذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله، دام الحجر عليه، ولا يدفع إليه ماله ولا ينفذ تصرفه.

وعند أبي حنيفة - رضي الله عنه - إذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه، وإن كان مفسداً في دينه، وإذا كان مفسداً لماله قال: لا يدفع إليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة، غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله. والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه، لأن الله تعالى قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[1]، أمر بدفع المال إليهم بعد البلوغ وإيناس الرشد، والفاسق لا يكون رشيداً وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة، وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد، فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن.

وإذا بلغ وأونس منه الرشد، زال الحجر عنه، ودفع إليه المال رجلاً كان أو امرأة، تزوج أو لم يتزوج.

وعند مالك رحمه الله تعالى: إن كانت امرأة لا يُدفع المال إليها ما لم تتزوج، فإذا تزوجت دُفِعَ إليها، ولكن لا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج، ما لم تكبر وتُجرّب.

فإذا بلغ الصبي رشيداً وزال الحجر عنه ثم عاد سفيهاً، نظر: فإن عاد مبذراً لماله حجر عليه، وإن عاد مفسداً في دينه فعلى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

وجهين: أحدهما: يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه إذا بلغ بهذه الصفة، والثاني: لا يعاد، لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء.

وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال، والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبدالله بن جعفر ابتاع أرضاً سبخة بستين ألف درهم، فقال علي: لآتين عثمان فلأحجرن عليك. فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك، فقال الزبير: أنا شريكك في بيعتك، فأتى علي عثمان وقال: احجر على هذا، فقال الزبير: أنا شريكه، فقال عثمان: كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير، فكان ذلك اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه[1].

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٧).

المطلب الخامس

النسخ الخطيّة وتوصيفها

على الرغم من ذكر كتب فهارس المخطوطات نسخاً متعددة لتفسير الراغب الأصفهاني، إلا أن الباحث توصل بعد الاطلاع والتدقيق إلى أن النسخ الخطيّة لتفسير الراغب يمكن حصرها فيما يلي:

١ - نسخة مكتبة «ولي الدين جار الله» وتحمل رقم (٨٤) ضمن مخطوطات المكتبة السليمانية باستانبول. وتقع في (٣٥٦) ورقة ومسطرتها (٢١) سطراً، بخط نسخي جيد، ومقروء من بدايتها وحتى الورقة رقم (٢٢٩) بداية من تفسير الآية (٨٨) من سورة آل عمران، حيث يصبح عدد الأسطر (٢٧) مع تكبير حجم الآيات عن تفسيرها، حتى الورقة رقم (٢٧٣) وبعد ذلك يعود عدد الأسطر إلى (٢١) سطراً ابتداءً من تفسيره للآية رقم (٦٣) من سورة النساء، وحتى نهاية المخطوط بتفسيره للآية الأخيرة من سورة المائدة. وجاء بخط الناسخ في آخر ورقة منها: «رأيت فيه بحاراً، أمواجها تتلاطم، وأفواجاً فوائدها تتصادم، وأودعت سمعي من دقائق معانيه الرائقة ما أنساني سماع الأغاني من المطربات الغواني».

وهناك نقش على الورقة رقم (٣٥٥) جاء فيه: «وقف هذا الكتاب أبو عبدالله ولي الدين جار الله بشرط أن لا يخرج من خزينة جامع السلطان محمد القسطنطينيّة».

وتبدأ هذه النسخة من تفسيره للبسملة في أوّل سورة الفاتحة،

حيث نفتقد مقدمة الراغب لتفسيره، وتبدأ هذه النسخة بقوله: «فإذا قولك: زيد حسن. لفظ مشترك يصح أن يُعنى به: أن هذا اللفظ حسن، وأن يُعنى به أن المسمى به حسن».

ويوجد مصورة (ميكروفيلميّة) من هذه النسخة في مكتبة (معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة تحمل رقم ٩٨ تفسير، وفي الملاحظات التي سبقت هذه النسخة المصورة كتب بأنها نسخت في القرن السادس. ورغم عدم وجود نص على تاريخ النسخ، إلا أن جملة من القرائن دفعت بعثة المعهد إلى تدوين هذا التأريخ المتوقع للنسخ، مثل عدم انتظام اللحق في آخر كل ورقة، بل يوجد أحياناً، ويفقد أحياناً أخرى في حين أن انتظام اللحق قد تعارف عليه النساخ منذ القرن الثامن الهجري، كما أن شكل الحروف وطريقة كتابتها ـ ولاسيما في الآيات ـ يؤكد ما توصلت إليه بعثة المعهد من تحديد تاريخ النسخ بالقرن السادس الهجري.

ويوجد من هذه النسخة مصورة (ميكرو فيلميّة) في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ١١١٤، وعنوان: «الدرر والتأويل في مصابيح التنزيل»، وقد ورد ذكر هذه المصورة الميكروفيلمية في فهرس علوم القرآن في إصدارات جامعة أم القرى عام ١٤٠٦هـ (١٥٦/٢)، وتتطابق هذه النسخة ذات الرقم (٨٤) ولي الدين جار الله، مع بقيّة النسخ الأخرى، التي جاء النص فيها على أنها من إملاء الراغب الأصفهاني. والله أعلم.

٢- نسخة تحمل رقم (٢١٢) أيا صوفيا بجامع السليمانية

باستانبول. وتحمل اسم «جامع التفسير» وتقع في (١٦٠) ورقة، ومسطرتها (٢٥) سطراً بخط نسخي جميل، وبدايتها: «الحمد لله على آلائه» وفي أولها النص على نسبة الكتاب للراغب: «قال أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء إن نفّس الله في العمر، ووقانا نوب الدهر، وهو المرجو أن يسعفنا بالأمرين: أن نبيّـن من تفسير القرآن وتأويله نكتاً بارعة» وعلى الورقة الأولى كُتب: «القطعة الأولى من تفسير الإمام أبي القاسم الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى».

وتنتهي هذه النسخة بنهاية تفسيره للآية رقم (٢٢٣) من سورة البقرة ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية.

٣- نسخة تحمل الرقم (١٧١) أيا صوفيا بجامع السليمانية استانبول. وتقع في (٦٩) ورقة ومسطرتها (١٥) سطراً، بخطٍّ فارسي واضح، وعنوانها «تفسير القرآن» وفي الصفحة الأولى كتب «تفسير الراغب الأصفهاني على سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة» وتبتدئ بـ: «الحمد لله على آلائه..» وجاء فيها النص على تأليف الراغب لها «قال الشيخ أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء...».

٤- نسخة تحمل رقم (٦٩) فيض الله أفندي باستانبول، وتقع في (١٦٠) ورقة ومسطرتها (   ) سطراً، بخط رائق جميل، يبدو أنه متأخر.. ويظهر أنها منسوخة عن المخطوط رقم (٢١٢) أيا صوفيا المشار إليه آنفاً. للتطابق التام بينهما في البداية والنهاية، حيث تنتهي بنهاية تفسيره لقوله تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ الآية ٢٢٣ من سورة البقرة.

وفي الورقة الأولى منها النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني «قال الشيخ أبو القاسم الراغب: القصد في هذا الإملاء...».

٥- نسخة برقم(١٦١٦) طوبقبواي سراي[1] وتقع في (٦٧) ورقة، ومسطرتها (١٩) سطراً، وعدد الكلمات في السطر ما بين ٥-٧ كلمات فقط بخط فارسي جميل، يظهر الاعتناء به، وعنوانها: «النكات القرآنية» وقد جاءفي أولها النسبة الصريحة للراغب «قال الشيخ أبو القاسم: القصد في هذا الإملاء...» وتشتمل هذه النسخة على مقدمة التفسير للراغب، وتفسيره لسورة الفاتحة وللآيات الخمس الأولى من سورة البقرة حتى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ سورة البقرة الآية الخامسة.

ويُلاحظ التطابق التام بين هذه النسخ الخمس فيما يتعلق بالأجزاء المشتركة فيما بينها، ففي حين نجد نسخة «ولي الدين جار الله» (٨٤) تتطابق مع نسختي أيا صوفيا ذات الرقم(٢١٢) ونسخة فيض الله أفندي ذات الرقم (٦٩) من بدايتها وحتى الآية (٢٢٣) من سورة البقرة، ونجد كذلك أنها تتطابق مع الجزء اليسير المشترك بينها وبين نسخة أيا صوفيا ذات الرقم (١٧٢) ونسخة طوبقبواي سراي ذات الرقم (١٦١٦)، والمشتمل على تفسير سورة الفاتحة والآيات الخمس الأوّل من سورة البقرة.

---

(١) وقد قام الدكتور أحمد حسن فرحات بتحقيقها ونشرها بعنوان «مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة» وصدر الكتاب عن دار الدعوة بالكويت عام ١٤٠٥هـ.

وتنفرد نسخة «ولي الدين جار الله» بتفسير الراغب الأصفهاني للآية ٢٢٤ من سورة البقرة وما بعدها حتى نهاية سورة المائدة.

نسخ أخرى نُسبت للراغب، وليست له:

١- نسخة مكتبة كوبرلي وزير برقم (١٠٠)، وقد ذكرها الدكتور رمضان ششن في فهرسه لمخطوطات مكتبة كوبرلي وزير، وألحق مع الدلالة على مكانها البيانات التالية: (الجزء الأول من تفسير القرآن الكريم، النسخة المفصلة، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني..) وآخره ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ سورة البقرة، آية (٢٢٥) وجاء في قيد الفراغ منه: «تم الجزء الأوّل.. وكان ذلك في عاشر رجب سنة أربع وثلاثين وستمائة خدمة أقل عبيد الله محمد بن موسى الأموى».

وقد تمكَّنت من الحصول على صورة من هذه النسخة المخطوطة من تركيا بعد جهود كبيرة، وبعد الاطلاع عليها تبيّن لي أنها لا تمتّ إلى تفسير الراغب الأصفهاني بصلة، فهي تختلف اختلافاً جذريًّا مع سائر النسخ الأخرى لتفسير الراغب في كلماتها وجُملها ومنهج صاحبها في التفسير.

كما أنني قارنت بين مواضع متعددة منها وبين ما يماثلها في «المفردات» للراغب الأصفهاني فلم أجد أي تقارب بينهما بعكس النسخ الأخرى الثابتة الشبه للراغب، التي تتطابق فيما بينها وتتحد العبارة بينها وبين عبارة الراغب في «المفردات».

٢- نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله، ذات الرقم(٨٦) ويوجد منها مصوة (ميكروفيلمية) بمكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيّة بالقاهرة وتحمل الرقم(٩٩) تفسير، ومصورة (ميكروفيلمية) أخرى في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (١١١٥).

وتبدأ هذه النسخة من أول سورة يوسف، وتنتهي بنهاية سورة الأحزاب، والصحيح أنها ليست للراغب الأصفهاني، بل لعالم أصفهاني آخر، وهو شمس الدين محمود بن أبي القاسم الأصفهاني، المتوفى سنة ٧٤٩هـ، وهي قطعة من تفسيره: «أنوار الحقائق الربانيّة»[١] وقد جاء في آخر تفسيره لسورة يوسف ما نصّه:

«فرغ من تأليف تفسير سورة يوسف عليه السلام وقت العصر من يوم الأربعاء ثاني عشر من شهر شوّال سنة ست وأربعين وسبعمائة، العبد الضعيف المفتقر إلى ربه اللطيف محمود بن أبي القاسم بن أحمد الشافعي الأصفهاني».

٣- نسخة مكتبة يوسف أغا بمدينة قونيه بتركيا، وتقع في (٢٥٩) ورقة نُسخت سنة (٦٨٥هـ). وحينما كنت أهم بطلبها للاطلاع عليها إذ بي أعثر على كتابة لأحد الباحثين الذين اطلعوا عليها قال فيها:

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، ص (٧٠).

«نسبت بعض المصادر للراغب مخطوطاً في التفسير، يوجد في مكتبة يوسف أغا تحت رقم(١٩) وقد سافرت للاطلاع على هذا المخطوط، فوجدت أنه ليس للراغب الأصفهاني، وهو تفسير يحتوي على النصف الأوّل من القرآن الكريم»[١].

٤- نسخة المكتبة القادريّة ببغداد، أو ذات الرقم (٦٠) تحت اسم «جامع التفاسير» وقد ذكرها الأستاذ عماد عبدالسلام في الآثار الخطيّة في المكتبة القادريّة (١/ ٨٦) وقد اطلع عليها أحد الباحثين ثم كتب الملاحظة التالية:

«وهي نسخة حسنة مكتوبة بخط نسخي دقيق، ترقى إلى القرن الثاني عشر، ولكن عند المقابلة تبيّن لي أنها لا تخص الراغب لا من قريب ولا من بعيد»[٢].

٥- نسخة مصورة في المكتبة المركزيّة لجامعة بغداد، وتشتمل على تفسير الآيات من أوّل سورة (المؤمنون) وتقع في (٢٢٤)، ولكن لم يتم العثور عليها، ووجد مكانها فارغاً، طبقاً لما قاله الباحث: محمد إقبال فرحات[٣].

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، للباحث شلواح اللويحق المطيري، ص (٢٠١).
(٢) انظر: الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير، للباحث محمد إقبال أحمد فرحات، ص (٣٣).
(٣) المصدر السابق، ص (٣٣).

٦- نسخة مكتبة فيض الله أفندي رقم (٦٢) و(٦٣) وقد جاء ذكرها في الفهرس الشامل للتراث الصادر عن مؤسسة آل البيت بالأردن (١/ ١٢٥) ولكن اتضح بالاطلاع عليها عدم صحة نسبتها إلى الراغب الأصفهاني، واختلافها كلياً عن النسخ التي ثبتت نسبتها إليه.

٧- نسخة مكتبة الحرم المكي ذات الرقم (١٣٧) تفسير. وقد ذكرها لي أحد الباحثين[١] فسارعت بطلبها من أخي الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم إمام وخطيب الحرم المكي، فبادر مشكوراً بإحضارها لي فإذا بها نسخة خطيّة لكتاب «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني وتقع في (٢٩٤) ورقة، وتاريخ نسخها متأخر، إذ يرجع إلى سنة ١١٩٤هـ.

***

(١) الأستاذ علي بن عبدالعزيز الشبل المحاضر بكلية أصول الدين بالرياض.

صور لنماذج من مخطوطات
تفسير الراغب الأصفهاني

صورة للصفحة الأولى من نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله ٨٤

قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

قوله عز وجل لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

صورة للصفحة الاخيرة من نسخة مكتبة: ولي الدين جار الله ٨٤

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة لبداية تفسير سورة آل عمران (بداية القسم المحقق) من نسخة مكتبة ولي الدين جار الله رقم ٨٤

قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

صورة للورقة الأخيرة من القسم المحقق من نسخة مكتبة ولي الدين جار الله رقم ٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

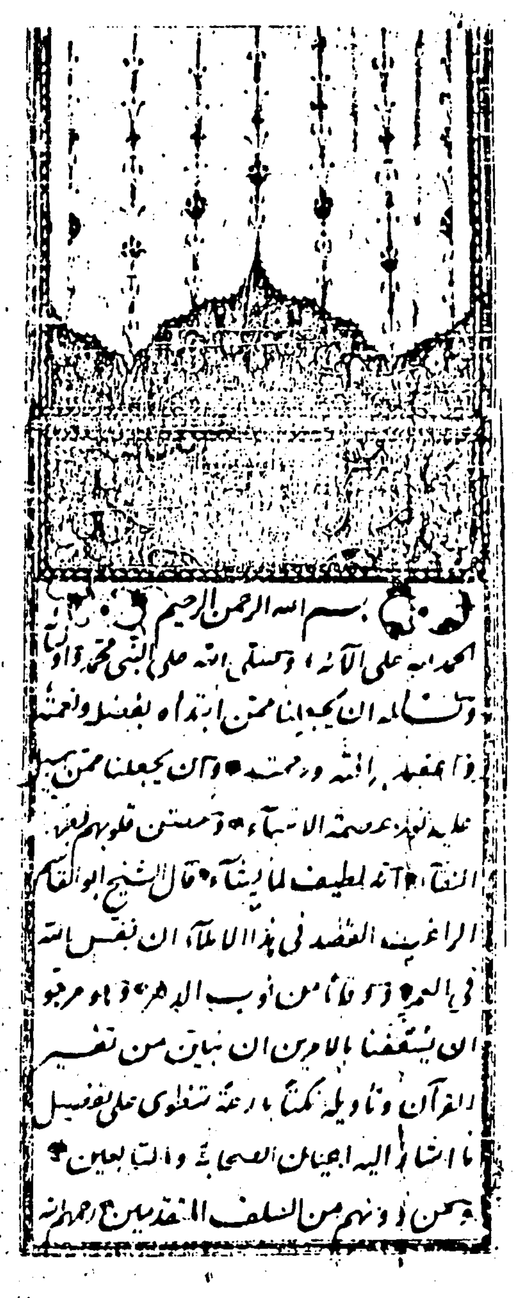
الحمد لله على آلائه . وصلى الله على النبي محمد
وأوليائه . ونسأله أن يجعلنا ممن ابتداه
بفضله ونعمته . واعقبه برأفته ورحمته .
وأن يجعلنا نور عصمة الأنبياء . وحصن
قلوبهم بطهارة النقاء . انه لطيف لما يشاء .
قال الشيخ أبو القاسم الراغب القصد في
هذا الاملاء ان نفس الله في العمر و وقانا
من نوب الدهر . وهو مرجو ان يسعفنا
بالأمرين ان نبين من تفسير القرآن
وتأويله نكتا بارعة تنطوي على تفصيل ما أشار
إليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونهم

صورة للصفحة الأولى من
نسخة مكتبة : آياصوفيا
رقم ١٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه وصلى الله على النبي محمد وأوليائه ونسأله أن
يجعلنا ممن ابتداه بفضله ونعمته واعقبه برأفته ورحمته وأن يجعلنا ممن
عليه نور عصمة الأنبياء وحصن قلوبهم بطهارة النقاء انه لطيف
لما يشاء قال الشيخ أبو القسم الراغب رحمه الله تعالى القصد
في هذا الاملاء ان نفس الله في العمر ووقانا من نوب الدهر وهو مرجو
ان يسعفنا بالأمرين ان نبين من تفسير القرآن وتأويله نكتا بارعة
تنطوي على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونهم
من السلف المتقدمين رحمهم الله بجملة ونبين [illegible] ما ينكشف
عند [illegible] به الصدر وفقنا الله لمرضاته برحمته وجعل سعينا [illegible]
ونعلنا في الدارين محمودا [illegible] التوفيق ومنتهاه
[illegible] لابد من بيانها في صدر الكتاب نفصل في بيان ما وقع فيه الاشتباه
من الكلام المفرد والمركب الكلام ضربان مفرد ومركب فالمفرد المسمى
بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحي سمي بذلك
فاما بالوضع الاول فكله يسمى اسما ويحق ان صار ثلثة اقسام ان
الكلام اما ان يكون مخبرا عنه وهو الملقب بالاسم واما خبرا
وهو الملقب بالفعل واما رابطا بينهما وهو الملقب بالحرف في القسمة
لا يقتضي غير ذلك وما كان من الخبر نحو فاعل ومفعل والنحويون
يسمونه اسما اعتبارا باحكام لفظية لانه يدخله ما يدخل الاسماء
من التنوين والجر وحروفه والالف واللام ويخبر عنه والكوفيون

صورة للصفحة الاولى من نسخة:
مكتبة ايا صوفيا ٢١٢



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه، وصلى الله على النبي محمد وآله
ونسأله أن يجعلنا ممن ابتدأه بفضله ونعمته
وأتمه بإتمامه ورحمته، وأن يجعلنا ممن سبق
لهم منه عصمة الأنبياء، وحسن قلوبهم لقبول
الحق، إنه لطيف لما يشاء. قال الشيخ أبو القاسم
الراغب: القصد في هذا الإملاء أن ننفس بالله
في العمر وكوننا من نوب الدهر، وهو مرجو
أن يشفعنا بالأمرين أن نبين من تفسير
القرآن وتأويله نكتاً بارعة تنطوي على تفصيل
ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين
ومن دونهم من السلف المتقدمين رحمهم الله

بجملة ونبين من ذلك ما ينكشف عنه الستر
ويشتفي به الصدر، وفقنا الله لمرضاته برحمته
وجعل سعينا مشكورا، وجعلنا في الدارين
محمودا، والمقدمة يجب تقديمها مبتدأ التوفيق ومنتهاه
فصل: لا بد من بيانها في مبتدأ الكتاب
فصل في بيان ما يقع فيه الاشتباه
من الكلام المفرد والمركب. الكلام ضربان
مفرد ومركب، فالمفرد المسمى بالاسم والفعل
والحرف، وذلك بالوضع الاصطلاحي يسمى
ذلك، فأما بالوضع الأول فكله يسمى اسما
وبحق صار كذلك أقساما، فإن الكلام إما أن
يكون مخبرا عنه وهو الملقب بالاسم، وإما خبرا
وهو الملقب بالفعل، وإما رابطا بينهما وهو
الملقب بالحرف، وهذه القسمة لا تقتضي غير ذلك
فما كان من الخبر نحو فاعل ومفعول فالبصريون
يسمونه اسما اعتبارا بأخذه من لفظه لما أنه يدخله
ما يدخل الأسماء من التنوين والجر وحرف
الألف واللام والتثنية والجمع، والكوفيون يسمونه
الفعل الدائم، وأما الفعل فاعتبارا بالمعنى وهو

صورة للصفحة الأولى من

نسخة مكتبة : طوبقبواي

سراي رقم ١٦١٦

ثانيا : قسم التحقيق

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ * مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾[1].

الأصل في حروف التهجي السكون[2]، وكان حكم الميم حكم غيره لكن حُرِّك لالتقاء الساكنين، وفُتِح استثقالاً للكسرة فيه من أجل الياء قبله[3]، ومن قال: إنما فُتِحَ لأنه أُلقِيَ عليه حركة الهمزة[4] فخطأ؛ لأن هذه الهمزة تسقط في الدَّرْج إلا في قولهم: يا ألله، والهمزة التي تُلقى حركتها على ما قبلها هي

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١-٤.

(٢) انظر: كتاب سيبويه (٣/ ٢٦٥)، والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٤٠).

(٣) انظر: كتاب سيبويه (٤/ ١٥٤)، والحجة (٢/ ٣٤٠)، وكشف المشكلات لجامع العلوم الأصبهاني (١/ ٢٠٩).

(٤) القائل هو الفرَّاء كما في معاني القرآن (١/ ٩) وحكاه عنه جامع العلوم الأصبهاني في كشف المشكلات (١/ ٢٠٩)، ونسبه النحاس إلى الكسائي، ودافع الزمخشري عن هذا القول. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٣- ٣٥٤)، والكشاف للزمخشري (١/ ٣٣٥).

الثابتة في الوصل والوقف، نحـو: مَنَ ابـوك؟ إذا قلت: منْ أَبوك؟[1].

وَرُوِيَ عن عاصم[2] وغيره[3] سكونُ الميم وقطعُ الألف[4]، وليس ذلك بصحيح عند النحويين، لكون الألف فيه للوصل[5]، وأما موضع إعراب ﴿الٓمٓ﴾ فمبتدأ وخبره مضمرٌ، أو خبرٌ مبتدؤه

---

(١) انظر: الحجة (٢/ ٣٤١)، وكشف المشكلات (١/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) عاصم: ابن بَهْدَلة بن أبي النَّجُود الأسدي مولاهم الكوفي، أبو بكر المقرئ، صدوق له أوهام، حجة في القراءات، وحديثه في الصحيحين مقرون، من السادسة، توفي سنة ١٢٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص (٢٨٥).

(٣) كالأعشى والبرجمي والرؤاسي. انظر: المبسوط في القراءات العشر، ص (١٤٠) والغاية في القراءات العشر ص (٢٠٨) كلاهما لابن مهران الأصبهاني. والبحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٨٩).

(٤) انظر: الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن علي الشيرازي (١/ ٣٦٠)، والمبسوط ص (١٤٠). ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٣). وقال ابن مجاهد: والمعروف عن عاصم ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ﴾ موصولة. وحفص عن عاصم ﴿المَ * ٱللَّهُ﴾ مفتوحة الميم غير مهموزة الألف. انظر السبعة ص (٢٠٠) وقال الزّجّاج: والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عيّاش وأبي عمرو فتح الميم. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٣).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٠٧-٣٠٨). ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٩).

مضمر، ودلَّ على المحذوف منه قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[1] فصار كقوله: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ وقال بعضهم: ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ وخبره ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[2]، ونسب تعالى التنزيل إلى الحروف، تنبيهاً أنه منها، وأن عجزكُمْ عن الإتيان بمثله[3] دلالة لكم أنه كلام الله دون كلام الخلق. وقد تقدَّم أن أهل اللغة قالوا: الكتاب سُمِّيَ لكتب الحروف بعضها إلى بعض، أي ضمُّها. وقيل: سُمِّيَ المعنى الثابت كتاباً تشبيهاً بالمكتوب[4]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٦). والبحر المحيط (٢/ ٣٩١).

(٢) ذكر العكبري ثلاثة أوجه في إعراب قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ أحدها: الجر على القسم. والثاني النصب. والوجه الثالث «موضعها رفع بأنها مبتدأ وما بعدها الخبر». وهو ما أشار إليه الراغب، انظر: إملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٠). وقد ذكر النحاس هذا الوجه وهو الرفع واقتصر عليه، انظر إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٤) وانظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب (١/ ١٤٨)، والبحر المحيط لأبي حيّان (٢/ ٣٩٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٦).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (١/ ٢٠٩).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص (٦٩٨) وما ذكره الراغب عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في تفسيره ق (١١ مخطوط).

[١٩٦/أ] ﴿كِتَٰبٍ﴾(١)، ويقال: لكل مُوجَبٍ كتاب(٢). /

ورُوي أنه نزل ذلك في وفد نجران(٣) الذين أتوا النبي ﷺ(٤)، فخاصموا في عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال النبي ﷺ: «ألستم تعلمون أن الله حيٌّ لا يموت، وأن عيسى يموت، وأن الله لا يخفى عليه شيء، وقد كان عيسى يخفى عليه أشياء، وأن عيسى صُوِّر في الرحم كيف شاء الله؟» - نبههم بذلك أنه لا يصحّ أن يكون عيسى مع كونه بهذه الصفات إلـٰهاً - فأنزل الله تعالى الآية(٥).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٢) انظر: العين للخليل بن أحمد (٥/ ٣٤١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٥٨- ١٥٩) والمفردات ص (٦٩٩-٧٠٢).

(٣) نجران: مدينة بالحجاز من شق اليمن، سميت بنجران بن زيد بن يشجب ابن يعرب وهو أول من نزلها. وتقع جنوب المملكة العربية السعودية على مسافة (٩١٠) أكيال جنوب شرقي مكة. انظر: معجم ما استعجم (٤/ ١٢٩٨)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شرّاب ص (٢٨٦).

(٤) وذلك عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، وكانوا نحواً من ستين رجلًا. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٥٤)، البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٤٨).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٨٧) عن الربيع وساق القصة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذا إسناد=

فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1] ليس بدعوى يحتاج فيها إلى دلالة من خارج، بل هو في نفسه دلالة لازمة وحجة واضحة، فإن معنى قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ أي هو الذي يحقُّ له العبادة، أي الذي تَأْلَهُ الأشياء إليه[2]، وكان الكفار يقولون: الأشياء ثلاثة: عابد غير معبود، ومعبود عابد، ومعبود غير عابد؛ وهو الله تعالى.

فبيّن تعالى بهذا أن المستحق للعبادة على الإطلاق هو الذي لا إله إلا هو، وأكّد ذلك بقوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، والحيّ في صفات الله معناه الذي لا يجوز عليه الموتُ، وبه حياة كلِّ حي، وإذا استُعْمِل في غيره فعلى معنى قبول الحياة منه تعالى[3]. والقيُّوم: هو القائم بحفظ كل شيء، والمعطي له ما به قوامه[4]، وهو المعنى المذكور

= مرسل. وأما سياق قصة وفد نجران فسيأتي ذكره عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ الآية ٥٩ من سورة آل عمران.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٢) أي تفزع إليه وتلوذ به. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٢٦)، والمفردات ص (٨٢، ٨٣)، وانظر: لمعنى [الإله] لسان العرب لابن منظور مادة [أله] (١٣/ ٤٦٨)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص (١٦٠٣).

(٣) انظر: تفسير جامع البيان للطبري (٦/ ١٥٦)، والمفردات ص (٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٩١).

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٧٨)، جامع البيان للطبري (٦/ ١٥٧)، =

في قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[2].

والحقُّ أبلغُ من الصدق، لأن كل صدق حقٌّ، وليس كلُّ حقٍّ صدقًا[3]، ويتناول الأحكام والواجبات من حقوق الله وحقوق الناس. والصدق من أخبار الأمم السالفة والآنفة، والحقُّ الذي هو الجدُّ. والتوراة عند الكوفيين تَفْعَلَة[4] وليس في كلام العرب تَفْعَلَة بوجه، وإنما هو تَفْعُلَة نحو تَتْفُلَة[5] وتفعِلة نحو تكرِمة[6].

= معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٧٤)، المفردات ص (٦٩١)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٠٢).

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٣) انظر: المفردات ص (٤٧٨).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٠)، والتفسير الكبير للرازي (٧/ ٣٨). وانظر رأي الكوفيين في: معاني القرآن للزّجّاج (١/ ٣٧٤-٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٥).

(٥) في الأصل: تفعلة وهو تصحيف والصواب ما أثبته.

(٦) ما ذكره من خلو كلام العرب من وزن «تَفْعَلَة» يعارضه ما ذكره سيبويه حيث قال: «ويكون على تَفْعَلَة وهو قليل، قالوا: «تَتْفَلَة»». انظر كتاب سيبويه (٤/ ٢٧١). كما أن حصره أوزان هذه الحروف متوالية في الوزنين الذين ذكرهما لا يؤيده واقع اللغة، فقد ذكر سيبويه في الكتاب (٢/ ٢٧١) من=

وقيل: أَصله تَفْعِلَة، فعدل عن الكسرة إلى الفتحة[1].

وعند البصريين هي فَوْعَلَة نحو: حَوْقَلَة، وصَوْمَعَة. فأُبدل من الواو تاء، كما أبدل في تَوْصِيَةٍ وتَيْقُورٍ[2] من الوقار[3].

والإِنجيل: إِفْعِيلٌ من النجل، والنجل مستعمل في الأصل وفي الولد[4].

= ذلك أربعة أوزان، وذكر الفيروز آبادي في القاموس مادة «تفل» أن في التتفل والتتفلة سبع لغات، وقد ذَكَرَ الفتحَ أيضاً ابنُ سيده في المخصص (١٦/ ١١٠).

(١) هذا أحد الوجهين الذين ذكرا عن الكوفيين، وذلك كما قالوا في جارية: جاراة، وفي ناصية: ناصاة. انظر: كتاب سيبويه (٢/ ٢٧١)، والمخصَّص (١٦/ ١١٠)، والقاموس مادة «تفل».

(٢) انظر: كتاب سيبويه (٤/ ٣٣٢-٣٣٣). والقاموس مادة «وقر».

(٣) انظر مذهب البصريين في: معاني القرآن للزّجاج (١/ ٣٧٥)، وسر صناعة الإعراب ص (١٤٦)، والزاهر للأنباري (١/ ١٦٨).

(٤) انظر: العين للخليل (٦/ ١٢٤)، ومعاني القرآن للزّجاج (١/ ٣٧٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٩٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٤٩)، والتفسير الكبير (٧/ ١٣٨). ويرى بعض أهل اللغة أن «الإنجيل» مما عرَّبته العرب وليس بمشتق، وإنما هو لفظ سرياني. انظر: المعرب للجواليقي ص (١٢٣)، و الكشاف (١/ ٣٣٥)، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي ص (٤٨).

إن قيل: لِمَ قال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؟

قيل: قد يقال: (نزّل) و(أنزل) بمعنى. لكن خصَّ الكتاب بالتنزيل لأمرين:

أحدهما: أن هذا الكتاب لما كان حكمُهُ مؤبدًا، والتنزيل بناء المبالغة خُصَّ به تنبيهًا على هذا المعنى، وليس ذلك حكم الكتابين قبل.

والثاني: أن هذا الكتاب أُنزل شيئًا فشيئًا، والكتابين أُنزل كل واحد منهما جملة[1].

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني الكتب المتقدمة[2]، [١٩٦/ب] وخُصَّ التوراة والإنجيل/ بالذكر، وإن كانا قد دخلا في عموم ما بين يديه تشريفًا لهما.

و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال للمُنزِّل أو للمنزَّل[3].

---

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، انظر: الوسيط للواحدي (١/ ٤١٢). والكشاف للزمخشري (١/ ٣٣٦). وزاد المسير (١/ ٣٤٩)، والتفسير الكبير (٧/ ١٣٦). وقد ردَّ هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٣٩٣) والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٣/ ١٤٧-١٤٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٦/ ١٦١)، والوسيط (١/ ٤١٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠)، والتفسير الكبير (٧/ ١٣٧)، والتحرير والتنوير (٣/ ١٤٨).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٩)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٢). وقيل: انتصاب مصدقاً على أنه بدل من موضع «بالحق». وقيل: حال من الضمير المجرور. انظر البحر المحيط الموضع السابق.

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[1] أي أنزل في كتبه ما يُفرِّق به بين الحقِّ والباطل في الاعتقادات، والخيرِ والشرِّ في الأفعال، نحو قوله: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[2] وكلُّ كتابٍ لله فرقان[3]، وقيل: الفرقان مخصوص به القرآن خاصة[4]، وتخصيصه بالذكر بعدما تقدَّم تنبيهٌ على إثبات المعنيين له[5]، كقوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[6].

إن قيل: كيف يكون القرآنُ مُصدِّقًا لما بين يديه، وهو ناسخٌ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) وهو ما ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان. انظر: الكشاف (١/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٤).

(٤) وهو قول قتادة والربيع، كما في جامع البيان (٦/ ١٦٣) وزاد المسير (١/ ٣٥٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٥). واختاره الواحدي والطاهر بن عاشور. انظر: الوسيط (١/ ٤١٢)، التحرير والتنوير (٣/ ١٥٠). وردَّ هذا القول ابن جرير الطبري واختار أن يكون معنى الفرقان في هذا الموضع: فصل الله بين نبيّه محمد ﷺ والذين حاجّوه في أمر عيسى، وفي غير ذلك من أموره. انظر: جامع البيان (٦/ ١٦٤) وهو ما ذهب إليه ابن إسحاق، كما رواه عنه ابن المنذر في تفسيره. انظر: تفسير ابن المنذر المخطوط بهامش تفسير ابن أبي حاتم (ق ٤).

(٥) والمعنيان هما: الهدى والفرق بين الحق والباطل.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

لعامة أحكامه؟

قيل: تصديقهُ إياه تحقيقهُ أنه من جهة الله، ومطابقته إياه في كونه داعيًا إلى التوحيد وفعل الخير ونحو ذلك، وإلى أنواع العبادات دون قدرها وهيكلها وكيف إيقاعها[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[2].

لم يعنِ بآيات الله كتابه فقط، بل كل آية دالة عليه: عقلية كانت أم سمعية، ففي كلِّ شيء له عبرة[3]، ونبَّه أنه لا يتهيَّأ لأحد منعه من عذاب من أراد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ

---

(١) أورد الرازي هذا التساؤل، وأجاب عنه بنحو ما قال الراغب، إلا أنه زاد فقال: «إذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ﷺ، ودالَّة على أن أحكامها تثبت إلى حين بعثه، وأنها تصير منسوخة عند نزول القرآن، كانت موافقة للقرآن، وكان القرآن مصدِّقاً لها». انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ١٦٤)، والكشاف (١/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٤).

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾(١) .

الصورة من صَيَّرته أي أحلته، وهي هيئة معقولة أو محسوسة(٢) . والصبغة نحوها(٣) ، إلا أن أكثر ما يستعمل في المحسوسة . إن قيل : كيف قال في موضع : ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾(٤) على لفظ الماضي ، وقال هاهنا بلفظ الاستقبال؟ قيل : أما أولاً فلا اعتبار بالأزمنة في أفعاله تعالى، وإنما استعمال الألفاظ فيه الدالة على الأزمنة بحسب اللغات، وأيضاً فقوله: صوَّركم إنما هو على سبيل التقدير ، وأن فعله تعالى في حكم ما قد فرغ منه ، كقوله : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾(٥) ، وقوله : يصوِّر على حسب ما يظهر لنا حالاً ، فحالا(٦) ،

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٥، ٦ .

(٢) قال في المفردات : الصورة. . . ضربان : أحدهما : محسوسٌ يدركه الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثيرٌ من الحيوان كصورة الإنسان والفرس. والثاني: معقولٌ يدركه الخاصة دون العامة، كالصورة التي اختصَّ بها الإنسان من العقل والرَّوِيَّة. انظر: المفردات ص (٤٩٧)باختصار، وانظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٠) .

(٣) انظر معنى الصبغة: عند تفسير الراغب للآية (١٣٨) من سورة البقرة ق (١٠١ ـ مخطوط)، والمفردات ص (٤٧٥)، وتاج العروس للزبيدي (٢٢/ ٥١٦) .

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٤ .

(٥) سورة النحل، الآية: ١ .

(٦) نقل أبو حيان هذه الفقرة كاملة، ونسبها إلى الراغب، انظر: البحر المحيط=

إن قيل: لِمَ قال: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[1] ولم يقل: هو عالم بكل شيء؟ قيل: لأن الوصف بأنه «لا يخفى عليه شيء» أبلغ من قوله «يعلم» في الأصل[2]، وإن كان استعمال اللفظتين فيه يفيدان معنىً واحدًا، وتخصيص الأرض والسماء لكون ذكرهما أهول بالإضافة إلينا، وفيه دلالة على كل شيء[3]، وإنما كرَّر قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأنه لما ذكر ما تقدم دليلًا على كون عيسى مخلوقًا، وكونه تعالى خالقًا نبّه بقوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أن لا/ معبود سواه[4]، وأنه العزيز في نقمته، [١٩٧/أ] الحكيم في أمره، لا حاجة به إلى ولد، ولا حكمة تقتضي ذلك.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[5].

= (٢/ ٣٩٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٢) لعله يقصد بالأصل الدلالة على الحقيقة وعدم احتمال إرادة غيرها.

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٥)، والتحرير والتنوير (٣/ ١٥١).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ١٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٦).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

الزيغ: الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين، ومنه زاغ البصرُ، وزاغت الشمسُ عن كبد السماء، وزاغ قلبُه[1]، وزاغ وزال وما [ل][2] تتقاربُ، لكن زاغ لا تُقال إلا فيما كان عن حقٍّ إلى باطلٍ[3]، والتأويل: آخر الشيء ومآله[4]، وقد تقدم الفرق بينه وبين التفسير[5].

والمحكم قد وُصف به القرآن على وجهين:

أحدهما: عام في جميعه، نحو ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[6] وقوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[7] ويعني بذلك المتقن، نحو: بناء محكم، وعقد محكم.

والثاني: ما وُصِفَ به بعض الكتاب المذكور في قوله: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ وهو ما لا يصعب على العالم معرفته لفظًا أو معنىً،

---

(١) انظر: العين (٤/ ٤٣٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٤٠-٤١)، والمخصص (٩/ ٢٥)، والمفردات ص (٣٨٧).

(٢) ساقطة من الأصل والتصويب من تاج العروس (٢٢/ ٤٩٧).

(٣) نقل الزبيدي هذه الفقرة عن الراغب. انظر: تاج العروس (٢٢/ ٤٩٧).

(٤) انظر: العين للخليل ابن أحمد(٨/ ٣٦٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٦٢)، والصاحبي لابن فارس ص (٣١٤-٣١٥).

(٥) انظر مقدمة جامع التفاسير: للراغب بتحقيق: د. أحمد حسن فرحات ص ٤٧، حيث عقد الراغب فصلًا في الفرق بين التفسير والتأويل.

(٦) سورة هود، الآية: ١.

(٧) سورة يونس، الآية: ١.

وقيل: ما لا يحتاج العالم في معرفته إلى تكلُّف نظر، وعكسُهُ المتشابه[1]، والكلامُ في أحوال المحكم والمتشابه مشكلٌ[2]، ولابُدَّ من إيراد جملةٍ ينكشف بها ذلك، فيُقال وبالله التوفيق: الكلام من جهة الإحكام والتشابه على ضربين:

أحدهما: ما يرجع إلى ذات المحكم والمتشابه في نفسه.

والثاني: مايرجع إلى أمر مايعرض لهما. فالأول على أربعة أضرب:

أحدها: مُحكم من جهة اللفظ والمعنى، نحو قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[3] [4].

---

(١) القولان متقاربان من حيث المعنى، فما لا يصعب على العالم معرفته لا يحتاج فيه إلى تكلف نظر، وهذا القول نسبه الطبري إلى جابر بن عبدالله بن رئاب، وقال عنه: إنه أشبه بتأويل الآية، وخلاصته أن المحكم ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه بعكس ذلك. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٩).

(٢) وذلك لاختلاف عبارات السلف في تحديد معنى المحكم والمتشابه. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٤ وما بعدها)، زاد المسير (١/ ٣٥٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٤) فسّر ابن عباس قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ بقوله: هي الثلاث الآيات من ههنا ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ثلاث آيات. والتي في بني إسرائيل ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾=

الثاني: متشابه من جهتيهما، نحو قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾[1]. [2]

والثالث: متشابهٌ في اللفظ مُحكمٌ في المعنى، نحو قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[3]. [4]

= إلى آخر الآيات. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٤). وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس. انظر: تفسير عبد بن حميد المخطوط (ق ٥). وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٢/ ٦) ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا من تفسير ابن المنذر.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) الصحيح أن هذه الآية ليست من المتشابه، فمعناها معلومٌ، ولفظها ظاهرٌ، قال ابن كثير في تفسيره لها: يقول تعالى: يوسِّع قلبه للتوحيد والإيمان به، وكذا قال أبو مالك وغير واحد، وهو ظاهر. انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٦٦) وانظر: جامع البيان (١٢/ ٩٨)، وتفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ١٤٢).

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٤) يُثبتُ أهل السنة والجماعة أن الله يجيءُ يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ انظر: «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني (ص ١٩) و«الحجة في بيان المحجة» لقوام السنة (٢/ ١٢٤) و «الرد على الجهميّة» للدارمي (ص ٧٢)؛ «رسالة إلى أهل الثغر» للأشعري (ص ٢٢٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٩١)، (٥/ ٣٩١). وعلى=

والرابع: متشابهٌ في المعنى مُحكمٌ في اللفظ، نحو: الساعة، والملائكة.

وقد تجعل هذه الأقسام ثلاثة: أحدها: محكمٌ على الإطلاق، ومتشابهٌ على الإطلاق[1]، ومحكم من وجه. والمتشابه ضربان: أحدهما: من جهة اللفظ، والآخر: من جهة المعنى، والمتشابه من جهة اللفظ ضربان: أحدهما: يرجع إلى مفردات الألفاظ، وذلك إما من جهة غرابة اللفظ، نحو (الأبّ)[2] ونحو (يَزِفّون)[3]،

= هذا فلفظ الآية محكمٌ كما هو معناها.

(١) هذا الكلام قد يوهم بأن الراغب يرى أن في القرآن ما لا يُعْلَمُ معناه على الإطلاق بسبب كونه متشابهاً من جهة اللفظ والمعنى، والصحيح أنه لا يرى ذلك، فقد بين في مواضع أخرى: أن المتشابه ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، وأنه ما يعلم معناه مجملًا لا مفصلًا؛ كعلم الساعة، وخروج الدابة وكيفيتها. انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٧) والمفردات ص (٤٤٤).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]. والأبّ: المرعى المتهيىء للرعي والجز. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ١٣)، ومجمل اللغة ص (٣٧) والمفردات ص (٥٩).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٤]. قال أبو عبيدة: تقول العرب للنعامة: تزفُّ، وهو أول عدوها، وآخر مشيها، وجاءني الرجل يزفُّ زفيف النعامة أي من شدة سرعته. انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٧١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٠٩) والمفردات ص (٣٨٠).

وإما من تَشَارُكٍ في اللفظ: كاليد والعين والوجه. الثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركب/ ، وذلك ثلاثة أضرب: [١٩٧/ب]

أحدها: اختصار الكلام نحو ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾(١). والثاني: تطويله نحو ﴿كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢). والثالث: إغلاق نظمه، نحو: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا﴾(٣).

والمتشابه من جهة المعنى ضربان:

أحدها: دقة المعنى، كأوصاف الباري تعالى(٤)، وأوصاف

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١. وذلك لاجتماع الكاف الدالة على التشبيه مع كلمة: مثله الدالة على نفس المعنى، ولم يقل ليس مثله شيء. انظر: المفردات ص (٤٤٤)، ومقدمة جامع التفاسير ص (٣٧).

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١-٢. قال الراغب: تقديره: الكتابَ قيِّما ولم يجعل له عوجاً. انظر: المفردات ص (٤٤٤).

(٤) صفات الله عز وجل ليست من المتشابه الذي لا يُعْلم معناه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: «من قال: إن هذا من المتشابه، وإنه لا يُفهم معناه. فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك: فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة؛ لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاماً لا =

القيامة[1]. والثاني: ترك الترتيب، نحو قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[2].

= يفهم أحد معناه، وإنما قالوا: كلمات لها معانٍ صحيحة» انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٤). وقال في موضع آخر: «والصواب ما عليه أئمة الهدى، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتّبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والإيمان، والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات. . . فهذا أحد الوجهين، وهو منع أن تكون هذه من المتشابه» مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠٥). وانظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٧٩٥)، ومنهج دراسات لآيات الأسماء والصفات (ص ٢٣)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٤٨٨)؛ وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنّة (١/ ٤١٣)، ومذهب أهل التفويض (ص٣٠٦)، وموقف ابن تيميّة من الأشاعرة (٣/ ١١٢٢).

(١) أوصاف القيامة الواردة في الكتاب والسنة يجب الإيمان بوقوعها حقيقة دون تأويل أو تفويض أو تحريف، وإن كانت الكيفية التي تحدث بها غير معلومة لنا، لأن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا. ولذا فإن «مجيئ ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها: كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيئ ربك والملك صفًّا صفًّا، وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك» هو تأويل ما أخبر الله به من أوصاف القيامة. انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٨) وشرح العقيدة الطحاوية ص (٢٢٢، ٢٩٧).

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٥. وترك الترتيب هنا أنه أخّر قوله: ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾=

وما يرجع إلى اللفظ والمعنى معًا، فأقسامه بحسب تركيب بعض وجوه اللفظ مع بعض وجوه المعنى، نحو: غرابة اللفظ مع دقة المعنى، وذلك ستة أقسام، وأما المتشابه من جهة ما يعرض للفظ فخمسة أقسام: أحدها: من جهة الكمية: كالعموم والخصوص[(١)]، والثاني: من طريق الكيفية: كالوجوب والندب[(٢)]، والثالث: من جهة الزمان: كالناسخ والمنسوخ[(٣)]، والرابع: من جهة المكان: كالمواضع، والأمور التي نزلت فيها، نحو قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[(٤)]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[(٥)]، فإنه يحتاج في معرفة ذلك

= في التلاوة مع أنها مقدمة في التقدير. قال ابن جرير الطبري: معنى الكلام: ولولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم، فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم، لأذن الله لكم أيها المؤمنون في دخول مكة. انظر: جامع البيان (٢٢/ ٢٥٠).

(١) مثّل الراغب لذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]. انظر: المفردات ص (٤٤٤).

(٢) مثّل الراغب لذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]. المفردات ص (٤٤٤).

(٣) مثّل الراغب لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. المفردات ص (٤٤٤).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

إلى معرفة عادتهم في الجاهلية[1] ، والخامس : من جهة الإضافة ، وهي الشروط التي بها يصح الفعلُ أو يفسدُ : كشروط العبادات والأنكحة[2] ، وهذه الجملة من المحكم والمتشابه إذ تُصُوِّرَتْ عُلم أن جميع ما يذكره المفسرون لا يخرج منها ، نحو قول من قال : المتشابه نحو ﴿الٓمٓ﴾ وما أشبهه[3] ، وقول مجاهد[4] : المحكم ما فيه الحلال والحرام ، والمتشابه ما سواه[5] . وقول

(١) أعاد الراغب ذكر هذين المثالين في المفردات ص (٤٤٤) .

(٢) كرَّر الراغب ذكر هذا القسم في المفردات ص (٤٤٤) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩٤) بسنده عن مقاتل ، ونسبه لمقاتل أيضاً ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧)، وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل .

(٤) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المقرئ المفسر الإمام، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، أخذ التفسير عن ابن عباس ، روى عن أبي هريرة وجابر وابن عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وُلِدَ بمكة سنة ٢١ هـ وتوفي بالكوفة سنة ١٠٤ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢)، تقريب التهذيب ص (٥٢٠)، طبقات المفسرين (٢/ ٣٠٥) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ١٧٧)، وابن خيرون في «تفسير مجاهد» ص (٢٤٨)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٥ ـ مخطوط) . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٥٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧) .

قتادة[1]: المحكمُ الناسخُ الذي يُعملُ به، والمتشابه: المنسوخُ[2]. وقول الأصم[3]: المحكمات ما حججهُ ظاهرةٌ، والمتشابه ما حججهُ غامضةٌ[4]. وقول غيرهم: المحكم ما أُجْمع على تأويله،

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي البصري أبو الخطاب المفسّر المحدِّث الفقيه، ثقة ثبت، روى عن أنس بن مالك، اشتهر بقوة حفظه، له: التفسير والناسخ والمنسوخ، ولد سنة ٦١هـ، وتوفى سنة ١١٨هـ بواسط في الطاعون. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١)، تقريب التهذيب ص (٤٥٣)، طبقات المفسرين (٢/ ٤٧).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ١٧٥) وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم دون إسناد، فقال: وروي عن عكرمة ومجاهد والضحاك ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والسدي قالوا: المحكم الذي يُعْمَل به. وأخرجه ابن المنذر في تفسيره، بسنده عن الضحاك وقتادة. انظر: تفسير ابن المنذر (ق ٥ ـ مخطوط) وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره بسنده إلى الضحاك. انظر: تفسير عبد بن حميد المخطوط بهامش تفسير ابن أبي حاتم (ق ٥). وأورده ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٥٠).

(٣) عبدالرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي، ذكره القاضي عبدالجبار في طبقات المعتزلة، وعدّه ابن حجر في طبقة أبي الهذيل العلّاف، له تفسير على طريقة المعتزلة، ينقل عنه الرازي في تفسيره. توفي سنة ٢٠٠هـ وقيل ٢٠١هـ، انظر: الفهرست لابن النديم ص (٢٩٨)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٢)، لسان الميزان (٣/ ٤٢٧)، طبقات المفسرين (١/ ٢٧٤).

(٤) ذكر هذا القول فخر الدين الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٤٨) ونسبه للأصم.

والمتشابه ما اختلف فيه[1]، فكلُّ هذه الأقوال مثالاتٌ لبعض ما انطوت عليه هذه الجملة. ثم جميع ما ذكرنا من المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا مرية فيه أنْ لا سبيل إلى المراد بتأويله، وهو بعض ما تَعْرِضُ فيه الشبهة من جهة المعنى كمجيء الساعة، وحقيقة ذاته[2]. وضرب لا خلاف أن للإنسان سبيلًا إلى معرفته، وذلك ما كان اشتباهه من جهة ما يعرض له من عموم وخصوص ووجوب وندب وغير ذلك مما تقدم ذكره، وكذا ما تعرض فيه الشبهة من جهة غرابة اللفظ، وما هو مترددٌ بين الأمرين، يجوز أن يُختَصَّ بمعرفته بعض الراسخين في العلم[3]/ [١٩٨/أ] نحو علي[4]

---

(١) ينسب هذا القول إلى جعفر بن محمد، ومحمد بن جعفر بن الزبير والشافعي، وابن الأنباري وابن خويز منداد. انظر: جامع البيان (٦/ ١٧٧)، وزاد المسير (١/ ٣٥١)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٦).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التأويل الذي اختصَّ الله به فحقيقة ذاته وصفاته، كما قال مالك: والكيف مجهول، فإذا قالوا: ما حقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره، قيل: هذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله». مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١٢).

(٣) الراسخون في العلم هم: «الذين تمكَّنوا في علم الكتاب، ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى، بحيث لا تُروَّج عليهم الشبه». انظر: التحرير والتنوير (٣/ ١٦٤).

(٤) أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي، ابن عم =

وابن عباس[1] وغيرهما مما قال النبي ﷺ: «**اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل**»[2]. وهذه الجملة إذا تُصُوِّرت

= رسول الله ﷺ وزوج ابنته، رابع الخلفاء الراشدين، أول من آمن بالنبي ﷺ من الصبيان، وُلد بمكة سنة ٢٣ قبل الهجرة، واستشهد سنة ٤٠ هـ. انظر: حلية الأولياء (١/ ٦١)، الإصابة (٤/ ٤٦٤)، التقريب ص (٤٠٢).

(١) **أبو العباس** عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، وترجمان القرآن، لازم رسول الله ﷺ وأكثر من الرواية عنه، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، تُوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ. انظر: حلية الأولياء (١/ ٣١٤)، والإصابة (٤/ ١٢١). (٣/ ٣٣١)، و التقريب ص (٣٠٩).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥) وابن حبان رقم (٧٠٥٥). وأخرجه بنحوه البخاري في «العلم»، باب قول النبي ﷺ: «**اللهم علِّمه الكتاب**» رقم (٧٥) وفي الوضوء رقم (١٤٣) باب وضع الماء عند الخلاء. وفي فضائل الصحابة رقم (٣٧٥٦) باب «ذكر ابن عباس رضي الله عنهما. وفي الاعتصام رقم (٧٢٧٠) وأخرجه بنحوه مسلم رقم (٢٤٧٧) في «فضائل الصحابة» باب فضائل عبدالله بن عباس والترمذي رقم (٣٨٢٤) في المناقب، باب مناقب عبدالله بن عباس. وابن ماجه رقم (١٦٦) في المقدمة باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ. والنسائي رقم (٦٦) في فضائل الصحابة.

عُلِم أن من رأى الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] واستأنف ما بعده فلنظره إلى الضرب الأول من المتشابه، ومن وصل ذلك وجعل قوله: ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ عالمين به، فلنظره إلى الضرب الثاني[2]، والأظهر من الآية القول الأول[3]، وما قال بعضهم: إنه لو جاز أن يخاطبنا ثم لا يُعرِّفنا مراده، لجاز أن يخاطبنا بكلام الزنج والروم[4]، فالجواب عنه: أن كلام الروم والزنج لا يُعْلَمُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) هذه الفقرة بكاملها من قوله: «وقد تجعل هذه الأقسام ثلاثة، أحدها محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه» حتى هذا الموضع، والتي شغلت ثمانية وعشرين سطراً من المخطوط، ذكرها الراغب بكاملها في كتابه المفردات ص (٤٤٣-٤٤٥) مع اختلاف يسير في الألفاظ. كما نقلها السيوطي في الإتقان (٢/ ٥)، ونسبها إلى الراغب في المفردات.

(٣) يلاحظ أن الراغب رجّح هنا الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، بينما ذكر هذا القول والقول الآخر في المفردات ص ٤٤٥، وجوّزهما معاً دون ترجيح بينهما. وهو بهذا الترجيح يختار قول ابن عباس في رواية طاوس عنه، كما في تفسير ابن المنذر، وقول عائشة وابن مسعود وأبي والحسن وعروة بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز وطاوس وأبي نهيك الأسدي وغيرهم، وهو أيضاً قول ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٠١)، تفسير ابن المنذر (ق ٧ ـ مخطوط)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٠).

(٤) انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٦)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٥). =

منه المراد مجملًا، ولا مفصلًا، والمتشابه يُعلم منه مراده مجملًا وإن لم نعلمه مفصلًا، لأن كل آية قد فسَّرها المفسرون على أوجه، فمعلوم أن المراد لا يخرج منه، ثم تعيين مراد الله تعالى منها غير معلوم، وهذا ظاهر[1]. على أنه لم يكن يمتنع أن يكلفنا تعالى

= والزنج: جيل من السودان، يتميز بالجلد الأسود والشعر المجعد والشفة الغليظة والأنف الأفطس، يسكن حول خط الاستواء، وتمتد بلادهم من المغرب إلى الحبشة. والروم: جيل معروف، واحدهم رومي، ينتمون إلى رجل اسمه روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام. انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٥٨)، والقاموس المحيط ١٤٤١، وتاج العروس ١٦/ ٣٠٧، وسبائك الذهب ص (٣٠، ٣٤)، ونهاية الأرب ص (٣٦).

(١) وأجود من هذا الجواب قول ابن كثير: «ومن العلماء من فصَّل هذا المقام قال: «التأويل يُطلق ويُراد به في القرآن معنيان: أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد. فإن أُريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة، لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ أي بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء=

تلاوة أحرف لا نعرف معناها، فيثيبنا على تلاوتها، كما يُكلِّفنا أفعالاً لا نعرف وجه الحكمة فيها، ليثيبنا عليها[1]، فالتلاوة فعل يختصُّ باللسان، ومن جعل قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ معطوفًا جعل قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ في موضع الحال للمعطوف دون المعطوف عليه، كما في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[2] حال للمعطوف دون المعطوف عليه.

إن قيل: لِمَ خص الراسخين بأنهم يقولون آمنا به؟ قيل: لأن معرفة ما للإنسان سبيل إلى معرفته مما لا سبيل له إلى معرفته هو من علوم الراسخين، لأن الحكماء[3] هم الذين يُميّزون بين ما يمكن علمه وما لا يمكن أن يُعلم، وما الذي يُدرك إن طُلب

= على كنه ما هي عليه. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٨)، ولعله يشير بقوله: «ومن العلماء» إلى شيخ الإسلام ابن تيمية حيث تكلم بهذا الكلام في مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٨، ٢٨٩).

(١) وقد مثّل الراغب لذلك ببعض الحركات التي تحصل في كثير من العبادات في الصلاة والحج، قال: وعلى ذلك حمل قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ أي أنهم أُمِروا بالتفوه بهذه اللفظة. انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٨).

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٣) انظر في هذا المعنى: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٩١)، والمفردات ص (٢٤٩)، والحكماء: هم الفلاسفة. انظر: المعجم الفلسفي (١/ ٤٩٣)، والمعجم الوسيط (١/ ١٩٠). والراغب يقصد بالحكماء هنا: الراسخين في العلم من علماء المسلمين.

والذي لا يُدرك، وعلى أيِّ غاية يجب أن يقف طالب العلم، وأي مكان يتجاوزه، وهذا أشرف منزلة للحكماء، ولذلك قالت عائشة[1] رضي الله عنها: «من رسوخ علمهم الإيمان بمحكمه ومتشابهه وإن لم يعلموا تأويله»[2] إن قيل: ما فائدة الإتيان بالمتشابه في القرآن؟[3] قيل: فوائد جمة، منها: أن يبيِّن تشريف العلماء بتميُّزهم عن غيرهم، ومنها: رياضة العقول في تعرُّفها، ومنها: استحقاق الثواب بتعبِ الفكر فيه، ومنها: إظهارُ شرف

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق، هي أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، كانت أفقه نساء الأمة، وفضائلها مشهورة، توفيت سنة ٥٧ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٣)، الإصابة (٨/ ٢٣١)، تقريب التهذيب ص (٧٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر، ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا منه.

(٣) عقد الراغب في مقدمة جامع التفاسير فصلًا في بيان حكمة الله تعالى في جعله بعض الآيات متشابهاً. انظر: مقدمة جامع التفاسير ص (٨٩)، وقد تعرَّض بعض المفسرين: كالزمخشري وابن الجوزي والرازي وأبي حيان لفائدة الإتيان بالمتشابه في القرآن، فذكروا نحواً مما ذكره الراغب، وزادوا عليه. انظر: الكشاف (١/ ٣٣٨)، زاد المسير (١/ ٣٥١)، التفسير الكبير (٧/ ١٤٩)، البحر المحيط (٢/ ٣٩٨).

الفكر، ليعلم أنه لم يجعل الإنسان عبثًا، ومنها: حثُّ من أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[1] على أن يتدبره، لأنهم إذا سمعوا ما في ظاهر[ه][2] التنافي تأملوه طلبًا لردِّه، فيصير ذلك سببًا أن يعرفوه لمعرفتهم بإعجازهم ولزوم الحجة به، ومنها: أن يصير سببًا لاعتراف الإنسان بعجزه ومعرفة نقصه، ومنها: أن يصير الناسُ/ [١٩٨/ب] تبعًا للأنبياء وأُولي الأمر الذين حثّ على اتباعهم بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[3] وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾[4] فذمٌ لهم بأنهم لزيغهم يتحرّون طلب الفتنة[5]، وقدّم

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٢) في الأصل: ظاهر. والصواب ما أثبته.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧. والزيغ: الميل عن الاستقامة. انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٤١)، والمفردات ص (٣٨٧) والمعجم الوسيط ص (٤٠٧). أما معنى الزيغ في الآية، فقد ذكر المفسرون أنه العناد والشك والميل عن الهدى. انظر: جامع البيان (٦/ ١٨٣)، زاد المسير (١/ ٣٥٣)، والبحر المحيط (٢/ ٣٩٩).

(٥) قال ابن الجوزي: وفي المراد بالفتنة هٰهنا ثلاثة أقوال، أحدها: أنها الكفر، قاله السدي والربيع ومقاتل وابن قتيبة. والثاني: الشبهات، قاله مجاهد. والثالث: إفساد ذات البين، قاله الزجاج. انظر: زاد المسير (١/ ٣٥٤)، =

ذكر الفتنة تنبيهاً أن قصدهم إلى إيقاع الفتنة قبل طلب تأويله، وهذا القصد باتفاق أهل العقول كلها مذموم، فإن قيل: هب أن اتباع طلب الفتنة مذموم. فكيف ذُمُّوا بابتغاء تأويله؟ قيل: طلب التأويل من نفس المتشابه مذموم، إذ لا سبيل إلى تبيُّنه منه، وإنما طلب الحق يجب أن يكون بردِّه إلى المحكم[1] وإلى الرسولِ وإلى أولي الأمر، حسب ما نبّه عليه تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[2] الآية. وكلٌّ له حالتان: أحدهما: أن يكون تابعًا على طريق التأكيد، فلا يُحذف منه ضمير ما أُكِّد به، نحو: مررت بالقوم كلِّهم. والثاني: أن تجعلَه مُخبرًا عنه، فيصحُّ الحذف منه إيجازًا، نحو: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾[3]، وفي

= والبحر المحيط (٢/ ٤٠٠).

(١) قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، «وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك، فإنه معنيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بدعةً فمال قلبه إليها، تأويلًا منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاجّ به، وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات، إرادة منه بذلك اللَّبس على أهل الحق من المؤمنين، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائناً من كان». انظر: جامع البيان (٦/ ١٩٨).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٨.

قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] على هذا.

والتذكُّر هاهنا: هو الاتعاظ، ولم يجعل ذلك إلا لصفو الخلائق، لما تقدم أن معرفة ما يصح أن يُطلب ويُعلم مما لا يصحُّ فيه ذلك أشرفُ منزلة في العلم.

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[2] الوهاب[3]: قيل معناه: لا تزغ قلوبنا عن الثواب في الآخرة[4]، وقيل: لا تنسبها إلى الزيغ، ولا تحكم عليها بذلك[5]. وقيل: لا تفعل بنا من الإكرام ما يؤدي إلى الزيغ، فكأن الإزاغة إعطاء الخيرات الدنيوية المثبطة عن الخيرات الأخروية المشار إليه بقوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[6] ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من وسع

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) وهو قول أبي علي الجبائي المعتزلي. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٢).

(٥) وهو قول الكعبي من المعتزلة. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٥٦).

(٦) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

عليه دنياه ولم يعلم أنه مُكر به، فهو مخدوع عن عقله»[1]، وقيل معناه: لا تكلفنا أمرًا شاقًّا: كقتل النفس، والخروج من الديار[2] المذكورين في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[3]. وقيل: معناه لا تمنعنا التوفيق[4]، فجعل منع التوفيق إزاغة للقلوب من حيث إنه يؤدي إليها[5]، إشارة إلى ما قيل: أقطع ما يكون المجتهد إذا

---

(١) ذكره الراغب في المفردات ص (١٤٦) وهو في ربيع الأبرار للزمخشري (١/ ٤٥).

(٢) وهو قول الأصم والزمخشري من المعتزلة، واستحسنه الزجاج. انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٩)، والكشاف (١/ ٣٣٩)، والتفسير الكبير (٧/ ١٥٦).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٤) وهو قولٌ للجبّائي المعتزلي والقاضي عبدالجبار المعتزلي والزمخشري. انظر: الكشاف (١/ ٣٣٩)، والتفسير الكبير (٧/ ١٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٢).

(٥) ما ذكره الراغب من أقوال في معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة في نسبة الأفعال إلى الله تعالى من خير أو شر، وأنه تعالى خالقها، وهذه الآية حجة لأهل السنة والجماعة على القدرية والمعتزلة، ولهذا فقد صرف المعتزلة لفظ الآية عن ظاهره وأتوا بتأويلات منتحلة. أما أهل السنة فقد أجمعوا على أن الله تعالى يهدي من يشاء فضلًا، ويضل من يشاء عدلاً، ولذلك فقد فسروا هذه الآية بظاهرها فقالوا: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي: لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه. =

[١٩٩/أ] خذله التوفيق، وإياه قصد الشاعر/ بقوله:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده[(١)]

ونحو قوله: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ ما روي أن النبي ﷺ كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك» فقالت له عائشة: وهل تُقلّب القلوب؟ فقال: «إن قلوب العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء»[(٢)].

والهبة: تمليك الشيء غيره من غير ثمن[(٣)]. ولدُنْ: فيه

= انظر: شرح الطحاوية ص (٢٣٢ وما بعدها)، وجامع البيان (٦/ ٢١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٠١) وتفسير السمعاني (١/ ٢٩٦)، وتفسير زاد المسير (١/ ٣٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢٩).

(١) البيت ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: المحاضرات (٢/ ٤٥٣)، ومجمع البلاغة (١/ ٣٦٩). وهو في الديوان المجموع له ص (٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٩١، ٢٥١)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٢٢٤) وله شاهد من حديث أم سلمة، أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٢)، والطبري في جامع البيان (٦/ ٢١٤) والترمذي في سننه رقم (٣٥٢٢) وقال الترمذي: حديث حسن. وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة رقم (٢٢٣).

(٣) الهبة في اللغة: التبرع. وفي الشرع: تمليك العين بلا عوض. انظر: المفردات=

لغات[1]، قيل: لَدُنْ، ولُدُن بضمتين، ولَدَن بفتحتين، ولَدْن بالسكون مع فتح اللام وضمه، وقيل: بكسر النون، وقيل: لدُ بحذف النون، ولدى، ونبه تعالى بقوله: ﴿هَبْ لَنَا﴾ أن من حق العبد أن لا يلفت له إلى شيء من العمل وطلب العوض به، بل يرجو رجاء المفاليس الطالبين للتفضل والهبة لا العوض[2]،

= ص (٨٨٤)، واللسان (١/ ٨٠٣)، والتعريفات للجرجاني ص (٢٥٦).

(١) قال النحّاس: «فيها تسع لغات: لغة أهل الحجاز (لَدُنْ) ويُقال (لَدَن) بإسكان النون و(لدُنِ) بكسرها قال الفرّاء: «بعض بني تميم يقول (لَد) قال العجاج: من لَدُ شَوْلاً فإلى اتلائها» وحكى الكسائي (لَدَ يا هذا) وحكى أبو حاتم (لَدْ) بإسكان الدال، قال الفرّاء: ربيعة تقول: من لَدْنِ يا هذا، بإسكان الدال وكسر النون، وأسد يقولون: (لُدُنْ) بضم اللّام والدال وإسكان النون، وحكى أبو حاتم (لَدْنُ يا هذا) بضم اللام وإسكان الدال، ويُقال لَدى بمعنى لَدَن. انظر: إعراب القرآن (١/ ٣٥٨). وانظر: اللسان (١٣/ ٣٨٣)، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ص (٢٠٨)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/ ٢٤٠)، والقاموس ص (١٥٨٧)، والمفردات ص (٧٣٩).

(٢) أشار إلى هذا المعنى بعض المفسرين. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٠٣). ويشهد لهذا المعنى قول النبي ﷺ: **«لن ينجي أحداً منكم عملُهُ» فقال رجل: ولا إياك يا رسول الله؟ قال: «ولا إياي، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة»، أخرجه البخاري في الرقاق رقم (٦٤٦٣)** باب القصد والمداومة على العمل، ومسلم في صفات المنافقين رقم (٢٨١٦)،=

وإنما قال: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ لأنه لما كانت الهبة ضربين: هبة عن عوض، وهبة لا عن عوض. نبَّه بقوله: ﴿لَّدُنكَ﴾ أن هذه الهبة اعترافٌ أن بتفضله يُدرك ما يُدرك في الدنيا والآخرة، نحو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[2] إن قيل: كيف قال: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقد وقع فيه ريب الملحدة[3] والمغلطة[4] حتى حكى الله تعالى في إبطالهم إياه ما حكى؟ قيل: قد تقدّم في مبتدأ سورة

= باب لن يدخل أحد الجنة بعمله. عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٣) الملحد: الطاعن في الدين، المائل عنه، والجمع ملاحدة، وملحدون. والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب: فالأول ينافى الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه ولا يبطله. انظر: المفردات ص (٧٣٧)، القاموس المحيط ص (٤٠٤)، المعجم الوسيط ص (٨١٧).

(٤) المغلِّطة: الذين ينسبون الغلط إلى القرآن. يقال: غلَّطة وأغلطه: إذا نسبه إلى الغلط، والغلط خلاف الإصابة. انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٩٠)، ولسان العرب (٧/ ٣٦٣)، والمعجم الوسيط ص (٦٥٨).

البقرة الفرق بين الريب والإرابة[1]، وأن الذي وقع منهم الإرابة لا الريب[2]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ يصح أن يكون [استئنافًا][3] من الله، وأن يكون من جملة قولهم، والحكاية عنهم[4]، والفائدة في العدول عن الخطاب إلى الخبر، وتخصيص لفظ «الله» بذلك تنبيهٌ أن الذي اختُصِصْنا بعبادته هذا فعله، ولم يُرد بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ في جمعنا فقط، بل في كل وعْدٍ، فإن ذلك كالعلة لما قدمه، كأنه قيل: الله لا يُخلفُ

---

(١) ذكر الراغب خمسة أجوبة لذلك التساؤل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في سورة البقرة: الأول: أن ذلك نفي على معنى النهي، نحو قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ والثاني: أنه يقال: رابني كذا إذا تحققت منه الريبة. وأرابني: أوهمني الريبة. والثالث: أن يقال: هذا لا ريب فيه، والقصد إلى أنه حقّ، تنبيها إلى أن الريب يرتفع عنه عند التدبر والتأمل. والرابع: أنه لا ريب فيه في كونه مؤلفاً من حروف التهجي، وقد عجزتم عن معارضته. والخامس: لا ريب فيه للمتقين. انظر: تفسير سورة البقرة للراغب (ق ١١ ـ مخطوط)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٤)، والتحرير والتنوير (٣/ ١٧١).

(٢) هذا هو الوجه الثاني مما تقدم ذكره.

(٣) في الأصل: «استئناف»، وما أثبته هو الصواب.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، والتفسير الكبير (٧/ ١٥٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٠٤).

الميعاد، وقد وعدنا أن يجمعنا ليوم لا ريب فيه، فإذًا هو جامعنا لا محالة.

إن قيل: لِمَ قال: ﴿لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾، ولم يقل (في)؟ قيل: لأنه أراد بقوله جامع الناس: حافظُهم ومحصيهم لذلك اليوم، كما قال: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾[1]، وكقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ/ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[3] بيّن أن أعراض الدنيا وإن كانت نافعة في بعض الأمور الدنيا، فليست مغنيةً عن الكافرين يوم القيامة، كقوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾[4] فإن قيل: فهل يغني عن المسلم حتى خصَّ الكافرين في هذا المكان؟ قيل: بلىٰ، لأنه إذا تحرى في ذلك أحكامه كان أحد معاونه في وصوله[5]، ولذلك قال: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[6] وقوله: ﴿عَنۡهُمۡ﴾ لاقتضاء

[١٩٩/أ]

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٢٨.

(٥) تصحفت في الأصل إلى (أصوله) والصواب ما أثبته.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧٧.

الكلام معنى الدفع، كأنه قال: لن يُغني ذلك دافعًا عنهم[1]، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[2] كقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾[3].

قوله عز وجل: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4] الدأب: العادة التي عليها يدوم صاحبها، وهو أخص من العادة، ومنه أدأب في سيره[5]، ولذلك قال الفرّاء[6]: الدأب لزوم الحال التي فيها[7].

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٢٢٢)، زاد المسير (١/ ٣٥٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٠٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١.

(٥) انظر معنى الدأب في: «العين»(٨/ ٨٥)، معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، مجاز القرآن (١/ ٨٧)، والمخصَّص لابن سيده (١٢/ ٧٤).

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي أبو زكريا، نزيل بغداد، النحوي المشهور صدوق، مولى بني أسد، إمام الكوفيين في النحو واللغة والأدب، من كتبه: «معاني القرآن» و«المصادر» و«المذكر والمؤنث»، وُلِد سنة ١٤٤ هـ، وتُوفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢)، التقريب ص (٥٩٠)، طبقات المفسرين (٢/ ٣٦٧).

(٧) لم أجد هذا القول المنسوب للفراء في «معاني القرآن»، وقد نسبه إليه أبو حيان وعزاه إلى كتاب «المصادر» للفراء. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٠٦).

وقال ابن عباس: هو الصنع[1]، لأن الدأب يقتضي الصنع. وقال أبو علي الجبَّائي[2]: الدأب طول الكون في الشيء كافة، ككون آل فرعون في النار[3]. والذنب والجرم واحد، لكن الجرم يقال اعتباراً بالاكتساب، تشبيها باجترام الثمرة[4]، والذنب يقال اعتبارًا بما يستحق به في آخره، مأخوذ من الذنَب، وعلى هذا قيل له: التبعة، وبنحوه سُميت العقوبة عقوبة، وقيل: سُمي الذنب اعتبارًا بذَنَوب الإنسان منه، أي نصيبه[5].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٢٤). وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٣). وأخرجه ابن المنذر في تفسيره بسنده عن الضحاك، أنه قال: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾: كفعل. انظر: تفسير ابن المنذر (ق ٩ - مخطوط) وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٠) ثم قال: وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السكن الجبَّائي البصري، إليه تنسب الطائفة الجبائية، من كبار مفسِّري المعتزلة، انتهت إليه رئاستهم في البصرة، من مصنفاته: تفسير القرآن، متشابه القرآن، تُوفي بالبصرة سنة ٣٠٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٨)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٢٥)، وطبقات المفسرين (٢/ ١٩١).

(٣) ذكر هذا القول فخر الدين الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٦٢) ولم ينسبه إلى أحد.

(٤) اجترام الثمرة: قطعها. لسان العرب (١٢/ ٩٠).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٤٦) ٢/ ٣٦١)، والمخصص (١٣/ ٧)، والمفردات ص (١٩٢، ٣٣١).

إن قيل: بِمَ يتعلق قوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾؟ قيل في ذلك: **الوجه الأول**: أن يتعلق بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾: كحال متقدمي آل فرعون. **الثاني**: بقوله: ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ ﴾. **الثالث**: بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ وتقديره: إن دأب الذين كفروا كدأب آل فرعون، وتكون ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ ﴾ حالاً للذين. **والرابع**: أن يجعل قوله: ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ غير داخل في صلة ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فتتعلق به كأنه كذّب آل فرعون والذين من قبلهم. **الخامس**: أن يتصل بمحذوف تقديره: دأبهم في كفرهم، واستحقاق عذابهم كدأب آل فرعون[1].

قوله عز وجل: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[2]/ قال ابن عباس وقتادة وابن إسحاق[3]: [٢٠٠/أ]

---

(١) قال ابن عطية: والكاف في قوله: ﴿ كَدَأْبِ ﴾ في موضع رفع، التقدير: دأبهم كدأب، ويصح أن يكون الكاف في موضع نصب. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٦)، وذكر السمين الحلبي هذين الوجهين، وعدَّ في الوجه الثاني -وهو النصب- تسعة أقوال ضمنها الخمسة المذكورة هنا. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٤٠٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن كوتان المديني، مولى قيس بن مخرمة، يكنى أبا بكر، وقيل أبا عبدالله، إمام أهل المغازي، صدوق يُدلِّس من=

لما قتل من قتل يوم بدر[1] جمع النبي ﷺ اليهود، فدعاهم إلى الإسلام، وحذرهم مثل ما نزل بقريش[2]، فأبوا، وقالوا: لسنا كقريش الأغمار[3] إن حاربتنا لتعرفن حالنا، فأنزل الله عز وجل الآية[4]، فقوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يصح أن يكون يعني

= صغار الخامسة، رُمي بالتشيّع والقدر، ولد سنة ٨٠ هـ بالمدينة، وتُوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨)، والتقريب ص (٤٦٧).

(١) بدر: اسم بئرٍ وعنده وقعت المعركة المشهورة باسمه في السنة الثانية من الهجرة، وهي الآن بلدة كبيرة عامرة على بعد ١٥٠ كيلًا من المدينة المنورة تقريباً، انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢٣١) والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص (٤٤).

(٢) قريش: قبيلة عظيمة منها المصطفى ﷺ، وقريش هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وموطنها الأصلي مكة المكرمة، ثم تفرَّقت في الأقطار الإسلامية، ولا يزال لهم بقايا في مكة والطائف. انظر: جمهرة النسب للكلبي ص (٢١)، ومعجم قبائل الحجاز ص (٤١٩).

(٣) الأغمار: جمع غُمر بالضم، وهو من لم يُجرِّب الأمور. انظر: مجمل اللغة ص (٥٣٦)، والقاموس المحيط ص (٥٨٠)، ومختار الصحاح ص (٤٨٠).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٢٧)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٧٣) عن ابن، عباس وذكره محمد=

الفريقين: اليهود والمشركين[1]، كقوله: ﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2] ففسر الذين كفروا في الآيتين بهما جميعًا[3]، وقُرئ (ستُغلبون) و (سيغلبون)[4]، أما بالياء فنحو ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟﴾[5] وقوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾[6] وأما بالتاء، فنحو ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[7]، وقيل: عنى بالذين كفروا

= بن إسحاق في مغازيه فيما أورده ابن هشام في السيرة عنه (٣/ ٦٩)، والواحدي في أسباب النزول ص (٩٨)، وقد ورد ذلك أيضاً من رواية عكرمة وقتادة. أما رواية عكرمة فرواها ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٢٨) وابن المنذر في تفسيره (ق ٩ ـ مخطوط)، وأما رواية قتادة فرواها ابن جرير (٦/ ٢٢٨) وابن أبي حاتم في تفسير القران العظيم (٢/ ٦٠٤).

(١) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٧) ونسبه إلى أبي علي الفارسي في الحجة. ورجحه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٣) في الأصل: ففسر الذين كفروا في الآية في الآيتين بهما جميعاً. ولا يصح معناه، ولعله خطأ من الناسخ.

(٤) قرأ حمزة والكسائي: «سيُغلبون ويحشرون». انظر: التلخيص ص (٢٣٠) والمبسوط ص (١٤٠)، والغاية ص (٢٠٩)، وزاد صاحب المبسوط والغاية خلفاً، وقرأ الباقون ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ١٤.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨١. وموضع الشاهد قوله تعالى في آخر الآية: =

اليهود[١]. وقوله: ستُغلبون، للمشركين، فعلى هذا لا يكون إلا بالياء.

إن قيل: كيف أطلق هذا الحكم وقد كان منهم من آمن؟ قيل: إن الحشر إلى النار متعلِّق بوجود الكفر منهم، وإذا ارتفع الكفر ارتفع به الحكم، وقوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ يجوز أن يكون من جملة ما أُمِرَ به أن يقال لهم، ويجوز أن يكون استئنافَ كلامٍ منه تعالى[٢].

قوله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[٣]

= ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾.

(١) اختاره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٢٧، ٢٢٩) واستدل عليه بالأثر السابق في سبب نزول الآية وغيره، وقد نسبه أبو حيان في البحر المحيط إلى الفراء، وابن الأنباري. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤١٠). والصواب أن الفراء لم يختر هذا القول، بل ساقه والقول الآخر، وذكر أن من قرأ: (سيغلبون) بالياء ذهب إلى مخاطبة اليهود. ومن قرأ (ستغلبون) بالتاء جعل اليهود والمشركين داخلين في الخطاب. انظر: معاني القرآن (١/ ١٩١).

(٢) نقل أبو حيان هذا القول، ونسبه إلى الراغب. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

العبرة: ما يُعبر به من الجهل إلى العلم، ومن الحسِّ إلى العقل، وأصله من عبور النهر، ومنه: العِبارة؛ لأنها جُعلت كالمعبر، لتأدية المعنى من نفس القائل إلى نفس السامع، وخُصَّ التعبير بتفسير الرؤيا، وباعتبار المَرْأُونَ بالشبح، وجعل العَبْرة للدمعة السائلة، وأصله فَعْله مِن عبر[1]، وقوله: ﴿فِئَةٌ﴾ يجوز رفعه على الاستئناف على تقدير: منهم فئة، والجر على البدلِ، والنصب على الحال، ونحوه مما يجوز فيه الأوجه الثلاثة[2] قول الشاعر:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت[3]

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٨)، والصحاح (٢/ ٧٣٢-٧٣٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٠٧-٢١٠)، والمفردات ص (٥٤٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ١٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٨)، حيث أشاروا جميعاً إلى هذه الأوجه الثلاثة، وجوّزوها من حيث اللغة، وقد قرأ بالخفض الحسن ومجاهد وحميد، وهي قراءة شاذة وقرأ بالنصب ابن السَّمَيفَع وابن أبي عبلة، وقراءة الجمهور بالرفع. انظر: مختصر القراءات لابن خالويه ص (١٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٥٩)، والمبسوط ص (١٤٠)، والغاية ص (٢٠٩) والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٣٨). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٠)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٤٣)، والجامع لأحكام القرآن القرطبي (٤/ ٢٥)، والدر المصون (٣/ ٤٤).

(٣) البيت لكثيّر عزة، انظر: ديوانه (ص ٩٩). وانظر: كتاب سيبويه (١/ =

وإنما يجوز البدل فيما إذا كان بدلٌ بقدر المبدَل منه، فأما إذا نقص فليس إلا الاستئناف، نحو مررت بثلاثة: صريعٌ وجريحٌ[(١)].
والآية معطوفة على ما تقدم تقديره: وقل لهم قد كان لهم آية، [٢٠٠/ب] وقُرئ/ (ترونهم) بالتاء[(٢)] على أن يكون خطابًا لليهود، أي ترون المشركين مثلي المسلمين في العدد، ويرون بالياء أي يرون[(٣)] المسلمون الكافرين مثليهم[(٤)]. إن قيل: ما وجه ذلك وقد كانوا

= ٤٣٣)، والمقتضب (٤/ ٢٩٠)، والخزانة للبغدادي (٢/ ٣٧٦).

(١) قال سيبويه: «مررت بأربعة؛ صريعٌ وجريحٌ، لأن الصريع والجريح غير الأربعة، فصار على قولك: منهم صريع ومنهم جريح. انظر: كتاب سيبويه (١/ ٤٣١- ٤٣٤)، والمقتضب (٤/ ٢٩٠-٢٩٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٣٨١)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٠)، والمغني ص (٦١٤، ٦١٥).

(٢) قرأ بها نافع ويعقوب، انظر: التلخيص ص (٢٣)، والمبسوط ص (١٤١)، والغاية ص (٢٠٩)، وزاد صاحب المبسوط: أبا جعفر، وزاد في الغاية: سهلًا: أبا حاتم السجستاني.

(٣) الأولى: (يرى)، لأنه مسند لفاعل ظاهر وهو: (المسلمون)، ولهذا قدّرها جامع العلوم الأصبهاني في كشف المشكلات (١/ ٢١٨).

(٤) قال ابن جرير الطبري: اختلفت القرأةُ في قراءة ذلك، فقرأته قرأة أهل المدينة ﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالتاء بمعنى: قد كان لكم أيها اليهود عبرة في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة، ترون المشركين مثلي المؤمنين رأي العين، يريد بذلك عظتهم... وقرأ ذلك عامة أهل الكوفة والبصرة=

ثلاثة أمثالهم، فقد رُوي أن المشركين كانوا تسعمائة وخمسين إلى ألف، والمسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشرة؟ قيل في ذلك أقوال: **أحدها**: ما قاله الفرّاء: وهو أن يقول الرجل لغيره: احتاج إلى مثلك، أي احتاج إليك وإلى آخر، وعلى هذا احتاج إلى مثليك يكون محتاجاً إلى ثلاثة[1]، فكأنه قيل: يرونهم ثلاثة أمثالهم، وهذا لا يساعده اللفظ، لأنه لو كان كما يقول لقال: يرونهم ومثليهم. **والثاني**: ما قاله ابن عباس: إن الله عز وجل [أرى][2] المسلمين أن المشركين هم ستمائة وكسر[3].

= وبعض المكيين ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ بالياء بمعنى: يرى المسلمون الذين يقاتلون في سبيل الله الجماعة الكافرة مثلي المسلمين في القدر. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٣٣).

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩٤). وقد خطّأ الزَّجّاج الفراء في هذا القول، وأبطله في اللغة وفي المعنى. انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨١). وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٢٦-٢٧)، حيث نقل قول الفرّاء، وردّ عليه بقوله: «والمعنى على خلاف ما قال واللغة، والذي أوقع الفرّاء في هذا: أنّ المشركين كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين يوم بدر، فتوهَّم أنه لا يجوز أن يكونوا يرونهم إلا على عدتهم، وهذا بعيد، وليس المعنى عليه؛ وإنّما أراهم الله على غير عدتهم لجهتين: إحداهما: أنه رأى الصلاح في ذلك، لأن المؤمنين تقوى قلوبهم بذلك، والأخرى: أنه آية للنبي ﷺ».

(٢) ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٣) الثابت عن ابن عباس أنه قال: فإن المؤمنين كانوا يومئذٍ ثلاثمائة وثلاثة=

وكان[1] قد أخبر أن المائة من المسلمين تغلب المائتين، فأراهم المشركين على قدر ما أعلمهم، ليقوِّي قلوبهم، وأرى المشركين أن المسلمين أقل من ذلك. ومع ذلك ألقى في قلوبهم الرعب،

= عشر رجلًا، وكان المشركون مثليهم. فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾، وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة، فأيد الله المؤمنين. أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٣)، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال الطبري بعد ذكره لرواية ابن عباس رضي الله عنه: وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر. وأشار ابن كثير رحمه الله إلى ضعف هذا القول أيضاً، فقال: «وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور أن المشركين كانوا بين تسعمائة إلى ألف». والذي يظهر أن الراغب قد فهم كلام ابن عباس على غير وجهه، فابن عباس جزم بأن المشركين كانوا ستمائة وكسر حقيقة، ولم يرهم الله ذلك على غير الحقيقة لتقوية قلوبهم كما ذكر الراغب. أما صاحب هذا القول الذي ذكره الراغب فهو الزجاج، حيث نقل الراغب هنا عباراته مع تصرف يسير. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٢)، وقد ذكر ابن عطية هذا القول أيضاً، ونسبه إلى الزجاج. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٠).

(١) في الأصل: «وقد كان قد» والأصح ما أثبته.

فكانوا يرون عددًا قليلًا ورعبًا كثيرًا، وعلى هذا [قال][1] تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[2]، والثالث: أنهم يرونهم مثليهم في الجلادة، أي يرى كل واحد منهم أنه أجلد من الآخر بمثلين، وذلك كقولك: رأيت فلانًا مثلي فلان، فتكون المماثلة راجعة إلى الجلادة[3]، لا إلى العدد، وعلى هذا قد حمل قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾[4] أي في القوة والعُدد، لا في الكثرة والعَدد، (ويُري) هاهنا مُتَعَدٍّ إلى مفعول واحد بدلالة تعليقه بالعين وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ﴾ أي يُكثر تأييده، يقال: إدتُه، أَئِيده، أيْدًا، نحو: بعتهُ. أبيعه، بيعًا، وآيدتُه على التكثير، لكن أيّدت أكثر استعمالاً.[5]

ونصر الله على وجهين[6]: أحدهما بالحجة. والثاني بالغلبة،

---

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

(٣) الجلادة هي الصلابة والصبر على المكروه. انظر: مختار الصحاح ص (١٠٧)، والمعجم الوسيط ص (١٢٩).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.

(٥) انظر: مجمل اللغة ص (٦٢)، والمفردات ص (٩٧)، والقاموس المحيط ص (٣٣٩).

(٦) ذكر هذين الوجهين: الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٦٧)، وأبو حيان=

وقوله ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ فإنه يعني به البصائر لا الجارحة المذكورة[1] في قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[2] ويعني أن في ذلك اعتبارًا للذين هم بخلاف من وصفهم بقوله: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾[3].

قوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ / عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾[4]. [٢٠١/ب]

القنطرة من المال مقدار تُعبر به الحياةُ تشبيهًا بالقنطرة[5]، وذلك غير محدود القدر في نفسِه، وإنما هو بحسب الإضافةِ كالغِنَى، فربَّ إنسان يستغنى بالقليل وآخر لا يستغنى بالكثير،

= في البحر المحيط (٢/ ٤١٣)، والألوسي في «روح المعاني» (٣/ ٩٨) ولكنه ضعّف الوجه الأول.

(١) انظر معاني البصر في: مجمل اللغة ص (٧٨)، والمفردات ص (١٢٧)، والقاموس المحيط ص (٤٤٨).

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨، ١٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٥) القَنْطرة: هي الجسر. انظر: الصحاح (٢/ ٧٩٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٣٧٦)، والقاموس المحيط ص (٥٩٩).

ولِما قلنا اختلفوا في حده فقيل: هي أربعون أوقية[1]، وقال الحسن[2]: ألف ومائتا دينار[3]، وقيل: مِلْءُ مَسْكِ[4] ثورٍ ذهباً[5]،

---

(١) وهو قول ابن سيده في المحكم (٦/ ٣٨٥)، وذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٤)، ونسبه إلى مكي وابن سيده في المحكم. أما مكي فقد قال في العمدة في غريب القرآن (ص ٩٧): القنطار ثمانون ألف درهم، وقيل: ملء جلد ثور. وقال في تفسير المشكل من غريب القرآن ص (١٢٥): القنطار: ألف مثقال. وقيل: مائة رطل. وقيل: ملء مسك ثور ذهباً. وقيل: ثمانية آلاف مثقال.

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، كان يُرسل كثيراً ويُدلِّس، رأى عثمان وعليًّا وطلحة وعائشة رضي الله عنهم، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملًا، وُلد سنة ٢١ هـ وتُوفي سنة ١١٠ هـ. انظر: حلية الأولياء (٢/ ١٣١)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، التقريب ص (١٦٠)، التهذيب (٢/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٩)، وابن المنذر في تفسيره (ق ١١ ـ مخطوط).

(٤) المَسْك: الإهاب أي الجلد. انظر: مجمل اللغة ص (٦٦٥)، والمفردات ص (٧٦٩)، وطلبة الطلبة لأبي حفص عمر بن محمد النسفي ص (١٤٧).

(٥) وهذا قول أبي نضرة وأبي سعيد، أما رواية أبي نضرة فقد أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم عن أبي نضرة عن أبي سعيد (٢/ ٦٠٩)، وابن المنذر في تفسيره (ق ١١ ـ مخطوط). وأما رواية أبي سعيد فقد أخرجها البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣). وابن أبي حاتم في تفسير القران العظيم (٢/ ٦٠٩).

وعلى ذلك عن ابن عباس[1]، وبعضهم: حدّه يتغير[2] كاختلافهم في حدِّ الغِنَى، و ﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾: المجموعة قناطر قناطر[3]، كقولهم: دراهم مدرهمة، ودنانير مُدَنَّرة[4]، [5] ﴿وَٱلۡخَيۡلِ﴾ في

---

(١) الوارد عن ابن عباس رضي الله عنه تحديد القنطار إما بألف ومائتي دينار، ومن الفضة ألف ومائتا مثقال؛ أخرج ذلك ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣). وإما باثني عشر ألف درهم أو ألف دينار، أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣)، وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨).

(٢) وهذا قول الربيع بن أنس وأبي عبيدة، أما رواية الربيع فقد أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٩)، وأما قول أبي عبيدة فذكره في مجاز القرآن (١/ ٨٨)، وأشار إليه الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٤٩)، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٥)، واختار ابن جرير الطبري هذا القول أيضاً، حيث قال: «فالصواب من ذلك أن يقال: هو المال الكثير، ولا يُحَدّ قدر وزنه بحدٍّ على تعسفٍ».

(٣) في المفردات قال: المجموعة قنطاراً قنطاراً. انظر: المفردات ص (٦٧٧)، وفي الأصل: قناطراً قناطراً. والصواب ما أثبته.

(٤) انظر في ذلك: الجمهرة (١/ ٢٤١) و(٢/ ٣٧٣، ٣٩٤) و(٣/ ٣٤٠)، والصحاح (٢/ ٧٩٦) والمفردات ص (٦٧٧)، والمعرب للجواليقي ص (٥١٦)، والكليات لأبي البقاء ص (٣٥٥، ٧٣٣).

(٥) ذكر الراغب هذه الفقرة التي تناولت الكلام على حدِّ القنطار بتمامها في:

الأصل للأفراس والفرسان، وإن كان يستعمل في كل واحد مفردًا، نحو: «**يا خيل الله اركبي**»[1]، وذلك للفرسان، وقول النبي ﷺ: «**عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق**»[2]، فكأنه سُمّي بذلك لما فيه من الخيلاء، فقد قيل: لا يركب أحدٌ فرسًا إلا

= المفردات مع اختلاف يسير. انظر: المفردات ص (٦٧٧). ولمعرفة جميع أقوال المفسرين في تحديد القنطار. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٤٤-٢٤٩)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٨، ٦٠٩)، تفسير ابن المنذر (ق ١١ ـ مخطوط) تفسير عبد بن حميد (ق ١١ ـ مخطوط)، النكت والعيون (١/ ٣٧٦)، المحرر الوجيز (٣/ ٣٢)، زاد المسير (١/ ٣٥٩). البحر المحيط (٢/ ٤١٤-٤١٥).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٨٧) من طريق محمد بن إسحاق مرسلًا. وقال أبو داود في سننه (٢/ ٥٥) باب «في النداء عند النفير: «يا خيل الله اركبي». وأورد حديث سمرة بن جندب قال: أما بعد فإن النبي ﷺ سمّى خيلنا «خيل الله». وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٧٩) وقال: رواه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ، وابن عائذ في المغازي.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة رقم (١٥٧٤) باب في زكاة السانحة. والترمذي في الزكاة رقم (٦٢٠) باب زكاة الذهب والورِق. وابن ماجه في الزكاة رقم (١٧٩٠) باب زكاة الورِق . والنسائي (٥/ ٣٧) في الزكاة، باب زكاة الورِق. وأحمد في المسند (١/ ٩٢)، وابن خزيمة رقم (٢٢٨٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً، وحسّنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٣٢٧). ونقل الترمذي عن البخاري تصحيحه.

رأى في نفسه خُيَلاءَ، وأصل ذلك من خلتُ، وهو ظنٌّ يَقْرب من الكذبِ، ومنه الخيال. والأخيل: الشَّقِرَّاقُ[1]، لكونه متلونًا يخال في كل وقت أن له لونًا آخر[2]، ولذلك قيل:

كأبي براقِش كلَّ لَوْ نِ لونه يتخيَّلُ[3]

و ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المرسلة في الرعي[4]، وقيل: المُعلَّمة في

---

(١) الشقراق: بفتح الشين وكسر القاف وتشديد الراء ـ وفيه لغات أخرى؛ طائر صغير مرقط بخضرة وحمرة وبياض وسواد، كقدر الهدهد، والعرب تتشاءم به. انظر: حياة الحيوان للدميري (١/ ٦٠٥)، وتاج العروس (٢٥/ ٥٠٠).

(٢) انظر: مجالس ثعلب (٢/ ٣٥٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٥-٢٣٦)، والمخصّص (٦/ ١٣٥).

(٣) القائل هو الأسدي، كما في اللسان (٦/ ٢٦٥)، والبيت في الصحاح (٣/ ٩٩٥)، والمفردات ص (٣٠٤)، واللسان (٦/ ٢٦٥)، والتاج (١٧/ ٧٥) وفيه: «أبو براقش: طائر صغير بري كالقنفذ، أعلى ريشه أغبر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود، فإذا هُيِّج انتفش، فتغيَّر لونه ألواناً شتَّى».

(٤) هذا قول سعيد بن جبير ومجاهد في رواية الضحاك والسُّدي والربيع ومقاتل، وهو أحد قولي ابن عباس رضي الله عنه. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٥١- ٢٥٢)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١٠- ٦١١)، تفسير ابن المنذر (ق ١١ - مخطوط)، النكت والعيون (١/ ٣٧٧)، زاد المسير (١/ ٣٦٠).

الحرب[١]، يقال: سمىٰ بالقصر وسيمياء بالمدِّ[٢]، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾[٣]، قال الشاعر:

.... له سيمياء لا تَشُقُّ على البصرِ[٤]

وقال مجاهد: المسوَّمة: المطهمة[٥] ....

---

(١) وهو قول ابن عباس وقتادة. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١١)، والنكت والعيون (١/ ٣٧٧)، والمحرر الوجير (٣/ ٣٥)، وزاد المسير (١/ ٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٣).

(٢) في المدِّ لغتان إحداهما: سيماء، والأخرى سيمياء بزيادة ياء بعد الميم، وهي التي ذكرها المؤلف هنا، وقد ذكر اللغتين في المفردات ص (٤٣٨)، وانظر: الجمهرة (٣/ ٤٠٨).

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٤) البيت لأسيد بن عنقاء الفزاري، وقيل: هو لعويف القوافي. وتمام البيت:

غلام رماه الله بالحسن يافعاً   له سيمياء لا تشقُّ على البصر

انظر: الأغاني (١٧/ ١١٧)، والصحاح (٥/ ١٩٥٦)، واللسان (١٢/ ٣١٢، ٣١٣).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١١٧)، وابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٥٢، ٢٥٣)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٥)، وزاد المسير (١/ ٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٣)، والدر المنثور (٢/ ١٩) ولفظه: المطهمة الحسان. والمطهمة: قال ابن فارس: المُطَهَّم: هو الجميل التام الخلق من الناس والأفراس. =

كأنه جعل التضمير[1] لها تسويمًا، كما جُعل (سنّاً) و (صنعًا) في قولهم: (مسنونة) و (مصنوعة)[2]. والنعم أصل الإبل. فإذا قيل: الأنعام. فقد يتناول الأزواج الثمانية[3]. والشهوة تُقال تارة للقوة المشتهية، نحو فلان خامد الشهوة، وتارة لانبعاث تلك القوة، وتارة للطعام المشتهى، فيقال هذا شهوتي[4]، واختُلف في هذا الحب مَنِ الذي زيّنه؟ مع أنه لا خلاف أنّ الله عز وجل خالقُ القوةِ المشتهية، وخالقُ المشتهى، فقال بعضهم: الله عزّ وجل زينه، وذلك لنظره إلى القوة المشتهية أو المشتهى، ولقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ وإليه ذهب عمر[5]

= انظر: مجمل اللغة ص (٤٥٣)، والقاموس المحيط ص (١٤٦٤).

(١) في الأصل: للتضمير. والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ١٠٢)، والصحاح (٥/ ١٩٥٥)، والمفردات ص (٤٣٨).

(٣) وهي المذكورة في سورة الأنعام في الآيتين (١٤٣، ١٤٤): اثنان من الإبل، واثنان من البقر، واثنان من الضأن، واثنان من المعز. وانظر معنى الأنعام في: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٢٠٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٤٦)، والمفردات ص (٨١٤، ٨١٥).

(٤) انظر: معاني الشهوة في: المفردات ص (٤٦٨، ٤٦٩)، ومختار الصحاح ص (٣٥٠)، ولسان العرب (١٤/ ٤٤٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٥٨).

(٥) هو أبو حفص عمر بن الخطاب نفيل العدوي القرشي، أسلم بمكة بعد=

فإنه روي أنه لما سمع هذه الآية قال: ربنا إنك زيّنت هذه وبيّنت أن ما بعدها خير منها، فاجعل لعمر وآل عمر الذي هو خير منها[1]، وقال بعضهم: زيّنها الشيطان، وإلى هذا ذهب الحسن[2]، فيقول: كيف زينها الله وهو يذمّها؟ ومنهم من قال: زيّن الله منها ما يحسن/ تناوله، وزين الشيطان ما يقبح[3]، فإن [٢٠١/ب] الله عز وجل خلق الإنسان وقوته المشتهية ومشتهياته[4] وأُمر أن

= دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، جم المناقب، تولى الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنهما، استشهد سنة ٢٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٨)، والتقريب ص (٤١٢)، والإصابة (٤/ ٤٨٤).

(١) أخرج هذا الأثر بنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٧)، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ص (١٧٠) وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٥)، والكشاف (١/ ٣٤٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١)، وزاد المسير (١/ ٢٢٨)، وروح المعاني (٣/ ٩٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠٧)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وحده في الدر المنثور (٢/ ١٨)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٥)، والكشاف (١/ ٣٤٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢)، وزاد المسير (١/ ٢٢٨)، وروح المعاني (٣/ ٩٩).

(٣) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧٤). وابو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٣) ولم ينسباه إلى أحد.

(٤) في الأصل: ومشتهائه. والصواب ما أثبته.

يتناول منها على الوجه الذي يجب قدر ما يجب في الوقت الذي يجب، ويجعل ذلك ذريعة إلى التوصل به إلى الآخرة، وقيّض له شيطانًا يغرّه فحذّره منه، فمن راعى أمره وتناول ما أُبيح له فإنه قد لا يتعدى إلى ما زينه الشيطان[1]، وقد تقدّم الكلام في بعض ذلك في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[3] منتهى المنبأ قيل هو قوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ وقيل[4] هو ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وقيل: هو آخر الآية، وهذه الأقوال على قراءة من رفع (جنّات)، فأما من جرّها[5] فلاشك أن ذلك داخل في جملة الاستفهام، لأنه

(١) قال أبو الليث السمرقندي في تفسيره «بحر العلوم» (١/ ٢٥٠): «فأما التزيين من الله تعالى فهو على وجهين؛ يكون على جهة الامتحان للمؤمنين مع العصمة، وقد يكون للكفار على جهة العقوبة مع الخذلان. وأما التزيين من الشيطان فهو على جهة الوسوسة».

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢، وانظر: تفسير الراغب لسورة البقرة ق (١٤١) مخطوط.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٤) في الأصل: «وقوله» وما أثبته هو الذي يقتضيه السياق.

(٥) وهي قراءة يعقوب، كما ذكر ابن خالويه في مختصر القراءات ص (١٩)، =

بدل من قوله (بخير). وقال بعضهم[1]: يجوز أن تكون جنات نصبًا بدلاً من موضع بخير، كقولك: مررت برجلٍ زيدًا[2]، وقوله: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قد تقدم، وقد نبّه بهذه الآية على نعمه الثلاثة[3]، الأول: وهي الأدون، وذلك عروض الدنيا[4]، والثاني: الأوسط: وهو الجنة ونعيمها، والثالث: الأعلى، وهو رضوان الله المشار إليه بقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[5]، وقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾[6]، وقوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[7]، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[8]

= وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٧) والسمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٦٧) وانظر: شواذ القراءات ص (١٩).

(١) وهذا وجه في قراءة يعقوب أيضاً، كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٧).

(٢) انظر أوجه إعراب هذه الآية في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦١)، ومُشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥١، ١٥٢) والدر المصون (٣/ ٦٥)، وتفسير البحر المحيط (٢/ ٤١٧)، وروح المعاني (٣/ ١٠١).

(٣) هكذا في الأصل، والأولى «الثلاث» لأن المعدود «نعمة» مؤنث.

(٤) وهي التي ذكرت في الآية السابقة.

(٥) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

أي بهممهم وإرادتهم، فهو يجازيهم بحسب ما يستحقونه[1].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2].

﴿ٱلَّذِينَ﴾ جرّ صفة للعباد، أو رفع على تقدير: هم الذين، أو نصب على المدح[3]، وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ ليس يعني أن ذلك منهم بالقول فقط، بل باعتقادهم وفعلهم[4].

---

(١) وعن هذه الآية يقول أبو حيان: بدأ أولاً بذكر المقرّ، وهو الجنات التي قال فيها: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». ثم انتقل من ذكرها إلى ذكر ما يحصل به الأنس التامّ من الأزواج المطهرة، ثم انتقل من ذلك إلى ما هو أعظم الأشياء، وهو رضا الله عنهم، فحصل بمجموع ذلك اللذة الجسمانية والفرح الروحاني، حيث علم برضا الله عنه». انظر: البحر المحيط (٢/ ٤١٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦.

(٣) انظر تلك الأوجه في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٥)، وإعراب القرآن (١/ ٣٦١)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٢)، والكشاف (١/ ٢٤٣) والدر المصون (٣/ ٦٩).

(٤) لأن الإيمان عند أهل السنة هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. انظر: الإيمان لابن أبي شيبة ص (٢٠)، ولمعة الاعتقاد ص (١٨٧). وقال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٣/ ١٨٤، =

إن قيل: ما فائدة: (اغفر لنا ذنوبنا)؟ قيل: أما على مذهب الوعيديين[1] فسؤال ما هو من حكمه أن يفعل ما هو بالمؤمنين سئل أو لم يسأل[2]، وقيل: هو فعل ما يقتضي الغفران والوقاية

= ١٨٥): «وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ عطف بيان «للذين اتقوا»، وصفهم بالتقوى وبالتوجُّه إلى الله تعالى بطلب المغفرة... في قولهم: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، وإنما يجري كذلك إذا سعى الداعي في وسائل الإجابة وترقبها بأسبابها التي ترشد إليها التقوى، فلا يجازى هذا الجزاء من قال ذلك بفمه ولم يعمل له».

(١) الوعيديون: هم الذين يقولون بخلود أصحاب الكبائر من الموحدين في النار، ويُنكرون الشفاعة لقولهم بنفاذ وعيد الله دون استثناء. وسمّوا وعيديّة ويُراد بهم الخوارج والمعتزلة على الخصوص، على أن الخوارج يقولون بكفر أصحاب الكبائر، أما المعتزلة فيقولون: إنهم في منزلة بين المنزلتين أي الإيمان والكفر، وفي الآخرة يخلّدون في النار. انظر: أصول الدين للبغدادي ص (٢٤٢)، ومنهاج السنّة لابن تيميّة (٦/ ٣٠٢)، ومصطلحات علم الكلام الإسلامي (٢/ ١٤٥٨).

(٢) هذا القول يغضُّ من شأن الدعاء، ويؤدي إلى ترك الدعاء اعتماداً على النصوص العامة، التي تبين مغفرة الله تعالى للمؤمنين، ونصره لهم، ودفاعه عنهم. وأحوال النبي ﷺ وصحابته وسلف الأمة تدفع هذا الفهم، فقد كان نبيُّ الله ﷺ واثقاً من نصر الله وتأييده ومغفرته له، ومع ذلك كان يكثر من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل: أن ينزل عليه نصره، ويمده بتأييده، ويثبت قلبه.

من النار، وهو الإقلاع، وإن كان متعلقًا بالقول. وقيل: هو مسألةُ لطفٍ، لا يفعله الله بالعبد إلا إذا سأله(١).

[٢٠٢/أ] قوله عز وجل: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ/ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾(٢) قد تقدَّم وصفُ الصَّبرِ ومنازله، وأن كل منزل هو أعلى فثوابه أعلى، وأن أرفعه صبرُ العارف الذي هو الرضى والتسليم(٣)، والصادقون: هم الذين صدقوا في الاعتقاد والقول والعمل، وذلك غاية الإيمان(٤)، والقانت:

---

(١) هذه الأقوال التي ساقها الراغب لم أجد أحداً من سلف الأمة؛ لا من الصحابة ولا التابعين قال بها، ولذلك فإن مفسري أهل السنة: كالطبري وابن كثير فسروا الآية بظاهرها، وعلى حسب ما تقتضيه اللغة. قال الطبري: ومعنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: الذين يقولون: إننا صدّقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ يقول: فاستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها. ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ادفع عنا عذابك إيانا بالنار أن تعذبنا بها. وإنما معنى ذلك: لا تعذبنا يا ربنا بالنار. وبنحو ذلك شرح الآية البغوي وابن كثير. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٦٣، ٢٦٤)، وروح المعاني (٢/ ١٦) وتفسير القران العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٣) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]. انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٩ ـ مخطوط).

(٤) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧٨).

الدائم العبادة في السرِّ والجهر[1] ، والمنفقون : عُني به : في الفرائض والنوافل[2] ، ومن المال والبدن ، والمستغفرون : طالبو الغفران بإتيانهم بالطاعات ، وتخصيصُ الأسحار لكون العبادة فيها أشقَّ والقلوب أحضر وأرق[3] . وروى جعفر بن محمد[4] : أنّ من صلى من الليل ، ثم استغفر في آخره سبعين مرة ، كُتب من المستغفرين

---

(١) انظر معاني القنوت في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٨، ٣٨٥)، والمفردات ص (٦٨٤، ٦٨٥)، ومختار الصحاح ص (٥٥٢)، والقاموس المحيط ص (٢٠٢).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٣٨): والإنفاق معناه في سبيل الله ومظان الأجر كالصلة للرحم وغيرها، ولا يختص هذا الإنفاق بالزكاة المفروضة.

(٣) ذكر نحواً من هذا المعنى: أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٨)، والبيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٢)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ١٦)، والألوسي في روح المعاني (٣/ ١٠٢).

(٤) هو أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المعروف بالصادق، صدوق إمام فقيه، أحد الأئمة الأعلام، وُلد سنة ثمانين، ومات سنة (١٤٨)، قال مالك: اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال؛ إما مصلٍّ، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدِّث إلا على طهارة. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥)، والتهذيب (٢/ ١٠٣)، والتقريب ص (١٤١).

بالأسحار[١]، وروي أن ابن عمر[٢] كان يصلّي فإذا أسحر قعد يستغفر[٣]، وقال زيد بن أسلم[٤]: المستغفرين بالأسحار هم الذين يشهدون الصبح في جماعة[٥]، وذلك داخل في عموم الآية،

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠)، وعزاه إلى ابن جرير وحده.

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نُفيل العَدوي القُرشي، ولد بعد ثلاث سنوات من بعثة رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدراً وأحداً لصغر سنّه، كان من أشد الناس اتباعاً للأثر، وأحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، توفِّي سنة ٧٣ هـ. انظر: التهذيب (٥/ ٣٢٦)، والإصابة (٢/ ٣٤٧)، وتقريب التهذيب ص (٣١٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦١٦)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠)، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا من تفسير ابن المنذر.

(٤) هو زيد بن أسلم العدوي المدني، ثقة عالم، وكان يُرسل، فقيه مفسرٌ، حدّث عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، له كتاب في التفسير، توفي سنة ١٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦)، والتهذيب (٣/ ٣٩٥)، والتقريب ص (٢٢٢).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦١٥، ٦١٦)، وذكره الماوردي في النكت =

فإن شاهد الصبح في جماعة يستحق الصبح[1].

قال عز وجل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] الشاهد بالشيء يقتضي حضوره بعلمه، والإنباء عنه، والحكم بما عليه، ولهذا تُفسَّر الشهادةُ[3] تارة بالحضور، وتارة بالعلم، وتارة بالإعلام، وتارة بالحكم[4]. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ وقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾[5]، وشهادة المدعي بما يدعيه لا تقتضي زيادة على دعواه، مع أن هذه الشهادة

= والعيون (١/ ٣٧٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤١٩)، والألوسي في روح المعاني (٣/ ١٠٢).

(١) قال أبو حيان: وهذا الذي فسّروه كلُّه متقارب. البحر المحيط (٢/ ٤١٩).
وقال ابن جرير الطبري: «وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ قول من قال: هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها، وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل أن يكون معناه: تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة، غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء». انظر: جامع البيان (٦/ ٢٦٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) في الأصل: (بالشهادة) والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: معاني الشهادة في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٥)، والمفردات ص (٤٦٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٥٠).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

إن كانت للجاحدين فغير مقبولة، وإن كانت للمؤمنين به ففضلة؟ وهل يكفي النبي ﷺ إذا طولب بالدلالة أن يقول: الله شاهد لي بذلك؟ قيل: الشاهد العالم بالشيء، المبيّن لغيره، وأصدق شاهد من يعلم المشهود عند الدلالة المنبئة عن صدقه، وعن كون الأمر على ما شهد به[1]، والباريء عز وجل لما جعل في كل شيء تنبُّؤاً عن وحدانيته صار له في كل شيء لسان يشهد أنه واحد، وهذا ظاهر[2]،

---

(١) أشار إلى ذلك الزجاج في معاني القرآن، فقال: «لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله عز وجل قد دلَّ على توحيده بجميع ما خلق، فبيَّن أنه لا يقدر أحد أن ينشىء شيئاً واحداً مما أنشأ». انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٥)، والوسيط (١/ ٤٢٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤١٩). وقال الرازي: والشاهد الحقيقي ليس إلا الله، وذلك لأنه تعالى هو الذي خلق الأشياء، وجعلها دلائل على توحيده، ولولا تلك الدلائل لما صحّت الشهادة، ثم بعد ذلك نصب تلك الدلائل، وهو الذي وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل، ولولا تلك الدلائل التي نصبها الله تعالى وهدى إليها لعجزوا عن التوصل بها إلى معرفة التوحيد. وإذا كان الأمر كذلك كان الشاهد على الوحدانية ليس إلا الله وحده، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٧٨).

(٢) قال الراغب في المفردات: فشهادة الله تعالى بوحدانيته هي إيجاد ما يدلُّ على وحدانيته في العلم وفي نفوسنا، كما قال الشاعر:

وفي كلِّ شيءٍ له آية ... تـدلّ على أنـه واحـدُ

قال بعض الحكماء: إن الله تعالى لمَّا شهد لنفسه، كانت شهادته أن أنطق=

وبيَّن بقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾(١) أنهم قد عرفوا ذلك وينبئون عنه، فإن الأدلة التي يذكرها العلماء، وتأتي بها الملائكة والأنبياء شهادة منهم، فحثّهم الله تعالى بهذا القول على التأمُّل، ليعرفوا صحة ما شهدوه(٢)، وكذا الآية كأنه [قال](٣) لنبيِّه: لا تستوحش من تكذيب الكافرين/ لك، فقد أبدى الله عز وجل [٢٠٢/ب] من الآيات ما ينبئ أنه تعالى شاهد لك بصدق دعواك. وقوله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أي هو تعالى مراعٍ للعدالة بكل حال، وذلك حالٌ مؤكّدة(٤).

= كلَّ شيء كما نطق بالشهادة له. انظر: المفردات ص (٤٦٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) قال الراغب في المفردات: وشهادة الملائكة بذلك هو إظهارهم أفعالاً يؤمرون بها، وهي المدلول عليها بقوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وشهادة أولي العلم: اطلاعهم على تلك الحكم وإقرارهم بذلك. انظر: المفردات ص (٤٦٦). وقال الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٧٩): «وأما شهادة الملائكة وأولي العلم، فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته».

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٢)، والكشاف (١/ ٣٤٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤١)، والتفسير الكبير (٧/ ١٧٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٠). والحال المؤكدة هي التي تبين كيفية أزلية أي دائمة مستمرة. وصاحب الحال في الآية: ﴿هُوَ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما ذكره مكي. انظر: إعراب القرآن=

فإن قيل: ما وجه تكرير ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية؟ قيل: لما كان منتهى إدراك الإنسان للبارئ تعالى أن يعرف الموجودات، فيعلم أنه ليس إياها ولا مشبَّهًا بشيء منها، صار صفات التنزيه له أشرف من صفات التمجيد له، إذ كان عامة صفات التمجيد في ألفاظها مشاركة[1]، يصح وصف العباد بها، ولأجل ذلك عظم ما ورد من صفاته على لفظ النفي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ

= للنحاس (١/ ٣٦٢)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٢)، والمفصل مع شرحه التخمير (١/ ١٣٥-٤٣٧).

(١) هذه المشاركة لا تدل على المماثلة، فهي مشاركة في الألفاظ فقط، فعِلْمُ الله ليس كعلم البشر، وقدرته ليست كقدرة البشر، واستواؤه ليس كاستواء البشر، «فإذا قيل: علم الله وكلام الله ونزوله واستواؤه ووجوده وحياته ونحو ذلك، لم يدل ذلك على ما يشركه فيه أحد من المخلوقين بطريق الأولى، لم يدل ذلك على مماثلة الغير له في ذلك... فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره، ولا كلامه مثل كلام غيره، ولا استواؤه مثل استواء غيره، ولا نزوله مثل نزول غيره، ولا حياته مثل حياة غيره، ولهذا كان مذهب السلف والأئمة: إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات... فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن يُفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها: كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها؛ فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته». انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣٢٩، ٣٣٠)، والتدمريّة ص (٢٠-٣٠)، ومنهاج السنّة (٢/ ١١٧)، والجواب الصحيح (٤/ ٤٤-٤٦)، ونقض التأسيس (١/ ٣٧٨-٣٨٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٦٢).

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾[1] قيل في سورة الإخلاص: «إنها تعدل ثلث القرآن»[2]، لكونها تنزيهًا محضًا، فإن لفظي: الأحد[3] والصمد[4] - وإن كانا على صورة الإثبات - فنفي للتثنية والتشبيه[5]، ثم أبلغ ما يوصف به من التنزيه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فتكريره هاهنا لأمرين: أحدهما: لكون الثاني قطعًا للحكم؛ كقولك: أشهد أن زيدًا خارج وهو خارج. والثاني: لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه، إذ قد يوصف بهما المخلوق[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) ورد ذلك عن النبي ﷺ. أخرجه البخاري في «فضائل القرآن» باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ رقم (٥٠١٣)، وفي «الأيمان والنذور»، باب كيف كانت يمين رسول الله ﷺ رقم (٦٦٤٣)، وفي «التوحيد»، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله رقم (٧٣٧٤). وأخرجه مسلم في «صلاة المسافرين»، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ رقم (٨١٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) الأحد: هو المتفرد بصفاته الذي لا مثل له ولا شبه. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٠)، والمفردات ص (٦٦، ٦٧).

(٤) الصمد: السيِّد الذي يُصْمَدُ إليه في الأمر أي يُقْصَدُ. انظر: مجاز القرآن (٢/ ٣١٦)، والمفردات ص (٤٩٢)، ومختار الصحاح ص (٣٦٩).

(٥) قال ابن تيمية: فالاسم «الصمد» يتضمَّن صفات الكمال، والاسم «الأحد» يتضمَّن نفي المثل. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣٢٩).

(٦) نقل هذه الفقرة التي تناولت تكرير قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بكاملها أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٢٤)، ونسبها للراغب. وانظر في نفس=

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1] قد تقدَّم وجوه الدين[2]، وأن للإسلام ثلاث منازل[3]: **الأول**: الاعتراف الذي يحقنُ الدمَ. **والثاني**: أن يكون مع الاعتراف اعتقادٌ صحيحٌ ووفاءٌ[4] بالفعل. **والثالث**: أن يكون مع ذلك استسلامٌ فيما يجري عليه من

= القضية: التفسير الكبير (٧/ ١٨٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧)، وروح المعاني (٣/ ١٠٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) قال ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٧٣) ومعنى الدين في هذا الموضع: «الطاعة والذلة» وقال الراغب في المفردات ص (٣٢٣): «والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملّة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة». وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٧٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٤).

(٣) انظر تفسير الراغب (ق/ ٩٠) لقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ . . . ﴾ [البقرة: ١١٢]. فقد ذكر هذه المنازل الثلاث إلا أنه دمجها في ضربين فقط، وقد فعل الشيء نفسه في المفردات كما سيأتي.

(٤) في الأصل (وفا) والصواب ما أثبته وهو الموافق لما ذكره الراغب في آية البقرة وفي المفردات.

قضاءِ الله، وهو المسؤول بقوله عز وجل: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[1] وغاية الإنسان في ذلك أن يكون كإبراهيم حين قيل له: أسلم، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] بيَّن تعالى أن حقيقة طاعة الإنسان بحسب ما يكون منه من الاستسلام في المنازل الثلاث[3]، وقد قُرِئ ﴿أن الدِّينَ﴾[4] بالفتح، فيصح أن يكون بدلاً من الأول، واستغني عن الضمير الراجع إلى الله لإعادة ذكره، ويجوز أن يتعلَّق بفعل مضمر دلّ عليه الأول، ومن قرأ (شَهِدَ الله إنه)[5]

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٣) في المفردات جعل الراغب الإسلام على ضربين، وليس على ثلاث منازل، حيث دمج المنزلة الثانية في الثالثة، فقال: والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذُكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. انظر: المفردات ص (٤٢٣). وانظر معاني الإسلام في: جامع البيان (٦/ ٢٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١٨)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٢)، وزاد المسير (١/ ٣٦٣).

(٤) قرأ بذلك ابن عباس والكسائي ومحمد بن عيسى الأصبهاني. انظر: المبسوط ص (١٤١)، والغاية لابن مهران ص (٢١٠)، والتلخيص ص (٢٣١) وحجة القراءات لابن زنجلة ص (١٥٧)، ومعاني القراءات للأزهري ص ٩٧، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٤).

(٥) هو ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٦٨)، والبحر=

[٢٠٣/أ] فشهد يعمل في قوله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ و إنه كالعلة[١] ، و/ قوله : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٢] كقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[٣] والكلام فيه قد تقدم[٤] .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٥] .

---

(١) قال الزجاج : «وأكثر القراءات : ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ بفتح الألف في ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ ، وقد رويت بالكسر عن ابن عباس ، وروي أن ﴿ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾ بفتح الألف . والأكثر فتح «أنه» وكسر ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ . ومن قرأ «إنه» بالكسر فالمعنى : شهد الله أن الدين عند الله الإسلام ، وأنه لا إلٰه إلا هو . والأجود الفتح كما وصفنا في الأول ، لأن الكلام والتوحيد والنداء بالأذان : (أشهد أن لا إلٰه إلا الله)» . ورجح قراءة الجمهور أيضاً : ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٦٨) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٥) . وانظر إعراب الآية وتوجيه القراءات في : «الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٤٩) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٥٢) ، والكشاف (١/ ٣٤٥) ، والمغني لابن هشام (٢/ ٨٣٢) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

(٤) وذلك عند تفسيره لهذه الآية من سورة البقرة ، انظر : تفسير الراغب (ق ١٤١ ـ مخطوط) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٢٠ .

الوجه: العضو المعروف، وعبّر به عن الجملة، وقيل: هو القصد[(١)]، نحو وجهي إلى فلان[(٢)]، والذين أوتوا الكتاب: قيل هو عام فيمن نزل إليهم الكتاب[(٣)]، والأمِّيُّون مَنْ سواهم من اليهود ومن النصارى ومن العرب[(٤)]. إن قيل: كيف يصحُّ

---

(١) قال الزجاج: «ومعنى: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي قصدت بعبادتي إلى الله جل ثناؤه، وأقررت أنه لا إله غيره». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٨).

(٢) انظر معاني الوجه في: معاني القرآن (١/ ٣٨٨، ٣٨٩)، والمفردات ص (٨٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٧).

(٣) هذا القول ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٠) ونسبه إلى بعض المتأخرين، أما أغلب المفسرين فقد قالوا في الذين أوتوا الكتاب: إنهم اليهود أو النصارى أو هما معاً. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٨١)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٠)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٤)، حيث نقل الاتفاق على أنهم اليهود والنصارى في هذه الآية، وزاد المسير (١/ ٣٦٤)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٩). ونقل الاتفاق أيضاً على أنهم اليهود والنصارى.

(٤) جعله اليهود والنصارى من الأميين لم أجد من وافقه عليه من المفسرين، بل جميعهم على أن الأميين في الآية هم من لاكتاب لهم كمشركي العرب. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٨١)، ومعاني القرآن (١/ ٣٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٢٥٤)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٤)، وزاد المسير (١/ ٤٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٩).

الاقتصار في المحاجّة[1] على أن يقول: تقبل ما أقوله أم تردّه، فإن رددتَه أعرضت عنك؟ قيل: المحاجّة ضربان: ضرب للاستهداء وضربٌ للعناد. ولما كان الله قد بيَّن لهم الأدلة، وبين أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال حينئذٍ: إن عاندوك فعرفهم مخالفتك لهم، وهذا كما يقال لمن أوضحت له الحجة: إن قبلتَ وإلا أعرضنا عنك[2]. وقال بعضهم: إنما نبَّه بهذه الآية على الحجةِ اللازمة لهم، ووجه ذلك أنه قال: قل لهم: إني توجهت إلى الله بعبادة. فهل تُنكرون كونه معبودًا، فإنه لا يمكنهم إنكار ذلك إذ كان وجوب عبادته والتوحّد له محمودًا عند الكلِّ، وإنما اختلافهم في غيره[3]، فَبَيَّنْ أنهم إن أسلموا للحجة فقد اهتدوا، فإن

(١) قال الراغب في المفردات: «والمحاجّة: أن يطلب كلّ واحد أن يردّ الآخر عن حجته ومحجَّته». انظر: المفردات ص (٢١٩). وانظر: بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٣١، ٤٣٢).

(٢) قال الألوسي في روح المعاني (٣/١٠٨): «وفيه إشارة إلى أن الجدال معهم ليس في موقعه، لأنه إنما يكون في أمر خفي، والذي جادلوا به أمر مكشوف، وحكم حاله معروف، وهو الدين القويم، فلا تكون المحاجة والمجادلة إلا مكابرة، وحينئذٍ يكون هذا القول إعراضاً عن مجادلتهم».
وانظر: جامع البيان (٦/ ٢٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦١٩)، والكشاف (١/ ٣٤٦، ٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣).
وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٣).

(٣) فاليهود يدّعون التشبيه والتجسيم، والنصارى يدّعون إلهية المسيح =

حجتَك لازمة ـ وليس لهم ما يدّعونه حجة، وفي ذلك اهتداؤهم[1].

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي إن أبوا أن ينقادوا للحجة فليس عليك إلا البلاغ، كقولك: ليس عليك هداهم ونحوه، وقدَّم الذين أوتوا الكتاب، لأن الحجة تلزمهم من وجهين: من الوجه الذي يلزم الأميين[2]، ومن وجه أنهم يدَّعون الإيمانَ بإبراهيم وغيره، وعلى هذا قال إبراهيم: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾[3] وقوله:

= عليه السلام، والمشركون يدعون وجوب عبادة الأوثان، فهؤلاء هم المدّعون، فعليهم الإثبات. انظر: روح المعاني (٣/ ١٠٨).

(١) ذكر هذا الوجه الثاني في تفسير الآية الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٣٨٨) فقال: «والمعنى أن الله عز وجلّ أمر النبيَّ ﷺ أن يحتجَّ على أهل الكتاب والمشركين بأنه اتبع أمر الله الذي هم أجمعون مقرّون بأنه خالقهم، فدعاهم إلى ما أقرّوا به، وأراهم الدلالات والآيات التي قد شرحنا ذكرها بأنه رسوله ﷺ». وانظر هذا الوجه أيضاً في: الكشاف (١/ ٣٤٧)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، وروح المعاني (٣/ ١٠٨).

(٢) وهو اعتقادهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

(٣) أورد الرازي في التفسير الكبير هذا الوجه من الاستدلال وقال: ذكره أبو مسلم الأصفهاني، وكان مما قال: فأمر الله تعالى محمداً ﷺ بأن يتبع ملته، فقال: =

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ : أي عارف بمقاصدهم، وقوله : ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ معطوف على التاء [في][1] ﴿ أَسۡلَمۡتُ ﴾، ولم يحتج إلى تأكيد الضمير، كما أُكِّد في قولهم: خرجت أنا وزيد. للفصل[2] القائم مقام التأكيد[3]، وحذف الياء من قوله ﴿ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ لدلالة الكسْرِ عليه[4].

= ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾ [النحل: ١٢٣]، ثم إنه تعالى أمر محمداً في هذا الموضع أن يقول كقول إبراهيم ﷺ، حيث قال: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]. أي أعرضت عن كل معبود سوى الله تعالى، وقصدته بالعبادة، وأخلصت له، فتقدير الآية كأنه تعالى قال: فإن نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل: أنا مستمسك بطريقة إبراهيم، وأنتم معترفون بأن طريقته حقة، بعيدة عن كل شبهة وتهمة، فكان هذا من باب التمسك بالإلزامات، وداخلًا تحت قوله: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٨٤).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) في الأصل: للقصد. والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: أوجه إعراب: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ في: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٣)، والكشاف (١/ ٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، والدر المصون (٣/ ٩٠، ٩١)، .

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٣)، والدر المصون (٣/ ٩٢). وقال ابن زنجلة في حجة القراءات=

قوله عز وجل: / ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ [٢٠٣/ب] بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١) هذا تعريض ببني إسرائيل(٢)، وذاك لأن أبا عبيدة بن الجراح قال: قلت: يا رسول الله، من أشد الناس عذابًا يوم القيامة؟ قال: «**من قتل نبيًّا أو رجلًا أمر بمعروف ونهى عن منكر**»، ثم قرأ الآية، وقال: «**يا أبا عبيدة قتل بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا في ساعة من صدر النهار، فقام مائة واثنا عشر رجلًا من عُبَّادهم، فأمروهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقُتِلُوا جميعهم آخر النهار**»(٣).

= ص (١٥٨): «قرأ نافع وأبو عمرو: «ومن اتبعني» بياء في الوصل، وحجتهما أنها ياء المتكلم، كما تقول: (من كلَّمني) فلا تحذف الياء. وقرأ الباقون بحذف الياء. وأصل «اتبعني»: «اتبعي»، ولكن النون زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الياء. وانظر كذلك: المحرر الوجيز (٣/ ٤٣، ٤٤)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، وروح المعاني (٣/ ١٠٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) وهو أيضاً توبيخ للمعاصرين لرسول الله ﷺ بمساوىء أسلافهم، كما ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٤٥).

(٣) أخرجه البزار في مسنده «البحر الزخار» (٤/ ١١٠) رقم (١٢٨٥) ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ، إلا من هذا=

إن قيل: لِمَ أعيد يقتلون ولم يقل: ويقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون؟ فقل: لأمرين: أحدهما تفظيعًا لشأنهم، والثاني: أنه يجوز أن يكون أحد القتلين تفويت الروح والآخر الإهانة وإماتةُ[1] الذكرِ، وذلك كثير في كلامهم[2]. إن قيل: لِمَ قال: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وقتلهم لا يكون بحق على وجه حتى يحتاج إلى تقييده بذلك؟ قيل: قوله ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ليس يتعلق بقوله ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، بل هو من صفة الذين يكفرون، كأنه قال: هم يقتلون، وهم غير محقين، ووصفهم بذلك من أنهم

= الوجه عن أبي عبيدة، ولا نعلم له طريقاً عن أبي عبيدة غير هذا الطريق، ولم أسمع أحداً سمَّى أبا الحسن الذي روى عنه محمد بن حمير ـ أحد رجال الإسناد ـ. وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٨٥، ٢٨٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٢) وقال: وفيه من لم أعرفه، اثنان.

(١) في الأصل: والإماتة، والصواب ما أثبته، وقد نقل هذه الجملة أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٠).

(٢) ذكر هذين الوجهين أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٠)، وذكر الوجه الثاني السمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ٩٤)، وذكر أبو حيان وجهاً ثالثاً وهو اختلاف ترتب العذاب بالنسبة على من وقع به الفعل، فقتل الأنبياء أعظم من قتل من يأمر بالمعروف من غير الأنبياء، فجعل القتل بسبب اختلاف مرتبته كأنهما فعلان مختلفان. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣٠)، وروح المعاني (٣/ ١٠٩).

غير محقين في جميع أحوالهم[1]، وتخصيص[2] أنها للاستقبال في قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كتخصيصه في قوله: ﴿تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾[3]، قد تقدَّم الكلام فيه[4]، وكذلك قد تقدم تخصيصُ لفظ البشارة في العذاب، مع كونه موضوعًا لما يسر[5]،

---

(١) أشار إلى هذا المعنى أبو المظفر السمعاني في تفسيره حيث قال: «إنما قال: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ تأكيداً، لأن قتل النبيين لا ينقسم إلى الحق والباطل». وقال الطاهر بن عاشور: وقوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ظرف مستقر في موضع الحال المؤكدة لمضمون جملة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، إذ لا يكون قتل النبيين إلا بغير حق». انظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٠٤)، والتفسير الكبير (٣/ ٩٥، ٩٦)، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٠٦).

(٢) في الأصل (وتخيص) والصواب ما أثبته.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٤) قال الراغب في تفسير هذه الآية من سورة البقرة: إن قيل: كيف قيل للخلف: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ وكان القتل من السلف لا منهم؟ قيل: لما كان من عادة العرب أن ينسبوا إلى أنفسهم على طريق الفخر مآثر آبائهم فتقول: فعلنا كذا، متصورين بصورتهم، خوطبوا أيضاً في نسبة مثالبهم إليهم على هذا الوجه. انظر: تفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٧٦ ـ مخطوط). وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٠٥)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٠)، وروح المعاني (٣/ ١٠٩).

(٥) قال الراغب عند تفسيره لقوله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ـ

فإن قيل: ما فائدة قوله ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؟ قيل: عنى بذلك وجود الفضيلة المختصة بالإنسان في النبيين، والآمرين بالقسط[1]، وذلك نحو قولهم: فلان هو إنسان، وعلى ذلك قول الشاعر:

.... إذ الناسُ ناس والزمان يَعِزُّ به[2]

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥] فإن قيل: فإذا كانت البشارة للأخبار السارة، فما وجه قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ قيل: إن مثل ذلك قد يستعمل على سبيل التهكم نحو: تحيّةٌ بينهم ضربٌ وجيع تنبيهاً أن السارَّ لهم: الإخبار بالعذاب الأليم، فما الظنُّ بما وراءه؟. انظر: تفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٢٩ ـ مخطوط)، وقال الماوردي بعد أن ذكر نحواً من كلام الراغب: وفي تسميتها بذلك وجهان: أحدهما: لأنها تغير بشرة الوجه بالسرور في الخير، وبالغم في الشر. والثاني: لأنها خبر يستقبل به البشرة. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٢). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦)، وزاد المسير (١/ ٥٢).

(١) ومن هنا استدلَّ الحسن رحمه الله بهذه الآية على أن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوف تلي منزلته في العظم منزلة الأنبياء. انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٨٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٠).

(٢) البيت في المحاضرات للراغب ص (٢٥٥)، ومجمع البلاغة ص (٥٠٣) بغير نسبة. وانظر: بهجة المجالس (٢/ ٧٩٨)، مع اختلاف يسير في الرواية. وذكر الراغب أن ابن عباس قال: . . . لقد شكت قوم عادٍ في زمانهم، إذ قد وجدوا في خزائنهم سهماً مكتوباً عليه:

قوله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[1] الحبوط: فساد العمل، وأصله من الحَبِطِ، أي فساد بطون الماشية من مأكل الربيع[2]، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ**»[3].

يعني بقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: هم الذين يكفرون ويقتلون[4].

= بلاد بها كنّا ونحن نحبها إذ الناس ناس والبلاد بلاد

انظر: المحاضرات ص (٢٥٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٢.

(٢) قال ابن الأثير: «حبطت الدابة حَبَطاً بالتحريك، إذا أصابت مرعىً طيباً، فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت» النهاية (١/ ٣٣١). وانظر: «العين» (٣/ ١٧٤)، والصحاح (٣/ ١١١٨)، والمخصص (٧/ ١٧٢)، (٨/ ١٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب «يستقبل الإمام القوم» رقم (٩٢١) وفي الزكاة، باب «الصدقة على اليتامى» رقم (١٤٦٥) وفي الرقاق، باب «ما يحذر من زهرة الدنيا» رقم (٦٤٢٧). وأخرجه مسلم في الزكاة، باب «تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا» رقم (١٠٥٢). وأخرجه النسائي في الزكاة، باب «الصدقة على اليتيم» (٥/ ٩٠). وابن ماجه في «الفتن» باب «فتنة المال» رقم (٣٩٩٥)، وأحمد في المسند (٣/ ٧، ٢١، ٩١). وقوله: أويُلم: أي يقرب من القتل. انظر: النهاية (٤/ ٢٧٢).

(٤) في الأصل: فيقولون، والسياق يقتضي ما أثبته.

بطلت في الدنيا والآخرة أعمالهم، أما في الدنيا فلأنهم لم يحصِّلوا منها محمدةً، وأما في الآخرة فلم يحصِّلوا منها مثوبة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ/ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1]. [٢٠٤/أ]

إن قيل: لم قال: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ولو قال: ما لهم من ناصر كان ذلك عامًا لكونه نكرة منفية؟ قيل: لما كان القصد بهذه الآيات تثبيت الوحدانية ونفي الكثرات، نبّه بلفظ الجمع على أن ناصر الناس واحد، فكأنه قال: ما للناس ناصرون، بل لهم ناصر واحدٌ، فيجب أن يُطلب مرضاته ويُتحرى مرسوماته، وذلك نحو قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ[2] غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾[3] و﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾[4]، وما أشبه ذلك من الآيات.[5]

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) في الأصل: من إله، وأثبت نصَّ الآية من المصحف.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧١.

(٥) وهناك علة أخرى للإتيان بلفظ الجمع هنا ذكرها أبو حيان حيث قال: «مجيء الجمع هنا أحسن من مجيء الإفراد، لأنه رأس آية، ولأنه بإزاء من للمؤمنين من الشفعاء الذين هم الملائكة والأنبياء وصالحو المؤمنين، أي ليس لهم كأمثال هؤلاء» انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣١)، وروح المعاني (٣/ ١١٠).

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1] الحكم: القضية التي تردع المبطل، ومنه حَكَمَةُ اللجام[2]، والآية تتناول اليهود والنصارى وإن كانت واردةً في اليهود، قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ رأى جماعةً من اليهود فدعاهم، فقالوا: على أي ملةٍ أنت يا محمد؟ قال: «على ملّة إبراهيم» فقالوا: إن إبراهيم كان يهوديًا. فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]، وقيل: كان ذلك في سبب اليهوديين اللذين رجمهما النبي ﷺ، وقالت اليهود: إن ذلك ليس في التوراة، فأكذبهم النبي ﷺ، ودعا بالتوراة، فقرأ منها آيةَ الرجم[4]، وقيل: كان في سبب نبوته وتكذيبهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٢) حكَمةُ لجام الفرس: ما أحاط بحنكيه، سُمي به لأنها تمنعه من الجري. انظر: العين (٣/ ٦٧) ومقاييس اللغة (٢/ ٩١) والمخصص (٦/ ١٨٩)، والمفردات ص (٢٤٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٨٨، ٢٨٩) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٢)، وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٢١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٨)، وزاد المسير (١/ ٣٦٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٥٠).

(٤) ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه، ولكنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه. والكلبي هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر=

إياه[1]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾ وإن كان لفظه عامًّا فمعناه خاص، لأنه ليس كلهم فعلوا ذلك، ألا ترى إلى قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[2]، [3] إن قيل: لِمَ قال: ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ثم قال: ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وهل الأول هو الثاني أم غيره؟ قيل: قد قال بعضهم: الأول والثاني

= الكوفي مُتَّهمٌ بالكذب، واتفق العلماء على عدم الاحتجاج بحديثه. انظر: التقريب ص (٤٧٩). وانظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٣)، وأسباب النزول للواحدي ص (١٠٠)، وزاد المسير (١/ ٣٦٦). والتفسير الكبير (٧/ ١٨٨)، وروح المعاني (٣/ ١١١)، والمشهور أن الآية التي نزلت في قصة رجم اليهوديين هي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤]، وسوف يأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله.

(١) وهذا قول قتادة رحمه الله، فقد أخرج ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٢٩٠) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٣) وابن المنذر في تفسيره (ق-١٥- مخطوط) عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية قال: هم اليهود، دعوا إلى كتاب الله وإلى نبيه وهم يجدونه مكتوباً عندهم، ثم يتولون وهم معرضون. وهو قول مقاتل بن سليمان أيضاً، انظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٦)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧) والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٣) أشار إلى ذلك ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٢٩٠) وذكره الرازي في التفسير الكبير (٧/ ١٨٨).

واحد، وهما التوراة، لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾[1] الآية، وذكرها باللفظين تعظيمًا لها[2]، وقيل: عنى بالأول التوراة، وبالثاني القرآن وغيره من كتبه، تنبيهًا أن كل كتاب يقضي بصحة ما هو فيه[3].

وقيل: عنى بالذين أوتوا الكتاب: الذين أُعطوا حظًّا من المعرفة بكتاب الله، أي كتاب كان من كتبه[4]. إن قيل: هل بين التولّي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

(٢) وهو قول ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما. انظر: جامع البيان (٦/ ٢٨٨، ٢٨٩) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٢)، ورجحه الطبري (٦/ ٢٩٢)، وقال ابن الجوزي: وهو قول الأكثرين. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١) والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧). والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٣).

(٣) وهو قول الحسن وقتادة وابن جريج، انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٢)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٠٥)، والوسيط (١/ ٤٢٤)، وتفسير البغوي (٢/ ٢١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٣).

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٤) وقال: قاله ابن عطية، وبدأ به الزمخشري. أهـ. وبعد الرجوع إلى الكشاف وجدت أن الزمخشري بدأ بقول الأكثرين، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، ثم ذكر هذا القول بعده. انظر: الكشاف (١/ ٣٤٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وأنوار=

والإعراض فرق؟[1] وهل المعرضون هم المتولون أم غيرهم؟ قيل: تولّي الشيء أن تليه، فإذا عُدّي بعن صار لترك ذلك[2]، والإعراض في الأصل أن تجعل عِرضك إليه، أي جانبك[3]، [٢٠٤/ب] ومنه قيل: / أعرض لك الصيدفارمه[4] فيجوز أن يعني بالتولّي تولّي فريق من الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب؛ وبالإعراض جماعتهم، ويجوز أن يكون التولّي والإعراض[5] جميعًا للفريق، فيكون معنى التولي عنه ترك موالاته.

والإعراض يكون بالبدن، وذلك لئلا يحتجّ عليهم إذا حضروا فيلزمهم حجة. وعلى ذلك قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ

= التنزيل (١/ ١٥٣).

(١) في الأصل (وفرق) بزيادة الواو، والصواب ما أثبتّه.

(٢) قال الجوهري: «تولى العمل: أي تقلده، وتولى عنه: أعرض» انظر: الصحاح (٦/ ٢٥٢٩)، والمفردات ص (٨٨٦)، واللسان (١٥/ ٤١٤).

(٣) انظر: الصحاح (٣/ ١٠٨٤)، والمقاييس (٤/ ٢٧١-٢٧٢)، واللسان (٧/ ١٨٥)، والتاج (١٨/ ٤١٠).

(٤) قال الراغب في المفردات: فإذا قيل: أعرض لي كذا. أي عرضه فأمكن تناوله. وقال ابن منظور: وأعرض لك الخير إذا أمكنك، يقال: أعرض لك الظبي ـ أي أمكنك من عرضه، إذا ولأّك عرضه ـ فارمه» انظر: المفردات ص (٥٥٩)، واللسان (٧/ ١٨٥)، والتاج (٨/ ٤١٠).

(٥) في الأصل: والاعتراض والصواب ما أثبته.

﴿بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾(1) (2).

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(3) قد تقدَّم الكلام فيما حُكِيَ عن أهل الكتاب بقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾(4)، (5) والذي غرّهم ما حُكى عنهم من قوله عز وجل: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾(6) والغرُّ: الأثر الظاهر من

---

(1) سورة النور، الآية: ٤٨.

(2) انظر معاني التولي والإعراض في الآية في: النكت والعيون (١/ ٣٨٣)، والوسيط (١/ ٤٢٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٧)، والتفسير الكبير (٧/ ١٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٤)، والدر المصون (٣/ ٩٥)، وعمدة الحفاظ (٣/ ٦٩)، و(٤/ ٣٩٤)، وروح المعاني (٣/ ١١١).

(3) سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

(4) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(5) قال الراغب في تفسيره لهذه الآية من سورة البقرة: ووجه الآية أن اليهود اختلفت، فبعض قال: «نعذب بعدد الأيام التي عبد أصحابنا فيها العجل. وبعض قال: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذَّب مكان كل ألف سنة من الدنيا يوماً من الآخرة. وبعض قال: إن ما بين طرفي جهنم أربعون سنة، وإذا خلا العدد انقضى الأجل، ولا عذاب حينئذٍ» انظر تفسير الراغب (ق ٧٠ ـ مخطوط). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٥).

(6) سورة المائدة، الآية: ١٨.

الشيء، ومنه الغُرَّة[١]، والغرار حد السيف اعتبارًا بالأثر، ولهذا سُمّي أثره السيف[٢]، وغرُّ الثوبِ أثرُ كسره[٣]، يقال: اطوِ على غَرِّة[٤]، واستعير للخديعة، فقيل: غرّه واغتره كقولهم: طواه إذا خدعه، وسُمِّيَ الدنيا والشيطان غرورًا، لكونهما غارين للإنسان، والغِرُّ المغرور، والغُرَر الخطر المتقدم، كأنه الذي به يُغتر، وأما غرَّ الطائرُ الفرخَ فاستعارة من الصوت الذي يكون منه عند زقِّه[٥]، والغرغرة: ترديد الصوت من الحلق، فجعل لفظه مرددًا على

(١) والغُرَّة: البياض من كل شيء، ولها معانٍ كثيرة. انظر: تاج العروس (١٣/ ٢١٧).

(٢) هكذا في الأصل. وقال في المفردات: وغرار السيف: أي حدّه. انظر: المفردات ص (٦٠٣)، وعمدة الحفاظ (٣/ ١٨٩).

(٣) في الأصل: الثواب. وهو تصحيف، والصواب: الثوب. وكسر الثوب ما يظهر من طرائفة بسبب الثني. قال الزبيدي: «وكلُّ شيءٍ متثنٍّ في ثوب أو جلد غرٌّ». وكسر الجلد يكون من السِّمَن. انظر: التاج (١٣/ ٢٢٧، ٢٣٤)، واللسان (٥/ ١٩).

(٤) قال في اللسان بعد أن فسَّر الغرّ بالطي والكسر، يقال: اطو الثوبَ على غرِّه الأول كما كان مطويًّا» وأصل هذه العبارة كلام لرؤبة كما في العين أنه قال لثوب خزّ نُشر عنده: «اطوه على غرّه» انظر: العين (٤/ ٣٤٥).

(٥) قال الجوهري: «زقّ الطائر فرخه يزقُّه: أي أطعمه بفيه» انظر: الصحاح (٤/ ١٤٩١).

سبيل الحكاية، كحكاية كثير من الأصوات[1].

والفُري: قطع الأديم، واستعير للكذب، استعارة الخلق والاختلاق له[2].

إن قيل: هل علموا أنهم كاذبون فيما يقولون؟ قيل: إمّا أنهم علموا واغتروا برئاستهم وأعراضهم الدنيوية، أو تمكنوا من علمه فلم يتحرّوه اغترارًا بما هم بصدده، وعلى كلا الوجهين يستحقون الذم.

قوله عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3] ما سُئل عنه بكيف محذوف[4]، كأنه قيل: كيف حالهم أو قولهم وافتراؤهم، فحُذف لدلالة الكلام عليه[5]، كحذفه في قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا

---

(١) انظر معنى غرّ ومشتقاتها في: العين (٤/ ٣٤٥-٣٤٧)، والصحاح (٢/ ٧٦٧-٧٧٠)، والمفردات ص (٦٠٣، ٦٠٤)، واللسان (٥/ ١١-٢٢)، والدّر المصون (٣/ ٩٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٠) والمفردات ص (٦٣٤، ٦٣٥)، ومختار الصحاح ص (٥٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٤) في الأصل: محدود. وأثبتُّ ما يقتضيه السياق.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٣)، وزاد المسير (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٥).

تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ومعناه: كيف حالهم إذا جوزوا بفعلهم، ولم يُظلموا في بخس ما استوجبوا من ثواب، أو زيادة ما استحقوا من عقاب، ودلّ بالآية أن الكفار لا تغفر ذنوبهم، وعلى ذلك ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[1] الآية، وقد تقدم معنى قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ/ [٢٠٥/أ] كُلُّ نَفْسٍ﴾[2] في سورة البقرة[3].

وقوله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] اللهم: تقديره عند سيبويه[5] يا الله،

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ الآية: ٢٨١. حيث قال: «وتوفية كلّ نفس ما كسبت: جزاؤها، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر، كقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٤٧]. انظر: تفسير الراغب (ق ١٩٢ ـ مخطوط). وانظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٦)، ومجمل اللغة ص (٧٥٨)، والمفردات ص (٨٧٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٥) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن أدد. أخذ النحو عن الخليل والأخفش وأبي زيد الأنصاري=

والميمان بدل من ياء، ولا يستعمل ذلك إلا في هذه اللفظة فقط[1].

وعند الفرّاء تقديره: يا الله امنا بخير، فجعلا بمنزلة لفظ واحد، وحذف الهمزة منه، كقولهم: هلّم، وأصله: هل أم[2]،

= إمام النحو له [الكتاب] في النحو الذي لم يسبقه إليه أحد، ولد سنة ١٤٧ هـ، وتوفي بفارس سنة ١٧٩ هـ وقيل ١٨٠ هـ.
انظر: الفهرست لابن النديم ص (٨١)، وطبقات النحويين واللغويين ص (٦٦)، ونزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري ص (٥٤)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٢٢٩).

(١) قال سيبويه: «وقال الخليل ـ رحمه الله ـ: اللهم نداء، والميم هنا بدل من يا... فقد صرفوا هذا الاسم على وجوه لكثرته في كلامهم، ولأن له حالاً ليست لغيره» انظر: الكتاب (٢/ ١٩٧). وقال الزجاج: وزعم سيبويه أن هذا الاسم لا يوصف، لأنه قد ضُمت إليه الميم، فقال في قوله: جلّ وعز: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أن ﴿فَاطِرَ﴾ منصوب على النداء. وكذلك ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾، ولكن لم يذكره في كتابه. ثم قال: والقول عندي أن ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ صفة الله، وأن ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كذلك، وذلك أن الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه «يا»، فلا تمنع الصفة مع الميم كما لا تمنع مع «يا». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٤). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٩/ ٥٠) ففيه ردٌّ على الزجاج وتصويب لما قاله سيبويه.

(٢) قال الفراء بعد أن ذكر قول من قال من النحويين: إن الميم في (اللهمّ) خلف من «يا»: «ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الأسماء إلا مخففة مثل الفم، وابنم، وهم. ونرى أنها كانت كلمة ضم إليها أُمّ، =

وقال البصريون: لو كان كما ذكر الفرّاء لاستغنى به عن جواب الشرط. إذا قيل: يا الله امنا بخير. لكون ذلك مكررًا[1].

والنزع: جذب الشيء من الشيء، وفصله عنه، ومنه المنازعة، وسُمِّي الشوق نَزَّاعًا ونزوعًا لما تُصوِّر في ذلك أن المحبوب ينزع قلب المحب منه، والنزع ضربان: نزع إلى الشيء وهو الاشتياق، ونزع عنه، وهو الكفُّ، وقيل للغريب: نزيع، لكونه منزوعًا عن مسقط رأسه، أو لكونه نازعًا إليه، أي مشتاقًا، وقيل لمن يشبه أعمامه وأخواله: نزيع. لنزع الشبه منهم، أو لكونه منزوعًا بالشبه عنهم، وسمي السهم مِنْزَعًا والنَّزْعَةُ: الموضع من رأس الأقرع، لكون شعره نزيعًا عنه[2]، وقد تقدَّم الكلام في المُلك،

= تريد: يا الله امَّنا بخير، فكثرت في الكلام فاختلطت، فالرفعة التي في الهاء من همزة أُمّ لما تركت انتقلت إلى ما قبلها، ونرى أن قول العرب: هلّم إلينا مثلها. . . . » معاني القرآن (١/ ٢٠٣). وقال الطاهر بن عاشور: وزعم الفراء أن «اللهم» مختزل من اسم الجلالة، وجملة أصلها: «يا الله امّ» أي أقبل علينا بخير، وكل ذلك تكلف لا دليل عليه» انظر: التحرير والتنوير (٣/ ٢١٢).

(١) انظر الخلاف في هذه المسألة، وحجة كل فريق في: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (١/ ٣٤٠-٣٤٦). وانظر: جامع البيان (٦/ ٢٩٥-٢٩٩). والتحرير والتنوير (٣/ ٤٩، ٥٠).

(٢) انظر معاني (نزع) ومشتقاتها في: العين (١/ ٣٥٧-٣٥٨)، والصحاح=

والمِلك[1] وأن المُلكَ كالنوع للملِكِ، فإن كلّ مِلْك مُلْك ما، وليس كل مُلْك مِلْكاً، وقد عظَّم الله أمره، وقرن بالكتاب والنبوة ذكره[2]، فقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[3]، وقال: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾[4] وقيل: الدين أسٌّ والمُلك حارس، لكون أحدهما غير مستغنٍ عن الآخر من وجه، وقد يسمى المتسلط ملِكًا وإن كان على ضربٍ من المجاز، وعلى هذا قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[5]، فسماه ملكًا مع كونه غاصبًا[6].

= (٣/ ١٢٨٩- ١٢٩٠)، والمفردات ص (٧٩٨) واللسان (١/ ٣٤٩-٣٥٢).

(١) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ من سورة الفاتحة انظر: تفسير الراغب (ق ٤ ـ مخطوط).

(٢) قال الراغب: «والمِلْك ضربان: مِلْك هو التملك والتولي، ومِلْك هو القوة على ذلك تولى أم لم يتولّ... والمُلك: الحقُّ الدائم لله، فلذلك قال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١] وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] فالملك: ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم، والمِلْك كالجنس للمُلْك. فكلُّ مُلْك مِلْكٌ، وليس كلَّ مِلْكٍ مُلْكاً» المفردات ص (٧٧٤، ٧٧٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٦) انظر معاني المُلك ومشتقاتها في: مجمل اللغة ص (٦٧٤)، والمفردات=

واختُلفَ: هل يؤتى الملك الفاسق والكافر؟ فمنهم من قال: لا يُؤتاهما. وإليه ذهب البلخي[1] والجبائي[2]، وذلك لنظرهم إلى المُلْك الأول، ولاعتبار قوله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[3].

ومنهم من قال: يُؤتاهما ذلك، وذلك لنظرهم إلى الثاني الذي هو التسلُّط، وكون ذلك أحد الأغراض الدنيوية[4]، ولهذا قال

= ص (٧٧٤، ٧٧٥)، ومختار الصحاح ص (٦٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٦، ٤٣٧).

(١) في الأصل: بلخي، والبلخي: عبدالله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي الحنفي من متكلمي المعتزلة البغداديين، أقام ببغداد مدة طويلة، واشتهرت بها كتبه، ثم عاد إلى بلخ، فأقام بها إلى حين وفاته. له التفسير الكبير للقرآن العظيم، توفي سنة ٣١٩ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٤)، ولسان الميزان (٣/ ٢٥٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٢٩).

(٢) ذكر فخر الدين الرازي قول الجبائي والمعتزلة في التفسير الكبير (٨/ ٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٤) وهذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة، فالإيتاء في الآية هو الإيتاء الكوني القدري، وهو لا يدلُّ على محبة الله عز وجل لتولية الفاسق أو الكافر أو رضائه بذلك، بل يدل على أنه شاء ذلك وقدَّره كوناً، وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر، التي ذكرها شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية، فقال: «وأما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله=

ربُّنا: ﴿إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا﴾[1]، والأظهر في الآية أنه يعني الملكَ، الحقيقيَّ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[2] فأضافه إلى/ نفسه تعظيمًا له [والملك][3] [٢٠٥/ب] المطلق هو الملك الإلهي، الذي لا جور فيه بوجه، ولذلك قرنه بالعزِّ والذُّلِّ، وإخراج الحي من الميت، والميت من الحي، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وإعطاء الرزق، ونبَّه بقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أن الملك في الحقيقة له، وما لغيره عارية مستردة، ولم يعن بالملك هاهنا[4] سياسة العامة فقط، بل ملك الإنسان على قواه وهواه، فقد قيل: لا يصلح لسياسة الناس من لا يصلح

= سبحانه»، ثم قال: «لا يكون في ملكه ما لا يريد». انظر: العقيدة الواسطية بشرح الفوزان (ص ١٦٣)، وقال الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٧): «واعلم أن هذا الموضع مقام بحث مهم، لأن حصول الملك للظالم إما أن يقال: إنه وقع لا عن فاعل، وإنما حصل بفعل ذلك المتغلِّب، أو إنما حصل بالأسباب الربانية، والأول نفي للصانع، والثاني باطل، لأن كل أحد يريد تحصيل الملك والدولة لنفسه ولا يتيسّر له ألبتة، فلم يبق إلا أن يقال: بأن ملك الظالمين إنما حصل بإتيان الله تعالى، وهذا الكلام ظاهر».

(١) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٣) غير واضح بالأصل، والراجح ما أثبته بمقتضى السياق.

(٤) المذكور في قوله: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾.

لسياسة نفسه. وقيل لبعضهم: من الملك؟ فقال: من ملك هواه فقهره، وقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ أي تُعزه بإعطائه الملك، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ باسترجاعه منه أو حرمانه إياه[1]، وقيل: تُعزُّ من تشاء بأن تصونه عن تمكينه من الملك في الدنيا، وتذل من تشاء بإعطائه ذلك[2]، وهذا التفسير على النظر إلى ما قال عليه الصلاة والسلام: «**ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرة وندامة إلى يوم القيامة**»[3] وما قال أبو بكر[4] رضي الله عنه:

---

(١) وهذا قول ابن جرير الطبري، انظر: جامع البيان (٦/ ٣٠١).

(٢) لم أجد هذا القول الذي ذكره الراغب فيما بين يديّ من كتب التفسير، فلعله رأي تفرَّد به، وسياق الآيات يأبى هذا التفسير، فقد نزلت هذه الآيات في المهاجرين والأنصار، الذين أعزهم الله عز وجل بالملك والسلطان بعد الإيمان والتوحيد ونصرة دين الله تعالى ورسوله ﷺ. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٨)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، وتفسير القران العظيم لابن كثير ١/ ٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، «باب ما يكره من الحرص على الإمارة» رقم (٧١٤٨) ولفظه: «إنكم ستحرصون على الإمارة...» والنسائي، كتاب البيعة، باب «ما يكره من الحرص على الإمارة» (٧/ ١٦٢) وكتاب آداب القضاة، باب النهي عن مسألة الإمارة (٨/ ٢٢٥، ٢٢٦) وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٨، ٤٧٦).

(٤) هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مرّة التيمي أبو بكر بن أبي قحافة، الصدّيق الأكبر أفضل الصحابة على الإطلاق، خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأولى سنة ١٣هـ، وله ثلاث=

«إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، إن الرجل إذا ملك زهَّده الله فيما في يده، ورغَّبه فيما في يد غيره، ونقصه شطر أجله وأُشرب[1] قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويتسخَّط الكثير، فإذا وجبت نفسه حاسبه الله فأشدَّ حسابه وأقلّ غفره»[2]

وقال بعض المفسرين: أمر نبيه في هذه الآية أن يدعوه، بأن يُحوِّل عِزَّ فارس إلى العرب[3]، وخصّص الملك بالنبوة، فقال معناه: تؤتي النبوة من تشاء وتصرفها عمن تشاء[4]. وقيل قوله: ﴿تُعِزُّ

= وستون سنة، صحب النبي ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات. انظر: التهذيب (١/ ٣١٥)، التقريب ص (٣١٣)، الإصابة (٣/ ١٤٤).

(١) في الأصل (وأشرف) والتصويب من محاضرات الأدباء ص (٧٤).

(٢) انظر: محاضرات الأدباء ص (٧٤)، وقد ذكر أنه لما تولى الخلافة خطب فقال هذا الكلام، ولم أقف عليه عند غير الراغب.

(٣) روى ذلك قتادة فقال: ذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ سأل ربَّه جلَّ ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ إلى ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٤)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٤)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٧).

(٤) وهو قول ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن، انظر: جامع البيان (٦/ ٣٠٠، ٣٠١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٤، ٦٢٥)، =

﴿مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ ليس براجع إلى المُلك، وإنما معناه: من يشاء بطاعته، ويُذِلّ من يشاء بمعصيته[1]، والأظهر أن يكون ذلك عامًّا في كل عزّ وذلّ دنيويًّا كان أو أخرويًّا[2]، إن قيل: كيف قال: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ والخير والشر بيده؟ فقيل في ذلك أجوبة:

الأول: أراد الخير والشر[3]، لكن الآية لما كانت في الحمد والشكر لا للحكم ذكر الخير، إذ هو المشكور عليه[4]، وعلى ذلك

= والنكت والعيون (١/ ٣٨٤)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٧).

(١) ذكر المفسرون هذا القول، ولم ينسبوه لأحد. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٠٧)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٧).

(٢) يؤيد ذلك ما ذكره أبو حيان في البحر المحيط، فبعد أن ذكر أقوال المفسرين في تفسير الإعزاز والإذلال التي تجاوزت العشرة، قال: «وينبغي حمل هذه الأقاويل على التمثيل، لأنه لا مخصّص في الآية، بل الذي يقع به العز والذل مسكوت عنه». انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣٧)، وروح المعاني (٣/ ١١٤).

(٣) انظر هذا القول في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٠)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨)، وروح المعاني (٣/ ١١٥).

(٤) نقل أبو حيان هذه الجملة في البحر المحيط (٢/ ٤٣٨)، ونسبها للراغب.

قوله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1]، وفيه تعليمنا كيف نمدح أبناء جنسنا بأن نذكر أشرف خصالهم[2].

والثاني: أنه نصَّ على المعظَّم ليُفهم منه الضد الآخر[3]، كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[4]، وكقول الشاعر:

فما أدري إذا يممتُ وجهاً ... أريدُ الخير أيُّهما يليني[5]

والثالث: أنه أراد بالخير: الخير والشر، وسمَّاهما خيراً، لأنه ليس في العالم شرٌّ خالص، كما أن فيه خيراً/ خالصاً، وذاك أن ما [٢٠٦/أ] هو شر لكذا هو خير لكذا، فالخير والشر يصدق عليهما الوصف بالخير من هذه الجهة، ولا يصدق عليهما الوصف بالشر، فلو قال بيده الشرُّ، لم يدخل فيه الخير[6]. ووصْفُه بالقدرة على كل

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.

(٢) لو قال: وفيه تعليمنا كيف نمدحه تعالى، ونثني عليه، كان أولى. ولذلك عمّم أبو حيان الجملة، فقال في البحر المحيط (٢/ ٤٣٨): وفي الاقتصار على ذكر الخير تعليم لنا كيف نمدح بأن نذكر أفضل الخصال.

(٣) انظر هذا القول في: النكت والعيون (١/ ٣٨٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨).

(٤) سورة النحل، الآية: ٨١.

(٥) البيت للمثقّب العبدي، واسمه عائذ بن محصن بن ثعلبة، وقد ذكره السيوطي في «شرح شواهد المغني» (١/ ١٩١) ونسبه إليه.

(٦) انظر هذا القول في: الكشاف (١/ ٣٥٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٤)، =

شيء في آخر الآية تنبيه على أنه أراد الأمرين، فإن سعة القدرة تقتضيهما[1].

قوله عز وجل: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

الولوج: الدخُول في مضيقٍ، فهو أخصُّ من الدخول. يقال: تَوْلَجُ الظّبي[3]، والوَلَجَة: بناء بين يدي فناء القوم، كالمدخل إليه[4]. واستعير الوليجة لبطانة الرجل[5] كالدَّخيل[6] وإيلاج

= والتحرير والتنوير (٣/ ٢١٤).

(١) قال البيضاوي في «أنوار التنزيل: فنبه على أن الشرَّ أيضاً بيده بقول: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. انظر: أنوار التنزيل (١/ ١٥٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

(٣) تَوْلَجُ الظبَي كِنَاسُه. انظر: العين (٦/ ١٨٢)، و(٥/ ٣١٢) «والكناس: مولج للوحش يستكنُّ فيه من الحر والصّر، ثم يذهب إذا أمسى، فإذا صار مألفاً فهو تَوْلَجُهُ».

(٤) في القاموس: والولَجَة: كهف تستتر فيه المارَّة من مطرٍ وغيره. وفي اللسان والتاج: «الولجُ والولجة: شيء يكون بين يدي فناء القوم». انظر: اللسان (٢/ ٤٠٠)، والقاموس ص (٢٦٧)، والتاج (٦/ ٢٦٤).

(٥) انظر: العين (٥/ ٣١٢)، و(٦/ ١٨٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٥)، والصحاح (١/ ٣٤٧)، والمفردات ص (٨٨٢، ٨٨٣).

(٦) قال محمد بن أبي بكر الرازي: ودخيل الرجل الذي يداخله في أموره=

الليل في النهار والنهار في الليل، يتناول تعاقبَ أحدهما الآخر[1]، والزيادةَ من كلٍّ واحد منهما في الآخر[2]، وقد فُسِّر بهما.

وقوله: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[3] يتناول خروج الإنسان من النطفة، نحو: ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾[4]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾[5]، وهذا هو

= ويختصُّ به. انظر: مختار الصحاح ص (٢٠١)، وقد رُسمت الكلمة في الأصل [كالدخلل] والأظهر ما أثبتّه.

(١) القول بأن قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يعني تعاقبهما، ذكره بعض المفسرين على جهة الاحتمال، ونسبه بعضهم إلى بعض المتأخرين. انظر: بحر العلوم (١/ ٢٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨).

(٢) هذا قول المفسرين قاطبة: قال الواحدي في الوسيط (١/ ٤٢٧): قال جميع المفسرين: «تجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر» وهو قول ابن عباس ومجاهد، وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن وقتادة وابن زيد وابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٠٢-٣٠٤)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٥)، وبحر العلوم (١/ ٢٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥١)، وزاد المسير (١/ ٣٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

الذي قال الضَّحَّاك[1] والسُّدي[2] وابن زيد[3]: الدَّجاجة من

---

(١) رواية الضحاك أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٥)، وذكرها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم دون إسناد (٢/ ٦٢٦). والضحاك هو: أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي الخراساني، صدوق كثير الإرسال، كان من أوعية العلم، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، له كتاب في التفسير. توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ وقيل سنة ١٠٢هـ. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٥)، التهذيب (٤/ ٤٥٣)، التقريب ص (٢٨٠)، طبقات المفسرين (١/ ٢٢٢).

(٢) رواية السدي أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٥) وذكرها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم دون إسناد (٢/ ٦٢٧). وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٢).

والسُّدِّي هو: أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدّي الحجازي، ثم الكوفي صدوق يهم ورُمِي بالتشيع، روى عن أنس وابن عباس ورأى ابن عمر والحسن بن علي وأبا هريرة وأبا سعيد، وروى عنه شعبة والثوري وأبو عوانة وغيرهم، صاحب: «التفسير» و«المغازي» و«السيرة» تُوفي سنة ١٢٨هـ وقيل سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، التهذيب (١/ ٣١٣)، التقريب ص (١٠٨)، طبقات المفسرين (١/ ١٠٩).

(٣) رواية ابن زيد أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٦). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٣٨).

وابن زيد هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، ضعيف اشتهر بالرواية في التفسير عن أبيه، ومحمد بن المنكدر، قال عنه الذهبي: فيه لين. توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء =

البيض، والبيض من الدجاج. وقال الحسن: عنى إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[1]، وقال بعضهم: يتناول ذلك كل شيء من الأركان، إذا استحال إلى غيره، ولهذا قال السدي: يخرج النخلة من النواة، والنواة من النخلة[2]، والأظهر في قوله: الحي من الميت. تصور اثنين. وقد قيل: عنى بذلك شيئاً واحداً تتغير به الحال، فيكون ميتاً ثم يحيا، وحيّاً فيموت، كقولك: جاء من فلان أسد، وليس الأسد إلا هو[3]، وقد تقدم الكلام في قوله ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[4].

= (٨/ ٣٠٩)، والتهذيب (٦/ ١٧٧)، التقريب ص (٣٤٠)، وطبقات المفسرين (١/ ٢٧١).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٦، ٣٠٧)، وابن المنذر في تفسيره (ق ١٧ ـ مخطوط) وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٥)، وزاد المسير (١/ ٣٧٠). والقول الأول هو قول الجمهور، كما قال ابن الجوزي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٢٨) بإسناده عن السدي، عن أبي مالك، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٠٦) بإسناده عن عكرمة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧) إلى ابن جرير الطبري عن عكرمة، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٣٩) إلى أبي مالك أيضاً.

(٣) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٢/ ٤٣٩) ولم ينسبه إلى أحد.

(٤) قال الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ من سورة البقرة، الآية: [٢١٢]: «أعطاه بلا حساب: إذا أعطاه أكثر مما=

قوله عز وجل: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1].

قد عظم الله موالاة الكافرين وموادّتهم والركون إليهم في آيات كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[2] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[3] وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ/ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[4] وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[5] [٢٠٦/أ] وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[6] وأمرنا بالإعراض عنهم، فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾[7] وقال عليه الصلاة والسلام:

= يستحق، أو أقل مما يستحق، والأول هو المقصود هٰهنا، وهو المشار إليه بالإحسان». انظر: تفسير الراغب (ق ١٣٩ ـ مخطوط).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

(٦) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٧) سورة النجم، الآية: ٢٩.

«لاتراءى ناراهما[1]» وقال: «أنا بريءٌ من كل مسلم مع مشرك»[2]

إن قيل: ما وجه جواز مواصلتهم والاستعانة بهم واتخاذهم عبيداً، وذلك ضربٌ من الموالاة، فالجواب من أوجهٍ:

الأول: أن هذه الآيات تقتضي المنع [من][3] موالاتهم، إلا ما خُصّ، وفُسِحَ لنا فيه[4].

---

(١) لفظ الحديث عن جرير بن عبدالله البجليّ عن النبي ﷺ قال: «**أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**». قالوا: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «**لا تراءى ناراهما**» أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، رقم (٢٦٤٥). والترمذي، كتاب السير، باب كراهية المقام بين أظهر المشركين رقم (١٦٠٤)، والنسائي في كتاب القسامة، باب القود بغير حديدة (٨/ ٣٦)، وأخرجه الترمذي في العلل الكبير (٤٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٢٣٣)، والطبراني في الكبير (٢٢٦١-٢٢٦٤)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣١) و (٩/ ١٤٢). وانظر: ضعيف الترمذي للألباني (٢٧٣). قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٦٩ ـ هامش الإحياء»: قال البخاري: الصحيح أنه مرسل. اهـ. وصححه الألباني في الإرواء (٥/ ٢٩).

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) كلُّ ما رخّصَ فيه الشرع من التعاملات مع الكفار: كبيعهم، وشرائهم، والاستعانة بهم، واتخاذهم خدماً، والعدل فيهم لا يسمى موالاة، بل هي معاملات جائزة، رخص فيها الشرع، ولذلك قال ابن الجوزي عند تفسيره=

والثاني: أن الموالاة المطلقة هي أن تواليهم في جميع الأمور، فأما في شيء دون شيء فليس ذلك بموالاة[1].

الثالث: أن يكون ذلك مخصوصاً في الموالاة الدينية[2].

الرابع: أن الموالاة على ضربين: موالاة الأرفع للأوضع، وذلك

= لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾: قال المفسرون: «وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برِّهم، وإن كانت الموالاة منقطعة عنهم» زاد المسير (٨/ ٢٣٧)، وأشار الحافظ ابن حجر في الفتح أن البر والصلة والإحسان للمشرك لا يستلزم التحابب والتواد المنهي عنه، انظر: فتح الباري (٥/ ٢٣٣).

(١) الصحيح أن الموالاة لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ فموالاة غير الله ورسوله والذين آمنوا ولو في شيء دون شيء لا تجوز، لأن الآية حصرت الموالاة «بإنما» في هؤلاء، ولأن الموالاة في الأصل تعني المحبة والقرب والأخوة، وهذه مرتفعة عن الكفار. ويختلف حكم موالاة غير المؤمنين بحسب طبيعة تلك الموالاة، فمنها ما هو كفر، ومنها ما ليس بكفر، انظر في ذلك: جامع البيان (٦/ ٣١٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٦٨).

(٢) وهذا الوجه أيضاً لم يفرِّق بين الموالاة وبين المعاملات، التي أجازها الشرع مع الكفار، وهي لا تدخل ضمن الموالاة كما تقدم بيانه.

باستخدامه إياه ورعايته والحماية عليه، وموالاة الأوضع للأرفع وذلك بالخدمة. والذي نُهي عنه المسلم جزماً هو أن يوالي الكافر موالاة الأوضع للأرفع بالخدمة له والاستعانة به استعانة الذليل بالعزيز، لا أن يستعين به استعانة العزيز بالذليل والمخدوم بالخادم، فذلك مرخَّص فيه[(١)]، وذاك لما قال النبي ﷺ: «**الإسلام يعلو ولا يُعلى**»[(٢)] ومن هذا رُخِّص أن ننكح منهم دون أن ينكحوا

---

(١) أغلب المفسرين فسَّروا الآية على عمومها، ولم يفصّلوا القول في أوجه وأحكام الموالاة، ومن هؤلاء ابن جرير الطبري فقد قال في تفسير الآية: «وهذا نهي من الله عز وجلّ المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً. . . ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين». وقال صاحب الكشاف: «نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام، أو غير ذلك من الأسباب التي يُتصادق بها ويُتعا شر». وقال الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء، يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين». وعلى هذا الضرب من الكلام سار أغلب المفسرين. انظر: جامع البيان (٦/ ٣١٣)، والوسيط (١/ ٤٢٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، والكشاف (١/ ٣٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٧)، وفصّل أبو حيان بعض الشيء في البحر المحيط (٢/ ٤٤٠، ٤٤١).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب اللقطة، باب ذكر من صار مسلماً بإسلام أبويه (٦/ ٢٠٥)، والدارقطني في سننه، كتاب النكاح، باب المهر=

فينا[1]، وأن نملك أرقاءهم ولا يملكوا أرقاءنا[2]، وأن نرثهم في قول من يرى ذلك، ولا يرثونا بوجه[3]، ثم قد يكره لمن لم

= (٣/ ٢٥٢)، وأخرجه الروياني (٢/ ٢٧) رقم (٧٨٢). وانظر الروايات في تغليق التعليق على صحيح البخاري (٢/ ٤٨٩). وحسّنه ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٢٢٠)، والسيوطي في الجامع الصغير (٣/ ١٧٩ - فيض القدير).

(١) لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [المائدة: ٥] وقد نقل ابن كثير الإجماع على أن المسلم يتزوّج النصرانية، ولا يتزوج النصراني مسلمة. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٤٤).

(٢) لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

(٣) قال الجصّاص في أحكام القرآن (٢/ ١٠١، ١٠٢): فأما ميراث المسلم من الكافر، فإن الأئمة من الصحابة متفقون على نفي التوارث بينهما، وهو قول عامة التابعين وفقهاء الأمصار. وروى شعبة عن عمرو بن أبي حكيم، عن ابن باباه، عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال: كان معاذ بن جبل باليمن، فارتفعوا إليه في يهودي مات وترك أخاه مسلماً، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الإسلام يزيد ولا ينقص»** وروى ابن شهاب عن داود بن أبي هند قال: قال مسروق: ما أحدث في الإسلام قضية أعجب من قضية قضاها معاوية. قال: كان يورِّث المسلم من اليهودي والنصراني، ولا يورِّث اليهودي والنصراني من مسلم. قال: فقضى به أهل الشام. قال داود: فلما قدم عمر بن عبدالعزيز رَدَّهم إلى الأمر الأول. ثم ذكر الجصّاص قوله ﷺ: **«لا يتوارث أهل ملتين شتى»**=

يَقِرّ[1] في الإسلام المصاهرة إليهم، والاستعانة في المهن بهم تفادياً أن يُغروه، وذلك ما قال عليه الصلاة والسلام لحذيفة[2] لما تزوج بمشركة: «**دعها فإنها لا تحصنك**»[3]، بل

= وفي لفظ: «**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**». ثم قال: «فهذه الأخبار تمنع توريث المسلم من الكافر والكافر من المسلم، ولم يرو عن النبي ﷺ خلافه، فهو ثابت الحكم في إسقاط التوارث بينهما».

(١) يقرّ: أي ينهل ويستقر. انظر: لسان العرب (٥/ ٨٣، ٨٤).

(٢) حذيفة بن اليمان واسم اليمان حُسيل بن جابر بن ربيعة بن فروة بن الحارث بن عيسى، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، أراد وأبوه شهود بدرٍ فصدّهما المشركون، شهد أحداً والخندق وما بعدها، صح في (مسلم) عنه أن رسول الله ﷺ أخبره بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات سنة ٣٦هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ١٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦١)، والتقريب ص (١٥٤)، والإصابة (٢/ ٣٩).

(٣) الوارد عن حذيفة رضي الله عنه أنه تزوج يهودية، فكتب إليه عمر: خلِّ سبيلها، فكتب إليه: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن. أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤/ ٣٦٧) والبيهقي في سننه (٧/ ١٧٢) وصححه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٤). ولعل الراغب أراد الاحتجاج بقصة كعب بن مالك، فقد ذكر الجصّاص في أحكام القرآن (١/ ٣٣٤)=

لذلك قال: «**مثل الجليس الصالح كمثل الداريِّ**[1] **إن لا يحذك من عطره تَعَلَّقَك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القَيْن إن لا يحرقك بشرره يؤذك بدخانه**»[2]، وقال بعض الحكماء:

= قال: وربما احتج بعض القائلين بهذه المقالة بما روي عن علي بن أبي طلحة قال: أراد كعب بن مالك أن يتزوج امرأة من أهل الكتاب، فسأل رسول الله ﷺ فنهاه، وقال: «**إنها لا تحصنك**» قال: فظاهر النهي يقتضي الفساد ـ أي فساد النكاح ـ فيقال: إن هذا حديث مقطوع من هذا الطريق، ولا يجوز الاعتراض بمثله على ظاهر القرآن في إيجاب نسخه ولا تخصيصه، وإن ثبت فجائز أن يكون على وجه الكراهية، كما روي عن عمر من كراهته لحذيفة تزويج اليهودية لا على وجه التحريم، ويدل عليه قوله: «**إنها لا تحصنك**» ونفي التحصين غير موجب لفساد النكاح، لأن الصغيرة لا تحصنه، وكذلك الأمة ويجوز نكاحهما. اهـ. وحديث كعب بن مالك الذي ذكره الجصاص رواه أبو داود في المراسيل ص (١٨١) رقم (٢٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٥٣٦)، والدارقطني في السنن (٣/ ١٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٠٣)رقم (٢٠٥).

(١) **الداري**: هو العطّار منسوب إلى دارين، فرضَةٍ بالبحرين، بها سوق يحمل المسك من الهند إليها. انظر: القاموس المحيط ص (٥٠٤).

(٢) هذا اللفظ ذكره الرامهرمزي في كتاب الأمثال ص (١١٣) رقم (٧٨) من حديث بريد رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود، كتاب الآداب، باب من يؤمر أن يجلس، رقم (٤٨٢٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٠٤-٤٠٨)، =

«إياك ومجالسة الشرير، فإن طبعك يسرق من طبعه، وأنت لا تدري»، وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾[1] إياس من الموالاة التي أثبتها بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] ونحوه، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ فرخصه في إظهار الموالاة باللسان دون القلب، حيث يحصل تقية، كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[3] ولا حرج في مداراة الكافر حيث يُخاف شرّه، أو يُرجى صلاحه[4]، فقد روي عن النبي/ [٢٠٧/ب]

= والطيالسي ص (٧٠) رقم (٥١٥)، والحميدي (٢/ ٣٣٩) رقم (٧٧٠)، وأبو الشيخ في كتاب الأمثال ص (٣٧٧) رقم (٣٢٥)، جميعهم من حديث أبي موسى الأشعري. وأبو يعلى في مسنده رقم (٤٢٩٥)، وفيه «العطار» بدلاً من «الداري»، والحديث متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ آخر، أخرجه البخاري «كتاب البيوع»، باب في العطار وبيع المسك رقم (٢١٠١)، ومسلم في كتاب البر، باب استحباب مجالسة الصالحين رقم (٢٦٢٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٤) قال الجصّاص في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: يعني أن تخافوا تلف النفس وبعض الأعضاء، فتتقوهم بإظهار الموالاة من غير اعتقاد لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من أهل العلم. أحكام القرآن (٢/ ٨). وانظر: جامع البيان (٦/ ٣١٣)، =

ﷺ أنه استأذن عليه بعض الناس، فقال: «بئس أخو العشيرة هو»، فلما دخل أكرمه، وسألته عائشة بعد خروجه، فقال: «إن شر الناس من يُكرم اتقاء لسانه»[1]. واختلف هل يجوز الإفصاح بالحق في حال التَّقيَّة؟ فأجاز ذلك بعضهم استدلالاً بما روى الحسن: أن مسيلمة الكذاب[2] أخذ رجلين من أصحاب رسول

= والوسيط (١/ ٤٢٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، وزاد المسير (١/ ٣٧٢)، وابن كثير (١/ ٣٣٧).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الآداب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم (٦١٣٢)، وباب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب رقم (٦٠٥٤)، وباب المداراة مع الناس رقم (٦١٣١). وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه رقم (٢٥٩١). وأبو داود، كتاب الآداب، باب في حسن العشرة، رقم (٤٧٩٢). والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المداراة، رقم (١٩٩٦) وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد في المسند (٦/ ١٥٨). والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٣٨)، وعبد بن حميد في المنتخب رقم (١٥٠٩). وابن حبان في صحيحه رقم (٤٥٣٨)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٣٢٠) رقم (٧٦١٨)، والحميدي رقم (٢٤٩).

(٢) مسيلمة الكذاب: بن حبيب الحنفي الكذاب، أبو ثمامة من أهل اليمامة، ادعى النبوة، وصنع أسجاعاً يعارض فيها القرآن بزعمه، وقوي أمره في اليمامة بعد وفاة النبي ﷺ، فارتد قومه، وتابعوه فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش لمحاربته، فنصر الله المسلمين، وقُتِلَ مسيلمة=

الله ﷺ، فقال لأحدهما: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فخلَّاه، ثم دعا الآخر، فقال له ذلك، فأبى أن يقوله فقتله، فقيل ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**أما المقتول فمضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضيلة، فهنيئاً له. وأما الآخر فأخذ برخصة الله، فلا تبعة عليه**»[1] وجملة الأمر أن الإفصاح عند التَّقيَّة[2] إيفاءً بالحق، مستحسن حيث كان فيه نفعٌ ديني، فأما إذا لم يكن في ذلك نفع ديني بوجه، فالعدول إلى كلمة الكفر على وجه التعريض أولى[3]،

= الكذاب وكثير من اتباعه في حديقة الموت في السنة الحادية عشرة من الهجرة. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٩٤) و(٣/ ١٠٥) وتاريخ الأمم والملوك (٣/ ٤٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ١٩).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجهاد، باب «ما قالوا في المشركين يدعون المسلمين إلى غير ما ينبغي» (١٢/ ٣٥٧-٣٥٨) رقم (١٣٠٨٣)، عن الحسن البصري مرسلًا.

(٢) التَّقيَّة من الوقاية وهي: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والتَّقيَّةُ: خوف القتل. انظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٣٩٦) المفردات ص (٨٨١).

(٣) اختلف العلماء في حكم التقية: فمنهم من منعها ورأى أنها كانت في أول الإسلام وفي حال الضعف، وهذا قول معاذ بن جبل ومجاهد وسعيد بن جبير، ومنهم من أجازها عند الخوف على النفس أو المال، وهو قول جمهور العلماء، وهؤلاء اختلفوا فيمن يُتقى منه، فمنهم من قصر ذلك على الكفار، وهذا القول نصره البغوي والرازي، ومنهم من توسّع في ذلك، فقال: يتقى من كل قادر غالب، يكره غيره بجورٍ منه. ويشمل=

[إن][1] قيل: ما تعلق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: لما عرّفنا أنه مالك الكل والقادر عليه نهانا عن موالاة من يعاديه، وقوله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ فالحذر: الاحتراز من السطوة[2]، وذلك على ضربين: **أحدهما**: حذر الإنسان إياه برؤية ذنوبه[3]، وإليه قصد بقوله: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[4]، والثاني: حذره برؤية تقصيره في طاعته، وإياه قصد بهذه الآية، وعلى هذا ذكر التقوى، فقال في موضع: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ ﴾[5]، وفي موضع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[6]. قال الحسن: من رحمته أن

= ذلك الكفار وجَوَرة الرؤساء والسّلابة وأهل الجاه في الحواضر، حتى زوج المرأة فقد قال مالك: إنه قد يكره، وهذا مذهب الشافعي ومالك وغيرهما. انظر أقوال العلماء في ذلك في: جامع البيان (٦/ ٣١٤-٣١٦)، وأحكام القرآن للجصّاص (٢/ ٩)، والوسيط (١/ ٤٢٨) ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦)، والكشاف (١/ ٣٥١)، وزاد المسير (١/ ٣٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٣)، وروح المعاني (٣/ ١٢٥).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) انظر: المفردات ص (٢٢٣)، ومختار الصحاح ص (١٢٧)، والدر المصون (٣/ ١١٣).

(٣) في الأصل: دونه. والسياق يقتضي ما ذكرته.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

حذرهم نفسه[1]، ولتحذيره إياهم قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[2] فإنه حذّرنا، بخلاف ما يفعل الماكر، وإلى مقتضى معناه أشار العرب بقول: أعذر من أنذر[3]، وفائدة قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾ في هذا المكان أنه لما ذكر قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ﴾ بيَّن أنكم وإن اتقيتموهم فاحذروا الله، فإنه يحذركم أن توالوهم[4] بقلوبكم[5].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[6] الأصل في الصّدر: الجارحة، فاستعير لصدر المجلس والكتاب والكلام، وصدره إذا أصاب صدره، أو قصد نحو ظهره، وكتفه، وإذا عُدِّي بعن اقتضى الانصراف عنه، والصدر يقال للمصدر اللفظي ولموضع الصّدر، ولزمانه، والصِّدار الصُّدْرَة[7] يُغطىٰ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٣٢)، وابن المنذر في تفسيره (ق١٩ ـ مخطوط).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

(٣) أي أقام العذر من خوَّف قبل الفعل. انظر: جمهرة الأمثال (١/ ١٦٢).

(٤) في الأصل «توالوه» والسياق يقتضي ما ذكرته.

(٥) أشار إلى هذا المعنى: ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٦/ ٣١٧)، والبيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٥).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

(٧) في الأصل: التغيره: وليس له معنى، وما أثبته هو المنصوص عليه في=

[٢٠٧/ب] بها الصّدر على بناء الدِّثار واللباس[١]، / ويقال له الصّدْرَة[٢]، ولما نهى تعالى عن موالاة الكفار ـ وذلك يكون بالقلب قبل أن يكون بالجوارح ـ حذرهم أن يوالوهم بقلوبهم، فيكونوا كمن وصفهم بقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى ﴾[٣]، وكمن وصفهم بقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ ﴾[٤] الآية، بيّن أنه لا يخفى عليه ذلك، بل لا يخفى عليه ما في السموات والأرض، وهو قادر عليهم، وإذا كان قادراً وعالماً بالسرائر فحقٌّ أن يُحْذَرَ.

إن قيل: لِمَ قدَّم[٥] الإخفاء على الإبداء، ومن البادي يُتَوَصَّل إلى الخافي، وقضيّة المتمدّح أن يقول فلان لا يفوتني: مشىٰ أو عدىٰ ولا يكاد يُقال: عدىٰ أو مشىٰ؟ قيل: لما كان العلم يظهر في النفس، ثم يبرز بالقول أو بالكتاب صار الخافي سبباً للبادي،

= كتب اللغة.

(١) يعني أنه من اسم الآلة الذي على بناء فِعَال بكسر الفاء. انظر: المساعد في شرح تسهيل الفوائد (٢/ ٦٣٨).

(٢) انظر معاني هذه المادة في: العين (٧/ ٩٤/ ٩٥) والصحاح (٢/ ٧٠٨، ٧٠٩)، والمفردات ص (٤٧٧، ٤٧٨)، والتاج (١٢/ ٢٩٣-٣٠٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٥) في المخطوط (لم قال قدَّم)، فحذفتُ [قال] لأنها زائدة.

فنبّه بذلك أنه يعلم الشيء منا قبل أن نُظهره، وأنه يستوي عنده السر والجهرُ، وعلى هذا قال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾[1]، وقال: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[2]، فقدم السرَّ في هذا الموضع، وقال في موضع: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[3] فقدم الإبداء تنبيهاً أنهما عنده سواء[4].

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[5].

تقديره: يحذركم نفسَه يومَ تجد[6]، أو اذكر يومَ تجد[7]،

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٤) انظر في سبب تقديم الإخفاء على الإبداء في هذه الآية: البحر المحيط (٢/ ٤٤٣، ٤٤٤)، والدر المصون (٣/ ١١٤)، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٢٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٦) وهو قول الزجاج كما في معاني القرآن (١/ ٣٩٧). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٤)، والدر المصون (٣/ ١١٤).

(٧) ذكر هذا التقدير ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣١٩) قال: «وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: واذكر يوم تجد»، وذكره أيضاً=

أو الله على كل شيء قدير يوم تجد[1]، وقوله: ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مفعول تجد، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ معطوف عليه، كأنه قيل: وما عملت من سوء محضراً، وتودّ: في موضع الحال[2]، وقيل: ما عملت من سوء استئناف[3]، إما جزاء وتود جوابه، وعلى هذا لو قرئ ﴿تَوَدُّ﴾ بالفتح أو بالكسر لجاز[4]، وإما أن يكون بمعنى الذي متضمناً لمعنى [الشرط][5]،

= مكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥) وجوّزه، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٤٤). وانظر: الدر المصون (٣/ ١١٥) وروح المعاني (٣/ ١٢٧).

(١) ذكر هذا التقدير مكّي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥) وجوّزه، ونقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٤٤). وانظر: الدر المصون (٣/ ١١٤)، وروح المعاني (٣/ ١٢٧).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٤)، والدر المصون (٣/ ١١٧) وروح المعاني (٣/ ١٢٦).

(٣) ممن جوَّز الاستئناف: الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٠٦، ٢٠٧) وانظر: الدر المصون (٣/ ١١٧).

(٤) هذا من جهة النحو، أما من جهة القراءة فلم أجد من قرأ بها كذلك. وقال النحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٦٦): ولو كانت (ما) منقطعة من الأولى على أن تكون شرطاً وتعطف جملة على جملة لم يجز إلا أن تجزم (تودّ) «ولا نعلم أحداً قرأ به، وإن كان جائزاً في النحو». وانظر: معاني القرآن للفرَّاء (١/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٥) ما بين المعكوفين إضافة يقتضيها السياق.

وإن لم يكن في تقدير الجزم، نحو: الذي يأتيني له درهم[1]، والأولى أن يكون معطوفاً كما تقدَّم[2]، ووجودُ الأنفس ما عملت: تصوره لها من حيث لا يخفى عليها، ونحوه مما دل على ذلك قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[4] فاستنساخه وإحصاؤه: إذكارهم به حتى يعلموه[5]، فإن من صفة

---

(١) تكون (ما) شرطية وحينئذٍ يجزم جوابها، أو يكون في محل جزم. وإذا كان جملة اسمية وجب دخول الفاء عليها، وتكون (موصولة) بمعنى الذي، فإذا كانت مبتدأ وكان خبرها جملة اسمية جاز دخول الفاء على خبرها، وليس بواجب، و(ما) في هذا الحكم مثل (الذى)، انظر: الكتاب (٣/ ١٠٢، ١٠٣)، والمساعد (١/ ٢٤٤، ٢٤٥)، والمغني ص (٦٤٠، ٦٤١، ٧١٨).

(٢) وإلى هذا العطف ذهب الطبري في جامع البيان (٦/ ٣١٩) وغيره. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٧).

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٦.

(٥) قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، فما رأى من أعماله حسناً سرَّه ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغصَّه وودَّ لو أنه تبرأ منه، وأن يكون بينهما أمد بعيد» اهـ. وانظر هذا الوجه أيضاً في: الوسيط (١/ ٤٢٨)، =

علم الإنسان أن تحصل صورة المعلوم في قلبه وثبوت الصورة في القلب أوكد كتابة، ويجوز أن يكون معنى ﴿تَجِدُ كُلُّ/ نَفْسٍ مَّا [٢٠٨/أ] عَمِلَتْ﴾، أي جزاء ما عملت من خير وشر[١]. إن قيل: ما فائدة حذف الجزاء في هذا المكان ونحوه من قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[٢]، وقوله: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٤]؟ قيل: لما أراد أن ينبِّه أن الإنسان لا يُبخس حظه فيما يفعل من خير، ولا يُزاد عليه في جزاء ما يفعل من شر، ذكر نفس الفعل دون الجزاء؛ تنبيهاً له أن فعله مستوفى بالجزاء، حتى كأنه هو، كقولك: زيد هو أبوه بعينه. إذا أريد المبالغة في التشبيه به، وإعادة قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[٥]، توكيد واستظهار عليهم[٦]، فإن قيل: وكيف علَّقه بالرأفةِ؟ قيل:

= والتفسير الكبير (٨/ ١٥).

(١) انظر هذا الوجه في: بحر العلوم (١/ ٢٦١)، وزاد المسير (١/ ٣٧٢)، والتفسير الكبير (٨/ ١٥)، وروح المعاني (٣/ ١٢٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٦) انظر: التفسير الكبير (٨/ ١٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٨)، وأنوار=

تنبيهاً لأمن[1] المحبوب من حبيبه[2]، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام مخبراً عن الله: «**لا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**»[3] الخبر.

= التنزيل (١/ ١٥٥)، وروح المعاني (٣/ ١٢٨) قال: «قيل: ذكره أولاً للمنع عن موالاة الكفار، وهنا حثاً على عمل الخير، والمنع من عمل السوء مطلقاً. . . . وقد يقال: إنه تكرار لما سبق وإعادة له، لكن لا للتأكيد فقط، بل لإفادة ما يفيده». وانظر: التحرير والتنوير (٣/ ٢٢٤).

(١) في الأصل: «أمن» والأقرب ما أثبته لدلالة السياق عليه.

(٢) أشار إلى هذا المعنى ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٥٨)، وانظر في ذلك: بحر العلوم (١/ ٢٦١)، وفيه قول ابن عباس رضي الله عنه قال: يعني بالمؤمنين خاصة وهو رحيم بهم، حيث قصر الرحمة على المؤمنين، وهو يشبه قول الراغب: تنبيهاً لمكان المحبوب من حبيبه، ففيه نفس القصر. وهناك قول آخر، وهو أن الآية عامة، وأنه سبحانه رؤوف حتى بالذين يعملون السيئات حيث لم يعجّل بعقوبتهم. انظر: المصادر السابقة، والتفسير الكبير (٨/ ١٥، ١٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٨)، والتحرير والتنوير (٣/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٦) و (١٠/ ٢١٩)، والبغوي في شرح السنة، كتاب الدعوات، باب التقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل والذكر (٥/ ١٩) رقم (١٢٤٨) وقال: هذا حديث=

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[(1)]، هذا إلزام كالأول، لكنه أعمّ، لأن طاعته أعمّ من اتباعه[(2)]، إذ قد يكون الإنسان مطيعاً لغيره، ثم لا يكون متبعاً له في أفعاله[(3)]، وذكر ها هنا الرسول تنبيهاً أن كلّ من كان رسولاً من جهة فطاعته واجبة، ثم قال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾، أي من تولى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبّب إليه بتولّيه عنه، فمحال أن يحبه، فصار تقديره: إنكم إذا كفرتم بالإعراض عنه وعن

= صحيح، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٠): هذا الحديث تفرّد بإخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب ـ أي الستة ـ ... وهو من غرائب الصحيح.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) المذكور في قوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] ويلاحظ خلو المخطوط من ذكر هذه الآية وتفسيرها، ولعلها سقطت من الناسخ بدلالة إشارة الراغب إليها هنا.

(٣) ذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ تأكيد للأمر الأول، وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ انظر: تفسير السمعاني (١/ ٣١١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٩)، ويرى الألوسي أن الأمر باتباعه يدخل في الأمر بطاعته دخولاً أوليًا، وهذا ما أشار إليه الراغب. انظر: روح المعاني (٣/ ١٣٠).

رسوله، فإنه لا يحبكم[1]. وفي ذلك إبطال دعواهم، حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[2]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ تنبيه أنه ينقطع عنهم[3] توفيقه، وبانقطاع توفيقه عنهم يضلون ويعمهون[4].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[5].

قد تقدَّم الكلام في معنى **الاصطفاء**[6]، وأن ذلك منه تعالى

---

(١) أثبت الراغب هنا صفة المحبة لله عز وجل، وأنه تعالى يُحِبُّ ويُحَبُّ، وهذه الصفة حاول بعض المفسرين تأويلها وصرفها إلى معانٍ أخرى، كما فعل الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٥٣)، فقد قال: «محبة الله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم»، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه. فصفة المحبة لله تعالى ثابتة، وهي غير صفة الرضى والإرادة. وانظر: جامع البيان (٦/ ٣٢٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٨).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٣) في الأصل: عنه. والصواب ما أثبته، ويدل عليه سياق الكلام.

(٤) وذلك ثابت بكتاب الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]. قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٥٨): ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: أي سبيلًا إلى الخير.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٦) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية: ١٣٠]=

على وجهين: أحدهما: على سبيل الثواب بحسب الاستحقاق. والثاني: على سبيل التفضيل والابتداء بالترشيح، الذي يؤدي إلى العمل المرضي[1]، وذلك على ضربين: أحدهما: أن يكون ذلك/ [٢٠٨/ب] على سبيل الاجتباء، وهو أن تفيض العناية الإلهية عليه، فيجعله على نهاية الكمال بلا اجتهاد منه، ويجعله سبباً لتخريج غيره، وذلك للأنبياء ومن داناهم من الأولياء[2]. الثاني: على سبيل الاهتداء، وهو أن يوفّقه برسله ليتبلّغ درجة فدرجة على سبيل

= من سورة البقرة. انظر: تفسير الراغب (ق ٩٨ ـ مخطوط).

(١) انظر: المفردات ص (٤٨٨).

(٢) الصواب أن مرتبة الاجتباء التام التي فسّرها الراغب بقوله: هو أن تفيض العناية الإلهية عليه، فيجعله على نهاية الكمال بلا اجتهاد منه... الخ. خاصة بالأنبياء دون غيرهم من طوائف البشر الآخرين، فجَعْلُ الراغب للأولياء نصيباً من هذه المرتبة فيه توجُّه صوفي، يؤدي إلى القول بإمكانية بلوغ بعض البشر رضا الله ومحبته وجنته بلا اجتهادٍ منهم. قال الخراز: «أهل الخاصة الذين هم المرادون، اجتباهم مولاهم، فأكمل لهم النعمة، وهيّأ لهم الكرامة، فأسقط عنهم حركات الطلب. والاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد، وهذا حال المحبوب المراد، يبادئه الحق بمنَحِه ومواهبه من غير سابق كسب منه». وهذا الاجتباء بالمفهوم الصوفي يؤدي إلى تقسيم الدين إلى: شريعة وحقيقة، فالشريعة للعوام، والحقيقة لأهل التصوف، وهذا من الجهل المخالف لدين الله تعالى. انظر: تلبيس إبليس ص (٣٢٤-٣٢٥)، والمعجم الصوفي ص (١٢).

الاكتساب، حتى يقرب من هؤلاء لتحمُّل المشاق، وذلك للحكماء ومن داناهم من المؤمنين[1]، ويقال فيهما الاصطفاء، ولوجود هذين الطريقين، قال تعالى: ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[2] وقول الفرّاء: اصطفاؤهم اختيار دينهم[3]. وقول الزَّجَّاج والجبّائي: اختيارهم للنبوة[4]. وقول البلخي: هو تفضيلهم على غيرهم بما أولاهم من الأمور الجليلة[5]، كل ذلك

---

(١) وهذه المرتبة هي التي تنتظم سلك الأولياء على خلاف ما ذكر الراغب، لأن ولاية الله لا تُنال إلا بطاعته والاجتهاد في عبادته وتقواه حق التقوى، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] فكل من كان تقياً كان لله وليًا، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٣)، النكت والعيون (٢/ ٤٤٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٠٤).

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٧). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٨٦) ونسبه للفراء وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٥) أنه قول ابن عباس والفراء.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٩). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٨٦) ونسبه للزجاج. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٥) وذكر أنه قول الحسن ومجاهد ومقاتل.

(٥) ذكر هذا القول الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٨٦) ولم ينسبه لأحد. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٥).

داخل في الاصطفاء، وقد تقدم الكلام في الآلِ[1] وأنه أخصُّ من الأهل[2]، فإن الآل يتناول الأخِصَّاء الذين يَجْرُون من الإنسان مجرى ذاته، ولهذا يقال لذات الإنسان ولخصائص عشيرته: الآل. ولم يتناول آل محمد الكافرين من ذويه[3]، وعنى بالمذكورين

---

(١) في الأصل: «الأول» وما أثبته هو الصواب.

(٢) قال الراغب في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩]: «والآل: قيل: هو مقلوب عن الأهل، كالماء عن الموه، ويصغر على أُهيل، كما أن الماء مصغّر على مويه، إلا أنه خصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل مكة، وزمان كذا. وقيل: هو اسم للشخص. ويصغر على أوَيْل وهو قول الكسائي» انظر: تفسير الراغب (ق ٥٠ ـ مخطوط).

(٣) قال الراغب: ويُستعمل ـ أي لفظ الآل ـ فيمن اختص بالإنسان اختصاص ذاته به؛ إما بقرابة قريبة، أو بموالاة دينية أو كالدينية، فقد أجرى الموالاة الدينية مجرى القرابة واللحمة، حتى قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وقال: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال في نوح وابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦] . . . وقيل لمحمد بن جعفر: إن ناساً يقولون: المسلمون كلهم آل النبي، فقال: كذبوا وصدقوا. قيل: فما معنى كذبوا وصدقوا؟ قال: «كذبوا: إن الناس على ما هم من التقصير في دينهم هم آل النبي، وصدقوا أنهم آله إذا قاموا بشريطة شريعته، فمن ضيع الشريعة فليس منه وإن قَرُبَ نسبه، ومن حافظ على شريعته فهو منه وإن بَعُدَ نسبه» تفسير الراغب (ق ٥١ ـ مخطوط).

في هذه الآية جُملةَ مَنْ[١] فضلهم في قوله: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[٢] الآية، فذكر اثني عشر نبيًّا، وسنذكر إذا انتهينا إليه تخصيصهم بالذكر، وكيف رُتبوا هذا الترتيب، ومخالفة ذكرهم في الترتيب لأزمنتهم.

إن [قيل][٣]: كيف تعلُّق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: تعلُّقها بها من وجهين. **أحدهما**: أنه لما أمرهم تعالى باتباع نبينا وهم يُقرُّون بوجوب اتباع الذين ذكرهم، بيّن أن جماعتهم في كونهم متساوين في النبوة سواء، وأن الذي دلَّ على وجوب اتباع [هؤلاء يدلُّ على وجوبِ اتباع][٤] سائرهم، **والثاني**: أنه نبَّه أن اصطفاءه تعالى لهؤلاء لكونهم مطيعين له، مستحقين لمحبته بذلك.

قوله عز وجل: ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥] الذرية: قيل: من ذرأ الله الخلق فترك همزه نحو روية وبرية ونبى

---

(١) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من المخطوط والسياق يقتضيه.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

وخابية(١) وملك(٢) من روأ وأنبأ وخبأ ومَلأك، وقيل: بل هو من ذَرْو الريح، وأصله ذُرُويَة، وقيل: هي فُعْلِيَّة من الذر نحو قمرية، ويُقال: ذرية للواحد والجمع، ويقال للأصل والنسل، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾(٣) أي اياهم، ويُقال للنساء: الذراري(٤)، قال عليه الصلاة والسلام: **«حجوا بالذراري، ولا تأكلوا مالها وتذروا/ أرباقها(٥) في أعناقها»**(٦) أي بالنساء، [٢٠٩/أ]

---

(١) الخابية: الجرة الكبيرة... «تركوا همزتها كما تركوا همزة البرية والذرية تخفيفاً لكثرة الاستعمال» انظر: التاج (١/ ٢٠٧).

(٢) قال الراغب: «الملك أَصله: ملأك، مقلوب عن مألك» تفسير سورة البقرة، الآية: ٣٠. (ق ٣٨ ـ مخطوط) وانظر: المنصف (٢/ ١٠٢- ١٠٤)، والصحاح (٤/ ١٦١١).

(٣) سورة يس، الآية: ٤١.

(٤) انظر معاني الذرية واشتقاقها في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٩، ٤٠٠)، والمفردات ص (٣٢٧، ٣٢٨)، والدر المصون (٣/ ١٢٨).

(٥) أرباقها: أي حبالها وقلائدها. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١/ ٣٩٦)، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ١٥٧)، ولسان العرب (١٠/ ١١٢).

(٦) أورده الهروي في «غريب الحديث» (٢/ ٩٢)، وابن الأثير في النهاية (٢/ ١٥٧)، وهو من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٧٠-٤٧١)، والفاكهي في أخبار مكة (١/ ٣٨٦)، وذكره ابن حجر في «الإصابة» (١٣/ ١٤٧) في ترجمة بنت محرز وقال: =

فأما الصبيان فلا أرباق في أعناقها؛ إذ لا حج عليهم، قوله: ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني في الموالاة الدينية[1]، لقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2] وقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[3] وقوله لنوح: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[4] ردًّا عليه لما قال[5] في الكناية عن هذا العدو[6].

والضعة: الخساسة، في مقابلة الرفعة، ولذلك استعير صعود الجبل وبلوغ السماء ونحو ذلك للرفعة، والوقوع في الثرى ونحوه للضعة[7].

= سنده جيد.

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٣٢٧، ٣٢٨)، والنكت والعيون، (١/ ٣٨٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٩)، والكشاف (١/ ٣٥٥).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٥) وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ويبدو أن في الكلام سقطاً، وقد امتد السقط ليشمل تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٧٤)، والمقاييس (٦/ ١١٧، ١١٨)، والمخصص (٣/ ٩٢).

والرجيم: المرجوم، وأصل الرجم: الرمي بالرجام أي الحجارة، وقيل ذلك للنجم المنقض، لقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[1] وقيل للظن والكلام المقرِّع: رجم[2]، ومنه ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾[3].

وقوله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾[4] أي وضعت حملها، وأنّثها على المعنى[5]، وقولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ لكون الأنثى ناقصة العقل والدين[6]، ولهذا قالت: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ ولأنه

---

(١) سورة الملك، الآية: ٥.

(٢) انظر في معاني الرجم: العين (٦/ ١٢٠)، وتهذيب اللغة (١١/ ٦٨)، والصحاح (٥/ ١٩٢٨).

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٥) قال السمين الحلبي: «الضمير في ﴿وَضَعَتْهَا﴾ يعود على «ما» من حيث المعنى، لأن الذي في بطنها أنثى في علم الله تعالى، فعاد الضمير على معناها دون لفظها. وقيل: إنما أنّثه حملًا على معنى النسمة أو الحبْلة أو النفس. قاله الزمخشري». الدرُّ المصون (٣/ ١٣٢)، وانظر: جامع البيان (٦/ ٣٣٣)، والكشاف (١/ ٣٥٥).

(٦) إشارة إلى قول النبي ﷺ للنساء: «... وما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم=

روي أنه لم يكن يستصلح للتحرير[1] من قبل إلا الذكور[2]، وبيّن بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ أن إخبارها بذلك[3] لم يكن على سبيل الإعلام، بل على معنى أن الله أعلم بمآلها، وحقيقة أحوالها[4]، وذلك يحتمل أن يكون من قولها، وأن يكون من قوله

= تصم؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها» أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم رقم (٣٠٤). ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) التحرير: جعل الإنسان حرًّا. والمراد بالتحرير هنا هو الخلوص للعبادة والخدمة. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٠٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٠١)، والمفردات ص (٢٢٤، ٢٢٥)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٧)، وزاد المسير (١/ ٣٧٦).

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٣٥) بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ قال: وإنما كانوا يحرّرون الغلمان. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٦٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧).

(٣) أي بقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾.

(٤) من كون الأنثى لا تصلح للتحرير لما يعتريها من حيض ونفاس وعدم قدرة على الخدمة في الكنيسة أو مصاحبة الرهبان، فقالت ذلك اعتذاراً لربّها من عدم وفائها بما نذرت. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٣٤، ٣٣٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٧)، وزاد المسير (١/ ٣٧٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧).

تعالى، وإذا قرئ (بما وَضَعتُ)[1] فإخبار عن قولها على سبيل التوجُّع، إذ لم يكن ما في بطنها على ما أحبّت[2]، وفائدة قوله: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ قيل: هو أن هذا الاسم في لغتهم اقتضى معنى التحرير[3]، وتضرَّعت امرأة عمران إلى الله تعالى أن يحفظها وذريتها من الشيطان، الذي قال: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4] لكون الأنثى أطوع له، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مولود يولد إلا والشيطان ينال منه طَعْنةً، ولها يستهلُّ الصبيُّ[5] إلا ما كان من مريم وابنها، فإنها لما وضعتها قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ**

---

(١) هي قراءة ابن عامر ويعقوب وأبي بكر بإسكان العين وضم التاء، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء. انظر: حجة القراءات ص (١٦٠)، المبسوط ص (١٤٢)، والغاية ص (٢١٠)، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٩).

(٢) انظر هذا المعنى في: الكشاف (١/ ٣٥٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٦٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧)، والدر المصون (٣/ ١٣٥).

(٣) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: يعني خادم الرب في لغتهم. تفسير القرطبي (٤/ ٦٨). وقال البقاعي: «ومعنى هذا الاسم بلسانهم العابدة» نظم الدرر (٢/ ٧٢). وانظر: بحر العلوم (١/ ٢٦٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٧)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٣٧٢).

(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٥) استهلَّ الصبي: أي رفع صوته بالبكاء. القاموس المحيط ص (١٣٨٥).

وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١] فضُرِب[٢] دونها حجاب»[٣]، ونبّه بقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ﴾[٤] إنك تسمع نذري، وتعلم حالي ونيتي، فتقبّل مني ما قلت.

قوله عز وجل: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ/ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٥] [٢٠٩/ب]
القبالة: الكفالة، فقوله: (تقبّلها) قيل: تكفَّل تربيتها[٦]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٢) في الأصل: «تضرب»، والصواب ما أثبته من جامع البيان (٦/ ٣٣٩).
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٣٩) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٣٨)، والبخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ رقم (٣٤٣١)، وأخرجه أيضاً في التفسير، باب: ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ رقم (٤٥٤٨). وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام رقم (٢٣٦٦).
(٤) وذلك في الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥].
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٦) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٣١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٩)، والدر المصون (٣/ ١٣٩).

وقيل: رضيها[1]، ولفظ التقبّل يقتضيهما، قال الحسن: قبوله إياها أنه صانها عن كل أذى[2]، وقبول مصدر قبل، نحو: وضوء وطهور، ولما كان تقبّل وقبل يتقاربان جمع بين التقبّل والقبول، تنبيهاً أنه جمع من الأمرين التقبُّل الذي يقتضي الرضا والإثابة، وقيل: القبول من قولهم: فلان عليه قبول. إذا أحبّه من رآه[3]، وقوله: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا﴾ أي ربّاها تربية حسنة[4]. وتقدير الكلام: أنبتها فنبتت نباتاً[5]، وروي أن أمّها لما وضعتها

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١)، والنكت والعيون (١/ ٣٨٨)، والوسيط (١/ ٤٣١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٣)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٧).

(٢) ذكر القرطبي وأبو حيان في تفسيريهما قول الحسن مغايراً لما ذكر الراغب، فقالا: قال الحسن: معنى التقبُّل أنه ما عذَّبها ساعة قط. وهو يؤدي إلى معنى الصيانة، وكأن الراغب ذكر معناه. انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٥٩).

(٣) انظر معاني القبول في: العين (٥/ ١٦٨) ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠١)، والمفردات ص (٦٥٣، ٦٥٤)، والنهاية (٤/ ٨)، والدر المصون (٣/ ١٣٩، ١٤٠).

(٤) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٨)، والكشاف (١/ ٣٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٦٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٠).

(٥) ذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٣) والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣١٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٠).

لفّتها في خرقة، وبعثت بها إلى مسجد بيت المقدس[1] فقال: زكريًا: أنا أحقُّ بها، لأن خالتها تحتي، وقالت الأحبار: لو تركت لأحقِّ الناس بها لتُرِكت لأمِّها التي وضعتها، فاختصموا فيها فتقارعوا، فقرعهم زكريا[2]، واختُلف في الرزق، فقيل: إنه كان يوجد عندها طعام الشتاء في الصيف، وطعام الصيف في الشتاء، من غير أن كان يدخل إليها آدمي[3]. وقال الجبّائي: يجوز أن كان

(١) سُمِّي بيت المقدس لأنه الموضع الذي يُتقدَّس فيه من الذنوب، يقال: بيت المقدِس والبيت المقدّس، وبيت القُدُس، بضم الدال وسكونها، والقدس المدينة المقدسة المعروفة بفلسطين، وفيها المسجد الأقصى. انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٣).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٣٩) عن السدّي. وأخرجه البيهقي في السنن (١٠/ ٢٨٦، ٢٨٧) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥) وعزاه للبيهقي في السنن.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري (٦/ ٣٥٤) رقم (٦٩٢٠، ٦٩٣٢) عن الضحاك، ورقم (٦٩٢٧) عن مجاهد، ورقم (٦٩٢٨) عن قتادة، ورقم (٦٩٣٠) عن الربيع، ورقم (٦٩٣١) عن السدّي، ورقم (٦٩٣٣) عن ابن عباس، ورقم (٦٩٣٤) عن ابن إسحاق. وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (ق ٢٢ ـ مخطوط) وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٠) عن عكرمة. وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٠) وعزاه لمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء، =

رزقاً يأتيها به غير زكريا من حيث لا يعلمه[1]، ولو كان الأمر على ما ذكر لما أعاد الله ذكره تعجباً من أمرها، وقوله: ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أنه ليس كما ذكر[2]، وقال بعضهم: كان ذلك فيضاً من الله يأتيها من العلم والحكمة من غير تعليم آدميّ[3]، فسماه رزقاً، وهذا أعجب من إتيانها الطعام في غير آنه، لمن عرف فضيلة العلم، واللفظ محتمل، ثم بيَّن تعالى[4] أن ذلك ليس

= وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي.

(١) ذكر قول الجبائي فخر الدين الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٢٨) ثم قال: «هذا مجموع ما قاله الجبائي في تفسيره، وهو في غاية الضعف» قلت: وما ذكره جارٍ على مذهب المعتزلة في إنكار كرامات الأولياء وخوارق العادات. وذكر هذا القول أيضاً الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٨٨).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٦٩): «وقولها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ دليل على أنه ليس من جلب بشر، وهكذا تلقى زكريا المعنى، وإلا فليس كان يقنع بهذا الجواب».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٤٠) الرواية الثانية عن مجاهد، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٠) عن مجاهد، وعزاه لابن أبي حاتم، ثم قال: والأول أصح، وفيه دلالة على كرامات الأولياء، وقال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦١): «وأبعد من فسَّر الرزق هنا بأنه فيض، كان يأتيها من الله من العلم والحكمة من غير تعليم آدمي، فسماه رزقاً. وقال الراغب: واللفظ محتمل».

(٤) بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. والراغب هنا يوافق ابن=

بعجيب، فرزق الله للعباد على وجوه تقصر عنها معرفة الناس.

قوله عز وجل: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1] هنالك: يقع على الزمان والمكان، وإن كان المكان أملك له، يقال: هنا، وهناك، وهنالك، كقولك: ذا، وذاك، وذلك[2]، ولما رأى زكريا من أحوال مريم تلك العجائب، وكان به حاجة إلى الولد مع كبر سنه ووهن من عظامه، سأله أن يهب له ذرية طيبة، أي صالحة، واستعمال الطيب في الصالح: كاستعمال الخبيث في ضده، في نحو قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ/ [٢١٠/أ] لِلْخَبِيثِينَ﴾[3]، على أن في الطيب زيادة معنى على الصالح[4] وقوله:

= جرير الطبري في أن هذه الجملة هي من قول الله تعالى، بعد أن قطع كلام مريم، وليست حكاية عن قول مريم، بعد أن قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، انظر: جامع البيان (٦/ ٣٥٩، والنكت والعيون (١/ ٣٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٥٧، ١٥٨)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٣٢)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١٣٧)، والمساعد (١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٣) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٤) نقل هذه الفقرة بنصِّها أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٣)، ونسبها للراغب. وانظر معاني قوله تعالى: ﴿طَيِّبَةً﴾ في: جامع البيان (٦/ ٣٦١)،=

﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ أي من نعمك وفضلك الإلهي، وذاك أن إيجاد الأشياء وإن كان كلها بقدرته وفضله فعلى ضربين: إبداع، وهو الذي لم يجعل لغيره إليه سبيلا، لا للملائكة ولا للناس، وفِعْل جَعَلَ للروحانيّ أو الجسمانيّ إليه سبيلًا، فبين بقوله: ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ أنه يسأل ما يتفرَّد بإيجاده[1]، وقوله: ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴾ أي مجيب لمن دعاك على الشرائط التي بها تُدعى، وقد تقدَّم الكلام في شرائط الدعاء[2] في قوله: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[3].

= ففسر الطيبة بالمباركة، وروى في ذلك أثراً عن السُّدي. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٨٩)، وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (١/ ٣١٤)، وزاد المسير (١/ ٣٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٢).

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٣): «ولما كان ذلك يكاد يكون على سبيل ما لا تسبب فيه؛ لا من الوالد لكبر سنه، ولا من الوالدة لكونها عاقراً لا تلد، فكان وجوده كالوجود بغير سبب أتى هبة محضة منسوبة إلى الله تعالى بقوله: ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ أي من جهة محض قدرتك من غير توسط سبب» وقد تقدّم كلام الراغب على ﴿ لَّدُنكَ ﴾ عند تفسيره للآية الثامنة من هذه السورة. انظر: ص (٤٣٣) من هذه الرسالة.

(٢) وهي كما ذكرها: الدعاء بأحسن الأسماء، وإخلاص النية، وإظهار الافتقار، وعدم الرغبة فيما ينزّه الأكابر عن مسألة مثله، أو ما يستعان به على معاداته، والعلم بأن نعمته فيما يمنعه من دنياه كنعمته فيما أعطاه وخوَّله. انظر: تفسير الراغب (ق ١٢٥ ـ مخطوط).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] المحراب: قيل: سُمّي بذلك لأنه موقع محاربة الشيطان والهوى، وقيل: لكون الإنسان حريباً من أشغال الدنيا[2]. وقيل: الأصل فيه أنه موضع حريبة الرجل أي ماله، وذلك أنه كان اسماً لصدر المجلس، ثم لمّا اتُّخذت المساجد سمي به منها ذلك الموضع[3]، وقوله: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ قيل: هي كلمةُ الإيمان، وهو قول قتادة[4]، وقال أبو عبيدة[5]: كتاب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٢) يقال: حَرَبه حرباً كطلبَه طَلَباً: سلب ماله، فهو محروب وحريب. انظر القاموس ص (٩٣) وقيل: حَرِب حَرَباً، من باب تعب: أي أخذ جميع ماله. انظر: لسان العرب (١/ ٣٠٣، ٣٠٤).

(٣) انظر: العين (٣/ ٢١٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢١-٢٣)، والمقاييس (٢/ ٤٨)، والمفردات ص (٢٢٥)، والقاموس المحيط ص (٩٣).

(٤) لم أجد هذا القول لقتادة، والمروي عنه بأسانيد مختلفة أنه فسَّر الكلمة هنا بعيسى ابن مريم، وهو يتَّفق بذلك مع أصحاب القول الثابت الذين ذكرهم الراغب. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧٢) وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٠)، وزاد المسير (١/ ٣٨٣).

(٥) معمر بن المثنّى التيمي مولاهم البصري النحوي اللغوي صدوق إخباري رُمي برأي الخوارج، ولد بالبصرة سنة ١١٠هـ من مصنفاته: =

الله[1]، وقال غيرهما: عنى به عيسى، وتسمية عيسى بالكلمة قيل: لكونه موجداً بكن[2]، المذكور في قوله: ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]، وقيل: سُمّي بذلك لكلامه في صغره[4]، والسيد

= (مجاز القرآن) و (غريب القرآن) و (معاني القرآن) و (غريب الحديث) توفي سنة ٢٠٩هـ وقيل ٢٠٨هـ، وقد قارب المائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٢)، والتهذيب (١٠/ ٢٤٦)، والتقريب ص (٥٤١)، وطبقات المفسرين (٢/ ٣٢٦).

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩١)، وذكره ابن المنذر في تفسيره بسنده عن أبي عبيدة (ق ٢٣ ـ مخطوط)، وذكره أيضاً الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٦) وقد شنع ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٣٧٣، ٣٧٤) على صاحب هذا القول، فقال: وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى قوله: ﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ بكتاب من الله، من قول العرب: أنشدني فلان كلمة كذا؛ يراد به: قصيدة كذا؛ جهلًا منه بتأويل الكلمة، واجتراءً على ترجمة القرآن برأيه».

(٢) وهو قول ابن عباس والسُّدي وقتادة والحسن وعكرمة ومجاهد وأبي الشعثاء والربيع بن أنس والضحاك وجمهور العلماء، كما قال ابن كثير. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧١-٣٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٠)، وزاد المسير (١/ ٣٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٦)، وفتح القدير (١/ ٣٧٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٤) قال الفخر الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٣٢): «والثاني أنه تكلّم في=

السايس لسواد الناس، أي معظمهم، ولهذا يقال: سيد العبد، ولا يقال: سيد الثوب[1]، وقيل: سيداً أي عالماً وتقيًّا وحليماً[2]، وذلك من شروط السيادة، فمن لم يوجد [فيه][3] ذلك فسيادته زور. وقال بعض الصوفية[4]: قوله: ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي

= الطفولية، وآتاه الله الكتاب في زمان الطفولية، فكان في كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً، فسمي كلمة بهذا التأويل، وهو مثل ما يقال: فلان جود وإقبال؛ إذا كان كاملًا فيهما».

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٣٤، ٣٥)، والمقاييس (٣/ ١١٤)، والمخصص (٢/ ١٥٨)، والمفردات ص (٤٣٢).

(٢) وهو قول ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وسفيان وسعيد ابن المسيب انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧٥، ٣٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢، ٦٤٣)، وزاد المسير (١/ ٣٨٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٦). وأقوال هؤلاء الذين ذكرناهم متفاوتة حول الصفات الثلاث، التي ذكرها الراغب، وهي العلم والتقوى والحلم، فمنهم من جمعها جميعاً في قوله كقتادة، ومنهم من اقتصر على اثنتين، ومنهم على واحدة.

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) الصوفية: أرجح الأقوال في هذه التسمية، هي النسبة إلى لبس الصوف. والصوفية مذهب امتزجت فيه عدة تيارات ما بين إسلامي كالزهد، وما بين تيارات فلسفية أخرى هندية، ونصرانية وغيرها، أخطرها القول=

﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾ تنبيه أنه قل ما يأتي الإنسان توفيق وفيض إلهي إلا بالالتجاء إليه[1]. والحَصُور: يُقال تارة في معنى المفعول، وتارة في معنى الفاعل، فيجوز أن يكون هو الذي حصر نفسه، ويجوز أن يقال حصره علمه وعقله[2]، وقد روي أنه كان ممنوعاً من قبل الله تعالى عن النساء، وأنه كان معه مثل هدب الملاءة[3]،

= بالحلول والاتحاد. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٣٦٩)، واللمع للطوسي ص (٤٠-٤١)، والتعرف للكلاباذي ص (١٠).

(١) انظر: لطائف الإشارات للقشيري (١/ ٢٥٢) حيث قال: «وفيه إشارة إلى أن من له إلى الملوك حاجة فعليه بملازمة الباب إلى وقت الإجابة، ويُقال: حكم الله سبحانه أنه إنما يُقبل بالإجابة على من هو معانق لخدمته، فأمّا من أعرض عن الطاعة ألقاه في ذلّ الوحشة».

(٢) انظر: العين (٣/ ١١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٦، ٤٠٧)، والمفردات ص (٢٣٨) والبحر المحيط (٢/ ٤٦٧).

(٣) كان معه مثل هُدْب الملاءة: أي أن متاعه رخو مثل طرف الثوب، لا يغني عن النساء شيئاً. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٤٩).
وهذا الأثر روي مرفوعاً وموقوفاً، أما المرفوع فقد أخرجه ابن جرير الطبري (٦/ ٣٧٧) وابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص. وقال الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤١) غريب جدًّا، والموقوف أصح إسناداً من المرفوع.
وروي موقوفاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن مسعود، وهو قول سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، =

والأول أشبه باستحقاق المدح[1]، وقرئ: (نادته)، و (ناداه)[2]، نحو ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾[3] و(يعرج)[4]، وروي أن عبدالله[5]

= والحسن وابن زيد. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٧٧-٣٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٠، ٣٩١)، وزاد المسير، (١/ ٣٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤١)، والدر المنثور (٢/ ٣٩، ٤٠) وحكم السيوطي على الموقوف بأنه أقوى إسناداً من المرفوع. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٧٦): «وأجمع من يُعتمد بقوله من المفسرين على أن هذه الصفة ليحيى عليه السلام إنما هي الامتناع من وطء النساء، إلا ما حكى مكي من قول من قال: إنه الحصور عن الذنوب، أي لا يأتيها».

(١) قال البغوي في تفسير معالم التنزيل (٢/ ٣٥): وفيه قول آخر: إن الحصور هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين: أحدهما: لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء. والثاني: أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف: «فناداه»، والباقون: «فنادته»، انظر: حجة القراءات ص (١٦٢)، والمبسوط ص (١٤٢)، والتلخيص ص (٢٣٢)، والغاية ص (١١٢).

(٣) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٤) قرأ الكسائي وحده: «يعرج» بالياء، والباقون بالتاء، انظر: المبسوط ص (٣٨١)، والغاية ص (٤١٨)، والتلخيص ص (٤٤٥).

(٥) أبو عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهرة، من السابقين إلى الإسلام، من كبار علماء الصحابة =

[٢١٠/ب] ذكَّر/ الملائكة في كل القرآن[١]، وقال أبو عبيدة[٢]: وذلك خلاف الكفار، حيث أنّثوا الملائكة، وقالوا: بنات الله. وليس تأنيث العرب الملائكة، وتعيير الله إياهم لتأنيث اللفظ، إنما ذلك لجعلهم إياها له بنات[٣]، إن قيل: ما معنى ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وذلك

= وقرائهم، جمّ المناقب، شهد بدراً وبيعة الرضوان، والمشاهد كلّها، وكان صاحب سواك النبي ﷺ ونعليه. سكن الكوفة وتوفي بها سنة ٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١)، والتهذيب (٦/ ٢٧)، التقريب ص (٣٢٣)، والإصابة (٤/ ١٩٨).

(١) يريد أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ: «فناداه الملائكة» بحذف تاء التأنيث من الفعل، وقد رويت هذه القراءة عن ابن عباس أيضاً. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٦٣-٣٦٥) وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٣) والحجة لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٤).

(٢) هكذا في الأصل، ولم أجد هذا الكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ولا أحداً نسبه إليه، وإنما نسب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، كما في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٧٤)، ولعل الناسخ قد زاد تاءً متطرفة.

(٣) يريد أن تأنيث الملائكة في قراءة الجمهور إنما هو من تأنيث جمع التكسير مراعاة للفظه لا لمعناه، وكأنه أراد بذلك الردّ على اختيار أبي عبيد قراءة التذكير، مستدلاً بأنها تخالف مذهب الكفار. وقال الفرَّاء: «وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقرأ بالتذكير والتأنيث، وكذلك فعله =

يقتضي جواز نبي ليس بصالح؟! قيل: قوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ متعلق بمضمر، أي وهو من الصالحين، وذلك مما أكد به قوله: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾[1]، ومعناه من أولاد الصالحين[2].

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[3] الغلام يجوز أن يكون أصلًا في بابه، وعنه أخذ الاغتلام، لكون المغتلم شبيها به في المعنى المخصوص، ويجوز أن يجعل الغيلم - وهو منبع الماء - من ذلك، وسُمّي الغلام لكونه ذا رونق، ولذلك يُقال: فلان عليه ماء الشباب[4]، والعقر: أصل البنية للدار والإنسان، وعقرته

= الملائكة وما أشبههم من الجمع يؤنَّث ويذكَّر... وكلّ صواب، فمن ذكَّر ذهب إلى معنى التذكير، ومن أنث فلتأنيث الاسم، وأن الجماعة من الرجال والنساء وغيرهم يقع عليه التأنيث»: معاني القرآن (١/ ٢١٠)، وانظر ردّ النحاس على أبي عبيدة في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٧٣)، وانظر: الحجة لأبي علي (٢/ ٣٥٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٤).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٦٠)، والتفسير الكبير (٨/ ٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٨، ٤٦٩)، وروح المعاني (٣/ ١٤٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٤) انظر: العين (٤/ ٤٢٢، ٤٢٤)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٤١، ١٤٢، ١٤٥)، والصحاح (٥/ ١٩٩٧)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧)، والمخصص=

أي أصبت عُقره، أي أصل بنيته، وذلك يقتضي معنى القتل، ثم سُمّي الجرح - أي جرح كان - عقراً، وسُمّي الخمر عُقاراً لكونها كالعاقر للإنسان. وجُعل بناؤه بناء الإرواء[1] كالخُمار[2] والكُباد[3] والمعاقرة: المشاربة، كأنه يطلب كل واحد منهما عَقْر صاحبه بإسكاره. وامرأة عاقر كأنها تعقر[4] النسل، لإفسادها ماء الفحل، وجعل العُقْر اسماً للدية، وكنّى به عن بذل البضع[5]، وقال ها هنا: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ وفي موضع آخر: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[6]، وذاك أنك إذا بلغتَ الكبر فقد بلغك الكبرُ[7]،

= (١٠/ ٣٨)، ولسان العرب (١٢/ ٤٤٠).

(١) يريد أن المصدر الدال على داء يكون على وزن فُعَال بضم أوله وتخفيف ثانيه: كالسعال، والدوار، والعطاس. انظر: شرح الشافية للرضي (١/ ١٥٤)، والمساعد (٢/ ٦٢١).

(٢) الخمار: ألم الخمر وصداعها وأذاها. القاموس ص (٤٩٥) وانظر المخصص (١١/ ١٠١).

(٣) الكباد: «وجع الكبد» انظر المخصص (٥/ ٧٨).

(٤) في الأصل: «تعقرُه»، بزيادة هاء في آخره. والصواب حذفها.

(٥) انظر معاني هذه المادة في: العين (١/ ١٤٩-١٥٢)، وتهذيب اللغة (١/ ٢١٥)، والصحاح (٢/ ٧٥٣-٧٥٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٨)، والمفردات ص (٥٧٧)، والدر المصون (٣/ ١٦١، ١٦٢).

(٦) سورة مريم، الآية: ٨.

(٧) نقل أبو حيان هذه العبارة في البحر المحيط (٢/ ٤٧٠)، ونسبها للراغب.

نحو أدركني الجهدُ وأدركتُ الجهدَ[1]، ولا يقال: أدركني المكان، لأن حقيقة إدراك المكان من الإنسان دون المكان، وإدراك الجهد والكبر مجاز في الطرفين[2]، فصار انتساب كل واحد منهما إلى

---

(١) قال ابن جرير الطبري: وقيل: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾، وقد قال في موضع آخر: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ﴾، لأن ما بلغك فقد بلغته، وإنما معناه: قد كبرت، وهو كقول القائل: «قد بلغني الجهد» بمعنى: إني في جهد» جامع البيان (٦/ ٣٨١، ٣٨٢) وكلام الراغب يشبه هذا الكلام.

(٢) **المجاز لغة**: خلاف الحقيقة، واصطلاحاً: استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع دالاً عليه ثانياً نسبة وعلاقة بين مدلولي الحقيقة والمجاز. انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبدالسلام ص (١٨) والقاموس ص (٦٥١)، وقد قسم العلماء ـ القائلون بالمجاز ـ المجاز إلى ثلاثة أقسام: أحدها: ما طرفاه حقيقتان نحو: أنبت المطرُ البقلَ. والثاني: ما طرفاه مجازيان نحو: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦]، وأشار الراغب إلى أن قوله تعالى: ﴿بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ من هذا القسم. والثالث: ما كان أحد طرفيه مجازاً دون الآخر، نحو ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، وقد اختلف العلماء في وقوع المجاز في القرآن واللغة، فمنهم من قال: لا مجاز مطلقاً لا في القرآن ولا في اللغة، ومنهم من أثبته فيهما، ومنهم من أثبته في أحدهما دون الآخر. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٤٠٠-٤٩٧)، وهي رسالة في الحقيقة والمجاز. والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٣٧٧)، والإتقان للسيوطي (٢/ ٣٦). ومنع جواز المجاز للشنقيطي.

الآخر سواء، وقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ليس بإنكار لقدرة الله، بل لما كانت عادته تعالى في إيجاد الأولاد أن لا يكونوا من الهَرِم والعاقِر، أراد التعرّف أن ذلك هل يحصل وهما باقيان على حالتيهما، أو يكون بإعادة الشباب إليهما، أو يكون ذلك من امرأة أخرى أو يحصل ذلك على سبيل لم تجر به العادة[1]؟ وقال بعضهم: إنما قال أنَّى يكونُ لي ذلك؟ استعظاماً لنعمة الله، كقولك: من لي بكذا؟ ومن/ أين لي كذا[2]؟ وقال بعضهم: قال [١١/٢١١] ذلك لأنه لما سمع نداء المَلك قدّر أن ذلك وسوسة من الشيطان[3]، واستبعد بعضهم ذلك[4]، وقال: إن الأنبياء لا يشتبه عليهم ما يكون من قِبَل الملائكة بما يكون من قِبَل الشيطان[5]، وقوله:

---

(١) على هذا التفسير يكون الاستفهام على بابه. وهذا قول الحسن والأصمّ.

(٢) وعلى هذا التفسير فالاستفهام أريد به معنى الاستبعاد أو التهويل.

(٣) وعلى هذا الوجه يكون الاستفهام للإنكار والتكذيب بمعنى لا يكون ذلك. انظر: شرح التلخيص ص (٨٧، ٨٨)، وهذا قول عكرمة والسُّدي.

(٤) نقل أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٩) إنكار القاضي عبدالجبار لذلك، فقال: «قال القاضي: لو اشتبه على الرسل كلام الملك بكلام الشيطان لم يبق الوثوق بجميع الشرائع».

(٥) انظر هذه الأقوال جميعاً في: جامع البيان (٦/ ٣٨٢، ٣٨٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٨٩)، والكشاف (١/ ٣٦٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٨)، وزاد المسير (١/ ٣٨٤)، والجامع لأحكام القرآن=

﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ ﴾. على الجواب الأول: أي أنه يهب لك الولد وأنت بحالتك[1]، وعلى الثاني: أن نعمته في خلق ذلك كنعمته في غيره، وعلى الثالث: إن تعجّبت من ذلك فتعجَّب من سائر أفعاله المبدعة، فإن خلقه لذلك كخلقه لما يشاء[2].

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[3] العشي: من لدن غروب الشمس إلى انقضاء صَدْر الليل، وخصّ العشاء بالطعام المتناول فيه، وتعشى تناول العشاء وعَشِي صار في عشا[4] لظلمةِ عينه[5]، وآية في وزنها

= (٤/ ٧٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٦٩)، وشرح التلخيص ص (٨٧).

(١) نقل أبو حيان هذه العبارة في البحر المحيط (٢/ ٤٧٠)، ونسبها للراغب.

(٢) انظر هذه الأوجه في: جامع البيان (٦/ ٣٨٣)، والكشاف (١/ ٣٦٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٠)، والدر المصون (٣/ ١٦٢، ١٦٣)، وروح المعاني (٣/ ١٥٠)، وفتح القدير (١/ ٣٧٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤١.

(٤) العشا مقصورة: سوء البصر بالليل والنهار أو العمى. القاموس ص (١٦٩١).

(٥) انظر معاني هذه المادة في: العين (٢/ ١٨٨)، والجمهرة (٣/ ٦٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ٥٨)، والصحاح (٦/ ٢٤٢٦) ومقاييس اللغة (٤/ ٣٢٢)، والمفردات ص (٥٦٧).

ثلاثة أقوال: **الأول**: أنها فَعلة، وحق مثله أن يُجعل لامه معتلًّا نحو: حياة ونواة، ونظيرها راية، **والثاني**: فِعلة إلا أنها قلبت كراهية التضعيف، نحو طائي في طَيْئِيٍّ، والثالث: فاعلة، وأصلها آيية فخَففَ وذلك ضعيف لقولهم في تصغيرها أُييَّة، ولو كانت فاعلة لقيل: أُويّـة[1]، **والرمز**: الإشارة بالشفة والغمز بالعين والحاجب[2]، **والإبكار**: مصدر أبكر، يُقال: أبكر وبكَر وبكَّر وابتكر، والبُكرة من وقت طلوع الفجر إلى ضحوة النهار[3]، وقوله: ﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ قيل: طلب علامة لوقت الحمل، فجعل تعالى أن لا يمكنه مكالمة الناس إلا إيماءً مع تمكنه من ذكر الله[4]، وقيل: بل سأله أن يبين له قربة يجعلها شكراً لما خوَّله،

---

(١) انظر: الكتاب (٤/ ٣٩٨) والتعليقة (٥/ ١٠٦)، وشرح الشافية للرضي (٣/ ١١٨) وجامع البيان (٦/ ٣٨٤).

(٢) انظر: العين (٧/ ٣٦٦)، والجمهرة لابن دريد (٣/ ٣٢٥) والصحاح (٣/ ٨٨٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩) والمفردات ص (٣٦٣) والدر المصون (٣/ ١٦٥).

(٣) انظر: العين (٥/ ٣٦٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩)، والنكت والعيون (١/ ٣٩١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨١)، وزاد المسير (١/ ٣٨٦)، والمفردات ص (١٤٠)، والدر المصون (٣/ ١٦٨).

(٤) وهو قول قتادة، والربيع وجبير بن نفير والسدّي. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٨٦، ٣٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٥)، =

فأمره أن يجعل شكره الاشتغال بالعبادة، وترك مكالمة الناس إلا رمزاً ثلاثة أيام[1]، وهو المذكور في قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[2]، وفي هذا دليل أن في ذكر اليوم أو الليلة غنىً عن ذكر الآخر عند الإطلاق[3]، وإذا أُريد الخلاف بُيّن حينئذ نحو ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ﴾[4]، وعلى هذا الآية عبارة عن الفريضة، فإن زكريا سأل

= والنكت والعيون (١/ ٣٩١)، والمحرر الوجيز (١/ ٨٠)، وزاد المسير (١/ ٣٨٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٣).

(١) ذكر هذا الوجه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٧١) ولم ينسبه إلى أحد.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٠.

(٣) قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ١٦٤): قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ الصحيح أن هذا النحو ـ وهو ما كان من الأزمنة يستغرق جميعه الحدثَ الواقع فيه ـ منصوب على الظرف، خلافاً للكوفيين، فإنهم ينصبونه نصب المفعول به. وقيل: وثم معطوف محذوف، تقديره: ثلاثة أيام ولياليها، فحذف، كقوله تعالى: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [سورة النحل: ٨١] ونظائره، يدل على ذلك قوله في سورة مريم ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، وقد يقال: إنه يؤخذ المجموع من المجموع، فلا حاجة إلى ادعاء حذف، فإنا على هذا التقدير الذي ذكرتموه نحتاج إلى تقدير معطوف في الآية الأخرى تقديره: ثلاث ليالٍ وأيامها»اهـ. وما ذكره الراغب أحسن.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٧. ونصّها: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾.

أن يفرض عليه فرضاً يجعله شكراً له[1]، وتسبيحه: قيل هو الصلاة، وسميت الصلاة سُبحة[2]، وقوله: ﴿بِٱلْعَشِيِّ[3] وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ قيل: عنى في هذه الأيام الثلاث، ولم يعنِ التسبيح في طرفي النهار فقط، بل إنما[4] أراد إدامة العبادة في هذه الأيام[5]، وقرئ ألَّأتكلم بالرفع والنصب[6]، نحو: ﴿وَحَسِبُوٓا۟

---

(١) في الأصل: «لك»، ولعل الأظهر ما أثبته.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٢٥)، والنهاية (٢/ ٣٣١)، واللسان (٢/ ٤٧١-٤٧٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٣).

(٣) قال أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣١٧): وأما العشي: ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٩١)، والوسيط (١/ ٤٣٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨١)، وزاد المسير (١/ ٣٨٦)، وقد تقدم معنى الإبكار.

(٤) في الأصل: «إذا» والسياق يقتضي ما أثبته، وقد نقل أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٧٣) هكذا: «قال الراغب: لم يعن التسبيح طرفي النهار فقط، بل إدامة العبادة في هذه الأيام».

(٥) على هذا القول لا يكون لذكر العشي والإبكار فائدة، وهناك أقوال أخرى أولى من ذلك، منها ما ذكره أبو حيان بعد ذكره لقول الراغب، قال: «وقال غيره: يدل على أن المراد بالتسبيح الصلاة: ذكره العشي والإبكار، فكأنه قال: اذكر ربك في جميع هذه الأيام والليالي، وصلِّ طرفي النهار». البحر المحيط (٢/ ٤٧٣).

(٦) قال السمين الحلبي: قوله: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ أنْ وما في حيّزها في محلِّ رفعٍ، =

﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالرفع والنصب[1].

قوله عز وجل: / ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] [٢١١/ب] تكرير الاصطفاء قيل لمعنيين: **الأول** فرّغها لعبادته وأغناها عن الكسب، **والثاني** أن جعلها أمّاً لعيسى وآية له[3]، وقيل **الأول** الاصطفاء الذي هو

= خبراً لقوله: ﴿ءَايَتُكَ﴾ أي آيتك عدم كلامك للناس. والجمهور على نصب «تُكلّم» بأن المصدرية، وقرأ ابن أبي عبلة (ت ١٥٢هـ) برفعه، وفيه وجهان، أحدهما: أن تكون أن مخففةً من الثقيلة، واسمها حينئذٍ ضمير شأنٍ محذوف، والجملة المنفية بعدها في محل رفع خبراً لـ«أنْ» ومثله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: ٨٩] ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونُ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١]، ووقع الفاصل بين أنْ والفعل الواقع خبرها بحرف نفي، ولكن يُضْعِفُ كونها مخففة عدم وقوعها بعد فعل يقين. والثاني: أن تكون الناصبة حُملت على «ما» أختِها. ومثله ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمُّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وأنْ وما في حَيِّزِها أيضاً في محل رفع خبراً لـ«آيتك». الدر المصون (٣/ ١٦٤)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٧١).

(١) قرأها بالرفع: أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأها الباقون بالنصب. انظر: حجة القراءات ص (٢٣٣)، والمبسوط ص (١٦٣)، والتلخيص ص (٢٥٠)، والنشر (٢/ ٢٥٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٢)، واختاره الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٦٢)، واستحسنه أبو حيان في البحر=

الاجتباء. والثاني الاصطفاء الذي هو على سبيل الهداية[1]، وقد تقدَّم ذكرهما آنفاً. وتطهيرها قيل: من الحيض[2]، وقيل: من نجاسة الكفر[3]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾[4].

وقول الملائكة لها قيل: كان بالإلهام[5]، فإنه ما أوحى الله إلى

= المحيط (٢/ ٣٧٦).

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري والزجاج وابن كثير والبيضاوي. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٩٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٣) وأنوار التنزيل (١/ ١٥٩).

(٢) وهو قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٢)، ونسبه للزجاج. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٧) عن ابن عباس أن التطهير من الحيض فقط.

(٣) وهو قول مجاهد والحسن وابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٦/ ٣٩٣، ٤٠٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٢)، وزاد المسير (١/ ٣٨٧)، وفتح القدير (١/ ٣٧٦).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) قال الألوسي في روح المعاني (٣/ ١٥٤): «وقيل: إن الملائكة عليهم السلام ألهموها ذلك، ولا يخفىٰ أن تفسير القول بالإلهام وإسناده إلى الملائكة خلاف الظاهر، وإن كان لا يمنع من أن يكون بواسطتهم أيضاً، على أنه قول لا يعضده خبر أصلًا».

امرأة وحي النبوة[1]، فلذلك قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا

(١) ولذلك قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] قال: وحياً جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوّة أن أرضعي موسى. جامع البيان (٦/ ٥١٩). وقد بيّن العلماء أن النبوة والرسالة خاصة بمن يصطفيهم الله تعالى من الرجال فقط دون النساء والملائكة، وفي ذلك يقول ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾: «يقول تعالى ذكره وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، لا نساء ولا ملائكة»، ونقل البغوي في تفسير معالم التنزيل عن الحسن أنه قال: لم يبعث الله نبياً من بدو، ولا من الجن ولا من النساء. وقال الحافظ ابن كثير: يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، كما دلَّ عليه سياق هذه الآية الكريمة، وأن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع، وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل، وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيّات، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية. وبأن الملك جاء إلى مريم وبشرها بعيسى عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ * يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وهذا القدر حاصل لهن، ولكن لا يلزم من هذا أن يكنَّ نبيات بذلك. فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لا شك فيه، ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرده أم لا؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري=

﴿رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾[1] وقيل: بل قد أوحي إليهن ولكن لم يبعثن رسلًا[2]، وقال الجبّائي: إنما يجوز أن يكون أوحي إليها معجزة لزكريا أو توطئة لنبوة المسيح[3]، وقوله هذا إيماءً لمذهبهم[4] أن

= عنهم أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صِدِّيقات، كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران، حيث قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾، فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدّيقية، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صِدّيقة بنص القرآن» اهـ. وقال أبو حيان في البحر المحيط: «والجمهور على أنه لم ينبأ امرأة» انظر: جامع البيان (١٦/ ٢٩٣)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٨٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧، ٤٧٨).

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٩، والأنبياء، الآية: ٧.

(٢) على قول من ذهب إلى نبوة مريم، وهو قول ضعيف كما سبق، ولأن تكليم الملائكة لها لا يستلزم نبوتها، فقد ثبت أن الملائكة كلموا من ليس بنبي إجماعاً، فقد روى مسلم في صحيحه رقم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنهم كلموا رجلًا خرج لزيارة أخ له في الله تعالى، وأخبروه أن الله سبحانه يحبه كحبه لأخيه فيه، ولم يقل أحد بنبوته. انظر: روح المعاني (٣/ ١٥٤)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٨٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٩).

(٣) قال الزمخشري: «روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا، أو إرهاصاً لنبوة عيسى». الكشاف (١/ ٣٦١) وانظر: تنزيه القرآن عن المطاعن ص (٦٥).

(٤) في الأصل: إنما لنا مذهبهم، ولا يستقيم به المعنى.

المعجزات والوحي لا تصح إلا في أزمنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك دفع منه لكرامة الأولياء[1]، وقوله: ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، قيل: هو على العموم[3]، وقيل: عنى اللاتي في زمانها[4].

---

(١) قال أبو حيان بعد أن ذكر هذا القول: «وهذا مذهب المعتزلة، لأن الخارق للعادة عندهم، لا يكون على يد غير نبي، إلا إن كان في وقته نبي، أو انتظر بعث نبي، فيكون ذلك الخارق مقدمة بين يدي بعثه ذلك النبي»اهـ. وأورد على هذا القول أنه «بعيد جدًا، إذ لم يقع الكلام مع زكريا عليه السلام، ولم يقترن ذلك بالتحدي أيضاً، فكيف يكون معجزة له؟» انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٧٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٥٩)، وروح المعاني (٣/ ١٥٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣) قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي على نساء أهل دهرها، وجائز أن يكون على نساء العالمين كلهم، أي اختارك لعيسى على نساء العالمين كلهم، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساء العالمين» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠).

(٤) وهذا قول ابن جريج والطبري والزمخشري انظر: جامع البيان (٦/ ٣٩٣، ٤٠٠)، والكشاف (١/ ٣٦٢). وانظر القولين في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٧، ٣١٨)، وزاد المسير (١/ ٣٨٧) والمحرر الوجيز (٣/ ٨٢، ٨٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٧)، وفتح القدير (١/ ٣٧٦)، وروح المعاني (٣/ ١٥٥).

قوله عز وجل: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1] القنوت: إدامة الطاعة صلاة كانت أو غيرها من العبادات، ولهذا قال: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا ﴾[2]، فجعل من جملة القنوت[3]، وتقديم السجود على الركوع، قيل: لكونه كذلك في شريعتهم[4]، وقيل: تنبيهًا أن الواو لا تقتضي الترتيب[5]، وقيل: عنى بالسجود الصلاة، لقوله: ﴿ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾[6] وعنى بالركوع الشكر، لقوله تعالى في قصة داود: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴾[7] أي شاكراً، وهذا تخصيص للركوع بحال مقترنة به[8]، وقيل: نبّه بقوله: ﴿ وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي كوني

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) انظر: العين (٥/ ١٢٩)، والجمهرة (٢/ ٢٦)، والصحاح (١/ ٢٦١)، والمفردات ص (٦٨٤، ٦٨٥)، والنهاية (٤/ ١١١)، واللسان (٢/ ٧٣).

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٧٨) ونسبه إلى أبي موسى الدمشقي.

(٥) اختلف في الواو هل تفيد الترتيب، والمشهور أنها لا تفيده. انظر: كتاب سيبويه (٤/ ٢١٦)، والمقتضب (١/ ١٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٩٠-٩٣)، ومغني اللبيب ص (٤٦٣، ٤٦٤).

(٦) سورة ق، الآية: ٤٠.

(٧) سورة صٓ، الآية: ٢٤.

(٨) انظر فيما سلف: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠)، ورجح الزجاج=

مع العابدين والمصلين[1]، وخصّها بفضل إيجابٍ اقتضاه قوله: ﴿ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى ﴾ إن[2] قيل: كيف أخّر هذا الذكر لمريم عن ذكر قصتها؟ قيل: لما ذكر آيتها قرن بها آية زكريا وعبادته، ثم أتبعها بعبادة مريم متمماً لقصتها؛ لئلا يحتاج إلى قطع قصة زكريا، فيكون قد قرن ذكر الآية بالآية والعبادة بالعبادة[3].

قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

= الثاني من تلك الأقوال. والنكت والعيون (١/ ٣٩٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٤) وزاد المسير (١/ ٣٨٨)، وقال أبو حيان في البحر المحيط: «والجواب أن السجود لما كانت الهيئة التي هي أقرب ما يكون العبد فيها إلى الله قدِّم وإن كان متأخراً في الفعل على الركوع، فيكون إذ ذاك التقديم بالشرف» وانظر: أنوار التنزيل (١/ ١٥٩٠)، وفتح القدير (١/ ٣٧٦)، وروح المعاني (٣/ ١٥٧).

(١) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٧)، والكشاف (١/ ٣٦٢)، والبحر المحيط (٢/ ٤٧٨)، وروح المعاني (٣/ ١٥٧).

(٢) في الأصل: إني. والصواب ما أثبته.

(٣) قال أبو حيان: «والمعَلَّم به قصتان، قصة مريم، وقصة زكريا، فنبه على قصة مريم إذ هي المقصودة بالإخبار أولاً، وإنما جاءت قصة زكريا على سبيل الاستطراد، ولاندراج بعض قصة زكريا في ذكر من يكفل، فما خلت من تنبيه على قصة ومعنى» البحر المحيط (٢/ ٤٧٩).

[٢١٢/أ] ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾[1] قد تقدَّم أنواع الوحي، وأن أصله/ الإشارة، ويقال للكتابة: وحي، إذ هي إشارة ما، وقد يكون الوحي بالإلهام[2] كما يكون بضرب من الكلام، وعلى ذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[3] وقد يقال ذلك للوساوس نحو قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[4] وكثيراً ما يشبه الوساوس بالإلهام، فلا يُميز بينهما إلا أولو العقول الراجحة[5]، والقلم: القص من الصلب كالظفر وكعب الرمح والقصب، ويقال للمقلوم: قِلْم، كقولهم للمنقوضِ: نِقْض،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٢) قال ابن الأثير: الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخصّ به من يشاء من عباده. النهاية (٤/ ٢٨٢).

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٥) انظر معاني الوحي في: العين (٣/ ٣٢٠)، والجمهرة (٣/ ٢٣٦)، والمفردات ص (٨٥٨، ٨٥٩)، وعمدة الحفاظ (٤/ ٢٩١-٢٩٢). وجمع ابن الأثير معاني الوحي فقال: «وقد تكرر ذكر الوحي في الحديث، ويقع: على الكتابة، والإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي» النهاية (٥/ ١٦٣). وانظر: الدر المصون (٣/ ١٧٢، ١٧٣)، وعمدة الحفاظ (٤/ ٣٣٥- ٣٣٦). وتشبيه الراغب للوسواس بالإلهام فيه نظر لاختلاف مصدر كلٍّ منهما عن الآخر.

وخُص ذلك بما يكتب به[1] وبالقَدَح[2]، وأكّد بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾[3] أن هذا مما أبلغت من الغيب، لقوله عز وجل في قصة موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[4] وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾[5] ومقارعتهم عليها: قال قتادة: كانوا من حرصهم على كفالتها يتقارعون عليها لفضلها[6]، وقيل: لتدافعهم إشفاقاً من أزمة كانوا فيها[7].

---

(١) ذكر الراغب هذا الكلام عن القلم في المفردات ص (٦٨٣)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠، ٤١١).

(٢) القِدْح: واحد قداح وهي التي يقترع بها. انظر: تفسير غريب القرآن (١/ ١٠٥)، والتهذيب (٩/ ١٨)، والمقاييس (٥/ ٦٧)، والمخصص (١٣/ ٢٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٤) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٥.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٠) بلفظ: كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم، فتشاحّ عليها بنو إسرائيل، فاقترعوا فيها أيهم يكفلها، فقرعهم زكريا. قال الماوردي: وهذا قول ابن عباس وعكرمة والحسن والربيع. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٣) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٣).

(٧) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٣) ونسبه لسعيد=

قوله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[1] تسمية عيسى بالكلمة لقوله: ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2][3] ولفظة كن وإن كانت[4] للأمر فموضوعة للإبداع[5]، وذاك أن فعل الله ضربان: عادي وإبداعي فالعادي[6] ويسميه قوم الطبعي: هو الذي أجرى الله تعالى به العادة أن يكون في زمان ومكان، ومن أصل، وعلى وجه مخصوص وشيئاً بعد شيء، كخلقة الولد من النطفة والزرع من البذر. والإبداعي: ما يوجده

= وذكره أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن فقال: «وقيل إنما اختصموا في كفالتها، لأنهم قد أصابهم قحط وأزمة، وكانت تضيق بهم النفقة، فاستهموا على كفالتها تدافعاً، حتى إن من خرج سهمه هو الذي يعولها وينفق عليها، والأول أصح وأشهر» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٩).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٣) وهذا قول ابن عباس وقتادة، كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩). وانظر: جامع البيان (٦/ ٤١١-٤١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٦، ٨٧). والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(٤) في الأصل: «كان»، والصواب ما أثبته.

(٥) أشار الراغب في المفردات إلى أن ذلك هو استعمال كثير من المتكلمين. المفردات ص (٧٣١).

(٦) في الأصل رسمت هكذا (عادتي وإبداعي فالعادتي) ولعل الصواب ما أثبته.

دفعة من غير حاجة إلى زمان ولا من أصل كخلق آدم بل كخلق العالم. وعبّر عن ذلك بكن إذ كان أسرع مفعول فيما بيننا ما كان قولاً وأعم الألفاظ معنى الكون مع وجازة لفظ، وعلى ذلك قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] وقال الأصمّ: سُمّي عيسى كلمة، لأنه تعالى خلق كلمة، فجعل منها عيسى، كما خلق آدم من تراب، وسائر الناس من نطفة، وهذا كما ترى[2]، وقال الجاحظ[3]: وصفه بذلك من حيث إنه تقدم الإخبار به وبشارته في الكتب المتقدمة[4]، وهذا كما سَمَّى وعده

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٢) أي باطل وهو يتماشى مع مذهب المعتزلة في إنكار صفات الله تعالى ومنها صفة الكلام.

(٣) هو عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ العلامة المتبحر في اللغة والأدب، له تصانيف كثيرة عدها ابن النديم في مائة وسبعين ونيف، منها: نظم القرآن، والمسائل في القرآن، والبيان والتبيين، والبخلاء، وهو معتزلي المذهب، أخذ عن النظّام. قال الذهبي: كان من أئمة البدع، توفي بالبصرة سنة ٢٥٥هـ، وقد جاوز التسعين من العمر. انظر: الفهرست لابن النديم ص (٢٩١)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦)، وطبقات المفسرين (٢/ ١٦).

(٤) ذكر هذا القول: ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٨٧)، والرازي في التفسير الكبير (٨/ ٣٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٨٠)، واستدل على ذلك بما في التوراة: أتانا الله من سيناء، وأشرق من ساعر، واستعلن=

كلمة بقوله: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[1] وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[2] وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾[3] وقيل سُمّي كلمة لكونه متكلماً في المهد[4]، وخُصّ بذلك لفظ الكلمة للمبالغة: كوصف الفاعل بالمصدر، وقال/ النظّام[5]: جعل ذلك لقباً له [٢١٢/ب] لا لمعنى أشار إليه[6]، وسُمّي مسيحاً، لأنه مُسِحَ بالبركة[7].

= من جبال فاران. قال.. وساعر: «هو الموضع الذي بعث منه المسيح».

(١) سورة غافر، الآية: ٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

(٤) ذكره الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٣٢) ولم ينسبه لأحد.

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار مولى آل الحارث بن عباد الضّبْعي البصري المتكلم، شيخ المعتزلة، له كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة، ذكرها ابن النديم، تكلم في القدر، وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحدٍ من جهنم، قال الذهبي: ولم يكن النظّام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفّره جماعة، وهو شيخ الجاحظ، مات في خلافة المعتصم سنة ٢٣١هـ. انظر: الفهرست ص (٢٨٧، ٢٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١)، ولسان الميزان (١/ ١٦٤).

(٦) ذكر هذا المعنى أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٨٠)، ولم ينسبه إلى أحد. قال: «وقيل سمّاه الله بذلك كما سمّى من شاء من سائر خلقه بما شاء من الأسماء، فيكون على هذا علماً موضوعاً له، لم تلحظ فيه جهة مناسبة».

(٧) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤١٤) بسنده عن سعيد، وذكره=

وقيل: لأنه ماسحاً للأرض لسياحته[1] فيها، وقيل: لأنه مُسِحَ بالجمال[2]، وعنى بذلك الجمال النفسي والبدني جميعاً، من الأخلاق الجميلة والفضائل الكثيرة، نحو قول النبي ﷺ في جرير[3] «**عليه مِسحة مَلَك**»[4]، وقيل: لأنه كان ممسوحاً بالدّهن

= الماوردي وابن الجوزي وعزواه إلى الحسن وسعيد، وذكره السمعاني وعزاه للحسن وقتادة. انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٩)، وزاد المسير (١/ ٣٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥١) بسنده إلى يحيى بن عبدالرحمن الثقفي أن عيسى ابن مريم كان سائحاً، ولذلك سمّي المسيح. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩)، وعزاه لثعلب، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٤). وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٨١).

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٩) ولم ينسبه لأحد. ونقل عن أبي الهيثم، قال: المسيح ضد المسيخ. يقال: مسحه الله أي خلقه خلقاً حسناً مباركاً، وانظر عمدة الحفاظ (٤/ ١٠١).

(٣) هو أبو عمرو جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة البجلي صحابي مشهور، بعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخَلَصَةِ فهدمها، قال رضي الله عنه: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسّم» وكان جرير جميلًا، قال عنه عمر بن الخطاب: هو يوسف هذه الأمة توفي سنة ٥١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٠)، الإصابة (١/ ٢٣٢)، والتهذيب (٢/ ٧٣)، و التقريب ص (١٣٩).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٠) والطبراني في الكبير (٢/ ٢٩١)، والحميدي=

لمّا وُلِد[1] وقيل: سُمّي به لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص لهما[2]، وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل، كأنه سُمّي به لأنه كان يمسح الأكمه والأبرص فيبرأ[3]. والجاه مقلوب عن الوجه[4]،

= في مسنده (٢/ ٣٥٠)، رقم (٨٠٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٢): وفيه محمد بن السائب الكلبي، وهو كذّاب. قلت: عنى بذلك رواية الطبراني فإنها من هذا الطريق. أما رواية أحمد والحميدي فمن طرق أخرى، ورجالهما ثقات.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩)، ونسبه إلى أبي سليمان الدمشقي، وذكره الألوسي في روح المعاني (٣/ ١٦١)، ونسبه إلى الجبائي. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٣٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(٢) أخمص القدم: هو تجويف في باطن القدم لا يمس الأرض. انظر: القاموس المحيط ص (٧٩٧)، والمصباح المنير ص (٧٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩) وقال: رواه عطاء عن ابن عباس. وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣١٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(٤) هو قول ابن عباس رضي الله عنه ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٨٩) وقال: رواه الضحاك عن ابن عباس. وعزاه السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣١٩) إلى ابن عباس أيضاً. وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٨٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨١)، والمقاييس (٥/ ٣٢٢)، والمفردات ص (٧٦٧)، والنهاية (٤/ ٣٢٦).

(٥) وهذا من تقديم العين على الفاء نحو: (أيس) في (يئس)، و(أينق) في (أنوق)، انظر: المساعد (٤/ ٢١١).

لكن الوجه يقال في الحظوة وفي العضو، والجاه لا يقال إلا في الحظوة[1]، ووجاهته: ما خُصّ به من أوصافه المعلومة، والقرب من الله تعالى في الدنيا: التخصيص بالصفات التي هي من صفاته تعالى كالكرم والعفو والمغفرة[2]، وفي الآخرة أن يصير في جواره[3]، وقد تقدم ذلك[4].

قوله عز وجل: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5] تكليمه النّاس في المهد: ما أنبأ عنه تعالى بقوله:

---

(١) انظر: العين (٤/ ٦٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٥١-٣٥٣)، والصحاح (٦/ ٢٢٥٤، ٢٢٥٥). والحظوة: بالضم والكسر: المكانة والحظُّ من الرزق. انظر القاموس المحيط ص (١٦٤٥).

(٢) كان الأولى للراغب رحمه الله أن يقيد ذلك بأنه على نحوٍ يليق بعيسى عليه السلام كبشر، فصفات الله تعالى أجلّ وأكمل من صفات المخلوق، فصفات المخلوق على نحو يليق به، وصفات الخالق تعالى على نحو يليق به سبحانه، وقد سبق الكلام على ذلك. انظر: هذه الرسالة ص (٤٦٦) هامش (٢).

(٣) انظر أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ في: جامع البيان (٦/ ٤١٥، ٤١٦)، وبحر العلوم (١/ ٢٦٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٨) وزاد المسير (١/ ٣٩٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٠).

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ٧٤، ق ١٦٩ مخطوط).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٦.

﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[1] الآية، وذلك من الأفعال الإلٰهية، حيث جعل لطفلٍ عقلًا وعلماً وكلاماً، وقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ قيل: معناه كلامه في حال طفولته وكهولته سواء[2]. وقيل؛ يكلمهم طفلًا، وبعد نزوله من السماء كهلًا، لأنه رفع قبل أن اكتهل[3]، وقيل: يُكلم الناس في المهد بكلام الكهول عقلًا[4]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي هو من جملة المذكورين في قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5] وموضع: ويكلّم، نصب[6]، كقول الشاعر:

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) اختار هذا القول الزمخشري، فقال: «ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء، من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء» الكشاف (١/ ٣٦٤)، وقال قتادة والربيع: يكلمهم صغيراً وكبيراً. انظر: جامع البيان (٦/ ٤١٩) والمحرر الوجيز (٣/ ٨٩).

(٣) وهذا قول ابن زيد. انظر: جامع البيان (٦/ ٤٢٠)، ومعاني القرآن وإعرابه، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٩)، وزاد المسير (١/ ٣٩١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٣).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٤) ولم ينسبه إلى أحد.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٧)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٠).

.... يقصر يمشي ويطول باركا[1]

أي ماشياً.

قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] القضاء: الفصل، وذلك إما بالتدبير، وإما بالقول، وإما بالفعل، فالأول لا يصح على الله عز وجل إلا بمعنى الحكم[3] إذ كان التدبير: التفكُّر في الشيء وارتياد الصلاح فيه، وذلك لمن كان ناقص العلم، فقوله: قضى، ها هنا إما للقول، وإما للفعل، أولهما جميعاً[4]، ومعنى قوله: كن أي يبدعه. على ما تقدم[5]،

(١) لم أهتد إلى قائله.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٣) ولذلك فسّر الإمام مجاهد وتابعه الطبري قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣] قال: يقضيه وحده. انظر: جامع البيان (١٥/ ١٨، ١٩).

(٤) انظر: المفردات ص (٦٧٤-٦٧٦) وتفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٩٣ ـ مخطوط) والنهاية (٤/ ٧٨).

(٥) وذهب الراغب إلى أن استخدام لفظ (كن) لعموم معناه واختصار لفظه. انظر: تفسير سورة البقرة، الآية: ١١٧ (ق ٩٣ ـ مخطوط) وانظر: تفسير أبي السعود: (إرشاد العقل السليم) (١/ ١٥١).

وقال الأصم: عادة الله جارية فيما أخبر عن كونه؛ أن يقول في وقت ما يحدثه كن كخلقه لآدم/ كما قال للملائكة ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾[1] قال له: كن. لما أراد إحداثه تنبيهاً لهم، وكذلك لمّا أخبر أنه سيبعث نبياً خلقه من غير ذكر، قال له: كن لما أراد إحداثه، وذلك ليعرف الملائكة انتهاء الأجل ونزوله[2] وقال أبو الهذيل[3] إن ذلك قوله يقوله عند كل مكوّن، وحكي عنه أنه يجري مجرى الإرادة[4]، .... [٢١٣/أ]

---

(١) سورة صٓ، الآية: ٧١.

(٢) في الأصل: (ونزول)، بدون هاء.

(٣) هو محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف، مولى عبدالقيس، رأس المعتزلة، ومصنف الكتب الكثيرة في مذاهبهم، زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة، وقال: هما الله. وُلد سنة إحدى وثلاثين ومائة، ويقال: سنة أربع وثلاثين. قال الذهبي: ولم يكن أبو الهذيل بالتقي، وقال ابن قتيبة: كان كذّاباً أفّاكاً، وطال عمره وجاوز التسعين، ومات في سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر: الفهرست لابن النديم ص (٢٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢)، ولسان الميزان (٥/ ٤٠٧، ٤٠٨).

(٤) وهذا على مذهبهم في إنكار صفات الله تعالى ومنها صفة الكلام، ويُلاحظ أن الراغب ينقل عن المعتزلة أقوالهم، ولا يقوم بتمحيصها وتمييز ما يقبل منها وما يرد. وأهل السنة يجُرون هذه الآية على ظاهرها ويثبتون أن الله تعالى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون حقيقة. قال شيخ الإسلام=

فقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾[1] تعجبٌ منها لما ذكره لها من أمره بها، وكيف لا تتعجب وأمرها أبدع من أمر زكريا، فأجابها بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، فمن وقف عليه جعل ما بعده كالتفسير له، [ومن][2] وصل: فمعناه أن الله كذا قضى أو كذا يفعل. إن قيل: لم قال ها هنا: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وفي قصة زكريا: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[3]؟ قيل: لما كان الخلق أخص من الفعل خصه، بما هو إبداع، وذكر الفعل فيما هو أقرب إلى المعتاد في إيجاده[4].

= ابن تيمية: وكذلك تنازعوا في الأول ـ وهو خطاب التكوين ـ هل هو خطاب حقيقي أم هو عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة؟ والأول هو المشهور عند المنتسبين إلى السنة. ثم قال رحمه الله: «فالذي يقال له: كن هو الذي يراد، وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت وتميز في العلم والتقدير، ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره» وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه إذا قدَّر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له: كن. أي مرة واحدة فيكون أي فيوجد على وفق ما أراد».
انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ١٨٢، ١٨٥) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٥٣)، وانظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/ ٥١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٤) انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٨٤)، وتفسير إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٧).

قوله عز وجل: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۞ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١]

الهيئة: الحالة المحسوسة التي تحدث للشيء، والهيء: الحسن الهيئة، ومنها أخذ المهايأة فيما يتراضى به على وجه التخمين[٢]، والنفخ: جعل الريح في الشيء ومنه النفخة، وعنه استعير نفخة الصور، والنفخة للورم تشبيهاً بما ينفخ فيه، والنُّفَّاخَة للحجاةِ[٣]، والادخار: افتعال من الذَّخر وهو إعداد الشيء لنائبةٍ[٤] قال

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) انظر؛ العين (٤/ ١٠٣)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٨٥)، والمفردات ص (٨٥٠)، والكليات ص (٩٦٢).

(٣) قال ابن منظور: والنّفاخة: الحجاة التي ترتفع فوق الماء. لسان العرب (٣/ ٦٤). وانظر معاني النفخ في: الصحاح (١/ ٤٣٤)، والمفردات ص (٨١٦)، والتاج (٧/ ٣٥٨-٣٦١).

(٤) في الأصل: كنايته والصواب ما أثبته. قال في المفردات: وادخرته: إذا أعددته للعقبى. انظر في معنى الادخار: تهذيب اللغة (٧/ ٣٢١)، والمفردات ص (٣٢٦)، ولسان العرب (٤/ ٣٠٢)، وتاج العروس (١١/ ٣٦٢- ٣٦٥).

الفرّاء: قُرئ (تَذْخرون) خفيفة[1]، وقال بعض العرب: (تذخرون) فعوقب بين الذال والدال نحو تدَّكر وتذَّكر[2]. والأكمه: الذي وُلِد أعمى[3]، وقول الحسن: الأكمه الأعمى[4] صحيح، وكل كَمَه عمى، وإن لم يكن كل عمى كمهاً، وقول مجاهد: الأكمه الذي لا يبصر بالليل دون النهار[5]، فليس بشيء[6]،

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٥، ٢١٦)، وشرح الشافية للرضي (٣/ ٢٢٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٠)، ولسان العرب (٤/ ٣٠٢)، وشرح الملوكي ص (٣٢٢-٣٢٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٣)، وتفسير غريب القرآن (١/ ١٠٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٢)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٩). والمفردات ص (٧٢٦).

(٤) في الأصل: (العمى) والصواب ما أثبته. وهذا القول أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٢٩) وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٥) عن الحسن دون إسناد، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢) وقال: ذكره ابن جريج عن ابن عباس ومعمر عن قتادة، وبه قال الحسن والسدي.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٢)، وعزاه لمجاهد والضحاك، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٤، ٣٤٥).

(٦) قال الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٠، ٤٣١): فأما ما قال عكرمة من أن «الكمه» العمش، وما قاله مجاهد من أنه سوء البصر بالليل، فلا معنى=

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يجوز أن يعني بحال طفوليته[1] إن قيل: كيف ذكر الكتاب، ثم عطف عليه التوراة والإنجيل، وهما من جملة الكتاب؟ قيل: قالوا: عنى بالكتاب القراءة والكتابة[2]، وعُلِّم تعليماً إلاهياً في حال الطفولية[3]، وقيل: عنى بالكتاب كتب الله المنزلة وخصص التوراة و/ الإنجيل كتخصيص ذكر [٢١٢/ب] جبريل وميكائيل بعد الملائكة تفضيلًا لهم[4]، وقد تقدّم الفرق

= لهما، لأن الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل إلى معارضته فيها، ولو كان مما احتج به عيسى على بني إسرائيل في نبوته أنه يبرئ الأعمش أو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بأن يقولوا: وما في هذا لك من الحجة، وفينا خلق ممن يعالج ذلك، وليسوا لله أنبياء ولا رسلًا، ففي ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من أن الأكمه هو الأعمى، الذي لا يبصر شيئاً لا ليلًا ولا نهاراً»اهـ.

(١) الطفولية والطفولة: صغر السن. انظر: القاموس ص (١٣٢٦).

(٢) قال ابن جرير الطبري: وهو الخط الذي يخطه بيده. جامع البيان (٦/ ٤٢٢) وهو قول ابن جريج. انظر: معالم التنزيل (٢/ ٣٩) وزاد المسير (١/ ٣٩١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٤). ونسبه لابن عباس أيضاً.

(٣) البحر المحيط (٢/ ٤٨٤) قال: «وتعليمه إياها قيل بالإلهام، وقيل بالوحي، وقيل بالتوفيق والهداية للتعلم».

(٤) وهذا من ذكر الخاص بعد العام «للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات...» التلخيص ص (١١٩).

بين الكتاب والحكمة[1]، وقرئ و(يُعلّمه)[2] عطفاً على قوله: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ ﴾[3]، وبالنون عطفاً على قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَرَسُولًا ﴾ عطف على قوله: ﴿ وَجِيهًا ﴾ وقيل تقديره: ويجعله رسولاً[5].

---

(١) قال الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٢٩]: «تعليمهم الكتاب: أي تعريفهم حقائقه لا ألفاظه فقط، ثم بتعليمهم الكتاب يوصلهم إلى إفادة الحكمة، وهي أشرف منزلة العلم» انظر: تفسير الراغب (ق ٩٨ ـ مخطوط).

(٢) قال ابن زنجلة: قرأ عاصم ونافع: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بالياء إخبار عن الله أنه يعلمه الكتاب وحجتهما قوله قبلها: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ . . . ﴾ وقرأ الباقون (ونعلمه) بالنون أي نحن نعلمه. وحجتهم قوله قبلها: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ ﴾. حجة القراءات ص (١٦٣). وانظر: المبسوط ص (٤٣) وزاد على عاصم ونافع أبا جعفر ويعقوب. والتلخيص ص (٢٣٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٥) وهذا هو اختيار الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣). وقيل: حال. والتقدير: ويكلمهم رسولاً. وجوَّز العكبري أن يكون مصدراً بمعنى الرسالة، وعلى ذلك فهو إما مصدر في موضع الحال، أو مفعول معطوف على الكتاب. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٩)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٠) وإملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٣٥).

إن قيل: كيف تعلق هذه الآية بما قبلها، وما قبلها حكاية حكى الله عن نفسه، وهو: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وهذه حكاية حكاها عن عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ قيل: تقديره: وبعث رسولاً يقول: إني قد جئتكم، ودل على إضمار القول ذكر الرسول وترك ذكر مريم، وابتدأ بإرسال عيسى، وما قال له، وذكر معجزاته[1]. إن قيل: لِمَ ذكر في الخلق وفي إحياء الموتى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ولم يذكر في غيرهما؟ قيل: لكون هذين الفعلين إلاهيين، لم يجعل للمخلوقين إليهما سبيلًا، بخلاف النفخ والمداواة والإخبار ببعض الغيب، فقد جعل للإنسان كثيراً من المداواة، وجعل لهم شيئاً من الإخبار بالغيب كالفِراسة[2]

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٢٣)، وقال الزجاج: «ونصب ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على وجهين أحدهما: ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل. والاختيار عندي والله أعلم: ويكلم الناس رسولاً إلى بني إسرائيل، والدليل على ذلك أنه قال: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فالمعنى - والله أعلم - ويكلمهم رسولاً بأني قد جئتكم بآية من ربكم» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣). وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٧٩) والمحرر الوجيز (٣/ ٦٢).

(٢) الفِراسة: بكسر الفاء التفرّس في الشيء وإصابة النظر فيه، يقال: إن فلاناً لفارس بذلك الأمر إذا كان عالماً به، ويقال: هو يتفرّس. إذا كان يتثبت وينظر. انظر: مجمل اللغة ص (٥٦٢)، والتعريفات ص (١٦٦)، =

والإلهام[1] ولم يجعل لهم الخلق ولا إحياء الموتى، فنبَّه بقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أن ذلك فعل في الحقيقة صادر منه تعالى[2]، وإن كان يظهر من غيره كالفِراسة والمداواة، وإن كانا قد يحصلان من سائر البشر، فذلك قد يكون باعتماد على تجربة واعتبار أمر، ولا يكون في كل وقت وعلى كل حال، ولا في دفعة واحدة، وما كان يفعله عيسى كان بخلاف فعل البشر، فلهذا كان معجزة[3]،

= ولسان العرب (٦/ ١٥٩). وقال ابن القيم: «وسببها ـ أي الفراسة ـ: نور يقذفه الله في قلب عبده، يُفرّق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب. وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة.. وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً، فهو أحدُّ فراسة» مدارج السالكين (٢/ ٥٠٤).

(١) الإلهام: إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يبعث صاحبه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ٢٨٢)، والمعجم الوسيط ص (٨٤٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٨٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٩).

(٣) قال الحافظ ابن كثير: بعث الله كلّ نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار، وحيرَّت كل سحَّار، =

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أنّ المؤمن هو الذي يتفكر في ذلك، فتحصل له الآية، وقُرىء إنيّ على الاستئناف[1]، ويكون تفسيراً للآية، كما أن قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾[2] تفسير للوعد، وإذا قرىء أنّى بالفتح، فعلى تقدير الجرّ بدلاً من آية[3] أو على قَدرِ الرفع خبر ابتداء مضمر، كأنه [قال][4]: الآية

= فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار، انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار، وأما عيسى عليه السلام، فبُعث في زمان الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحدٍ إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد. . . » تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٥).

(١) قرأها بكسر الهمزة نافع وحده، وقرأها الباقون بالفتح. انظر: المبسوط ص (١٤٣)، والغاية ص (٢١٢)، والتلخيص ص (٢٣٩).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

(٣) قال ابن زنجلة: «قرأ نافع: «إني أخلق لكم» بكسر الألف على الاستئناف. وقرأ الباقون «أني» بالفتح، وحجتهم أنها بدل من قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال الزجاج: «أني» في موضع جر على البدل من «آية». المعنى: جئتكم بأني أخلق لكم من الطين». حجة القراءات ص (١٦٤). وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣).

(٤) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

أني قد جئتكم[1].

قوله عز وجل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2] فقوله: ومصدقاً معطوف على ما دلّ عليه قوله: بآية من ربكم أني قد جئتكم مستصحباً آية، ومصدقاً، كقولك: جئتك بما تُحب ومكرماً لك، وليس بمعطوف على وجيهاً ولا رسولاً، لقوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أني أحقق/ ما أتيت [٢١٤/أ] به من التوراة، فيكون ذلك معدوداً من جملة معجزاته[3].

وقال[4] قتادة والربيع[5] ....

(١) أشار إلى هذا الوجه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

(٣) قال الفراء: نصبت (مصدقاً) على فعل جئت، كأنه قال: وجئتكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة، وليس نصبه بتابع لقوله (وجيهاً)، لأنه لو كان كذلك لكان (ومصدقاً لما بين يديه). معاني القرآن (١/ ٢١٦) وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥)، وإعراب القرآن (١/ ٣٨٠)، والدر المصون (٣/ ٢٠١).

(٤) بدأ الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

(٥) هو الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني، صدوق له أوهام، ورُمِي بالتشيّع، مفسّر البصرة ومحدّثها، روى التفسير عن شيخه أبي العالية، =

وابن جريج[1]: كان المحرَّم عليهم في شريعة موسى لحوم الإبل والأشياء من الطير والحيتان، فأحلَّها عيسى لهم[2]، وقال أبو عبيدة[3]: عنى ببعض الذي حُرِّم الكل، واحتج بقوله:

= لقي عبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله، وروى عن أنس بن مالك، توفي سنة ١٤٠هـ وقيل سنة ١٣٩هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨)، وتقريب التهذيب ص (٢٠٥)، وطبقات المفسرين (١/ ١٧٢).

(١) هو أبو الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلِّس ويرسل، فقيه الحرم المكي وأول من صنف التصانيف في العلم، مولى أمية بن خالد ولد سنة ثمانين، حدّث عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة ونافع بن عمر وغيرهم. قال الذهبي: الرجل في نفسه ثقة حافظ، لكنه يدلس بلفظ «عن» و«قال»، وقد كان صاحب تعبد وتهجد، وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ. مات سنة خمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٢)، والتهذيب (٦/ ٤٠٣)، والتقريب ص (٣٦٣).

(٢) أما رواية قتادة فأخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٩)، وانظر: زاد المسير (١/ ٣٩٣). وأما رواية الربيع فأخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٧). وأما رواية ابن جريج فأخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٣٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٩٤). ونقل قول أبي عبيدة هذا: أبو المظفر السمعاني في=

.... أو يرتبط بعض النفوس حمامها[1]

وقال الزجّاج[2]: هذا فاسد، لأن البعض [لا يكون][3] بمعنى الكل، وعنى لبيد ببعض النفوس نفسه خاصة فعرّض، ولأن عيسى حلّل بعض المحرمات، وهو الذي كانوا حرّموا على أنفسهم[4]،

= تفسير القرآن (١/ ٣٢٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٤١) وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٩٠).

(١) هذا عجز بيت للبيد وتمامه:

تَـرَّاكُ أمكنـةٍ إذا لم أرضهـا أو يرتبط بعض النفوس حمامها

انظـر: ديـوان لبيـد ص (١٧٥)، والمعلقـات السبـع ص (١٥٩)، والمعلقات العشر ص (١٠٢)، ومجاز القرآن (١/ ٩٤)، (٢/ ٢٠٥)، ومجالس ثعلب (١/ ٥٠)، (٢/ ٣٦٨، ٣٦٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥) ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٣)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٩٠).

(٢) هو إبراهيم بن السّريّ بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، كان يخرط الزُّجاج، ثم مال إلى النحو فلزم (المبّرد) وأخذ عنه وعن (ثعلب)، من كتبه: (معاني القرآن) (الاشتقاق) ولد سنة ٢٤١هـ ببغداد، وتوفي بها سنة ٣١١هـ. انظر: الفهرست ص (٩٥)، وتاريخ بغداد (٦/ ٨٩)، وطبقات المفسرين (١/ ٩).

(٣) ليست في الأصل والصواب ما أثبته. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٥).

(٤) تصرف الراغب ـ رحمه الله ـ في نقل كلام الزجاج وعبارته: «... وهذا مستحيل في اللغة والتفسير وما عليه العمل، فأما استحالته في اللغة، =

وقوله: ولأحل معطوف على موضع ومصدقاً[1] لأن تقديره: لأُصدِّق ولأُحل، كقولك: جئتك متعذراً[2] ولأطيِّب قلبك، وعلى ذلك تقدير قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ﴾ في قراءة عبدالله (آيات) في الموضعين[4]، وإنما لم يقل: من ربي أو ربنا. لأن ذلك أخص من المخاطبين، وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قيل: وحِّدوا الله، وتقواه أخص من توحيده، إذ هي مبنيّة عليه، ودعاؤه إلى طاعته دعاء

= فإن البعض والجزء لا يكون الكلَّ. وأنشد في ذلك أبو عبيدة بيتاً غلط في معناه،... قال: المعنى: «أو يعتلق كل النفوس حمامها»، وهذا كلام تستعمله الناس. يقول القائل: بعضنا يعرفك، يريد: أنا أعرفك، فهذا إنما هو تبعيض صحيح، وإنما جاءهم عيسى بتحليل ما كان حراماً عليهم، قال الله عز وجل: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء، الآية: ١٦٠]، وهي نحو الشحوم وما يتبعها في التحريم، فأما أن يكون أحلَّ لهم القتل والسرقة والزنا فمحال». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥).

(١) انظر أوجه إعراب «ولأُحل» في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٦) والبحر المحيط (٢/ ٤٩١)، والدر المصون (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: معتذراً.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٩٣، ٩٩)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٨، ٤٠).

فيما دعاهم إليه من تقوى الله .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[(١)] لما وصف عيسى نفسه بأفعال إلهية ، وأتى على ما ذكر ، وكان قد قال : ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ خطر له ما فعلته جماعة من النصارى ، وهو اتخاذهم إياه معبودهم ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ ﴾ ولم يقل : ربنا ، ليكون أبعد من التأويل فيما ادعوه ، وأمر بأن يُعبَد الله وحده ، وقال : ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ تنبيها أن العدول عن ذلك ليس بالمستقيم[(٢)] .

قوله عز وجل : ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[(٣)] الإحساس : الوجود بالحاسة ، وحسّه : قتله ، كأنه أصاب حسه نحو قلبه وبطنه ، وقال الفرّاء : يقال حَسَسْت ، وحسِسْت ، وحسِيت وأحسْتُ[(٤)] ، فأما حَسَسْته

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥١ .

(٢) انظر : جامع البيان (٦/ ٤٤١) ، والبحر المحيط (٣/ ٩٩ ، ١٠٠) ، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٢) ، وأنوار التنزيل (١/ ١٦١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٠) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٥٢ .

(٤) اختصر الراغب ما نقله عن الفراء ، فقد ذكر الفراء هذه الكلمات ، ولكنه لم يوردها لمعنى واحد ، وتفصيل ما ذكره كما يلي : حَسَسْتُ : في معنى=

فأصبتُه بحاستي[1] نحو: عِنته ويديتُه[2] أي أصبتُه بهما، فأما حسِسْت، فنحو علمت وفهمت، وأمّا[3] حسيت فبقلب إحدى السينين ياء، وأما أَحَسْتُ فبحذف إحداهما نحو: ظَلْتُ في ظَلِلْتُ[4]، وكلا اللغتين تحريا للتخفيف[5]، وإنما قال: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ ﴾ دون عَلِمَ تنبيهاً/ أنه ظهر منهم الكفر ظهوراً [٢١٤/ب] بادياً لذي الحاسة فضلًا لذي العقل[6]، وقوله: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي

= الإفناء والقتل. حَسِسْتُ وحَسَسْتُ: في معنى العطف والرقة. أحسستُ وأَحَسْتُ وأَحْسَيْتُ وحَسِيتُ: الخبر وبالخبر علمت. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٦، ٢١٧).

(١) يبدو أنه أخذ هذا من قول ابن السكّيت (الحسُّ. . . : مصدر حَسَسْت الدابّة، تهذيب اللغة (٣/ ٤٠٥)، والمشوف المعلم (١/ ١٩٠).

(٢) الغالب على (يديته) ضربت يده لا ضربته بيدي، ولعله أخذه من قولهم «إن فلاناً لذوحال يبدي به ويبوع أي يبسط به يده وباعه». انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٤٠)، وأساس البلاغة ص (٥١٢).

(٣) في الأصل «فأما» والمناسب للسياق ما أثبته.

(٤) انظر: المنصف (٣/ ٨٤)، وشرح التصريح على التوضيح (٢/ ٣٩٧).

(٥) انظر: معنى «حس» في: العين (٣/ ١٥)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٠٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢١٦، ٢١٧)، ومجاز القرآن (١/ ٩٤)، ومجالس ثعلب (٢/ ٤١٨)، وجامع البيان (٦/ ٤٤٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤١٦)، والمفردات ص (٢٣١، ٢٣٢).

(٦) انظر: الكشاف (١/ ٣٦٥).

متوجهاً إلى الله[1]، وقيل: مع الله[2] نحو الذود إلى الذود إبل[3]، وقيل: لله[4]، نحو ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾[5] والوجه هو الأول، والأنصار جمع نصير، نحو: أشهاد في جمع شهيد، والحواريون قيل: سُمُّوا لبياض ثيابهم[6]، عن ابن جبير[7]، وقال بعضهم:

---

(١) ذكر هذا الوجه الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٦٦) فقال: . . . أو يتعلق بمحذوف حالاً من الياء، أي من أنصاري ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه. وانظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٤).

(٢) وهذا قول السدي وابن جريج واستحسنه الفراء واختاره الطبري. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٨)، وجامع البيان (٦/ ٤٤٣، ٤٤٤)، واستبعد ذلك الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٦).

(٣) نسب هذا القول إلى العرب الفراء في معاني القرآن (١/ ٢١٨)، وابن جرير في جامع البيان (٦/ ٤٤٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٤٢).

(٤) وهو قول أبي علي الفارسي. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٤).

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٤٩) عن سعيد بن جبير، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٩) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٥)، وزاد المسير (١/ ٣٩٤).

(٧) هو أبو عبدالله سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه، من أكثر التابعين علماً ومنزلة، تتلمذ على عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، رضي الله عنهم، وهو من أوائل مفسّري القرآن، قتله الحجاج بن=

عنى ببياض ثيابهم نقاء نفوسهم[1]، نحو ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[2]، وقولهم: فلان طاهر الثوب، وفي ضده: دنس الثوب، وقيل: كانوا قصّارين[3] يبيعون الثياب[4]، وقال بعضهم: عنى أنهم كانوا يُطهِّرون نفوس الناس[5]، وقول النبي ﷺ: «**الزبير[6] ابن عمتي وحواريّ**»[7] تشبيهاً بهم، وقول أبي عبيدة: الحواريون صفوة

= يوسف ظلماً سنة ٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)، والتقريب ص (٢٣٤)، والتهذيب (٤/ ١١)، وطبقات المفسرين (١/ ١٨٨).

(١) ذكر هذا القول الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٥) ونسبه لقتادة.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٤.

(٣) القصَّار والمقصِّر: مُحَوِّر الثياب ومبيِّضها. انظر: تاج العروس (١٣/ ٤٣١).

(٤) وهو قول ابن أبي نجيح انظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٠) والنكت والعيون (١/ ٣٩٥)، وزاد المسير (١/ ٣٩٤).

(٥) قال ابن عطية: «والحواريون قوم مرَّ بهم عيسى عليه السلام، فدعاهم إلى نصره واتباع ملته فأجابوه، وقاموا بذلك خير قيام وصبروا في ذات الله» المحرر الوجيز (٣/ ١٠١) وهذا هو أقرب ما وجدت لما ذكر الراغب.

(٦) هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، أمّه صفية بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله ﷺ، أسلم بمكة، وشهد المشاهد كلها، قتل سنة ٣٦هـ بعد منصرفه من وقعة الجمل وعمره ست وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤١)، والإصابة (٢/ ٤٥٧)، والتقريب ص (٢١٤).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير، رقم (٣٧١٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة =

الأنبياء[١] فنظر منه إلى حواري عيسى عليه السلام، وإلى قول النبي ﷺ[٢]، وقد تقدَّم القول في الإيمان والإسلام[٣]، وعنى بالإسلام ها هنا الاستسلام لله عز وجل، كقول إبراهيم: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٥].

= والزبير، رقم (٢٤١٥). والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الزبير رقم (٣٧٤٤)، وابن ماجه في المقدمة رقم (١٢٢) نحوه. وأحمد في المسند (٣/ ٣١٤).

(١) مجاز القرآن (١/ ٩٥).

(٢) قال ابن كثير: والصحيح أن الحواري: الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «لكل نبيّ حواري وحواريّ الزبير». انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٥). وهذا الحديث الذي ذكره ابن كثير أخرجه البخاري في أخبار الآحاد، باب بعث النبي ﷺ للزبير طليعة وحده (١٣/ ٢٣٩) رقم (٧٢٦١). ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير (٤/ ١٨٧٩) رقم (٢٤١٥). وأحمد في المسند (٣/ ٣٦٥).

(٣) انظر: تفسير الراغب (ق ١٨ وق ٩٩ ـ مخطوط).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٣.

الاتّباع: الاقتداء بالمُتّبَع[1]، وهو أخصُّ من الإجابة، إذ قد يكون مجيباً من لا يكون تابعاً، وإنما قال: ﴿ربنا﴾. ولم يقل: ربّ العباد. لأن الموضع موضع اعتراف وشكر، لا الإخبار عما عليه الشيء في نفسه، فلذلك خصّ ربنا، وقد تقدم أن الشاهد هو المخبر عن الشيء مشاهدة: إما حسّاً أو عقلًا، وأنه استعير للشهادة في الأحكام[2]، والشاهدون ها هنا هم الذين على طريقة من قال فيهم: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[3]، ونبه بقوله: ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أنهم منهم[4]، وقوله: ﴿ربنا﴾

---

(١) انظر: العين (٢/ ٧٨)، والصحاح (٣/ ١١٩٠)، والمقاييس (١/ ٣٦٢).

(٢) تقدم الكلام على معاني الشهادة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية: ١٨ من سورة آل عمران. انظر ص (٤٩) من هذا البحث.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) قال أبو حيان: ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ هم محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ، ومحمد ﷺ يشهد لهم بالصدق، روى ذلك عكرمة عن ابن عباس. أو من آمن قبلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. أو الأنبياء... قاله مقاتل. أو الشاهدون للأنبياء بالتصديق، قاله الزجاج، أو الشاهدون لنصرة رسلك، أو الشاهدون بالحق عندك...» البحر المحيط (٢/ ٤٩٥). واختار الطبري العموم فقال: يقول: «فأثبت أسماءنا مع الذين شهدوا بالحق، وأقروا لك بالتوحيد، وصدقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك...» جامع البيان (٦/ ٤٥٢)، وانظر: معاني القرآن=

متصل بالحكاية عنهم، وأخبرنا تعالى بذلك لنقتدي بهم في متابعة النبي ﷺ والتضرُّع إلى الله في طلب الثواب كما طلبوه.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[1]

المكر في الأصل: حيلة يُجلب بها الإنسان إلى مفسدة، وحيلة قد تقال فيما يُجلب به إلى مصلحة[2]، وقد يُقال في ذلك المكر والخديعة اعتباراً بظاهر الفعل دون المقصد[3]، والحكيم قد يفعل ما صورته صورة المكر، ولكن قصده المصلحة لا المفسدة، وعلى هذا سئل بعض المحققين[4] عن مكر الله فأنشد:

= وإعرابه (١/ ٤١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

(٢) قال الراغب في المفردات ص (٧٧٢): «المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميلٍ، وعلى ذلك قال: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾. ومذموم، وهو أن يتحرى به فعلَ قبيح. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣]... وقال في الأمرين: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ [النمل: ٥٠].

(٣) انظر معاني المكر في: العين (١/ ١١٥)، (٣/ ٢٩٧)، (٥/ ٣٧٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢١٨)، ومجاز القرآن (١/ ٩٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٠٨)، والصحاح (٢/ ٨١٩)، (٣/ ١٢٠١)، والتاج (٤/ ١٤٧)، (٢٠/ ٤٨٣).

(٤) هو الجنيد، كما صرح به أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٩٦).

ويقبح من سواك الشيء عندي وتَفْعَلُه فيحسن منك ذاكا[1]

فإذن مكر الله قد يكون تارة فعلًا يُقصد به مصلحة، ويكون تارة جزاء المكر[2]، ويكون تارة/ [٢١٥/أ] بأن لا يقبِّح مكرهم في عينهم، وذاك بانقطاع التوفيق عنهم وتزيين ذلك في أعينهم، حتى كأنه زيَّنه في أعينهم ومكر بهم، ويكون تارة بإعطائهم ما يريدون من دنياهم، فإذا أعطاهم واستعملوه على غير ما يحب، فكأنه مكر بهم[3]،

---

(١) البيت في المحاضرات للراغب الأصفهاني (٢/ ٤٥٣)، (٣/ ٤٩)، وقد نسبه الراغب للمتنبي وليس في ديوانه. وانظر: رموز الكنوز لعز الدين الرسعني الحنبلي (١/ ١٢٤، ١٢٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٩٦).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستهزاء والمكر، بأن يظهر الإنسان الخير والمراد شر فهذا إذا كان على وجه جحد الحق وظلم الخلق فهو ذنب محرم، وأما إذا كان جزاء على من فعل ذلك بمثل فعله كان عدلاً حسناً... فإن الجزاء من جنس العمل. وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾، كما قال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، وكذلك جزاء المتعدي بمثل فعله، فإن الجزاء من جنس العمل، وهذا من العدل الحسن، وهو مكرٌ وكيد إذا كان يُظهر له خلال ما يبطن» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٤٧١). وانظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٩)، ومدارك التنزيل (١/ ٢٥٨).

(٣) قال بيان الحق النيسابوري: «فالمكر ابتداؤه منا: إرادة أن نوقع الممكور به في شره. وتمامه: يكون بتدبير خفي لا يُطلع عليه. فهو من الله التدبير الخفي في ضربٍ يناله المستحق على وجه لم يحتسبه». وضح البرهان في=

واستدرجهم من حيث لا يعلمون[1]، ولأجله قال: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[2] وهذا من المعنى الذي اقتضى الذي قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[3] وقال الكلبي[4]: مكرهم كان تدبيرهم في قتل عيسى ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أنه ألقى شبه عيسى

= مشكلات القرآن (١/ ٢٤٤). وهذا الكلام يشمل معنى التزيين الذي ذكره الراغب.

(١) قال الزجاج: «المكر من الخلائق خبّ وخداع، والمكر من الله المجازاة على ذلك، فسمي باسم ذلك لأنه مجازاة عليه، كما قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] فجعل مجازاتهم على الاستهزاء بالعذاب لفظه لفظ الاستهزاء... وجائز أن يكون مكر الله استدراجهم من حيث لا يعلمون...» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٩)، وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٨)، وجامع البيان (٦/ ٤٥٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٦).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٤) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي الكوفي النسّابة المفسر، متهم بالكذب ورُمي بالرفض. قال البخاري: تركه يحيى وابن مهدي، وقال الجوزجاني: كذاب ساقط. وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه. وقال النسائي والساجي والدارقطني: متروك. مات بالكوفة سنة ١٤٦هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٥٦)، والتهذيب (٩/ ١٧٨)، والتقريب ص (٤٧٩).

على رجل كان يقال له يهودا عهد لقتل عيسى، فدخل بيتاً فظن أن عيسى عليه الصلاة السلام فيه فتبعه القوم فصلبوه[1]، وقال الأصمّ: مكره بهم أن سلَّط عليهم فارساً[2]، فقتلوهم، وسبوا ذراريهم[3]، لقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[5] إن قيل: كيف قال: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾[6]؟ قيل: جملة الأمر أن ليس في

(١) هذا قول عامة المفسرين انظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٣، ٤٥٤)، وقد رواه ابن جرير بسنده عن السدي. وابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٠، ٦٦١)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٣)، وزاد المسير (١/ ٣٩٥)، وقد عزاه ابن الجوزي لابن عباس. ومدارك التنزيل للنسفي (١/ ٢٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٦).

(٢) فارس: أمّة من الناس وهم الفُرس، وفارس: بلد ذو جبل، والنسب إليه فارسيّ والجمع فُرس، وهو الآن بلاد إيران. انظر: لسان العرب (٦/ ١٦٢) والمعجم الوسيط ص (٦٨١).

(٣) ذكر هذا الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٥٩) ولم ينسبه لأحد.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

ذلك منافاة، إذ ليس كل متوفى يكون مقتولاً. وقد قال الفرّاء: معناه: ورافعك إليّ ومتوفيك، فقدّم وأخّر[1]. وقال الربيع: توفّاه، ووفاته النوم[2]. وقال غيرهما: آخذك وافياً لم ينقص منك شيء[3]. وقال الحسن: وفاة الرفع، لا وفاة الموت[4]. وقال ابن

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢١٩)، وذكره عن الفراء الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٧) ونسبه للفراء والزجاج. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٠)، وذكره ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٤٥٨) ولم ينسبه إلى أحد، وساقه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦١) بسنده إلى قتادة.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٥٥)، وذكره أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٢٤)، ونسبه للربيع، وعزاه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦) لأكثر المفسرين.

(٣) ذكره صاحب البحر المحيط (٢/ ٤٩٧) ولم ينسبه لأحد، وهذا القول لا يخالف القول الذي بعده، بل هما قول واحد، فالله تعالى أخذه، أي رفعه وافياً لم ينقص منه شيء. يوضح ذلك قول ابن الجوزي رحمه الله: «وفي هذا التوفي قولان. أحدهما: أنه الرفع إلى السماء، والثاني: أنه الموت، فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً، من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفيك» قابضك من الأرض وافياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً. هذا قول الحسن وابن جريج وابن قتيبة واختاره الفراء».
انظر: معاني القرآن (١/ ٢١٩)، والفراء حكى القولين، ولم يرجح أحدهما.

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٥٥-٤٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٧)، =

عباس ووهب[1]: وفاة موت، فإنه أماته ثم أحياه فرفعه[2].

وقال بعضهم: معنى متوفيك آخذك عن هواك، ورافعك إليّ عن شهوتك، ولم يكن ذلك رفعاً مكانيًّا، وإنما هو رفعة المحل[3]،

= والبحر المحيط (٢/ ٤٩٧): وهو قول الحسن وابن جريج وابن زيد والضحاك، ومطر الوراق، ومحمد بن جعفر بن الزبير.

(١) هو أبو عبدالله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني، ثقة، من مسلمة أهل الكتاب، تابعي كثير الأخبار ولا سيما الإسرائيليات، وبعض ما يرويه غريب منكر، وهذا مما أُخذ عليه، وهو صاحب صلاح وعبادة، أدرك عدداً من الصحابة، وأسند عنهم: كابن عباس وجابر والنعمان بن بشير، وُلد سنة ٣٤هـ وتُوفي بصنعاء سنة ١١٠هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤)، والتهذيب (١١/ ١٦٦)، والتقريب ص (٥٨٥).

(٢) رواية ابن عباس أخرجها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٥٧)، وذكرها البخاري في التفسير، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦). ورواية ابن وهب أخرجها ابن جرير في تفسير جامع البيان (٦/ ٤٥٧) بسنده إلى وهب بن منبه قال: «توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه». وذكره السمعاني في تفسير القرآن عن وهب (١/ ٣٢٤)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦).

(٣) هذا من تفسير الصوفية، وأشار إلى نحو هذا المعنى القشيري في لطائفه، حيث قال: «الإشارة فيه: إني متوفيك عنك، وقابضك منك، ورافعك من نعوت البشرية، ومطهّرك من إرادتك بالكلية، حتى تكون مصرفاً بنا=

وإن كان قد رُفع إلى السماء، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1] وتطهيره من الكافرين إخراجه من بينهم، وقيل: تخليصه من قتلهم، لأن ذلك طهرة[2] منه، وقوله: ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي فوقهم بالبرهان والحجة[3]، وقال ابن زيد: عنى أنه جعل النصارى فوق اليهود في العِزّة[4]، فقد جعل لهم[5] مملكة ولم يجعلها لليهود، وقيل: عنى بقوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾:

= لنا، ولا يكون عليك من اختيارك شيء، ويكون إسبال التولي عليك قائماً عليك» لطائف الإشارات (١/ ٢٥٧، ٢٥٨). وقد نسب أبو حيّان هذا القول بنصّه إلى الراغب، مع أن الراغب قد صدّره بقوله: (وقال بعضهم). انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٧).

(١) سورة مريم، الآية: ٥٧.

(٢) انظر: القولين في: جامع البيان (٦/ ٤٦١، ٤٦٢)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٦)، والكشاف (١/ ٣٦٧)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٧)، والقولان متقاربان، لأن تخليصه من قتلهم كان بإخراجه من بينهم.

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٥)، ونسبه أبو حيان للحسن. البحر المحيط (٢/ ٤٩٧).

(٤) جامع البيان (٦/ ٤٦٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٧). ونسبه ابن جرير وابن الجوزي لابن زيد.

(٥) في الأصل: (لكم) وهو خطأ، والصواب ما أثبتّه.

من اتبع نبينا عليه الصلاة والسلام منهم[1]، فإن من لم يتبعه بعد بعثته فهو في الحقيقة غير تابع لعيسى[2]، وقيل: معنى قوله:

---

(١) ذكر هذا القول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٦٢، ٤٦٣) بأسانيده عن قتادة والربيع وابن جريج والسدي والحسن، وذكره عنهم أيضاً ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٢، ٦٦٣)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨١)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٥)، وزاد المسير (١/ ٣٩٧).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾: وهذا وقع، فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبدالله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة... فلمّا بعث الله محمداً ﷺ، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض، إذ قد صدّقوا الرسول النبيّ الأمي العربي خاتم الرسل، وسيد ولد آدم على الإطلاق، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملّته وطريقته مما قد حرّفوا وبدّلوا، ثم لو لم يكن شيئاً من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يبدل ولا يغير إلى قيام الساعة، ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين، فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، واجتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى وقصروا قيصر، وسلبوهما كنوزهما، وأُنفِقَتْ في سبيل الله، كما أخبرهم=

فوقهم: أي يوم القيامة في الجنة، إذ هم في الغرفات آمنون، / [٢١٥/ب] والذين كفروا في أسفل السافلين، وحينئذ تتعلق [إلى][1] بما[2] تقدّم[3]، وقد تقدّم الكلام في الرجوع إلى الله.

قوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[4] تعذيب الله الكفار

= بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥] فلهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقًّا سلبوا النصارى بلاد الشام، وألجأوهم إلى الروم، فلجأوا إلى مدينتهم القسطنطينية، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة...» تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٦، ٣٤٧).

(١) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) في الأصل: (كما) والصواب ما أثبته.

(٣) قال أبو حيان: «الظاهر أن «إلى» تتعلق بمحذوف، وهو العامل في «فوق» وهو المفعول الثاني لجاعل، إذ معنى «جاعل» هنا: مصير، فالمعنى: كائنين فوقهم إلى يوم القيامة. وهذا على أن الفوقية مجاز. وأما إن كانت الفوقية حقيقة، وهي الفوقية بالجنة، فلا تتعلق «إلى» بذلك المحذوف، بل بما تقدم من «متوفيك» أو من «رافعك» أو من «مطهرك»، إذ يصح تعلقه بكل واحد منها». انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٩٨)، والدر المصون (٣/ ٢١٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٦.

والأشرار في الدنيا ضربان: ضرب عرفوه عذاباً كالأمراض والخسف والمسخ وتسليط المؤمنين عليهم، وضرب حسبوه نعمة وهو في الحقيقة نقمة، وذلك كتمكينهم من مال وجاه وسائر أعراض الدنيا، التي حظهم منها الهموم والغموم، وإياه عنى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] الإيمان: فعل ما يقتضي الأمن من عذاب الله[3]، والصَّلاح: فعل ما يقتضي الصلح بينه وبين الله عز وجل[4]، والتوفية: إعطاؤه ما لا ينقص عما يقابله،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٣) وذلك شامل لأفعال القلوب من التصديق والانقياد والمحبة، وأفعال الجوارح من أداء الفرائض وترك النواهي، قال الراغب: «ويُراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح» المفردات ص (٩١).

(٤) قال الراغب: الصلاح: ضدّ الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة. قال تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]. ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في=

والإيفاء الزيادة عليه[1]، إن قيل: كان من حق المقابلة أنه لما عاقب ذكر الكافرين بقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ أن يذكر ها هنا ما ينافيه فيقول: والله وليُّ المؤمنين. ونحو ذلك من الكلام لا قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، قيل: إن قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ من صفة الذين كفروا، ونبّه بالصفتين جميعاً، أعنى هذه وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ على كون المؤمنين منصورين ومحبوبين، وقد دلّ على ذلك من فحوى الكلام في هذه الآية وغيرها من الآيات، وفي قوله: ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ تنبيه أنه لا يظلم خلقه، فمن لا يحب شيئاً لا يتعاطاه مع استغنائه عنه، إن قيل: ما وجه إعادة ذكر عذاب الكافرين وثواب المؤمن العاقل الصالح في هذا المكان؟ قيل: إن ذلك مقترن بمخاطبته عيسى، وهو قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وتقديره: الذين كفروا بك، آمنوا بك. لكن حُذِف ذلك اختصاراً[2].

= مواضع كثيرة. ثم قال: والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس. المفردات ص (٤٨٩).

(١) قال الراغب: وتوفية الشيء: بذله وافياً، واستيفاؤه: تناوله وافياً. المفردات ص (٨٧٨). وانظر: مجمل اللغة ص (٧٥٨)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩٩) والقاموس ص (١٧٣١).

(٢) قال أبو حيان: قيل يحتمل أن يكون خاصًّا؛ أي كفروا بك وجحدوا نبوتك، والظاهر العموم. البحر المحيط (٢/ ٤٩٨).

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1] التلاوة والتنزيل والقص متقارب، لكن يقال: التلاوة اعتباراً بمساوقة بعض الكلام بعضاً بالولاء، والإنزال اعتباراً بإخبار الأعلى الأدون، والأرفع للأوضع، والقَصُّ اعتباراً باقتطاع الخبر/ على ما هو به، وقصُّ أثره[2]. والحكيم: [٢١٦/أ] المحكم، إشارة إلى قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[3]، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل، كأنه ناطق بالحكمة وفاعل لها، لا لاقتضائه إياها[4]، وقوله: ذلك: مبتدأ، ونتلوه: خبره، وقيل: ذلك تقديره: الذي، ونتلوه: صلته، والخبر قوله من الآيات[5] وتلاوته:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.

(٢) انظر: المشوف المعلم (١/ ١٢٧)، (٢/ ٦٤١)، والغريبين (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٥٦)، والمفردات ص (١٦٧، ١٦٨، ٦٧١، ٧٩٩)، وتاج العروس (١٨/ ٩٨، ٩٩).

(٣) سورة هود، الآية: ١.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ١١١)، والصحاح (٥/ ١٩٠١)، والمفردات ص (٢٤٨، ٢٤٩).

(٥) قال السمين الحلبي بعد أن ساق هذا الوجه: جوّز ذلك الزجاج وتبعه الزمخشري، وهذا مذهب الكوفيين، وأما البصريون، فلا يجيزون أن يكون اسم من أسماء الإشارة موصولاً، إلا «ذا» خاصة بشروط...» الدر المصون (٣/ ٢١٧). وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢١، =

إنزاله[1]، ويجوز أن تُجعل تلاوة جبريل والنبي ﷺ وأوليائه تلاوة لمّا كان بأمره[2]، فأفعال أوليائه قد تنسب إليه، كقوله[3] عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[4]، وقوله في موضع آخر: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[5].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[6] لما ذكر تعالى مكان عيسى من الفضيلة، وما آتاه من المنزلة، كَذَّبَ النصارى فيما ادعوه من بنوته،

= ٤٢٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٢)، والكشاف (١/ ٣٦٧)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٣٧).

(١) لم أجد أحداً من المفسرين أو أهل اللغة ذكر أن التلاوة بمعنى الإنزال. وذكر ابن جرير الطبري أن التلوَّ في كلام العرب له معنيان **أحدهما**: التتبع كما يقال: تلوت فلاناً، إذا مشيت خلفه وتبعت أثره. **والآخر**: القراءة والدراسة، كما تقول فلان يتلو القرآن. جامع البيان (٢/ ٤١١). وذكر هذين المعنيين أيضاً أبو بكر السجستاني في غريب القرآن ص (١٤١).

(٢) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه، وهو الذي عليه عامة المفسرين، انظر: جامع البيان (٦/ ٤٦٦)، والوسيط (١/ ٤٤٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٧).

(٣) في الأصل قوله والصواب ما أثبته.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

وبيّن كيفية خلقه من غير ذكر. إن قيل: كيف يكون عيسى مثل آدم وآدم لم يضمّه رحِم؟ قيل: إن ذلك تكذيبٌ للنصارى فيما ادعوه، وذلك أن أهل نجران قالوا: ما رأينا ابناً بلا أب[(١)]، فأنزل الله ذلك تبيينا: أن ليس أمر عيسى بأعجب من أمر آدم، إذ هو لم يُخْلق من ذكر ولا أنثى[(٢)] وعلى نحوه دلّ قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[(٣)] إن قيل: لِمَ قال: ﴿عند الله﴾. أهو يشبهه عند الله دون غيره؟ قيل: عنى بقوله: ﴿عند الله﴾. في حكمه، وأن ذلك لا يشق عليه كما لم يشق عليه أن خلق آدم من غير أبوين[(٤)]، إن قيل: ما معنى قوله:

---

(١) أورد هذه القصة ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٦٩-٤٧١) بسنده عن قتادة والسدي ومحمد بن جعفر بن الزبير وابن زيد. وذكرها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٥) عن محمد بن إسحاق، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٠٨) وزاد المسير (١/ ٣٩٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٠).

(٢) انظر في ذلك: جامع البيان (٦/ ٤٦٧-٤٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٦)، وزاد المسير (١/ ٣٩٨)، والتفسير الكبير(٨/ ٦٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٨).

(٣) سورة يسٓ، الآية: ٨١.

(٤) وهذا ما أشار إليه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٦٧، ٤٦٨)=

كن بعد أن خلقه من تراب؟ قيل: معناه كن إنساناً حيّاً ناطقاً، وهو لم يكن كذلك، بل كان دهراً جسداً ملقى لا روح فيه. على ما رُوي في الخبر، ثم جُعل فيه الروح[1]، وجعل كن عبارة

وقال ابن عطية: ﴿عِندِ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن الحق في نفسه، أي هذا هو الأمر فيما غاب عنكم. المحرر الوجيز (٣/ ١٠٩)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٠١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥).

(١) يشير الراغب رحمه الله إلى خبر ابن عباس الطويل في بدء الخليقة، وهو ما رواه الطبري في جامع البيان (١/ ٤٥٥-٤٥٧) بسنده عن ابن عباس وفيه: «فقال الله للملائكة الذين معه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بعثنا عليهم لذلك!! فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: إني قد اطّلعت من قلب إبليس على ما لم تطّلعوا عليه من كِبرِه واغتراره. قال: ثم أمر بتربة آدم فرُفعت، فخلق الله آدم من طين لازب ـ واللازبُ: اللزج الصلب، من حمأ مسنونٍ ـ منتن. قال: وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب. قال: فخلق منه آدم بيده، فمكث أربعين ليلة جسداً ملقىً. فكان إبليس يأتيه فيضرب برجله فيصلصل ـ أي فيصوّت ـ قال: فهو قول الله: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] يقول: كالشيء المنفوخ الذي ليس بمصمت. قال: ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل من دبره ويخرج من فيه. ثم يقول: لست شيئاً ـ للصلصلة ـ ولشيء ما خُلقت، لئن سُلّطت عليك لأهلكنك، ولئن سلِّطت عليَّ لأعصينك. قال: فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة=

عن إيجاد الصورة التي بها صار الإنسان إنساناً[١]، وعلى هذا قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] فالمقول له الجسد، وقد تقدم الكلام في كن[٣]، إن قيل: لِمَ قال: ﴿فيكون﴾ ولم يقل فكان؟ قيل: يكون عبارة عن حال كونه، وحكاية الحال هكذا يُخرجُ نحو قولهم: فلان قال أمس كذا فيُفعل به كذا[٤]، إن قيل: لِمَ رُفِعَ يكون ولم يُنصب على جواب الأمر؟ قيل: جواب الأمر يجب أن يكون غيره، نحو: ائتني

= من قِبَل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً. . .» الخبر وذكر ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٢، ٧٣) هذا الخبر من رواية ابن جرير وقال: وهذا الإسناد إلى ابن عباس يُروي به تفسير مشهور. وقد روى هذا الخبر مختصراً أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أنس أيضاً وأبي بصرة ص (٣٧٣، ٣٧٤) رقم (١٠٣٣، ١٠٣٨).

(١) انظر: الوسيط (١/ ٤٤٣)، والكشاف (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، وقد نقل أبو حيان عبارة الراغب، ونسبها إليه.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٣) انظر: الرسالة ص (٥٦٧، ٥٦٨).

(٤) قال السمين الحلبي: وقوله: «فيكون» يجوز أن يكون على بابه من كونه مستقبلًا. والمعنى: فيكون كما يأمر الله، حكاية للحال التي يكون عليها آدم. ويجوز أن يكون «فيكون» بمعنى: «فكان»، وعلى هذا أكثر المفسرين والنحويين، وبهذا فسَّره ابن عباس رضي الله عنه. الدر المصون (٣/ ٢٢٠، ٢٢١). وانظر: جامع البيان (٦/ ٤٧٢). وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٢) والكشاف (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢).

فأكرمك، وتقديره: ائتني فإنك إن تأتني أكرمك، ولو جُعل[1] فيكون جواباً لكان، تقديره كن، فإنك إن تكن تكن، وهذا لا يصح/ لأن معنى الجواب معنى الشرط، وإذا رُفِعَ فتقديره: فهو [٢١٦/ب] يكون.

قوله عز وجل: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[2] الامتراء: استخراج الرأي للشك العارض، ويُجعل عبارة عن الشك[3]، وإنما قال: ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ ولم يقل ممترياً، ليكون فيه ذمٌّ من شك في عيسى[4]، وقوله ﴿الحق﴾ خبر مبتدأ محذوف[5]، أو مبتدأ وخبره من ربك[6]، ونبّه أن الحق في

---

(١) في الأصل (ولو جعك) وهو من خطأ الناسخ والصواب ما أثبته.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٧٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٢)، ومجمل اللغة ص (٦٦٣)، وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني ص (٤٣٤). والمفردات ص (٧٦٦)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، وقد نقل أبو حيان كلام الراغب عن الامتراء، ونسبه إليه.

(٤) نقل أبو حيان هذه العبارة كذلك، ونسبها للراغب. البحر المحيط (٢/ ٥٠٢).

(٥) وهذا اختيار الفراء كما في معاني القرآن (١/ ٢٢٠). وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٢)، وإعراب القرآن لمكي (١/ ١٦١).

(٦) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٢، ٢٢٣).

ذلك، بل في الأمور كلها ما يكون مصدره من الله تعالى، وقوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ وإن كان خطاباً للنبي ﷺ، فالمقصد به عام.

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1] أصل البهل: ترك الشيء غير مراعى[2]، من قولهم بهلْتُ الناقة[3]: تركتها بلا صرار[4]، واللعن: الطرد[5]، وقد يستعمل البهل بمعنى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) نقل السمين الحلبي هذا القول ونسبه للراغب. الدر المصون (٣/ ٢٢٧).

(٣) قال الخليل: «باهلت فلاناً أي: دعونا على الظالم منا. وبهلته: لعنته. وابتهل إلى الله في الدعاء، أي جد واجتهد، ... والباهل: الناقة التي ليست بمصرورة، لبنها مباح...» العين (٤/ ٥٤-٥٥)، ومجاز القرآن (١/ ٩٦)، والغريبين ص (٢٢٦، ٢٢٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٣).

(٤) الصِّرار: هو خيط يُشَدُّ فوق الخَلِفِ والتَّوْدِية لئلا يرضعها ولدها. مختار الصحاح ص (٣٦٠). والخَلِف: بوزن الكَتِف: المخاضُ وهي الحوامل من النوق. مختار الصحاح ص (١٨٦). والتودية: خشبة تشدُّ على خلف الناقة إذا صُرّت. القاموس ص (١٧٢٩).

(٥) انظر: مجالس ثعلب (٢/ ٤٧٥)، والصحاح (٥/ ٢١٩٦)، ومجمل اللغة ص (٦٤٥) والمفردات ص (٧٤١).

اللعن[1]، وقد تقدّم أن لعن الله قد يكون بمنع التوفيق عن الكافر وتركه وشؤمه، وهذا نهاية الخذلان، وتَعَالَ[2]: قال أهل اللغة أصله أن يدعو إلى مكان رفيع، ثم جُعِلَ عامًّا في الدعاء إلى كل مكان[3]، والأولى أنه[4] دعاء الإنسان إلى ما فيه علو منزلة: إما على الحقيقة، وإما على سبيل الفضول، كقولهم: هلّم إلى السعادة[5]، وقوله: ﴿حاجّك فيه﴾ أي في كون عيسى عند الله كآدم[6]، وقيل في قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٦)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٦)، والغريبين ص (٢٢٦) ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٣).

(٢) في الأصل: (تعالى) والصواب ما أثبتّه، لأنه فعل أمر مبني على حذف حرف العلة. وفي العين (٢/ ٢٤٧): وتقول: يا رجل تعالَهْ. الهاء صلة. فإذا وصلت طرحت الهاء، فتقول: تعال يا رجل...».

(٣) انظر: المقاييس (٤/ ١١٨)، والمفردات ص (٥٨٢، ٥٨٣).

(٤) في الأصل: (أن) والصواب ما أثبتّه.

(٥) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٨٥)، والمفردات ص (٥٨٤)، والدر المصون (٣/ ٢٢٦).

(٦) وهذا قول قتادة، ومحمد بن جعفر بن الزبير، والربيع. انظر: جامع البيان (٦/ ٤٧٣، ٤٧٥) وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٣٩٨)، والوسيط (١/ ٤٤٤)، وزاد المسير (١/ ٣٩٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٣).

﴿ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[1][2]، وكلا القولين واحد في التحقيق، لأن كليهما في أمر عيسى، والآية نزلت في نصارى نجران، إذ عارضوا النبي ﷺ في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام[3]، ويقال: لما نزلت أخذ النبي ﷺ بيد الحسن[4] والحسين[5] ....

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٠.

(٢) جوّز الطبري هذا الوجه في جامع البيان (٦/ ٤٧٤). وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١٠)، وزاد المسير (١/ ٣٩٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٣).

(٣) ذكر ابن أبي حاتم في تفسير القران العظيم (٢/ ٦٦٨) بإسناده عن ابن جريج قال: قال لي ابن كثير: أما الذين دعوا إلى الابتهال فالنصارى. وقال الماوردي: والذين دعاهم النبي ﷺ هم نصارى نجران. النكت والعيون (١/ ٣٩٨).

(٤) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وريحانته وقد صحبه وحفظ عنه، وهو أحد سيدي شباب أهل الجنة، كان أشبه الناس بالنبي ﷺ، أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين عام الجماعة، حين تنازل لمعاوية عن الخلافة سنة ٤١هـ، ولد في السنة الثالثة من الهجرة، ومات شهيداً بالسّم سنة ٤٩هـ، وهو ابن سبع وأربعين سنة، وقيل بل مات سنة ٥٠هـ، وقيل بعدها، انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥)، والإصابة (٢/ ٦٠)، والتهذيب (٧/ ٢٩٥)، والتقريب ص (١٦٢).

(٥) هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبدالله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وأحد سيدي شباب أهل الجنة حفظ عن رسول الله ﷺ، وكانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج إلى العراق، فشهد مع أبيه موقعة=

وعلي وفاطمة[1]. ثم دعا النصارى إلى المباهلة فأحجموا، وقال بعضهم لبعض: إن باهلتموه اضطرم[2] الوادي عليكم ناراً، فلم يبق نصراني ولا نصرانية[3]. وقال بعضهم: وفي هذا إشارة إلى

= الجمل وصفّين وقتال الخوارج، وبقي معه إلى أن قُتل، ثمّ مع أخيه إلى أن سلّم الأمر إلى معاوية. ولد في السنة الرابعة من الهجرة، واستشهد يوم عاشوراء سنة ٦١هـ، وله ست وخمسون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٠)، والإصابة (٢/ ٦٧)، والتهذيب (٢/ ٣٤٥)، والتقريب: ص (١٦٧).

(١) هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ الهاشمية رضي الله عنها وأرضاها، أم الحسن وكانت تُكنى أم أبيها ولقبها الزهراء، كانت أصغر بنات النبي ﷺ وأحبّهن إليه، تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة، فولدت له الحسن والحسين، وهي إحدى أربع نساء هنّ سيدات نساء أهل الجنّة أسرّ لها رسول الله ﷺ بقرب حلول أجله وبأنها أول أهل بيته لحوقاً به، وأخبرها أنها سيّدة نساء العالمين، توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، في شهر رمضان من سنة إحدى عشرة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨)، والإصابة (٨/ ٢٦٢)، والتهذيب (١٢/ ٤٤٠)، والتقريب ص (٧٥١).

(٢) اضطرم: أي التهب واشتعل. انظر مختار الصحاح ص (٣٨٠).

(٣) قصة المباهلة، رواها ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٧) عن الربيع والشعبي والحسن والسدّي مرفوعاً. ورواها أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص (٢٩٧، ٢٩٨). وأوردها البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٥) من حديث سلمة بن يشوع عن أبيه عن جده. وهذه الطريق ذكرها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧١) عن البيهقي به، ثم قال: فيه فوائد=

ظهور بطلان الدعاوى الكاذبة عند أهل الحقائق[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] أي أن ما قصّ الله عليكم من أمر عيسى هو الحق، / وأن المستحق لعبادته هو الله، لا إله غيره، وأن لا عزّة ولا عزّ ولا حُكم ولا حِكمة إلا له تعالى في الحقيقة، فهو الذي لا تلحقه ذِلّة ولا تعتريه جهالة، وكل من حصل له شيء من العزّ[3] والحكم[4] فمنه مستفاد. والقصص: كل خبر مقتطع [٢١٧/أ]

= كثيرة، وفيه غرابة. وحديث الملاعنة لوفد نجران دون ذكر سبب النزول ثبت من طريق أخرى منها ما رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (٨/ ٩٣) رقم (٤٣٨٠). ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٤) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٢) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

(١) هذا من إشارات الصوفية، وقد أشار إلى هذا المعنى القشيري فقال: والإشارة في هذه الآية: لمن نزلت حالته عن أحوال الصديقين، فإنه إذا ظهرت أنوارهمُ انخنست آثار هؤلاء، فلا إقرار، ولا عنهم آثار. لطائف الإشارات (١/ ٢٥٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

(٣) انظر معاني العز والعزة والعزيز في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤)، وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني ص (٥٦)، والمفردات ص (٥٦٣)، والقاموس ص (٦٦٤، ٦٦٥).

(٤) انظر معاني الحكم والحكمة والحكيم في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤)، =

على وجهته من قولهم: قصصت أثره، وقصصتُ الظفر، وهو اسم للمقصوص: كالقبض والنقص، للمقبوض والمنقوص[1]، وظاهر قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أبلغ من قولنا: وما إله، لاستغراقه[2]، ولا يصح جرّ لفظ الله على البدل من إله، لأن من هذه لا تدخل إلا على كل نكرة غير موجبة، فإذن لا يكون إلا رفعاً رداً على موضع ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾[3]، وأعاد ذكر الله ظاهراً على

= وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني ص (١٩٩، ٢٠٢) والمفردات ص (٢٤٨، ٢٤٩)، والقاموس ص (١٤١٥، ١٤١٦).

(١) قال ابن منظور: «والقصص: الخبر المقصوص. بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه» لسان العرب (٧/ ٧٤). وقال أبو حيان: «والقصص: مصدر، أو فَعَل بمعنى مفعول أي المقصوص كالقبض بمعنى المقبوض». البحر المحيط (٢/ ٥٠٩). وانظر: تهذيب اللغة (٨/ ٢٥٦)، والصحاح (٣/ ١٠٥١، ١٠٥٢)، والدر المصون (٣/ ٢٢٩)، ومجيءُ فَعَل بمعنى مفعول قليل غير مقيس. انظر المساعد (٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤)، والكشاف (١/ ٣٧٠)، والدر المصون (٣/ ٢٢٩).

(٣) الأولى جعله خبراً للمبتدأ (إله) لأن (من) زائدة لاستغراق الجنس، وهذا الوجه هو الذي بدأ به مكّي، واقتصر عليه أبو البقاء. وقول الراغب: (لا يكون إلا رفعاً): يرد عليه ما ذكره النحاس من أن النصب على الاستثناء جائز. وقول أبي حيان: «ويجوز في العربية في نحو هذا التركيب نصب ما بعد (إلاّ) نحو: ما من شجاع إلا زيداً. ولم يُقرأ بالنصب في هذه الآية=

طريق التعظيم، وخص ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ تنبيهاً أنه تعالى مستغن عن التكثر بالولد على ما تقدم، وفيه تنبيه أنه أظهر عزته عما ينسب إليه من الولد بما قدمه من الحجة، وأنه حكيم لا يفعل ما ينافي حكمته، واتخاذ الولد مما ينافي حكمته[1].

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2] أي إن أعرضوا عن الإصغاء إلى الحق والتزامه، وعن الإجابة إلى المباهلة، فإن حالهم في كونهم مفسدين ظاهرة، وعقوبتهم واجبة، فهو تعالى معاقبهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3] قال محمد بن جعفر[4] والحسن والسدّي: عنى بأهل الكتاب هاهنا

= وإن كان جائزاً في العربية النصب على الاستثناء» انظر: إعراب القرآن للنحّاس (١/ ٣٨٣)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦١، ١٦٢)، وإملاء ما منّ به الرحمن ص (١٣٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٥).

(١) كما في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٤) هو محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الهاشمي يروي عن أبيه=

نصارى نجران[1]، وقال قتادة والربيع: عنى يهود المدينة[2]، وقيل: عنى الفريقين[3]، لقوله في ذمهما: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ

= جعفر الصادق، تُكُلِّم فيه. قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه. كان سيداً مهيباً عاقلًا فارساً شجاعاً. دعا إلى البيعة في أول خلافة المأمون، وبويع له بمكة سنة مائتين، فحج حينئذٍ المعتصم وهو أمير وظفر به، ولكنه لم يؤذه وصحبه إلى بغداد. مات بجرجان في شهر شعبان سنة ثلاث ومائتين. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٤)، ولسان الميزان (٥/ ١١١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٨٤) بسنده إلى محمد بن جعفر والسدي. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٩) ونسبه للحسن والسدي وابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠) ونسبه للسدي ومقاتل.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٨٣) بسنده عن قتادة والربيع، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٩٩)، ونسبه لقتادة والربيع وابن جريج. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١١٣).

(٣) قال الطبري: «وإنما قلنا: عنى بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أهل الكتابين، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب، ولم يخصّص جلّ ثناؤه بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بعضاً دون بعض، فليس بأن يكون موجَّهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة، بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل... وإذا لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر، لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح، فالواجب=

﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]. و﴿سَوَآءِۭ﴾ وسوى: وسط، ويعني به العدل[2]، وقول الربيع وأبي العالية[3] ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ﴾ هي لا إله إلا الله[4]، فصحيح، لأن أبلغ العدالة التوحيد، وهي

= أن يكون كلّ كتابي معنياً به، لأن إفراد العبادة لله وحده وإخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منهيٍّ من خلق الله» اهـ. جامع البيان (٦/ ٤٨٥). وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٢٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) قال الفراء: «وهي في قراءة عبدالله (كلمة عدل بيننا وبينكم) وقد يقال في معنى (عدل): (سِوَى وسُوَّى). معاني القرآن (١/ ٢٢٠). وانظر: العين (٧/ ٣٢٦، ٣٢٧)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٠٩، ٤١٠). ومجاز القرآن (١/ ٩٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤).

(٣) هو رفيع بن مهران الرياحي بالولاء البصري، من كبار التابعين، ثقة كثير الإرسال، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، روى عن علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابة، حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعُد صيته. قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية. مات سنة ٩٠ أو ٩٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧)، والتهذيب (٣/ ٢٨٤)، والتقريب ص (٢١٠)، وطبقات المفسرين (١/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٨٨) بسنده عن الربيع عن أبي العالية. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦٩) بسنده عن الربيع عن أبي العالية، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز=

الكلمة التي يجب أن يتساوى الناس فيها، وفي [أن][1] يكونوا عابدين غير معبودين، بخلاف ما ادعته النصارى، ونبّه بقوله: لا نشرك أن قولهم يقتضي الشرك، وإن كانوا منكرين أنهم مشركون، وموضع ألا نعبد خفضٌ بدلٌ من كلمةٍ، أو رفعٌ على أنه خبر ابتداء مضمر، كأنه قيل: وهي ألاّ نعبد[2]، ولو رُفع سواء، نحو قوله ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[3] جاز[4]

= (٣/ ١١٣) وقال: وجمهور المفسرين على أن الكلمة هي ما فسّر بعد. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠): فأما الكلمة فقال المفسرون: هي لا إله إلا الله. وانظر: الدر المصون (٣/ ٢٣١).

(١) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) ذكر هذين الوجهين: الفراء في معاني القرآن (١/ ٢٢٠) والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٥)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٣٨٣) ومكي في مشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢). وحكى الفراء وجهاً ثالثاً وهو الجزم، فقال: ولو جزمت المعطوف لصلح على التوهم، لأن الكلام مجزوم لو لم تكن فيه «أن» كما تقول: تعالوا لا نقل إلا خيراً. وذكر مكي هذا الوجه أيضاً. وذكر السمين الحلبي في إعراب (أن لا نعبد إلا الله) ستة أوجه، انظر: الدر المصون (٣/ ٢٣٣).

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٤) لم أجد سوى وجهين فقط في إعراب سواء، الأول: الجر على الصفة لكلمة، والثاني: النصب على المصدرية أو الحالية. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٣)، ومشكل إعراب =

[٢١٧/ب] وكذلك يجوز/ رفع ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ﴾[١] على معنى: أنه لا نعبد. وقال بعض الصوفية: نبهّنا الله تعالى بهذه الآية على طريق التعبد، وأن لا نقصد بسرنا سواه عند عبادته، ولا نفزع في شيء من الحاجات إلى غيره[٢]، فنكون كمن وصفه النبي ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم»[٣]، إن قيل: فأي حجة في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ﴾ قيل: إنه تعالى أدبنا بأن المعاند متى لزمته الحجة وبانت له المحجة فليس إلا التقضي منه[٤] وترك

= القرآن (١/ ١٦٢) والبحر المحيط (٢/ ٥٠٦)، والدر المصون (٣/ ٢٣٢).

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٠٧): وجوّزوا أن يكون الكلام تم عند قوله: ﴿سَوَآءِۭ﴾، وارتفاع ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ﴾ على الابتداء.

(٢) وهذا من إشارات الصوفية. قال القشيري: «وقوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: لا تطالع بسرِّك مخلوقاً، وكما لا يكون غيره معبودك، فينبغي أن لا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك». لطائف الإشارات (١/ ٢٦٠). وهو نفس المعنى الذي ذكره الراغب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب «الحراسة في الغزو في سبيل الله» رقم (٢٨٨٦) وفي كتاب الرقاق، باب «ما يتقىٰ من فتنة المال» رقم (٦٤٣٥). ورواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب «في المكثرين» رقم (٤١٣٥). والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٤) رقم (٢٥٩٧). و (٤/ ٢٣٦) رقم (٤٠٧٣). والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٥٩) مطولاً. والخطيب في تاريخه (٨/ ٥٣) جميعهم من حديث أبي هريرة.

(٤) التقضي منه: أي الانتهاء منه. انظر: القاموس ص (١٧٠٨)، والمعجم=

محجته وملاحاته[1]. إن قيل: كيف قال: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وكلاهما أفاد ما أفاد قوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؟ قيل: ليس كذلك، فإن الشرك بالله قد يكون في غير العبادة[2]، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «الشرك

= الوسيط ص (٧٤٣).

(١) ملاحاته: الملاحاة: المخاصمة والمنازعة. النهاية (٤/ ٢٤٣) وقال أبو السعود في إرشاد العقل السليم: «تنبيه: انظر إلى ما رُوعي في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في المحاجّة، حيث بين أولاً أحوال عيسى عليه السلام، وما توارد عليه من الأطوار المنافية للإلهية، ثم ذكر كيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام، فلما ظهر عنادهم دُعوا إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا إلى ما اتفق عليه عيسى عليه السلام والإنجيل، وسائر الأنبياء والكتب، ثم لما ظهر عدم إحداثه أيضاً أمر بأن يقال لهم: اشهدوا بأنا مسلمون». إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٧، ٤٨).

(٢) كالشرك في الربوبية، وهو نوعان: أحدهما: شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون والفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، ومنه شرك أهل وحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني وابن الفارض، ومنه شرك من عطّل أسماء الرب وأوصافه من غلاة الجهمية والرافضة. والثاني: شرك من جعل مع الله إلهاً آخر، وإن لم يعطل أسماءه وصفاته: كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة. ومن=

أخفى فيكم من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»[1]، من ذلك قول القائل: لولا الديك لأتانا اللص، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3]، فقد شرط من دون الله

= هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم. وهناك أيضاً قسم آخر وهو الشرك في توحيد الأسماء والصفات، وهو أسهل من الشرك في الربوبية، وهو نوعان: أحدهما: تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة. الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق، كاشتقاقهم اللات من الإله. والعُزى من العزيز، انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهّاب ص (٢٧، ٢٨).

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٢٨٦)، وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر الصديق رقم (١٧). وأخرجه أحمد بنحوه (٤/ ٤٠٣) من حديث أبي موسى. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٩): ورواته إلى أبي علي محتجٌّ بهم في الصحيح. وأبو علي وثقه ابن حبان، ولم أر أحداً جرحه. ورواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٨). والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩١) من طرق أخرى، وقال الحاكم بعد ذكر رواية عائشة: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

وهذا هو الكفر، فأما المملوك إذا اتخذ صاحبه ربّاً لا أنه معبود فليس بمنهي عنه[1].

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[2] قال ابن عباس والحسن والسدّي: اجتمع أحبار اليهود ونصارى نجران عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا في إبراهيم، فقالت اليهود: ما كان إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيًا[3]، فأبطل الله دعواهما، وبيّن أن ذلك محال، لأن المتقدم لا يكون

---

(١) لأن ربّ كل شي: مالكه ومستحقه أو صاحبه. فيقال: ربُّ الدار وربُّ الفرس: لصاحبهما. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]. ولا يُقال: الرب مطلقاً (باللام) إلا لله تعالى. انظر: المفردات ص (٣٣٦)، والقاموس ص (١١١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٩٠) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه. وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٩، ٤٠٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١١٥) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٢)، ونسبه لابن عباس والحسن والسدّي. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٢)، وعزاه لابن إسحاق والطبري والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

منسوباً إلى المتأخِّر ومقتدياً به[1]، إن قيل: فإن اليهود والنصارى لم يدّعوا أكثر من أن شريعتنا مساوية لشريعة إبراهيم، وهذا قد ادعاه المسلمون، فإن أمكننا أن نلزمهم ذلك أمكنهم أن يعارضوا بمثله، قيل: إنّا لم ندّع أن إبراهيم منسوب في الشريعة إلى محمد ﷺ كما ادعوه، وإنما قلنا كان حنيفاً مسلماً، والحنيف المستقيم والمائل إلى الحق[2]، والمسلم المطيع والمستسلم للحق[3]، وهذا من الأسماء التي يتخصص بها كلُّ ذي حق[4]، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٤٨٩، ٤٩٠)، والوسيط (١/ ٤٤٧)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٢٩) والمحرر الوجيز (٣/ ١١٦) وتفسير أبي السعود (٢/ ٤٨).

(٢) قال ابن قتيبة: «الحنيف: المستقيم. وقيل للأعرج: حنيف، نظراً له إلى السلامة. تفسير غريب القرآن ص (٦٤) وانظر: جامع البيان (٣/ ١٠٤، ١٠٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤١٩)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٠٩، ١١٠).

(٣) انظر: العين (٧/ ٢٦٦)، والمقاييس (٣/ ٩٠)، والمفردات ص (٤٢٣)، ومختار الصحاح ص (٣١١).

(٤) قال النحاس: «فمعنى الحنيف عند العرب: المائل إلى الإسلام على الحقيقة... ومعنى مسلم في اللغة: متذلل لأمر الله منطاع له. ومعنى مؤمن: مصدق لما جاء من عند الله قابل له، عامل به في كل الأوقات، فهذا مما لا يدفع أنه دين كل نبي وملك صالح» إعراب القرآن (١/ ٣٨٤، ٣٨٥).

﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، واليهود منسوب إلى يهودا[2]؛ والنصارى إلى ناصرة[3]، وهما نسبتان حصلتا بعد إبراهيم، فكذبوا في نسبته إليهما، ثم المسلمون موافقون/ لإبراهيم في كثير [٢١٨/ من الأحكام: كحج البيت، والختان، والمضمضة وغير ذلك، وهم يخالفونه في أكثر ذلك، وأيضاً فقد ورد في القرآن أن شريعتنا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) يهوذا: قال الجواليقي: «ويهود أعجمي معرب، وهم منسوبون إلى يهوذا ابن يعقوب، فسموا اليهود، وعُرِّبت بالدال. وقيل: هو عربي، وسُمّي يهودياً لتوبته. . .» المعرب ص (٦٥٠). وانظر: الجمهرة (٢/ ٣٠٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٨٧، ٣٨٨) والمخصص (١٣/ ١٠٣) والزاهر (٢/ ٢١٤)، حيث ذكر أنه عربي، وسُميّ يهودياً لتوبته.

(٣) ناصرة: قرية بالشام تنسب إليها النصرانية، وقيل اسمها نصرانة، ونصورية. انظر: العين (٧/ ١٠٩)، والزاهر (٢/ ٢١٣، ٢١٤)، والأضداد لابن الأنباري ص (٣٤١)، والمخصص (١٣/ ١٠٣) والجمهرة (٢/ ٣٥٩) ومعجم ما استعجم (٤/ ١٣١٠). والقاموس ص (٦٢١، ٦٢٢). وقد ذكر الراغب الأصفهاني قولاً آخر في نسبة اليهودية والنصرانية قال: «قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكان اسم مدح، ثم صار نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح. كما أن النصارى في الأصل من قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم». المفردات ص (٨٤٧).

موافقة لشريعته فيما حكى[1]، وهذا ظاهر، ونبّه بقوله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن ما يقولونه ويفعلونه بخلاف مقتضى العقل، وأن العقل يزجر عن اتباع دعوى بلا حجة.

قوله عز وجل: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] ها للتنبيه عمّا يضلّ عنه الإنسان أو يغفل، تقول ها أنا ذا. تنبيهاً لمن غفل عنك[3]، فإن قيل: فهب أن الإنسان يغفل عن غيره، فكيف يغفل عن نفسه، حتى يقال: ها أنتم؟ قيل: فليس حقيقة ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ تنبيه المخاطب على وجود ذاته، وإنما هو تنبيه على أحواله التي غفل عنها، فالإنسان قد يغفل عن كثير من معايبه لشغفه بنفسه، فيحتاج أن ينبّه عليه، ولهذا لا يقتصر على قوله:

---

(١) ولذلك أمرنا الله عز وجل باتباع ملته في القرآن فقال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]. وبيّن أن الإعراض عن ملته سفه وضلال، وذلك في قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٣) انظر: العين (٤/ ١٠٢، ١٠٣) والكتاب (٢/ ٣٥٤، ٣٥٥)، وشرح المفصّل لابن يعيش (٨/ ١١٣، ١١٤)، ومغني اللبيب ص (٤٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٠).

﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ حتى يُضم إليه حالة ما، مّما غفلوا عنه، وفي الآية تنبيه على حالة غفلوا عنها، وهي أنهم حاجّوا فيما لا علم لهم به، ولم ترد به التوراة والإنجيل، فيقول: هب أنكم تحتجون فيما ورد به كتب الله المتقدمة فلِمَ تحتجون فيما ليس كذلك(١)؟ ونبّه أن المحاجّة إعلام الحجة، ومن لا يعرفها فكيف يُعرِّفُها؟ وفي قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ استدعاءٌ لأن يسمعوا، كقولك لمن أخبرته بشيء لا يعلمه: اسمع فإني أعلم ما لا تعلم(٢)، و ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ هاهنا جار مجرى الذين و ﴿ حَٰجَجْتُمْ ﴾ صلته(٣)، وقيل: بل هو تابع لأنتم جار مجرى عطف البيان، و ﴿ حَٰجَجْتُمْ ﴾ هو الخبر(٤)، والمعنى لا يتغير باختلاف التقديرين.

قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٥) أنكر الله عليهم محاجتهم في

---

(١) قال أبو حيان: «ولم ينبّه المخاطب هنا على وجود ذاته، بل نبّه على حالٍ غفل عنها لشغفه بما التبس به، وتلك الحالة هي أنهم حاجّوا فيما لا يعلمون، ولم ترد به التوراة والإنجيل. فيقول لهم: هب أنكم...» وذكر كلام الراغب، ولم ينسبه إليه في هذا الموضع. البحر المحيط (٢/ ٥١٠).

(٢) ذكر أبو حيان كلام الراغب هنا، ولم ينسبه إليه. البحر المحيط (٢/ ٥١١).

(٣) ذكر هذا الوجه الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٧١). وقال أبو حيان بعد أن ذكره: «وهذا على رأي الكوفيين». البحر المحيط (٢/ ٥١١).

(٤) ذكر هذا الوجه أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥١٠) ولم ينسبه لأحد.

(٥) وهذه الآية ونحوها ـ مما وقع فيه ضمير المخاطب مبتدأ قبل اسم إشارة=

إبراهيم، واستجهلهم فيما ادعوه، وأنه كان على إحدى الملتين اليهودية والنصرانية، وبتّ الحكم على كونه حنيفاً مسلماً على ما تقدم، ثم بيّن أنه لم يكن من المشركين؛ تنبيهاً أن اليهود والنصارى فيما ابتدعوه وادعوه مشركون.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ/ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] [٢١٨/ب] قد تقدم معنى الولاية والاتباع، وأنه تارة يكون بالسنن وتارة يكون بالاعتقاد[2]. وهذا الثاني هو المراد، ومعنى الآية أن أصدق الناس موالاة لإبراهيم من تبعه في اعتقاده وأفعاله، وهذا النبي والذين آمنوا هم المتبعون له، فإذن هم أحق[3] به، فعلى قوله: ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

= بعده ما يصلح خبراً للمبتدأ ـ اختلف فيه، فقال الكوفيون: اسم الإشارة منادى، وحرف النداء محذوف، وقيل: اسم الإشارة موصول بمعنى الذين وهو خبر، وما بعده صلته. ولا يجيز البصريون مجيْ اسم الإشارة موصولاً. وقد وجّه البصريون هذه الآيات ونحوها توجيهات عدة منها أن اسم الإشارة وما بعده جملة حالية أو مستأنفة. انظر: الكتاب (٢/ ٢٣٠)، والمقتضب (٤/ ٢٥٨، ٢٥٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤٢، ٢٤٣)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٠٢، ١٠٣). وإملاء ما منّ به الرحمن (١/ ٤٨) والمساعد (٢/ ٤٨٤، ٤٨٥)، [سورة آل عمران: ٦٧].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٢) انظر: ص (٥٠٥) هامش رقم (١) من هذه الرسالة.

(٣) انظر على سبيل المثال: جامع البيان (٦/ ٤٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه=

مبتدأ محذوف الخبر[1]، وقيل: عنى بقوله الذين اتّبعوه: المتّبعون له في زمانه[2]، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ معطوف عليه[3].

إن قيل: لِمَ أفرد ذكر النبي ﷺ عن المؤمنين؟ قيل: لأنه هو المقصود بالولاية، والمؤمنون غير الذين آمنوا وهم تابعوه، ويجوز أن يُجعل المؤمنون عاماً، ويكون إفراد النبي ﷺ تعظيماً له كإفراد جبريل وميكائيل عن الملائكة[4]، وقدّم ذكره تشريفاً له، كقوله:

= (١/ ٤٢٧)، والوسيط (١/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٤، ١٦٥).

(١) أشار أبو حيّان إلى هذا الوجه من الإعراب قائلًا: «ومن أعرب «وهذا النبي والذين آمنوا» مبتدأ والخبر: هم المتبعون، له فقد تكلف إضماراً لا ضرورة تدعو إليه». البحر المحيط (٢/ ٥١٢).

(٢) ذهب إلى ذلك السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٥١)، وقال أبو حيان: ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يشمل كل من اتبعه في زمانه وغير زمانه، فيدخل فيه متبعوه في زمان الفترات. البحر المحيط (٢/ ٥١٢). وانظر: الكشاف (١/ ٣٧١). وحكى الألوسي القولين في روح المعاني (٣/ ١٩٧).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٤، ١٦٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٠٩). وذكر أبو حيان نحواً من هذا الكلام، ونسبه إلى علي بن عيسى. البحر المحيط (٢/ ٥١٢).

﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ ﴾[1] فقدّم ذكرهما، وإن كانا من جملة النبيين، وإنما قال: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل: وليهم. تنبيهاً أن موالاة الله تعالى تُستحق بالإيمان، وأنها ليست بمقصورة على من تقدم ذكرهم، بل ذلك لكل مؤمن في كل وقت[2]، والولي هاهنا يُحتَمَلُ على وجهين: أحدهما: أن يكون بمعنى الفاعل[3]، ولما ذكر حال إبراهيم ومشاحّة[4] الناس في الانتساب إليه نبّه بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنّ إبراهيم استحق منزلته[5] والثاني: أن يكون بمعنى الموالى، أي المؤمنون هم الذين يوالون الله، فأما الكفار فيوالون الشيطان[6]، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

(٢) ذكر هذا المعنى الألوسي في روح المعاني (٣/ ١٩٧).

(٣) أي الموالي باللام المكسورة.

(٤) المشاحّة: الضِّنَّة والتنافس والحرص على الغلبة. القاموس ص (٢٨٩). والمعجم الوسيط ص (٤٧٤).

(٥) وهي ولاية الله له، يوضح هذا المعنى ما قاله الطاهر بن عاشور: «وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تذييل أي هؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم، والله وليٌّ إبراهيم والذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، لأن التذييل يشمل المذيّل قطعاً، ثم يشمل غيره تكميلًا...» التحرير والتنوير (٣/ ٢٧٨).

(٦) لم أجد أحداً من المفسرين وافق الراغب على هذا التقسيم الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وإنما اقتصروا على الوجه الأول مما ذكر.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[2] الطائفة: جمع طائف وهو الذي يطوف، وذلك اعتباراً بطوافهم بالبيت وغيره من متعبداتهم، ولطوافهم في أسفارهم، ثم سُمِّي كل جمع طائفة؛ طافوا أو لم يطوفوا، كتسميتهم بالرفقة؛ ترافقوا أو لم يترافقوا[3].

والإضلال: فعل ما يحصل عنده الضلال، ويقال ذلك له لقَصْدِ الفاعل ذلك أولاً، لأنه يقال مفازة مضلة[4]، كما يقال: أضلني فضللت، ويقال: أضلّه، سواء فعل ذلك بِدعًا[5] أو بغيره، كما يقال: أضلّه الشيطان، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

(٣) انظر: العين (٧/ ٤٥٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٤٥)، والمقاييس (٣/ ٤٣٢)، وقال الراغب في المفردات ص (٥٣٢): «والطائفة إذا أريد بها الجمع فجَمْعُ طائف، وإذا أريد بها الواحد، فيصحّ أن يكون جمعاً، ويكنىٰ به عن الواحد، ويصحُّ أن يُجعل كراويةٍ وعلّامة ونحو ذلك».

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ٤٦٦)، والمصباح المنير ص (١٨٨).

(٥) بدعاً: أي بغير احتذاءٍ واقتداءٍ بأحد. انظر: المفردات ص (١١٠)، والقاموس ص (٩٠٦).

﴿مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾[1] لكن الإضلال متى كان/ معه الضلال لا يصح أن يُنفى، فيقال: ما أضلّ المؤمن، [٢١٩/أ] ويقال تارة الشيطان، وإذا لم يكن معه الضلال صحّ النفي فيه والإثبات جميعاً، ويقال تارة: الشيطان أضلّ المؤمن ولم يضلّ[2].

والود ضرب من المحبة، ويستعمل في معنى التمني، فمتى قُصدَ به التمني استُعمل معه: أن، وتارة: لو، يقول: وددت

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) هذه الفقرة تحتاج إلى توضيح، وقد فصّل الراغب الكلام في معني (الإضلال) في المفردات، أسوقه باختصار ليتضح المعنى. قال الراغب: الإضلال ضربان: **أحدهما**: أن يكون سببه الضلال، وذلك على وجهين: إما بأن يضل عنك الشيء كقولك: أضللت البعير. وإما بأن تحكم بضلاله. والثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال وهو أن يُزيّن للإنسان الباطل ليضل. وإضلال الله تعالى للإنسان على وجهين: **أحدهما**: أن يكون سببه الضلال، وهو أن يضلّ الإنسان فيحكم الله تعالى عليه بذلك في الدنيا، ويعدل به إلى طريق النار. والثاني: أن الله تعالى وضع جِبِلّة الإنسان على هيئةٍ إذا راعىٰ طريقاً محموداً كان أو مذموماً أَلِفه واستطابه ولزمه. وهذه القوة في الإنسان فعل إلهي، وكل شيء يكون سبباً في فعل صح نسبة ذلك الفعل إليه، فصحّ أن يُنسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه. ولِما قلناه جعَلَ الإضلال المنسوب إلى نفسه للكافر والفاسق دون المؤمن، بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن. انظر: المفردات ص (٥١١) باختصار.

لو خرجت، ولا يجوز إدخال لو فيه إذا أُريد معه المحبة[1]، وإذا كان بمعنى المحبة يتعلق بالأزمنة الثلاثة، وإذا كان للتمني فليس إلا للاستقبال[2]. بيّن تعالى أن طائفة من اليهود والنصارى يتمنون أن يفعلوا ما يؤدي المسلمين إلى ضلالهم وهلاكهم، وكل ما يفعلونه يؤديهم إلى هلاك أنفسهم[3]، ثم بيّن أنهم لا يشعرون

---

(١) انظر الأفعال لابن القوطية (٣/ ٣٢٥)، والمفردات ص (٨٦٠).

(٢) «نقل أبو حيان عن الرمّاني خلاف ذلك، وهو أن «ودَّ» إذا كان بمعنى تمنى، صلح للماضي والحال والمستقبل، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح للماضي، لأن الإرادة كاستدعاء الفعل». البحر المحيط (٢/ ٥١٣).

(٣) اختار الطبري أن يكون الإضلال هنا: الإهلاك، واستدل على ذلك ببيت الأخطل:

كنتَ القَذَى في مَوْجِ أكدَرَ مُزْبِدٍ قذَفَ الأتيُّ به فضلَّ ضلالاً

وببيت النابغة: فآب مُضلّوه بعينٍ جَليّةٍ

وقد ردَّ ابن عطية ذلك، فقال: وهذا تفسير غير خاص باللفظة، وإنما اطّرد هذا الضلال في الآية، وفي البيتين اقترن به هلاك. وأما أن تفسَّر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٠، ٥٠١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، وقال أبو حيان: «ومعنى: (يضلونكم) يردونكم إلى كفركم، قاله ابن عباس... وقال غير ابن عطية: الضلال في اللغة: الهلاك من قولهم: «ضل اللبن في الماء إذا صار مستهلكاً فيه. وقيل معناه: يوقعونكم في الضلال، ويلقون إليكم ما يشككونكم به في=

أنهم يضلون أنفسهم، وإنما قال: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ مبالغة في ذمهم، وأنهم افتقدوا المنفعة بحواسهم[1]، كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ وقول من قال: الآية تدل على أن المعارف مكتسبة بقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، فبعيد عن تصور الفرق بين قولهم: يشعر ويعلم[2]، ورُوي في سبب نزول هذه الآية: أن قوماً من اليهود دعوا عمّار بن ياسر[3] ....

= دينكم، قاله أبو علي». البحر المحيط (٢/ ٥١٣). والذي أراه أن اللفظ يحتمل المعنيين، إذ ليس هناك دليل يدل على قصره على أحدهما، والكفر يؤدي إلى الهلاك، فهما متلازمان، وقد أحسن الراغب في جمعه بينهما.

(١) ذكر أبو حيان عبارة الراغب دون نسبتها إليه. البحر المحيط (٢/ ٥١٤).
سورة البقرة، الآية: ١٨.

(٢) ذكر الراغب هذا المعنى في المفردات، فقال: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ونحو ذلك. معناه: لا تدركونه بالحواس. وفي كثير مما جاء فيه ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يعقلون لم يكن يجوز، إذا كان كثير مما لا يكون محسوساً قد يكون معقولاً. المفردات ص (٤٥٦). وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي وما يعلمون. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٢)، والوسيط (١/ ٤٤٩). والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٠).

(٣) هو عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن ثعلبة بن عوف العنسي أبو القيظان، حليف بن مخزوم، وأمّه سميّة، صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين إلى الإسلام، عُذّب هو وأبوه وأمّه في الله، حتى بشرهم النبي ﷺ بقوله: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» وفيه نزل قوله=

وحذيفة بن اليمان إلى اليهودية[1].

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾[2] الشهادة: الإخبار بالشيء عن مشاهدة: إما ببصر، أو ببصيرة، ثم يُعبّر بها عن المعرفة المقتضية لصحة ما يدعي، وإن كان المدعى عليه منكراً بلسانه كقولك لخصمك: أنت تشهد أن الأمر بخلاف ما تذكره[3]. فقوله: ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ منهم من خصَّ، فقال: عنى بذلك الآيات المنزلة على محمد ﷺ[4]،

= تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل، الآية: ١٠٦] شهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها، قتل بصفين سنة ٣٧هـ، وله ثلاث وتسعون سنة، وقد أخبر النبيّ ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦)، والإصابة (٤/ ٤٧٣)، وتقريب التهذيب ص (٤٠٨).

(١) ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩). ونقل أبو حيان إجماع المفسرين على ذلك. البحر المحيط (٢/ ٥١٣). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٠.

(٣) انظر معنى الشهادة في: مجاز القرآن ص (٩٦)، والمفردات ص (٤٦٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، والقاموس ص (٣٧٢).

(٤) كانشقاق القمر، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى وغير ذلك. قال ابن عطية: «وتحتمل الآية أن يريد بالآيات ما ظهر على يدي محمد عليه الصلاة والسلام من تعجيز العرب، والإعلام بالغيوب، وتكلم الجمادات، وغير=

ومنهم من قال: عنى الآيات التي تدل من الكتابين على صحة نبوة محمد ﷺ[1] ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يعني شهادة بالقلب دون اللسان، أو عنى ما يكون من شهادتهم ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾[2]، وقيل: معناه: وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب: لم تلبسون الحق بالباطل، تنبيهاً أنهم يفعلون ذلك حماية على رياستهم وعصبيّة لملّتهم، لا جهلًا بالحق، بل هم يعلمون[3].

= ذلك». انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٤).

(١) وهذا قول الطبري. وذكر أبو حيان أنه قول ابن عباس وقتادة والسدي والربيع وابن جريج. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٩). وهناك قول ثالث وهو أنّ آيات الله المذكورة في الآية هي القرآن. انظر: الوسيط (١/ ٤٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٠) وذكر ابن عطية أن هذا المعنى قاله قتادة وابن جريج والسدي. وهذا يخالف ما أشار إليه أبو حيان. وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥١٤).

(٢) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٣) وسبب الخلاف ما قاله أبو حيان: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: جملة حالية... ومتعلق الشهادة محذوف، يقدَّر على حسب تفسير الآيات، فيُقدَّر بما يناسب ما فُسّرت به، فلذلك قال قتادة والسدّي والربيع: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾=

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(١) لبس الحق بالبطل على ثلاثة أوجه(٢):

الأول: أن يُحرّف الحق، فيُجعل في صورة/ الباطل. والثاني: [٢١٩/ب] أن يُزين الباطل، فيُجعل في صورة الحق. الثالث: أن لا يُميّز أحدهما عن الآخر مع الإمكان، وقد فُسّرت الآية على الأوجه الثلاثة. قال الحسن وابن زيد: هو تحريف التوراة والإنجيل(٣)،

= بما يدلّ على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة. وقيل: يشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها، وقيل بما عليكم من الحجة، وقيل: إن كتبكم حق ولا تتبعون ما أنزل فيها، وقيل: بصحتها إذا خلوتم، فيكون (تشهدون) بمعنى تُقرّون وتعترفون. وقال الراغب: أو عنى ما يكون من شهادتهم ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾، وقيل: ﴿تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تنكرون كون القرآن معجزاً، ثم تشهدون بقلوبكم وعقولكم أنه معجز». البحر المحيط (٢/ ٥١٤، ٥١٥). وانظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٢، ٥٠٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٠)، والكشاف (١/ ٣٧٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٩)، وفتح القدير (١/ ٣٩٠). أما الوجه الأخير الذي ذكره الراغب فلم أجد له ذكراً في كتب التفسير.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

(٢) انظر معاني اللبس في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٢٤)، والمفردات ص (٧٣٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٠٥) بسنده عن ابن زيد، =

وقال بعضهم: هو الكفر بمحمد ﷺ [مع][1] المعرفة بصدقه[2]، وقيل: هو ما ذكره تعالى من بعدُ في قول بعضهم لبعض ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾[3]، وأما كتمانهم الحق فما كتموه من صفات النبي ﷺ التي دَلّ عليها إشارات التوراة والإنجيل[4]، وقد نهى النبي ﷺ عن كتمان العلم بقوله: «من

= وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٥)، ونسباه للحسن وابن زيد. والبحر المحيط (٢/ ٥١٥).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) قال ابن جرير الطبري: «كان خلطهم الحق بالباطل: إظهارهم بألسنتهم التصديق بمحمد ﷺ وما جاء به من عند الله غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية». انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٤)، وذكر هذا القول أيضاً: الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١) وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٥)، وقال: رُوي عن ابن عباس. وجعل ابن كثير رحمه الله هذا القول تفسيراً للآية، ولم يسُق غيره. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٢). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥١٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٢. وهذا القول ذكره ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٥٠٤) بسنده عن ابن عباس. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، ونسبه لابن عباس وقتادة. وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢١)، وزاد المسير (١/ ٤٠٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٥).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٠٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٠١)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٩)، وفتح القدير (١/ ٣٩١).

سُئل عن علم فكتمه. . .» الخبر[1]، وعنى بالآية كتمانه مع وجوب إظهاره: فأما صيانة الحكمة عمن لا يستحقها؛ إما لقصوره عن الوقوف عليها، أو خوفاً أن يجعلها ذريعة إلى فساد، فذلك واجب[2]، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعرفون الحق

---

(١) أخرجه أبو داود ـ كتاب العلم ـ باب «كراهية منع العلم» رقم (٣٦٥٨)، والترمذي ـ كتاب العلم ـ باب «ما جاء في كتمان العلم» رقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه ـ في المقدمة ـ باب «من سُئل عن علم فكتمه» رقم (٢٦٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥)، والطيالسي رقم (٢٥٣٤). وابن أبي شيبة (٩/ ٥٥) رقم (٦٥٠٤). والطبراني في الأوسط رقم (٢٢٩٠، ٣٣٢٢، ٣٥٢٩، ٣٩٢١) وفي الصحيحين رقم (١٦٠، ٣١٥، ٤٥٢). وابن حبان رقم (٩٥). والحاكم في المستدرك (١/ ١٠١) من طرق عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تُجمع ويُذاكر فيها. وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي. وقال الترمذي: إسناده حسن. وقال العُقيلي في الضعفاء (١/ ٧٤): إسناده صالح. وقال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد» ص (١١): والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة، لكنه صالح.

(٢) ولذلك قال عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله. ذكره البخاري في كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا. بدون إسناد. وقال الحافظ في الفتح: ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم. قال: وممن كره التحديث=

الذي تكتمونه، والتلبيس الذي تأتونه.

إن قيل: لِمَ قال هاهنا: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقال فيما قبله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)؟ قيل: الذي نفى عنهم ما ادعوه من كون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً، وليس ذلك في كتابهم، وما أثبت لهم هاهنا وقفوا عليه(٢) من كتابهم من أمر النبي ﷺ فجحدوه، وهذا غاية الذّم، إذ جحدوا ما علموا، وادعوا ما جهلوا.

= ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة... وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العُرنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ماكان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي. وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يُخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب. فتح الباري (١/ ٢٧٢). وانظر: جامع بيان العلم وفضله، باب «آفة العلم وغائلته وإضاعته، وكراهية وضعه عند من ليس بأهله» (١/ ٤٤٢-٤٥٤) فقد ذكر في ذلك نقولاً حسنة عن أئمة السلف منها ما ساقه بسنده عن كثير بن مرة الحضرمي أنه قال: «إن عليك في علمك حقًّا، كما أن عليك في مالك حقًّا، لا تحدِّث العلم غير أهله فتجهل، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحُدِّث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك».

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٢) في الأصل: (عليهم) والصواب ما أثبته.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[1]

الوجه: أصله الجارحة، ولما كان هو أول ما يستقبلك، وأشرف ما في البدن، تارة يُستعملُ في أشرف الشيء، فيقال: هذا وجه كذا؟ وتارة في مبدئه، نحو: وجه النهار[2].

وقوله: ﴿ ءَامِنُواْ ﴾ أي أظهروا الإيمان، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي آمنوا بمحمد ﷺ. والطائفة التي قالت ذلك قال قتادة والربيع: هم اليهود بعضهم لبعض[3]، وقال الحسن:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

(٢) تقدم ذكر معنى الوجه ص (٤٧١) من هذه الرسالة. وقال الطبري: ﴿ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ يعني أول النهار، وسُمي أوله وجهاً له، لأنه أحسنه، وأول ما يواجه الناظر فيراه منه، كما يقال لأول الثوب «وجهه»، وكما قال ربيع بن زياد:

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتَنا بوجهِ نهار

جامع البيان (٦/ ٥٠٩) وهو قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٩)، والعين (٤/ ٦٦)، ومجاز القرآن (١/ ٩٦)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٠٦)، وزاد المسير (١/ ٤٠٥).

(٣) جامع البيان (٦/ ٥٠٧)، وقد ذكره بسنده عن أبي مالك. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، ونسبه للسدي وابن زيد. وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٣)، ونسبه لقتادة والسدي والربيع وأبي مالك. وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وزاد المسير=

يهود خيبر، قالوا: ليهود المدينة[1] فخصّص. ومعنى الآية قيل: إن النبي ﷺ صلى صلاة الفجر إلى بيت المقدس، ثم نسخ الله ذلك في آخر النهار، فقال: آمنوا بصلاتهم وجه النهار إلى بيت المقدس، واكفروا بصلاتهم في آخر النهار إلى الكعبة، لعلهم يتركون/ إذا [٢٢٠/أ] رأوا التواءكم عليهم[2]، وعبرّ عما فعله المسلمون بالإنزال إليهم، لا أنهم أقرّوا بأن ذلك منزل، ولكن على حسب ما قاله المسلمون واعتقدوه، وقيل: ليس القصد في الحقيقة إلى صدر النهار وآخره، بل لما عجزوا عن صرف المؤمنين عن موافقة النبي ﷺ مكاشفة، قالوا: إذاً مروهم[3] بأن يساعدوهم مرّة ويخالفوهم مرّة؛ ليحتالوا على صرفهم عن اتباعه بذلك[4]، فحذّر الله المؤمنين منهم

= (١/ ٤٠٥).

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٢٢) ونسبه للحسن، وانظر: التفسير الكبير (٨/ ٨٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٧).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩، ١١٠)، ونسبه لمجاهد ومقاتل والكلبي. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٤)، والكشاف (١/ ٣٧٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١١)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٧).

(٣) في الأصل: مجوهم. ولا يتضح له معنى.

(٤) أي أنهم قالوا: نُصدِّقه في البعض ونُكذِّبه في البعض، حتى يقول النّاس: =

ليحترزوا. [و][1] منهم من حمل وجه النهار وآخره على مجازٍ آخر، فقال: معناه آمنوا في الظاهر، واكفروا به في الحقيقة[2]، وذلك هو المُعبَّر عنه بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[3] الآية، وقيل: فيه وجه رابع، وهو أن علماء اليهود وكانوا قد حدّثوا قبل بعثة النبي ﷺ بأخبار له وُجِدَت على ما أَخبروا به، ثم لما رأوا رياستهم تبطل به ندموا، فقال بعضهم لبعض: قد أخبرنا اليهود بما أخبرنا، فإن كذّبناه دفعة اتهمونا، ولكن نؤمن ببعض، ونكفر

= صدّقوه فيما كان صادقاً، وكذّبوه فيما كان كاذباً فيستريبون بحاله. ويكون وجه النهار وآخره بمعنى البعض على هذا القول. انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣١، ٣٣٢).

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) قال أبو حيان: والمراد بآمنوا: أظهِروا الإيمان، ولا يمكن أن يُراد به التصديق. وفي قوله: ﴿بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حذف أي على زعمهم. وإلا فهم يُكذِّبون ولا يُصدِّقون أن الله أنزل شيئاً على المؤمنين. البحر المحيط (٢/ ٥١٧). وهذا القول ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٠٦، ٥٠٧)، ونسبه لقتادة والحسن وأبي مالك والسدي. وذكره أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩) قال: «قال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عُرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به آخر النهار...». انظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٣، ٥٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤، ٧٦.

ببعض، أي نوهمهم أولاً أنّا نظنّه صادقا ثم يكذبونه[1]، فهذا معنى ﴿ءَامِنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾.

ولإظهارهم الإيمان طورًا والكفر طورًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾[2] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] في قوله ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ قولان: أحدهما: أن يتصل بقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾[4]. والثاني:

---

(١) وهو قول الأصم من المعتزلة، كما حكى الرازي في التفسير الكبير (٨/ ٨٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٣. وهذه الآية قال عنها القرطبي: «وهذه الآية أشكلُ ما في السورة»، ونقل السمين الحلبي عن الواحدي أنه قال: «وهذه الآية من مشكلات القرآن، وأصعبه تفسيراً، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية، فلم أجد قولاً يطّرد في هذه الآية من أولها إلى آخرها، مع بيان المعنى وصحة النظم» انظر: الجامع لأحكام القرآن(٤/ ١١٢)، والدّر المصون (٣/ ٢٦٠).

(٤) انظر هذا الوجه في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٢) وجامع البيان (٦/ ٥١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٦)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢).

أن يتصل بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ﴾[1] فإذا جعلته متصلًا بقوله: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ فتقديره: ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد، لكن حُذف الجار لكثرة حذفه مع أن[2]. إن قيل: كيف يصح أن يكون ﴿تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ مفعوله ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ وقد عُدّي إلى قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ و ﴿ءَامَنَ﴾ لا يصحُّ أن يُعدى إلى مفعولين بغير حرف

---

(١) فيكون المعنى: قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. انظر هذا الوجه في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٢)، وجامع البيان (٦/ ٥١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٧) ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) انظر المصادر السابق ذكرها في الوجه الأول. وقد رجح الطبري هذا القول، فقال: وأولى الأقوال من ذلك بالصواب أن يكون قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ معترضاً به، وسائر الكلام متسق على سياق واحد، فيكون تأويله حينئذٍ: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بمعنى: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. . . فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ سوى قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ . . . » جامع البيان (٦/ ٥١٥، ٥١٦).
وذهب إلى ذلك أيضاً الواحدي في الوسيط (١/ ٤٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٥٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥١٨)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٣). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢٤، ١٢٥).

العطف؟ قيل: إنّ اللّام تتعلق به، لا على حدّ المفعول به، وتقدير الكلام: لا تُقرُّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع[1]، وقول من قال: اللام زائدة، نحو ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾[2] فبعيد، لأن آمن هنا لا يتعدى إلا بالجار[3].

وفي قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾[4] على هذا[5]

---

(١) ذكر السمين الحلبي عن الفارسي قال: وقال الفارسي: الإيمان لا يتعدى إلى مفعولين، فلا يتعلق أيضاً بجارّين، وقد تَعَلّقَ بالجار المحذوف من قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ فلا يتعلق باللام في قوله: ﴿ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ إلا أن يُحمل الإيمان على معناه فيتعدى إلى مفعولين، ويكون المعنى: ولا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم كما تقول: أقررت لزيد بألف، فتكون اللام متعلقة بالمعنى ولا تكون زائدة على حدِّ ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾، و ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾. قال السمين: فهذا تصريح من أبي علي بأنه ضمَّن آمن معنى أقرَّ. الدّر المصون (٣/ ٢٥١، ٢٥٢)، وانظر قول الفارسي في الحجة (٢/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٢) سورة النمل، الآية: ٧٢.

(٣) يُقال: آمن به، وآمن له. أي صدّق: انظر الغريبين (١/ ٩٣)، والقول بأن اللام زائدة هو قول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١١). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢) تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٤) والدر المصون (٣/ ٢٥٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٥) أي على هذا القول السابق الذي فيه (تؤمنوا) بمعنى تُقرّوا.

قولان: أحدهما: لا تُقِرُّوا أن أحداً عرف محمّدًا كما/ قد عرفتموه. [٢٢٠/ب]
والثاني: أن خُصّ أحدٌ من العلوم والكرامات بمثل ما خُصصتم.
وقوله ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ أي أو أن يجعل الله للمسلمين حُجةً يحاجونكم بها عند الله[١]، فأكذبهم الله تعالى في الأمرين جميعاً وردّ عليهم، أما في الأول فبقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ تنبيهاً أن ذلك يعطيه من يشاء، نحو ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أمّا في الثاني، وهو قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ فبقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٢].

فقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾ اعتراضٌ بين بعض الجملة وبعضها، تسديداً لها وجواباً لهم، وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) هذا أحد وجوه تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾، انظره وبقية الأوجه في: جامع البيان (٦/ ٥١٢-٥١٦)، وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٣)، معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٢)، والكشاف (١/ ٣٧٣، ٣٧٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢٨، ١٢٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٨- ٥٢٠)، والدر المصون (٣/ ٢٥٨- ٢٦٠).

(٢) قال أبو حيان: «هذا توكيد لمعنى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وفي ذلك تكذيب لليهود، حيث قالوا: شريعة موسى مؤبدة، ولن يؤتي الله أحداً مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة. فالفضل هو بيد الله أي متصرف فيه...» البحر المحيط (٢/ ٥٢١).

جواب لهم. والاعتراضُ بين المتصلين من الجملة بما فيه تحقيق لمقتضاها، أو ردٌّ لها من بلاغاتِ كلامهم[1]، وعلى ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ..﴾[2] فقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فصلٌ بين اسم إنّ وخبره، لتحقيق مقتضى الكلام، والثاني: وهو أن يجعل أن متصلًا بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، ويكون كلام اليهود قد انقطع عند قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا

---

(١) انظر فائدة الاعتراض في شرح التلخيص ص (١١٦، ١١٧) وقال الزمخشري: «فإن قلت: فما معنى الاعتراض؟ قلت: معناه أن الهدى هدى الله، من شاء أن يلطف به حتى يُسلمِ أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك، ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيّكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين. وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يريد الهداية والتوفيق» الكشاف (١/ ٣٧٤). وأحسن منه قول أبي حيّان: «ومعنى الاعتراض على هذه الأوجه أنه أخبر تعالى بأن ما راموا من الكيد والخداع بقولهم: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ الآية لا يجدي شيئاً، ولا يصدّ عن إيمان من أراد الله إيمانه، لأن الهدى هو هدى الله، فليس لأحد أن يحصّله لأحد أو أن ينفيه عن أحد» البحر المحيط (٢/ ٥٢٠). وإنما كان كلام أبي حيان أحسن من كلام الزمخشري، لأن الزمخشري لم يشر إلى إضلال الله من يشاء، تبعاً للمعتزلة الذين يقولون بأن الله تعالى لا يُضلُّ أحداً، والعبد هو الذي يخلق الضلال والشر لنفسه ولغيره.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٣٠، ٣١.

﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ وفيه أوجه، **الأول**: ما قاله الكسائي[1] والفرّاء وهو: أنَّ أنْ هاهنا تقتضي معنى لا، كما تقتضيه في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾[2] ومعناه: البيان بيان الله[3]، وقد بين أن لا يُخَصُّ أحد من الأمم بمثل ماخُصِصْتم به أيها المؤمنون،

---

(١) هو علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي بالولاء، الكوفي أبو الحسن الكسائي، إمام في القراءات واللغة والنحو، من تصانيفه: «معاني القرآن»، و«القراءات»، توفي بالري سنة ١٨٩هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/٤٠٣)، وطبقات النحويين ص (١٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٣١).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٣) قال الفراء: ويقال: قد انقطع كلام اليهود عند قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ثم صار الكلام من قوله: قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. وجاءت (أن) لأن في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾ مثل قوله: إن البيان بيان الله، فقد بين أنه لا يؤتىٰ أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. وصلحت (أحد) لأن معنى (أن) معنى (لا)، كما قال تبارك وتعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ. . .﴾ معناه: لا تضلون. . .»، وقال الكسائي: «المعنى: يبين الله لكم لئلا تضلوا». معاني القرآن (١/ ٢٢٢، ٢٢٣) وانظر: (١/ ٢٩٧، ٣٦٦)، ومعاني القرآن للكسائي ص (١٢٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٠، ٤٣١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣١١، ٣١٢).

إذ دين الإسلام أكمل الأديان، ومصون عن الإفراط والتفريط.
وقد تقدّم أن شريعة الله قبل نبينا عليه الصلاة والسلام كانت في حكم النشوء والتكميل، وبه عليه الصلاة والسلام كَمُلت[1]، ولهذا قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[2] وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[3] ويقوي أن معنى ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ لا يؤتى قول الحسن: إن معناه: فلن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أيها المؤمنون[4].
قال المبرّد[5]: لا يكون أن في كلامهم مقتضياً للا، وإنما تقدير

(١) بيّن الراغب وسطية الإسلام وصيانته عن الإفراط والتفريط واعتداله في كل الأمور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ من سورة البقرة. انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٣ ـ مخطوط).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٤) «لم أجد هذا القول منسوباً للحسن إلا فيما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٦)، فذكر أن كلام اليهود تام عند قوله: ﴿ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾، والباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيء من قولهم، وتقديره: قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد...» قال ابن الجوزي: هذا معنى قول الحسن وسعيد بن جبير. وذكر ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم هذا القول عن السدّي. انظر: جامع البيان (٦/ ٥١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٨١).
(٥) هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس البصري، شيخ أهل النحو، وحافظ علم العربية، ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ، وتوفي=

ذلك: كراهة أن يؤتى أحد، وجعل المعنى كما تقدم(1)، وهذا التقدير بعيد، لأجل أن أحداً هذا يختص بالنفي وما في معناه، وعلى تقديره، ويكون مستعملًا في الإيجاب(2). على أن بعض النحويين ذكروا أن أحداً هاهنا هو المستعمل في الإثبات في نحو قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(3). وقوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ تقديره عند الفرّاء: حتى يحاجّوكم أو إلى أن يحاجّوكم(4)، وذلك على سبيل التبعيد، وعلى قول الكسائي: معطوف/ على قوله أن يؤتى [٢٢١/أ] على تقدير أو أن يحاجوكم. وحُكي أنه في قراءة عبدالله: أن(5)،

= ببغداد سنة ٢٨٦هـ. له مصنفات كثيرة زادت على الأربعين، ومنها: «الكامل»، و«المقتضب»، و«إعراب القرآن»، و«الاشتقاق». انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠)، ووفيات الأعيان (١/ ٤٩٥)، وطبقات المفسرين (٢/ ٢٧١)، وبغية الوعاة (١/ ٢٦٩).

(١) نسب هذا القول للمبرد الزجاج في إعراب القرآن (١/ ٤٣١)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٥١١).

(٢) وقال أبو حيان بعد أن حكى قول المبرِّد: ويحتاج إلى تقدير عامل فيه، ويصعب تقديره، إذ قبله جملة، لا يظهر تعليل النسبة فيها بكراهة الإيتاء المذكور. البحر المحيط (٢/ ٥١٩).

(٣) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٣). وفيه (إلاّ) وليس (إلى) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٣، ١١٤).

(٥) قال ابن عطية: وقرأ ابن مسعود: (أن يُحاجّوكم) بدل (أو) المحرر =

وذكر بعضهم أن قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ متعلق بفعل مضمر، وتقدير الكلام: قل إن الهدى هدى الله، فلا تجحدوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو أن يحاجّوكم، فإن الله عنده الفضل يؤتيه من يشاء[1]، فهذه ثلاثة أوجه في قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ إذا لم يُجعل متعلقاً بما تقدم[2]، وذكر بعض المفسرين أن قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ كلّه خطاب الله المؤمنين، لا حكاية عن الكفار[3]، وذَكَر في تفسيره

= الوجيز (٣/ ١٢٩).

(١) قال الزمخشري: «ويجوز أن ينتصب ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ بفعل مضمر يدلُّ عليه قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، كأنه قيل: إن الهدى هدى الله، فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، لأن قولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا» الكشاف (١/ ٣٧٤). قال أبو حيان: «وهو بعيد، لأن فيه حذف النهي ومعموله، ولم يحفظ ذلك من لسانهم». البحر المحيط (٢/ ٥١٩). وقال السمين الحلبي بعد أن ذكر كلام الزمخشري وتعقيب أبي حيان عليه: قلت: متى دلَّ على العامل دليل جاز حذفه على أي حالة كان. الدر المصون (٣/ ٢٥٤).

(٢) انظر إعراب هذه الآية في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٧، ٣٨٨)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤١١)، وللفراء (١/ ٢٩٧، ٣٦٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠، ٤٣١)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٢٩٢، ٢٩٣)، وكشف المشكلات (١/ ١٦٢، ٢٣٨، ٢٣٩)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٨-٥٢١).

(٣) قال القرطبي: ويحتمل أن تكون الآية خطاباً للمؤمنين من الله تعالى على=

أوجهًا: الأول: أن يكون تقديره: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى. ويكون ذلك تبييناً أن هذه الشريعة أكمل الشرائع على ما تقدم. والثاني: أن يكون ذلك حثًّا على موالاة المؤمنين، ونهياً عن مخالطة الكافرين، نحو: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[1] أو نحوها من الآيات. والثالث: أن يكون فيه مع المعنى المتقدم حثٌّ على أن لا يصاحب المؤمن من لا تكون طريقتُه طريقتَه، فيُشغل عما هو بصدده[2]، وقال بعض الصوفية: لا تفشو أسرار

= جهة التثبيت لقلوبهم والتشحيذ لبصائرهم؛ لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم، والمعنى: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الفضل والدين، ولا تصدقوا أن يحاجّكم في دينكم عند ربكم من خالفكم أو يقدر على ذلك، فإن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد الله». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٤). واقتصر القشيري في إشاراته على هذا الوجه من التأويل، فقال: يحتمل أن يكون هذا ابتداء أمر من الله سبحانه للمسلمين. لطائف الإشارات (١/ ٢٦٣).

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٢) ولكن أغلب المفسرين على أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ حكاية عن قول الطائفة المذكورة من أهل الكتاب. وقد بالغ ابن عطية فقال: «ولا خلاف بين أهل التأويل أن هذا القول من كلام الطائفة» المحرر الوجيز (٣/ ١٢٤)، وردّ ذلك الإطلاق أبو حيّان قائلًا: «وليس كذلك، بل من المفسرين من ذهب إلى أن ذلك من كلام الله، =

الحق إلى غير أهله، ولا تُصدِّقوا بظهور كرامة على غير المحافظين على ظاهر الشريعة، إبطالاً لمن يدّعي الوصول إليه بلا مشقة يتحمّلها وعبادة يتكلّفها[1]، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ تنبيه على سعة غناه وجوده وعلمه بما يأتيه ويدعه[2]، فلا يتهم فيما يفعله ويذره.

قوله عز وجل: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]

الاختصاص: انفراد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة[4]، والفضل في الإعطاء: الزيادة على المستحق الذي هو العدل[5]،

= يثبت به قلوب المؤمنين. . .» البحر المحيط (٢/ ٥١٨).

(١) أشار القشيري إلى بعض هذا المعنى فقال: والإشارة فيه: ألا تعاشروا الأضداد، ولا تفشوا أسراركم للأجانب. لطائف الإشارات (١/ ٢٦٣).

(٢) في الأصل: (ويدعيه) والصواب ما أثبته.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.

(٤) قال الراغب: والتخصيص والاختصاص، والخصوصية والتخصُّص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم والتعمُّم والتعميم. المفردات ص (٢٨٤)، وانظر: جامع البيان (٢/ ٤٧١). والبحر المحيط (١/ ٥١٠)، وعمدة الحفاظ (١/ ٥٨٤).

(٥) انظر معاني الفضل وأقسامه في: مجمل اللغة ص (٥٦٩)، والمفردات ص (٦٣٩)، والقاموس ص (١٣٤٨).

وهو المعبر عنه بالإحسان[١] في قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[٢] ولأنه من تمام قوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ تنبيهاً أنه إذا كان واسعاً وعالماً، فسعته تقتضي أن يوسِّع على عباده، وعلمه يقتضي أن لا يحرم رحمته مستحقها، وفضله يقتضي أن يتجاوز تحري العدالة إلى تحري الإفضال، وهو أن يفضل على غير مستحقيه، وإلا لم يكن فضل عظيم[٣]، وقول[٤] الحسن ومجاهد والربيع: إن الرحمة هاهنا النبوة[٥]. وقول ابن جريج: هي

---

(١) قال ابن فارس: والإفضال: الإحسان. مجمل اللغة ص (٥٦٩).

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) انظر: جامع البيان (٢/ ٤٧١) و(٦/ ٥١٨)، وبحر العلوم (١/ ٢٧٧)، والتفسير الكبير (٨/ ٨٧، ٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٣)، وروح المعاني (٣/ ٢٠٢).

(٤) في الأصل: (وقال) والصواب ما أثبته لدلالة السياق بعده.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١٧) بسنده عن مجاهد. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٢) بسنده عن مجاهد. وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١٨) بسنده عن الربيع. وقال ابن أبي حاتم في القرآن العظيم (٢/ ٦٨٣) وروي عن الربيع بن أنس مثل ذلك. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٢)، ونسبه للحسن ومجاهد والربيع. وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٨) ونسبه لمجاهد، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٥)، ونسبه للحسن ومجاهد، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٢١) ونسبه للثلاثة.

القران[1]، صحيحان[2]. لأن كليهما داخلان في الرحمة، ولا شك أن من أعطيهما فقد خُصَّ برحمةٍ منه، وكذلك قول من قال: عنى بالرحمة الحسنى المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾[3] وقول من قال: عنى به الوقوف على حقائق كلامه، الذي خص به خواص عباده[4] الموصوفين بقوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[5]، فكل/ ذلك داخل في عموم رحمته[6]. [٢٢١/ب]

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥١٨) بسنده عن ابن جريج. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٢) والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٢١)، ونسبوه لابن جريج.

(٢) في الأصل: (صحيحا) بحذف النون والصواب ما أثبته.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١. ولم أجد ذكراً لهذا القول فيما لديّ من تفاسير.

(٤) هذا من إشارات الصوفية، وإلى هذا المعنى أشار القشيري بقوله: «ويقال: يختص برحمته من يشاء بالفهم عنه، فيما يكاشفه به من الأسرار، ويلقيه إليه من فنون التعريفات» لطائف الإشارات (١/ ٢٦٣).

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٢.

(٦) أشار أبو حيان إلى عموم الرحمة في الآية بقوله: «والرحمة هنا عامة بجميع أنواعها. أو النبوة والحكمة والنصرة، اختصَّ الله بها محمداً ﷺ، قاله علي، والباقر، ومجاهد، والزجاج. أو الإسلام قاله ابن عباس. أو القرآن، أو النبي ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهو نبي =

إن قيل: ما فائدة ترك التبيين في نحو قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، وإبهام القول فيه؟ قيل: الفائدة في ذلك أن يبقى رجاء الراجي وخوف الخائف الممدح بهما في قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[1]، وليقطع بذلك ملاحظات المجاهدات، وليبين أن الإنسان وإن بذل غاية الجهد في العبادة، فرحمته هي التي تنقذه[2]، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة أحد بعمله**»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[3].

= الرحمة، أقوال خمسة أظهرها الأول». البحر المحيط (١/ ٥١٠).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٧. وذكر هذا الجزء من القول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١٥)، ونسبه إلى أبي عثمان.

(٢) أشار ابن جرير إلى هذا المعنى عند تفسير للآية (١٠٥) من سورة البقرة فقال: «وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تعريض من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب: أن الذي آتى نبيَّه محمداً ﷺ والمؤمنين به من الهداية تفضُّلٌ منه، وأن نعمه لا تدرك بالأماني، ولكنها مواهب منه، يختصُّ بها من يشاء من خلقه. وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فإنه خبر من الله جلَّ ثناؤه عن أن كلَّ خيرٍ ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداءً وتفضلاً منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه» جامع البيان (٢/ ٤٧١).

(٣) ثبت من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما. أما حديث عائشة فأخرجه البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب القصد والمداومة على العمل، =

قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، يقال: دُمْتَ تدوم ودِمْتَ تَدَامُ[2]، وقال بعضهم: مِت ودِمت، وكل يقول: تدوم وتموت[3]،

= رقم (٦٤٦٧). ومسلم ـ كتاب صفات المنافقين ـ باب لن يدخل الجنة أحد بعمله، ورقم (٢٨١٨). وأما حديث أبي هريرة فقد تقدم تخريجه ص (٢٨) من هذه الرسالة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٢) قال ابن دريد: «... فمن قال: مِتّ قال: يمات...، ومن قال: دِمْتَ قال: يَدَام...» الجمهرة (٣/ ٤٨٥).

(٣) قال كراع النمل: «وليس في السالم من الأفعال على مثال فَعِل يَفْعُل إلا فضل يفضُل، ... فأما المعتل فمتّ تموت، ودمت تدوم...» المنتخب (٢/ ٥٦٠، ٥٦١). وانظر: الكتاب (٤/ ٣٤٣)، والمفردات ص (٣٢٢)، والمخصص (٦/ ١١٩)، والمشوف المعلم (١/ ٢٧٩)، قد ذكر النحّاس أن في توجيه مِتّ ـ بالكسر ـ قولين: ـ قوله سيبويه: «أنه شاذ جاء على مِتَّ تموت...». ـ قول الكوفيين الذين قالوا: «من قال: مِتَّ قال: يمات، مثل خفت تخاف. ومن قال مُت قال: يموت...». واستحسن النحّاس قولهم. انظر: إعراب القرآن (١/ ٤١٥). وأما ابن جني فجوَّز أن تكون هذه المسألة من تداخل لغات العرب وشرح ذلك بقوله: «... فيكون بعضهم يقوله: مِتَّ تمات، وبعضم يقول: مُتَّ تموت، ثم سمع من أهل=

وقوله قائماً. قال قتادة: قائماً بالتقاضي والمطالبة[1]، وقال السدّي: بالاجتماع معه[2]، وقال غيرهما: القائم بالشيء: المواظب على الشيء، المجتهد في حفظه[3]، نحو قوله: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[4] وذلك يدخل فيه ما تقدم من الأقوال، وقد تقدم الكلام في القنطار[5]، ولما ذكر الله تَبَجُّحَ[6] اليهود بأنهم أوتوا ما لم

= لغةِ الماضي، وسمع من أهل لغة أخرى المضارع، فتركبت من ذلك لغة أخرى» المنصف (١/ ٢٥٦).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٣)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٠، ٥٢١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٣) عن السدي قال: يعترف بأمانته ما دمت قائماً على رأسه. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٤)، والدر المنثور (٢/ ٧٧).

(٣) وهذا قول مجاهد وابن قتيبة. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٢٠)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩). ومن المفسرين من جعل قول مجاهد وقتادة قولاً واحداً، لأن المواظبة تكون في التقاضي والمطالبة. انظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٣)، وزاد المسير (١/ ٤٠٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٥) انظر: ص (٤٤٨) من هذه الرسالة.

(٦) في الأصل: (تـجح)، بسقوط حرف الباء والصواب ما أثبتّه.

يُؤت أحد، أكذبهم الله فذكر خيانتهم، لكن فصّلهم لِمَا كان من جملتهم من له أمانة، وقال قائل: عنى بالذين يؤدون الأمانة المسلمين منهم، مثل عبدالله بن سلام وأشكاله[1]، ورد عليه بعض الناس، وقال: إن الآية نزلت بعد إسلام عبدالله، وهذا الرادّ يتصور أن أهل لا يُطلق على من أسلموا، وليس الأمر كذلك، بل حقيقة أهل الكتاب يتناول من لا يُنكر صدقاً ولا يجحد حقًّا، ولا يتناول من بقي بعد بعثة النبي ﷺ على دينه ولم يتبعه إلا مجازاً[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[3]

---

(١) وهذا القول ينسب إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ قال: يعني عبدالله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه . . . » انظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٦)، وزاد المسير (١/ ٤٠٨)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٣). وعبدالله بن سلام الإسرائيلي، هو أبو يوسف. وقيل: أبو الحارث حليف بني الخزرج. وقيل: اسمه الحصين، فسمّاه النبي ﷺ عبدالله، صحابي مشهور له أحاديث وفضل، مات بالمدينة سنة ٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٣)، (والإصابة ٤/ ١٠٢)، والتقريب ص (٣٠٧).

(٢) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وقد خاطبهم القرآن بذلك بعد تكذيبهم لرسول الله ﷺ وكفرهم به وتحريفهم كتابهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠، ٧١].

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

أي يخونون، ويقولون: لنا إصابة أموال العرب لشركهم، وإلى هذا ذهب ابن عباس [فقد قال له رجل:][1] إنا نمر بأهل الكتاب فنأكل من طعامهم، ونذبح لهم الدجاج، فقال: وتقولون كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، لا يجوز إلا بطيب النفس[2]. قال الحسن وابن جريج: كانت اليهود عاملوا العرب، فلمّا أسلموا امتنعوا من ردِّ أموالهم، وقالوا: / لا يحق لكم بعد [٢٢٢/أ] أن دخلتم في الإسلام[3]، وقيل معناه: ليس علينا سبيل لكوننا أبناء الله وأحباءه، ومن عدانا عبيدٌ لنا، ومالهم مالنا فلا حرج

---

(١) ما بين المعكوفين غير موجود بالأصل والسياق يقتضيه. والقصة التي ورد فيها هذا الحوار بينهما مشهورة، والرجل، ذكر عبدالرزاق أنه: صعصعة بن معاوية. وذكر ابن أبي حاتم أن اسمه صعصعة بن يزيد، وذكره الطبري باسم صعصعة. انظر: المصادر التالية:

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن (١/ ١٢٣، ١٢٤)، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٣، ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٤). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٣٣)، والكشاف (١/ ٣٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٤)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٨٤) بسنديهما عن ابن جريج. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٣) والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٥٦) عن الحسن وابن جريج ومقاتل. وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٢٥).

علينا في تناوله[1]، وهذه أقوال متقاربة، وكانوا قد زعموا أن ذلك دين شرعه الله لهم[2]، فأكذبهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[3]، وذكر أنهم يعلمون أن الأمر بخلاف ما يقولون تعظيماً لكذبهم.

قوله عز وجل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4]

عهده: يصِحُّ أن يُقدّر مضافاً إلى الفاعل، وأن يكون مضافاً إلى المفعول[5]، فالإنسان مدعو إلى الوفاء بهما، وقيل: وفّى لغة

---

(١) أشار الرازي إلى هذا القول في التفسير الكبير (٨/ ٩١).

(٢) فقد روي عن السدّي وابن جريج وغيرهما أن طائفة من أهل الكتاب ادعت أن في التوراة إحلالاً لهم أموال الأميين، كذباً منها، وهي عالمة بكذبها. انظر: معالم التنزيل (٢/ ٥٦)، وزاد المسير (١/ ٤١٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٥) قال السمين الحلبي: و«بعهده» يجوز أن يكون المصدر مضافاً لفاعله، على أن الضمير يعود على «مَنْ» أو إلى مفعوله على أنه يعود على «الله». الدر المصون (٣/ ٢٦٩، ٢٧٠). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٢٦)، وفتح القدير (١/ ٣٩٣). وقال الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٦): والهاء في قوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ عائدة على اسم الله في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾.

نجد[١]، وأوفى لغة الحجاز[٢]، وقيل: هما كمحمد وأحمد[٣].

و ﴿بَلَىٰ﴾ قيل: هو إضراب عن الأوّل، أي بلى عليهم سبيل، فيكون وقفاً[٤]، وقيل: فيه مع الإضراب عن الأوّل اعتمادٌ على الثاني، نحو أن يُقال: قدم فلان. فتقول بلى[٥] طلب كذا فلا يوقف عليه.

---

(١) نجد: النجد من الأرض قفافها وصلابتها، وما غلظ وارتفع واستوى. ونجد علم على بلاد واسعة في جزيرة العرب. وحدود نجد: ما سال من سروات الحجاز شرقاً ومن الناحية الشمالية العراق ومشارف الشام، ومن الناحية الجنوبية الربع الخالي، ومن الناحية الشرقية الأحساء وجوفها. انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز ص (٢١٧-٢١٨).

(٢) الحجاز: مكة والمدينة والطائف ومَخَاليفُها، سميت بذلك لأنها حجزت بين نجد وتهامة، أو بين نجدٍ والسَّراة. القاموس المحيط ص (٦٥٣). وانظر: معجم البلدان (٢/ ٢١٨).

(٣) انظر: العين (٨/ ٤٠٩)، والجمهرة (١/ ١٨٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٨٩)، والكشاف (١/ ٣٧٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٦)، وفتح القدير (١/ ٣٩٣).

(٥) ذكر الفخر الرازي هذا الوجه ولم ينسبه لأحدٍ، فقال: والثاني: أن كلمة «بلى» كلمة تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده، وذلك لأن قولهم: ليس علينا فيما نفعل جناح. قائم مقام قولهم: نحن أحباء الله تعالى، فذكر الله تعالى أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى لا غيرهم. =

إن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ بعد قوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾؟ قيل: فيه وجهان: أحدهما: أي يُجعلُ التقوى عامّاً، وإذا جعلت التقوى خاصًّا فلأنها هي المقصودة. إن قيل لِمَ: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ولم يقل: يحبهم؟ قيل: تنبيهاً أن محبته إياهم لأجل التقوى[1]، فإنك إذا قلت: جاءني يزيد الظريف فأكرمته، لم يقتضِ صريح اللفظ أن إكرامك إياه لظرفه، وفي الآية تنبيه على قياسٍ نتيجتُه أن الله تعالى لا يحبُّ اليهود بوجهٍ، وبيانه أن الله يحب المتقين، ومن لا يوف بعهده [فليس بِمُتَّقٍ][2]، واليهود غير موفين، فإذن لا يحبُّهم الله.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] عهد الله متضمن لكلِّ عهد عَهِد إليهم بما ركبَّه تعالى في عقولهم، وما عهد إليهم على لسان أنبيائهم، ولما أخذه الإنسان على نفسه من أمرِ التزمه بنذرٍ، أو يمين، أو حلف، أو عقد مما لا يلزمه من جهة الشرع بغير التزام[4]،

= وعلى هذا الوجه فإنه لا يحسن الوقف على «بلى». التفسير الكبير (٨/ ٩١).

(١) قال أبو حيّان: وأتى بلفظ المتقين عامًّا تشريفاً للتقوى وحضًّا عليها. البحر المحيط (٢/ ٥٢٦).

(٢) ليست بالأصل، ولا يستقيم السياق إلا بها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٤) قال الراغب في المفردات ص (٥٩٢): «وعهد الله تارة يكون بما ركّزه في=

وقد تقدم[1] في قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[2] أنه لم يعن به القلة المعتبرة بإضافة بعض الأثمانِ إلى بعض، بل ذلك باعتبار منافع الدنيا بمنافع الآخرة، فذمّ الله تعالى من توصَّل إلى نفع عاجل بإضاعة عهد الله[3]، ولكون الوفاء سبباً لعامة الصلاح، والغدر سبباً لعامة الفساد، / عظَّم الله أمرهما، وأعاد في عدة مواضع [٢٢٢/ب] ذكرهما، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[4]، وقال: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾[5] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

= عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبالسنةِ رسلُه، وتارة بما نلتزمه، وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجري مجراها...».

(١) انظر: تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١] (ق ٤٥ ـ مخطوط).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩. وانظر تفسير الراغب (ق ٦٩ ـ مخطوط).

(٣) قال الراغب: وليس استعمال «القلة» في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لأجل اعتبار ثمنين من أعراض الدنيا، كما تصوَّر بعض الناس فاعترض على الآية، وقال: ذلك يقتضي جواز اشتراء الثمن الكثير بآيات الله، بل جعل الاعتبار هٰهنا بمنافع الدنيا والآخرة. وقد علمنا أن منفعة الدنيا طفيفة إذا اعتبرت بمنفعة الآخرة، وإذا كان كذلك فمن اشترى بآيات الله منافع الدنيا وترك منافع الآخرة فقد خسر خسراناً مبيناً. تفسير الراغب (ق ٤٥ ـ مخطوط).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[1] وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾[2].

وكذلك عظّم أمر الأيمان لذلك، فقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حلف على يمين فاجرة؛ ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان**»[4]، وبيّن تعالى أن من تحرّى غدراً آثر به الحياة

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٤) أخرجه البخاري ـ كتاب «المساقاة» ـ باب «الخصومة في البئر» رقم (٢٣٥٦)، وأخرجه في كتاب «الخصومات» باب «الخصوم بعضهم في بعض» رقم (٢٤١٦)، وأخرجه مسلم ـ كتاب «الأيمان»، باب «وعيد من اقتطع من مسلم بيمين فاجرة بالنار» رقم (١٣٨). وأبو داود «كتاب الأيمان» باب فيمن حلف يميناً ليقتطع بها مالاً لأحد، رقم (٣٢٤٣). والترمذي ـ كتاب البيوع ـ باب اليمين الفاجرة ليقتطع بها مال المسلم رقم (١٢٦٩). وابن ماجه في «الأحكام» ـ باب من حلف على يمين فاجرة، رقم (٢٣٢٣). وأحمد في المسند (١/ ٣٧٧، ٤١٦، ٤٤٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣) رقم (٩٥)، والطيالسي رقم (٢٦٢، ١٠٥٠، ١٠٥١)، وأبو يعلى في مسنده (٥١١٤، ٥١٩٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٨٤)، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٠٨٤، ٥٠٨٦)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٧٨) جميعهم من حديث أبي هريرة.

الدنيا فذلك بأنه لا خلاق له في الآخرة، أي لا معرفة له بها، ولا نصيب له فيها، تنبيهاً على ما قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[(١)]، وقوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٢)] فمكالمة الله للعبد قسمان: مكالمته إياه في الآخرة، وذلك على أضرب: **الأول**: مكالمته إياه من غير واسطة[(٣)]، وذلك كحال موسى عليه الصلاة والسلام[(٤)]، حيث وصفه بقوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[(٥)]. **والثاني**: مكالمته إياه بواسطة بشرية، وذلك لمن وصفهم بقوله: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[(٦)]، والناس في سماع كلام الله تعالى على أضرب: **الأول**: من يسمع كلامه ويعقل معناه ويعمل بمقتضاه، وهم الذين ذكرهم بقوله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٧)]. **والثاني**: من يسمعه [و][(٨)] يعقله ولا يعمل به، وهم

(١) سورة الروم، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٣) هذه أقسام مكالمة الله للعبد في الدنيا، ويبدو أن هناك سقطاً وقع فيه الناسخ، تضمن الكلام على مكالمة الله للعبد في الآخرة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٤).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٧) سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٨) سقط حرف الواو من الأصل والسياق يقتضيه.

الذين ذكرهم بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[1]. والثالث: من يسمعه ولا يعقله ولا يعمل به، الذين ذكرهم بقوله: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾[2]، وأكثر المفسرين حملوا قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ على الآخرة، فقال بعضهم: عنى أنه لا يكلمهم كلاماً يسرُّهم، وأما ما يسوؤهم فبلى[3]، فقد قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقال بعضهم: لا يكلِّم[5] الكفار بوجه، وإنما يسائلهم بلسان الملائكة[6]، ....

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٨.

(٣) هذا القول مرويّ عن ابن عباس كما ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١١) عن ابن عباس أنه قال: لا يكلمهم الله كلام خير، وهو قول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٢٨). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٤)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (١/ ٦٦٧)، (٢/ ٥٢٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٤).

(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

(٥) في الأصل: (لا يكلمهم)، والصواب ما أثبته.

(٦) وهو قول الزجاج كما أشار أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٢٦)، وحكى الزجاج القولين في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٤). والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٤). وذكر ابن الجوزي هذا القول في زاد=

وقال بعض المفسرين[1] : يتناول ذلك في الدنيا والآخرة، فإنه تعالى يُكلم أولياءه في الدنيا لانتفاعهم بما يسمعونه من كتابه وسائر آياته وآثار صنائعه، ومن لم ينتفعوا بعظاته لم يحصل منه لهم مكالمة[2] ، ولهذا قال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[3] وقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ فنظر الله إلى العبد يكون في الدنيا بإفاضة النعمة، وفي الآخرة بالإثابة[4] ،

المسير (١/ ٤١١) فقال: وإن قلنا إنها ـ أي الآية ـ في اليهود والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلًا. وانظر: التفسير الكبير (٨/ ٩٣). والبحر المحيط (١/ ٦٦٧).

(١) في الأصل: وقال بعض المفسرين قال.

(٢) أشار الألوسي إلى هذا القول في تفسيره فقال: «وقيل المراد أنهم لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته، ولا يخفىٰ بُعدُه» روح المعاني (٣/ ٢٠٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٤) قال الراغب في المفردات: ونظر الله تعالى إلى عباده هو إحسانه إليهم وإفاضة نعمه عليهم. المفردات ص (٨١٣). وقصر صفة النظر على الإحسان، فيه نوع من التأويل المخالف لمذهب السلف، لأنه تفسير خلا عن إثبات الصفة. والأولى شرح المعنى المنفي هنا في الآية، وهو أن الله تعالى لا يعطف على من كانت هذه حالهم بخير، مقتاً منه تعالى لهم، وهو تفسير بالمقتضي ودلالة الصفة. وهذا هو الذي ذكره أئمة التفسير الذين لا يجاوزون النصَّ والأثر في تفسيرهم. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٢٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٤)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٨٦٩).

ولما كانت نعمة الله الدنيوية عامة للمسلم والكافر، [و][1] نعمته الأخروية محرمة/ على الكافر، قال: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [٢٢٣/أ] فخصّ[2]، وأما التزكيةُ فقد تكون في الدنيا بتوفيقه وإرشاده إلى ما يزداد به العبد بصيرة وفي الآخرة بالإثابة، وكل ذلك ممنوع من الكافر[3]، ثم قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، تنبيهاً أن ثمرة منع هذه الأشياء إيجاب العذاب لهم، أو تنبيهاً أنهم مع منعه إيّاهم هذه النعم، يجعل لهم زيادة في العذاب الأليم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]

---

(١) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٢) انظر أقوال المفسرين: جامع البيان (٦/ ٥٢٨)، وبحر العلوم (١/ ٢٧٩)، والوسيط (١/ ٤٥٣)، تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٦) وروح المعاني (٣/ ٢٠٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٢٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٨)، وزاد المسير (١/ ٤١١) والبحر المحيط (٢/ ٥٢٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

اللّي: من لويت يده، وعنهم[1] لويت الغريم ليًا وليانًا، فتَلْتُه عن حقه بمطلة، وليّ الألسنة: قيل تحريف اللسان عمّا في القلب، وهو الكذب، وقيل: هو التنطُّع والتجمُّل بالكلام لتشبيهه بغيره، وقيل: ليّهم بألسنتهم: تحريفهم بالتأويل الباطل[2]، وكما ذم تعالى بعضهم بقلة الوفاء بعهد الله ذم بعضهم بالكذب على الله تعالى، الذي هو أفظع كذب وأشنعه، وعنى بالكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المعني بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[3]، وبالكتاب الثاني التوراة، ونفى أن يكون ذلك من الكتاب الذي هو المنزل[4] ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أي من حكمه وإنزاله، إن قيل: ما فائدة ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ بعد قوله: ﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أفاد أنهم يشبّهون ويروون ذلك، وهذا تعريض منهم، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ تصريح منهم بالكذب، فوصفهم بأنهم يكذبون

---

(١) كذا في الأصل: ويبدو أنه يقصد أهل العربيّة.

(٢) انظر: العين (٨/ ٣٦٣)، ومجاز القرآن (١/ ٩٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٧)، وجامع البيان (٦/ ٥٣٦)، والمفردات ص (٧٥٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٣٥) والبحر المحيط (٢/ ٥٢٨).

تعريضاً وتصريحاً، أو تلاوة وتأويلاً[1]، وفي هذا دلالة أن إيهام الكذب قبيح، كما أن التصريح به قبيح، وأيضاً فإن الشيء قد يقال هو من عند الله ولا يكون من الكتاب، فإن كلَّ صواب وحكمة فمن عند الله، وإن لم يكن منزّلاً في كتاب، وعلى ذلك قال النبي ﷺ: «**إذا أتاكم عني حديث يدلُّ على هدى ويكف عن ردى فاقبلوه، قلته أو لم أقله، فإني قلته**»[2]، وفائدة ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) قال الزمخشري: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تأكيد لقوله: هو من الكتاب، وزيادة تشنيع عليهم، وتسجيل بالكذب، ودلالة على أنهم لا يُعرضون، ولا يُوَرّون، وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا، وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم، ويأسهم من الآخرة. الكشاف (١/ ٣٧٧).

(٢) ذكر الذهبي نحو هذا الحديث في سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٨) في ترجمة أبي معشر السندي قال: «يحيي بن بكير عن أبي معشر، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لا أعرفنَّ أحدكم متكئاً يأتيه الحديث من حديثي فيقول: اتلُ عليَّ قرآناً، ما أتاكم من خير عني قلتُه أو لم أقلْه، فأنا أقوله، وما أتاكم من شرٍّ فإني لا أقول الشرَّ» قال الذهبي: هذا منكر بمرة، وله شاهد رواه يحيي بن آدم عن ابن أبي ذئب عن المقبري». وروى البزار نحوه مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حُدِّثتم عني حديثاً فوافق الحقَّ فأنا قلتُه» قال البزار: ما عرفت أشعث - أحد الرواة - قال الحافظ ابن حجر: قلت: هو معروف بالضعف قال البخاري: منكر الحديث. انظر: مختصر زوائد مسند البزار للحافظ ابن=

ٱلْكَذِبَ﴾ بعد الذي تقدم ذكره تنبيهٌ أن كلا الأمرين منهم كذب ؛ ليُّ الألسنة، وقولهم: هو من عند الله، وإعلام أن ليس كذبهم/ [٢٢٣/ب] مخصوصاً بهذين فقط، بل هم كَذَبة كقولك: فلان تقوَّل عليَّ كذا وهو كاذب، ثم قال: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تشنيعاً عليهم، وأنهم غير معذورين بوجه إذ قد يعذر الإنسان في بعض ما يظنُّه، ومن كذب عامدًا إليه وعالماً به وهو يقصد به استجلاب نفع دنيوي فهو مستحقٌّ للذمّ.

قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(١) البشر

= حجر (١/ ١٢٧)، وكشف الأستار رقم (١٨٨)، ومجمع الزوائد (١/ ١٥٥). وأما الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٦٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٩٧)، (٥/ ٤٢٥)، والبزار كما في كشف الأستار رقم (١٨٧) فسياقه مختلف عن سياق هذا الحديث، وهو من حديث أبي حميد أو أبي أسيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به. وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٥): رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح وحسّن الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة رقم (٧٣٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

يستوي فيه الواحد والجمع لكونه كالخلق[1]. والرباني: قيل: هو منسوب إلى الربَّان، وهو المتخصِّصُ بالعلم الذي يربُّه باستفادته وإفادته، وفعلان أكثر ما يجيء عن فَعِل للمبالغة نحو نعسان. وقال الزجاجَ: الربانيّ منسوب إلى الربّ، لكن زيد فيه ألف ونون للمبالغة في النسبة، كما زيد في: لحياني وجمّاني[2] قال مؤرّج[3]: هو لفظة في الأصل سريانية وأخلِق بذلك فقلّ ما يوجد في

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٣٨)، والمفردات ص (١٢٤).

(٢) الذي في معاني القرآن: «والربانيون: أرباب العلم والبيان. أي كونوا أصحاب علم، وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما قالوا للكبير اللحية: لحياني، ولذي الجمة الوافرة: جماني» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥) وانظر: تفسير أبي السعود (٢/ ٥٢)، والجمة من الإنسان: «مجتمع شعر ناصيته، يقال هي التي تبلغ المنكبين» المصباح المنير ص (٦١) وانظر: المجمل ص (١١٩)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٦٥-٦٦).

(٣) في الأصل زيادة «هو» قبل «مؤرج» ولكن عليها تضبيباً خفيفاً. ومؤرج هو أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة السدوسي النحوي البصري. أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما. وكان الغالب عليه اللغة والشعر، وله عدة تصانيف منها: كتاب الأنواء، وكتاب غريب القرآن، وكتاب جماهير القبائل، وكتاب المعاني، توفي بالبصرة سنة ١٩٥هـ. انظر: الفهرست ص (٧٦)، ووفيات الأعيان (٥/ ٣٠٤)، وإنباه الرواة (٣/ ٣٢٧).

كلامهم القديم[1]، وإلى [ما][2] قدمنا من معناه قال الحسن: معناه: كونوا علماء فقهاء[3]، وقال ابن جبير: حكماء فقهاء[4]، وقال ابن زيد: مدبِّري أمر الناس في الولايـة بالإصـلاح[5]، وقال الزجاج: معلمي الناس[6] وهذا كله ألفاظ مختلفة عن

---

(١) لم أجد من نسب هذا القول للمؤرج وإنما وجدته منسوباً لأبي عبيد، وقد نسب أبو حيان في البحر المحيط للمؤرج أن الرباني هو: «التائب لربه» انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٩)، والمعرب للجواليقي ص (٣٣٠، ٣٣١)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٩، ٥٣٠)، والتاج (٢/ ٤٦٢).

(٢) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٤١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٢) وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (ق ٤١ ـ مخطوط) وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٤٢)، وفيه قال: حكماء أتقياء. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩١) عن سعيد بن جبير، أنه قال: هم الفقهاء المعلمون. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٥)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٣).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٤٣)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨٣) لابن جرير الطبري وحده.

(٦) عبارة الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٣٥): «والربانيون أرباب العلم والبيان».

معنى واحد[1]، بيّن تعالى أنه لن يصطفي علام الغيوب لرسالته من يعلم من حاله أنه يكذب، وأن يأمر الناس أن يعبدوه، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]، وإنما قال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ فذكر باللام لأن قولك: فلان ليس له أن يفعل كذلك. أبلغ من قولك: هو لا يفعل؛ لأن في قولك ليس له أنه ممنوع منه، إما منعاً من خارج كالقهر، وإما من داخل من جهة العقل والتزام الشرع، وقد نبّه تعالى بذلك أن الأنبياء ممنوعون عن ذلك من جهة العقل المسدّد، والحظر[3] الوارد عليهم من قبله تعالى، لا منعاً من جهة عدم التمكن[4]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[5] وأما قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[6] فإنه لما أراد تعالى المبالغة في

---

(١) انظر في معنى الرباني: جامع البيان (٦/ ٥٤٣، ٥٤٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٧٩)، ومجمل اللغة ص (١١٩)، والصحاح (١/ ١٣٠)، والمفردات ص (٣٣٦، ٣٣٧)، والمعرب للجواليقي ص (٣٣٠، ٣٣١)، والنهاية (٢/ ١٨١)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٦٥-٦٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) تكررت كلمة (والحظر) في الأصل مرّتين.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٣٧)، والتفسير الكبير (٨/ ٩٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٨).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٦) سورة مريم، الآية: ٣٥.

النفي أخرج الكلام هذا المخرج، تنبيهاً أن الحكمة تمنع من ذلك، وإن كان منزّهاً عن أن يوصف بمنع على وجه[1]، وقال الجبّائي: ليس قوله: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ على سبيل/ التحريم، [٢٢٤/أ] لأن هذا محرّم على جميع الخلق، قال: ولو كان ذلك تحريماً لم يكن تكذيباً للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح، لأن من ادعى على إنسان قولاً، فقال: فلان لا يحلُّ له كذا. لا يكون مكذّباً لدعواه، قال: وإنما أراد الله بهذا القول تكذيبهم[2]، وما قاله فيه قصور نظر، فإن النصارى أقرُّوا بأن المسيح لم يكن يدعي ما لم يكن له أن يدعي، فإذا أقروا بذلك، وبيّن تعالى أن ليس له ولا لأحد من البشر أن يقول ذلك، كان فيه إلزام واضح، وكأنّه قيل: قد ثبت أن المسيح لم يكن يدعي ما ليس له دعواه، وثبت أنه كان بشراً بما تقدم في هذه السورة وغيرها، ولم يكن لأحد يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله. وإن المسيح قد أوتي الكتاب والنبوة، فإذن محال أن يدعو أحداً إلى

---

(١) وهذا التركيب ـ كما قال أبو حيان ـ معناه الانتفاء، وهو تارة يدل من جهة المعنى على الزجر نحو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٢٠]. وتارة على التعجيز كما في قوله: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ [النمل: ٦٠]، وتارة على التنزيه كهذه الآية. انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧٩).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٧٧).

عبادته، وقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ بالرفع على الاستئناف[1] وبالنصب على العطف[2]، أي لا يجتمع الأمران: إثبات النبوة، وقوله: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[3]، يعني: ولكن يقولوا: كونوا ربانيين، حكماء أولياء لله[4]. فقد قيل: إن لم يكن العلماء أولياء لله فليس لله في الأرض ولي، وقيل: كونوا متخصصين بالله تخصصاً تُنسبون إليه، وتوصفون بعامة أوصافه نحو الجواد والودود والرحيم. وقيل: كونوا من المتخصصين بالله الذين وُصِفوا بقوله: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**»[5]، الخبر[6].

---

(١) قال أبو حيان: «وقرأ الجمهور: ثم يقول بالنصب عطفاً على ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾، وقرأ شبل عن ابن كثير ومحبوب عن أبي عمرو بالرفع على القطع. أي ثم هو يقول. البحر المحيط (٢/ ٥٢٩). وانظر: حجة القراءات ص (١٦٨).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٥٢٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٠)، والكشاف (١/ ٣٧٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٢).

(٥) نسب الراغب هذا القول إلى أبي حنيفة، انظر: محاضرات الأدباء ص (١٢).

(٦) انظر تخريجه ص (٧٦٧، ٩٩٨).

وقيل: كونوا متخصصين بالله غير ملتفتين إلى الوسائط[1] كأبي بكر لما قال حين موت النبي ﷺ، واضطربت أسرار عامة الناس: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»[2]، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ..﴾[3] الآية، وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أي بكونكم عالمين أو معلّمين على حسب القراءتين في تعلمون وتُعلِّمون[4]، ولا تحتاج لفظة ما هاهنا إلى ضمير، كما هو في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[5]، لكونه في

---

(١) قضية التخصيص بالله تتفق مع من قال إن الرباني منسوبٌ إلى الرب بزيادة ألف ونون للمبالغة، والمعنى أنهم متخصصون بعلم الرب، أي يعلمون الشريعة وصفات الرب تعالى. انظر: الوسيط (١/ ٤٥٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٣٩)، والدر المصون (٣/ ٢٧٦) وعمدة الحفاظ (٢/ ٦٥)، وفتح القدير (١/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته ـ رقم (٤٤٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «بما كنتم تَعْلَمون الكتاب» بالتخفيف أي بعلمكم الكتاب. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف «بما كنتم تُعلِّمون» بالتشديد. انظر: حجة القراءات ص (١٦٧)، والمبسوط ص (١٤٥)، والتلخيص ص (٢٣٤)، والغاية ص (٢١٥)، والنشر (٢/ ٢٤٠).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

تقدير أن[1]، ومعنى ﴿تَعْلَمُون الكتابَ﴾ أي تعرفونه[2] كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾[3]، وإذا قرئ تُعَلِّمُون فمعناه تعلمون الناس الكتاب[4]، وقوله: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ مما يصح/ أن [٢٢٤/ب] يوصف به العلم والمعلم، ومعنى ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أي كونوا معلمي

---

(١) قال السمين الحلبي: «و «ما» مصدرية، وظاهر كلام الشيخ أنه يجوز أن تكون غير ذلك، فإنه قال: «وما الظاهر أنها مصدرية» فهذا يجوِّز غير ذلك. وجوازه فيه بعد وهو أن تكون موصولة، وحينئذٍ تحتاج إلى عائد وهو مقدَّر، أي بسبب الذي تعلّمون به الكتاب، وقد نقص شرطٌ وهو اتحاد المتعلق، فلذلك لم يظهر جعلها غير مصدرية. الدر المصون (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٥٣٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٤) قال ابن زنجلة: تعلّمون بالتشديد من قولك: علَّمت زيداً الكتاب أُعلِّمه تعليماً. والمعنى: تعلّمون الناس الكتاب. وحجتهم أن (تعلّمون) أبلغ في المدح من (تَعْلَمون)، لأن المعلِّم لا يكون معلماً حتى يكون عالماً بما يعلّمه الناس قبل تعليمه، وربما كان عالماً ليس بمعلم، وقد روي عن مجاهد أنه قال: «ما عَلّموه حتى عَلِمُوه». حجة القراءات ص (١٦٧، ١٦٨). وانظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٥)، والدر المصون (٣/ ٢٧٧).

الخير بما علمتم، أو كونوا حكماء علماء عاملين بما علمتم، فإن الحكيم في الحقيقة من عمل بما علم، وكان محكماً لعمله إحكامه لعلمه. وإذا قرئ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمون﴾ فمعناه كونوا عاملين بما تعلِّمون غيركم[1] إشارة إلى فحوى قوله: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قرئ مرفوعاً على الاستئناف، ومنصوباً[4] على ردِّه إلى قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾. وفي قراءة عبدالله: ولن يأمركم[5]، وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

---

(١) انظر أقوال المفسرين في ذلك في: جامع البيان (٦/ ٥٤٥، ٥٤٦)، والوسيط (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٣٩، ١٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي وعاصم برواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر: «ولا يأمرُكم» بالرفع. وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وخلف وعاصم برواية حفص وحماد ويحيى عن أبي بكر «ولا يأمرَكم» بالنصب. المبسوط ص (١٤٥، ١٤٦)، وانظر: حجة القراءات ص (١٦٨)، والتلخيص ص (٢٣٤)، والغاية ص (٢١٥)، والنشر (٢/ ٢٤٠).

(٥) في الأصل: ولا أن يأمركم. ولكن اتفقت كتب التفسير على أن قراءة=

أي بعد أن كنتم على دين إبراهيم، أو بعد أن تبعتم النبي فيما دعاكم إليه، وهذا كلام يقتضي قياساً بيانه: النبي لا يأمر المسلمين بالكفر، وهذه[1] مقدمة دلّ عليها قوله: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾، لأن هذا الإنكار يقتضي أبلغ نفي والأمر باتخاذ النبيين والملائكة أرباباً أمرٌ[2] بالكفر، فإذن لا يكون ذلك من الأنبياء[3].

= عبدالله بن مسعود (ولن يأمركم)، وأنكر الطبري، وورود ذلك عن ابن مسعود، وقال: إنه خبر غير صحيح سنده. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤١)، والكشاف (١/ ٣٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣١) وهذه القراءة ـ إن ثبتت ـ تؤيد قراءة من قرأ الآية بالرفع على الاستئناف، قال ابن جرير: واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها، وهي (ولن يأمركم) فاستدلوا بدخول «لن» على انقطاع الكلام عما قبله، وابتداء خبر مستأنف. قالوا: فلما صيرّ مكان «لن» في قراءتنا «لا» وجبت قراءته بالرفع. جامع البيان (٦/ ٥٤٧) وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٤). ورجح الطبري القراءة بالنصب، والصواب من ذلك ما قاله أبو حيان في الآية التي قبلها، قال: «وتكلموا في ترجيح أحد القراءتين على الأخرى، وقد تقدم أني لا أرى شيئاً من هذه التراجيح، لأنها كلها منقولة متواترة قرآناً، فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى» البحر المحيط (٢/ ٥٣٠).

(١) في الأصل: (وهذا) والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: (أمراً) والصواب الرفع.

(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٤٩)، والكشاف (١/ ٣٧٨)، والجامع لأحكام=

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1] قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ إذا قرئ بالفتح[2] فلفظة ما تحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون موصولاً وتقديره: ما أتيتكموه، كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[3] أي بعثه الله، والراجع إليه من قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾[4] أحد شيئين: إما محذوف، أي جاءكم رسول به[5] وإما لأن قوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ هو في المعنى: الكتاب

= القرآن (٤/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٦)، وفتح القدير (١/ ٣٩٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) قرأ حمزة وحده (لما آتيتكم) وقرأ الباقون بفتح اللام، وكلهم خففوا الميم. المبسوط ص (١٤٦) وانظر: حجة القراءات ص (١٦٨)، والنشر (٢/ ٢٤١).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٥) قال السمين الحلبي: وقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ عطف على الصلة، وحينئذٍ فلابد من رابط يربط هذه الجملة بما قبلها، فإن المعطوف على الصلة صلة. واختلفوا في ذلك، فذهب بعضهم إلى أنه محذوف =

فاستغنى به عن الضمير، كقولك: الذي أتاني لا أضرب عمراً. إذا كان عمرو هو الذي أتاه، وهذا أجازه الأخفش[1]، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] أي لا يضيع أجرهم، وجاز ذلك لما كان من يتقي ويصبر هم المحسنون. والوجه الثاني[3]: أن تكون ما للجزاء وتكون مفعولاً من ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾، و ﴿جَآءَكُمْ﴾ في موضع الجزم معطوف عليه، واللام الداخلة على (ما) هي الموطئة للقسم،

= تقديره: «ثم جاءكم رسول به» فحذف «به» لطول الكلام، ولدلالة المعنى عليه، وهذا لا يجوز، لأنه متى جرّ العائد لم يحذف إلا بشروط تقدمت هي مفقودة هنا. الدر المصون (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(١) في معاني القرآن (١/ ٤١٣) والأخفش هو: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي بالولاء، أبو الحسن النحوي اللغوي، تتلمذ على سيبويه والخليل ابن أحمد، وله تصانيف منها «معاني القرآن» والأوسط» و«كتاب المقاييس في النحو» و«كتاب تفسير معاني القرآن»، مات سنة ٢١١هـ، بعد الفراء، وقيل: سنة ٢١٥هـ. انظر: الفهرست ص (٨٢، ٨٣)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٨٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٨)، وبغية الوعاة (٥٩٠، ٥٩١).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٣) ذكر الوجهين الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٦، ٤٣٧) وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٥)، وجامع البيان (٦/ ٥٥٠- ٥٥٢)، وحجة القراءات ص (١٦٨، ١٦٩)، والدر المصون (٣/ ٢٨٤).

والتي في/ ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ للقسم كاللامين في قوله تعالى: [٢٢٥/أ]
﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ ﴾[١]، وعلى هذا حمل سيبويه الآية[٢]، وقال: وسألته - يعني الخليل[٣] - عن قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ ﴾ فقال ما هاهنا بمنزلة الذي، ودخلتها اللام كما دخلت على إنْ حين قلت: لئن فعلت لأفعلن[٤]. وعنى بقوله: إن ما بمنزلة الذي، أنه اسم لا حرف، كما هو حرف في قوله: ﴿ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٥]، ولم يرد أنها موصولة كالذي[٦]، وإنما لم يجعله كالذي لعدم الضمير الراجع إليه في قوله: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٦.

(٢) انظر: كتاب سيبويه (٣/ ١٠٧، ١٠٨).

(٣) هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي اللغوي، واضع علم العروض وأستاذ سيبويه، كان من الزهاد في الدنيا المنقطعين إلى العلم، حدّث عن عاصم الأحول وغيره، وكان شاعراً مقلّاً. من مؤلفاته: «كتاب العين» «كتاب النغم» «كتاب العروض» «كتاب الشواهد» «كتاب الإيقاع». توفي بالبصرة سنة ١٧٠هـ وعمره أربع وسبعون سنة. انظر: الفهرست ص (٦٧)، ووفيات الأعيان (١/ ١٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩)، ومعجم المؤلفين (٤/ ١١٢).

(٤) كتاب سيبويه (٣/ ١٠٧).

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٣٥.

(٦) ذكر السمين الحلبي هذا الكلام عن أبي علي الفارسي. قال: «قال أبو علي: لم يرد الخليل إنها بمنزلة (الذي) كونها موصولة، بل أنها اسم كما أن (الذي) اسم. الدر المصون (٣/ ٢٨٦، ٢٨٧).

﴿رَسُولٌ﴾ فإن قيل: فمن جعل ما موصولاً في قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ وجب أن يكون ابتداء، فما خبره؟ قيل: خبره ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ راجع إلى ما، وفي قوله: ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ إلى الرسول، ولا يجوز أن يرجع في قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ إلى الرسول أيضاً، لأنه يبقى المبتدأ بلا عائد إليه، فأما من جعل ما جرًّا فلا يحتاج إلى ضمير، لأنه حينئذٍ مفعول، والمفعول لا يحتاج إلى ضمير يرجع إليه[١]، وأما من قرأ لِما أتيتكم بالكسر فمعناه: أخذ الله الميثاق منهم لأجل الذي آتيتكم، و ما لا تكون هاهنا إلا موصولة، والكلام في رجوع الضمير إليه قد تقدم[٢] وقُرئ لَمّا آتيتكم[٣] أي أخذ الله ميثاق

---

(١) وأجاز الأخفش في إعراب الآية وجهاً آخر، وهو أن تكون (من) زائدة، و(كتاب وحكمة) خبر المبتدأ (ما)، انظر: معاني القرآن له (١/ ٤١٣)، وانظر إعراب هذه الآية في: المقتضب (٢/ ٣٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٦، ٤٣٧)، والأصول لابن السراج (٣/ ٢٧٠)، وإعراب القرآن (١/ ٣٩٢)، والحجة لأبي علي (٢/ ٢٧٤-٤٧٨)، والمحتسب (١/ ١٦٤، ١٦٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٥-١٦٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٢، ٥٣٣).

(٣) قال أبو حيان: وقرأ سعيد بن جبير والحسن (لَمّا) بتشديد الميم. البحر المحيط (٢/ ٥٣٢)، وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٧) والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٦)، والدر المصون (٣/ ٢٩٠).

النبيين حين آتيتكم الكتاب، ثم جاءكم رسول، ولما ذُكر حكى لفظ الميثاق المأخوذ عليهم [في][1] قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. واختلف فيمن أخذ عليه الميثاق، فقال بعضهم: أخذ من الذين منهم الأنبياء، وتقدير الكلام أخذ الله ميثاق أمم النبيين[2]، ورُوي أن الربيع قرأ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب. وقال: هكذا أنزل وأخطأ الكاتب، ألا ترى أنه قال: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾[3]،

---

(١) في الأصل (وقوله)، والصواب ما أثبته.

(٢) وهو قول مجاهد والربيع، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٣، ٥٥٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٢)، والكشاف (١/ ٣٧٩) وأنوار التنزيل (١/ ١٦٧).

(٣) أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٥٤) بسنده إلى الربيع أنه كان يقرؤها (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) قال: وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب. أما الذي روي عنه أنه خطأ الكاتب فهو مجاهد رحمه الله، فقد قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٥٣). ولم يعن مجاهد رحمه الله ـ كما ذكر الشيخ محمود شاكر في حاشيته على الطبري ـ بقوله: أخطأ الكاتب أنه وضع ذلك من عند نفسه، لأن حدوث ذلك ممتنع، فكتاب الله عز وجل منقول إلينا بالتواتر جيلًا عن جيل، فهو محفوظ في الصدور قبل أن يكتب في المصاحف. وإنما أراد مجاهد رحمه الله أن الكاتب كتب القراءة التي كانت=

وحُكي أنه هكذا في قراءة ابن مسعود[1]، وقال بعضهم: أخذ ميثاق النبيين أن يُبشِّر المتقدِّم بالمتأخر، ويُصدِّق المتأخرُ

= قبل العرضة الأخيرة، وترك قراءة ابن مسعود وهي القراءة التي كانت في العرضة الأخيرة. ولا يشك الباحث المنصف في خطأ كلام مجاهد والربيع رحمهما الله، إذ لا يجوز التشكيك في كتبة الوحي لأجل ما لا يتعدى كونه اجتهاداً من بعض المفسرين، ولذلك فإن أغلب المفسرين قد أعرضوا عن هذا القول ولم يثبتوه في كتبهم، بل إنهم تركوه ولم يشيروا إليه. وقد ردّ قول مجاهد والربيع بعض أئمة التفسير منهم ابن جرير الطبري حيث قال: «ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء، لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين، فسواء قال قائل «لم يأخذ ذلك منها ربُّها» أو قال: «لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت» وقد نصَّ الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه، » لأنهما جميعاً خبران من الله عنها: أحدهما: أنه أخذ منها والآخر منهما أنه أمرها بتبليغه، فإذا جاز الشك في أحدهما جاز في الآخر»اهـ. وابن جرير الطبري رحمه الله يبين بذلك أن هذا القول مع كونه خطأ فإنه يفتح الباب لكلّ مشكك ومرتاب، ليتكلم في كتاب الله عز وجل بغير علم، لأنه إذا جاز التشكيك في أي قضية من قضايا الوحي الثابتة جاز التشكيك في غيرها من قضاياه. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٧)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٤٢)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٢).

(١) ورد ذلك في كلام مجاهد السابق. جامع البيان (٦/ ٥٥٣) وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤٢).

المتقدم[1]، وأن يخبروا كلهم بكون محمد خاتم النبيين، قال السدي: ما بُعث نبي من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه لتؤمنن بمحمد إن خرج وهو حي[2]، وفي هذا تنبيه أن كل زمان بالشريعة التي خصه الله بها أولى، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لو كان موسى حيًّا لما وسعه إلا اتباعي**»[3]، والصحيح أن العهد مأخوذ من الفريقين من الرسل والمرسل إليهم، لكن خصَّ الأنبياء بالذكر لكونهم [٢٢٥/ب] الرؤوس/ وكون الأمة تبعاً لهم، وكذلك خصَّ النبي في كثير من المخاطبة التي تشاركه فيها أمته نحو ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾[4]،

(١) وهذا قول ابن عباس وعلي بن أبي طالب وقتادة وطاوس والسدي والحسن. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٥-٥٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦، ٣٣٧)، وزاد المسير (١/ ٤١٤، ٤١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٧)، والدر المنثور (٢/ ٨٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨٤)، وعزاه إليهما.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٨٧)، وعبدالرزاق في المصنف (٦/ ١١٣)، (١١/ ٣١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٩/ ٤٧)، والدارمي (١/ ١١٥)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله رقم (١٤٩٧)، وحسنه الشيخ الألباني لطرقه في «الإرواء» رقم (١٥٨٩).

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.

ولأنه إذا أخذ الميثاق على الأنبياء فقد أخذ على أممهم لمشاركتهم أنبياءهم في عامة ما شرع لهم[1]، وأما كيفية أخذ هذا العهد، فقد قيل: كان ذلك بقول وأمرٍ من الله للأنبياء بأن يخبروا قومهم بذلك، وقد قيل: إن ذلك بما ضمنّه عقولهم أن الحق حيث ما وجد يجب أن يتبع، ولما أخبر الله تعالى في الآية المتقدمة أن ليس لأحد ما ادعاه من قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾[2] ذكر هاهنا أنه تعالى لم يخلِ الأنبياء مع كونهم مأمونين على الغيب من أخذ ميثاقهم بمظاهرة البعض البعض، وقوله: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾ قيل معناه اعلموا، فإن الشهادة وقت التحمل هو العلم، ووقت الإقامة هو الإخبار[3]، وقوله[4]: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ على حد ما تقدم في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾[5].

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٥٦)، والوسيط (١/ ٤٥٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٣٦، ٣٣٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٢)، والكشاف (١/ ٣٧٩)، المحرر الوجيز (٣/ ١٤٢، ١٤٣)، والتفسير الكبير (٨/ ١٠١)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٣) انظر معنى «فاشهدوا» في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٦).

(٤) تكررت في الأصل كلمة: (وقوله).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

قوله عز وجل: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]
لما كان الفسق هو الخروج عن أمر الله وطاعته، وكان بين أدنى منزلة وبين أقصاها بون بعيد صار له منازل كثيرة، فيطلق تارة على الذنب الصغير، نحو قوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾[2]، وتارة على الكفر والشرك، نحو ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾[3]، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾[4]، وعلى هذا استعمال الفاسقين هاهنا[5]، ودخول الفاء في قوله فأولئك لتضمن مَن معنى الشرط[6].

قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[7] حمل ﴿أَسْلَمَ﴾ على الاستسلام وعلى الاعتقاد والإقرار باللسان،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٣) سورة السجدة، الآية: ١٨.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٠.
(٥) انظر معنى الفسق في: المفردات ص (٦٣٦)، والقاموس ص (١١٨٥)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ١٩٢، ١٩٣).
(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٢)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٦)، والدر المصون (٣/ ٢٩٥).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

والتزام الأحكام[1]، وقيل في ذلك أقوال: **الأول**: له أسلم من في السمٰوات طوعاً، وهو أن علّمهم بوحدانية الله وصفاته ضرورة لا استدلال، وعامّة أهل الأرض كرهاً بمعنى أن الحجة أكرهتهم وألجأتهم[2] كقولك: الدلالة أكرهتني على القول بهذه المسائل، وليس هذا من الكره المذموم. **الثاني**: أسلم المؤمنون له طوعاً، والكافرون كرهاً[3]، إذ لم يقدروا على أن يمتنعوا/ عليه مما [٢٢٦/أ] يريده بهم، ويقضيه عليهم. **الثالث**: عن قتادة: أسلم المؤمنون له طوعاً في حال الصحة والأمن، والكافرون كرهاً عند الموت[4]،

---

(١) انظر معنى الإسلام في: جامع البيان (٦/ ٤٨٩، ٥٦٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والمفردات ص (٤٢٣). والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

(٢) هذا القول ينسب للحسن ومطر الوراق. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٣).

(٣) وهذا قول مجاهد. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٧)، وزاد المسير (١/ ٤١٧) ونسبه إلى ابن عباس أيضاً، والمحرر الوجيز (١/ ١٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٧) والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٧)، والوسيط (١/ ٤٥٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٣)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

حيث قال: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[1]، **الرابع**: عنى بالكره من قوتل، وأُلجئ إلى أن يؤمن[2]. **الخامس**: عن أبي العالية ومجاهد أنّ كلًّا أقرَّ بخلقه إياهم، وإن أشركوا معه[3]، لقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[4]. **السادس**: عن ابن عباس: أسلموا بأحوالهم الناطقة عنهم، وذلك في الذَّرْء الأول[5]، حين قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[6]

---

(١) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٢) وهذا القول ينسب إلى الحسن ومطر الوراق أيضاً. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤٩)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٦٥) بسنده عن أبي العالية ومجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٦، ٦٩٧) بسنده عن أبي العالية، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٧) وعزاه إلى مجاهد، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٧)، وقال: هذا قول أبي العالية، ورواه منصور عن مجاهد.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

(٥) **الذرء الأول**: الخلق الأول، وذلك حين أخذ عليهم الميثاق. انظر: مجمل اللغة ص (٢٦٧) والنهاية (٢/ ١٥٦)، والمعجم الوسيط ص (٣٠٩).

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢. والأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٦٥) بسنده عن ابن عباس. وانظر: النكت والعيون=

وقيل: معنى ذلك دلائلهم التي فطروا عليها، التي هي العقل والتمييز المقتضيان لإسلامهم طوعاً أو كرهاً[1]، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩﴾[2]. السابع: عن بعض الصوفية أن من أسلم طوعاً هو من طالع المثيب والمعاقب دون الثواب والعقاب، فأسلم رغبة ورهبة[3]، ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[4] وفي هذه الآية حجة بينة أن طاعة الله هي التي يجب أن تكون المبتغى والمطلوب،

= (١/ ٤٠٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٤٨)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٨)، وفتح القدير (١/ ٣٩٨).

(١) نقل أبو حيان نحواً من هذا القول، ونسبه لابن كيسان، قال: «المعنى: وله خضع من في السموات والأرض، فيما صورهم فيه ودبّرهم عليه، وما يحدث فيهم، فهم لا يمتنعون عليه كرهوا ذلك أو أحبوه، رضوا بذلك أو سخطوه» قال: وهذا معنى قول الزجاج: إن الإسلام هنا: الخضوع لنفوذ أمره في جبلتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع مما جبل عليه ولا أن يغيره. البحر المحيط (٢/ ٥٣٨). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، وذكر القرطبي نحواً من هذا القول أيضاً في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٧).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٣) انظر أقوال الصوفية على الآية في: تفسير ابن عربي (١/ ١١٨)، ولطائف الإشارات (١/ ٢٦٧)، وروح المعاني (٣/ ٢١٤).

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٥.

لأن كل ما سواه مما يتقرب إليه، فقد أسلم لله طوعاً أو كرهاً.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(١) قد تقدم القول في ذلك في سورة البقرة(٢) إلا أنه يقال: كيف قال هاهنا: ﴿قُلْ﴾ وهناك: ﴿قُولُوٓا۟﴾، وذكر هاهنا ﴿عَلَيْنَا﴾ وثَمَّ ﴿إِلَيْنَا﴾، وذكر هناك ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾، وترك ما أوتى هاهنا؟ والجواب: أن ﴿قُلْ﴾ هاهنا خطابٌ للنبي ﷺ بأن يعتقد ذلك ويبلّغ قومه، وهناك خطاب للأمة أن يعتقدوا وليس يأمرهم أن يبلغوا، وإنما قال هاهنا ﴿عَلَىٰٓ﴾ لأن ذلك لما كان خطاباً للنبي ﷺ، وكان واصلًا إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشرية، كان لفظ على المختص بالعلوّ أولى به، وهناك لما كان خطاباً للأمة، وقد وصل إليهم بوساطة النبي ﷺ كان لفظ إلى المختص بالإيصال/ أولى، ويجوز أن يقال: أُنزل عليه إنما يُحمل [٢٢٦/ب]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

(٢) في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وانظر: كلام الراغب عليها في تفسيره (ق١٠٠ ـ مخطوط).

على ما أُمر المنزَّلُ عليه أن يبلّغ غيره، وأُنزل إليه على ما خُصّ به في نفسه، وإليه نهاية الإنزال وعلى ذلك قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[2] فخُصّ بإلى هاهنا لما كان مخصوصاً بالذكر الذي هو بيانُ المنزل، وهذا كلام [في الأولى][3] لا في الوجوب[4]، وأما إعادة لفظ ما أوتي هناك فلأنه لما كان لفظ الخطاب عاماً، ومن حُكْم خطاب العامة البسط دون الإيجاز بسط اللفظ، ولما كان الخطاب هاهنا خاصًّا للنبي ﷺ على ما قدمنا اكتفى فيه بالإيجاز[5]، وإن قيل: إذا كان ذلك أمراً للنبي ﷺ أن يقوله، فكيف قال: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾؟ قيل: إنما ذكر ذلك تنبيهاً أن أمته غير منفردين عنه في هذا الاعتقاد، وغير مكروه لهم أن يبلّغوا ذلك تبليغ النبيِّ ﷺ. فكيف فسح لهم التبجح بذلك مع كون التبجح مذموماً؟ قيل: التبجح هو إظهار الإنسان

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) ساقط من الأصل، واستدركته من نقل أبي حيان لكلام الراغب في البحر المحيط (٢/ ٥٣٩).

(٤) نقل أبو حيان هذه الفقرة بتمامها في البحر المحيط (٢/ ٥٣٩)، ونسبها للراغب.

(٥) نقل أبو حيان هذه الفقرة كذلك في البحر المحيط (٢/ ٥٣٩).

ما يتطلب به رفعةً عند الناس، وليس هذا من ذلك، بل هو إظهار التحمد المندوب إليه بقوله ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1]، وإظهار مباينة الكفار بالاعترافِ بالإسلام، وقصد أن الاستسلام في الإيمان بهم هو في الحقيقة لله تعالى لا لغيره[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] في الآية قولان: أحدهما: أن الإسلام هاهنا الاستسلام إلى الله، وتفويض الأمر إليه، وذلك أمر مراد من الناس في كل زمان ومن كل أمة وفي كل شريعة[4]، وقد

---

(١) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٢) قال الواحدي: «في هذه الآية إنكارٌ على الكفار من اليهود والنصارى فيما ذهبوا إليه من الإيمان ببعض النبيين دون بعض، وأمرٌ للنبي ﷺ وأمته أن يقولوا: آمنا بالله وبجميع الرسل، وما أنزل عليهم، لا نفرق بين جميعهم في الإيمان بهم كما فعلت اليهود والنصارى» الوسيط (١/ ٤٥٩).
وانظر كلام المفسرين على هذه الآية، وعلى الفرق بينها وبين آية البقرة في: جامع البيان (٦/ ٥٦٩، ٥٧٠)، والكشاف (١/ ٣٨٠، ٣٨١)، والتفسير الكبير (٨/ ١٠٨-١١٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٦٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٤، ٥٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) انظر هذا القول في: الكشاف (١/ ٣٨١)، والبحر المحيط (٢/ ٥٣٩، =

تقدم أن الدين في اللغة الطاعة[1] وفي التعارف: وضع إلهي ينساق به الناس إلى النعيم الدائم[2]، فبيّن تعالى أن من تحرى طاعة وانسياقاً إلى النعيم من غير الاستسلام له على ما يأمره به، ويصرفه فيه فلن يقبل منه شيء من أعماله، وهو في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم. والثاني: أن المراد بالإسلام شريعة محمد عليه الصلاة والسلام[3]، فبيّن أن من تحرى بعد بعثته شريعة أو طاعة لله من غير متابعته في شريعته فغير مقبول منه، وهذا الوجه داخل في الأول، فمعلوم أن/ من الاستسلام الانقياد لأوامر من [٢٢٧/أ] صحّت نبوته وظهر صدقه.

قوله عز وجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

= ٥٤٠)، أنوار التنزيل (١/ ١٦٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٥).

(١) والدين في اللغة أيضاً: الجزاء والحساب والطاعة والمعصية والعز والذل والعادة. انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٣) وجامع البيان (١/ ١٥٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧)، والنهاية (٢/ ١٤٨، ١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ١٤٣-١٤٥) والقاموس ص (١٥٤٦).

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق ٤ ـ مخطوط).

(٣) ويروى هذا القول عن عكرمة انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٠، ٥٧١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٠).

﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1] هذه الآية واللتان بعدها، قيل: نزلت في رجل ارتد، ثم أرسل إلى قومه: اسألوا[2] النبي ﷺ: هل لي من توبة؟ فأنزل الله تعالى ذلك، فعاد إلى الإسلام وحسن إسلامه[3]، وقيل: نزلت في اليهود، الذين اعترفوا بنبوة محمد ﷺ قبل بعثته، ثم أنكروه بعدها[4]، فعلى هذا قوله: ﴿كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ أي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٢) في الأصل: سألوا، والصواب ما أثبته.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٤٧)، والنسائي (٧/ ١٠٧) كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد، رقم (٤٠٦٨)، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/ ٥٧٢، ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٠٠)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٤٧٧) كلهم من حديث ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأورده الواحدي في أسباب النزول ص (١١٤)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٤)، وزاد المسير (١/ ٤١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٩).

(٤) وهو قول الحسن ورواية عن ابن عباس أنها في أهل الكتاب، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٤، ٥٧٥) ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٣٩) والنكت والعيون (١/ ٤٠٨)، والكشاف (١/ ٣٨١)، وزاد المسير (١/ ٤١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٩)، وذكر أن الحسن قال: نزلت في اليهود. وأشار الطبري رحمه الله إلى قاعدة مهمة يمكن تطبيقها على كثير من الآيات التي اختلف المفسرون في أسباب نزولها، وهي إمكانية تعدد=

جحدوا بعد معرفتهم، لا أنهم ارتدوا بعد دخولهم في الإسلام، وقد تقدّم[1] أن الهداية من الله على أضرب: الهداية التي عمَّ بها[2] كل مكلّف، وهو إعطاؤه العقل المميّز بين الخير والشر وبين الصدق والكذب، وهي المعني بقوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[3]. والثاني: زيادة الهدى التي تأتي بقدر استعمال الأول المعنيّ بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ

= الأسباب التي نزلت من أجلها الآية، فقال رحمه الله: «وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن من أن هذه الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب على ما قال، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن. وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمدٍ ﷺ في هذه الآيات. ثم عرف عباده سنته فيهم، فيكون داخلًا في ذلك كل من كان مؤمناً بمحمد ﷺ قبل أن يبعث ثم كفر به بعد أن بُعث، وكل من كان كافراً ثم أسلم على عهده ﷺ، ثم ارتد وهو حي عن إسلامه، فيكون معنيًّا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله»اهـ. جامع البيان (٦/ ٥٧٥، ٥٧٦).

(١) انظر: تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (ق ٥، ٦ ـ مخطوط).

(٢) في الأصل: (بهل) والصواب ما أثبته.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٧.

هُدًى﴾[1] . **والثالث**: التزكية لأعمالهم أو توفيقه في أحوالهم، وهو المعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾[2] ، **والرابع**: إدخال الجنّة المعني بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ * سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ * وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾[3] والله تعالى لا يؤتي هؤلاء[4] شيئاً من ذلك[5] ، أما الثاني والثالث والرابع فلأنهم لا يستحقونه إذ لم يهتدوا بالأول. وأما الأول فلأنهم قد أتاهم ما أمكنهم الاهتداء به، ومن أُوتي من الهداية ما فيه من الكفاية فلم يهتد به،

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩.

(٣) سورة محمد، الآيات: ٤، ٥، ٦.

(٤) أي الذين كفروا بعد إيمانهم.

(٥) ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ مراتب الهداية فقال: «فأما مراتب الهدى فأربعة: إحداها: الهدى العام، وهو هداية كلّ نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه. المرتبة الثانية: الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهذا خاص بالمكلفين، وهذه المرتبة أخصُّ من المرتبة الأولى وأعمُّ من الثالثة. المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدى وإرادته، والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل. المرتبة الرابعة: الهداية ليوم المعاد إلى طريق الجنة والنار». شفاء العليل ص (٦٥).
وقد استفاد ابن القيم في هذا التقسيم من كلام الراغب عن الهداية ومراتبها في المفردات ص ٨٣٥.

فالزيادة لا تغني ما لم تكن على سبيل القهر المنافي للتكليف، ولذلك قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾[1] الآية، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تنبيهاً أن الهداية من الله، والظلم من العبد، يتنافيان ولا يجتمعان، فإن الظلم ترك الاهتداء، ومن يُهدى ويترك الاهتداء عناداً لا سبيل إلى هدايته إلا قهراً، وعلى هذا قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾[2] [٢٢٧/ب] **إن قيل**[3]: / كيف نفى عن الكافر الهداية في هذه المواضع، وأثبت له في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[4] **قيل**: المثبت لهم هاهنا هو العقل والتمييز دون الأخرى، التي لا تحصل إلا بعد الاهتداء[5] بهذا، وهذه تارة تُثبت للكافر إذا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٨.

(٣) تكررت كلمة: (قيل) في الأصل.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٥) فالهداية المثبتة هنا هي هداية الإرشاد والبيان للمكلفين، قال ابن القيم: «وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق، وإن كانت شرطاً فيه أو جزء سبب، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبب، بل قد يتخلَّف عنه المقتضي؛ إما لعدم كمال السبب أو لوجود مانع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وقال: ﴿وَمَا=

أريد أنه مطبوع عليها ومعرض لاستعماله إياها، وتارة تُنفى عنه، بمعنى أنه لم يستعملها، ولم يحصل قبوله على ما يحب، فكأنه في حكم ما لم يُعط. وقوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فهو على لفظ الاستقبال، ومعناه لا يفعل به ذلك ثانياً، إذ قد أتاه ما فيه الكفاية[1]، ولفظ كيف وإن كان استفهاماً، فالقصد به

= كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه بعد أن أراهموه، وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها، فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه» ثم قال رحمه الله: «وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ونفى عنه ملك الهداية الموجبة وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ . . .» «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» ص (٧٩، ٨٠).
وكلام ابن القيم هنا تلخيص لكلام الراغب عن الهداية في المفردات ص ٨٣٥.

(١) أورد القرطبي على ذلك تساؤلاً فقال: يقال: ظاهر الآية أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله، ومن كان ظالماً لا يهديه الله، وقد رأينا كثيراً من المرتدين قد أسلموا وهداهم الله، وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم. قيل له: معناه: لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم، ولا يُقبِلُون على الإسلام، فأما إذا أسلموا وتابوا، فقد وفقهم الله لذلك. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٩، ١٣٠).

النفي هاهنا[1]، وعلى هذا قول الشاعر:

.... ألا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بدائم[2]

فأدخل الباء في خبر هل لما أراد معنى ليس، إن قيل: على ماذا عطف قوله: ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ فإن ظاهره من حيث المعنى أنه معطوف على قوله ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾، لا يصح عطف الفعل على الاسم، ولا يصح أن يكون معطوفا[3] على قوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ﴾، لأنه لم يرد كيف يهدي الله قوماً هكذا وكيف شهدوا أن الرسول حق؟ قيل: في ذلك وجهان: أحدهما: أن يكون تقديره بعد إيمانهم وإن شهدوا، فيكون أن مقدراً[4]، كما هو في قول الشاعر:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٢٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٠٠).

(٢) هذا عجز بيت للفرزدق وتمامه:

تقول إذا أقلولي عليها وأقردت ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم

انظر: ديوانه ص (٢/ ٨٦٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٦٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ٣٦٤)، و(٩/ ٢٦، ٢٧٩)، والمنصف (٣/ ٦٧، ٢٢٥)، والتخمير (١/ ٢٩١)، واللسان (١٥/ ٢٠٠)، والمغني ص (٤٥٩)، والمساعد (١/ ٢٨٧).

(٣) من قوله: «على قوله بعد إيمانهم» إلى هنا تكرر في الأصل.

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٣٨١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٢)، وإملاء ما منّ=

للبس عباءةٍ وتقرّ عيني[1] ....

إلا أن إضمار أن في البيت أظهر لانتصاب تقر، والثاني: أن يكون ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ في موضع الحال. أي وقد شهدوا[2]، نحو قوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾[3] وقول الشاعر:

تقول وصكَّت نحرها بيمينها[4] ....

وقوله: ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ﴾ أي أنه سيبعث، وأنه منتظر[5].

= به الرحمن (١/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٠٢).

(١) هذا صدر بيت لميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية، وتمام البيت:

لَلبس عباءة وتقرّ عيني   أحبّ إليّ من لبس الشفوف

وهو في الكتاب (٣/ ٤٥)، والمقتضب (٢/ ٢٧)، والمحتسب (١/ ٣٢٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤١٨)، و(٣/ ٣٢٧)، والمغني ص (٣٥٢، ٣٧٣، ٤٧٢، ٦٢٣، ٧١٥).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٨٢)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٠١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٠.

(٤) هذا صدر بيت للهذلول بن كعب العنبري، وتمامه:

....   أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

انظر: الحماسة لأبي تمام (١/ ٣٥٣).

(٥) هذا التفسير على القول بأن الآية نزلت في اليهود، أما على القول بأنها نزلت في النفر الذين ارتدوا، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي=

قوله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾(١) قد تقدّم الكلام في ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾(٢) إلا أنه بتَّ الحكم، ثَمَّ قال: ﴿ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ﴾ لِمَا كان ذلك حكماً على قوم ماتوا على الكفر، وقال هاهنا: ﴿ جَزَآؤُهُمۡ ﴾ لما كان حكماً على قوم باقين يرجى صلاحهم تنبيهاً على تضمُّن معنى الشرط، لأن ذلك لهم إن ماتوا على الكفر(٣).

[٢٢٨/أ] قوله عز وجل: / ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾(٤) إن قيل: لِمَ اقتصر هاهنا على التوبة والإصلاح، وقال في البقرة: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾(٥) أن

= ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ أي قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول، ووضَحَ لهم الأمر، ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٩).

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦١. وانظر: تفسير الراغب (ق ١١٢ ـ مخطوط).

(٣) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٤١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٠. وقد اكتفى الراغب بذكر أوّل الآية وموضع الشاهد فيها قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾.

يُعَفِّي[1] المذنب ما تقدّم من ذنبه بما يُوفَّى عليه من أفعاله الخير، وكان من ذنب الأحبار الذين ذكرهم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[2]، أن قالوا للناس: ليس في التوراة ما يدل على نبوة محمد، فصار من تمام توبتهم أن يبينوا للناس ما كتموه[3]، ولما لم يكن في الموضعين ها هنا ذلك اقتصر في توبتهم على الإصلاح. وإنما أتبع التوبة في

---

(١) يعفي: أي يمحو ويطمس. انظر: لسان العرب (١٥/ ٧٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٣) أشار ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى وجوب البيان على من كانت توبته من جهة الاعتقادات الفاسدة، فقال: «فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة بمحض اتباع السنة، ولا يكتفي منهم بذلك أيضاً حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة، وإذ التوبة من ذنب هي بفعل ضده، ولهذا شرط الله تعالى في توبة الكاتمين ما أنزل الله من البينات والهدى البيان، لأن ذنبهم لما كان بالكتمان، كانت توبتهم منه بالبيان. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]. وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم، لأن ذاك كتم الحق، وهذا كتمه ودعا إلى خلافه، فكل مبتدع كاتم ولا ينعكس». مدارج السالكين (١/ ٣٩٣، ٣٩٤). وقيل إن معنى قوله: (وأصلحوا) في سورة آل عمران هو البيان وذلك بإظهارهم للناس أنهم كانوا على ضلال، وهذا قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٠) وزاد المسير (١/ ٤١٨).

عامة المواضع الإصلاح، فإن التوبة راجعة في الأصل إلى الاعتقاد والإصلاح إلى الأعمال. وكلاهما مرادان[1]، وعلى ذلك اتباع عمل الصالحات بعد[2] الإيمان في كل موضع ذُكِرَا معاً. إن قيل: لِمَ قال ها هنا: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] وقال ثمَّ: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]؟ قيل: كل واحدة من الصفتين؛ أعني ٱلتَّوَّاب

---

(١) وفي ذلك قال ابن القيم رحمه الله: «لما كان التائب قد رجع إلى الله بالاعتذار والإقلاع عن معصيته، كان من تتمة ذلك: رجوعه إليه بالاجتهاد والنصح في طاعته كما قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠] فلا تنفع توبة وبطالة، ولابد من توبة وعمل صالح، وترك لما يكره، وفعلٍ لما يحب، تخلٍّ عن معصيته، وتحلٍّ بطاعته» مدارج السالكين (١/ ٤٦٨).

(٢) في هذا الموضع من الأصل أقحم الناسخ ثمانية عشر سطراً فصلت المعنى، وهي متقدِّمة عن موضعها، ومحلُّها التأخير بمقدار ستة وثلاثين سطراً ـ كما سيتبيّن في موضعه ـ وهذا ما يؤكد أن الناسخ لهذه النسخة قدَّم أثناء النسخ لوحاً عن موضعه على لوحين والصواب أن يكونا قبله. وبناء على ذلك فقد أخَّرت ما حقه التأخير، وقدّمت ما حقه التقديم، حتى اتصل الكلام واتسق، ومن ذلك تقديمي الكلام من بداية لفظ (الإيمان) وهو في الأصل بعد الثمانية عشر سطراً المقحمة في غير موضعها، وكذلك أخّرت هذه الأسطر المقحمة إلى موضعها، وسوف أشير إلى ذلك بعد قليل.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

والغفور يتضمَّن الأخرى، لكن التوّاب أخصّ والغفور أعمّ، فذكر حيث ما ذكر أعظم الذنبين الضلال والإضلال التوّاب، وحيث ما ذكر أصغرهما ـ وهو الضلال دون الإضلال ـ ذكر الغفور[1]. إن قيل: لِمَ قال ههنا: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ ولم يقل ثمَّ؟ قيل: لما وصف ههنا قوماً كان منهم إيمان متقدّم، ثم حصل منهم كفر بعد إيمانهم، قال: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ ليبيّن أن الإيمان المتقدّم لا ينفعهم إذ قد أحبطوه وأبطلوه، وأن الذي يُعتدُّ به هو ما يفعلونه من بعد[2]، ....

(١) في الأصل: (العفو)، والصواب ما أثبته.

(٢) ليس هذا موضع اتفاق بين العلماء، بل هناك بعض المحققين ذهب إلى أن الإيمان المتقدم الذي حُبِطَ بالردة يمكن أن يعود بالتوبة الصادقة، وهذه مسألة تتعلق بحكم من أحكام التوبة، وهو: أن العبد إذا تاب من الذنب، فهل يرجع إلى ما كان عليه قبل الذنب من الدرجة التي حطّه عنها الذنب أو لا يرجع إليها؟ قال النووي: ومن حجَّ ثم ارتدّ ثم أسلم لم يلزمه الحج، بل يجزئه حجته السابقة عندنا. وقال أبو حنيفة وآخرون: يلزمه الحج، ومبنى الخلاف على أن الردة متى تحبط العمل؛ فعندهم تحبطه في الحال، سواء أسلم بعدها أم لا، فيصير كمن لم يحج، وعندنا لا تحبطه إلا إذا اتصلت بالموت، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ المجموع شرح المهذب (٧/ ٩).
وقال الإمام ابن القيم: اختُلفَ في ذلك. فقالت طائفة: يرجع إلى درجته، لأن التوبة تجبُّ الذنب بالكلية، وتصيرّه كأن لم يكن، والمقتضي=

ولما لم يكن ثمّ كفر بعد إيمان متقدّم استغنى عن ذكر ﴿بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾.

= لدرجته: ما معه من الإيمان والعمل الصالح، فعاد إليها بالتوبة...، وقالت طائفة: لا يعود إلى درجته وحاله، لأنه لم يكن في وقوف، وإنما كان في صعود، فبالذنب صار في نزول وهبوط، فإذا تاب نقص عليه ذلك القدر الذي كان مستعداً به للترقي. قال ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يحكي هذا الخلاف ثم قال: والصحيح أن من التائبين من لا يعود إلى درجته، ومنهم من يعود إليها، ومنهم من يعود إلى أعلى منها، فيصير خيراً مما كان قبل الذنب... وهذا بحسب حال التائب بعد توبته وجدّه وعزمه وحذره وتشميره، فإن كان ذلك أعظم مما كان له قبل الذنب عاد خيراً مما كان وأعلى درجة. وإن كان مثله عاد إلى مثل حاله، وإن كان دونه لم يعد إلى درجته، وكان منحطًّا عنها، وهذا الذي ذكره هو فصل النزاع في هذه المسألة» مدارج السالكين (١/ ٣١٧، ٣١٨). وقال ابن القيم أيضاً في الوابل الصيب: فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعود إلى ثواب العمل؟ قيل: إن كان عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية، فإنه لا ينقلب صالحاً بالتوبة، بل حسْبُ التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه. وأما إن عمله لله تعالى خالصاً ثم عرض له عجب ورياء أو تحدث به ثم تاب من ذلك وندم، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط، وقد يقال: إنه لا يعود بل يستأنف العمل، والمسألة مبنية على أصل وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردها أو لا يحبطه إلا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه. فإن قلنا: تحبط العمل بنفسها فمتى أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام. وإن قلنا: لا يحبط

ودخول الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لتضمُّن الكلام معنى الجزاء[1]، كأنه قيل: إن تابوا وأصلحوا يُغْفَرْ لهم[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن

= العمل إلا إذا مات مرتداً، فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله... ولم يزل في نفسي من هذه المسألة، ولم أزل حريصاً على الصواب فيها، وما رأيت أحداً شفى فيها. والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم، وبه المستعان ولا قوة إلا به ـ أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ويكون الحكم فيها للغالب، وهو لقهر المغلوب ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن، فإذا غلبت على العبد الحسنات، رفعت حسناته الكثيرة سيئاته، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تربي وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقد سأل حكيم بن حزام رضي الله عنه النبيَّ ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك هل يثاب عليه؟ فقال النبيّ ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير» فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة، فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحاً صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته...» الوابل الصيب ص (٢٢، ٢٣).

(١) في الأصل: (الجواز) ولا يصح معناه.

(٢) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٦).

﴿تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[1] قيل: معناه لن تُقبل توبتهم بعد الموت[2]، وقيل: عند الموت والمعاينة[3]، نحو ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[4] وقيل: توبتهم المتقدّمة فإن تلك أحبطها الكفر المتعقب[5]، وقيل: نزل في قوم ارتدوا،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٢) وهذا مروي عن مجاهد انظر: زاد المسير (١/ ٤١٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢). وقد ردَّ الطبري ذلك قائلًا: «أنكرنا ذلك، لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة». جامع البيان (٦/ ٥٨٣).

(٣) وهذا قول الحسن وقتادة والسدي، وهو مروي عن مجاهد أيضاً، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٧٨، ٥٧٩)، والوسيط (١/ ٤٦١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٥)، وزاد المسير (١/ ٤١٩)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٩)، وقد ردَّ ابن جرير الطبري هذا القول أيضاً مبيّناً أنه لا خلاف في أن كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين، أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة وسائر الأحكام مما يدل على صحة إسلامه. جامع البيان (٦/ ٥٨٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٥) وهذا مروي عن عكرمة وابن جريج انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٠، ٥٨١) والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢). قال الطبري: «وأما قول من زعم أن معنى ذلك: التوبة التي كانت قبل الكفر فقول لا معنى له، لأن الله عز وجل=

وقالوا: إنا إذا رجعنا قبل توبتنا. وظنوا أن ذلك منهم توبة، فبيّن تعالى أن هذه النية غير مقبولة، وأنها ضلالة[1]، وقيل: معناه: لا تكون منهم توبة مقبولة[2]، كقول الشاعر:

على لاحب لا يُهْتَدَىٰ بمناره[3] ....

أي[4] لا يكون فيه منار فيهتدى به، وهذا إخبار عن علمه

= لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر، ثم كفر بعد إيمان، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان، فلم يتقدّم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه...» جامع البيان (٦/ ٥٨٣).

(١) وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه: لن تقبل توبتهم، لأنها توبة غير خالصة، إذ هم مرتدون، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، وفي ضمائرهم الكفر. البحر المحيط (٢/ ٥٤٢).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٣٨٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢).

(٣) هذا صدر بيت لامرئ القيس وتمامه:

على لاحبٍ لا يهتدى لمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا

انظر: ديوان امرئ القيس بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ص(٦٦)، والمنتخب (٢/ ٦٥٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ٧٠)، (١٣/ ٩٢)، (١٤/ ١٩٨)، وأساس البلاغة ص (٢٢٥)، والبحر المحيط (١/ ٢٠٦، ٣٤٨، ٤٢٠)، وتاج العروس (٢٣/ ٤٧٢). ويُروَى (لمناره) باللام بدل الباء. واللاحب: الطريق الواضح. انظر: اللسان (٩/ ١٦٥).

(٤) في الأصل (أن) والصواب ما أثبته.

تعالى بحالهم، وقيل: إن توبتهم غير مقبولة في حالِ ما هم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان، فالواو في قوله: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ على هذا واو الحال[1].

[٢٢٩/أ] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ/ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[2].

الفدية: بذل شيء احتراساً من أذى، ومنه فداء الأسير. وقولهم: فديتك[3]. وإدخال الواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾

---

(١) قال أبو حيان: «وذكر الراغب قولاً أن الواو في «وأولئك» واو الحال، والمعنى: لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان. انتهى هذا القول. وينبو عن هذا المعنى هذا التركيب، إذ لو أريد هذا المعنى لم يؤت باسم الإشارة»اهـ. البحر المحيط (٢/ ٥٤٣). وذكر السمين الحلبي في هذه الواو ثلاثة أوجه: أحدها أن تكون في محل رفعٍ عطفاً على خبر إنَّ. أي: إنَّ الذين كفروا لن تُقبل توبتهم، وإنهم أولئك هم الضالون. الثاني: أن تُجعلَ معطوفة على الجملة المؤكدة بإن. وحينئذٍ فلا محلَّ لها من الإعراب؛ لعطفها على ما لا محلّ له. الثالث: قال: وهو أغربها أن تكون واو الحال، فالجملة بعدها نصب على الحال... قاله الراغب. انظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٣) انظر: المنقوص والممدود للفرّاء ص (٢٥، ٢٦)، وتهذيب اللغة =

لعموم المعنى، ومعناه لا يقبل منهم ذلك، وإن أخرجه على وجه القُرْبة في الدنيا، إذ كان لا يتقبّل الله إلا من المتقين[1]، ويجوز أن يعني ذلك في الآخرة، ومعناه: لو ملك ذلك فأخرجه لم يكن ينفعه، وليست الواو بزائدة كما ظن بعضهم[2]، لأنه

= (١٤/ ٢٠٠) وفيه: «ويقولون: فديته بأبي وأمي، وفديته بمالي، كأنه اشتريته به، وخلصته به. . . » والفروق ص (٣٣٠)، والمغرب في ترتيب المعرب ص (٣٥٣)، والنهاية (٣/ ٤٢١).

(١) قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف موقع قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾؟ قلت: هو كلام محمول على المعنى، كأنه قيل: فلن تقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً» الكشاف (١/ ٣٨٣، ٣٨٤). قال أبو حيان بعد أن نقل كلام الزمخشري: «وهذا المعنى ينبو عنه هذا التركيب ولا يحتمله، والذي يقتضيه هذا التركيب وينبغي أن يحمله عليه: أن الله تعالى أخبر أن من مات كافراً لا يقبل منه ما يملأ الأرض من ذهب على كلِّ حالٍ يقصدها، ولو في حالة الافتداء به من العذاب. . . » البحر المحيط (٢/ ٥٤٣) وانظر: الدر المصون (٣/ ٣٠٧).

(٢) هذا القول عزاه الزُجّاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤١) إلى بعض النحويين ولم يسمه، كما عزاه النحاس في معاني القرآن (١/ ٤٣٧) لبعض أهل اللغة دون تحديد أيضاً. وممن قال بهذا القول بعد الراغب: أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٣٩). وذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٢/ ٥٤٣)، وضعفه، ولم ينسبه إلى قائل، وكذلك فعل ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٥٦). وقد اختلف النحويون في جواز زيادة الواو. =

حينئذ يسقط معنى عموم الحالين، وملء الأرض - قيل: هو مقدار ما يملأ الأرض[1]، وقيل: معناه كل ما يتعامل به في الأرض من الذهب، وذلك حسم لطمع من مات على كفره في رحمته. وقيل: وهذه الآية والتي قبلها كالآيتين في سورة النساء ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ[2] . . .﴾ إلى آخر الآيتين[3].

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن

= فمذهب جمهور البصريين عدم الجواز، ووجّهوا النصوص التي استدلَّ بها غيرهم بغير الزيادة. ومذهب الكوفيين جواز ذلك في جواب (لما أن) و(حتى إذا). انظر: كتاب سيبويه (٣/ ١٠٣)، والفرّاء (١/ ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ٢٢٦، ٢٣٦)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٣٠٦، ٣٠٧)، والمقتضب (٢/ ٨٠)، ومجالس ثعلب ص (٥٩)، وجامع البيان (٦/ ٥٨٦)، والإنصاف، المسألة (٦٤)، وشرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٩٣، ٩٤).

(١) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٤)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٣٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٣)، والمقاييس (٥/ ٣٤٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٢)، وجامع البيان (٤/ ١٣٠)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٢)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٩)، وفتح القدير (١/ ٣٩٩).

﴿شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[1] البر: التوسُّع في فعل الخير[2]، وقد تقدّم في قوله: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾[3] إن البر ينسب إلى العبد تارة، وذلك إذا أطاع الله، وإلى الله تارة إذا أنعم على العبد[4]، وقد حُمِلَ ههنا على الأمرين، فقيل: البر من الله الثواب[5]، وقيل: الجنة[6]، وقيل: الطاعة[7]، ومن الناس من اعتبر ذلك في المال فقط[8]، فالإنسان محبٌّ للمال بالطبع، ولهذا قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) انظر: الغريبين (١/ ١٥٣)، والمفردات ص (١١٤)، والبحر المحيط (١/ ٣٣٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ٤٦ ـ مخطوط).

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٨)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٤٠)، ولم ينسبه إلى أحد.

(٦) وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون والسُّديِّ ومسروق ابن الأجدع وابن جرير الطبري، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٩)، وزاد المسير (١/ ٤٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٦).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٠)، والقرطبي في الجامع (٤/ ١٣٣)، ونسباه إلى عطية العوفي. وذكره الزّجّاج عن بعضهم في معاني القرآن (١/ ٤٤٣)، ونسبه إلى الزّجّاج أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٤٦)، وذكره الماوردي في النكت والعيون، ولم ينسبه لأحد. (١/ ٤٠٨).

(٨) وهو قول قتادة والحسن. انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٧، ٥٨٨).

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[1]، ثم منهم من قال: هذا خطاب للأغنياء، ولذلك قال الحسن: عنى الزكاة الواجبة وما فرض في الأموال خاصة[2]، ومنهم من قال: خطاب للكل، وحثٌّ لهم على ما قدروا عليه من الإنفاق[3]، وكمن مَدَحَ بقوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[4]، ولذلك لما نزلت هذه الآية جاء زيد بن حارثة[5] بفرس، فقال: هذا مما أحبَّه الله، وقد جعلته في سبيل الله، فحمل

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٢) ذكره عن الحسن الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢١)، ونسبه إلى ابن عباس والحسن والضحاك. والقرطبي في الجامع (٤/ ١٣٣)وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٥٤٦).

(٣) وهو فهم عامة الصحابة، انظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٨، ٥٨٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٩)، والوسيط (١/ ٤٦٣، ٤٦٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٧)، وزاد المسير (١/ ٤٢١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٢، ١٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٤٦) وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٠).

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة مولى رسول الله ﷺ، صاحبي جليل مشهور من أول الناس إسلاماً، زوّجه رسول الله ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش، وقد نزل القرآن باسمه في سورة الأحزاب، استُشهدَ يوم مؤتة في حياة النبي ﷺ سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦)، والإصابة (١/ ٥٦٣)، والتقريب ص (٢٢٢).

عليه رسول الله ﷺ أسامة[1][2]، ومنهم من اعتبر ذلك في متاع الحياة الدنيا كله، فقال: لن تنالوا البرَّ إلا بالإنفاق، وبذل الجاه والبدن والنفس، قال: وذلك حثٌّ على جميع المحامد، فإن من تشجَّع وبذل المهجة في طاعة الله فقد أنفق ما[3] أحب[4]،

---

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو محمد، حبّ رسول الله ﷺ وابن حبّه، ولاه النبي ﷺ جيش العسرة وفيه كبار الصحابة، تُوفيِّ سنة ٥٤هـ وهو ابن خمس وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦)، والتهذيب (١/ ٢٠٨)، والتقريب ص (٩٨).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن (١/ ١٢٦) عن معمر عن أيوب. والطبري في جامع البيان (٦/ ٥٩٢) عن عبدالرزاق به. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٠٤) من طريق آخر عن محمد بن المنكدر. وهو حديث مرسل. انظر تعليق الشيخ أحمد شاكر عليه في حاشية جامع البيان (٦/ ٥٩٢) رقم (٢).

(٣) بداية من لفظ (ما أحب) هو الجزء الذي تقدّم والمشار إليه سابقاً، وقد أخّرته إلى موضعه الصحيح من الكلام، والله أعلم.

(٤) وهذا ما فهمه أبو ذر رضي الله عنه من الآية الكريمة، فقد ذكر ابن جرير الطبري في جامع البيان أثراً بإسناده إلى ميمون بن مهران؛ أن رجلًا سأل أبا ذر: أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل، والصدقة شيء عجب. فقال: يا أبا ذر، لقد تركت شيئاً هو أوثق عملي في نفسي، لا أراك ذكرته! قال: ماهو؟ قال: الصيام. فقال: قربة وليس هناك. وتلا هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جامع البيان (٦/ ٥٩١). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٠٩). وقال=

ولذلك قيل:

.... الجود بالنفس أقصى غاية الجود[1]

وقال بعضهم: أحب الأشياء إليك روحك، فأنفقها في الوصول إلى البّر. وقيل: برُّ الله لعبده اطلاعه على دقائق حكمته وحقائق المعقولات، ولا يكون ذلك إلا بترك ما تميل إليه النفوس من المحسوسات من المطعم والمنكح والملبس. وقيل: أعظم البر مجاورة البارّ وقربه، وذلك بإنفاق ما لنا في الدنيا[2]، وقوله:

= ابن عطية: «وإذا تأملت جميع الطاعات وجدتها إنفاقاً مما يحب الإنسان، إما من ماله، وإما من صحته، وإما من دعته وترفهه، وهذه كلها محبوبات» المحرر الوجيز (٣/ ١٥٨).

(١) هذا عجز بيت لمسلم بن الوليد الأنصاري، المعروف بصريع الغواني، وتمامه:

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٩٧) ونسبه إليه. وذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٣٠٥) ولم ينسبه.

(٢) هذا القول والذي قبله من تفسير الصوفية، وإلى معنى هذين القولين أشار القشيري في لطائفه بقوله: «... فمن أراد البر فلينفق مما يحبه أي البعض، ومن أراد البارَّ فلينفق جميع ما يحبه، ومن أنفق محبوبه في الدنيا، وجد مطلوبه من الحق تعالى، ومن كان مربوطاً بحظوظ نفسه لم يحظ بقرب ربّه. ويقال: إذا كنت لا تصل إلى البر إلا بإنفاق محبوبك فمتى تصل إلى البارِّ وأنت تؤثر عليه حظوظك». لطائف الإشارات (١/ ٢٧٠) وأما ما ذكره الراغب من ترك ما تميل إليه النفوس من المحسوسات من المطعم=

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي مجازيكم، ولدلالة ذلك على المجازاة جُعِلَ جواباً للشرط[1].

قوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2]، كان اليهود أنكروا تحليل النبي ﷺ لحوم الإبل، وقالوا: إنها كانت محرّمة على إبراهيم على ما نطقت[3] به التوراة، فكذّبهم تعالى، وذكر أنها كانت محلّلة عليه وعلى أولاده إلى أن حرّمها إسرائيل على نفسه، وهو يعقوب، وأمرهم بإحضار التوراة، فامتنعوا، ولم يجسروا على ذلك،

= والمنكح والملبس، فهذا ليس على إطلاقه، والله تعالى لم يأمرنا بترك ذلك بالكلية ولا رسوله ﷺ، بل إن الرسول ﷺ لما أخبر عن بعض أصحابه أن أحدهم قال: إني أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: إني أقوم ولا أفتر، وقال ثالث: وأنا لا أتزوّج النساء، غضب رسول الله ﷺ من مقالتهم وقال: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح رقم (٥٠٦٣). ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه. رقم (١٤٠٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٥٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

(٣) في الأصل (نطق)، والسياق يقتضي ما أثبته.

لصدق ما أخبر تعالى به[1]، وسبب تحريمه ذلك - قيل: إنما كان مرضاً أورثه لحم الإبل فتركه، وحرّمه على نفسه تحريم المريض طعاماً لا يوافقه، لا تحريم شرع[2]. وقال ابن عباس والحسن: أصابه عرق النَّسا[3]، فنذر أن يترك إن عافاه الله أشهى طعام إليه تقرباً إلى الله تعالى، وتحريم اليهود ذلك كان اقتداء منهم به[4]،

---

(١) هذه القصة وردت في: الوسيط (١/ ٤٦٤)، وأسباب النزول ص (١١٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣) من رواية أبي روق وابن الكلبي. قال أبو حيان: «وروي أنهم لم يتجاسروا عن الإتيان بالتوراة، لظهور افتضاحهم بإتيانها، بل بُهِتُوا، وذلك كعادتهم في كثير من أحوالهم». البحر المحيط (٣/ ٥).

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس والضّحّاك والسّديّ انظر: جامع البيان (٧/ ٧-١٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٠٩)، والوسيط (١/ ٤٦٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥٧)، وزاد المسير (١/ ٤٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٤)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦١).

(٣) عرق النسا: عرق يخرج من الورك، فيستبطن الفخذ، ويمتد من الورك إلى العرقوب. انظر: المقصور والممدود ص (١٨) والمجموع المغيث (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٤) أما قول ابن عباس فأخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن (١/ ١٢٦)، والطبري في جامع البيان (٧/ ١٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٠٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٥)، وابن كثير في تفسير القرآن=

وقيل: إنه لما حرّم على نفسه حرّم الله عليهم[1]، ولذلك قال: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ ﴾[2] في الآية حجة عليهم على هذا في جواز النسخ، لأنه حرَّم عليهم ما كان مباحاً في شريعة إبراهيم[3]. إن قيل: كيف حرَّم هو على نفسه ما كان

= العظيم (١/ ٣٦١) وقال: وهكذا قال الضّحّاك والسّديّ. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٦٩). وأما قول الحسن فرواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٤). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١٠)، والبحر المحيط (٣/ ٤).

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٦٨) عن الحسن قال: حرّم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبُّداً لله تعالى، فسأل ربه أن يجيز له ذلك فحرّمه الله على ولده.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٠.

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير كلاماً مهمًّا حول قضية النسخ، قال فيه: «لما تقدّم بيان الرّدّ على النصارى، واعتقادهم الباطل في المسيح، وتبيين زيف ما ذهبوا إليه، وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه... شرع في الردّ على اليهود ـ قبّحهم الله تعالى ـ وبيّن أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع. فإن الله تعالى قد نصَّ في كتابهم التوراة أن نوحاً عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دوابّ الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرّم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل وألبانها، فاتبعه بنوه في ذلك، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وأشياء أخر زيادة على ذلك، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه، وقد حرّم ذلك بعد ذلك، وكان التسرِّي على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم عليه السلام، وقد فعله إبراهيم في=

مباحاً فأقره الله عليه، وحرّم النبي ﷺ جاريته فعاتبه ومنعه؟ قيل: إن إسرائيل إما أنه حرّم على نفسه لحم الإبل، لأنه لم يكن يوافقه، وكان واجباً عليه تركه. فإن الله تعالى جعل الطعام ليتوصَّل به إلى صلاح البدن، وما يؤدي إلى فساده فواجب علينا تركه، وإما أنه حرَّم ذلك تقرُّباً[1] إلى الله كما يُحرِّم الصائم الطعام، وكما يُحرِّم المعتكف على نفسه بعض التصرُّفات[2]، ولم يكن تحريم النبي ﷺ على أحد هذين الوجهين، بل لما ذكره تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[3]، ولأن في تحريم النبي ﷺ/ [٢٢٩/ب] تضييع حق متعلق به للغير، وهو حق الجارية. وليس ذلك في فعل إسرائيل، وأيضاً فإن

= هاجر لما تسرَّى بها على سارة، وقد حُرِّم مثل هذا في التوراة عليهم، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغاً، وقد فعله يعقوب عليه السلام، ثم حُرِّم عليهم ذلك في التوراة، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم، وهذا هو النسخ بعينه. فكذلك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ما حُرِّم في التوراة، فما بالهم لم يتبعوه؟ بل كذَّبوه وخالفوه!!، وكذلك ما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين القويم والصراط المستقيم، وملة أبيه إبراهيم، فما بالهم لا يؤمنون؟» تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦١).

(١) لفظ (تقرُّباً) هو نهاية الجزء الذي تقدَّم في الأصل عن موضعه.

(٢) ذكر هذين القولين ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٦٠، ١٦١).

(٣) سورة التحريم، الآية: ١.

إسرائيل لما حرّم أشهى الطعام إليه قصد بذلك قمع الشهوة، وبنحو ذلك يهذّب الحكيم نفسه، والنبي ﷺ في تحريم جاريته تبع هوى غيره[1]، وهو مرضاة أزواجه، وذلك مكروه، فلم يقرّ عليه[2]،

---

(١) قصة تحريم النبي ﷺ لجاريته مارية أم إبراهيم، أخرجها النسائي، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة (٧/ ٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٣) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي. ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣/ ٧٦) رقم (٢٢٧٤-٢٢٧٥)، والطبراني (١١/ ٧١) رقم (١١١٣٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٩): رواه البزار بإسنادين والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم وهو ثقة.

(٢) قول الراغب: إن النبي ﷺ تبع هوى غيره، وأنه فعل مكروها فلم يقرّ عليه غير لائق. وقد وجدت أغلب المفسرين حرصوا في تفسير هذه الآية على اختيار الألفاظ، لئلا تزل أقدامهم، فيقعوا فيما يشبه انتقاصاً من مقام النبوة. قال القرطبي: ﴿ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ أي تفعل ذلك طلباً لرضاهن. ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ غفور لما أوجب المعاتبة، رحيم برفع المؤاخذة. وقد قيل: إن ذلك كان ذنباً من الصغائر، والصحيح أنه عاتبه على ترك الأولى، وأنه لم تكن صغيرة ولا كبيرة. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٨٤). وقال أبو حيان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾: نداء إقبال وتشريف، وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ سؤال تلطُّف، ولذلك قدّم قبله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] ومعنى: ﴿ تُحَرِّمُ ﴾ تمنع، وليس التحريم المشروع=

وذكر بعض الصوفية أن في ذلك تفضيلًا للنبي ﷺ من وجهين:

= بوحي من الله، وإنما هو امتناع لتطييب خاطر بعض من يحسن معه العشرة».
البحر المحيط (٨/ ٢٨٤). ثم إن قصة تحريم النبي ﷺ لجاريته ليست سبباً متفقاً عليه في نزول الآية، بل إن المفسرين اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال: الأول: أن سبب نزولها: الموهوبة التي جاءت النبي ﷺ فقالت: إني وهبت لك نفسي. فلم يقبلها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وقد ضعّف العلماء هذا السبب سنداً ومعنى. الثاني: أنها نزلت في شأن مارية، خلا بها رسول الله ﷺ في بيت حفصة، فلما علمت عتبت عليه، فحرمها رسول الله ﷺ إرضاء لحفصة. الثالث: ثبت في الصحيحين، واللفظ للبخاري عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فتواصيت أنها وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير ـ صمغ يخرج من شجر العرفط كريه الرائحة ـ، إني أجد منك ريح مغافير. قال: «لا، ولكني شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، وقد حلفت لا تخبري أحداً» يبتغي مرضاة أزواجه. انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٨٤٤، ١٨٤٥).
وهذا الأخير رجّحه ابن العربي، فقال: وإنما الصحيح أنه كان في العسل، وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، وجرى ما جرى، فحلف ألا يشربه، وأسَرَّ ذلك فنزلت الآية في الجميع. ورجَّح ذلك أيضاً القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٧٩)، ونقل في ذلك كلام ابن العربي بنصه. ورجَّحه كذلك ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٧) فقال: والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل، ثم ساق الأحاديث الصحيحة في ذلك، التي رواها الإمامان البخاري ومسلم.

أحدهما: أنه لما حرّم إسرائيل على نفسه ما أحبه أمضاه، وحرّم النبي ﷺ على نفسه فعافاه. والثاني [: أن][1] بني إسرائيل ما كانوا يلتزمونه مما لم يكن قربة في الشريعة يلزمهم الوفاء به تشديداً عليهم، وعلى ذلك دل قوله: ﴿ مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾[2] وقال ﷺ: «شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم»[3]، ورُفِعَ عن هذه الأمة ذلك فضيلة للنبي ﷺ. إن قيل: ما وجه اتصال هذه الآيات بعضها ببعض، لأنه ذكر أولاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[4] الآيتين ثم ذكر: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ ﴾[5] ثم عقبها بتحريم إسرائيل الطعام، وذم اليهود؟

= وسواء أكان سبب نزول الآية هذا أو الذي قبله، فإنه لا يدل على أن النبي ﷺ ارتكب ذنباً صغيراً أو كبيراً، لأن الله تعالى كان يُعاتبه على ترك الأولى، كما ذكر القرطبي.

(١) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته لاستقامة الكلام.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٣) أخرجه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب الحسد، رقم (٤٩٠٤)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٣٦٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٦): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير سعد بن عبدالرحمن بن أبي العمياء، وهو ثقة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

قيل: لما ذكر في الآيتين المتقدمتين ذم اليهود وغيرهم من الكفار، وبيَّن أن اتفاقهم مع كفرهم غير مقبول منهم، وصل ذلك بقوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾، لئلا يقرر أن الانفاق غير مغنٍ على جميع الوجوه، فقال: وأنتم أيها المؤمنون إذا أنفقتم فإنما نقبل منكم على هذا الشرط، ثم رجع إلى ذم اليهود وتعديد ما ارتكبوه[1]، فصار قوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ بين الآيتين من الاعتراض المسمّى في كتب البلاغة الالتفات[2].

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) ولأبي حيان كلام آخر في مناسبة قوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ الآية. حيث قال: «ومناسبة هذه الآية لما قبلها والجامع بينهما؛ أنه تعالى أخبر أنه لا ينال المرء البر إلا بالإنفاق مما يحبُّ، ونبي الله إسرائيل رُوِيَ في الحديث أنه مرض مرضاً شديداً فطال سقمه، فنذر لله نذراً إن عافاه الله من سقمه أن يحرِّم أو ليحرِّمن أحبَّ الطعام والشراب إليه، وكان أحبُّ الطعام إليه لحوم الإبل، وأحبُّ الشراب ألبانها، ففعل ذلك تقرباً إلى الله، فقد اجتمعت هذه الآية وما قبلها في أن كلًّا منهما في ترك ما يحبه الإنسان وما يؤثره على سبيل التقرُّب به لله تعالى». البحر المحيط (٣/ ٣).

(٢) الالتفات: «العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلُّم أو على العكس» التعريفات ص (٥٠). وانظر: شرح التلخيص ص (٤٧، ٤٨). والكليات للكفوي ص (٦٩، ٧٠، ٢٧٣-٢٧٥).

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] الافتراء والاختلاق: افتعال للكذب الذي لا أصل له، من افتراء الأديم واختلاقه[2]، والكذب ضربان: اختراع قصة لا أصل لها وزيادة، أو تغيير فيما له أصل، والأول أعظمهما[3]، والمُفترى عليه ضربان: رفيع ووضيع. فالمفتري على الرفيع أعظم ذنباً، ثم المفتري له ضربان: عارف بالفرية، وجاهل بها، فالمفتري العارف بالفرية أوقحهما وجهاً، فبيّن الله تعالى بالآية أنهم اختلقوا الكذب على الله تعالى، الذي يعلم السّرّ وأخفى، وفعلوا ذلك بعد أن أطلع الله الناس على كذبهم، وبيّن أن متخذي ذلك في نهاية الظلم، وعلى ذلك في غير موضع: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[4].

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٤.

(٢) انظر: المنتخب (١/ ٣٤٠)، و(٢/ ٦٦٠)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٦)، وفيه: «.. خلقت الأديم إذا قدّرته وقسته؛ لتقطع به مزادة أو قربة أو خفًّا...»، و (١٥/ ٢٤٢، ٢٤٣)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٦٦، ٥٦٧)، و(٤/ ١٩٠)، والقاموس ص (١١٩٧)، والتاج (٢٥/ ٢٥٢).

(٣) انظر معاني الكذب في: مجمل اللغة ص (٦١٩)، والمفردات ص (٧٠٤، ٧٠٥)، والنهاية (٤/ ١٥٧-١٥٩)، والقاموس ص (١٦٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢١، ٩٣. وهود الآية: ١٨، وسورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] معنى قوله: قل اعتقد وأخبر أن ذلك من قول الله تعالى، وهو صادق. وحقيقة قوله: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ إقرار بأن الله قد أخبر، فإنه إذا ثبت كونه من خبره ثبت كونه صدقاً، ونبّه أن ما أخبر من قوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ وسائر ما تقدّم صدق، وأنه ملة إبراهيم، وأوجب عليهم اتباعه في تحنّفه[2] أي في استقامته[3]، وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بهم، كأنه قيل: أنتم مشركون في اتخاذ بعضكم بعضاً أرباباً، وإبراهيم لم يكن مشركاً، فإذن ليس دينكم دين إبراهيم[4]، وكما نفى في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[5] أنه منهم نفى في هذه الآية كونه مشركاً.

قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[6]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٥.

(٢) تقدم تفسير الحنيف ص (٦١٨) من البحث.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٢)، والبحر المحيط (٣/ ٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٩). وروح المعاني (٤/ ٤).

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٩)، وروح المعاني (٤/ ٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٦) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

قيل: بكة هي المسجد، ومكة[1] الحرم[2]، وقيل: / بكة هي [٢٣٠/أ] البيت[3]، وقيل: هي بطن الحرم[4] وقال مجاهد: هما واحد[5]

---

(١) مكة: هي البلد الأمين الذي شرفه الله، وبها البيت العتيق. ولمكة أسماء كثيرة، منها: مكة، وبكة، وأم القرى، وهي مدينة في جزيرة العرب ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠م. ويرجع تاريخ عمارتها إلى عهد إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقي ص (٣٢) وما بعدها. وآثار البلاد للقزويني ص (١١٢).

(٢) ورد ذلك عن جماعة من السلف منهم أبو مالك الغفاري، وابن شهاب الزهري، وأيده ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٣-٢٥). وممن قال بذلك أيضاً ابن القوطية في كتاب الأفعال ص (٢٧٩)، كما ذكره النحاس عن عكرمة، انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤١٠)، وزاد المسير (١/ ٤٢٥).

(٣) ورد ذلك عن عطية العوفي وابن شهاب الزهري وضمرة بن ربيعة، وقد جعله ابن جرير من لازم القول الأول، وهذا هو الظاهر إذ لا تنافي بين القولين. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٤، ٢٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤١٠)، وزاد المسير (١/ ٤٢٥).

(٤) هذا قول أبي عبيدة. انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٧).

(٥) هذا القول منسوب للضحاك، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٥)، وذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٥)، ورجحه الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٢)، حيث قال: بكة من أسماء مكة على المشهور. أما مجاهد فالمروي عنه أن بكة هي اسم للبقعة التي فيها الكعبة. انظر: زاد=

كقوله سَبَّد رأسه وسَمَّدَه[1]، أي حلقه، وضرب لازم ولازب[2]، وأصل بكة من التَّباك أي التزاحم، وذلك اعتباراً بازدحامهم لقصده، والطواف به[3]، وقيل: لبَكهِ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا

= المسير (١/ ٤٢٥)، والدر المنثور (٢/ ٩٤)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(١) في الأصل: (وشمره) «وهو تصحيف. وفي المخصّص: أبو عبيد: سمّد رأسه وسبَّده، والتسبيد: أن يحلق رأسه حتى يلصقه بالجلد، ويكون التسبيد أيضاً أن يحلق الرأس ثم ينبت الشيء اليسير من الشعر»، وهو اختصار لما في غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٦٢) وهذا القول هو المختار عند الزجاج، انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٤)، وتفسير غريب القرآن ص (٣٦٩)، والزاهر (١/ ٤٩٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٥)، والمشوف المعلم (٢/ ٦٩٧). وقال ابن سيده في المخصص (١٣/ ٢٨٥) بعد أن ذكر أنهما لمعنى واحد: «... وقال بعض أهل اللغة: ليس اللزوب كاللزوم، اللزوب: تداخُل الشيء بعضه في بعض، واللزوم: المماسة والملاصقة». ثم سرد أمثلة عدة لإبدال الميم من الباء وعكسه. وانظر: (١٣/ ٢٧٤، ٢٨٤-٢٨٦).

(٣) هذا قول مجاهد كما في تفسيره ص (٢٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٩)، وانظر في هذا المعنى جامع البيان (٧/ ٢٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٤٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٤٣)، وكتاب الأفعال لابن القوطية ص (٢٧٩)، وتهذيب اللغة (٩/ ٤٦٣، ٤٦٤)، والمفردات ص (١٤٠)، والنكت والعيون (١/ ٤١٠)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٦٦).

فيه[١]، ومكة من أمتكَّ الفصيل ما في الضرع[٢]، كأنه يجمع أهل الآفاق ويؤلفهم، ولذلك سميت أم الزحم[٣]. والبركة: ثبوت الخير في الشيء ثبوت الماء في البِرْكة[٤]، وسميت البركة لثبوت الماء، وأصل الكلمة البرك، وبرك البعير ألقى بركه[٥] وبُرُكاءُ

---

(١) انظر المواضع السابقة سوى جامع البيان، وتفسير مجاهد، وتفسير ابن أبي حاتم. وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٢).

(٢) قال الزجاج: امتكَّ الفصيل ما في ضرع الناقة إذا مصَّ مصًّا شديداً حتى لا يبقي فيه شيئاً. معاني القرآن (١/ ٤٤٥) وانظر: العين (٥/ ٢٨٦)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٤٣٢)، والمفردات ص (٧٧٢)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٥١٥).

(٣) أغلب المصادر القديمة تذكر أن من أسماء مكة: «رُحْمَى، وأم الرحم». بالراء لا الزاي، غير أن الفيروز آبادي ذكر في فصل الزاي من باب الميم في القاموس أن من أسمائها «الزحم، وأم زحم» وعلق عليه الشارح بقول ابن سيده: «والمعروف رحم» بالراء المهملة. انظر: المنتخب لابن الأعرابي ص (٤٠٤)، والمخصص لابن سيده (١٣/ ١٨١)، (١٥/ ١٩٤)، وأساس البلاغة للزمخشري ص (١٥٨)، والقاموس ص (١٤٣٦، ١٤٤٢).

(٤) البِرْكة بالكسر: مستنقع الماء. المعجم الوسيط ص (٥١)، وانظر في معنى (البركة): تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٩).

(٥) قال الراغب: «أصل البَرْك: صدر البعير وإن استعمل في غيره. ويقال له: البركة. وبرك البعير: ألقى بِرْكه، واعتبر منه معنى اللزوم، فقيل: ابتركوا في الحرب، أي ثبتوا ولازموا موضع الحرب، وبراكاء الحرب =

القتال ملازمته[1]، وتبارك الله تخصَّص بلزوم فعل الخيرات[2]، واختُلِف في بناء البيت، فقال مجاهد وقتادة: هو[3] أول بيت بُني في الأرض[4]، ....

= وبروكاؤها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وابتركت الدابة: وقفت وقوفاً كالبروك، وسُمّي محبس الماء بركة. والبَرَكة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء». المفردات ص (١١٩) وانظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠)، والقاموس ص (١٢٠٤)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٩، ٢١٠).

(١) قال الأزهري: «البركاء: مباحتة القتال» أي الصدق فيه والجد. تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠).

(٢) عبارة الراغب في المفردات: ص (١٢٠): «كل موضع ذكر فيه لفظ: (تبارك) فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر «تبارك». وقد فسَّر ابن عباس «تبارك» بـ«تعالى وارتفع وتعاظم». انظر تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٠). وأما لفظة: «مباركاً» التي وردت في الآية فيفهم معناها من معنى البركة الذي ذكره الراغب. وقد قال الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٣٠٦): «والمبارك: ما يأتي من قبله الخير» وانظر أيضاً: الغريبين (١/ ١٥٩)، والمقاييس (١/ ٢٣٠)،، والمجموع المغيث (١/ ١٥١)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٨-٢١٠، ٢٩٤).

(٣) في الأصل (هى) والصواب ما أثبته.

(٤) أما قول مجاهد فقد أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٢١) بسنده عن مجاهد، قال: أول ما خلق الله الكعبة، ثم دحى الأرض من تحتها. وذكر قوله أيضاً: الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٤). وقول قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان=

وقال عليّ: أول بيت وُضِع للعبادة[1]، وهذا الاختلاف لاختلاف التقديرين في الآية، لأنه على الثاني: إن أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين للذي ببكة[2]، (ثم اختلفوا في معنى ﴿أَوَّلَ﴾. فمنهم من اعتبر ذلك بالشرف والمنزلة)[3]، فكأنه قيل: أشرف بيت، وعلى ذلك قال مجاهد: هو كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4]. ومنهم من اعتبر أوليته بالزمان. قال: أول

= (٧/ ٢١)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٤). وقد قال بهذا القول السدي أيضاً، انظر: جامع البيان (٧/ ٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٧). وذكر ابن كثير هذا القول في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٢)، ونسبه إلى السدي وأشار إلى تضعيفه بقوله: «وزعم السدي أنه أول بيت وُضِعَ على وجه الأرض مطلقاً، والصحيح قول علي رضي الله عنه».

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٩). وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٠٧، ٧٠٨) وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١٠). وقال ابن الجوزي: وهذا قول علي بن أبي طالب والحسن وعطاء بن السائب وآخرين. زاد المسير (١/ ٤٢٥). وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٤) والبحر المحيط (٣/ ٧)، والدر المصون (٣/ ٣١٥).

(٣) ما بين القوسين ( ) تكرر في الأصل.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠. وقول مجاهد أخرجه ابن جرير الطبري=

بيت بعد الطوفان[1]، وهو الذي قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[2]. ومنهم من قال: أول موضع اتخذته الملائكة قبلة

= في جامع البيان (٧/ ٢١). والأزرقي في «أخبار مكة» ص (٧٥) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٣)، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير الطبري والأزرقي. ولم أقف عليه في الجزء الذي وصلنا من تفسير عبد بن حميد بهامش تفسير ابن أبي حاتم المخطوط.

(١) وهذا مروي عن قتادة، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢١). وروي عن ابن عباس أنه قال: إنه أول بيت حج بعد الطوفان. انظر: البحر المحيط (٣/ ٦). وقال الألوسي: ثم المراد بالأولية: الأولية بحسب الزمان، وقيل: بحسب الشرف، ويؤيد الأول ما أخرجه الشيخان عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أول بيت وضع للناس فقال: «**المسجد الحرام، ثم بيت المقدس**» فقيل: كم بينهما فقال: «أربعون سنة». واستُشْكل ذلك بأن باني المسجد الحرام إبراهيم عليه السلام، وباني الأقصى: داود ثم ابنه سليمان عليهما السلام وبين بناء إبراهيم وبنائهما مدة تزيد على الأربعين بأمثالها. وأجيب بأن الوضع غير البناء، والسؤال عن مدة ما بين وضعيهما لا عن مدة ما بين بناءيهما، فيحتمل أن واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داود وابنه عليهما السلام، ثم بنياه بعد ذلك. روح المعاني (٤/ ٥). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٨). والحديث الذي ذكره الألوسي أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب رقم (١٠) رقم (٣٣٦٦)، وفي باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ رقم (٣٤٢٥). وأخرجه مسلم في أول المساجد حديث رقم (٥٢٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

في الأرض، وروى في ذلك أخباراً[1]، وهذا لا يقتضيه الظاهر، لأنه قال: ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، فخُص بالناس، وعلى هذا اعتبروا ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ في[2] قوله: ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[3]، ونبّه بقوله: مباركاً، أن فيه ثبوت الخير والهداية[4]، وأبهم هاهنا، ثم فسره بما بعده، واختلفوا في المقام، والأمن، فمنهم من حمل المقام على المحسوس، وقال: إنه أثر قدم إبراهيم على الحجر الصلد[5].

---

(١) ذكر القرطبي عن علي بن أبي طالب قال: أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٨). وقال الألوسي: «وورد في بعض الآثار أن أول من بنى البيت الملائكة، وقد بنوه قبل آدم عليه السلام بألفي عام، وعن مجاهد وقتادة والسدي ما يؤيد ذلك، وحكي أن بناء الملائكة له كان من ياقوته حمراء، ثم بناه آدم...» روح المعاني (٤/ ٥). وانظر أقوال العلماء في أولية البيت الحرام في الدر المنثور (٢/ ٩٣).

(٢) في الأصل (و) والصواب: (في) على ما أثبته.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٩.

(٤) انظر: الغريبين (١/ ١٥٩)، ، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٠٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٣٠)، والمفردات ص (١١٩)، وزاد المسير (١/ ٤٢٥)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٨- ٢١٠، ٢٩٤).

(٥) هذا مروي عن مجاهد؛ رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧١١) ثم قال: وروي عن الحسن وعمر=

ومنهم من حمله على الأحكام، وقال: هو موضع الطواف والسعي وسائر أركان الحج، ولهذا قال: ﴿ءَايَٰتُۢ﴾، ثم فسره بمقام وإن كان لفظه مفرداً[1]، ومنهم من قال: الآيات هي المعاني المضَمَّنة فيه التي يستدل بها العارف[2]، والمقام ما تخصَّص به إبراهيم من الخُلَّة التي اكتسبها ببذل النفس والمال والولد[3]، فعلى هذا قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ من العقوبة[4]، وقال

= بن عبدالعزيز، وقتادة، والسدي، ومقاتل نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١١)، وزاد المسير (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٩).

(١) ورد ذلك عن السدي، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٧) قال ابن جرير: وقرأ ابن عباس: «فيه آية بينة» يعني بها مقام إبراهيم، ويراد بها: علامة واحدة. وقال القرطبي: وقرأ أهل مكة وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: «آية بينة» على التوحيد، يعني مقام إبراهيم وحده. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٩). وروى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: مقام إبراهيم: الحرم كله. وفي لفظ: الحج كله مقام إبراهيم. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد نحو ذلك. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١).

(٢) هذا من تفسير الصوفية. قال ابن عربي في تفسيره (١/ ١٢١): ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ من العلوم والمعارف والحكم والحقائق.

(٣) انظر: لطائف الإشارات (١/ ٢٧٤).

(٤) هذا مروي عن عمر وابن عباس وابن عمر وعبيد بن عمير والشعبي. =

بعض الصالحين: كنت أطوف فخطر لي قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ ترى من أي شيء يأمن؟ فسمعت هاتفاً يقول: من النار[1]. وقيل ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ من بلايا الدنيا وأعراضها التي تصيب من قال فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، ومنهم من حمل: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ على الحكم، ثم اختلفوا. فمنهم من جعله خبراً، وقال: معناه أن من دخله كان آمناً، وذلك كان في الجاهلية، لأنه لم يكن يُتعرض

= انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠-٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١، ٧١٢)، وانظر: زاد المسير (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤٠، ١٤١) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٣)، وروح المعاني (٤/ ٦، ٧).

(١) ذكر ابن عطية هذا الخبر عن النقاش عن بعض العبّاد. المحرر الوجيز (٣/ ١٦٨). والنقاش: هو محمد بن الحسن أبو بكر النقاش المقرىء المفسر، قال عنه الذهبي: «اتهم بالكذب، وقد أتى في تفسيره بطامات وفضائح، وهو في القراءات أمثل» المغني في الضعفاء (٢/ ٢٨٦)، وهذا القول مروي عن يحيى بن جعدة، وهو ثقة من الثالثة وقد أرسل عن ابن مسعود كما ذكر الحافظ في التقريب ص (٥٨٩)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٢)، والنكت والعيون (١/ ٤١١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٣)، وروح المعاني (٤/ ٧).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

لجانٍ يلتجىء إلى الحرم بوجه حتى يخرج[1]، وقال الحسن والأصمّ: من دخله يأمن الاصطلام[2]، ومنهم من حمل ذلك على التعبد، أي في حكم الله، وإن كان في نفسه وجلًا، كقولك: هذا مباح، وهذا محظور، فعلى هذا من جعل الضمير في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ للبيت قال: لا يتعرض له بوجه إلى أن يخرج، ومن جعله للحرم فمنهم من قال: من قَتَل في غير الحرم ثم دخله لم يقتصّ منه إلى أن يخرج، لكن/ [٢٣٠/ب] لا يبايع ولا يواكل حتى يضطر إلى الخروج، وقال الحسن: يقتص من الكل، وهذا كان حكماً في الجاهلية[3]، ولم يختلفوا أنه إذا جنى في الحرم كان مأخوذاً بجنايته[4]، وعلى

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩، ٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٢)، والنكت والعيون (١/ ٤١١)، والوسيط (١/ ٤٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ١١)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٣)، والفتوحات الإلهية (١/ ٢٩٨).

(٢) الاصطلام: الاستئصال. انظر لسان العرب (١٢/ ٣٤٠).

(٣) روى قول الحسن الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٩، ٣٠)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٦٨).

(٤) قال أبو حيان: «. . . فأما في الإسلام فإن الحرم لا يعيذه، وإلى هذا ذهب عطاء ومجاهد والحسن وقتادة وغيره، فمن زنى أو سرق أو قتل أقيم عليه الحد. واستحسن كثير ممن قال هذا القول أن يُخرج من وجب عليه القتل إلى الحل فيقتل فيه. وقال ابن عباس: من أحدث حدثاً واستجار بالبيت فهو آمن، والأمر في=

قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ يحمل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾(١)، وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(٢)،

= الإسلام على ما كان في الجاهلية، فلا يعرض أحد لقاتل وليّه إلا أنه يجب على المسلمين أن لا يبايعوه، ولا يكلموه ولا يؤووه، حتى يتبرم فيخرج من الحرم، فيقام عليه الحد، وقال بمثل هذا عطاء أيضاً والشعبي، وعبيد بن عمير، والسدي، وابن جبير وغيرهم، إلا أن أكثرهم قالوا: هذا فيمن يقتل خارج الحرم ثم يعوذ بالحرم، أما من قتل فيه فيقام عليه الحد فيه. واختلف فقهاء الأمصار إذا جنى في غير الحرم، ثم التجأ إليه فقال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، وزفر، والحسن بن زياد، وأحمد في رواية حنبل عنه: إن كانت الجناية في النفس لم يقتص منه ولا يخالط. وما فيما دون النفس اقتص منه في الحرم. وقال مالك في رواية: لا يقتص منه فيه لا بقتل ولا فيما دون النفس ولا يخالط. قالوا: وانعقد الإجماع على أن من جنى فيه لا يؤمن، لأنه هتك حرمة الحرم وردَّ الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه ثم التجأ إليه. وقالوا: هذا خبر معناه الأمر أي ومن دخله فأمّنوه وهو عام فيه أو في غيره ثم دخله، لكن صدَّ الإجماع عن العمل به فيمن جنى فيه، وبقي حكم الآية مختصًا بمن جنى خارجاً منه ثم دخله». البحر المحيط (٣/ ١١). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٩، ٣٤-٣٧)، والنكت والعيون (١/ ٤١١)، والوسيط (١/ ٤٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٨)، وزاد المسير (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤٠، ١٤١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٦١)، وروح المعاني (٤/ ٦، ٧).

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

وقوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[1]، وقُرئ ﴿ءَايَةٌ بَيِّنَةٌ﴾[2]، وكأن قارئه نظر إلى لفظ ما أُبدل منه، وهو مقام إبراهيم، فلما كان مفرداً جعل الآية مفردة، والصحيح ما عليه الكافة[3]، فالمقام[4]

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

(٢) مرَّ أن هذه قراءة ابن عباس على ما حكاه الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٦)، أو ابن عباس، وأهل مكة، ومجاهد، وسعيد بن جبير على ما حكاه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٩). وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٦٥)، وزاد المسير (١/ ٤٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٨).

(٤) المقام: (مفعل) من القيام، والمفعل قد يراد به الحدث فيكون اسم مصدر، وقد يراد به مكان الفعل، فيكون اسم مكان، وقد يراد به زمان الفعل فيكون اسم زمان. وتفسير مقام إبراهيم بالمصدر أي قيام إبراهيم قال به المبرد. وقال النحاس: «وقول أبي العباس: إن مقاماً بمعنى مقامات؛ لأنه مصدر». إعراب القرآن (١/ ٣٩٦)، وهو ظاهر قول النحاس أيضاً في معاني القرآن (١/ ٤٤٥). غير أن التفسيرات التي ذكرها ابن جرير وغيره ليس فيها ما يدل على أن المراد: قيام إبراهيم، بل فيها ما يدل على أن مقام إبراهيم اسم مكان للحجر المعروف الآن، أو الصفا والمروة، أو عرفة والمزدلفة والمشعر الحرام، أو كل أماكن الحج. والراجح في إعراب «مقام إبراهيم» ما اختاره الأخفش وابن جرير الطبري وأبو حيان وغيرهم وهو أنه مبتدأ خبره محذوف، والتقدير (منها مقام إبراهيم) أو (منهن مقام إبراهيم) انظر: كتاب سيبويه (١/ ٢٣٤)=

مصدر، ويتناول الواحد والجمع، فإذا اعتبر بالمحسوس فهي المناسك، وإذا اعتبر بالمعقول فأفعال إبراهيم المتقدم ذكرها.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1] السبيل: إمكان الوصول إليه[2]، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[3] والاستطاعة: استدعاء الطاعة، كأن النفس بالقدرة تستدعي طاعة الشيء لها، والقدرة والطاقة، والاستطاعة والجهد والوسع متقاربة، وقد

= (٤/ ٨٧-٩٠). ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤١٥)، وجامع البيان (٣/ ٣٣-٣٨) (٧/ ٢٧-٢٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩٦)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٦)، والبيان (١/ ٢١٣)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٤)، والشافية ص (٢٨-٣٠)، والبحر المحيط (٣/ ٩-١١)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٣١٠، ٣١١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) هذا مروي عن ابن الزبير، والضحاك، وعطاء، وعامر، والحسن، وهو اختيار ابن جرير والنحاس. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٣-٤٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤٨). قال أبو حيان: «والظاهر أن شرطه القدرة على الوصول إليه بأي طريق من مشي، وتكفُّفٍ، وركوب بحرٍ، وإيجار نفسه للخدمة، الرجال والنساء في ذلك سواء، والمشروط مطلق الاستطاعة. البحر المحيط (٣/ ١٢).

(٣) سورة غافر، الآية: ١١.

تقدم ذلك[1]، وقولهم: لا يستطيع كذا. تارة يقال لنفي القدرة، وتارة لنفي الخفّة، فإن قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[2] أي يستثقلونه، لا لأنهم لا يقدرون عليه[3]، وتمام استطاعة العبادة

---

(١) يشير إلى كلامه في تفسير الآية ١٨٤ من سورة البقرة حيث قال: «والقدرة والاستطاعة والجهد والطاقة تتقارب، وبينهما فروق: ـ فالقدرة: ما يظهر من القوة بقدر العمل، لا زائداً عليه ولا ناقصاً. ـ والاستطاعة منها ما يصير الفعل طائعاً له بسهولة. ـ والوسع منها ما يسع له فعله بلا مشقة. ـ والجهد ما يتعاطى به الفعل بمشقة. ـ والطاقة منها بلوغ غاية المشقة». انظر: تفسير الراغب (ق ١٢٣ ـ مخطوط) وقد فرق أبو هلال العسكري بين القدرة والاستطاعة والطاقة بقريب مما ذكر المؤلف. انظر: الفروق ص (١١٩) وذكر الأزهري في معنى الجهد ما ذكره المؤلف. انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٣٧). وعامة من رجعت إليهم ممن فسروا الوسع قالوا: إنه الطاقة، ولم يفرقوا بينهما. انظر معاني هذه الكلمات في: الغريبين (١/ ٤٢٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ٩٥)، والصحاح (٣/ ١٢٩٨)، والمقاييس (٦/ ١٠٩)، والمشوف المعلم (١/ ١٧١)، وما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري ص (٧٣)، وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٢١٣).

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠١.

(٣) قال الراغب: وقد يقال: فلان لا يستطيع كذا لما يصعب عليه فعله لعدم الرياضة، وذلك يرجع إلى افتقاد الآلة أو عدم التصور، وقد يصح معه التكليف، ولا يصير الإنسان به معذوراً. وعلى هذا الوجه قال تعالى: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] وقال: ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]=

ثلاث: **الأول**: استطاعة نفسية، وهي المعرفة بها، أو التمكن من معرفتها. **والثاني**: استطاعة بدنية، وهي أن يكون صحيح البدن قادراً على إقامتها. **والثالث**: استطاعة من خارج، وهي وجود الآلة التي بها يتمكن من فعلها، ومتى اجتمعت الثلاثة فقد حصل تمام الاستطاعة، وإلا فالاستطاعة معدومة أو قاصرة(١)، وقول النبي ﷺ: «**الاستطاعة: الزاد والراحلة**»(٢)

= وقد حمل ذلك على قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء: ١٢٩]. المفردات ص (٥٣٠).

(١) ذكر الراغب في المفردات أربعة أمور تتوقف عليها تمام الاستطاعة وهي: بنية مخصوصة للفاعل. وتصوُّر للفعل، ومادة قابلة لتأثيره، وآلة إن كان الفعل آليًا كالكتابة. قال: فإن الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة في إيجاده للكتابة، وكذلك يقال: فلان غير مستطيع للكتابة إذ فقد واحداً من هذه الأربعة فصاعداً، ويضاده العجز، وهو أن لا يجد أحد هذه الأربعة فصاعداً، ومتى وجد الأربعة كلها فمستطيع مطلقاً، ومتى فقدها فعاجز مطلقاً، ومتى وجد بعضها دون بعض فمستطيع من وجه عاجز من وجه، ولأن يوصف بالعجز أولى. المفردات ص (٥٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي ـ كتاب الحج ـ باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة، رقم (٨١٣)، وفي كتاب التفسير باب ومن سورة «آل عمران» رقم (٢٩٩٨)، وابن ماجه ـ كتاب المناسك ـ باب ما يوجب الحج رقم (٢٨٩٦). والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤٢) بنحوه، والبيهقي في سننه (٤/ ٣٣٠)، وابن جرير في جامع البيان (٧/ ٣٩، ٤٠)، وابن=

متناولة للخارجة دون البدنية والنفسيّة، وخصّها ﷺ بالذكر لما كان معلوماً عندهم أن بافتقاد الأُوليين لا يُكلَّف. وكأن القوم قد شكوا أن الفقير الذي تبعد مسافته، ولا يتمكن من زاد وراحلة هل يلزمه الحج؟ فراجعوه، فبيّن ﷺ لهم ذلك، ولم تتناول الآية العبد، لأنه لا ملك له في قول جُلِّ الفقهاء، وفي قول بعضهم سيده أولى بما في يده، وله أن يمنعه باتفاق(١)، وكذا المرأة إذا لم يكن لها محرم، هذا قول الفقهاء(٢)، فأما الصوفية فقد قالوا: الزاد

= أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧١٣)، وابن أبي شيبة (٤/ ٩٠)، والدارقطني (٢/ ٢١٧)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٤) وهو في مسند الشافعي (١/ ٢٨٣، ٢٨٤) وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي (٣/ ١٧٧): حديث حسن وإبراهيم هو ابن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه وقال في الموضع الآخر (٥/ ٢١٠): هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه اهـ. وقال الحافظ ابن حجر عن إبراهيم في التقريب ص(٩٥): متروك الحديث من السابعة. وضعف هذا الحديث الإمام ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٢٨٨)، والألباني في إرواء الغليل (٤/ ١٦٠).

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٦، ٢٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٨٧). والبحر المحيط (٣/ ١٢).

(٢) قال الجصاص: وعندنا أن وجوب المحرم للمرأة من شرائط الحج. =

التقوى، لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[1] والراحلة صحةُ البدن، وقد عبر عن البدن بذلك في قوله: «إن المنبّت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[2]، وقال بعضهم: فيه مع إرادة هذا المعنى تنبيه على معنى أبلغ من ذلك البيت جنة المأوى[3]،

= أحكام القرآن (٢/ ٢٤). وقال أبو حيان: «ولا حج على المرأة إلا إذا كان معها ذو محرم، واختلف إذا عدمته، فقال الحسن والنخعي وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد وإسحاق: المحرم من السبيل، ولا حجَّ عليها إلا مع ذي محرم... وقال مالك: تخرج مع جماعة نساء. وقال الشافعي: مع حرة ثقة مسلمة.... وقال الأوزاعي مع قوم عدول...» البحر المحيط (٣/ ١٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) رواه البزار رقم (٧٤)، والبيهقي في سننه (٣/ ١٨)، وابن المبارك في الزهد رقم (١١٧٩)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (١١٤٧) من طريق أبي عقيل عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعاً. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٦٢) فيه يحيي بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب. والحديث ضعفه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٢٥٠٩ ـ فيض القدير) وقال المناوي: وفيه اضطراب في الصحابي أهو جابر أو عائشة أو عمر، ورجح البخاري في التاريخ إرساله. اهـ.

(٣) هذا التأويل من شطحات الصوفية وإشاراتهم التي ليس لها سند لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة والتابعين، فالبيت هو البيت الحرام، والحجُّ إليه معروف وهو ركن من أركان الإسلام، والاستطاعة حددها العلماء وبينوها. انظر: تلبيس إبليس ص (٣٧٢ - ٣٨٣) =

لقوله: ﴿ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[1] ولما لم يكن للإنسان سبيل إلى ذلك إلا بحسن، عبادته صار ذلك حقًّا على الناس، ولذلك أكَّد لفظه، وخصّه بما لم يخص به شيئاً من العبادات، فقال ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وقال بعض الصوفية: في الحج إشارات اقتضت تأكيد لفظ الأمر به، وذاك أن في العقد به إشارة إلى معاقدة الولاء المعني بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2]، وبالتلبية إلى الإجابة له فيما دعا إليه، / [٢٣١/أ] وبالتجرد إلى التجرد من الدنيا، وأنه عاد كما خرج من بطن أمه، وبالوقوف إلى الوقوف ببابه، وبالسعي إلى السعي إليه، وبالطواف إلى محلِّ القربة منه[3]، قال: ولذلك حقٌّ على المسلم أن يتغير حاله بعد حجه عما كان عليه قبل، ولهذا قال ﷺ: «**من حج فلم يفسق ولم يرفث كان كيوم ولدته أمه**»[4]، يعني لم يفسق ولم يرفث بعد رجوعه من

= تحت عنوان: ذكر نبذة من كلامهم في القرآن.

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) انظر: لطائف الإشارات (١/ ٢٧٦)، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (١/ ٢٦٥ - ٢٧٢) تحت عنوان: بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية، وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة، وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره.

(٤) لفظ الحديث: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» =

الحج، ولم يعن في الحج[1]، فإن ذلك مدلول عليه بقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قال ابن عباس: من كفر بوجوب الحج عليه[3]، وعلى هذا ما ورد أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «مَنْ إن حجّ لم يَرجُ ثوابه، وإن جلس لم يخف عقابه»[4] وأما من تركه ممن يرى وجوبه لم يكن كافراً

= أخرجه البخاري - كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور، رقم (١٥٢١). وفي كتاب المحصر، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ رقم (١٨١٩، ١٨٢٠). ومسلم في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٣).

(١) لفظ الحديث ينبو عن هذا المعنى لأنه ﷺ قال: «... رجع كيوم ولدته أمه» أي رجع من الحج كيوم ولدته أمه، ولم أجد أحداً ممن تعرض لهذا الحديث بالشرح ذكر هذا المعنى. انظر: فتح الباري (٣/ ٤٧٤)، و(٤/ ٢٥)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١١٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٧)، ويروى أيضاً عن مجاهد والحسن وعمران القطان والضحاك وهو قول ابن جرير الطبري (٧/ ٥١). وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٥). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١١)، والوسيط (١/ ٤٧٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٤)، وزاد المسير (٤٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٩) وضعفه الشيخ أحمد=

وإن كان عاصياً[1]، وقيل: الكفر كفران: كفر تام، وهو إنكار الوحدانية، أو ما يجري مجراه، وكفر ناقص، وهو الإخلال ببعض العبادات، التي هي أركان الدين: كالصلاة والزكاة والحج[2]. ولهذا قال ﷺ: **«من ترك الصلاة فقد كفر»**[3]،

= شاكر في حاشيته على التفسير. ويروى موقوفاً عن ابن عباس؛ رواه الطبري (٧/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧١٥)، وموقوفاً على علي؛ رواه الطبري (٧/ ٤٩). ويروى كذلك عن مجاهد؛ رواه الطبري (٧/ ٤٨)، وسعيد بن منصور (٣/ ١٠٧٥).

(١) ولذلك قال القرطبي رحمه الله: «هذا خرج مخرج التغليظ، ولهذا قال علماؤنا: تضمنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر فالوعيد يتوجّه عليه» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٤)، وقال ابن عطية: «هذا كفر معصية» المحرر الوجيز (٣/ ١٧٥).

(٢) انظر تقسيم الكفر إلى أكبر وأصغر في: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٤١، ٤٩، ٥٤، ٥٧)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٠٧، ٢٠٨)، ومدارج السالكين (١/ ٣٦٤-٣٦٧)، وفتح الباري (١/ ٨٤).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (١٤٦٣) ولفظه: **«بكروا بالصلاة في يوم الغيم، فإنه من ترك الصلاة فقد كفر»** وثبت الحديث بلفظ آخر: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»** رواه الترمذي ـ كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١) رقم (٤٦٣)، وابن ماجه ـ كتاب إقامة الصلاة ـ باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩) نحوه، وأحمد (٥/ ٣٤٦، ٣٥٥)، =

وقال ﷺ: «من مات وعليه حج الإسلام فلا عليه أن يموت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا»(١)، وإنما قال: ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تنبيهاً أن قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ليس لحاجة به، وإنما ذلك،

= والحاكم في المستدرك (١/ ٧١٦). وابن عدي في الكامل (٣/ ٨٩٦)، والدارقطني (٢/ ٥٢)، والبيهقي (٣/ ٣٦٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤/ ٣٩٥ ـ فيض القدير). والمصنف هنا يذهب إلى أن تارك الصلاة لا يكفر كفراً أكبر ينقل عن الملة، وهذا مذهب جمهور العلماء، والمسألة فيها خلاف مشهور. انظر: حاشية رد المحتار وحاشية ابن عابدين (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨)، والمقدمات الممهدات لابن رشد (١/ ١٤١)، وروضة الطالبين للنووي (٢/ ١٤٦)، والمغني لابن قدامة (٣/ ٣٥١ - ٣٥٩)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٦٣٦)، والتمهيد لابن عبدالبر (٤/ ٢٢٥)، والمحلى لابن حزم (٢/ ٢٣٦ - ٣٢٧).

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧١٢) والترمذي في سننه ـ كتاب الحج ـ باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، رقم (٨١٢) بلفظ مقارب من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً. وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال وهلال بن عبدالله مجهول، والحارث يضعّف في الحديث. وذكر ابن كثير في تفسيره كلام الترمذي، ثم قال: وقال البخاري: هلال هذا منكر الحديث. وقال ابن عدي: هذا الحديث ليس بمحفوظ. تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٥).

لحاجتهم ونفعهم، إذ هو تعالى الغني المطلق، وغيره وإن استغنى عن شيء ما فغير غني عنه تعالى في شيء من الأحوال، وهو القائم على كل شيء[1].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾[2] الذي اقتضى مخاطبتهم بهذا إنكارهم نبوة محمد، ووجوب الحج، والآيات المقتضية لذلك من الكتب المتقدمة ومن القرآن[3]، وبين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ أنكم تسترون ما لا يستتر، إذ هو لا يخفى عليه خافية[4]، إن قيل: لم قال في موضع: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهاهنا قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟ قيل: الأول استدعاء إلى الحق فجعل خطابهم منه استلانة للقول، ليكونوا أقرب إلى انقيادهم، وهاهنا لمّا قصد إلى الغض منهم ذكر ﴿قُلْ﴾ تنبيهاً أنهم غير مستأهلين أن يخاطبهم بنفسه تعالى، وإن كان كلا

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٥، ١٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٦٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٨.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢)، والكشاف (١/ ٣٩٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٥).

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٣٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٥)، وقال ابن عطية: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد محض؛ أي يجزيكم به ويعاقبكم. المحرر الوجيز (٣/ ١٧٦).

الخطابين موصلًا على لسان النبي ﷺ[1]. إن قيل: لِمَ صار أهل الكتاب يطلق في القرآن تارة على سبيل الذم، وتارة على سبيل المدح، ولا نجري قولنا: أهل القرآن وأهل السنة[2] هذا المجرى؟ قيل: الكتاب لما كان قد يراد به ما افتعلوه دون ما أنزل الله نحو: ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[3]، وقد يُراد به ما أنزل الله تعالى، فيكون على سبيل الذّم لأهل الكتاب، وقد يُراد به ما أنزله الله، ويكون على سبيل التهكم، نحو قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[4] فعلى هذا لو قيل: أهل القرآن وأهل السنة على سبيل الذم والتهكم لجاز[5]، وقوله: ﴿لِمَ﴾ وإن كان أصله استفهاماً فالمقصد به هاهنا الإنكار والتنبيه؛ أن لا جواب لهم ولا عذر[6].

---

(١) ذكر أبو حيان هذا التساؤل وجوابه ملخصاً، ونسبه للراغب. البحر المحيط (٣/ ١٦).

(٢) أهل السنة: هم أهل الحق: من الصحابة، رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلًا بعد جيلٍ إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم. الفِصل لابن حزم (٢/ ٢٧١).
وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٤٦، ٣٧٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٥) ذكر أبو حيان هذا التساؤل وجوابه مختصراً ونسبه للراغب. البحر المحيط (٣/ ١٦).

(٦) من الأغراض البلاغية للاستفهام: الإنكار، وهو هنا لتوبيخ أهل الكتاب، =

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

يقال: بغيته كذا أي طلبته له، وأبغيته أعنته على بُغَائه[2]، نحو لمسته كذا وألمسته، وحملته كذا وأحملته[3]، والعِوج ما يدرك بالفكر من الاعوجاج، والعَوج ما يدرك بالطَّرف[4]، وقوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[5]، [٢٣١/ب] يعني الظلم وما يجري مجراه مما يكون في الدنيا[6]، / ومعناه لا

= وبيان أن فعلهم هذا لا ينبغي أن يكون. انظر: شرح التلخيص ص (٨٧) وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٦٣)، وروح المعاني (٤/ ١٤) والتحرير والتنوير (٤/ ٢٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.

(٢) البُغاء ـ بالضم ـ الطلب. انظر: المنقوص والممدود ص (٤٧)، والغريبين (١/ ١٩٢).

(٣) هذا الكلام موجود في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٧) بألفاظ مقاربة لما هنا. وقال ابن القوطية: «ولمست الشيء لمساً: أجريت يدك عليه وأيضاً طلبته... وألمست الرجل: أعنته على ما يلتمس» كتاب الأفعال ص (٩٢). وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٣)، ومعاني القرآن وإعرابه.

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩)، ومجالس ثعلب (١/ ٨٥)، والكشاف (٣/ ٨٨)، والمشوف المعلم (١/ ٥١٢).

(٥) سورة طه، الآية: ١٠٧.

(٦) لما فرق الراغب بين العوج بكسر العين والعَوج بفتحها، وجعل الأولى مما يدرك بالفكر، والثانية مما يدرك بالطرف، أورد قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ =

= ﴿فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ وهو يخالف تلك القاعدة، لأن العوج في هذه الآية مما يدرك بالطرف، ومع ذلك جاء مكسور العين. فقد قال ابن عباس: عوجاً أي ميلًا أو وادياً. وقال قتادة: عوجاً صدعاً. وذكر ابن كثير أن ذلك قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، والضحاك، وقتادة، وغير واحد من السلف. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٦١). إلا أن الراغب ـ رحمه الله ـ أراد طرد القاعدة التي ذكرها، لذلك فسَّرَ العوج في الآية بمعنى ذهني يدرك بالفكر وهو الظلم وما يكون في الأرض. ولم أجد أحداً وافقه على هذا التأويل. وقد أورد الزمخشري في هذه الآية معنى آخر استحسنه أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٢٥٩)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٣٢٧) حيث قال: فإن قلت: قد فرقوا بين العوج والعَوج، فقالوا: العِوج بالكسر في المعاني، والعَوج بالفتح في الأعيان، والأرض عين، فكيف صحَّ فيها المكسور العين؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملامسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسوّيتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي المهندس فيها، وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على عوج في غير موضع، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك، اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني، فقيل فيه: عوج بالكسر» الكشاف (٣/ ٨٨). قلت: وأحسن من ذلك قول ابن الأثير: (عَوج) وهو بفتح العين مختصّ بكل شيء مرئي

تصُدّوا المؤمنين طالبين لطريقهم الإعوجاج، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ الشهادة تارة بالعقل نحو ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] أي عارف بعقله، وتارة بالعقد، نحو قوله: ﴿فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2] وتارة بإقامة ذلك[3]، وقد فُسّر الآية

= كالأجسام، وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول. وقيل: الكسر يقال فيهما معاً، والأول أكثر. النهاية (٣/ ٣١٥). وقول ابن منظور: «والعِوج بكسر العين في الدّين، وفيما كان التعويجُ يكثر مثل الأرض والمعاش». لسان العرب (٢/ ٣٣٢) وقول ابن جُزي الكلبي: «المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأشخاص، والأرض شخص، فكان الأصل أن يقال فيه بالفتح وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه. التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٩).

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) قال الراغب: الشُّهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفرداً قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [السجدة: ٦] لكن الشهود بالحضور المجرد أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى... والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر... وشهدت يقال على ضربين: أحدهما: جارٍ مجرى العلم، وبلفظه تقام الشهادة. ويقال: أشهد بكذا، ولا يُرضى من الشاهد أن يقول: أعلم، بل يحتاج أن يقول: أشهد. والثاني يجرى مجرى القسم=

بثلاثتها؛ فقد قيل: وأنتم عقلاء تعرفون ذلك بعقولكم[1]، قيل: وأنتم قد أخذ عليكم العهد بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ﴾[2] قيل: وأنتم شهدتم نبوته قبل بعثته[3]، وكل ذلك مراد فلا تنافي بينها.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[4] قال السديّ: نزلت في قوم من اليهود، سعوا بين أوس وخزرج بالفساد، وذكّروهم من الأحقاد والأوتار[5]، فأنزل الله تعالى ذلك، وتلاه[6] عليهم النبي ﷺ، فأحجموا عما همّوا

= فيقول: أشهد بالله أنَّ زيداً منطلق فيكون قسماً...». المفردات ص (٤٦٥، ٤٦٦) وانظر: تفسير غريب القرآن (٤١٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٧٣، ٧٤)، والزاهر (١/ ٣٢-٣٤). والبحر المحيط (٣/ ١٧).

(١) انظر: النكت والعيون (١/ ٤١٢) وزاد المسير (١/ ٤٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١. وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ الآية.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٤، ٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٨)، والوسيط (١/ ٤٧١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(٥) الأوتار: جمع وتر، وهي الجناية. انظر: لسان العرب (٥/ ٢٧٤، ٢٧٥).

(٦) في الأصل: (وتلا) والصواب ما أثبته.

به[1]، والطاعة: بذل الانقياد[2] والإجابة نحوها، غير أن الإجابة قد تكون بالقول مرة وبالفعل مرة، ومتى كانت بالفعل فهي موافقة الداعي دون الانقياد، ولهذا يقال: أجاب الله عبده، ولا يقال أطاعه[3]، وإنما خص فريقاً منهم لئلا يدخل فيه من قال فيهم: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[4]، وعنى بالإيمان هاهنا الخوض فيه دون استكماله المعني بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[5]، فإن من بلغ هذه المنزلة فمحال أن يُردّ على عقبه، ولهذا قيل: ما رجع من رجع إلا من الطريق[6].

---

(١) وردت هذه القصة في جامع البيان (٧/ ٥٨، ٥٩)، عن السدي ومجاهد، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧١٩)، عن مجاهد، وأسباب النزول ص (١١٦، ١١٧)، عن عكرمة وزيد بن أسلم. والوسيط (١/ ٤٧١) عن عكرمة، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٥)، عن زيد بن أسلم والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: العين (٢/ ٢٠٩)، والصحاح (٣/ ١٢٥٥). والمفردات ص (٥٢٩).

(٣) قال أبو هلال في كتاب الفروق ص (٢٤٥): «والفرق بين الإجابة والطاعة أن الطاعة تكون من الأدنى للأعلى، لأنها في موافقة الإرادة الواقعة موقع المسألة، ولا تكون إجابة إلا بأن تفعل لموافقة الدعاء بالأمر من أجله».

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٦) كأن الراغب رحمه الله استبعد أن يخاطب كاملو الإيمان بذلك، والصحيح أن ذلك ليس ببعيد، ولا يستغرب أن يخاطب الله تعالى عباده الذين وصلوا إلى مرتبة الكمال الإيماني محذراً إياهم من الردة والفتنة والنكوص على =

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] العصم والعصب يتقاربان، لكن العصم أبلغ، فإن معه الشدّ إمساكاً[2]، والأعصم: الوعل المعتصم بالجبل، والعِصَام على بناء الزمام والسِّخَاب[3]، وجمعه عُصُم[4]، واعتصمت به واعتصمته نحو تعلقت به وتعلقته[5]،

= الأعقاب، يدل لذلك أنه تعالى خاطب نبيه محمداً ﷺ محذراً إياه من الشرك فقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. قال ابن جرير الطبري في تفسير ذلك: لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد ليبطلنَّ عملك ولا تنال به ثواباً، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله. . . فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك» اهـ. جامع البيان (٢١/ ٣٢٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٢) كذا في الأصل وهو غير واضح، ولعل: الصواب (فإن فيه مع الشدِّ إمساكاً). وذلك لأنه يقال: «أعصمت القربة إذا شددتها بالوكاء». تهذيب اللغة (٢/ ٥٧)، ويقال: «اعتصم بالشيء إذا تمسّك به». انظر: كتاب الأفعال لابن القوطية ص (٢٠).

(٣) السَّخاب: كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن. انظر تاج العروس (٣/ ٤٥).

(٤) «عصام الوعاء: وكاؤه» الاشتقاق ص (١١٥).

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٠٨)، والأفعال لابن القوطية ص (٢٠، ١٩٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٤٦، ٥٤-٥٨)، وفيه أن عصب وعصم مما تبادلت فيه الباء والميم، والصحاح (٥/ ١٩٨٧)، والمفردات ص (٥٦٩، ٥٧٠)، والمشوف المعلم (١/ ٥٣٩- ٥٤٢).

والعصمة من الله على ثلاثة أضرب: عامة لكل مكلف، وهي ما يفيض له من العقل، وهدايته بالأمر والنهي والوعد والوعيد. والثانية: لمن اهتدى بالأولى، وهي التي يرغب كل مؤمن أن يجعل الله له منها حظًّا. وإياها قصد بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1]. والثالثة: للأنبياء وكيفيتها مختلف فيها[2]، والاعتصام، والتفويض، والتوكل، والإسلام - أي الاستسلام - مترتب بعضها على بعض، فالاعتصام قبل التفويض، والتفويض قبل التوكل، لأن معنى فوضت أمري إلى فلان، أي جعلت له الفوض فيه، ومعنى توكلت عليه: اعتزلت، وجعلته المعتمد[3]، وأما الإسلام فغايته ما كان من إبراهيم عليه السلام، حيث قال: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، ولكون الاعتصام أول منزلة من هذه المنازل، قال بعض الصوفية: الاعتصام

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) قال الراغب في المفردات: «وعصمة الأنبياء: حفظه إياهم أولاً بما خصَّهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، ثم بالنصرة وبتثبُّت أقدامهم ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق» المفردات ص (٥٧٠).

(٣) أي اعتزلت ما سواه وجعلته المعتمد.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

للمحجوبين[1]، فأما أهل الحقائق فهم في القبضة[2]، واستبعد

(١) المحجوبون: عند الصوفية هم من احتجبوا عن قرب الله بسبب من الأسباب. وعند غلاتهم: المحجوبون هم العامة. انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨٢)، والمعجم الصوفي ص (٧٤).

(٢) لم يبين الراغب رحمه الله قائل ذلك، ويبدو أنه أحد غلاة الصوفية، لأن كلامه مخالف لقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فالله تعالى أثبت له الهداية، وذاك جعله مع المحجوبين. غير أن مصادر التصوف التي بين يديَّ ليس فيها شيء من تنقص تلك المنزلة، فهذا ابن عربي يقول: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ بالانقطاع عما سواه والتمسك بالتوحيد الحقيقي ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إذ الصراط المستقيم، هو طريق الحق تعالى، كما قال: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]. تفسير ابن عربي (١/ ١٢٢)، وقال القشيري: إنما يعتصم بالله من وجد العصمة من الله، فأما من لم يهده الله فمتى يعتصم بالله؟ فالهداية منه في البداية توجب اعتصامك في النهاية، لا الاعتصام منك يوجب الهداية. لطائف الإشارات (١/ ٢٧٧، ٢٧٨). أما الهروي فقد قسم منزلة الاعتصام إلى ثلاث مراتب: قال: «وهو على ثلاث درجات: اعتصام العامة بالخبر، استسلاماً وإذعاناً بتصديق الوعد والوعيد، وتعظيم الأمر والنهي، وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف. واعتصام الخاصة: بالانقطاع، وهو صون الإرادة قبضاً، وإسبال الخُلُق بسطاً، ورفض العلائق عزماً، وهو التمسك بالعروة الوثقى. واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال، وهو شهود الحق تفريداً، بعد الاستحذاء له تعظيماً والاشتغال به قرباً» مدارج السالكين (١/ ٤٩٨-٥٠١). فكلام الهروي هنا يدل على تعظيم جميع مراتب الاعتصام وإن كان بعضها أفضل من بعض بخلاف=

الله تحولهم مع ظهور الآيات التي هي المعجزات العقلية، وكون الرسول المشاهد فيما بينهم الذي يظهر من المعجزات المحسوسة[1]، وقيل: معنى قوله: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ أي دلائله لا ذاته، فعلى هذا خطاب لمن في زمانه، ولمن بعده[2]، وقوله: ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي الطريق المسئول أن يهدينا إليه في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[3]، / [٢٣٢/أ] والمدعو إليه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[4]، والمأمور به في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[5].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

= كلام من ذكره الراغب، فإنه غض من شأن تلك المنزلة وجعلها للعوام المحجوبين الذين لم يصلوا إلى مرتبة أهل الحقائق.

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٦١)، والكشاف (١/ ٣٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٦)، وروح المعاني (٤/ ١٦).

(٢) قال الألوسي: «والأكثرون على تخصيص هذا الخطاب بأصحاب رسول الله ﷺ، أو الأوس والخزرج منهم، ومنهم من جعله عاماً لسائر المؤمنين وجميع الأمة، وعليه معنى كونه ﷺ فيهم: أن آثاره وشواهد نبوته فيهم، لأنها باقية حتى يأتي أمر الله». روح المعاني (٤/ ١٦).

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

﴿مُسْلِمُونَ﴾[1] التقوى: أن تجعل بينك وبين المعاصي ما يصير واقياً لك عن تعاطيها، فتصير واقياً لك في الآخرة عن العذاب[2]، وقال بعض الناس: التقوى من ثلاثة أوجه: تقوى من غرور الدنيا، والتقوى من النفس، والتقوى من الله. وكل واحد منها على ثلاث منازل: أما التقوى من الدنيا فأن تتقي محرماتها، ثم شبهاتها، ثم الزهد في مباحاتها[3]، وأما التقوى من النفس [. . .][4] فأن تتقي أولاً عقوبته، ثم استدراجه نحو: أن يملي للعبد ويوسع عليه فيغتر به، ثم حجابَه، نحو: أن يسأله العبد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) قال الراغب في المفردات: والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يُخاف. . .» المفردات ص (٨٨١) وانظر: النهاية (٥/ ٢١٧). وقال ابن رجب الحنبلي: «وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد ربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه» جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٨).

(٣) قال الحافظ ابن رجب: «ويدخل في التقوى الكاملة: فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات، وهو أعلى درجات التقوى». جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٩).

(٤) هنا سقط يتضمن منازل التقوى من النفس، وبداية الكلام على منازل التقوى مِن الله.

فتتباطأ إجابته فيغيرّ ذلك قلبه، فمن استكمل هذه المنازل فقد اتقى الله حق تقاته[1]، وحرر ذلك بعض الصوفية على وجه آخر، وقال: التقوى على ثلاث منازل: تقوى العقوبة بالصبر عن المعاصي، وإياه قصد بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]، وتقواه بشكر آلائه، وإياه قصد بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾[3] خص لفظ الرب المنبئ عن تربيته إياه ونعمته عليه، وتقواه برؤية وحدانيته من غير تلفّت ثواب أو عقاب، وإياه قصد بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4] قال: ولهذا حيث ما ذكر ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خص المؤمنين بالمخاطبة، وحيثما ذكر ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ خص الناس الذي هو أعم اللفظتين[5]. وتقسيم التقوى على ثلاث منازل هو على حسب الظالم

---

(١) انظر في الحديث عن درجات التقوى ومنازلها: شعب الإيمان للإمام عبدالجليل القصري (١/ ٣٨٨-٣٩٧)، والرسالة القشيرية ص (١٠٥-١٠٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

(٣) سورة الحج، الآية: ١. ولقمان، الآية: ٣٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٥) وأشار إلى نحو ما سبق القشيري في لطائفه، فقال: «حق التقوى يكون على وفق الأمر، لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص... وحق التقوى رفض العصيان، ونفي النسيان، وصون العهود، وحفظ الحدود، وشهود الإلهية، والانسلاخ عن أحكام البشرية، والخمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب كل جرم وظلم، واستشعار الأنفة عن التوسل إليه بشيء من طاعتك دون صرف كرمه، والتحقق بأنه لا يقبل أحداً بعلّة، ولا يردّ=

والمقتصد والسابق[1]، وقوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ حثٌّ أن يبلغ الإنسان في ذلك مبلغ السابقين، قال عبدالله والحسن وقتادة: هو أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر[2].

= أحداً بعلة» لطائف الإشارات (١/ ٢٧٨).

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢] وقد تكلم ابن القيم رحمه الله عن هؤلاء الثلاثة، وجعلهم من قسم السعداء. انظر: طريق الهجرتين ص (٢٣٤-٢٣٦).

(٢) قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رواه الطبري في جامع البيان بأسانيد مختلفة (٧/ ٦٥، ٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٢٩٤)، والطبراني في الكبير رقم (٨٥٠٣)، وصححه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦)، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩). وقول الحسن رواه ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٦٧)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣١). وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩). وقول قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٧) مقتصراً على الجملة الأولى فقط: «يطاع فلا يعصى»، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩).
وقول قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٧) مقتصراً =

وقال قتادة والربيع: الآية منسوخة[1] بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وقال غيرهما: بل معناهما واحد، فإن حق التقوى هو التقوى على حسب الاستطاعة[3]، واستدل بما روى

= على الجملة الأولى فقط: «يطاع فلا يعصى»، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٧٢٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩). قال ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٢): «وروي عن مرة الهمداني، والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون، والحسن، وطاوس، وقتادة، وإبراهيم النخعي، وأبي سنان، والسدي نحو ذلك».

(١) قول قتادة رواه الطبري في تفسير القرآن العظيم (٧/ ٦٨، ٦٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، والواحدي في الوسيط (١/ ٤٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٢)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦). وقول الربيع رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٣)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٦).

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) هذا القول مروي عن ابن عباس، وطاوس، انظر: جامع البيان (٧/ ٦٧، ٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٢)، والنكت والعيون (١/ ٤١٣)، والبحر المحيط (٢/ ٢٠)، وقال القرطبي: «وقيل إن قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لهذه الآية، والمعنى: فاتقوا الله حقَّ تقاته ما استطعتم، وهذا أصوب، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع. والجمع ممكن فهو =

معاذ[1] قال: أردفني رسول الله ﷺ، وقال: «**هل تدري حق الله على العباد؟**» قلت: الله أعلم ورسوله، فقال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»[2]، ثم قرأ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، ومن

= أولى. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ لم تنسخ، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أن يجاهد في سبيل الله حق جهاده، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا بالقسط ولو على أنفسكم وأبنائكم». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري الخزرجي أبو عبدالرحمن، مشهورمن أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن معلِّماً ومرشداً، مناقبه كثيرة جدًّا، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٨هـ، وعاش أربعاً وثلاثين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٣)، والإصابة (٦/ ١٠٧)، وتقريب التهذيب ص (٥٣٥).

(٢) هذه القصة ثابتة في الصحيحين وغيرهما دون قوله: ثم قرأ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ فلم أقف على هذه الزيادة فيما اطلعت عليه من طرق الحديث. والقصة رواها البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، رقم (١٢٨)، وفي كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦) وفي اللباس ـ باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم (٥٩٦٧). وفي الاستئذان ـ باب من أجاب بلبيك وسعديك، رقم (٦٢٦٧). وفي التوحيد ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ=

قال: هذا منسوخ تصور من قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ غاية الجهد من العبد، وإن ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ هو قدر العفو، فصار مقتضى ما استطعتم أخف من مقتضى حق تقاته[1]، واستقبح أبو علي الجبّائي قول من قال: الآية منسوخة، وقال: هذا جهل[2]، لأنه لا يجوز أن يبيح الله للناس أن يفعلوا بعض المعاصي وهذا تصور له وقع من قلة التثبت، فقد عُلِمَ أن فعل ما حظر الله في الشرع معصية ما دام الحظر قائماً، كتحريم الأكل والجماع بعد النوم في الصوم، ثم لما زال الحظر زال كونه معصية. فكذا تقوى الله بغاية ما بلغه الجهد لا يُمنَع أن

= أمته إلى توحيد الله، رقم (٧٣٧٣). ورواها مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٣٦٤٣). وابن ماجه في الزهد ـ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة. رقم (٤٢٩٦). وأحمد في المسند (٥/ ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢).

(١) ذكر ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير عن شيخه علي بن عبدالله أنه قال: «والاختلاف في نسخها وإحكامها يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع. والمعتقد إحكامها يرى أن (حق تقاته) أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسراً لـ(حق تقاته)، لا ناسخاً ولا مخصصاً. زاد المسير (١/ ٤٣٢).

(٢) ورمى القاضي عبدالجبار المعتزلي القائلين بالنسخ بالجهل كذلك دون التصريح بلفظ الجهل، فقد قال: «فقد روي عن بعض من لا يحصّل أنه منسوخ بقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

تُوجَبَ في وقت، فيكون تركها معصية، ثم يقتصر من الناس على مقدار الوسع، فلا يكون ترك الجهد معصية[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ حث على الاستسلام قبل الموت، وإن كان لفظه نهياً عن الموت[2] كقولهم: لا أرينك هاهنا[3]. إن قيل: هل بين قولك: لا تموتن إلا مسلماً، وقولك: إلا وأنت مسلم فرق؟ قيل: قولك مسلماً يقتضي ظاهره أن يكون الإسلام مقترناً به الموت، لا متقدماً

(١) قال الألوسي: «وادعى أبو علي الجبائي أن القول بالنسخ باطل لما يلزم عليه من إباحة بعض المعاصي، وتعقبه الرماني بأنه وجه قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ على أن يقوموا بالحق في الخوف والأمن لم يدخل عليه ما ذكره، لأنه لا يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله سبحانه وتعالى على كل حال، ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وأنت تعلم أن ما ذكره الجبائي إنما يخطر بالبال حتى يجاب عنه إذا فسر ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ على تقدير النسخ بما فسره هو به من ترك جميع المعاصي ونحوه، وإن لم يفسر بذلك بل فسر بما جنح إليه القائل بالنسخ، فلا يكاد يخطر ما ذكره ببال ليحتاج إلى الجواب. نعم يكون القول بإنكار النسخ حينئذٍ مبنيًا على ما ذهب إليه المعتزلة من امتناع التكليف بما لا يطاق ابتداءً كما لا يخفى». روح المعاني (٤/ ١٨).

(٢) انظر: الوسيط (١/ ٢١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٨١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠).

(٣) هذا من أمثلة سيبويه لـ«لا الناهية». انظر: الكتاب (٣/ ١٠١).

[٢٣٢/ب] عليه ولا متأخراً/ عنه، وقولك: وأنت مسلم الأظهر منه أن يكون ذلك حاصلًا من قبل، ومستصحباً في تلك الحال[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢].

حبل الله: هو الذريعة[٣] المتوصل بها إليه من القرآن والنبي والعقل والعلم[٤]، والاعتصام ضربان: اعتصام بالله بلا واسطة بشرية، وذلك للأنبياء، واعتصام بواسطة بشرية، وهو بمنزلة غيرهم من الناس، ثم منهم من يتوصل إليه بواسطة واحدة من

---

(١) ذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٠) ولم ينسبه للراغب، وقد ذكر الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) كلاماً قريباً من كلام الراغب هنا، وذلك في الفرق بين قوله تعالى في شأن أهل النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر، الآية: ٧١] وقوله جل ذكره في شأن أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾. انظر: درة التنزيل ص (٢٢٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) الذريعة: أي الوسيلة. مختار الصحاح ص (٢٢١).

(٤) قال أبو حيان: وحبل الله: العهد أو القرآن، أو الدين أو الطاعة أو إخلاص التوبة أو الجماعة أو إخلاص التوحيد أو الإسلام؛ أقوال للسلف يقرب بعضها من بعض. البحر المحيط (٣/ ٢٠).

الوسائط، كالصحابة والأولياء والحكماء، الذين لم يأخذوا الدين بالتقليد، ومنهم من يحتاج مع ذلك إلى من يعتمده في كثير من دينه[1]، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[2]، **إن قيل**: لِمَ قال أولاً: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾[3]، ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾[4] وجعل بين الكلمتين و ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[5]؟ **قيل**: لما كان القصد في

---

(١) لعل هذا المعنى هو ما أشار إليه القشيري بقوله: الاعتصام بحبله سبحانه: التمسك بآثار الواسطة العزيز صلوات الله وسلامه عليه، وذلك بالتحقق والتعلّق بالكتاب والسنة. ويصح أن يقال: الخواص يقال لهم: «اعتصموا بحبل الله». وخاص الخاص قيل لهم: «واعتصموا بالله». لطائف الإشارات (١/ ٢٧٩). يشير القشيري بذلك إلى أن الاعتصام ضربان: الأول: اعتصام بالله وهو للرسل واعتصام بحبل الله لمن دونهم. وانظر: مدارج السالكين (١/ ٤٩٥).

(٢) رواه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» رقم (١٦٦٤، ١٧٠٤، ١٧٦٠) وعزاه الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠) إلى عبد بن حميد والبزار والدارقطني في «غرائب مالك». وضعف الحافظ جميع طرقه، وضعفه كذلك ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٢٥١، ٢٥٢). وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٥٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

عبادة الله إلى الاعتصام به ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقوى عقبه بقوله: و ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، ولما كان حقيقة التقوى فعل الطاعات، ولا سبيل للإنسان إلى معرفة ذلك إلا بحبل الله: أي كتابه ورسله أمر أن يعتصموا بحبله ليتوصلوا إلى تقواه، ومن تقواه إلى الاعتصام به، ومن توصل إلى الاعتصام، ثم إلى التوكل، ثم إلى الإسلام استغنى حينئذ عن الوسائط، الذين هم حبل الله(1)، ويصير

---

(1) هذا كلام غلاة الصوفية، الذين ينتهي أمرهم إلى القول بإسقاط التكاليف الشرعية، فقد فسَّر الراغب حبل الله تعالى بالكتاب والرسل، فكيف يستغني الإنسان عن الكتاب والرسل طرفة عين؟ وقد بين ابن القيم رحمه الله غلط الصوفية في هذا الباب، وأشار إلى أن منشأ خطئهم هو ظنهم أن شهود الحقيقة الكونية والفناء في توحيد الربوبية من مقامات العارفين، فقال هؤلاء: القصد من الأوراد: الجمعية على الآمر، فلماذا نشتغل عن المقصود بالوسيلة بعد الوصول إليه، والرجوع من حضرته إلى منازل السفر إليه؟ وربما أنشد بعضهم:

يطالب بالأوراد من كان غافلًا فكيف بقلب كل أوقاته وِرْد؟

وقد قسَّم ابن القيم رحمه الله هؤلاء إلى أقسام: ـ فمنهم من أسقط الأوامر والنواهي جملة، ويرى القيام بها من باب ضبط ناموس الشرع ومصلحة العموم، فهي التي نحث أهل الغفلة على التشمير للسير، فإذا جدَّ في المسير استغنى بقربه وجمعيته عنها. ـ ومنهم من لا يرى سقوطها إلا عمن يشهد الحقيقة الكونية، ووصل إلى مقام الفناء فيها... وقد يقولون: شهود الإرادة يسقط الأمر، وفي هذا المشهد يقولون: العارف لا يستقبح قبيحة، ولا يستحسن حسنة. ـ ومنهم من يرى القيام بالأوامر والنواهي=

ممن قال ﷺ فيه حكاية عن الله: «فإذا أحببته كنت سمعه»[1]،

= واجباً إذا لم تفرق جمعيته، فإذا فرقت جمعيته رأى الجمعية أوجب منها فيزعم أنه يترك واجباً لما هو أوجب منه، وهذا أيضاً جهل وضلال. ثم قال ابن القيم رحمه الله: «ولا ريب أن من أظهر الاستغناء عن الله وطاعاته وتوثب عليه، وأورثته الطاعات جبروتاً وحجباً عن رؤيته عيوب نفسه وعمله، وكثرت حسناته في عينه، فهو أبغض الخلق إلى الله تعالى، وأبعدهم عن العبودية، وأقربهم إلى الهلاك...» مدارج السالكين (١/ ٢٦٨-٢٧٢، ٢٨٧).

(١) هذا جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه». أخرجه البخاري - كتاب الرقاق - باب التواضع، رقم (٦٥٠٢). وابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٨ - إحسان) رقم (٣٤٧). وقال ابن رجب: «تفرد بإخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب». انظر: جامع العلوم والحكم الحديث الثامن والثلاثون. وهذا الحديث ليس فيه أن أحداً يسعه الاستغناء عن حبل الله تعالى الذي هو كتابه ورسله، بل أوله يدل على خلاف ذلك من أن العبد كلما تقرب إلى الله عز وجل بأداء الفرائض والنوافل ازدادت محبة الله سبحانه له، وكان دعاؤه مستجاباً. قال الحافظ ابن حجر: «وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل التجلي والرياضة، فقالوا: القلب إذا كان محفوظاً مع الله كانت خواطره معصومة عن الخطأ. وتعقب ذلك=

الخبر. وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ حث على الألفة والاجتماع، الذي هو نظام الإيمان واستقامة أمور العالم، وقد فضل المحبة والألفة على الإنصاف والعدالة، لأنه يُحتاج إلى الإنصاف حيث تفقد المحبة، ولصدق محبة الأب للابن صار مؤتمناً على ماله، والألفة أحد ما شرف الله به الشريعة سيما شريعة الإسلام، ولهذا قال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]، وقال ﷺ: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»[3]،

= أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا: لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة، والعصمة إنما هي للأنبياء، ومن عداهم فقد يخطىء، فقد كان عمر رضي الله عنه رأس الملهمين، ومع ذلك فكان ربما رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه. فمن ظن أنه يكتفي بما يقع في خاطره عما جاء به الرسول ﷺ فقد ارتكب أعظم الخطأ، وأما من بالغ منهم فقال: حدثني قلبي عن ربي. فإنه أشد خطأ، لأنه لا يأمن أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان. . . » فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) رواه البخاري - كتاب النكاح - باب لا يخطب على خطبة أخيه، رقم (٥١٤٣). وفي كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم (٦٠٦٤). ورواه مسلم - كتاب البر والصلة - باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، رقم (٢٥٦٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٥، ٢٧٧، ٢٨٧، =

وقال: «من شذَّ شذَّ في النار»[1]، ولطلب الألفة شُرِع الاجتماعات في المساجد والجمع والجماعات والأعياد، وقوله: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[2] أي على ما يؤدِّيكم إلى النار، وهو خطاب عام للمسلمين كافة، وإن كان قد جعله[3] بعضهم خاصًّا للأوس والخزرج على ما تقدم ذكره[4]، وبعضهم

= ٢٨٨). ورواه أبو داود ـ كتاب الأدب، باب «في الظن»، رقم (٤٩١٧).

(١) رواه الترمذي ـ كتاب الفتن ـ باب «ما جاء في لزوم الجماعة» رقم (٢١٦٧).
والحاكم في المستدرك (١/ ١١٥، ١١٦)، والدولابي في الكنى والإسماء (٢/ ٩٢)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» رقم (١٥٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٠). وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير رقم (١٨١٨ ـ فيض القدير)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٤٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) في الأصل: (جعل)، والسياق يقتضي ما أثبته.

(٤) يشير إلى تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠] فقد نقل عن السدي أنه قال: نزلت في قوم من اليهود سعوا بين أوس وخزرج بالفساد، وذكروهم من الأحقاد والأوتار، فأنزل الله تعالى ذلك. ورجح ابن جرير الطبري أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ للأوس والخزرج. جامع البيان (٧/ ٨٥). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤١٤) فقد نسب هذا القول إلى ابن إسحاق، والوسيط =

جعله للعرب[1]، وأنهم كانوا في شدة وعُري وجوع وتقاتُل بينهم، فأزال الله تعالى عنهم ذلك بالإسلام، وقد تقدّم الكلام في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3] المعروف: ما يستحسنه العقل ويرد به الشرع[4]، والمنكر: ما يستقبحه العقل

= (١/ ٤٧٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٨).

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٤) ونسبه للحسن، وقال القرطبي: والمراد: الأوس والخزرج، والآية تعم. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٤). وعزاه أبو حيان إلى الحسن وقتادة. البحر المحيط (٣/ ٢١).

(٢) وذلك عند تفسيره للآية (٢٤٢) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، انظر: تفسير الراغب (ق ١٦٤ ـ مخطوط).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) سبق أن عرّفه المؤلف بأنه: «ما لا تنكره العقول الصحيحة» تفسير سورة البقرة (ق ١٥٢ مخطوط)، وعرفه في المفردات بأنه: اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حسنه. المفردات ص (٥٦١). وعرفه الجرجاني بأنه «كل ما يحسن في الشرع» التعريفات ص (٢٣٣). وقال الكفوي: «المعروف: كل ما سكنت إليه النفس، واستحسنته لحسنه عقلًا أو شرعًا=

ويحظره الشرع[1]، وعلى ذلك يقال للسخاء المعروف في نحو قول الشاعر:

ولم أرَ كالمعروف أمّا مذاقه   فحلو وأمّا وجهه فجميل[2]

ويقال لهما: الحق والباطل، والحسنى والسوءى، / والصلاح [٢٣٣/أ] والفساد، والجميل والقبيح، وإنما اختلفت العبارات في ذلك بحسب اختلاف العبارات. واختُلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل ذلك واجب على كل إنسان أو على بعضهم دون بعض، فمنهم من جعله واجباً على العموم، وقال: إن مِنْ في

= أو عرفاً» الكليات ص (٨٠٤). وقد عرفه الفيروز آبادي تعريفاً قريباً من تعريف الراغب. انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٥٧).

(١) عرّف الجرجاني المنكر بأنه؛ ما لا يلائم في الشريعة. انظر التعريفات ص (٥٠) وقال الكفوي: «كل ما نفرت منه وكرهته فهو منكر» الكليات ص (٨٠٤). قلت: وتعريف الكفوي قاصر، لأنه يعم أي شيء يكرهه أي إنسان فيكون منكراً بحسب تعريفه. أما تعريف الراغب في المفردات فقد تفادى ما وقع فيه الكفوي، حيث قال: «والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة». المفردات ص (٨٢٣).

(٢) هذ البيت لأبي الضياء، وقيل: لرجل من فزاره. انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٣٠٦)، والحماسة لأبي تمام (١/ ٦٠٦).

قوله ﴿مِّنكُمْ﴾ للتبيين، كما هو في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[(١)] وقال: لأن حق الناس كلهم أن يكونوا خلفاء الله في أرضه، وسُوَّاساً لبعض خلائقه، لكن السياسات ثلاث: سياسة الإنسان نفسَه، وسياسته أهلَه وما يخصّه، وسياسته بلده وصُقْعه[(٢)]، فسياسة البلد والصُّقع من وجهٍ إلى الأئمة، وهو أخذهم الناس بالقهر، ومن وجه إلى الحكماء والعلماء - فقهائهم ووعظتهم - وهو أخذهم بالوعظ، وكل ذلك فرض على الكفاية. وأما سياسةُ الإنسان نفسه فواجب على كل مكلّف على التضييق، وكذا سياسة الأهل واجبة على من يملكه[(٣)]، ومنهم من جعل ذلك فرضاً على

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٠. وإلى ذلك أشار البغوي بقوله: «﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي كونوا أمة؛ ﴿مِّنَ﴾ صلة ليست للتبعيض كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ لم يرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد: فاجتنبوا الأوثان». معالم التنزيل (٢/ ٨٤، ٨٥). وهذا أيضاً قول الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٥٢). وذكر الألوسي عن بعض الشيعة الإمامية أنه قال بذلك وهو الشيخ أبو جعفر. انظر: روح المعاني (٤/ ٢١).

(٢) الصُّقع: بالضم: الناحية. انظر مختار الصحاح ص (٣٦٦).

(٣) وذلك يدلُّ على اشتراط الاستطاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد شرطها النبي ﷺ بقوله: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم - كتاب الإيمان - رقم (٤٩). قال الإمام ابن كثير: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك=

الكفاية، واستدل عليه من الآية بقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾، وذلك يقتضي التبعيض[1]، واعتبر ذلك في سياسة

= واجباً على كل فرد من أفراد الأمة بحسبه...» تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٨). وقال الإمام ابن رجب بعد أن ذكر الأحاديث الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «فدلت هذه الأحاديث كلُّها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لابدَّ منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر دلَّ على ذهاب الإيمان من قلبه... وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة... فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها، لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات، ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب، وهو فرض على كل مسلم، لا يسقط عن أحد في حالٍ من الأحوال». جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٥).

(١) قال الجصّاص: «قد حوت هذه الآية معنيين؛ أحدهما: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآخر: أنه فرض على الكفاية ليس بفرض على كل أحدٍ في نفسه إذا قام به غيره، لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ وحقيقته تقتضي البعض دون البعض، فدل على أنه فرض على الكفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين» أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٨)، وذهب إلى ذلك أيضاً ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٢٩٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٥)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٥، ٦٦، ٨٠، ٨١)، وذكر الألوسي أن العلماء اتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، لم يخالف في ذلك إلا النزر. روح المعاني (٤/ ٢١).

الإنسان لغيره دون سياسته نفسه، وأجرى ذلك مجرى الجهاد وطلب العلم، وهذا أقرب على اعتبار الفقهاء، والأول أعم على اعتبار الحكماء، والذي تستحق به العقوبة هو ترك ما يلزم من حق غيرهم، وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى قوله ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[1]، وخصّ تركهم النهي عن المنكر دون الأمر بالمعروف، فإنه أعظم الأمرين إثماً، وأوكدهما وجوباً، ففعل المعروف[2] ليس بواجب على كل أحد، وترك المنكر واجب على كل حال[3]، ثم إنكار المنكر ثلاثة أضرب: إنكار باليد، وإنكار باللسان، وإنكار بالقلب. على حسب ما رُوِي عن النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[4]،

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) في الأصل: (المألوف) والصواب ما أثبته.

(٣) قال القرطبي: «أجمع المسلمون ـ فيما ذكر ابن عبدالبر ـ أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٨).

(٤) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب «كون النهي عن المنكر من الإيمان، =

فقيل: إن الأول للسلاطين، والثاني للعلماء، والثالث للعوام[1]، فإن قيل: كيف حثَّ هاهنا على الأمر بالمعروف،

= وأن الإيمان يزيد وينقص» رقم (٤٩). وأبو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب «الخطبة يوم العيد»، رقم (١١٤٠) والترمذي ـ كتاب الفتن ـ باب «في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب» رقم (٢١٧٢). وقال الترمذي: حديث حسن. وهو كذلك في تحفة الأشراف (٣/ ٣٦٨) رقم (٤٠٨٥). والنسائي ـ كتاب الإيمان ـ باب «تفاضل أهل الإيمان» (٨/ ١١١). وابن ماجه ـ كتاب إقامة الصلاة ـ باب «ما جاء في صلاة العيدين» رقم (١٢٧٥)، وأحمد في المسند (٣/ ١٠، ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤)، وعبد بن حميد رقم (٩٠٦) وأبو يعلى رقم (١٠٠٩).

(١) ذكر القرطبي هذا القول في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٩) ونسبه للعلماء دون تحديد أحدهم. وهذا القول غير سديد، وإنما المعتبر في ذلك هي المصلحة والاستطاعة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد، بل هو على الكفاية كما دلَّ عليه القرآن . . . فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته، إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته كما قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**». ثم قال رحمه الله: «وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة . . . وهنا يغلط فريقان من الناس: فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي . . . والفريق الثاني من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر . . .» مجموع فتاوى شيخ=

وقال في غيره: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[1]؟ قيل في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: إن ذلك حثٌّ على أن يغيّر الإنسان على نفسه قبل أن ينكره على غيره، وهو خطاب للعامة. والثاني: ما قال أبو ثعلبة الخشني[2]، وقد سئل عن هذه الآية فقال: سألت عنها خبيراً، لقد سألت رسول الله ﷺ؟ فقال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر،

= الإسلام (٢٨/ ١٢٦-١٢٨). وأما ابن عطية رحمه الله فقد أعمل القول الذي ذكره الراغب في المنكرات التي لها دوام، وأعمل القول الذي ذكره ابن تيمية في المنكرات الحادثة، فقال: «والناس في تغيير المنكر والأمر بالمعروف على مراتب، ففرض العلماء فيه تنبيه الحكام والولاة، وحملهم على جادة العلم، وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم، ولهم هي اليد، وفرض سائر الناس رفعه إلى الحكام والولاة بعد النهي عنه قولاً. وهذا في المنكر الذي له دوام، وأما إن رأى أحد نازلة بديهة من المنكر كالسلب والزنى ونحوه، فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة. . .» المحرر الوجيز (٣/ ١٨٨). وهذا القول فيما أرى أعدل الأقوال والله أعلم.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٢) أبو ثعلبة - جرهم بن ناشر الخشني -: صحابي مشهور معروف بكنيته، أسلم عام خيبر، وشهد مع رسول الله ﷺ، وروى عنه عدة أحاديث، وكان ممن بايع تحت الشجرة؛ سكن الشام واعتزل الفتنة، وتوفي رضي الله عنه سنة ٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٧)، وتقريب التهذيب ص (٦٢٧)، الإصابة (٧/ ٥٠).

فإذا رأيت شحًّا مطاعاً، وهوى متبعًا، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع عنك العوام»[1][2]، وجعل تعالى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم المفلحون، لأن من تولى إصلاح نفسه، ثم صلاح غيره بغاية وسعه، فقد زكى نفسه، وزكى غيره، وقد قال تعالى فيمن يهذب نفسه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، وقد تقدم أن الفلاح الحقيقي هو البقاء الأبدي والنعيم السرمدي[4].

---

(١) رواه أبو داود ـ كتاب الملاحم ـ باب «الأمر والنهي» رقم (٤٣٤١)، والترمذي ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب «سورة المائدة» رقم (٣٠٥٨) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه ـ كتاب الفتن ـ باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ رقم (٤٠١٤)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٩٢) كتاب آداب القاضي، والطحاوي في شرح المشكل رقم (١١٧١، ١١٧٢)، وابن حبان رقم (٣٨٥ - إحسان)، والبغوي رقم (٤١٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠)، وأشار المنذري إلى صحته في الترغيب والترهيب (٤/ ١٢٥).

(٢) قال الإمام ابن رجب: وكذلك روي عن طائفة من الصحابة في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قالوا: لم يأت تأويلها بعد، إنما تأويلها في آخر الزمان. جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٥٢).

(٣) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٤) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] للراغب (ق١٤ ـ مخطوط)، وقال الراغب في المفردات: والفلاح: الظفر وإدراك بغيةٍ، =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] التفرّق على ثلاثة أضرب: تفرّق بالأبدان، وتفرّق بالأقوال/ [٢٣٣/ب] والأفعال، وتفرّق بالاعتقادات، وكذلك الاختلاف؛ إلا أن الأظهر في الاختلاف أن يكون بالأقوال والأفعال والاعتقادات، وفي التفرق أن يكون بالأبدان[2]، وذكر تعالى اللفظين، ليبين أن أهل الكتاب تجادلوا بكل ذلك، وعلى هذا قال ابن عباس والربيع: تفرّقوا واختلفوا في أحكام مبتدعة وأهواء متبعة بعد أن كانوا إخواناً، وإن من كان قبلهم هلكوا بالمراء والخصومات[3]، ثم ذكر ما لهم من عظيم

= وذلك ضربان؛ دنيوي وأخروي، فالدنيوي: الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز... وفلاح أخروي وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل...» المفردات ص (٦٤٤، ٦٤٥). وانظر: جامع البيان (٧/ ٩١)، فقد فسّر الفلاح بالبقاء في جناته ونعيمه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٢) قال الخليل: وتفارق القوم وافترقوا: فارق بعضهم بعضاً. العين (٥/ ١٤٧) وقال الراغب: والفراق والمفارقة تكون بالأبدان أكثر. المفردات ص (٦٣٣).

(٣) تقدم أن الراغب ـ رحمه الله ـ لا يهتم بذكر الأقوال بألفاظها، وإنما يذكرها بالمعنى وهنا جمع بين قولي ابن عباس والربيع في قول واحد صاغه هو. =

العذاب في الآخرة بالنار الدائمة، وفي الدنيا بمحنها ونُوبها[1]، ونبه بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أن سبب استحقاقهم العذاب افتراقهم واختلافهم، تنبيهاً أنكم [إن][2] فعلتم فعلهم استحققتم العذاب استحقاقهم. **إن قيل**: كيف قال النبي ﷺ: «الاختلاف في أمتي رحمة»[3] مع ما ذكر من ذم الاختلاف؟

= أما قول ابن عباس رضي الله عنه فقد رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٣) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ قال: «أمر الله جلَّ ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله». ورواه كذلك ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٨)، وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٠)، وأما قول الربيع، فرواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٢)، قال: «هم أهل الكتاب؛ نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب».

(١) النوب: جمع نائبة وهي المصيبة. قال ابن منظور: «والنائبة: المصيبة، واحدة نوائب الدهر. والنائبة: النازلة، وهي النوائب والنُّوب، الأخيرة نادرة»، لسان العرب (١/ ٧٧٤).

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) هذا الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم (٢٨٨)، وعزاه لنصر المقدسي في الحجة، والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند. وقال المناوي ـ رحمه الله ـ في فيض القدير (١/ ٢١٢) في الحديث رقم (٢٨٨): هذا الحديث=

قيل: الاختلاف ضربان: اختلاف في الأصول الجارية من الطرق مجرى طريق الشرق من طريق الغرب، وذلك هو المذموم، فإن ما عدا الجهة المأمور بسلوكها مؤدٍّ إلى الباطل. وإلى هذا يوجه قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]. والثاني: اختلاف في الفروع الجارية من الطرق مجرى بنُيّات طريق[2] إلى مقصد واحد يسلكها، كل على حسب اجتهاده، ومقصد جميعهم واحد، فإن إباحة الله سلوك كل واحد من تلك الطرق فسحة لهم ورحمة[3]، وإياه قصد بقوله:

= قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، وقال ولده المحقق أبو زرعة: رواه أيضاً آدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم بلفظ: اختلاف أصحابي. وهو مرسل ضعيف. وفي طبقات ابن سعد عن القاسم بن محمد نحوه. وممن ضعف هذا الحديث أبو محمد ابن حزم في الإحكام (٥/ ٦٤) وابن حجر والبيهقي، كما نقله عنهم العجلوني في كشف الخفاء رقم (١٥٣). وقال الألباني: لا أصل له. ولقد جهد المحدثون أن يقفوا له على سند فلم يوفَّقوا. السلسلة الضعيفة رقم (٥٧).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) بنيات الطريق: هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة. مختار الصحاح ص(٦٦).

(٣) قال الكفوي: «وما جاز من الاختلاف في القرآن هو اختلاف تلاؤم، وهو ما يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القرآن ومقادير السور والآيات والأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد. وما يمتنع عليه هو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، وما يوهم الاختلاف والتناقض وليس كذلك؛ كنفي المسألة يوم القيامة وإثباتها . . . والاختلاف في الأصول ضلال، وفي الآراء والحروب حرام، والاختلاف في الفروع هو كالاختلاف في الحلال=

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[2] ابيضاض الوجه عبارة عن المسرة، واسودادها عن الغم. وعلى ذلك ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾، ثم قال: ﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾[3].

= والحرام ونحوهما والاتفاق فيه خير قطعاً . . . والاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً، والخلاف هو أن يكون كلاهما مختلفاً، والاختلاف ما يستند إلى دليل، والخلاف ما لا يستند إلى دليل، والاختلاف من آثار الرحمة كما في الحديث المشهور، والمراد منه الاجتهاد لا اختلاف الناس في الهمم بدليل «أمتي» والخلاف من آثار البدعة . . . » الكليات ص (٦٠ ، ٦١). وقال الإمام ابن حزم بعد أن بين بطلان الأحاديث الدالة على أن اختلاف الأمة رحمة: «فإن قال قائل: إن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس، أفيلحقهم هذا الذم؟ قيل له وبالله تعالى التوفيق: كلا، ما يلحق أولئك شيء من هذا، لأن كلَّ امرئ منهم تحرى سبيل الله ووجهة الحق، فالمخطئ منهم مأجور أجراً واحداً لنيته الجميلة في إرادة الخير، وقد رفع عنهم الإثم في خطئهم لأنهم لم يتعمدوه ولا قصدوه، ولا استهانوا بطلبهم، والمصيب مأجور منهم أجرين. الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٦٤ ، ٦٥). وانظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام للشيخ تقي الدين ابن تيمية ص (٣٥_٣٦).

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٥٨ ، ٥٩.

وعلى ذلك قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[1]، وهذا الابيضاض والاسوداد أبلغ من المحسوسين[2]. وقال بعض المتكلمين: يحمل ذلك على المحسوس، لكونه حقيقة فيه[3]، وهذا خطأ[4]، وذلك لأنه لم يعلم أن ذلك حقيقة فيهما جميعاً، فليس الاسوداد والابيضاض أكثر من كيفية عارضة في الوجه، قلّ ذلك أم كثر،

---

(١) سورة عبس، الآية: ٤٠.

(٢) قال الزجاج: وابيضاضها: إشراقها وإسفارها، وقال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]، أسفرت واستبشرت لما تصير إليه من ثواب الله ورحمته. ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ اسودادها لما تصير إليه من العذاب. قال الله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠]. معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٣). وكثير من المفسرين قالوا بذلك. انظر: النكت والعيون (١/ ٤١٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٨٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٧).

(٣) قال الزمخشري: «فمن كان من أهل نور الحق وُسِمَ ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب» الكشاف (١/ ٣٩٩).

(٤) قال أبو حيان: «الجمهور على أن ابيضاض الوجوه واسودادها على حقيقة اللون، والبياض من النور. والسواد من الظلمة» البحر المحيط (٣/ ٢٤).
وقال ابن عطية: «ويحتمل أن يكون ذلك تسويداً ينزله الله بهم على جهة التشويه والتمثيل بهم، على نحو حشرهم زرقاً...» المحرر الوجيز (٣/ ١٩٠).

ومعلوم أن من ناله غمّ شديد يعرض لوجهه - لتبرّمه[1] وتكدره - اسوداد في وجهه، وليس قلّة السواد والبياض مما يخرج اللفظ عن الحقيقة، ثم حمل الآية على هذا أولى، لأن ذلك حاصل لأهل القيامة باتفاق، سواء كانوا في الدنيا سودانا أو بيضانا[2]، وعلى ذلك ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾[3] وقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[4]. وأما كفرهم بعد إيمانهم فقد قال الحسن: بعد إظهارهم الإيمان بالنفاق[5]، وقال قتادة: كفروا بالارتداد بعد

---

(١) في الأصل: (لتردمه)، ولا يظهر له معنى والأولى ما أثبته.

(٢) الأولى حمل الآية على حقيقتها، وهو أن الناس سينقسمون يوم القيامة إلى فريقين؛ فريق سود الوجوه، وفريق بيض الوجوه، قال ابن جرير الطبري: «وذلك أن الله جلَّ ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين، أحدهما سوداً وجوهه، والآخر بيضاً وجوهه، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سوِّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهه...» جامع البيان (٧/ ٩٦).

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢.

(٤) سورة عبس، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٢٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٩).

الإسلام[1]، وقيل: بعد الإقرار الذي اقتضاه قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[2]. وقيل: كفروا بالنبي ﷺ بعد أن أقرّوا به قبل بعثته[3]، وعموم اللفظ يقتضي كل ذلك، ولا تنافي بينها، وقوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ تقديره: فيقال لهم: أكفرتم؟، [و][4] حذف القول من نحو ذلك كثير نحو: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾[5]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ / نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا [٢٣٤/أ]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٩٤)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٢) لابن جرير وعبد بن حميد. وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٥) ونسبه لمجاهد.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢. وهذا قول أُبيّ بن كعب، واختاره ابن جرير الطبري انظر: جامع البيان (٧/ ٩٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣١)، والنكت والعيون (١/ ٤١٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٨٨)، وزاد المسير (١/ ٤٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٩).

(٣) وهذا قول الزجاج انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥)، ونسبه للزجاج الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٥)، وانظر: زاد المسير (١/ ٤٣٦)، واختاره الزمخشري في الكشاف (١/ ٣٩٩).

(٤) سقط حرف الواو من الأصل والسياق يقتضيه.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

﴿وَسَمِعْنَا﴾[1] أي يقولون، ولما حذف الفعل حذف معه الفاء الذي يكون جواب أما، و يوم ظرف لقوله عظيم[2]، ولا يكون عند البصريين ظرفاً لقوله عذاب، لأن الاسم إذا وُصِفَ لا يعمل عندهم[3]، إن قيل: لِمَ كرر لفظة ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4]؟ قيل: قال بعض النحويين: إن ذلك للتأكيد[5]، وتمكين المعنى في النفس، وقيل: في قوله: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ تمام الكلام، و ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ تنبيهاً أن ذلك لهم مؤبداً[6]،

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٢.

(٢) هكذا أعربه العكبري، وجوّز هو والزجاج والأنباري أن يكون العامل فيه هو العامل في (لهم) المحذوف، والتقدير: يثبت لهم العذاب ذلك اليوم، أو استقر لهم العذاب في يوم... وجوز ابن الأنباري أيضاً أن يكون العامل فيه فعلًا محذوفاً تقديره: اذكر يا محمد يوم تبيض وجوه. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٣)، والبيان (١/ ٢١٤)، وإملاء ما من به الرحمن (١/ ١٤٥)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/ ٢٨٤). وانظر: الصاحبي ص (٣٩٠).

(٣) انظر عدم جواز عمل المصدر الموصوف في: المساعد (٢/ ٢٢٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

(٥) قال الزجاج: وذكر «فيها» ثانية على جهة التأكيد. معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥) وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٩١)، والدر المصون (٣/ ٣٤٤).

(٦) انظر: الكشاف (١/ ٣٩٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨)، والدر المصون (٣/ ٣٤٥)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٠٢).

وقيل: قوله: ﴿هُمْ فِيهَا﴾ راجع إلى مقتضى قوله: ﴿ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهو المسرّة، تنبيهاً أن تلك المسرّة دائمة لا كمسرّات الدنيا التي تنقطع، وإن بقيت أسبابها. فأحوال الدنيا وإن كانت سارة متبرم منها بدوامها[1]، ولهذا قيل: لَلعافية تُمل أكثر مما يُملُّ البلاء. إن قيل: المقابلة في الاثنين غير صحيحة، فإن التقابل الصحيح أن يكون المذكور في الثانية عكس المذكور في الأولى، وليس قوله: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عكساً لقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ قيل: مراعاة التقابُل على ضربين: تقابل اللفظ، وتقابل المعنى، وهو أفضلهما عند أصحاب المعاني، فالتقابل حاصل من حيث المعنى، وعدل عن لفظ الخبر في قوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ وقوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ إشارة إلى ما يقال لهم[2]،

---

(١) الذي عليه المفسرون وأهل اللغة أن الضمير في قوله ﴿فِيهَا﴾ يعود على أقرب مذكور وهو (الرحمة)، انظر: جامع البيان (٧/ ٩٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥)، والكشاف (١/ ٣٩٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧، ٢٨)، والدر المصون (٣/ ٣٤٤، ٣٤٥). ولم أجد من وجّه الضمير إلى مقتضى قوله: ﴿ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾، وكذلك فإن هذا المقتضى مختلف فيه، كما سبق بيانه من كون هذا الابيضاض على الحقيقة أم على التمثيل.

(٢) قال أبو حيان: انظر تفاوت ما بين التقسيمين، هناك جمع لمن اسودّت وجوههم بين التعنيف بالقول والعذاب، وهنا جعلهم مستقرين في الرحمة، فالرحمة ظرف=

ونبّه أنهم يُقابلون مع العقوبة بالتبكيت[1]، وقد قيل: التبكيت أعظم العقوبتين، وأن يقال لهم: (ذوقوا)، وذلك دلالة على مبالغة الغضب عليهم[2]، إن قيل: كان الوجه أن يقال: ألستم قد كفرتم؟ فلفظ الاستفهام في القرآن محمول على الإنكار، والإنكار متى تجرد عن حرف النفي يكون للنفي نحو قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ وإذا كان للإثبات قرن به حرف النفي؟ قيل: الألف في الأصل للاستخبار، والاستخبار أعمّ من الاستفهام، وكل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً، والمستخبر قد يقصد إلى أخذ إقرار المستخبر أو إلى إلجائه إلى الإقرار بما ينكره، وقوله: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ استخبار على هذا الوجه، وتقريع لهم[3]، وعلى ذلك

= لهم وهي شاملتهم... وأضاف الرحمة هنا إليه، ولم يضف العذاب إلى نفسه، بل قال: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ ولما ذكر العذاب علّله بفعلهم، ولم ينصّ هنا على سبب كونهم في الرحمة. البحر المحيط (٣/ ٢٨).

(١) التبكيت: التقريع والغلبة بالحجة. انظر: القاموس المحيط ص (١٨٩).

(٢) «دلّ على ذلك استخدام الاستعارة بقوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾، حيث جعل العذاب شيئاً يدرك بحاسة الأكل والذوق، تصويراً له بصورة ما يذاق». انظر: الدر المصون (٣/ ٣٤٦).

(٣) قال ابن فارس: «الاستخبار: طلب خُبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام، وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار، لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته وربما لم=

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] قال الفراء: معناه هذه آيات الله[3]، وقد تقدم الكلام في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4]، وآيات الله يصح أن تكون الكتاب، وأن تكون جميع الآيات المسموعة والمعقولة مما يظهره الله[5]، ويكون معنى ﴿نَتْلُوهَا﴾ نبيِّنُها بوجوه التبينات[6]، قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾

= تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم» الصاحبي ص (٢٩٢). ثم ذكر رحمه الله أن من معاني الاستخبار: التعجب والتوبيخ والتفجع، والتبكيت والتقرير والتسوية والاسترشاد، والإنكار والعرض والتحضيض والإفهام والتكثير والنفي والإخبار والتحقيق، وقد بين رحمه الله الشواهد على ذلك كله. انظر: ص (٢٩٢-٢٩٥).

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٢٨) وفيه: (يريد) بدل (معناه).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢. ويشير الراغب إلى ما أورده هنالك من قول بعضهم: إن اسم الإشارة للبعيد تكون بمعنى اسم الإشارة للقريب، وبمعنى ضمير الغائب. انظر تفسير الراغب (ق ١١ ـ مخطوط). وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ١٠، ١١)، جامع البيان (١/ ٢٢٥-٢٢٨).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥)، والغريبين (١/ ١١٧)، وجامع البيان (٧/ ٩٧)، وما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري ص (٢١)، وبصائر ذوي التمييز (١/ ٥٨، ٥٩)، (٢/ ٦٣-٦٦).

(٦) قال الزجاج: «نعرفك إياها» معاني القرآن (١/ ٤٥٥).

أي الحق يقارنه، أو هو الحق[1]، وفي قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ تنبيه على اعتبار ما تقدم ذكره لما اقتضى عدله في معاقبة الكفار[2].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[3] قد تقدم تفسير ذلك[4]، ونبه بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ على شيئين: **أحدهما**: إبطال قول من زعم أن الأشياء تبقى عناصرها فلا تفنى. **والثاني**: على أنه يصحُّ أن يتوهم ارتفاع الأمور كلها مع بقائه تعالى، وأنه لا يُنكر عدمها انتهاءً، كما لا يُنكر ذلك ابتداءً[5]. **إن قيل**: وما وجه إيراد هذا القول

---

(١) قال أبو حيان: «والباء في (بالحق) باء المصاحبة، فهي في موضع الحال من ضمير المفعول، أي ملتبسة بالحق». البحر المحيط (٣/ ٢٩)، وانظر: الكشاف (١/ ٤٠٠)، والدر المصون (٣/ ٣٤٦).

(٢) وإلى ذلك أشار الطبري بقوله: «يعني بذلك: وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء وإذاقتهم العذاب العظيم، وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه إياهم في جنته، طالباً وضع شيء مما فعل من ذلك في غير موضعه الذي هو موضعه. . . » جامع البيان (٧/ ٩٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.

(٤) انظر: تفسير الآية (٢٨٤) من سورة البقرة، (ق ١٩٥ ـ مخطوط) وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (ق ـ ١٣٨، ١٣٩ ـ مخطوط).

(٥) قال العلامة نظام الدين النيسابوري: «فالأول إشارة إلى أنه تعالى مبدأ المخلوقات كلها، وهذا إشارة إلى أن معاد الكل إليه». «غرائب القرآن=

[٢٣٤/ب] في هذا الموضع؟ قيل: إنه لما بيّن تعالى ما اقتضى عدالته وعقبه/ بذكر التبرؤ من ظلمهم بيّن بهذا القول استغناءه عن الظلم، وأن الظلم يتحرّاه من يروم ما لغيره، ومحال أن يُعتقدَ في مالكِ الكلِّ ومن منه البدءُ وإليه العودُ الظلمُ[1].

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2] إن قيل: لمَ قال: ﴿كُنتُمْ﴾ ولم يقل: أنتم؟ قيل: في ذلك أجوبة: **الأول**: كنتم فيما قضيت وقدرت وبنيت عليه الشرائع خير أمة بشريطة أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا[3] عن المنكر، وتؤمنوا[4] بالله[5]،

= ورغائب الفرقان» لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت بعد ٨٥٠هـ) (٢/ ٢٣٢). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٧٠).

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٩٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٦٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٢/ ١٣٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) في الأصل: وتنهون، بإثبات النون والصواب حذفها.

(٤) في الأصل: وتؤمنون، بإثبات النون والصواب حذفها.

(٥) وهذا القول مروي عن مجاهد، والحسن، انظر: جامع البيان (٧/ ١٠٢، ١٠٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٤١٦)، =

فقد تقدم إن هذه الشريعة أكمل الشرائع[1]، ولهذا قال ﷺ: «أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى»[2]، والثاني: أن الإشارة بذلك إلى من آمن بالنبي ﷺ في ابتداء الإسلام، وإلى هذا ذهب عمر، وقال: هذا لأولنا، ولو شاء الله لجعله لآخرنا أيضاً. فقال: أنتم، فكنا كلنا أخياراً[3]. ويؤكّد ذلك ما روي

= والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٣)، وزاد المسير (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠)، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة؛ كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٠).

(١) انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٣، ١٠٤ ـ مخطوط).

(٢) رواه الطبري (٧/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٢)، ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب «سورة آل عمران»، رقم (٣٠٠١)، وابن ماجه ـ كتاب الزهد ـ باب صفة أمة محمد ﷺ، رقم (٤٢٨٨) وأحمد في المسند (٥/ ٢٥٣، ٢٥٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٤) والدارمي في سننه ـ كتاب الرقائق ـ باب قول النبي ﷺ: «أنتم خير الأمم». والحميدي في مسنده رقم (٩٠٨)، والطبراني في الأوسط رقم (٧٦٥٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧): رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٠): هذا حديث مشهور، وقد حسنه الترمذي.

(٣) أثر عمر رضي الله عنه رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٠١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٣٢) بسنديهما عن السدي=

عن عبدالله قال: جمعنا رسول الله، ونحن أربعون رجلًا، فقال: «إنكم منصورون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذلك منكم فليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر»(١). الثالث: أن ما تشارك فيه الأحوال الثلاث: الماضي والحال والمستقبل، لا فرق بين أن تقول: كنت كذا أو أنت كذا، لأن القصد ليس إلى تخصيص الزمان، بل إلى ذكر ثبوت ذلك الشيء، وأيًّا من ذلك ذكرت، فإنه لا يقتضي من حيث اللفظ نفي الآخر، وإذا كان كذلك كان أولى الألفاظ بمثله: كان، لأنه يقتضي الحصول، ولا يقتضي تغيير ذلك الشيء من حيث اللفظ، ولهذا أورد تعالى جلّ أوصافه على ذلك، نحو ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٢)، وقيل: ﴿كُنتُمْ﴾ في اللوح

= قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال عمر بن الخطاب: «لو شاء الله تعالى لقال: (أنتم) ولكن قال: (كنتم) في خاصة أصحاب محمد ﷺ، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس». وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٣)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) رواه الترمذي - كتاب الفتن - رقم (٢٢٥٧)، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٩)، والطيالسي في المسند رقم (٣٣٧، ٣٤٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢١٣)، والبيهقي في السنن (٣/ ١٨٠)، (١٠/ ٩٤) وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٦. وانظر القول السابق في: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٢٩) حيث ذكر أن إضمار (كان) في مثل هذا أو إظهارها سواء.

وانظر: جامع البيان (٧/ ١٠٦)، والنكت والعيون (١/ ٤١٦)، وزاد=

المحفوظ[1]، وهذا كالأول. إن قيل: لأي شيء وصفهم بأنهم خير أمة، وقد علم أن أشرار الناس في هذه الأمة أكثر من الأخيار، وأن كثيراً من الأمم المتقدمة كانوا خيراً من كثير هذه الأمة؟ قيل: ليس الاعتبار بأشخاص الناس، وإنما الاعتبار بما صارت الأمة به أمة، والشريعة به شريعة، وقد تقدم أن هذه الشريعة أفضل الشرائع[2] إذا اعتبرت بها، على أنه قد قيد فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أي أنتم خير أمة على هذه الشريطة[3] لأن قوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ في موضع الحال[4]. قال

= المسير (١/ ٤٣٩)، والدر المصون (٣/ ٣٤٧).

(١) هذا قول الفراء والزجاج، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٤١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٨)، وزاد المسير (١/ ٤٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠)، والدر المصون (٣/ ٣٤٩).

(٢) انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] (ق ـ ١٠٣، ١٠٤ ـ مخطوط).

(٣) قال الزجاج: هذا الخطاب أصله أنه خوطب به أصحاب النبي ﷺ، وهو يعم سائر أمة محمد ﷺ، والشريطة في الخيرية ما هو في الكلام، وهو قوله عز وجل: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

(٤) قال ابن عطية: وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وما بعده أحوال في موضع نصب. المحرر الوجيز (٣/ ١٩٥). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣١)، =

ابن عباس ومجاهد وأبو هريرة[1] : كونهم خيراً هو أنه[2] لم يؤمر نبي قبله بالقتال، وقهر الناس على الدخول فيما فيه صلاحهم[3] إلا هذه الأمة، فإن الله يقودهم بالسلاسل من الكفر إلى الإيمان[4]، وقال غيرهم: لم يكن في أمة من الآمرين

= والدر المصون (٣/ ٣٥٠) ونسب السمين الحلبي هذا الوجه من الإعراب للراغب وابن عطية، وهناك أوجه أخرى مذكورة.

(١) أبو هريرة هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الجليل حافظ الصحابة، مشهور بكنيته، اختُلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي ﷺ، ثم لازمه وأخذ الحديث عنه، فكان أكثر الصحابة رواية عنه، توفي سنة ٥٧هـ وقيل: ٥٨هـ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨)، والإصابة (٧/ ٣٤٨)، وتقريب التهذيب ص (٦٨٠).

(٢) في الأصل (أن) والسياق يقتضي ما أثبته.

(٣) قوله: وقهر الناس على الدخول فيما فيه صلاحهم يعني بعد رفضهم دعوة الإسلام أو الإذعان لسلطان المسلمين عن طريق دفع الجزية، وبذلك يكونون قد اختاروا طريق القتال والمجابهة، لأن الله تعالى يقول ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالقتال في الحقيقة ليس لإرغام الناس على الدخول في الإسلام، وإنما لإزالة رؤوس الكفر وقادة الضلال، الذين يحولون بين الناس وبين التعرف على دعوة الإسلام. وانظر في ذلك: معالم التنزيل (١/ ٣١٤) والمحرر الوجيز (٢/ ٢٨٠) والبحر المحيط (٢/ ٢٩٢).

(٤) هذا القول الذي ذكره الراغب مؤلف من أقوال ثلاثة لابن عباس =

بالمعروف، والناهين عن المنكر أكثر مما في هذه الأمة[1]، إن قيل: لم أخَّر الإيمان بالله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

= ومجاهد وأبي هريرة، جمع بينها الراغب لتشابهها في المعنى، وهذا يدل على أن الراغب رحمه الله لا يسوق الأقوال بألفاظها، وقد أشرت إلى ذلك في قسم الدراسة. فأما ابن عباس فقد قال: «في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: قال: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلوهم عليه». رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٣). وأما أبو هريرة رضي الله عنه فقد قال: «كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل حتى يدخلوا في الإسلام» رواه البخاري رقم (٤٥٥٧) كتاب التفسير، باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، والطبري في جامع البيان (٧/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٣٢). وأما مجاهد رحمه الله فقد قال: في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: قال: على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله. رواه الطبري (٧/ ١٠٢، ١٠٣)، وعبد بن حميد في تفسيره (ق ٥٥ ـ مخطوط) بهامش تفسير ابن أبي حاتم.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فبين سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم، لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكلّ أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق. وسائر الأمم لم يأمروا كل أحدٍ بكل معروف، ولا نهوا كل أحدٍ عن كل منكر، ولا جاهدوا على ذلك...» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ١٢٣).

قيل: الإِيمان هاهنا ليس هو الإِقرار بالله فقط، بل هو الوفاء بشروطه والقيام بشرائعه، الذي هو تمام الإِيمان وكماله[1] على ما ذكرناه فيما تقدم، وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فقابل به المؤمنين، لأن الفسق أعم من الكفر[2]، فبيّن أن المؤمنين المخلصين قليل جدّاً، وأن أكثرهم فاسق: إما كافر، وإما منافق.

قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[3] قال ابن عباس والحسن: عنى بالأذى الكلام المؤذي[4]، وجعل بعضهم/ الآية مخصوصة في بني [٢٣٥/أ]

(١) انظر: التفسير الكبير (٨/ ١٥٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣١)، ونظم الدرر (٢/ ١٣٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧١).

(٢) قال الراغب: فسق فلان: خرج عن حِجْر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب. إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرَّ به، ثم أخلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه. وإذا قيل للكافر الأصلي: فاسق، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة...» المفردات ص (٦٣٦) وانظر: مجمل اللغة ص (٥٦٧، ٥٦٨)، والنهاية (٣/ ٤٤٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٤) أما قول ابن عباس رضي الله عنه فقد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير=

قريظة[1]، قال: ووحد المخبر على ما أخبر به تعالى، وجعلها بعضهم عامة، وقال: إن كان ما ينال المؤمنين من الكفار كلاماً كان أو قتالاً فهو أذى عارض[2] ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، كما قال في غير موضع، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ لم يجزمه، لأنه إذا جُعِلَ جواباً اقتضى أن النصرة عنهم ممنوعة في حال المقابلة فقط،

= (١/ ٤٤٠) أنه قال: والأذى قولهم: عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة. وأما قول الحسن فقد أخرج الطبري في جامع البيان (٧/ ١٠٩) بسنده عن الحسن أنه قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ قال: تسمعون منهم كذباً على الله، يدعونكم إلى الضلالة. ونقل ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٠، ٤٤١) عن الحسن أنه قال: هو الكذب على الله.

(١) انظر: أسباب النزول ص (١١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤)، والعُجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر (٢/ ٧٣٤).
وبنو قريظة: حي من اليهود، سكنوا المدينة في الجاهلية، وكانوا بالعوالي وما حولها، ولما هاجر النبيّ ﷺ عاهدهم ألا يحاربوه أو يظاهروا عليه، ثم غدروا به في غزوة الأحزاب، فجاهدهم رسول الله ﷺ، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه. فحكم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال. انظر: معجم قبائل الحجاز ص (٤٢٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: والمراد بالأذى: الطعن باللسان، أو الدعاء إلى الضلال، فإن المسلم يتأذى بسماع ذلك، وأما لو اتفق بينهم قتال فإنهم يُخذلون. العجاب (٢/ ٧٣٥).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

وإذا رُفِعَ اقتضى أنهم ممنوعون عنها في كل حال[(١)]، وقال بعض النحويين: رفع ذلك ليكون كآخر سائر الآيات المتقدمة[(٢)]، وهذا القول هو بحسب مراعاة اللفظ دون المعنى.

قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[(٣)]، قيل: هي مخصوصة في بني قريظة على ما تقدم[(٤)]، وقيل: هو أمر وإن كان لفظه خبراً، فأمر بتذليل أهل الكتاب، وأخذ الجزية منهم على ما ذكره الفقهاء وبينوه[(٥)]، وقيل: هو خبر عام عن جميعهم[(٦)]، فإن قيل: كيف يصحُّ ذلك

---

(١) قال أبو البقاء: «. . . وإنما استؤنف هنا ليدل على أن الله لا ينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا». إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٦)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٠٠) والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٨٥)، والدر المصون (٣/ ٣٥٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٩)، وجامع البيان (٧/ ١١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

(٤) قال القرطبي: يعني اليهود. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤) وانظر: جامع البيان (٧/ ١١٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٨).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٩٠) وما بعدها، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٩٢٠ - ٩٢٥)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩/ ٢٠ - ٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣).

(٦) قال ابن كثير: «هكذا وقع، فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنوفهم، وكذلك=

مع أنه قد يُرى من أهل الكتاب من لا يكون في مذلّة ولا فقر، قيل: المذلّة هي التي تلزمهم ليس يجب أن تُعتبر في الأشخاص، ولا في الأعراض الدنيوية من الجاه والمال، بل يجب أن يُعتبر ذلك بالأحوال الشرعية، والعزّ والذلّ الحقيقيين، اللذين يقتضيهما الدين، وإياه قصد بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) وقد قيل: كل عز مصيره إلى ذلّ فهو ذلّ، وما يتصوره بعض الناس عزًّا من غرور الدنيا فهو المذلة عند التحقيق، وكذلك المسكنة ليست قلة المال، وإنما هي الحرص، وفقر النفس(٢)، ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الغنى غنى

= من قبلهم من يهود المدينة، بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة كلهم أذلهم الله، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين...» تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٤). وكلامه رحمه الله يدل على العموم.

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) قال ابن القيم: ومنها ـ أي ومن عقوبات المعاصي ـ أن المعصية تورث الذلّ ولابد، فإن العزَّ كلّ العز في طاعة الله. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر، الآية: ١٠] أي فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعته. وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك. الجواب الكافي ص (٦٣) وقال أبو السعود: «واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين؛ إما على الحقيقة وإما لخوف أن تضاعف=

النفس»[1]، وقيل لحكيم: هل لفلان غنى؟ فقال: أما الغنى فلا أدري، إلا أن له مالاً كثيراً. وقال الشاعر:

قد يكثر المال والإنسان مفتقر[2]
....

وقيل: إن ذلك على سبيل الدعاء عليهم[3]، كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾[5]، وهذا في الحقيقة يرجع إلى الأول، فالدعاء من الله واجب، إن قيل: لم قال: ﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[6] فأعاد ذكر الحبل، وفصل؟ قيل: لأن الكافر يحتاج إلى حبلين أي عهدين، عهد من الله، وهو أن يكون من أهل كتاب أنزله الله، وإلا لم يكن مقرًّا على دينه بالذمة، ثم يحتاج إلى حبل من الناس،

= جزيتهم». إرشاد العقل السليم (١/ ١٠٧).

(١) رواه البخاري ـ كتاب «الرقائق» ـ باب «ما قدم من ماله فهو له» رقم (٦٤٤٦). ومسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب «ليس الغنى عن كثرة العرض» رقم (١٠٥١). ورواه الحميدي في مسنده رقم (١٠٦٣).

(٢) هذا شطر بيت من البسيط، ذكره الراغب في محاضرات الأدباء (٢/ ٥٢١) بدون عزو.

(٣) لم أجد هذا القول عند غير الراغب.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ١٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

أي أمان وعهد يبذلونه على ما بيّنه الفقهاء. والناس هاهنا خاص للمسلمين[1]، وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي استحقوا عقاباً منه[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي نالهم ذلك بكفرهم[3]، وقوله من بعد: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ قيل: هو بدل من الأول، فإن كفرهم ليس هو إلا عصيانهم، واعتداؤهم[4]، وقيل: بل جعل الكفر علّةً لما نالهم من الذِّلة والمسكنة، وجعل عصيانهم علَّة لكفرهم، وذلك أن الذنوب الصغائر إذا استمر عليها الإنسان أفضت إلى الكبائر، والكبائر تفضي إلى الكفر[5]، ولهذا قال

---

(١) انظر هذا المعنى في: جامع البيان (٧/ ١١٠، ١١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٥)، والوسيط (١/ ٤٨٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٢)، والكشاف (١/ ٤٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٤).

(٢) انظر: البحر المحيط (١/ ٣٩٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١١٦، ١١٧)، والكشاف (١/ ٤٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧٢)، والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، لسليمان بن عمر العجيلي (١/ ٣٠٥).

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ١١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٨).

(٥) قال ابن عطية: «والذي أقول إن الإشارة بـ(ذلك) الأخير إنما هي إلى كفرهم وقتلهم، وذلك أن الله تعالى استدرجهم فعاقبهم على العصيان=

تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال ﷺ: «الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب»[2]، وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ تحذير لنا وتنبيه، كأنه قال: اجتنبوا المعصية، وهي التي أدّت بهم إلى الكفر المقتضي/ لعظم العقوبة[3] [٢٣٥/ب]

إن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ولا يصح في الإثبات أن يقال: اعتصمت إلا بحبل فلان، والاستثناء في الإثبات لا يكون إلا من لفظ عام؟ قيل: إن قوله: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ مقتض لمعنى

= والاعتداء بالمصير إلى الكفر وقتل الأنبياء، وهو الذي يقول أهل العلم: إن الله تعالى يعاقب على المعصية بالإيقاع في معصية، ويجازي على الطاعة بالتوفيق إلى الطاعة...» المحرر الوجيز (٣/ ١٩٨). وانظر: الكشاف (١/ ٤٠٢).

(١) سورة الروم، الآية: ١٠.

(٢) رواه نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً تمّام في فوائده (٢/ ١١٤) رقم (١٢٩٤). وأصل الحديث عند أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي رقم (٣٣٣٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٤١٨)، وابن ماجه رقم (٤٢٤٤)، وابن حبان رقم (٩٣٠)، والحاكم (٢/ ٥١٧) بلفظ آخر.

(٣) ذكر ابن جرير الطبري أن هذه الآية: «... عظة منه لأمتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا مناهجهم، فيسلك بهم مسالكهم، ويحل بهم من نقم الله ومثلاته ما أحلّ بهم»، ثم روى عن قتادة في قوله تعالى: ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ قال: اجتنبوا المعصية والعدوان، فإن بهما أُهلك من أهلك قبلكم من الناس. جامع البيان (٧/ ١١٨).

العموم، كأنه قيل: بكل حال، فيصح أن يقال: إلا بحبلٍ[1].

قوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[2] الأمة: الجماعة[3]، وقد تقدم[4]، وجعلها[5] الزجاج هاهنا الاستقامة، وقال: تقديره: ذوو طريقة مستقيمة[6]، والأول أولى، لأنه لا يحتاج فيها إلى إضمار، والقائمة: العادلة[7]،

---

(١) وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع وأن الكلام تم عند قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ﴾ انظر: جامع البيان (٧/ ١١٥)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٠)، والأضداد لابن الأنباري ص (٢٧٠).

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ١٠٠ ـ مخطوط).

(٥) الضمير هنا يعود على قوله تعالى: ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ وليس على ﴿ أُمَّةٌ ﴾ بدلالة السياق والمعنى.

(٦) قال الزجاج: «قال أهل اللغة: معنى قائمة: مستقيمة، ولم يبينوا حقيقة هذا، وذكر الأخفش المعنى ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ أي ذو أمة قائمة، والأمة: الطريقة من أممت الشيء إذا قصدته. فالمعنى والله أعلم: من أهل الكتاب أمة قائمة، أي ذوو طريقة قائمة. . .» معاني القرآن (١/ ٤٥٨).

(٧) هذا التفسير مروي عن مجاهد والحسن وابن جريج، انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٢، ١٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٤١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧).

وقال مقاتل[1]: مطيعة[2]، وقال بعضهم: مسلمة[3]، وهذا كله واحد، فإن العادل لا يكون عادلاً حتى يكون مسلماً مطيعاً، والمطيع لا يكون مطيعاً حتى يكون مسلما عادلاً، والآناء: جمع إنْي كأنحاء في جمع نِحْي، وقيل: هو جمع إِنًى نحو مِعاً وأمعاء[4]، وقوله: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾ كلام تام أي لا يستوون، ثم قال: ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ أي منهم أمة قائمة[5]، وقال بعضهم: تقديره:

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي أبو الحسن المفسِّر، سكن بغداد، له التفسير أفاد فيه من تفاسير قديمة دون ذكر الأسانيد، كذبوه وهجروه ورُمِي بالتجسيم، من السابعة، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: التقريب ص (٥٤٥)، والتهذيب (١٠/ ٢٧١).

(٢) هذا التفسير مروي عن السدي. انظر: النكت والعيون (١/ ٤١٧)، والوسيط (١/ ٤٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣)، ولم أجده منسوباً لمقاتل.

(٣) قال القرطبي: المعنى: ليس أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ. عن ابن مسعود. وقيل: المعنى: ليس المؤمنون والكافرون من أهل الكتاب سواء. . . وقال ابن عباس: قول الله عز وجل: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ من آمن مع النبي ﷺ. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٥).

(٤) انظر: كتاب الأزمنة ص (١٣٣)، والمنقوص والممدود ص (١٨)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٢)، والغريبين (١/ ١٠٣). وذكر الأخفش وغيره فيه لغة أخرى وهي: إنو بالواو. انظر: معاني القرآن (١/ ٤١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٦٣).

(٥) هذا اختيار ابن جرير والزجاج والنحاس. انظر: جامع البيان (٧/ ١١٨-=

أي ليسوا سواء هم وأمة قائمة، يعني أمة محمد ﷺ، وإليه ذهب ابن مسعود، وقال: لا يستوي أهل الكتاب، وأمة محمد[1]، وقال الفراء: ذكر أمة قائمة، وحذف الأخرى كقول الشاعر[2]:

.... فما أدري أرشد طلابها[3]

وتقديره: أم غي[4]، وما قاله إنما يصح إذا جعل ﴿أُمَّةٌ﴾ بدلاً

= ١٢٢) ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٨)، وإعراب القرآن (١/ ٤٠١).

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥).

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي خويلد بن خالد بن محرث بن ربيد بن مخزوم المازني التميمي، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وكان من الشعراء الفحول، قدم المدينة حين وفاة النبي ﷺ، فأدرك الصلاة عليه ودفنه، شارك في فتح إفريقية، توفي سنة ٢٧هـ بمصر وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في: الإصابة (٧/ ١١٠) رقم (٩٨٨١)، وطبقات فحول الشعراء بتحقيق محمود شاكر (١/ ١٢٣)، والشعر والشعراء بتحقيق: أحمد شاكر ص (٤١٥)، ووفيات الأعيان (٦/ ١٥٥، ١٥٦) وخزانة الأدب (١/ ٤٢٢).

(٣) هذا جزء من عجز بيت لأبي ذؤيب تمامه:

عصاني إليها القلب إني لأَمْرِه مطيعٌ فما أدري أرشد طلابها

انظره في: ديوان الهذليين ص (٧١، ٧٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٩)، وجامع البيان (١/ ٣٢٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٧، ١٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦).

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٣٠، ٢٣١)، وقد اختصر المؤلف كلام الفراء في هذا الموضع.

من الضمير في ﴿ لَيْسُوا ﴾، أو جعل الواو فيه كالواو في أكلوني البراغيث[1]، ويجعل ﴿ أُمَّةٌ ﴾ اسم ليس[2]، وتكون المفاضلة بين أمة قائمة وأمة غير قائمة، وقوله: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ قيل: عنى به صلاة العتمة، لأنها لم تكن إلا لهذه الأمة[3]، واستدل بما رُوِيَ أن النبي ﷺ أخّر صلاة العشاء ليلة، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرونه، فقال: «**إنه ليس أحد من أهل الأديان يذكر الله في هذه الساعة غيركم**»، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4]، وقيل: عنى الصلاة بين

---

(١) والواو في هذا المثال علامة جمع وليست ضميراً. انظر: كتاب سيبويه (٣/ ٢٠٩)، والأصول لابن السراج (١/ ٧١، ١٣٦، ١٧٢)، (٢/ ٨٢) وإعراب القرآن (١/ ٥١١)، وشرح المفصّل (٧/ ٧)، والجنى الداني ص (١٧٠، ١٧١)، والدر المصون (٣/ ٣٥٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠١)، وقد خطأ ابن عطية أبا عبيدة في كون (أمة) خبر ليس. ودافع السمين الحلبي عن أبي عبيدة، وبين صحة كلامه، انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٩٩)، والدر المصون (٣/ ٣٥٥).

(٣) وهو قول عبدالله بن مسعود. انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٧، ١٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٨)، والنكت والعيون (١/ ٤١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢)، وزاد المسير (١/ ٤٤٣) وزاد نسبة هذا القول لمجاهد. والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٢٧، ١٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن=

العشائين[1]، وقيل: تلاوة القرآن بينهما[2]، والسجود، قيل: عبارة عن الصلاة[3]، وقوله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ كلاهما في موضع الصفة لأمة قائمة[4].

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ

= العظيم (٣/ ٧٣٨)، والواحدي في أسباب النزول ص (١١٩) وحسّن السيوطي إسناده في الدر المنثور (٢/ ١١٦). والحديث ثبت أيضاً بدون ذكر سبب النزول. رواه البخاري-كتاب «المواقيت»، باب «النوم قبل العشاء لمن غُلب» رقم (٥٦٩). ورواه مسلم ـ كتاب المساجد ـ باب «وقت العشاء وتأخيرها» رقم (٦٣٨)، ورواه النسائي في كتاب الصلاة (١/ ٢٣٩) باب فضل صلاة العشاء.

(١) وهو قول منصور انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٩) وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢) وزاد المسير (١/ ٤٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٦).

(٢) قال ابن جرير: يعني بقوله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يقرأون كتاب الله. جامع البيان (٧/ ١٢٥) والبحر المحيط (٣/ ٣٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٢٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣١)، وللزجاج (١/ ٤٥٩)، والنكت والعيون (١/ ٤١٨)، والوسيط (١/ ٤٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢)، وزاد المسير (١/ ٤٤٤) ونسبه لمقاتل، والفراء، والزجاج.

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٠)، والتبيان (١/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣٧)، والدر المصون (٣/ ٣٥٦).

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1] ذكر تعالى حال الأمّة التي تقدم ذكرها، وابتدأ بذكر الإِيمان بالله، وعنى الإِيمان الذي لا تصحُّ عبادة من دونه، والمسارعة والمبادرة والعجلة تتقارب، لكن السرعة أعمها[2] والمبادرة لا تكاد تستعمل إلا في البدن[3]، والعجلة أكثر ما تستعمل فيما يتحرى عن غير فكر وروِيَّة، أو في إمضاء العزيمة قبل استكمال الروية[4]، ولهذا يقال: «**العجلة من الشيطان**»[5]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

(٢) قال الراغب: السرعة: ضد البطء، ويستعمل في الأجسام والأفعال. المفردات ص (٤٠٧).

(٣) قال الأزهري: «ابتدر القوم أمراً وتبادروه، أي بادر بعضهم بعضاً إليه: أيهم يسبق إليه، فيغلب عليه...» تهذيب اللغة (١٤/ ١١٦)، وانظر: الغريبين (١/ ١٤٢).

(٤) قال الراغب: العجلة: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، ولذلك صارت مذمومة في عامة القرآن. المفردات ص (٥٤٨).

(٥) جزء من حديث رواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في التأني والعجلة، رقم (٢٠١٢)، ورواه الطبراني في الكبير رقم (٥٧٠٢)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٨٢)، والبغوي رقم (٣٥٩٨)وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ،وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبدالمهيمن بن عباس بن سهل، وضعّفه من قبل حفظه وقال العراقي: رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان» وسنده ضعيف من قبل حفظه. ورواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٠٤)، وأبو يعلى في مسنده=

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[1] فإن قيل: لو كانت مذمومة لما قال موسى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[2]. قيل: موسى عليه السلام أورد ذلك على سبيل الاعتذار إبانة أنه قصد فعلا محموداً، وإن تحرى العجلة فيه، ومن قصد فعلا محموداً فقد يعذر في وقوع ما يكره منه، والمسارعة في الخير هي أن يتدرج الإنسان في ازدياد المعرفة بفضله، واختياره والسرور بتعاطيه، وتقديمه على الأمور الدنيوية، وأن لا تؤخره عن أول وقت إمكان فعله[3] وعلى/ ذلك قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4]، ومدح تعالى قوماً فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾[5]، أي يسابقون[6] بهممهم وأبدانهم، فلذلك كرره، ولمراعاة المسارعة وكون بعض المسارعين أعلى منزلة من بعض، قال [٢٦٢/أ]

= (٧/ ٢٤٨) من حديث أنس. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٣٧)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٤.

(٣) فرق أبو هلال العسكري بين العجلة والسرعة بنحو ما فرق الراغب بينهما. انظر: الفروق ص (٢٢٤، ٢٢٥).

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ١٠.

(٦) في الأصل: أي لا يسابقون. والصواب ما أثبته لدلالة السياق عليه.

تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]، وبين تعالى في آخر الآية أن فاعل ذلك من الصالحين، والأقرب في مِن أن تكون للتبيين، وأنهم هم الصالحون[2]، ولذلك قال في الأول ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[4] قُرئ بالياء ردًّا إلى قوله: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، وقُرئ بالتاء لإدخال المخاطبين فيهم وتغليباً للخطاب[5]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

(٢) قال ابن عطية: و(مِنْ) يحسن أن تكون للتبعيض ويحسن أن تكون لبيان الجنس. المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٣) واقتصر أبو حيان على الأول. البحر المحيط (٣/ ٣٩). وقال القرطبي: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: مع الصالحين. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٥.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص وخلف ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟... فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. انظر: المبسوط ص (١٤٦)، والغاية ص (٢١٦)، والتلخيص ص (٢٣٥)، قال ابن زنجلة عن قراءة من قرأ بالياء فيهما: وحجتهم قوله قبلها: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ..﴾ الآية. وكذلك: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ...﴾ أي هؤلاء المذكورين، وسائر الخلق داخل معهم. وقرأ الباقون بالتاء فيهما، وحجتهم=

وقوله: ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ كقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾[2]، كل ذلك تنبيه على أن عمل المحسنين لا يضيع المدلول بقوله: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾[3]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾[5]، وأنهم بخلاف الكفار الذين قال فيهم: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ﴾[6] الآية. وقوله: ﴿هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾[7] الآية، وقال الجبّائي: ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ مجاز في هذا الموضع، لأن

= قوله قبلها ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾، ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن تكفروه﴾، أيها المخاطبون بهذا الخطاب. حجة القراءات ص (١٧٠، ١٧١)، ومعاني القراءات للأزهري ص (١٠٨).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٢٣. وتمام الآية: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾.

(٧) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.

وصف الله بأنه يشكر مجاز[1]، وقوله ذلك لتصوره[2] الشكر على وجه واحد[3]، والشكر باعتبار الشاكر والمشكور على ثلاثة أوجه: شكر الإنسان لمن فوقه، وذلك بالخدمة والحمد، وشكره لنظيره، وذلك بالمقابلة، وشكره لمن دونه، وذلك بالإثابة، ولذلك يمدح تعالى بأنه شكور، وقال: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[4] تنبيهاً أنه يقابله بالشكر الذي هو الثواب[5]، ولعله تصور أن الشكر لا يكون إلا بالقول، ومن الأدون للأعلى، وذلك فاسد

---

(١) اتفق المفسرون على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أي وما تفعل هذه الأمة من خير وأعمال صالحة، فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك، ولن يحرمهم إياه، بل يجزل لهم الثواب عليه. انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٢)، والوسيط (١/ ٤٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٤)، والتفسير الكبير (٨/ ١٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥).

(٢) في الأصل: (لصورة)، والصواب ما أثبته.

(٣) قال الراغب: الشكر: تصور النعمة وإظهارها... ويضاده الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها... وإذا وصف الله بالشكر فإنما يعني به إنعامه على عباده، وجزاؤه بما أقاموه من العبادة. المفردات ص (٤٦٢).

(٤) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٥) انظر في تسميته سبحانه بالشكور: «عدة الصابرين» لابن القيم، الفصل الأخير ص (٣٣٤).

لقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾[1] فجعل الشكر معمولاً[2]، ووصفه بأنه شكور وشاكر[3].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم ﴾[4].

أغناه: إذا جعل له غنى، وأغنى عنه: جعل له غَنَاءً في الدفع[5]، ولما ذكر في الآية الأولى أن ما يفعله الإنسان من الخير لن يُكفَر، بيّن أن ما يعدونه خيراً إنما ينفع بعد الإيمان، فأما مع

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) قال الراغب: وقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ فقد قيل: شكراً انتصب على التمييز، ومعناه: اعملوا ما تعملونه شكراً لله. وقيل: شكراً مفعول لقوله: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ﴾ المفردات ص (٤٦١).

(٣) في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧]. وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨] وقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧]. وانظر معنى الشكر والشكور في: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٨)، والزاهر (١/ ٩٦)، والمخصص (١٧/ ١٥٣)، والتاج (١٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٦. ونصها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

(٥) انظر: الكامل لابن المبرد (١/ ٣٢١)، والأفعال لابن القوطية ص (٢٩). وقال الجوهري: «الغَنَاء ـ بالفتح ـ النفع، والغِناء ـ بالكسر ـ السماع، والغنى ـ مقصور ـ اليسار». الصحاح (٦/ ٢٤٤٩، ٢٤٥٠).

افتقاده فلا نفع، وذكر أجلّ ما هو عندهم خير، وهو الأموال والأولاد، وأنها لا تغني عنهم، وعلى ذلك ما حكى عن الكفار: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾[1] وجعلهم أصحاب النار لملازمتهم إياها[2].

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[3] الآية. الصّر: برد يحرق النبات[4]. وقال مجاهد: هو النار[5] ....

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٨.

(٢) في الأصل: إياه والصواب ما أثبته.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٧، ونصُّها: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

(٤) هذا قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والربيع والسدي وابن زيد والضحاك والحسن وسعيد بن جبير وشرحبيل بن سعد والكافة. انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٦، ١٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٤١)، والنكت والعيون (١/ ٤١٨)، والوسيط (١/ ٤٨٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٠٥). وانظر: سؤالات نافع بن الأزرق ص (٦٧)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٢)، وغريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٤٤٦)، والكامل (١/ ٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٢)، وللنحاس (١/ ٤٦٤)، وغريب القرآن ص (٣١١)، وما اتفق لفظه ص (١٦١).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٧٥) بغير إسناد منسوباً إلى=

وأصله صوت النار[1]، وكأنه حكى به الصرير والصرصرة[2]، ونحوهما[3]، والآية قيل: نزلت في أبي سفيان[4] وأهل مكة

= مجاهد، ومسنداً إلى ابن عباس رضي الله عنه، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٥)، ونسبه إلى مجاهد وابن عباس أيضاً. وقد جمع ابن كثير رحمه الله بين القولين، فقال: قوله: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أي برد شديد، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع ابن أنس وغيرهم. وقال عطاء: برد وجليد. وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد (فيها صرّ) أي نار، وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد، يحرق الزروع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥).

(١) قال الزجاج: «فالصرُّ على هذا القول صوت لهيب النار». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦١).

(٢) في الأصل: (والصررة) ولم أجد له معنى.

(٣) قال الجوهري: «وصرَّ الجندب صريراً، وصرَّ الأخطب صرصرة، كأنهم قدروا في صوت الجندب المدّ، وفي صوت الأخطب الترجيع». الصحاح (٢/ ٧١٢). وانظر: المجموع المغيث (٢/ ٢٦٤).

(٤) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، صحابي مشهور بكنيته، والد معاوية أمير المؤمنين وأم حبيبة زوج النبي ﷺ، كان رأس المشركين يوم أحد والخندق، أسلم عام الفتح، وهو المعني بقوله ﷺ: **«ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»** شهد حنيناً والطائف، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم شهد اليرموك، وأبلى فيها بلاء حسناً، توفي في خلافة عثمان سنة ٣١هـ، وقيل: سنة ٣٤هـ. انظر: الإصابة (٣/ ٣٣٢)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤١١)، وتقريب التهذيب ص (٢٧٥).

لإنفاقهم المال في معاداة النبيّ ﷺ[1]، لما بيّن في الآية الأولى أن مالهم لا يغني عنهم، بين أن إنفاق هؤلاء مع كونه غير نافع ضار لهم، وراجع بالوبال عليهم، فمن المفسرين من قال القصد إلى تشبيه ما لهم المنفق بالحرث المحرق، وكفرهم المهلك بريح ذات صِرٍّ، لكن أخرج التشبيه ملفوفاً لا مكشوفاً، على تحقيق مطابقة لفظ المشبّه والمشبّه به[2]، وذلك نحو ما تقدم، ومنهم من قال: القصد في ذلك تشبيه أموالهم في إهلاكها إياهم بريح ذات صِرٍّ في كونها مهلكة/ لحرث قوم[3]، ثم اختلفوا في هذه [٢٣٦/ب] النفقة، فمنهم من جعلها لما أنفقه هؤلاء وأمثالهم في معاداة

(١) ذكره ابن حجر في العجاب (٢/ ٧٣٩)، وأشار إليه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦١)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٨)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤١٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٤، ١٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٤١٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٤٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٥، ٣٧٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٧٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧٥).

(٣) قال الزجاج: «فاعلم أن ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الريح في الزرع» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦١). وانظر: أنوار التنزيل (١/ ١٧٦)، ونظم الدرر (٢/ ١٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٧٥).

المسلمين[1]، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾[2]، ومنهم من جعلها لكل ما ينفقه الكافر[3]، أي شيء أنفقه فإن الكافر معاقب في ذلك كله، كما أن المؤمن مثاب على ما أنفقه على أي وجه أنفقه، وعلى هذا قال ﷺ لسعد: «**إنك لتؤجر في نفقتك كلها، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك**»[4]، ووجه ذلك أن المؤمن

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٠٥) ولم ينسبه لأحد، ونقله عن الزمخشري أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤٠). وهذا القول يناسب من قال: إن الآية نزلت في أبي سفيان وأصحابه يوم بدر عند تظاهرهم على رسول الله ﷺ. وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(٣) وهذا مروي عن مجاهد. انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٥)، والوسيط (١/ ٤٨٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٤)، وزاد المسير (١/ ٤٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٤٠).

(٤) رواه البخاري ـ كتاب الفرائض ـ باب «ميراث البنات» رقم (٦٧٣٣). ورواه في كتاب الوصايا، باب «أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس» رقم (٢٧٤٢)، وباب «الوصية بالثلث» رقم(٢٧٤٤)، ورواه مسلم ـ كتاب الوصية ـ باب «الوصية بالثلث» رقم (١٦٢٨)، والترمذي ـ كتاب الوصايا ـ باب «ما جاء في الوصية بالثلث» رقم ٢١١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي ـ كتاب الوصايا ـ باب «الوصية بالثلث» (٦/ ٢٤١، ٢٤٢)، وابن ماجه ـ كتاب الوصايا ـ باب «الوصية بالثلث» رقم (٢٧٠٨)، وأحمد في المسند (١/ ١٧٦، ١٧٩)، والحميدي=

لا يأخذ إلا من حيث يجب على ما يجب وكما يجب، ولا يضع إلا كذلك، والكافر بخلاف ذلك، ومنهم من قال: ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ عبارة عن أعمالهم كلها، لكن خصّ الإنفاق لكونه أظهر وأكثر[1]، وإنما خصّ حرث قوم ظلموا أنفسهم من أجل أن الناس فيما يصيبهم [من][2] الجائحة ضربان: صالح لا يستحق عقوبة، فإذا نالته صار ذلك له أجراً مُدَّخراً، فكأنه لم يضع ماله، وسيِّىء يستحق عقوبة، فإذا نالته فقد ضاع ماله في الحال وفي المآل، ومنهم من قال: معنى ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي زرعوا الحرث في غير وقته[3]، تنبيهاً أن الكفار أساءوا فيما كان ينبغي لهم أن يفعلوه إساءة هؤلاء الحرّاث في حرثهم من تقديم أو تأخير. إن قيل: كيف قال: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، وقد قيل: متى هبت الريح لم يؤثر الصِرّ؟ قيل في ذلك أجوبة: **الأول**: أن كل

= رقم (٦٦)، ومالك في الموطأ رقم (٤) كتاب الوصية، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٦٨)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٧٢٧، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٧٩، ٧٨١).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦١)، وقد نقل أبو حيان هذه الفقرة، ونسبها للراغب. البحر المحيط (٣/ ٤٠).

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) ذكر هذا القول: الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٦)، قال: ونحا إليه المهدوي، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤١).

صرٌّ لا ينفك من ريح معه، لكن التي معها الصرُّ ضعيفة بحيث لا يُحَسُّ بحركتها، وإنما تمنع الصرّ إذا تحركت حركة شديدة. والثاني: أنه تعالى خصَّ ذلك تنبيهاً أن أموالهم بطلت من حيث لم يحتسبوا: كبطلان حرث هؤلاء من حيث لم يحتسبوا، فإنهم كانوا آمنين من الصِرِّ لوجود الريح. والثالث: أنه عنى بالصرّ صوت الريح[1] وشدة عصوفها، وعنى أنها أصابته الريح ففرقته، كقوله: ﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[2]، ونحو هذه الآية في بطلان عمل الكفار قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾[3] وقوله: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[4] فإنما عقب به لأنه لما كان أخذ مال الغير وإبطاله قد يتصوره[5] من لا يعرف حقيقة الأمر بصورة الظلم بين أنه لم يظلمهم، بل هم ظلموا أنفسهم، حيث لم يضعوا مال الله حيث أمرهم[6].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/ ٤١)، والدر المصون (٣/ ٣٦٠)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٠٦).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٧.

(٥) في الأصل: (يتصوّر). والهاء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٦) انظر: جامع البيان (٧/ ١٣٧)، ونظم الدرر (٢/ ١٤٠).

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾[1] الآية، البطانة في الثوب بإزاء الظهارة[2]، ويستعمل لمن اختصصته[3] كالشعار والدثار[4]، ويقال: لبست فلاناً إذا اختصصته[5]، وعلى ذلك قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾[6] وألوتُ في الحاجة: قصّرت[7] [وألوت][8] فلاناً ألواً أي أوليته تقصيراً بحسب الجهد، فقولك جهداً تمييز[9] ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨. ونصُّها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

(٢) «البطانة: ما بطن من الثوب، وكان من شأن الناس إخفاؤه. والظهارة: ما ظهر، وكان من شأن الناس إبداؤه»، تهذيب اللغة (١٣/ ٣٧٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٣)، والغريبين (١/ ١٨٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٣١)، والمفردات ص (١٣١).

(٤) الشعار: «الثوب الذي يلي البدن». المشوف المعلم (١/ ٣٩٩). والدثار: «الثوب الذي يستدفأ به فوق الشعار». تهذيب اللغة (١٤/ ٨٨).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٣، ٤٤٥)، وقد وردت العبارة في المفردات ص (١٣١).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٧) انظر: الغريبين (١/ ٧٧)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥١٧)، والأفعال لابن القوطية ص (١١).

(٨) إضافة يقتضيها السياق، والعبارة في المفردات ص (٨٣).

(٩) في الأصل: (تمييزاً) ولا يصح، لأن (تمييز) خبر مبتدأ (قولك) وهو مرفوع، وما أثبته موافق لعبارة المؤلف في المفردات ص (٨٣).

﴿ٱلْفَضْلِ﴾[1] أي لا يقصروا[2]، آلى أي حلف[3]، هو أفعل من ذلك، كأنه أزال التقصير ببذل ذلك القول، فقوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقصرون في إيصال الخبال إليكم، والخبال: الفساد، الذي يلحق ذات الحيوان، يقال: في قوائم الفرس خبل وخبال، أي فساد من جهة الاضطراب، وفلان مختبل الرأي[4]، وقول زهير[5]:

هنالك إن يستخبلوا[6] المال يخبلوا[7] ....

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) وفسر أيضاً بـ«لا يحلفوا» انظر: الغريبين (١/ ٧٥، ٧٦)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥١٧).

(٣) انظر: العين (٨/ ٣٥٦)، والمقاييس (١/ ١٢٧، ١٢٨)، والمفردات ص (٨٤).

(٤) انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٢٠٥)، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٢٤-٤٢٨)، والمشوف المعلم (١/ ٢٦٥).

(٥) هو زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح بن قرط المزني حكيم الشعراء في الجاهلية، وُلد في بلاد مزينة في نواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر من ديار نجد. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء للجمحي ص (٤١-٤٥)، والشعر والشعراء ص (٢٣-٢٥).

(٦) في الأصل: (يستحيل)، والتصويب من المفردات وغيره من المصادر التي أوردت البيت.

(٧) هذا صدر البيت وتمامه:

=

أي إن طلب المال منهم إفساد شيء من إبلهم فعلوا، والعنت
[٢٣٧/أ] تحرّي المشقة، يقال: عَنِتَ فلانٌ/ عنتاً، وأعنته غيره، وعنّته، قال
تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾، وأكمةٌ عنوت: صعبة المسلك[١]،
وعنود والمعاندة والمعانتة يتقاربان، لكن المعاندة هي الممانعة،
والمعانتة[٢]: أن يتحرى مع الممانعة مشقة[٣]، قال ابن عباس:
سبب نزول هذه الآية أن قوماً صافوا جماعة من اليهود، فنهاهم الله
تعالى عن ذلك[٤]، والآية تقتضي النهي عن الركون إلى من وما

= هنالك إن يُستخبلوا المال يُخبلوا وإن يُسْألوا يُعطوا وإن يَيْسروا يغلوا
ورُوي: هنالك إن يستخولوا المال يخولوا. انظر: ديوان زهير (ص ١١٢)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٧٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ٤٢٥)، والمفردات ص (٢٧٤).

(١) انظر: الكامل (٣/ ١١٧٣، ١١٧٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٦٦)، والأفعال لابن القوطية ص (١٩٣)، والصحاح (١/ ٢٥٩).

(٢) تكررت هنا عبارة: (يتقاربان، لكن المعاندة)، وهي في السطر السابق.

(٣) انظر: المراجع السابقة، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٧-٢٨٤)، والمفردات ص (٥٨٩).

(٤) أورده ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٣٧)، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٤١)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤١٩)، والواحدي في أسباب النزول ص (١٢٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٩٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٧)، وابن الجوزي في=

يتحرى بك طريقة فساد: إنساناً كان أو شيطاناً أو قوة من قوى نفسك تحيد بك عن الحق، كالهوى ونحوه، وقال ﷺ: «**ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير، وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضّه عليه**»[1]، ونهى عمر عن الاستعانة بالكفار، واحتج بهذه الآية[2]،

= زاد المسير (١/ ٤٤٦)، وابن حجر في العجاب (٢/ ٧٣٩).

(١) ورد هذا الحديث من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ، فأما حديث أبي سعيد فأخرجه البخاري - كتاب الأحكام - باب «بطانة الإمام» رقم (٧١٩٨). وفي «القدر» باب «المعصوم من عصم الله» رقم (٦٦١١). وأحمد في المسند (٣/ ٨٨)، والنسائي في سننه كتاب البيعة (٧/ ١٥٨)، وأبو يعلى رقم (١٢٢٨). وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الترمذي - كتاب الزهد - باب «ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ» رقم (٢٣٦٩) وأحمد في المسند (٢/ ٢٣٧)، والنسائي في البيعة (٧/ ١٥٨)، وابن حبان رقم (٢١٠٢ - موارد) وأبو يعلى رقم (٥٩٠١) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣١) وقال الترمذي: حسن غريب، كما في تحفة الأشراف للمزي (١٠/ ٤٦٧) رقم (١٤٩٧٧). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٤٣) بسنده عن أبي دهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب: «إن هٰهنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً، فلو اتخذته كاتباً؟ فقال: قد اتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين».
وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٦)، (٣/ ٤١). والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٨)، =

وقد تقدم الكلام في أنه على أي وجه لا يصح الاستعانة بهم[1]، ونبه بالاستدلال بكلامهم على فساد اعتقادهم، وأن ذلك لا يخفى منهم، كقوله: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾[2]، وعلى نحوه قال الشاعر:

.... ولاحن بالبغضاءِ والنظرِ الشزر[3]

ثم بيّن أن مالا يبدو منهم أكثر، وأخبر بقوله: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ﴾ أنه أظهر ما يمكنهم الاستدلال به على معاداتهم[4].

قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[5]. العضُّ

= وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(١) انظر: هذه الرسالة ص (٩٧).

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٣) هذا شطر بيت للأخطل تمامه:

وإني صبور من سليم وعامر ونصر على البغضاء والنظر الشزر

انظر ديوانه ص (١٣٤).

(٤) قال الراغب: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي الدالة على وجوب الإخلاص في الدين، وموالاة المؤمنين ومعاداة الكفار. البحر المحيط (٣/ ٤٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

معروف[١]، ومنه رجل عضٌّ: شديد الخصومة[٢]، كقولهم: أزوم، وفلان يأزم المأزم[٣] ونيّب على كذا[٤]، والعضُّ: علف الأمهار مما له مضغ شديد[٥] كالنوى والقت[٦] اليابس. والأنامل واحدتها أُنملة، ولم يأت أفعل[٧] مفرداً إلا قولهم: بلغ

---

(١) قال أبو إسحاق الحربي: «عض رجل على آخر، هو قبضه على ذراعه بأسنانه» غريب الحديث (٣/ ٢٠)، وانظر: المفردات ص (٥٧٠)، والنهاية (٣/ ٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) «العضُّ من الرجال: الداهي المنكر». تهذيب اللغة (١/ ٧٤)، وانظر: غريب الحديث للحربي (٣/ ٢٨).

(٣) الأزوم هو الذي يعضّ عضًّا شديداً. والأزوم: السنة التي تصيب الناس والشدة. والأزم: القطع بالناب وبالسكين والإمساك وترك الأكل. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٧٤)، والقاموس المحيط ص (١٣٩٠).

(٤) نيّب على كذا: عضّه بنابه، انظر: القاموس المحيط ص (٨٠)، والوسيط ص (٩٦٦).

(٥) جاء في تهذيب اللغة (١/ ٧٥): «العضُّ بالعين علف الأمصار مثل الكُسْب والنوى المرضوخ».

(٦) انظر: لسان العرب (٧/ ١٨٩).

(٧) هكذا في الأصل بدون تاء، وواضح أن وزن أنمُلَة أفعُلة بتاء التأنيث، ولعله يقصد أن «أفعل» سواء أكان مؤنثاً بالتاء أم مجرداً عنها. وفي الأنملة لغات أخرى. انظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٣٥٦، ٣٥٧)، والمخصص (٢/ ٩).

أشده[1]، وقد كثر ذلك في الجمع، نحو: أكلُب وأفلُس[2]، ويعبر عن التأسف بقرع السن وعض الأنامل، وذلك لما نشاهد من حال المتأسف، قال الشاعر:

.... عضضت أناملي وقرعت سني[3]

أكلت يدي لما جنته تندما[4] ....

---

(١) اختلف في أشد، فقيل: هو مما جاء مفرداً على وزن أفعل مثل الأصبُعُ لغة في الإصبَع، والآنك وهو الرصاص. وقيل: هو جمع واحد شذَّ على مثال فَلْسٍ وأفْلس، أو واحده شِدة مثل نعمة وأنعُم. انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٦٠٩)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٣٣٦، ٣٣٨) و(٢/ ١٠-١٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٦٤)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٦٦)، والصحاح (٢/ ٤٩٣)، والمخصص (٢/ ٩) و(١٥/ ٨٥).

(٢) وهو جمع قلة قياسي في كل اسم صحيح العين على وزن فَعْل، بفتح أوله وسكون ثانيه. انظر: شرح المقدمة الجزولية (٣/ ١١٠٩)، والمساعد (٣/ ٣٩٩)، والأشباه والنظائر في النحو (٣/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٣) هذا عجز بيت لأبي العتاهية، وصدره:

إذا فكّرت في ندمي عليها عضضت أناملي وقرعت سني

انظر: ديوانه ص (٣٧٨)، وهو في مجمع البلاغة ص (٦٥٢).

(٤) هذا شطر بيت من الطويل، أورده المؤلف في مجمع البلاغة (١/ ٨٣)، ولم ينسبه لقائل.

والغيظ هو الغضب والغم، فإن الغضب يقال فيما معه القدرة على الانتقام، والغمّ فيما ليس معه قدرة الانتقام، والغيظ فيما ليس معه تمام القدرة على الانتقام[1]، ولذلك يُستعمل في صفات الله الغضب دون الغيظ، والكتاب كله يعنى الكتب المنزلة، فوضع موضع الجمع، إما لكونه للجنس كقولك: كَثُرَ الدرهم[2] في أيدي الناس، أو لكونه في الأصل مصدراً[3]. ولفظ الإفراد أولى في هذا الموضع، لأنه يتضمن أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ويتضمن أنهم يؤمنون بتفاصيل كل كتاب، بخلاف من قال فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[4]، وقوله: ﴿أولاء﴾ قيل: معناه الذين، وتحبونهم صلته،

---

(١) انظر: الفروق لأبي هلال ص (١٤١-١٤٣، ٢٩٣، ٢٩٤). وقد فرق بين الهم والغم بأن الأول هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب، وأن الغم معنى ينقبض القلب معه، ويكون لوقوع ضرر قد كان. كما فرق بين الغضب والغيظ، بأن الأول إرادة الضرر للمغضوب عليه، وبأن الغيظ يقرب من باب الغم.

(٢) في الأصل: الدراهم، والصواب ما أثبته.

(٣) قال العكبري: الكتاب هنا جنس، أي بالكتب كلها، وقيل هو واحد. التبيان (١/ ٢٨٨) وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٤٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٠.

وقيل: معناه هؤلاء، وفيه وجهان: **الأول**: أن يكون كقولك ها أنا ذا، وها أنتم هؤلاء[1]، فيكون هؤلاء خبر الابتداء، وتحبونهم في موضع الحال، وهم راجع إلى ما تقدم ذكره. **والثاني**: أن يكون هؤلاء مبتدأ ثانيا، وتحبونهم خبره، والجملة خبر للأول، كقولك: أنت زيد تحبه، ويكون هم راجعاً إلى هؤلاء[2]. ومحبتهم لهم: إرادة الإسلام لهم، لأن ثمرة المحبة [٢٣٧/ب] النصيحة/ وإرادة الخير، وبين أنهم لا يحبون ذلك لكم، لأنهم لا يريدون لكم الإسلام الذي هو الخير المحض[3]، ثم بيّن أنكم تؤمنون بكتب الله، وهم لا يؤمنون ببعض الكتاب، وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[4]، وقوله:

---

(١) ورد ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في القرآن في الآية ٦٦ من سورة آل عمران. والآية ١٠٩ من سورة النساء، والآية ٣٨ من سورة محمد.

(٢) انظر إعراب هذه الآية في معاني: القرآن للفراء (١/ ٢٣١)، والبحر المحيط (٣/ ٤٢، ٤٣)، والدر المصون (٣/ ٣٦٩) وانظر ماسبق بيانه عند تفسير الآية ٦٦ من آل عمران، ص (١٦٦) هامش رقم ٢.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٥٠)، وتفسير الوسيط (١/ ٤٨٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨١)، والبحر المحيط (٣/ ٤٣).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤.

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ ﴾[2] وقوله : ﴿ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾[3] دعاء عليهم وإيجاب ذلك لهم ، وإن لم يكن إيجاباً عليهم[4] ، وقوله : ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[5] كقوله : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[6] ، وقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[7] وقوله : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[8] ونحو ذلك . قوله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٦٧ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٧٢ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١١٩ .

(٤) قال ابن جرير الطبري : «وخرج هذا الكلام مخرج الأمر ، وهو دعاء من الله نبيَّه محمداً ﷺ بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كمداً مما بهم من الغيظ على المؤمنين . . . » جامع البيان (٧/ ١٥٤) وانظر : الوسيط (١/ ٤٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٣)، وذكر القرطبي وجهاً آخر في معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ قال : «المعنى أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤمنون ، فإن الموت دون ذلك ، فعلى هذا المعنى زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإغاظة . . . » .

(٥) سورة آل عمران، الآية : ١١٩ .

(٦) سورة طه، الآية : ٧ .

(٧) سورة البقرة، الآية : ٢٣٥ .

(٨) سورة غافر، الآية : ١٩ .

﴿مُحِيطٌ﴾[1] الحسنة: عبارة عن كل ما يستحسنه الإنسان مما يسرّه من نعمة ينالها في بدنه وماله، وجاهه، والسيئة تضادها[2]، والمسّ[3] والإصابة يُستعملان في الخير والشر، إلا أن المصيبة اختُصَّـ[ت][4] بما يسوء[5]، ويقال: ضرّه يضره وضارّه

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٢) قال الراغب: «والحسنة يعبرَّ بها عن كل ما يسرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها، وهما من الألفاظ المشتركة: كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة: كالفرس والإنسان وغيرهما...» المفردات ص (٢٣٥) وانظر: تفسير غريب القرآن ص (١٠٩).

(٣) قال الراغب: «المسُّ كاللمس، لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد، واللمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وكني به عن النكاح، فقيل: مسَّها وماسَّها، ... وكني بالمس عن الجنون... والمسُّ يقال لكل ما ينال الإنسان من أذى...» المفردات ص (٧٦٦، ٧٦٧) وانظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٢٣).

(٤) في الأصل: (اختص)، والصواب ما أثبته.

(٥) يقال: مصيبة ومصوبة ومصابة، والجمع مصايب ومصاوب، وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان. النهاية (٣/ ٥٧)، وانظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٢٣)، وقال الراغب: «المصيبة أصلها الرمية، ثم اختصت بالنائبة... وأصاب: جاء في الخير والشر قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠]. المفردات ص (٤٩٥).

يَضيره[1]، وقُرئ: لا يَضُرُّكُم، والضمَّة فيه إتباع للضاد[2]، نحو مدُّ، ويجوز الفتح والكسر كما يجوز في مدُّ[3]، وقال بعض النحويين لا يضركم مرفوع رفعاً صحيحاً، وتقديره: فلا يضركم[4]، وحذف الفاء كقول الشاعر:

---

(١) يقال: لا ضير ولا ضرر، والمعنى واحد. انظر: الكامل (١/ ٤٢٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٥٧)، والصحاح (٢/ ٧٢٣).

(٢) قال ابن زنجلة: «قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (لا يَضِرْكم) بكسر الضاد، وحجتهم قوله: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، وكانت في الأصل «لا يضيركم» مثل يضريكم فاستثقلت الكسرة على الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الضاد فصارت: «لا يضيركم»، ودخل الجزم على الراء فالتقى ساكنان الياء والراء فطرحت الياء فصارت: «لا يَضِرْكم». وقرأ الباقون ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الضاد وتشديد الراء وضمها من: ضرَّ يضرُّ. وحجتهم أن ضرَّ في القرآن أكثر من ضارّ، واستعمال العرب (ضرَّ) أكثر من (ضارَّ)...» حجة القراءات ص (١٧١) وانظر: معاني القراءات للأزهري ص (١٠٨)، والمبسوط ص (١٤٧)، والتلخيص ص (٢٣٥)، والنشر (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: الشافية ص (٥٩)، والمساعد ص (٣٤٤-٣٤٩)، وحجة القراءات ص (١٧١، ١٧٢).

(٤) جوَّز الفراء هذا الوجه انظر: معاني القرآن (١/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٤، ٤٦٥) وذكر ابن زنجلة الوجهين عن الكسائي. حجة القراءات ص (١٧١، ١٧٢).

من يفعل الحسنات الله يشكرها[1] ....

وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر[2]، والكيد: الاحتيال[3] للغير بمكر ومقاساة[4]، وعلى سبيل تصور هذا المعنى قيل: فلان يكيد بنفسه، والمكر مثله إلا أنه أعم، لأنه قد يقال في اجتلاب المنفعة[5]، إن قيل: على أي وجه يمنع صَبرهم وتقواهم من أن

---

(١) اختلف في نسبة البيت فقيل: هو لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وقيل: لابنه عبدالرحمن، وقيل: لكعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه. وتمام البيت:

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشرُّ بالشر عند الناس مثلان

وهو في ديوان كعب بن مالك ص (٢٨٨)، وديوان عبدالرحمن بن حسان ص (٦١)، وكتاب سيبويه (٣/ ٦٥، ١١٤)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٧٦)، والمقتضب (٢/ ٧٠) والأصول لابن السراج (٢/ ١٩٥)، والأشباه والنظائر (٧/ ١١٤).

(٢) انظر: ضرورة الشعر ص (١١٥-١١٧)، ومجالس العلماء ص (٣٤٢)، وضرائر الشعر ص (١٦٠).

(٣) في الأصل: (الاغتيال) والصواب المثبت، وفي المفردات ص (٧٢٨): «والكيد ضرب من الاحتيال».

(٤) انظر: الفروق للعسكري ص (٢٨٣، ٢٨٥).

(٥) قال الراغب: المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] ومذموم، وهو أن يتحرى به فعل قبيح، =

يضيرهم كيدهم، قيل: من أوجه: **الأول**: من الفيض الإلهي والنصرة الموعود بها في نحو قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، وقوله: ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]. **والثاني**: أن من عُرف منه الجد أحجم عنه العدو، كما قال رجل ضئيل أسر رجلًا قويًا، فسأله أمير المؤمنين: كيف تمكنت منه؟ فقال: وقع في قلبي أني آخذه ولا أبالي بالقتل، ووقع في قلبه أنه مأخوذ وخاف القتل، فنصرني عليه خوفه وجرأتي. **والثالث**: أن المتذرّي بالصبر[3] والتقوى تتحمل نفسه الشدائد، فلا يبالى بمكايدة عدوه. **والرابع**: أن الثقة بنصر الله أعظم ناصر، والإحاطة بالشيء يقال على وجهين: **أحدهما**: في الأجسام، **والثاني**: في العلم بالشيء والقدرة عليه، فأما العلم فبأن يعلم حقيقة المحاط به ووجوده وجنسه وأوصافه، والغرض

= قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]. المفردات ص (٧٧٢). وفرق أبو هلال العسكري بين الكيد والمكر، بأن الأول أقوى من الثاني. الفروق ص (٢٨٥).

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٣) المتذري بالصبر: المحتمي به. يقال: تذرّى بالشيء: استتر به واكتنَّ، وتذرَّى بفلان: احتمى به وصار في كنفه. انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٦)، وأساس البلاغة ص (١٤٣).

المقصود منه، وعلى ذلك: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1] فصار قوله: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2] كقوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾[3]، وقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4] ونحوه[5].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6] التبوء: التمكن[7]، يقال بوّأته مكان كذا، أو بمكان كذا[8]، وقيل: في حرف/ [٢٣٨/أ] ابن مسعود: تُبوئ

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٨١، ٢٢٧.

(٥) ذكر الراغب هذا الكلام في المفردات ص (٢٦٥، ٢٦٦).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢١.

(٧) قال الراغب: بوّأت له مكاناً: سويته فتبوّأ. وباءَ فلان بدم فلان يبوء به أي ساواه. المفردات ص (١٥٨)، ولم يذكر الراغب أن من معاني التبوء التمكن، ولم أجده عند غيره. وقد قال ابن عباس: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: توطىء المؤمنين لتسكن قلوبهم» غريب القرآن في شعر العرب ص (٢٦٨). وقال ابن قتيبة: «. . . من قولك: بوّأتك منزلاً، إذا أفدتك إياه وأسكنتك» تفسير غريب القرآن ص (١٠٩)، وفسَّر أبو عبيدة التبوء بالاتخاذ. مجاز القرآن (١/ ١٠٣). ولعل (التمكن) في الأصل تصحيف عن (السكنى) وهو قريب من تفسير ابن قتيبة المتقدم.

(٨) فـ (تبوأ) مثل (استغفر) تتعدى للمفعول الثاني باللام، وقد تحذف فتتعدى=

للمؤمنين[1]، وإذ قيل معطوف على قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾[2] آية في غلبتكم -مع قلتكم- الكفار مع كثرتهم، وآية إذ غدوت ترتاد للمؤمنين مكانا للقتال[3]، فانكشف الحال عما كان لهم فيه آية، ولما أمرهم بالصبر والتقوى ذكّرهم ما خوّلهم ببدر حيث صبروا واتقوا، وبأحد حيث كان منهم ما كان، وذاك أن النبي ﷺ شاور أصحابه حيث قصده المشركون: هل يخرج إليهم أو يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، وذلك هو معنى تَبَوُّئه للقتال أي موضع المشاورة، ولهذا خصَّ المقاعد دون المقاوم، فقال له

= إليه بلا واسطة. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٣)، والوسيط (١/ ٤٨٥)، والبحر المحيط (٣/ ٤٩).

(١) قال الزمخشري: وقرأ عبدالله: للمؤمنين. بمعنى: تسوّي لهم وتهييء. انظر: الكشاف (١/ ٤٠٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

(٣) (إذ) وردت هنا في الآية ١٢١، والآية التي أشار إليها المؤلف رقمها ١٣. فالعطف بعيد. قال أبو حيان: «... وهذا في غاية البعد ولولا أنه مسطور في الكتب ما ذكرته... وهذه تخريجات يقولها وينقلها على سبيل التجويز من لا تبصر له بلسان العرب» البحر (٣/ ٤٨). ولم أجد من نسب هذا القول إلى قائله، ولم يذكر الراغب وجهاً آخر. وقد ذكر غيره أن العامل في (إذ) محذوف، والتقدير: اذكر إذ غدوت. انظر: إعراب القرآن (١/ ٤٠٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٣)، والبيان (١/ ٢١٩)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٤٨).

عبدالله بن أُبيّ[1] : نقيم بالمدينة ، فإن قاتلونا قاتلنا في الأزقة وإلا رجعوا عنا بالمذلة ، وقال أكثرهم : نخرج إليهم ، فدخل ﷺ ولبس لأمته[2] ، وأعاد عبدالله قوله ، فقال ﷺ : «**ما كان لنبي أن يلبس لأمته ثم ينزعها حتى يقاتل**»[3] فخرج النبي ، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي سميع بما يقول مؤمنهم ومنافقهم ، عالم بما ينوي كل منهم .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾

---

(١) عبدالله بن أبّي ابن سلول ، كان رأس المنافقين ، ورئيس الخزرج والأوس أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يجعلوه ملكاً عليهم في الجاهلية ، فلما هداهم الله للإسلام شرق اللعين بريقه ، وغاظه ذلك جدّاً ، وهو القائل : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ في غزوة بني المصطلق ويقصد بالأذلّ رسول الله ﷺ وأتباعه ، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها . وفي غزوة أحد انخذل بثلث الجيش عن رسول الله ﷺ . انظر ترجمته في : السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٨) ، والبداية والنهاية (٣/ ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

(٢) لأمته ولامته : درعه . انظر المصباح المنير ص (٢١٤) .

(٣) رواه ابن هشام في السيرة النبوية (٣/ ٩٢) . وذكره البخاري معلقاً في كتاب الاعتصام ، باب (٢٨) قول الله تعالى : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (١٣/ ٣٥١) فتح الباري ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٦٣ ، ١٦٤) ، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥١) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٨) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٩) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٤١) .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1] الهمّة قد تكون عزماً، وقد تكون حديث النفس من غير أن يصير عزيمة[2]، والفشل: الضعف الذي يكون من تحيّر[3] الإنسان ظهر أو لم يظهر، وقد يقال لما يظهر من الإنسان من الإحجام فشل أيضاً[4]، والطائفتان، قال المفسرون: هم بنو سلمة[5] وبنو حارثة[6]، لما رجع عبدالله همّا بالرجوع، ثم لم يفعلا[7]، وقوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٢.

(٢) قال الأزهري: «الهمة: ما هممت به من أمرٍ لتفعله» تهذيب اللغة (٥/ ٣٨١)، وانظر: الفروق ص (١٣٨، ١٣٩)، وقال الراغب: والهمُّ: ما هممت به في نفسك، وهو الأصل. المفردات ص (٨٤٥).

(٣) في الأصل: (تحيره) والصواب ما أثبته.

(٤) فسر الفشل بالجبن والضعف وذهاب القوى عند الحرب والشدة. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٠٩) وتهذيب اللغة (١١/ ٣٦٨)، والصحاح (٥/ ١٨٩٠)، والمفردات ص (٦٣٧).

(٥) بنو سلمة: بطن من الخزرج، من الأنصار، من الأزد. انظر: التعريف في الأنساب، والتنويه لذوي الأحساب ص (١٦١). وكتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام ص (٢٨٦).

(٦) بنو حارثة: حيٌّ من الأوس، نسبة إلى حارثة بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، من الأنصار أهل المدينة، كانوا يقيمون مع قومهم في العوالي وما حولها، ولهم دور بارز في الجهاد ونشر الدعوة مع النبي ﷺ. انظر: كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام ص (٢٧٤) والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر (٨/ ١١٠) ضمن الرسائل الكمالية، ومعجم قبائل الحجاز لعاتق البلادي ص (١٠٢).

(٧) قال الطبري: ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عُنِيَ بالطائفتين: بنو سلمة وبنو حارثة. جامع البيان (٧/ ١٦١، ١٦٥) وانظر: تفسير القرآن العظيم=

﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾ أي وليهما في أن عصمهما عن الانصراف، ووليهما في أن جازاهما إذ لم يفعلا ما هما به[1]، ورُوي أنه لما نزل ذلك قالت الطائفتان: ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا، وقد أخبر الله أنه ولينا[2]، ونبّه بقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أن التوكل على الله هو العاصم، وهو الفرض الأقصى من العباد في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3] بدر: اسم ماء[4] ....

= لابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٠)، والوسيط (١/ ٤٨٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٩٧، ٩٨)، وزاد المسير (١/ ٤٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٥).

(١) قال الحسن: هما طائفتان من الأنصار همتا أن تفشلا فعصمهما الله، فهزم الله عدوهم. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٩). وانظر: جامع البيان (٧/ ١٦٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٢، ٣٥٣) والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٠).

(٢) أخرجه البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنهما قال: فينا نزلت ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحبُّ ـ وقال سفيان مرة: وما يسرني ـ أنها لم تنزل لقول الله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾. كتاب التفسير، باب ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾، رقم (٤٥٥٨). ورواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٤٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٤) بدر: اسم بئر، وعندها وقعت المعركة المشهورة، وهي الآن=

كان لرجل يقال له: بدر[1]، فسُمي به، فصار ذلك الحرب مسمى به[2]، وجعلهم أذلة لا على الحقيقة والمصدوقة، فمن نصره الله فغير ذليل، ولكن على اعتبار العامة لقلتهم وقلّة عِدّتهم[3]، وهذه أيام تابع الله ذكرها وذكّر المسلمين بعظم ما أولاهم فيها تثبيتاً لقلوبهم، وتذكيراً بنعمه عليهم، وأمرهم بالتقوى المؤدية إلى شكرهم لها[4].

= بلدة كبيرة على بعد حوالي ١٥٠ كيلًا من المدينة المنورة. المعالم الأثيرة ص (٤٤) وانظر: معجم ما استعجم (١/ ٢٣١)، والتاج (١٠/ ١٤٠).

(١) قيل: هو بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بدر بن قريش بن يخلد ابن النضر بن كنانة، وقيل: هو رجل من بني ضمرة، سكن ذلك الموضع فنسب إليه، وقد أنكر بعض العرب أنها مسماة باسم رجل. انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢٣١)، وجامع البيان (٧/ ١٧٠، ١٧١)، والتاج (١٠/ ١٤٠).

(٢) يقصد أنه صار أيضاً علماً على المعركة التي وقعت فيه.

(٣) قال أبو حيان: «والمعنى: وأنتم أذلة في أعين غيركم، إذ كانوا أعزة في أنفسهم، وكانوا بالنسبة إلى عدوهم وجميع الكفار في أقطار الأرض عند المتأمل مغلوبين. . . والذلة التي ظهرت لغيرهم عليهم هي ما كانوا عليه من الضعف وقلة السلاح والمال والمركوب. . .» البحر المحيط (٣/ ٥١). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٠).

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٤١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢١٩)، والبحر المحيط (٣/ ٥١)، ونظم الدرر (٢/ ١٤٨، ١٤٩).

قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[1] الكفاية: مقدار ما فيه سدّ خُلّة[2]، والفرق بين الاكتفاء والاستغناء: أن الاكتفاء ما فيه سدُّ الخُلّة وسع أو ضاق، والاستغناء ما فيه السعة فهو أعم[3]، والإمداد: اتصال الشيء بالشيء، وأصله من مد الحبل والمد يقال تارة في الماء، ومده ماء آخر، وتارة في السير، والمدة امتداد الوقت، والمادة زيادة ممتدة، والمداد المُدّ الذي هو المكيال منه[4]، والفَوْر أصله من فارت القدر والتنور[5]، والفور

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) نقل أبو حيان هذا المعنى للكفاية، ونسبه لابن عيسى. البحر المحيط (٣/ ٥٣)، واقتصر عليه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥١). وانظر: المفردات ص (٧١٨)، وفي المقاييس (٥/ ١٨٨) أن الكفاية: القيام بالأمر. والكفية: القوت الكافي. وانظر: أمالي ابن الشجري (١/ ٣٠٩).

(٣) لعله أخذ هذا المعنى للاستغناء من اشتقاقه من الغنى الذي هو اليسار وسعة الرزق. انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٥)، والمفردات ص (٦١٥، ٦١٦).

(٤) انظر: العين (٨/ ١٦، ١٧)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٤١٨، ٤٢٢، ٥٠٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٨٣، ٨٤)، والمقاييس (٥/ ٢٦٩). ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٠)، والبحر المحيط (٣/ ٥٣).

(٥) قال الراغب: الفور: شدة الغليان، ويقال ذلك في النار نفسها إذا هاجت، وفي=

منهم من تصور منه الوجهة والعجلة[1]، وإليه ذهب ابن عباس والحسن/ وجماعة[2]، ومنهم من تصور منه فوران الغضب، [٢٣٨/ب] وإليه ذهب مجاهد والضحاك[3]، والتسويم ترك الشيء وسومه،

= القدر وفي الغضب. المفردات ص (٦٤٧). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٢١).

(١) قال الزجاج: وقوله عز وجل: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي من وجههم معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧).

(٢) أما قول ابن عباس رضي الله عنه فقد أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٣) بسنديهما عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: من سفرهم هذا. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٩)، وذكر الماوردي في تفسير النكت والعيون (١/ ٤٢١) عن ابن عباس والحسن وقتادة أنهم قالوا: من وجههم هذا. وكذلك ذكر البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٠٠) وأما قول الحسن فقد روى ابن جرير في جامع البيان (٧/ ١٨١) أنه قال: ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: من وجههم هذا. وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٣) مسنداً إلى السدي، ثم قال: وروي عن الحسن والضحاك والربيع وقتادة مثل ذلك ـ أي من وجههم ـ غير أن الضحاك قال: من غضبهم ووجههم. وانظر: زاد المسير (١/ ٤٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٩).

(٣) أما قول مجاهد فقد رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٨٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٢١)، ونسبه لمجاهد والضحاك وأبي صالح. وانظر: زاد المسير (١/ ٤٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن=

ومنه قيل: أسعمت الإبل وسومته، والتسويم أيضاً إظهار سيماء في الشيء، وقد فُسِّر المسومة على الأمرين[1]، وقُرئ: مسوِّمَة[2] أي معلمة لأنفسها، وقد روي أنه نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق[3]، وعليهم عمائم . . . .

كثير (١/ ٣٧٩). وأما قول الضحاك فقد رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ١٨٣)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٦٣)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٣).

(١) انظر: العين (٧/ ٣٢٠) ومجاز القرآن (١/ ١٠٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٠٩، ١١٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٤٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)، والمفردات ص (٤٣٨).

(٢) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب (مسوَّمين) بفتح الواو وقرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم ويعقوب برواية رويس (مسوِّمين) بكسر الواو. انظر: حجة القراءات ص (١٧٣)، ومعاني القراءات ص (١٠٩)، والمبسوط ص (١٤٧)، والتلخيص ص (٢٣٥)، والغاية ص (٢١٧).

(٣) بُلق: جمع أبلق. يقال: فرس أبلق أي فيه سواد وبياض، انظر: الصحاح (٤/ ١٤٥١). وانظر: جامع البيان (٧/ ١٨٦-١٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٢)، والوسيط (١/ ٤٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٤)، والجامع لأحكام القران (٤/ ١٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٤).

صفر[1]، قال ابن عباس وغيره: عنى بذلك يوم بدر، قال: ولم تقاتل الملائكة إلا في ذلك اليوم[2]، وقال الحسن: أمدّهم بخمسة آلاف، لأنه عنى مع الأولين[3]، وقال غيره: بل خمسة آلاف غير الثلاثة آلاف، وكانوا ثمانية آلاف[4]، وقال بعضهم:

---

(١) اتفقت الروايات على أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق، ولكنها اختلفت في لون العمائم التي نزلت بها الملائكة يوم بدر، فقد ذكرت بعض الروايات أنها نزلت في بدر بعمائم سود ويوم أحد بعمائم حمر، وذكرت روايات أخرى أنها نزلت في بدر بعمائم صفر، وفي بعضها أنها نزلت في أحد كذلك بعمائم صفر، وفي روايات أخرى أنها نزلت في بدر بعمائم بيض أرسلوها بين أكتافهم، وقد ذكر السيوطي هذه الروايات في الدر المنثور (١٢٥، ١٢٦). وفي الحبائك في أخبار الملائك ص (١٤٣، ١٤٤، ١٦٣) ولم يوفِّق بينها.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ١٧٥)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٢٢)، والقرطبي في الجامع (٤/ ١٩٤)، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٩): وقال إسحاق: حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر. وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥١)، والدر المنثور (٢/ ١٢٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٢٢)، وزاد المسير (١/ ٤٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٤).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٢٢) ولم ينسبه لأحد. وقال=

إنما أمدهم بألفٍ، لقوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[1] ولم يمدهم بخمسة آلاف، بل المسلمون قالوا: إن كرز بن جابر[2] يمدّ المشركين. فأنزل الله ذلك تسكيناً للمسلمين، ثم لم يُمِدّ المشركين، فلم يمدّ الله المسلمين بهم[3]،

السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٣٥٤): «لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، لأنهم أجمعوا على أن عدد الملائكة يومئذٍ خمسة آلاف، فكأنه جعل ما وعدهم من ثلاثة آلاف خمسة آلاف...». وقال أبو حيان: والظاهر في هذه الأعداد إدخال الناقص في الزائد، فيكونون وعدوا بألف، ثم ضم إليه ألفان، ثم ألفان فصار خمسة ومن ضم الناقص إلى الزائد، وجعل ذلك في قصة أحد، فيكونون قد وعدوا بثمانية آلاف، أو في قصة بدر فيكونون قد وعدوا بتسعة آلاف. البحر المحيط (٣/ ٥٢).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) كرز بن جابر بن حِسل بن الأجب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي، كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم، أغار على سرح المدينة وهو مشرك، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه إلا أنه فاته وهي غزوة بدر الأولى ثم أسلم، وأمّره رسول الله ﷺ على عشرين فارساً خرجوا في طلب العرنيين، استشهد يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وكان مع خالد بن الوليد. انظر: الاستيعاب (٢٢١١)، وأسد الغابة (٤٤٤٩)، والإصابة (٥/ ٤٣٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٢). والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٥)، وتفسير ابن المنذر=

ولهذا قال: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[2] الضمير في قوله: ﴿جَعَلَهُ﴾ للإمداد والوعد[3]، ونبّه أنه إنما أراد بوعدهم وإمدادهم الملائكة نعمة عليهم، وهي مسرتهم وسكون جأشهم، فأما النصر في الحقيقة فليس إلا منه بلا حاجة إلى استعانة[4]، وفيه حثٌّ أن لا يبالوا بمن تأخّر عن نصرتهم، وتنبيه أنه يعين تارة بالمدد وتارة بغير المدد، وأنه ناصر كل منصور أينما كان، وممن كان، إذ هو المسبب لجميعه، والفاعل

= مخطوط (ق ٦٣) بهامش تفسير ابن أبي حاتم.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٣) قال أبو حيان: «الظاهر أن الهاء في (جعله) عائدة على المصدر المفهوم من (يمددكم) وهو الإمداد، وجوّز أن يعود على التسويم أو على النصر أو على التنزيل أو على العدد، أو على الوعد». البحر المحيط (٣/ ٥٤) وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٢٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٣)، والدر المصون (٣/ ٣٨٨).

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩٠). والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٤)، والتفسير الكبير (٨/ ١٨٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ٥٥)، ونظم الدرر (٢/ ١٥٠).

الذي لا يستغني فاعل عنه، ثم وصف نفسه بالعزة والحكمة، تنبيهاً أن كل عِزٍّ منه، وكل حكمة عنه.

قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾[1] الكبت[2]: الصرع على الوجه والرد[3]. والخيبة: حرمان البغية[4]. وتخصيص قطع الطرف من حيث إنّ نقص الأطراف من الشيء موصّل إلى توهينه وإزالته، وعلى ذلك قال: ﴿ نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾[5]، وقال: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾[6]. وقيل: عنى بالأطراف

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٧.

(٢) الكبت: الإهلاك والصرف والإذلال. انظر: غريب القرآن ص (١١٠، ١١١)، والصحاح (١/ ٢٦٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٣٩٦، ٥٠٥)، والأفعال لابن القوطية ص (٢٢٦)، والمفردات ص (٦٩٥).

(٣) في الأصل: الردد بزيادة دال في آخره والصواب ما أثبته. وانظر في معنى الصرع: العين (٥/ ٣٤٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٣).

(٤) انظر: العين (٤/ ٣١٥)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٠٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٧٢)، والمفردات ص (٣٠٠).

(٥) سورة الرعد، الآية: ٤١. وسورة الأنبياء، الآية: ٤٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٣. قال الخليل في العين (٧/ ٤٠٤): «والطرف: =

أعيانهم وصناديدهم[1]. وقوله: ﴿ لِيَقْطَعَ ﴾ أي نصركم ليقطع[2]، أو وما النصر إلا من عند الله، ليقطع[3].

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[4] هو راجع إلى قوله: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[5]، أي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء، وهو نجو

= الطائفة من الشيء، تقول: أصبت طرفاً من الشيء» ورأى الأزهري أن ذلك هو المراد في الآية. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٣٢١)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)، والمفردات ص (٥١٧).

(١) روى ابن جرير الطبري عن قتادة والربيع في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ قالا: «... فقطع يوم بدر طرفاً من الكفار، وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم في الشر». جامع البيان (٧/ ١٩٢)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٥، ٧٥٦)، فقد رُوِيَ ذلك عن الحسن وقتادة والربيع.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٠٦)، وجوّز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿ لِيَقْطَعَ ... ﴾ متعلقاً بـ(يمددكم). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٣، ١٧٤). والبحر المحيط (٣/ ٥٦).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٩٨)، والبحر المحيط (٣/ ٥٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[1] وقال بعضهم: ليس للنبي ﷺ أمر وإنما إليه، ونبّه أنك مأمور لا آمر، ومرتسم لا مُرسِم[2]، قيل: بل أراد النبي ﷺ أن يستغفر للمشركين[3]، وقيل: بل أراد أن يدعو عليهم بالاستئصال لما كسروا رباعيته، فقال الله ذلك[4]، وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِيَقْطَعَ﴾ وقيل: بل معناه: إلا أن يتوب

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ١٩٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٢، ٤٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٦)، والكشاف (١/ ٤١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٥٦).

(٣) لم أجد من ذكر هذا القول من المفسرين.

(٤) لما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كُسِرَتْ رباعيته يوم أحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «**كيف يفلح قوم شجُّوا رأس نبيّهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل**» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أخرجه البخاري معلقاً في كتاب المغازي، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾. ومسلم موصولاً في الجهاد، باب غزوة أحد رقم (١٧٩١) وانظر: جامع البيان (٧/ ١٩٥- ١٩٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٣)، والوسيط (١/ ٤٩٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٥٥، ٣٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).

أو يعذب[1]، تنبيهاً أن أمرك تابع لأمر الله.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] بيّن بهذه الآية تحقيق ما قدّمه بأنه هو المالك للكل، وله المشيئة في غفران من شاء وتعذيب من شاء[3].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟/ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] [٢٣٩/أ] إن قيل: ما اتصال هذه الآية بما قبلها؟ قيل: إنه لما نهى عن الكفر فيما تقدَّم، وقبَّح صورته، وحذَّر منه، وبيّن قدرته عليهم حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ نهى هاهنا عن تعاطي أفعال الكفرة[5]، وقد

---

(١) جوّز الزّجّاج الوجهين انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٨)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٤)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١٤٩)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٩.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٠٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

(٥) قال القرطبي: هذا النهي عن أكل الربا اعتراض بين أثناء قصة أحد، قال ابن عطية: ولا أحفظ في ذلك شيئاً مرويًا، . . . قلت: وإنما خصّ=

تقدَّم الكلام في قُبح الربا[1]، وأما أكله أضعافاً فقد قال عطاء ومجاهد: هو أنهم كانوا في الجاهلية إذا باعوا أو أقرضوا إلى مدة ثم تأخر القضاء زادوا على أصل المال لزيادة الأجل المضروب[2]. إن قيل: لِمَ قال: ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ فجمع

= الربا بين سائر المعاصي، لأنه أذن الله فيه بالحرب في قوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾» [البقرة، الآية: ٢٧٩]. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٧). وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٨٤)، وقال أبو حيان بعد أن نقل كلام ابن عطية: «ومناسبة هذه الآية لما قبلها ومجيئها بين أثناء القصة أنه لما نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم، واستطرد لذكر قصة أحد، وكان الكفار أكثر معاملاتهم بالربا مع أمثالهم ومع المؤمنين، وهذه المعاملة مؤدية إلى مخالطة الكفار نهوا عن هذه المعاملة التي هي الربا؛ قطعاً لمخالطة الكفار ومودتهم واتخاذ أخلاء منهم...» البحر المحيط (٣/ ٥٧)، وانظر: نظم الدرر (٢/ ١٥٢).

(١) انظر: تفسير الراغب (ق ١٩١ ـ مخطوط).

(٢) قول عطاء رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٠٤)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٦٥ ـ مخطوط)، وذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لهما. وقول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٥٩)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٦٥ ـ مخطوط) بهامش تفسير ابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٢٨)، وعزاه لهما ولعبد بن حميد والفريابي، ولم أقف عليه في القسم الذي وصلنا من=

بين اللفظتين؟ قيل: قال بعضهم ذلك للتأكيد[1]، وقيل مضاعفة من الضَّعْف لا من الضِّعف، ومعناه ما تعدونه ضِعْفاً هو ضَعْفٌ أي نقص، كقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ﴾[2] وقوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[3]، ومن هذا أخذ بعض المحدثين:

زيادة شيبٍ وهي نقصُ زيادتي وقوة جسمٍ وهي من قوتي ضَعْفُ[4]

= تفسير عبد بن حميد المخطوط بهامش تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. وانظر: الوسيط (١/ ٤٩١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٢)، والبحر المحيط (٣/ ٥٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٠).

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١١١)، وقال القرطبي: «و(مضاعفة) إشارة إلى تكرار التضعيف عاماً بعد عام كما كانوا يصنعون، فدلَّت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه...» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٢).

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦. وقد ذكر الراغب هذا الكلام بعينه في المفردات ص (٥٠٩)، وانظر: بصائر ذوي التمييز» (٣/ ٤٧٨، ٤٧٩). ولم أجد هذا القول لغير الراغب.

(٤) البيت لأبي الطيب المتنبىء أحمد بن الحسين بن عبدالصمد الجعفي الكندي الشاعر المشهور. انظر: التبيان شرح الديوان (٢/ ٢٨٣)، والمفردات ص (٥٠٩).

ثُمَّ حثَّ على تقوى الله، وذكر أن ببلوغها ترجون الفلاح، واستدل بعض الحنفية بهذه الآية على فساد بعض ما يدعيه الشافعية من دلالة الخطاب، فقال: لو كان ذلك صحيحاً لكان يجوز أكل الربا إذا لم يكن أضعافاً[1]، وهذا لأن يكون دلالة عليهم أولى، لأنه لما زهَّدنا في الكثير منه فلأن نزهد في القليل أولى، على أن القضية بذلك على مقتضى العموم، فمجيء ما ترك دلالة خطابه في بعض المواضع لا يفسد هذا الأصل، كمجيء لفظ عام ترك عمومه[2]، وتكرير النهي عن الربا تفظيع لأمره، وتقبيح لشأنه.

---

(١) قال الجصّاص: «قيل في معنى ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ وجهان أحدهما: المضاعفة بالتأجيل أجلًا بعد أجل، ولكل أجل قسط من الزيادة على المال. والثاني: ما يتضاعفون به أموالهم، وفي هذا دلالة على أن المخصوص بالذكر لا يدلُّ على أن ما عداه بخلافه، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون ذكر تحريم الربا أضعافاً مضاعفة دلالة على إباحته إذا لم يكن أضعافاً مضاعفة، فلما كان ذكر الربا محظوراً بهذه الصفة وبعدمها دلَّ على فساد قوله في ذلك. . .» أحكام القرآن (٢/ ٣٧).

(٢) قال ابن عطية: وقد حرّم الله جميع أنواع الربا، فهذا هو مفهوم الخطاب، إذ المسكوت عنه من الربا في حكم المذكور. المحرر الوجيز (٣/ ٢٢٨). وقال أبو حيان: فهذه الحال لا مفهوم لها، وليست قيداً في النهي، إذ ما لا يقع أضعافاً مضاعفة مساوٍ في التحريم لما كان أضعافاً مضاعفة. البحر المحيط (٣/ ٥٧).

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] إعداد الشيء تهيئته قبل الحاجة إليه، وإنما أراد تقديره وإيجاده، فلا حاجة به تعالى إلى الإعداد، وأصله من العدّ، وقولك: أعددت كذا لكذا، أي اعتبرت قدره بقدره[2]، إن قيل: ما وجه ذكر اتقوا النار بعد قوله: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾: قيل: قد تقدّم[3] أن قوله: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ يقال باعتبار ذاته، واتقوا النار باعتبار عقابه، فالأول للأولياء الأصفياء، ولذلك وصله بالفلاح الذي هو أعلى درجة الثواب. والثاني للمذنبين، فلذلك وصله بالرحمة[4]، ولما كانت المنزلة الأولى لا تحصل إلا لمن حصلت له المنزلة الثانية، حثَّ كافة

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣١، ١٣٢.

(٢) انظر: العين (١/ ٧٩، ٨٠)، والأفعال لابن القوطية ص (١٦)، وتهذيب اللغة (١/ ٩٠)، والمفردات ص (٥٥٠).

(٣) انظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ٢٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾.

(٤) قال البقاعي: «ولما كان الفائز بالمطالب لا يوقى المعاطب قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ أي إن لم تكونوا ممن يتقيه سبحانه لذاته. نظم الدرر (٢/ ١٥٦). قلت: وهذا أحسن مما قاله أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٥٨) قال: «لما تقدم ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ والذوات لا تتقى، فإنما المتقى محذوف أو ضحه في هذه الآية: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ ﴾.

الناس على الاستعانة بتقوى عقوبته، والطاعة له ولرسوله في ترك الربا وغيره من المعاصي؛ ليصلوا إلى الرحمة[1] ذريعةً إلى الفلاح[2].

إن قيل: الفلاح لا يخرج من أن يكون رحمة، قيل: صحيح، ولكن الرحمة أعم من الفلاح، فكُلُّ فلاح رحمة، وليس كُلُّ رحمة فلاحاً، ومن قال في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ دلالة أن لا فاسق فيها، فليس باستدلال يوجب الركون إليه، لأن ما يصحُّ أن يشترك فيه أقوام إذا قيل: أُعِدَّ لفلان. فليس فيه أنه لم يُعدّ لغيره. ثم قد ثبت أن النار دركات، فأكثر ما في ذلك أن النار المعدَّة للكافر ليست للفاسق[3].

قوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] إن قيل: ما الفرق بين

---

(١) قال الراغب: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلاناً، وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة. المفردات ص (٣٤٧).

(٢) قال الراغب: «الفلاح: الظفر وإدراك بغيةٍ...» المفردات ص (٦٤٤) وقال الفيروز آبادي: «الفلاح: الفوز والنجاة والبقاء في الخير». القاموس ص (٣٠٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٢٨)، والتفسير الكبير (٩/ ٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٨)، والبحر المحيط (٣/ ٥٨)، ونظم الدرر (٢/ ١٥٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

الطول والعرض؟ وهل هما على تقديرك ووضعك كالصعود والحدور، أم هما شيئان مختلفان بالذات؟ وذاك أن الطول والعرض من خواص/ الجسم، فالطول معتبر بالجانب الذي منه [٢٣٩/ب] ينشأ وإليه ينشأ. والعرض بالجانبين الآخرين، وذلك متصور في الحائط والثوب والبيت، وقد يقال ذلك باعتبار الوضع في أشياء كثيرة، وقد وقع شبهة على من لم يتمهر في المعقولات، ولم يتجاوز منزل المحسوسات، وقال: إذا كانت الجنة في السماء الرابعة على ما رُويَ في الخبر(١) فكيف يكون عرضها عرض السموات؟ فجاء قوم من اليهود إلى الرسول ﷺ فقالوا: إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فأجابهم ﷺ فقال: «**سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل**»؟(٢)، وهذه

---

(١) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٣٤) بلفظ: «الجنة فوق السماء الرابعة». وورد في بعض الأخبار أنها فرق السماء السابعة. انظر: حادي الأرواح لابن القيم ص (٩٦) الباب الثالث عشر: في مكان الجنة وأين هي.

(٢) ورد هذا الخبر من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! أرأيت جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟، فقال النبي ﷺ: «**أرأيت هذا الليل قد كان، ثم ليس شيء، أين جُعِلَ؟**» قال: الله أعلم قال: «**فإن الله يفعل ما يشاء**» أخرجه ابن حبان رقم (١٠٣) كما في الإحسان (١/ ٣٠٦، ٣٠٧)، والبزار رقم (٢١٩٦ -=

معارضة تقنع العامة بما فيه المقنع، وتطلع الخاصة على ما نبّه عليه بقوله: «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت**»[1] وقد رُوِيَ عن ابن عباس: أن لله عوالم، هذا أحدها[2]. وقال أبو

= كشف الأستار) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٦) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٧): رجاله رجال الصحيح. وقد رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٤١، ٤٤٢)، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٠٩) بهذا اللفظ الذي ساقه المصنف من حديث سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة ـ وليس في إسناد أحمد يعلى بن مرة ـ قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخاً كبيراً قد فُنِّد. قال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلًا عن يساره. قال: قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية. فإذا كتاب صاحبي: إنك تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض... فذكر الحديث.

(١) جزء من حديث ثبت قدسيًا ونبويًا، فأما القدسي فرواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» رقم (٤٧٧٩، ٤٧٨٠)، ورواه مسلم ـ كتاب الجنة ـ رقم (٢٨٢٤)، ورواه أحمد (٢/ ٤٦٦)، والحميدي (٢/ ٤٨٠)، وأبو نعيم (٩/ ٢٦). وأما الحديث النبوي فرواه مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها ـ رقم (٢٨٢٥)، وأحمد (٥/ ٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٣).

(٢) هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، فقد ذكر الواحدي في الوسيط (١/ ٤٩٢) من رواية أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الجنان أربع: جنة عدن، وهي الدرجة العليا، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، وجنة المأوى، وكل جنة منها كعرض السموات والأرض لو =

مسلم بن بحر:[1] العرض هاهنا من قولهم: عرضت الشيء بالشيء في البيع، وذلك قائم مقام المساواة، والمعنى: لو عرضت الجنة بالسموات والأرض لكانتا ثمناً لها[2]، وذلك

= وصل بعضها إلى بعض» ونقل القرطبي في الجامع (٤/ ٢٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، ويوصل بعضها ببعض، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله. قال القرطبي: وهذا قول الجمهور، وذلك لا ينكر، فإن في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «**ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاة من الأرض، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض**». فهذه مخلوقات أعظم بكثير جدًّا من السموات والأرض وقدرة الله أعظم من ذلك كله». وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٠)، والتفسير الكبير (٩/ ٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٨). وأما حديث أبي ذر الذي ذكره القرطبي، فقد أخرجه الطبري في جامع البيان رقم (٥٧٩٤)، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (١١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٤، ٤٠٥)، وصححه الألباني لطرقه في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٩).

(١) هو أبو مسلم وقيل: أبو سلمة محمد بن بحر الأصفهاني، من وجوه المعتزلة وبلغائهم، وله تفسير على طريقة المعتزلة اسمه جامع التأويل لمحكم التنزيل، توفى سنة ٣٢٢هـ وهو ابن سبعين سنة. انظر: لسان الميزان (٥/ ٨٩)، وبغية الوعاة (١/ ٥٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ١٠٩)، وهدية العارفين (٢/ ٧١).

(٢) نقل الفخر الرازي هذا القول في تفسيره (٩/ ٦) ونسبه لأبي مسلم.

يفسده قوله في غير هذه الآية: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، وقال بعضهم: هو من قولهم: فلان في جاه عريض، وفي سعة ورحب[2]، وقد يقال للكبير عريض، نحو: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[3]. والمغفرة أصلها إزالة العقوبة[4]، وإن كان قد يقال لها وللإعطاء، ولمّا أمَر تعالى بالاتقاء من النار، والاتقاء منها مقتضٍ للمغفرة، وذلك منزلة التاركين للذنب، أمره في هذه الآية أن لا يقتصر على التقوى من النار، التي [هي][5] مقتضية للمغفرة، بل يتجاوز إلى طلب الجنة، فقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن (١١١، ١١٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٣٣١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٧٧)، والوجوه والنظائر (٢/ ٧٤).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥١. انظر: تفسير غريب القرآن ص (٣٩٠)، والصحاح (٣/ ١٠٨٣)، وقد ذكر المؤلف في المفردات ص (٥٦٠) في معنى الآية وجهين: «أحدهما: أن العرض هو خلاف الطول. وثانيهما: أن العرض: البدل والعوض». وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٠٤)، والكشاف (١/ ٤١٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٣٢)، والرازي في التفسير الكبير (٩/ ٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٥)، النيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٥٩).

(٤) الذي عليه أهل اللغة أن أصل هذه المادة: التغطية والستر. انظر: العين (٤/ ٤٠٧)، والزاهر ص (١٧/ ١٨)، والمحكم (٥/ ٢٩٤)، ومجمل اللغة ص (٥٣٣)، والنهاية (٣/ ٣٧٣).

(٥) سقطت من الأصل والصواب إثباتها.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، السّرّاء والضرّاء إشارة إلى حالي السعة والضيق، كاليسر والعسر، وإلى حالي السرور والاغتمام، وقد فُسِّر بهما[2]، واللفظ يتناولهما، فإن السراء يقابلها الغم، والضراء يقابلها النفع، فأخذ اللفظان المختلفا التقابل ليدل كل واحد على مقابله، وهذا من دقائق إيجازات البلاغة[3]، فمن نظر إلى معنى السراء قال السرور والغم، ومن نظر إلى معنى الضراء قال النفع والضر، ولما كان الناس في الإنفاق أربعة أضرب: ضرب لا ينفق في حالي السّعة والضيق، وهو اللئيم على الإطلاق، وضرب ينفق في حال الضيق دون السعة، كما قال الشاعر:

وكان غنيَّ النفس في حال فقره فصار فقيراً في الغنى خيفة الفقر[4]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) انظر: تفسير جامع البيان (٧/ ٢١٣، ٢١٤)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٥٩، ٣١٢)، والمفردات ص (٥٠٤)، والقاموس المحيط ص (٥٢١).

(٣) يُسمَّى هذا الضرب من البلاغة بالاحتباك، وهو من المحسنات البديعية المعنوية. قال الجرجاني: «الاحتباك وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه، كقوله: (علفتُها تبناً وماءً بارداً)». انظر: التعريفات ص (٢٩-٣٠).

(٤) البيت في مجمع البلاغة للراغب (١/ ٣٤٨) ولم ينسبه.

وضرب ينفق في السعة دون الضيق، وهو من وجه جبان يخاف الفقر، ومن وجهٍ حازم يأخذ بالوثيقة في أمور الدنيا، وضرب ينفق في الحالين، وذلك أحد رجلين: إما متهوِّر لا يتفكر في العواقب، ولا يُبالي من أين يأخذ وأين يضع، وذلك هو الموصوف بأنه من إخوان الشياطين(١)، وإما واثق بكفاية الله ينفق ما يحصل في يده اعتماداً على خزائن ربه، لكن لا يتناول إلا من حيث ما يجب وكما يجب، ولا يضع إلا كذلك، وهو الذي يتناول كل آية مُدحَ فيها المنفقون(٢). وكظم الغيظ: هو الحلم(٣)، فقد قيل: الحلم(٤): كظم الغيظ، وهو والعفو منزلتان شريفتان، ولهذا قال ﷺ: «**من كظم الغيظ وهو يقدر أن**

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

(٢) فرق الإمام ابن القيم بين الجواد والمسرف بقوله: «والفرق بين الجود والسرف: أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، والمسرف مبذر، وقد يصادف عطاؤه موضعه، وكثيراً لا يصادفه... فالجواد يتوخى بماله أداء الحقوق على وجه الكمال، طيبة بذلك نفسه، راضية مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى... بخلاف المبذر، فإنه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافاً لا على تقدير، ولا مراعاة مصلحة، وإن اتفقت له». الروح ص (٥٢٤، ٥٢٥).

(٣) كظم الغيظ هو تجرُّعه وحفظ النفس من إمضائه. انظر: جامع البيان (٧/ ٢١٤)، ومجمل اللغة ص (٦٢٤)، والمفردات ص (٧١٢).

(٤) قال الراغب: الحلم: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب. المفردات ص (٢٥٣).

ينفذه خيَّره الله في أي الحور شاء»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾[2]، / وقال: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3]، وقال ﷺ: «ينادي يوم القيامة منادٍ: من كان له أجر على الله فليقم، فيقوم العافون عن الناس»، ثم تلا هذه الآية[4]، والفرق بين الحلم والعفو، أن الحلم راجع إلى حال الإنسان في نفسه، والعفو إلى ما بينه وبين غيره، وإن كان قلما ينفك أحدهما عن الآخر[5]، ووجه الآية أن الله حث في الآية الأولى [٢٤٠/أ]

---

(١) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب «من كظم غيظاً» رقم (٤٧٧٧)، ورواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب «من كظم الغيظ» رقم (٢٠٢١)، وقال: حسن غريب. ورواه ابن ماجه ـ كتاب الزهد ـ باب «الحلم» رقم (٤١٨٦)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٤٠). وأبو يعلى رقم (١٤٩٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٤١٥ ـ ٤١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٧)، والبيهقي (٨/ ١٦١) وحسنه المنذري في الترغيب (٣/ ٤٤١).

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٤) رواه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨٧)، والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي رقم (٤٩٠٧)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣١٥)، وذكره المنذري في الترغيب (٣/ ٣٠٩)، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١١): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا على ضعف يسير في بعضهم.

(٥) انظر: الفروق ص (٢١٩-٢٢١، ٢٥٩)، والروح ص (٥٤٠).

على طلب الجنة المعدة للمتقين، [ثم][1] بيّن حالهم وأفعالهم، فذكر ما دلّ على جماع مكارم الأخلاق، وهو السخاء في حالي السّرّاء والضراء والحلم والعفو، وذلك أشرف ضربي الشرع، وذاك أن الشرع ضربان: أحكام ومكارم، ولن يستكمل الإنسان مكارمه إلا بعد أن يستكمل أحكامه، فإن تحرِّي أحكام الشرع من باب العدل، وتحرِّي العدالة فرض، ومكارمه من باب الإحسان، أي التفضل، وتحرِّي التفضل نفل، ولا تقبل نافلة من أهمل الفرض[2]، ولا يفضل من ترك العدل، بل لا يصح تعاطي التفضل إلا بعد العدل، فإن العدل فعل ما يجب[3]، والفضل الزيادة على ما يجب[4]، وكيف تصح الزيادة على الشيء الذي هو غير حاصل في ذاته، وبيّن تعالى أن من تخصص بمكارم الشرع فهو محسن، والله يحب المحسنين، وإحسان العبد ومحبته الله إياه هو أن يُرى متخصصاً بعامة أوصاف الله على غاية وسع

---

(١) ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٢) قال ابن هبيرة: «إنما سميت نافلة، لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤدّ الفريضة لا تحصل النافلة». فتح الباري (١١/ ٣٥١).

(٣) جاء في لسان العرب: العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور... والعدل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق ويعدل...» لسان العرب (١١/ ٤٣٠، ٤٣١)، وانظر: الكليات ص (٦٣٩).

(٤) قال العسكري: «والفضل ما لا يكون واجباً على أحد، وإنما هو ما يتفضّل به من غير سبب يوجبه». الفروق ص (٢١٣).

البشر، فيصدق عليه أن يقال: هو جواد وكريم وحليم، وودود إلى سائر ما يصح أن يوصف به أولياء الله.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[1]

الفاحشة: ما تناهى قبحه مما يدرك بالبصر أو بالبصيرة[2]، ولكونها مستعملة فيهما قيل: فلان فاحش الطول. اعتباراً باستقباح البصر إياه، وقيل للزنى والبخل المتناهي: فاحشة. اعتباراً باستقباح البصيرة إياهما[3]، ويقال: فلان ظلم نفسه. على ثلاثة

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦.

(٢) انظر: تفسير جامع البيان (٧/ ٢١٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٨)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٨)، والمحكم (٣/ ٨).

(٣) ذكر الراغب في المفردات الأدلة الدالة على كون الزنا والبخل فاحشة. أما الزنا فذكر قوله تعالى: ﴿ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ [النور: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [النساء: ١٩]. وأما البخل فذكر قول الشاعر، وهو طرفة بن العبد:

.... عقيلة مال الفاحش المتشدد

ثم قال: يعني به: العظيم القبح في البخل. المفردات ص (٦٢٦، ٦٢٧).

أوجه : **أحدها** : إذا جنى على نفسه جناية لا يتخطاها . **والثاني** : إذا ظلم ذويه الذين هم بمنزلة نفسه ، وعلى نحو ذلك قال الشاعر فيمن ظلم ذويه :

وما كنت إلا مثل قاطع كفِّه بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما[1]

وعلى هذا الوجه قد يُقال ذلك فيمن ظلم واحداً من كافة الناس ، إذا كان الناس كنفس واحدة وآحادهم كأعضائها . **والثالث** : أن ظلم الإنسان غيره لما كان وباله راجعاً إليه ، يقال فيمن ظلم غيره : قد ظلم نفسه[2] ، وعامة ما ذكر تعالى : ظلموا أنفسهم . ذكره مقروناً بنفي ظلمه تعالى إياهم ، نحو : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[3] ، وقد ذكر حيث نهى عن ظلم الغير تنبيهاً على المعنى المتقدم ، نحو قوله : ﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ ﴾[4] ، ثم قال : ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ

---

(١) البيت للمتلمس البكرى . انظر : الحماسة البصرية (١/ ١٣٧) .

(٢) قسَّم الراغب الظلم في المفردات إلى ثلاثة أنواع : «الأول : ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى ، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق . الثاني : ظلم بينه وبين الناس . الثالث : ظلم بينه وبين نفسه . ثم قال : وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس ، فإن الإنسان أولُ ما يهمُّ بالظلم فقد ظلم نفسه . . . » المفردات ص (٥٣٧ ، ٥٣٨) .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٤٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣١ .

﴿نَفۡسَهُۥ﴾[1].

والإِصرار: الإِقامة على القبيح .مأخوذ من الصّرار[2] والصُّرَّة، كأن المصر على الذنب جعل ذنبه مصروراً على نفسه، أي معقوداً لا يجد سبيلًا إلى حله[3]، وقوله: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ في موضع الحال، أي لم يكن منهم إصراراً مع العلم[4]، واشتراط العلم أنه قد يُعذر الإِنسان مع الجهل في ارتكابه بعض المآثم، كمن تزوج أخته من الرضاعة وهو لا يعلم ذلك[5]، وهذه الآية مع الأولى مشكلة، يقال: هل قوله/ [٢٤٠/ب]: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ﴾ صفة للمتقين كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ أم استئناف حكم؟ ولم أُعيدَ ذكر الجنة منكّراً مقروناً بوصف آخر؟ ووجه ذلك أن الله تعالى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٢) الصرار: «خرقة تشدُّ على أطْباء الناقة، لئلا يرضعها فصيلها». العين (٧/ ٨٢)، والمفردات ص (٤٨١).

(٣) انظر: العين (٧/ ٨٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٨٣)، والمقاييس (٣/ ٢٨٢، ٢٨٣)، والمفردات ص (٤٨١).

(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩٣)، والبحر المحيط (٣/ ٦٥)، والدر المصون (٣/ ٣٩٧).

(٥) قال الزمخشري: والمعنى: وليسوا ممن يصرون على الذنوب، وهم عالمون بقبحها، وبالنهي عنها، وبالوعيد عليها، لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح. الكشاف (١/ ٤١٧).

لما أمر الناس بتقواه وتقوى ناره أولاً، وأمرهم بالمسارعة إلى المنزلتين أولاً: إلى طلب المغفرة التي يستحقها المتقي من النار، ثم إلى الجنة العريضة التي يستحقها المتقي من الله، ذكر بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[1] حال المتقين لله، المستحقين لتلك الجنة، وقال: هم الذين تجاوزوا تعاطي أحكام الشرع إلى تعاطي مكارمه[2]، والذين اقتدوا بالله على غاية جهدهم في اكتساب صفاته[3]، ثم ذكر حال المستغفرين لوقوع فاحشة منهم أو ظلم، وبين أن لهم جنات أدون من تلك الجنة، فقال: الذين إذا أخلوا بشيء من الواجبات ذكروا الله فأقلعوا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) الذي يظهر أنه يريد بأحكام الشرع واجباته، وبالمكارم فضائله ومستحباته. وإخراج المستحبات عن الأحكام اصطلاح غير مألوف، والمعروف أن أحكام الشرع تشمل الواجبات والمستحبات وضدّهما، كما هو معروف عند الأصوليين في الأحكام التكليفية.

(٣) لم يرد في الشرع الأمر بالاقتداء بالله تعالى في صفاته، ولا يعرف مثل هذا في كلام السلف، وإنما هو من كلام الفلاسفة، ولهذا قال بعضهم: الفلسفة هي التشبه بالخالق على قدر الطاقة. ويروون في ذلك حديثاً لا أصل له: «تخلقوا بأخلاق الله». لكن ورد الشرع بمحبة الله تعالى لبعض الصفات من نفسه ومن عباده: كالعفو والجود. انظر: شرح الطحاوية (١/ ٨٨).

مُّبۡصِرُونَ ﴾[1] ولم يستمروا على فعل الشر، ثم قال: ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ على سبيل الاعتراض بينه وبين تمام الكلام؛ تنبيهاً أن الإنسان لا يجب أن يلتجىء إلا إلى الله، وبين أنه [من][2] فعل ذلك لم يقتصر تعالى معه على ترك الذنب عليه، بل يجعل له جنات، وجعل هذه الجنات على أوصاف يتصورها الوهم، ويدرك مثلها الحس، وجعل للفرقة الأولى جنة لا يتصورها الوهم، ولا يحيط بها الحسّ، فإن جنّة عرضها السموات والأرض مع كونها في السماء إشارة إلى ما قاله ﷺ: «**ما لا عين رأت**»[3]، وذلك مما لا يتصوَّره الوهم، ولما كانت الفرقة الأولى عاملت أنفسهم وعباد الله بضرب عامل الله به عباد الله وهو الجود والحلم والعفو، سماهم هو تعالى بما استحقه، وهو المحسن، وقابلهم بمقابلةٍ يطلبها هو من العباد أن يقابلوه بها، وهي المحبة، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[4] والفرقة الثانية: عاملت أنفسها وعباد الله بما لا يصح أن يوصف الله به، بل يوصف به العبد المتدارك لتقصيره، جعلهم من العَمَلة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) تقدم تخريجه ص (٨٥٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

المستحقـة للأجـر، وسمى نفسه حيث ذكر مقابلة الفرقة الأولى فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وهو أعم الأسماء وأخصّهـا بـه، تنبيهاً أنهم يراعونه بالإلهية، وسمى نفسه حيث ذكر مقابلة الفرقة الثانية ربهم، تنبيهاً أنهم يراعونه بالنعمة الواصلة إليهم، التي هي سبب تربيتهم، وعلم أن منزلة الفرقة الأولى منزلة الشاكرين الموصوفين بقوله: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[١]، ومنزلة الفرقة[٢] الثانية منزلة الصابرين الموصوفين بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]، فذكـر في الشاكرين المجـازاة الجارية بين الأحباء، وذكر في الصابرين الأجرة كفاءَ ما يجعل للأجراء، وإن كان قد جعلها بلا حساب، وشتّان ما بين الأجير والحبيب، وهذه من المواضع التي لم أر من تحرى مذهب التحقيق، واشتغل به مع صعوبته، غير أن ابن بحر لما انتهى إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم﴾[٤]، قال: إن المغفرة المذكورة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٢) كلمة الفرقة تكررت في الأصل.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

هي المذكورة في قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾(1)، وكذلك الجنات هي الجنة التي عرضها السموات، وإن ذلك أجرتهم بتلك الأفعال، وهو مع أنه لم يتدبر التفصيل واختلاف المجازين والجزائين وأوصافها لم يتفكر في أن الفكرة إذا أُعيد ذكرها تُعاد معرفة، وإلا كان الثاني غير الأول، فلو كانت المغفرة والجنات هي التي تقدم ذكرها لقال المغفرة/ والجنات. [٢٤١/أ]

قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾(2) **الخلاء**: المكان الذي لا ساتر فيه، من بنية وغيرها، وقد يقال للمكان الذي لا ساكن فيه، وخليته تركته في خلاء(3)، ثم يقال لكل تَرْكٍ: تخلية حتى قيل: ناقة خلية: مخلاة عن الحلب، وامرأة خلية مخلاة عن الزوج، وسميت السفينة المتروكة تمر بذاتها خلية، وزمان خالٍ(4) أي ماض، كأنه خلا عما كان فيه(5)، وأصل السُّنّة من السنّ أي

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(3) في القاموس: خلا المكان خُلُوًّا وخلاءً، وأخلى واستخلى: فرغ. ومكان خلاء: ما فيه أحد. القاموس ص (١٦٥٢).

(4) في الأصل: (خالي) والصواب المثبت، لأنه منقوص مرفوع منون، ولعلّ ما في الأصل من تحريف الناسخ.

(5) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٥٦٨-٥٧٥)، والصحاح (٦/ ١٣٣٠-١٣٣١)، =

(صب الماء)[1] على وجه الأرض، وعلى التشبيه به قيل: سننت الدرع[2]، ووجه مسنون[3]، والسنّة: الطريقة المجعولة للاقتداء بها محسوسة كانت أو معقولة[4]، وعُنِي بالسنة هاهنا ما كان من القرون الأولى، أخيارهم وأشرارهم[5]، وما كان في مقابلتهم

= ومقاييس اللغة (٢/ ٢٠٤، ٢٠٥)، والمفردات ص (٢٩٨)، والقاموس ص (١٦٥٢، ١٦٥٣).

(١) في الأصل: (الصبّ الماد)، والصواب ما أثبته. وفي المقاييس (٣/ ٦٠): «... والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي... إذا أرسلته إرسالاً». وفي المفردات ص (٤٢٩): قيل: «سننت الماء أي أسلته».

(٢) أي يقال: سنَّ عليه الدرع إذا صبها. وفي المفردات ص (٤٢٩): وسنُّ الحديد: إسالته وتحديده.

(٣) قال الفيروز آبادي: «ورجل مسنون الوجه: مُمَلَّسُه، حسنُه، سهلُه، أو في جهه وأنفه طول» القاموس ص (١٥٥٨).

(٤) قال ابن الأثير: «... والأصل فيها ـ أي السنة ـ الطريقة والسيرة». النهاية (٢/ ٩) وإذا أُطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلًا، مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث». النهاية (٢/ ٤٠٩)، وقال الواحدي: السنن: جمع السنة: وهي المثال المتبع، والإمام المؤتم به

(٥) انظر معاني مادة «سنن» في: العين (٧/ ١٩٧، ١٩٨)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٠- ٣٠٦)، والمقاييس (٣/ ٦٠، ٦١)، والمفردات ص (٤٢٩)، والنهاية ص (٤٠٩- ٤١٣)، والقاموس ص (١٥٥٨).

منه تعالى ومجازاته إياهم إن خيراً فخيراً، وإن شرًّا فشرًّا في الدنيا تارة وفي الآخرة تارة، على ما بينه تعالى بكلامه، وشُوهد من أحكامه، فنبهنا على اعتبار ما جرى به سننه، وأمرنا بالسير في الأرض والنظر إليه[1]، ولم يعن بالسير السعي بالأرجل، ولا بالنظر نظر العين، فذلك غير مغنٍ بانفراده في معرفة سنة الله في الذين خلوا، وإنما عنى إجالة الخاطر فيها، والنظر بالبصيرة للمتحرين للحكم، والمنبهين على العبر[2]، وعلى هذا قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3]، وقوله: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾[4]، وقد

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٢٨)، والوسيط (١/ ٤٩٦)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٦)، والبحر المحيط (٣/ ٦٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٥).

(٢) قال ابن عطية: «وقال تعالى: ﴿فَسِيرُواْ﴾ وهذا الأمر قد يدرك بالأخبار دون السير، لأن الإخبار إنما يكون ممن سار وعاين، إذ هو مما يُدرك بحاسة البصر، وعن ذلك ينتقل خبره، فأحالهم الله على الوجه الأكمل. وقوله: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ هو عند الجمهور من نظر العين. وقال قوم: هو بالفكر». المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٨). وقال أبو حيان: «... وقيل: السير هنا مجاز عن التفكر، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس. وقال الجمهور: النظر هنا من نظر العين، وقال قوم: هو بالفكر...». البحر المحيط (٣/ ٦٦).

(٣) سورة الروم، الآية: ٩. وفاطر، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٥.

حمل بعض الصوفية قوله ﷺ: «سافروا تغنموا»[1] على هذا.

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] جعل تعالى القرآن بياناً للعامة والخاصة، فلهذا قال للناس لأنه ما من ذي فكرة استمع إليه إلا حصل منه بيان ما، وجعله هدى وموعظة للمتقين خاصة[3]، وقد تقدم الكلام في تخصيصه هدى لهم في قوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4]، فالفرق بين الهدى والموعظة: أن الهدى يقال باعتبار معرفة الشريعة وسلوك طرقها إلى ثواب الله تعالى، والوعظ يقال باعتبار معرفة الثواب والعقاب[5]، إن

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٠٠)، والطبراني في الكبير (١١/ ٦٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ١٠٣) بألفاظ متقاربة. وأشار إلى ضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢١٠)، (٥/ ٣٢٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٨٥) في تفسير سورة العنكبوت، الآية: ٥٦. وعزاه للطبراني والقضاعي والشيرازي في الألقاب والخطيب وابن النجار والبيهقي عن ابن عمر نحوه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٣) روى ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٣٢) بسنده عن قتادة، قال: «﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ وهو هذا القرآن، جعله الله بياناً للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً».

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢. وانظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ١٢).

(٥) قال العسكري: «والهدى: بيان طريق الرشد، ليسلك دون طريق الغي». =

قيل: أيراد بذلك أنهم يهتدون ويتعظون، أم انهم يهدون ويعظون؟ قيل: يحتمل الوجهين، ويصحّ حمله عليهما، فهم في الحقيقة يهتدون به ويتعظون، ويهدون به غيرهم ويعظون[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، **الوَهْن** والوهْيُ يتقاربان، لكن الوهْن ضعف، والوهْي يقال فيه وفي التخرق، فهو أعم[3]. **والحزن**: ألم موجع للنفس من فوت مطلوب أو فقد محبوب[4]. **إن قيل**: كيف أُمِرَ

= الفروق ص (٢٣١). وقال الخليل: «العظة: الموعظة، وعظتُ الرجل أعظه عظة وموعظة. . . وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه». العين (٢/ ٢٢٨).

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٣٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٨٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٣) انظر: العين (٤/ ٩٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١١٢)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٣٨، ٤٨٥)، والأفعال لابن القوطية ص (٣٠٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٨٨)، والمشوف المعلم (٢/ ٨٤٤).

(٤) قال في المفردات: الحُزْن والحَزَن: خشونة في الأرض، وخشونة في النفس، لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح. المفردات ص (٢٣١). وقال=

الإنسان بأن لا يهن ولا يحزن، وليس ذلك باختياره، بل هو شيء يعرض له بالاضطرار؟ قيل: النهي في الحقيقة متوجه إلى تعاطي فعل ما يورث ذلك، وإن كان في اللفظ متناولاً للحزن والوهن، وذلك أن الحزن يعرض بأن لا يستشعر الإنسان ما عليه جُبلت الدنيا، ولا يعرف أن أموالنا وأبداننا عارية مستردَّة[1]، ولا يحتمل صغار المكاره، فيتوصَّل بها إلى احتمال ما هو أعظم منها، وعلى هذا قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[3]؟ قيل: عنى في الاستقبال إشارة إلى نحو قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]، فيكون هذا وعداً لهم[5]،

= الفيروز آبادي: الحزن: الهم. القاموس ص (١٥٣٥)، وانظر في تعريف الحزن: العين (٣/ ١٦٠)، والجمهرة (٢/ ١٥٠)، والمحكم (٣/ ١٦٥).

(١) العارية المستردّة: كلّ ما تعطيه غيرك على أن يردّه إليك. قال ابن منظور: «وأعراه النخلة: وهب له ثمرة عامها، والعريّة: النخلة المعراة». اللسان (١٥/ ٤٩) وانظر: المعجم الوسيط ص (٦٣٦).

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٥) قال أبو حيان: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي الغالبون وأصحاب العاقبة، وهو إخبار بعلو كلمة الإسلام. قاله الجمهور وهو الظاهر. البحر المحيط (٣/ ٦٧). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٣٤)، وتفسير القرآن للسمعاني=

وقيل: أراد في الحال فإنهم الأعلون بالحجة ورجاء المغفرة، إشارة إلى نحو قوله: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2] ومثله: ﴿لَا تَخَفْ/ [٢٤١/ب] إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾[3]، وسبب نزول ذلك، **قيل**: هو أن النبي ﷺ أمر بطلب القوم بعد يوم أحد، وقال: «**لا يخرج معنا إلا من شهدنا بالأمس**»، فاشتد على المسلمين، وقالوا: فينا جرحى، فأنزل الله تعالى ذلك[4]، ونبَّه بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أن من شرط

= (١/ ٣٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٦).

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤١٨)، والتفسير الكبير (٩/ ١٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٤)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٨٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٦٨.

(٤) لم يذكر أحد من أهل التفسير والسير أن ذلك كان سبباً لنزول هذه الآية، والذي ذكره ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين وابن حجر في العجاب في سبب نزول هذه الآية عن الزهري، قال: كثر في أصحاب محمد ﷺ القتل والجراح، حتى خلص إلى كل امرئٍ منهم البأس، فأنزل الله القرآن، فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً كانوا قبلهم من الأمم الماضية، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٣٤)، والعجاب (٢/ ٧٥٨). وهناك أقوال أخرى في سبب نزول هذه الآية، لكنها أيضاً=

الإيمان رفض الوهن والحزن وأنتم مؤمنون، فواجب أن لا تهنوا ولا تحزنوا سيما والعلو لكم[1].

قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] الفرق بين المسّ واللمس: أن اللمس أخص، فإنه بالحاسة، والمس به وبغيره[3]، وهو ههنا

= غير ما ذكر الراغب. وأما ما ذكره الراغب من طلب النبي ﷺ للمشركين بعد أحد، فهي ما يعرف بغزوة «حمراء الأسد»، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ . . .﴾ [آل عمران: ١٧٢]. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٠٠-٤٠٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٤٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣١٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٤-٤٠٦).

(١) قال البقاعي: «﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إن كان الإيمان ـ وهو التصديق بكل ما يأتي عن الله ـ لكم صفة راسخة، فإنكم لا تهنون، لأنكم بين إحدى الحسنيين، كما لم يهن من سيقصّ عليكم نبأهم ممن كانوا مع الأنبياء قبلكم، لعلوكم عدوكم. . .». وانظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٦١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ٦٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨١)، ونظم الدرر (٢/ ١٥٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) هذا الفرق في أصل دلالة اللفظتين، وإلا فقد يستعملان بمعنى واحد. انظر: الجمهرة (٣/ ٥٠)، والصحاح (٣/ ٩٧٥، ٩٨٧)، والمقاييس =

عبارة عن الإصابة[1] والقرح أعم من الجرح، فإن الجرح إصابة الجارحة في الأصل[2]، والقرح يقال له ولما يحدث من ذاته، نحو قَرِحَ البعير إذا خرج به قَرْحَة، وهي شِبْه جرب[3]. والقرح مصدر ثم يسمى المقروح قَرِحاً[4]. والقُرْح الاسم[5]، وقال بعض أهل اللغة: القَرْح: الجراحة. والقُرْح: ألمها[6]، والدول والدور يتقاربان، لكن الدور أعم، فإن الدولة لا تقال إلا في الحظ الدنيوي[7]،

= (٥/ ٢١٠، ٢٧١)، والفروق للعسكري ص (٣٣٦).

(١) انظر: الوجوه والنظائر (٢/ ٢٢١).

(٢) قال العسكري في الفروق ص (١٤٩): «الجرح يفيد من جهة اللفظ أنه فعل بجارحة، كما أن قولك: عِنْتُه يفيد أنه من جهة اللفظ للإصابة بالعين. . .». وانظر: المساعد (٢/ ٥٩١).

(٣) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (٥٩).

(٤) قال الراغب: يقال: قرحتُه نحو: جرحتُه، وقَرِح: خرج به قَرْحٌ. المفردات ص (٦٦٥).

(٥) انظر: التاج (٧/ ٤٤).

(٦) نسبه ابن خالويه للكسائي. انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١٠٧)، وإعراب القراءات السبع وعللها وحججها (١/ ١١٩)، وهو رأي الفراء أيضاً، كما في معاني القرآن له (١/ ٢٣٤)، وانظر: المفردات ص (٦٦٥).

(٧) نقل أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦١) عبارة الراغب هذه في الفرق بين الدور والدول ولم ينسبها. وكذلك فعل السمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٤٠٥). ولم أجد من فرق هذا التفريق قبل المؤلف، بل إن أبا عبيدة=

وكذلك الجد، ولهذا قيل: «**لا ينفع ذا الجدِّ منك الجدَّ**»[1] أي الحظوظ الدنيوية غير نافعة في القيامة[2]، نحو: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ قيل ليعرف، ولهذا تعدى إلى مفعول واحد، وقيل: إن مفعوله الثاني محذوف[4] ومتى قيل في الله: إنه علم كذا أو لم يعلمه، فليس القصد إلى إثبات علمه أو نفيه، وإنما القصد إلى إثبات ذلك الشيء أو نفيه، وإذا استعمل في غيره

= فسَّر الدائرة بالدولة، وقال: «والدوائر قد تدور، وهي الدولة، والدوائل تدول. . . » مجاز القرآن (١/ ١٦٩).

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري ـ كتاب الأذان ـ باب «الذكر بعد الصلاة» رقم (٨٤٤). ورواه أيضاً في ـ كتاب القدر ـ باب «لا مانع لما أعطى» رقم (٦٦١٥). ورواه مسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب «استحباب الذكر بعد الصلاة» رقم (٥٩٣). ورواه أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب «ما يقوله إذا سلَّم» رقم (١٥٠٥). والترمذي في كتاب ـ الصلاة ـ باب «ما يقول إذا سلّم من الصلاة» رقم (٢٩٩) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الصلاة، باب «نوع آخر من القول عند انقضاء الصلاة» (٣/ ٧٠)، وأبو يعلى في المسند رقم (٨٨٢، ١١٣٧).

(٢) انظر: العين (٦/ ٧)، والزاهر (١/ ١٨-٢٤)، والمفردات ص (٨٨)، والنهاية (١/ ٢٤٤).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٨.

(٤) تقديره كما في البحر المحيط (٣/ ٦٨): «مميزين بالإيمان عن غيرهم». وانظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩٥)، والدر المصون (٣/ ٤٠٦).

فإنه يقال على الوجهين[1]، وأما الشهداء فقد قيل: هم المذكورون في قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[2]، وقال الحسن وقتادة: عنى بها المقتولين في الحرب[3]، وسُمُّوا بذلك لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[4] الآية،

---

(١) لم أجد أحداً من المفسرين وافق الراغب على ذلك، وكلام العلامة نظام الدين النيسابوري أضبط من كلام الراغب، فقد قال: فكلّ آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم، لأن التغير في علم الله محال. غرائب القرآن (٢/ ٢٦٦). والصحيح أن ما فيه علم الله كذا دالٌّ على إثبات العلم لله تعالى. ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ثم قال: «فقد دلَّت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء...» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٢١١). وقال ابن الجوزي: «ومعنى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي ليعلم واقعاً منهم، لأنه عالم قبل ذلك. وإنما يجازي على ما وقع» زاد المسير (١/ ٤٦٧).

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٢٠)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦٩)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ١٨٢).

(٣) روى قول قتادة ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٤٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٤). ولم أجد للحسن كلاماً في ذلك. وهذا القول ذكره أغلب المفسرين، واقتصر عليه مفسرو أهل السنة؛ الطبري وابن أبي حاتم والسمعاني والبغوي وابن كثير. ورجَّحه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

لما جعلهم أحياء عند ربهم سُمُّوا شهداء، وأصل ذلك أن غاية ما يستحقه الإنسان في الآخرة القرب من الله، وكونه عنده، ولما وعد الله القتيل في سبيله بذلك سُمي شهيداً، ونبَّه تعالى بالآية أنه غير إنصاف لمن ساوى العدو في المغالبة الدنيوية أن يحزن، فكيف بمن كان غالباً، وبين بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾[1] أن من حق العاقل أن لا يبالي بما يفوته مالاً كان أو جاهاً أو قهراً، فإن الله جعل بِنْيَةَ الدنيا على أن تكون أعراضها دولاً بين أخيارهم وأشرارهم، وليصبر الأخيار فيما يصيبهم من المحن، ويشكروا ما ينيلهم من المنح، فيصلوا بذلك إلى ثوابه[2]، وعلى ذلك ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾[3] **إن قيل**: هل يصح أن تكون الدولة[4] للكافرين على المؤمنين؟ **قيل**: يجوز ذلك إذا كانت الدولة من الحظوظ الدنيوية، التي قد يُعطى الكافر منها أكثر مما يُعطى المؤمنون[5]، قال قتادة: ولولا الدولة ما أوذي المؤمنون،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٤٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٦).

(٣) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٤) قال القرطبي: والدولة: الكرَّة. الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٨).

(٥) قال الزجاج: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي نجعل الدولة في=

لكن قد يدال الكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر، ليتميّز المطيع من العاصي[1]، وقد حكم تعالى في كل ذلك أن الغلبة للمؤمنين في الحقيقة بقوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2]، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، تنبيه أنه لا ينصر الكافرين في الحقيقة، وإن تصور بعض الناس ما يعطيهم في بعض الأحوال نصرة منه، تنبيه أنه لا يظلم، فمحال أنه مع حكمه بأنه لا يحب الظالمين يفعل فعلهم[4].

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5] المحص كالفحص، لكن الفحص يقال في إبراز/ الشيء من [٢٤٢/أ]

= وقت من الأوقات للكافرين على المؤمنين، إذا عصوا فيما يؤمرون به من محاربة الكفار، فأما إذا أطاعوا فهم منصورون أبداً، كما قال الله ـ عز وجل ـ ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. ثم قال: «... جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحّص المؤمنين بما يقع عليهم من قتل في حربهم أو ألم أو ذهاب مال...». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٠، ٤٧١).

(١) أثر قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٣٩)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٢٦)، والوسيط (١/ ٤٩٤).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦. وانظر: كلام الزجاج السابق.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٤) انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ٦٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٢)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

خلال أشياء منفصلة عنه، والمحص في إبرازه عن أشياء متصلة به[1]. قال الخليل: التمحيص: التخليص عن العبث، يقال: محِّص عنا ذنوبنا[2]، والمحق هو إبطال الشيء حالاً فحالاً[3]،

---

(١) يؤيد تفريق المؤلف هذا أنهم قالوا: المطر يفحص الحصا، إذا نحّى بعضها عن بعض، وهذا لأن الحصا ينفصل بعضها عن بعض. وقالوا: محصته محصاً إذا خلّصته من كل عيب. والتمحص: التطهير من الذنوب، والذنوب والعيوب تتصل بصاحبها اتصال الصفات بموصوفها. انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٩، ٢٧١)، والمقاييس (٥/ ٣٠٠)، والمفردات ص (٧٦١).

(٢) الذي في العين (٣/ ١٢٧): «التمحيص: التطهير من الذنوب». وقال الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٧٢): «وقرأت عليه ـ يعني المبرد ـ أيضاً عن الخليل: المحصُ: التخليص. يقال: «محصت الشيء، أمحصه محصاً إذا خلصته». ولعل المؤلف تصرَّف في هذه العبارة. وانظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٤٨٣)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥٣٠)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٧١).

(٣) قال ابن الأثير: «المحْقُ: النقص والمحو والإبطال». النهاية (٤/ ٣٠٣)، والمفردات ص (٧٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٦٩)، والقاموس ص (١١٩١)، ولم أجد من ذكر قبل المؤلف أن المحق: إبطال الشيء حالا فحالا، بل المعنى الذي ذكروه يدور على النقصان والذهاب والهلاك والحرق، بدون التقييد بالتدرج. ولعل المؤلف أخذ معنى التدرج من الليالي المحاق في آخر الشهر على قول من قال إنها «ليلة خمس وست وسبع وعشرين؛ لأن القمر يطلع في آخرها، ثم يأتي الصبح فيمحق ضوء القمر» تهذيب اللغة (٤/ ٨٣)، ولا يخفى أن ذهاب ضوء القمر حينئذ مندرج. هذا وقد تبع أبو حيان في البحر (٣/ ٦٩) المؤلف في تفسيره للمحق.

والقصد بتمحيص المؤمن ما ذكره في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1]. وقوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[2] وعلى معنى المحص ما ورد من لفظ الفتنة والابتلاء، والقصد بمعنى الآية أن المؤمن والفاسق كسبيكتي ذهب: إبريز كَلْفٌ[3]، وبهرج[4] من خزف إذا فُتِنَا خلص الإبريز، وانمحق البهرج، فكما أن السبك سبب لاختيار الإبريز وإعداده في خاصّ الخزانة، وسبب لاجتواء[5] البهرج وطرحه بالمبعد، كذا التكليف سبب لاصطفاء المؤمن لكريم جوارِه، وطرد الكافر إلى حرق ناره[6]، كما قال في المؤمنين: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[7]، وقال في الكافرين: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) الإبريز: الذهب الخالص، والكَلْفُ: السواد في الصُّفرة. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٠٢)، والقاموس المحيط مادّة (كَلَفَ).

(٤) البهرج من الدراهم وغيرها: الرديّ. انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٥١٤).

(٥) الاجتواء: كُرْهُ الشيء لعدم ملاءمته. انظر: القاموس (١٦٤١).

(٦) أشار القشيري إلى هذا المعنى في اللطائف، فقال في تفسير هذه الآية: «اختبارات الغيب سبْك للعبد، فباختلاف الأطوار يخلصه من المشائب، فيصير كالذهب الخالص لا خبث فيه، كذلك يصفو عن العلل، فيتخلّص لله، ويمحق الكافرين في أودية التفرقة» لطائف الإشارات (١/ ٢٩٣).

(٧) سورة القمر، الآية: ٥٥.

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] معنى أم حسبتم: لا تحسبوا[3]، واستعارة الاستفهام للنهي[4]، مبالغة في المعنى[5]، و﴿أَمۡ﴾: على

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٣) قال النيسابوري في تفسيره: «فحاصل الكلام: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا بعد. وإنما أنكر هذا الحسبان، لأنه تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة، وأوجب الصبر على تحمل متاعبها، وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا، وإذا كان كذلك فمن البعيد أن يصل الإنسان إلى السعادة والجنة مع إهمال مثل هذه الطاعة» غرائب القرآن (٢/ ٢٦٨، ٢٦٩).

(٤) لم أجد في كتب البلاغة التي رجعت إليها: أن النهي من المعاني التي يفيدها الاستفهام. ولكنهم ذكروا الإنكار، وأوردوا له معنيين: **أحدهما**: التوبيخ ومعناه: ما كان ينبغي أن يكون ذلك. **وثانيها**: التكذيب أي: لم يكن ذلك. والأمثلة التي ذكروها للقسم الأول قريبة من معنى الآية. فمعنى الآية: لا ينبغي أن تظنوا أنكم ستدخلون الجنة دون أن تجاهدوا... والله أعلم. انظر: الإيضاح ص (١٤٢-١٤٣) وشروح التلخيص (٢/ ٣٠٠-٣٠١) وشرح التلخيص لمحمد هاشم ٨٧.

(٥) نقل أبو حيان عن ابن بحر ـ أبي مسلم الأصفهاني أنه قال: «أم حسبتم: نهي وقع بلفظ الاستفهام، الذي يأتي للتبكيت، وتلخيصه: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولما يقع منكم الجهاد». البحر المحيط (٣/ ٧٢).

وجهين: معادلة للألف، ولاستئناف استفهام، ويُفسر ببل[1]، ومن النحويين[2] من قال: لا تنفك ﴿أَمْ﴾ من أن تكون تابعاً للألف، إما ملفوظاً به أو مقدراً، وقال: وتقدير الكلام هٰهنا لما ذكر قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾[3] أعلمتم ذلك ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾، وقد تقدم أن كل موضع نُفي فيه علم الله فإنما هو نفي لما يتعلق به[4]، ويدل على صحة ذلك قولهم: ما علمت أحداً

---

(١) قال السمين الحلبي: (في «أم» هذه أوجه أظهرها: أنها منقطعة مقدره بـ«بل» وهمزة الاستفهام، ويكون معناه الإنكار. وقيل: «أم» بمعنى الهمزة وحدها، ومعناه كما تقدم التوبيخ والإنكار). الدر المصون (٣/ ٤٠٩). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٧٢). وانظر: الكتاب (٣/ ١٦٩)، والمقتضب (٣/ ٢٨٦)، وحروف المعاني للزجاجي ص (٤٨)، وأمالي ابن الشجري (٣/ ١٠٦-١١٠)، والمخصص (١٤/ ٥٤)، ورصف المباني (٩٣)، والجنى الداني (٢٠٤)، والمغني (٦١).

(٢) هذا القول بهذا التعميم لم أجده فيما رجعت إليه من مراجع. وقد حُكي عن محمد بن بحر الأصفهاني ت ٣٢٢ في تفسير هذه الآية أن (أم) عديلة همزة تتقدر من معنى ما تقدم، والتقدير: أتعلمون أن التكليف يوجب الابتلاء المذكور قبل أم حسبتم . . .؟ فلعل المؤلف أراد (أم) في هذه الآية، والله أعلم. انظر: البحر المحيط (٣/ ٧٢)، الدر المصون (٣/ ٤٠٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٤) قال أبو حيان: «والمراد بنفي العلم انتفاء متعلقه، لأنه منتفٍ بانتفائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، المعنى: =

يخرج إلا زيدٌ، فجاز الرفع في زيد لما كان معناه ما يخرج أحد فيما علمت إلا زيد، وأما قوله: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ فمنصوب على الصرف[1]،

= لم يكن فيهم خير، لأن ما لم يتعلق به علم الله تعالى بموجود ألا يكون موجوداً أبداً». البحر المحيط (٣/ ٧١). وانظر: الكشاف (١/ ٤٢٠). وقال أحمد بن المنيِّر السكندري في تعليقه على الكشاف: «التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم خاص بعلم الله تعالى، لأنه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شيء ما عدم ذلك الشيء ضرورة أنه لا يعزب عن علمه شيء لعموم تعلقه، فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المصحح للملازمة، ولا كذلك علم آحاد المخلوقين، فإنه لا يعبر عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به، لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم للخلق...» انظر: الكشاف (١/ ٤٢٠) هامش رقم ٢. وانظر ما سبق (٣٥٥-٣٥٦).

(١) قال ابن جرير الطبري: «ونصب (ويعلم الصابرين) على الصرف. والصرف أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف، لأنه مصروف عن معنى الأول، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام. جامع البيان (٧/ ٢٤٧)، ويسمي الكوفيون الواو في مثل هذا الموضع واو الصرف، ويسميها البصريون واو المعية والفعل بعدها منصوب ـ عندهم ـ بأن مقدرة. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣-٣٤)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤١)، وإعراب القرآن (١/ ٤١٩)، والإنصاف في مسائل الخلاف المسألة (٧٥)، والنصب على الصرف هو على مذهب الكوفيين، أما على مذهب البصريين فهي منصوبة بإضمار أن بعد واو=

وقد قُرئ ﴿وَيَعْلَمْ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالجزم[1]، والفرق بين العطف والنصب على الصرف هو أنه إذا كان عطفاً يراد حصول الفعلين مجتمعين كانا أو مفترقين، وإذا نصب فالمراد حصول الفعلين معاً، ونفيهما معاً، على ذلك قول الشاعر[2]:

لا تَنْه عن خلق وتأتي مثله[3] . . . .

معناه لا تجمع بين الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون ﴿وَيَعْلَمَ﴾

= الجمع. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٢)، والوسيط (١/ ٤٩٨)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٧٢)، والدر المصون (٣/ ٤١١).

(١) قال ابن جرير: «وقد رُوي عن الحسن أنه كان يقرأ (ويعلمِ الصابرين) فيكسر الميم من «يعلم» لأنه كان ينوي جزمها على العطف به بعد قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾. جامع البيان (٧/ ٢٤٧). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٢)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٠).

(٢) البيت مختلف في نسبته، فقد نسبه إلى الأخطل، ونسبه الأعلم إلى أبي الأسود الدؤلي، ويروى للمتوكل الليثي، ويروى لسابق البربري ولحسان. انظر: ديوان أبي الأسود، تحقيق الدجيلي (٢٣٢-٢٣٣) وتحقيق آل ياسين (١٥٦) وقال البغدادي: «والصحيح أنه لأبي الأسود» الخزانة (٣/ ٦١٧).

(٣) انظر: الكتاب (٣/ ٤٢)، والمقتضب (٢/ ١٦)، والأصول لابن السراج (٢/ ١٦٠)، وجمل الزجاجي (١٩٩)، وحروف المعاني للزجاجي (٣٨)، والصاحبي ص (١٥٦).

معطوفاً على قوله: ﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وذاك أنه لما ضمن للصابرين دخول الجنة في غير موضع، بين هٰهنا أن لا يدخلوها محكوماً لهم بالصبر، ولما يجاهدوا، إذ كان الصبر لا يثبت إلا بمجاهدة النفس[١]، ولم يعن بالمجاهدة الجهاد في حرب الكفار فقط، بل أراد ذلك ومجاهدة الشيطان والنفس المدلول عليها بقوله ﷺ «**جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم**»[٢]، ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾[٤] سبب نزولها أن قوماً لم يحضروا بدراً كانوا يقولون: ليت لنا يوماً مثله، حتى نجاهد[٥]. وقيل: سببه

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٩/ ١٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٦٩)، ونظم الدرر (٢/ ١٦١).

(٢) لم أجده مرفوعاً ونسبه الزمخشري في «ربيع الأبرار» لمالك بن دينار. انظر: «ربيع الأبرار» (٢/ ٤٧٠).

(٣) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٣.

(٥) رُوي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والحسن، والسدي. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٤٨-٢٥٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٠، ٢٢١)، والبحر المحيط (٣/ ٧٣).

أن قوماً سألوا النبي ﷺ أن يأذن لهم أن يأتوا المشركين في رحالهم ويقاتلوهم، فقال ﷺ: «لم[1] أؤمر بذلك»[2]. والموت عبارة عن الحرب[3]، كقول الشاعر:

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا

إلى الموت إرقال الجمال المصاعب[4]

وأراد أنكم تمنيتم الحرب فلِمَ[5] تحيّرتم؟ والنظر يكنى به عن التحيرّ[6]، نحو:

---

(١) في الأصل: لو. والتصويب من جامع البيان.

(٢) هذا الأثر ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ...﴾ الآية. [النساء: ٧٧]. رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٤٩، ٥٥٠). وانظر: أسباب النزول للنيسابوري ص (١٦٦، ١٦٧)، والعجاب (٢/ ٩١٧، ٩١٨).

(٣) قال أبو السعود: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أي تتمنون الحرب، فإنها من مبادي الموت. إرشاد العقل السليم (٢/ ٩٢).

(٤) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوان النابغة الذبياني ص (٤٤)، والأغاني (١١/ ١٨)، ومجمع البلاغة ص (٤٣٦).

(٥) في الأصل: (فلما)، والصواب ما أثبته.

(٦) قال الراغب: ويُستعمل النظر في التحير في الأمور، نحو قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]. وقال: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ=

.... والموت خزيان ينظر[1]

وقيل: وأنتم تنظرون إلى النبي ﷺ لكونه بين أظهركم، وذلك تبكيت لهم[2]، وقول النحويين: أراد بالموت سببه، فحذف [٢٤٢/ب] المضاف؛ فقريب[3]، وقول / أبي علي الجبائي: إنه لا يجوز أن

= ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] . . . فكلُّ ذلك نظر عن تحيُّر دالٍّ على قلة الغَنَاء. المفردات ص (٨١٣). ولكني لم أجد أحداً من المفسرين أشار إلى هذا المعنى عند تفسير الآية، وذهب المحققون من أهل التفسير واللغة إلى أن معنى ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي وأنتم بصراء، ليس بكم عمى، أو رأيتموه بمرأى منكم، ومنظر أي بقرب منكم. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٤٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٣)، والوسيط (١/ ٤٩٩)، والبحر المحيط (٣/ ٧٤).

(١) جزء من بيت لتأبط شرًا وتمامه:

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا به كدحة والموت خزيان ينظر

انظر: الأغاني (٢١/ ١٤١)، ومجمع البلاغة (٢/ ٧٠٠).

(٢) قال ابن عطية: وحكى مكي وغيره عن قوم أنهم قالوا: المعنى: وأنتم تنظرون إلى محمد، وهذا قول ضعيف، إلا أن ينحى به إلى هذا القول، الذي ذكرته أنه النظر في أمره هل قتل؟ والاضطراب بحسب ذلك. المحرر الوجيز (٣/ ٢٤٦). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢١)، والبحر المحيط (٣/ ٧٤).

(٣) قال الطبري: ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ يعني أسباب الموت، وذلك القتال. جامع=

يتمنّوا قتل المشركين لهم، فإن قتل المشركين لهم كفر بالله، ولا يجوز للمؤمن أن يتمنّى الكفر بالله[1]، وإنما تمنّوا الموت الذي هو فعل الله في الحال، التي يكون فيها أبعد من المعاصي، فهذا تحيُّل لمراد القوم إنما تمنوا حرباً ليبلوا فيها بلاءً حسناً.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[2] رُوي أنه لما كان يوم أحد[3] نادى منادٍ: قُتِلَ مُحمّدٌ، فقال قوم: علام نقاتل وقد قُتِلَ رسول الله؟! فأنزل الله ذلك[4]، والإشارة بالمعنى إلى ما قال أبو بكر لما مات النبي ﷺ: «من كان يعبد محمداً فإنه قد مات، ومن كان

= البيان (٧/ ٢٤٨). وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٢).

(١) قال القرطبي: «وتمني الموت يرجع من المسلمين إلى تمني الشهادة، المبنية على الثبات والصبر على الجهاد، لا إلى قتل الكفار لهم، لأنه معصية وكفر ولا يجوز إرادة المعصية. الجامع (٤/ ٢٢١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) أحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو جبل أحمر بينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها. معجم البلدان (١/ ١٠٩).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٥٣-٢٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٧٧، ٧٧٨)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٤٣).

يعبد الله فإن الله حي لا يموت[1]، أيها القوم إن الله قد نعى إليكم نبيكم» ثم تلا الآية[2]، ولفظ الاستخبار يتناول: ﴿ٱنقَلَبۡتُمۡ﴾، وقوله: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ تعريض بهم بأنهم يضرون أنفسهم[3]. إن قيل: كيف تعلق قوله: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بما قبله؟ قيل: إن ذلك قضية حُذِفَ بعضُها، تقديرها: ومن أحسن يجزه الله، فإنه سيجزي الشاكرين[4].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[5]. اللام في قوله: ﴿وَمَا كَانَ

---

(١) أشار إلى هذا المعنى القشيري. وانظر: لطائف الإشارات (١/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب «مرض النبي ﷺ ووفاته» رقم (٤٤٥٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٢)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٢٨)، وليس في هذه المصادر أنه ﷺ تلا الآية.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٥٢)، تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٦)، والبحر المحيط (٣/ ٧٥).

(٤) قال البقاعي: فالآية من الاحتباك: أثبت الانقلاب وعدم الضر أولاً دليلًا على حذف ضده ثانياً. والجزاء ثانياً دليلًا على حذف مثله أولاً. نظم الدرر (٢/ ١٦٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

لِنَفْسٍ﴾ على سبيل نسبة الانفعال إلى المنفعل، كقولك: الموت للنفس والنسج للثوب[1]، ولما توهَّم المنافقون أن القتل غير الموت، وأن الإنسان سيجد سبيلًا إلى الخلاص منه، ولم يتصوروا تقدير الله وأن ذلك مقضي لا انفكاك منه، حتى قالوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ۗ﴾[2]، بين تعالى أن الموت شيء مقضي محكوم به، وهذا معنى ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ﴾[3]، فلا تأخير له، ودلَّ على ذلك بآيات الله، نحو قوله تعالى: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾[4] وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[5]، وقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾[6]

---

(١) يبدو أن المؤلف أراد أن اللام في هذه الآية للتبيين. وإن لم يُصرح بذلك. لأن مثاله يقرب من بعض الأمثلة التي أوردها النحويون للتبيين، ومنها: جدعاً له وسحقا له. وكون اللام للتبيين صرَّح به النحاس ومكي وأبو حيان. انظر: اللامات ص (١٢٩-١٣٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤١٠)، ومشكل إعراب القرآن (١٧٥)، والبحر المحيط (٣/ ٧٦)، ومغني اللبيب (٢٩١-٢٩٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ٦١.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٨.

وقوله في هذه السورة: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[1] وعلى ذلك قول الشاعر:

.... أن الفرار لا يزيد في الأجل[2]

ولما كان أكثر الأعمال مشتبه الصور، وإنما يتميز الخبيث من الطيب بالنيات، ولهذا قال ﷺ: «**الأعمال بالنيَّات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**»[3] الخبر. والمجاهد في سبيل الله ثلاثة: إما قاصد به الآخرة غير ملتفت إلى الدنيا؛

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٢) قبله:

قد علم المتأخرون في الوهل   إذا السيوف عرِّيت من الخلل

وهو في حماسة أبي تمام (١/ ٣٤١) بدون نسبة. وفي هامشها: «ونسبت» في لباب الآداب (٢٠٧) لشبل الفزاري. وفي مجموعة المعاني (٣٦) بدون عزو.

(٣) رواه البخاري في كتاب ـ بدء الوحي ـ باب «كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ»، رقم (١). ورواه مسلم في كتاب ـ الإمارة ـ باب «قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وأنه يدخل في الغزو وغيره من الأعمال، رقم (١٩٠٧). ورواه أبو داود في كتاب الطلاق، باب: «فيما عنى به الطلاق والنيات» رقم (٢٢٠١). والترمذي في كتاب ـ فضائل الجهاد ـ باب «ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا» رقم (٤٦٤٦). وابن ماجه في كتاب ـ الزهد ـ باب «النية» رقم (٤٢٢٧). وأحمد في المسند (١/ ٢٥)، والبيهقي في سننه (١/ ٤١، ٢١٥، ٢٩٨)، والحميدي رقم (٢٨).

وإما قاصد عرضا دنيويًّا مراعياً فيه حكم الله على ما ورد الامر في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[1]؛ وإما قاصد عرضاً دنيويًّا غير مراع فيه حكم الله على ما دل عليه قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾[2]، فقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾[3] فُسِّر على الوجهين: **أحدهما**: أن لفظ الثواب هٰهنا على التوسع، وإنما هو على نحو الحرث في قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[4] ويكون المعنى على نحو ما بينه في قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[5]. **والثاني**: أن الثواب هو الذي يحصل للإنسان ولا / يلحقه فيه تبعة[6]، فالمراد به ما ذكره في قوله: [٢٤٣/أ]

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٢) سورة هود، الآية: ١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٨.

(٦) وأغلب المفسرين على القول الأول، ولم أجد من أشار إلى الثاني، لأن في الآية تعريضاً بالفريق الذي شغلته الغنائم عن حماية ظهور المسلمين. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٦٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٥)، والوسيط (١/ ٥٠٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٥)، والمحرر الوجيز =

﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «من طلب الدنيا استعفافاً عن المسألة، وسعياً على أهله، بعثه الله ووجهه كالقمر»[2]، وقوله: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3] قد تقدم الكلام فيه[4].

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5].

كأين: بمعنى كم[6]، وأصله أي دخله الكاف، والنون في

= (٣/ ٢٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٢)، والبحر المحيط (٣/ ٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٩٤).

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠)، (٨/ ٢١٥) وقال: غريب من حديث مكحول، لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٨) رقم (١٠٣٧٤، ١٠٣٧٥). ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «العيال» ص (١١١) رقم (٣٢). وقال العراقي: رواه أبو الشيخ في «الثواب»، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) انظر: ص ٤٤٨ من هذه الرسالة.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٦) ذكر ذلك في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٧)، والصاحبي ص (٢٤٨).

آخره هو التنوين، قيل: وإذا وقف يقال كأيْ على قول من قال مررت بزيدْ، وكأيّي على قول من قال بزيدي، وقال بعض النحويين: يجوز أن يُقال كأيِّن في الوقف، لأنّه لمّا تركبا صار التنوين كحرفٍ من الكلمة، كقولهم: رعملي ولعمري[1]، والرِّبِّيّ: قيل: التقيُّ العالم المنسوب إلى الربّ، وكذلك الرّباني وغُيِّرَ في النسبة كقولهم في أمس إمْسِيٌّ، وفي الجُمَّةِ جُمّانيّ[2]، وقيل الرِّبيّون الجماعات الكثيرة، ومنه قيل للجماعة رِبَّة، ولما يُجمع فيه القِداح رِبابة[3]، والفرق بين الوهن والضعف: أن الوهن إخلالٌ يغير

(١) انظر الكلام على (كأيّن) في: الكامل (٣/ ١٢٥١، ١٢٥٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٥، ١٧٦)، والصاحبي ص (٢٤٨)، وكشف المشكلات (١/ ٢٦٣)، وشرح المفصل (٤/ ١٣٥، ١٣٦)، ومغني اللبيب ص (٢٤٦، ٢٤٧). وانظر الأوجه الجائزة في الوقف على المكسور والمضموم في: أمالي ابن الشجري والشافية (٦٣)، والمساعد (٤/ ٣٠٣). وقلب لعمري إلى رَعَمْلي هو المسمى القلب المكاني، وتعريفه: أنه جعل حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير، نحو: أيس في يَئس. وراء في رأى. انظر: المخصص (١٤/ ٢٧-٢٨)، المساعد (٤/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) انظر: المخصص (١٣/ ٢٤١)، وتاج العروس (١٥/ ٤٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٦)، والمفردات ص (٣٣٦، ٣٣٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٥٥، ٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦٥)، ، والبحر المحيط (٣/ ٧٩)، وقد مضى تفصيل القول في (الرباني) عند تفسير الآية ٧٩ من هذه السورة. انظر: ص (٢٠٢، ٢٠٣).

الإنسان، ويُضادّه الشِّدة، والضعف اختلالٌ بنقصه ويُضادّه القوى[1]، والاستكانة: الخشوعُ والتضرّعُ للمخافة[2]، وقيل: قُتِل هو فعل مسند إلى قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾، استئناف في موضع الحال، كأنه قُتل ومعه[3]، وقال الحسن: ما قُتل نبي قط في حرب[4]، وقال بعضهم ما قال الحسن؛

---

(١) قال العسكري: «والفرق بين الوَهْن والضعف: أن الضعف ضدّ القوة، وهو من فعل الله تعالى، كما أن القوة من فعل الله... والوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف تقول: وهن في الأمر يهن وهْنا، وهو واهن، إذا أخذ فيه أخذ الضعيف...» الفروق ص (١٢٤، ١٢٥)، وانظر: المفردات ص (٥٠٦، ٥٠٧، ٨٨٧).

(٢) قال الطبري: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ يعني وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم. جامع البيان (٧/ ٢٦٩). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٦)، والزاهر (٢/ ٢٩٧-٢٩٩)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٧٤-٣٧٥)، والمسائل الحلبيات (٥/ ١)، والوسيط (١/ ٥٠١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٨).

(٣) قال ابن زنجلة: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (وكأين من نبي قُتِل) بضم القاف وكسر التاء، أي وكم من نبي قتل قبل محمد ﷺ ومعه ربيون كثير... وقرأ الباقون ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ﴾. انظر: حجة القراءات ص (١٧٥)، والغاية ص (٢١٨)، والمبسوط ص (١٤٨)، وغاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني العطار ص (٤٥٤).

(٤) لم أجد ذلك منسوباً للحسن إلا فيما ذكره عنه السمعاني في تفسيره=

وإن صحّ فإنّه لا ينفي أنه قُتل في غير حرب، وقيل: إن قوله: قُتل فعل لقوله ربيون أي قُتِل جماعة منهم، فلم يهن الباقون منهم[1]، ومن قرأ: قاتل فيحتمل الوجهين[2]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]، فقد جعلهم محبوبيه تعظيماً لقدرهم، وإلى معنى المحبّة أشار بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[5]، وقال ﷺ: «**الصبر خير كلّه**»[6]، وقال: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**»[7].

= (١/ ٣٦٤). وقد وجدته منسوباً لسعيد بن جبير ذكره عنه عبد بن حميد في تفسيره (ق ٧٣/ ٢ ـ مخطوط) عن سعيد بن جبير، قال: «ما سمعنا أن نبيًا قط قتل في قتال»، وذكره عن سعيد بن جبير القرطبي في الجامع (٤/ ١٤٧)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٦). وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير.

(١) رجح هذا القول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٦٤، ٢٦٥) وحسَّن ابن عطية ترجيح الطبري في المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٥). وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٦٩)، والحجة لأبي علي (٢/ ٣٨٦-٣٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٧٢-٧٣).

(٢) انظر: الوسيط (١/ ٥٠١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة الطور، الآية: ٣٨.

(٦) لم أجده مرفوعاً، ولكن يروى من كلام الجنيد بلفظ «الصبر مفتاح كل خير» رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠١) رقم (٩٩٩٦).

(٧) روي هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً، فقد عزاه السيوطي في الجامع الصغير=

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ . . . ﴾[1] الآية، الفرق بين الذنب[2] والإسراف[3] من وجهين: **أحدهما**: أن الإسراف تجاوز الحدَّ في فعل ما يجب، والذنبُ عامٌّ فيه وفي التقصير، فإذاً كل إسرافٍ ذنبٌ، وليس كل ذنبٍ إسرافاً. **والثاني**: أن حقيقة الذنب: التقصير وترك الأمر حتى يفوت، ثم يُؤخذ بالذنب. والذنب إذن في الأصل مقابل الإسراف، وكلاهما مذمومان، **أحدهما**: من جهة التفريط. **والآخر**: من جهة الإفراط[4]. والمحمود هو

= للديلمي عن أنس، وأشار بضعفه. فيض القدير (٤/ ٢٣٤). ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي رضي الله عنه (١/ ٧١٠). ونقل المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٣٤) عن الحافظ العراقي تضعيفه بيزيد الرقاشي. وقد ضعفه أيضاً الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٥٣٥) مرفوعاً وموقوفاً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧. ونصُّ الآية: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

(٢) قال الراغب: والذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء، ويستعمل في كل فعل يُستَوخْم عقباه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يسمى الذنب تبعة، اعتباراً لما يحصل من عاقبته. المفردات ص (٣٣١). وانظر: الفروق ص (٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧).

(٣) قال الطبري: وأما الإسراف فإنه الإفراط في الشيء، يقال منه: «أسرف فلان في هذا الأمر» إذا تجاوز مقداره فأفرط. جامع البيان (٧/ ٢٧٢). وانظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٤)، والمفردات ص (٤٠٧).

(٤) ظاهرهُ أن الإسراف: إفراط، وهو القريب إلى الأصل في هذا اللفظ، ولكن=

العدالة، والقصد المنفك منهما[1]، وثباتَ القدم في الأمر اللزوم[2]، وعلى هذا قوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾[3]، وكيفيّة تثبيت الأقدام، قيل بإلطاف من جهته، وقيل بإنزال الملائكة عليهم، وذلك عام في كل نُصرةٍ ينصرُ الله بها عبده من قوّة نفسه، ومما يعينه من خارج[4]. وقيل: أشار بذلك إلى سؤال الصيانة عما يحبط ما تقدم من الأعمال[5]، وهذا السؤال نحو ما رُوي

= أبا عبيدة في المجاز فسر الإسراف بالتفريط. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٤).

(١) وذكر المفسرون أن الفرق بين الذنوب والإسراف في الآية: أن الذنوب هي الصغائر، والإسراف هو الذنوب العظام. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٠٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣١)، والبحر المحيط (٣/ ٨١).

(٢) قال الراغب: «الثبات ضد الزوال يقال: ثبت يثبت ثباتاً. . .» المفردات ص (١٧١). وانظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٦٧).

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٤.

(٤) قال العلامة نظام الدين النيسابوري: والمراد بتثبيت الأقدام: إزالة الخوف عن قلوبهم، وإماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم، والمراد بالنصر: الأمور الزائدة على القوة والعدة والشدة؛ كإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وكإحداث أحوال سماوية أو أرضية توجب انهزامهم، كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم، وإجراء سيل في مواضع وقوفهم. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٤).

(٥) قال القشيري مشيراً إلى ذلك المعنى: «تحققوا بحقائق المعنى، فخرسوا=

عن النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»[1].

والآية هي من جملة الحكاية عن الرِّبيين، وتحقيقٌ لما قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾[2] الآية، وحثٌّ على الاقتداء بمن تقدّم في أحوالهم التي وصفوا بها، وهذه الجملة من التضرّع إلى الله وهو جِماع سؤال الخيرات، فقد سألوا الله العفو عنهم فيما كان منهم من إفراطٍ وتفريط، والحراسة في أنفسهم ونصرهم على أعدائهم. / [٢٤٣/ب]

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا...﴾[3] الآية. ذكر في ثواب الآخرة الحُسن تنبيها أن ثواب الدنيا بالإضافة إليها غير مُستحسنٍ لانقطاعه[4]، ونبّه بالآية أنّ من أراد ثوابَ الدنيا لم

= عن إظهار الدعوى، ثم نطقوا بلسان الاستغفار، ووقفوا في موقف الاستحياء كما قيل:

يتجنب الآثام ثم يخافها   فكأنما حسناته آثام!!

لطائف الإشارات (١/ ٢٩٥).

(١) تقدم تخريجه ص (٤٣٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨. ونصها: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

(٤) قال القشيري: ولما قال: ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال في الآخرة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فوجب أن يكون لثواب الآخرة مزية عن ثواب الدنيا، حيث=

يحصل له ثواب الآخرة، وأنّ من أراد الآخرة حصلت له الدنيا والآخرة معاً[1]، وعلى هذا قال ﷺ: «**مَن كانت همّته للدنيا شتت الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له؛ ومن كانت همّته الآخرة جمع الله شمله، وجعل غِناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[2] وهذا المعنى الذي اقتضاه الخبر ذكره ابن

= خصَّه بوصف الحسن، وتلك المزية دوامها وتمامها وثمارها، وأنها لا يشوبها ما ينافيها، ويوقع آفة فيها. لطائف الإشارات (١/ ٢٩٦). وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٨٢)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٩٧).

(١) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا . . .﴾ [آل عمران: ١٤٥]، قال: «أي من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدّره الله له، ولم يكن له في الآخرة من نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا . . .» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٧).

(٢) رواه الترمذي في كتاب ـ صفة القيامة ـ رقم (٢٤٦٥)، ورواه ابن ماجه في كتاب ـ الزهد ـ باب «الهم بالدنيا» رقم (٤١٠٥) وقال البوصيري في الزوائد (٣/ ٢٧١): إسناده صحيح. ورواه أحمد في المسند (٥/ ١٨٣) والطبراني في الأوسط رقم (٥٩٨٧، ٨٨٧٧)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٦٦)، والبغوي في شرح السنة رقم (٤١٤٢). والحديث أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٩، ٩٥٠).

الرومي[1] في قوله:

وتاجر الأجر لا يزال له أمران في كل متجرٍ تجره
أجرٌ وحمدٌ وإنمّا قصد الـ أجر ولكن كلاهما اعتوره[2]

وسئل سفيان بن عيينة[3]: هل يُعطى المسلم ثواب عمله في الدنيا؟ فقال: نعم، وتلا هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4]. وقوله في قصة يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾[5] الآية، ثم

---

(١) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي مولى آل منصور، شاعر زمانه مع البحتري، له النظم العجيب والتوليد الغريب، كان رأساً في الهجاء والمديح، ولد سنة ٢٢١هـ، ومات مسموماً سنة ٢٨٣هـ. انظر: الفهرست ص (٢٧١)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٣-٢٦)«، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٥).

(٢) انظر: ديوان ابن الرومي (٣/ ٩٤٢) والبيتان في «الذريعة» للراغب ص (٤١٥)، ونسبهما لابن الرومي أيضاً. ومعنى اعتوره: تداوله. انظر القاموس ص (٥٧٤).

(٣) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغيّر حفظه بآخره، وكان ربما دلّس (ط ٢) لكن عن الثقات، محدث الحرم المكي، له كتاب في التفسير وكتاب الجامع في الحديث، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وتوفي بمكة في رجب سنة ١٩٨هـ. انظر: تقريب التهذيب ص (٢٤٥)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١١٧).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٥٦. وتمامها: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قال: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . . ﴾[1] الآية.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ . . . ﴾[2] الآية. هذا هو المعنى المذكور في قوله: ﴿ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم ﴾[3]، لكنه لما ذكر هناك باللفظ العام وهو أهل الكتاب الواقع على مؤمنهم وكافرهم خصَّ فريقاً منهم، فإن قيل: لم غيّر العبارتين[4]؟ ولم كرر ذلك؟ قيل: إنه عرّض في الأول بالنهي، فلما بيّن أحوال المنهيّ عن طاعتهم، ونبّه على فساد طريقتهم وإرادتهم الشر بالمسلمين أعاد النهي عن طاعتهم مصرِّحًا[5]، وهذه الطريقة يسلكها الوعظةُ المهرة، فنهي الإنسان عما يهواه إذا لم يعرف قبحه إغراءٌ بفعله،

---

(١) الآية ٥٧ من سورة يوسف وتمامها: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩. ونصها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(٤) في الأصل (العبارتان)، والصواب ما أثبته.

(٥) قال البقاعي بعد أن فسَّر الآية: وذلك ناظر إلى قوله تعالى أول ما حذَّر من مكر الكفار: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ وموضح أن جميع هذه الآيات شديد اتصال بعضها ببعض. نظم الدرر (٢/ ١٦٥).

فحقٌّ للواعظ أن يتوصل أولاً إلى كشف قبحه، وما يعرض فيه من الفساد، ثم يُصرِّحُ بتحريمه، والنهْي عنه، وقول الحسن: إنه عنى بالذين كفروا: اليهود والنصارى(١)، وقول السدّي: إنه أراد المشركين أبا سفيان وأصحابه(٢)، فكلاهما صحيح، فاللفظ عام، ومطاوعتهما تردُّ على الأعقاب وتُورث الخسران.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾(٣) لما تقرر في العقول: أن المولى يَعُزُّ بحسب عِزَّة مواليه، وتقرر عند المسلمين أن الله هو العزيز في الحقيقة، وأن كل عزيز فمنه وبه يَعزُّ، وقد كان نهاهم في الآية المتقدمة عن موالاة الكفار، والدخول تحت طاعتهم [بيّن](٤) أن [من

---

(١) لم أجد هذا القول منسوباً للحسن، وإنما وجدته منسوباً لابن جريج، وذلك فيما رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٧٧) بسنده عن ابن جريج، قال: لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم. ورواه كذلك ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٨٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٧٤) عن ابن جريج، وكذلك السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٨٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٨)، وعزاه لهما.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠.

(٤) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

كان][1] الله مولاه فهو غني عنهم فهو خير مولى وناصر، وهذا المعنى قد نبه تعالى عليه في مواضع بألفاظ كثيرة، نحو ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3]، وفي لفظة بل تلطف وتنبيه أن من المحال أن يكون من تخصص بموالاة الله، وعرف أن العزَّ منه أن يعتمد غيره أو يقصد سواه[4].

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾[5] الآية. الرعب: استرخاء القوى وتقطُّعُها من الخوف[6]، ومنه:

---

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.

(٣) سورة محمد، الآية: ١١.

(٤) قال أبو حيان: (بل) لترك الكلام الأول من غير إبطال، وأخذ في كلام غيره. والمعنى: ليس الكفار أولياء فيطاعوا في شيء، بل الله مولاكم...» البحر المحيط (٣/ ٨٢)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٨) ولطائف الإشارات (١/ ٢٩٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٧٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥١. ونصُّها: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٦) ذكر ابن فارس أن مادة الرعب أصل في ثلاثة معان: الخوف والملء والقطع، وقد رد المؤلف المعنى الأول إلى الثالث؛ لأن أحدهما سبب في الآخر. وهذا من دليل حسه اللغوي المرهف. انظر: المقاييس (٢/ ٤٠٩-٤١٠).

جارية رعبوبة[1]، ورعبت السنام قطعته[2]، وبهذا النظر قالوا: تقطَّع نياطُ قلبه، وانخلع قلبُه، وتوزَّع خاطره[3]، والسلطان: الحجة[4]، وقد تقدم والمثوى: إطالة الملازمة[5]، وقوله: ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾ أي إشراكهم[6]،

---

(١) الرعبوبة: السمينة اللينة، والرعبوبة أيضاً القطعة من السنام. انظر: المقاييس (٢/ ٤١٠)، والمحكم (٢/ ٩٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٩)، وتهذيب اللغة (٢/ ٣٦٧، ٣٦٨)، والمفردات ص (٣٥٦)، وأساس البلاغة ص (١٦٦)، واللسان (١/ ٤٢٠).

(٣) هذه عبارات يكنى بها عن شدة الفزع. والنياط: عرق معلق به القلب. والخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر. انظر: المقاييس (٥/ ٣٧٠)، والمخصص (١٢/ ١٢٦)، وتاج العروس (١١/ ١٩٤) و(٢٠/ ١٥٦).

(٤) قال الجوهري: والسلطان: الحجة والبرهان، ولا يُجمع، لأن مجراه مجرى المصدر. الصحاح (٣/ ١١٣٣) وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٩)، والمفردات ص (٤٢٠)، وأساس البلاغة ص (٢١٧)، واللسان (٧/ ٣٢١).

(٥) قال الأزهري: «الثواء طول المقام... والمثوى الموضع الذي يقام به وجمعه: المثاوي...» تهذيب اللغة (١٥/ ١٦٦). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٧٩)، والصحاح (٦/ ٢٢٩٦)، والمفردات ص (١٨١)، وأساس البلاغة ص (٤٩)، واللسان (١٤/ ١٢٥).

(٦) قال أبو حيان: «الباء للسبب وما مصدرية، أي بسبب إشراكهم بالله آلهة، لم ينزل بإشراكها حجة ولا برهاناً» البحر المحيط (٣/ ٨٣)، وانظر: التبيان (١/ ٣٠١).

وقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بدل من ما الأولى، لكن بمعنى المصدر، إذ لا ضمير يرجع إليه، والثاني بمعنى الذي، إذ فيما/ بعده ضمير، ويجوز أن يكون خبر ابتداء مضمر، أو [٢٤٤/أ] على تقدير: أعني شيئا لم ينزل به سلطانا، والمعنى لا يختلف[١]، ونبّه أنه لم يجعل لهم حجة فيما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٢]، ولقوله: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾، ولظهور حكمه، وما شوهد

---

(١) هذه الأوجه الثلاثة التي ذكرها المؤلف في إعراب (ما) الثانية لا تخلو من تكلف. ولم أجدها لغيره، والأولى أن تكون (ما) نكرة موصوفة أو اسما موصولاً في محل نصب مفعولاً به لـ«أشركوا». ولعل كثرة ورود الإشراك في القرآن محذوف المفعول به، أوحى إلى المؤلف بأن (أشركوا) فعل لازم لا يحتاج إلى مفعول. مع أن (أشرك) وردت في القرآن في مواضع مذكورا مفعولها صريحاً أو شبه صريح، منها قوله تعالى: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فياء المتكلم مفعول به، وقد بقيت نون الوقاية والكسرة الدالتان عليها. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٣٢] فالهاء مفعول به. وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام: ٨١] «(ما لم): «ما»: بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة، وهي في موضع نصب بأشركتم...» التّبيان (١/ ٥١٤). وانظر في إعراب الآية: إملاء ما منّ به الرحمن ص (١٥٣)، والتبيان (١/ ٣٠١)، والدر المصون (٣/ ٤٣٥).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

من صدقه. قال ﷺ: «نُصرتُ بالرُّعبِ»[1]، وتصديق ذلك قد شوهد، فقد كان الصناديد يقصدونه عليه السلام لمكاوحته[2] أو الاغتيال عليه، فما كانوا إلا أن يُمكِّنوا أبصارهم منه فيذِّلوا، ولمشاهدة الحالة قال فيه الشاعر:

لـو لم تكـن فيـه آيـاتٌ مبينـة كانت بداهته تُغنيك عن خبر[3]

وهذا أحد دلائل للنبوات التي يعتمدها من عرف الحقائق، وليس هذا الرعب للنبي ﷺ فقط، بل لأحزابه والمقتدين به، حتى نرى من رجح عقله وحسن في قمع الشهوة حاله مهيباً.

وجعل جهنم مثوى مذموماً بالإضافة إلى الطباع، واعتبارها بكراهتها لها[4]، ....

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري، كتاب ـ التيمم ـ باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا﴾ رقم (٣٣٥). ورواه مسلم في كتاب ـ المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم (٥٢١). ورواه النسائي كتاب ـ الجهاد ـ باب «وجوب الجهاد» (٦/ ٣).

(٢) قال الفيروز آبادي: كاوحه: شاتمه وجاهره، وتكاوحا: تمارسا في الشر بينهما. القاموس ص (٣٠٥).

(٣) البيت لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه، انظر: ديوانه (١٦٠)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٨٧)، والإصابة (٤/ ٧٥).

(٤) قال أبو حيان: «بالغ في ذم مثواهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي وبئس مثوى الظالمين النار، وجعل النار مأواهم ومثواهم...» البحر=

وعلى ذلك قوله: ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ...﴾[2] الآية.

الحسُّ: يُقال للإصابة بالحاسّة نحو عِنْتُه ويَدَيْتُه، أي أصبته بهما، ويُقال تارة لإصابة الحاسّ نحو بطنته وظهرته، أي أصبتهما[3]، ولّما كان إصابة الحاسّة قد يتولد منه فقد الروح استُعير للقتل[4]،

= المحيط (٣/ ٨٤). وفرق القرطبي بين المثوى والمأوى، فقال: «والمثوى: المكان الذي يقام فيه، يقال: ثوى يثوي ثواءً. والمأوى: كلُّ مكان يرجع إليه شيء ليلًا أو نهاراً». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢. ونصها: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

(٣) ذكر ذلك الراغب في المفردات ص (٢٣١، ٢٣٢). وانظر دلالة الفعل الثلاثي (فَعَل) على الإصابة في: المساعد (٢/ ٥٩٢) وماسبق في (٣٥٤). وانظر: معاني (حسّ) في: جامع البيان (٧/ ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٨)، وتهذيب اللغة (٣/ ٤٠٥-٤١٠)، والصحاح (٣/ ٩١٦-٩١٨)، وتاج العروس (١٥/ ٥٣٥-٥٤٤).

(٤) قال الطبري: ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم﴾ يعني حين تقتلونهم. جامع البيان (٧/ ٢٨٧)، وفي العين: «الحس: القتل الذريع» (٣/ ١٥). وانظر: مجاز القرآن=

وإذنه هاهنا يصح أن يكون أمره، وأن يكون تسهيله وتوفيقه[1]، **والفشل**: ضعف النجيزة[2]، وذلك يكون عن الحرب، وعن السخاء، بل عن تحمل المضض كله[3]، وجعل تعالى ميلهم إلى الغنيمة فشلًا، فإن الحرص والبخل من فشل النجيزة، وسبب نزول هذه الآية فيما رُوِيَ أن النبي ﷺ كان قد وعد المؤمنين بقهر الكفار يوم أحد، ولما صفّ الصفوف جعل أُحُداً خلف ظهره، واستقبل المدينة، وجعل عَيْنَينَ وهو جبل[4] عن يساره، ورتّب

= (١/ ١٠٤- ١٠٥). وانظر المصادر السابقة، والوسيط (١/ ٥٠٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٥)، ولسان العرب (٦/ ٥١، ٥٢)، البحر المحيط (٣/ ٨٤).

(١) قال الطبري: وأما قوله (بإذنه) فإنه يعني: بحكمي وقضائي لكم بذلك، وتسليطي إياكم عليهم. جامع البيان (٧/ ٢٨٨).

(٢) النجيزة: الجزاء، يقال: لأنجزنَّ نجيزتك أي لأجزينَّ جزاءك. انظر: تاج العروس (١٥/ ٣٤٥).

(٣) قال الراغب: الفشل: ضعف مع جبن. المفردات ص (٦٣٧). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٨٩)، وأساس البلاغة ص (٣٤١، ٣٤٢)، والنهاية (٣/ ٤٤٩)، والقاموس ص (١٣٤٦)، والبحر المحيط (٣/ ٨٤). ويقال: أمضه الأمر: إذا بلغ منه المشقة. انظر: العين (٧/ ١٧).

(٤) عينين: أكمة صغيرة بارزة، قرب جبل أحد من جهة المدينة، بينهما مجرى وادي قناة، وهو الذي قام عليه إبليس يوم أحد، فنادى: ألا إن محمداً قد قُتل. وفيه أقام رسول الله ﷺ الرماة يوم أحد. انظر: معجم =

عليه رماة خمسين، واستعمل عليهم عبدالله بن جبير[(١)]، وأوعز إليهم أن قوموا في مصافِّكم، فإن رأيتمونا وقد غنمنا فلا تشاركونا، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، فلما رأوا الكفار يُهزمون، اختلفوا فبادر بعضٌ إلى المعركة، ونظر خالد بن الوليد[(٢)] إلى الجبل وكان كميناً[(٣)] للمشركين، فكَرَّ بالخيل، فقتل من بقي من الرماة، وانتقضت صفوف المسلمين حتى كان ما كان، فقال

= ما استعجم (٣/ ٩٨٧)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص (٢٠٤).

(١) عبدالله بن جبير بن النعمان بن أميّة الأنصاري، شهد العقبة وبدراً، واستشهد بأحد، كان أمير الرماة يومئذٍ، وهو الذي نهى الرماة عن ترك أماكنهم لطلب الغنائم فخالفوه، فثبت حتى قتل رضي الله عنه، وذلك في السنة الثالثة من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣١)، والإصابة (٤/ ٣١).

(٢) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر المخزومي القرشي، من كبار الصحابة، كان من أشراف قريش في الجاهلية وقائد فرسانها، أسلم قبل فتح مكة بسنة، فكان سيفاً من سيوف الله على أعداء الدين، وكان أميراً على قتال أهل الردّة وغيرها في الفتوح. توفي رضي الله عنه في خلافة عمر سنة ٢١هـ بمدينة حمص. انظر: الإصابة (٢/ ٢١٩)، والتقريب ص (١٩١)، والتهذيب (٣/ ١٢٤).

(٣) يقال كمن فلان يكمن كمونا: إذا استخفى في مكمن لا يُفطن له. والكمين في الحرب من هذا، وهو: أن يستخفوا في مكمن بحيث لا يفطن لهم، ثم ينهضون على العدو على غفلة منهم. انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢٩٠)، والمصباح المنير (٥٤١).

قوم: إن الله قد وعدنا نصرنا، فتغيّرت قلوبهم، فبيّن تعالى أنه قد صدقكم وعده، وأخذتم تقتلونهم إلى أن اعتراكم الفشل، ووقع بينكم تنازع، فصرفكم عنهم[1]، وقوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾[2] قيل: الغنيمة[3]، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي نصرة النبي في ترك المكان والمبادرة إلى القتال[4].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٣، ١٦٤)، وجامع البيان (٧/ ٢٨١-٢٨٣، ٢٨٩-٢٩١)، وأسباب النزول ص (١٢٥، ١٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٣)، والوسيط (١/ ٥٠٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٤)، ووضح البرهان (١/ ٢٦١)، وزاد المسير (١/ ٤٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٩).

(٤) هذا القول لم أجد من ذكره من المفسرين، وكأن الراغب وجّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ إلى الرماة دون غيرهم من أفراد الجيش. وقد نقل النيسابوري عن الجبائي المعتزلى نحواً من هذا القول. قال الجبائي: «إن الرماة كانوا فريقين، بعضهم فارقوا المكان أولاً لطلب الغنائم، وبعضهم بقوا هناك إلى أن أحاط بهم العدو، وعلموا أنهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلًا، فلهذا السبب جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك=

وقيل: بل عنى بمن يريد الآخرة من أقام حافظاً لما استُحفظ[1]، وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾[2] قيل: صرفهم إنما [كان][3] بمنع النُّصرة وترك إنزال الملائكة عليهم والسكينة، وبإخراج ما في قلوب الذين كفروا من الرعب، فبيّن أن لم يكن صَرْفكم عنهم خذلاناً لكم، بل كان مؤاخذة لميلكم إلى الدنيا وابتلاءً لكم[4]، كما بيّنه بقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ

= الموضع إلى موضع يتحرّزون فيه عن العدو». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨١). وكلام أبي حيّان يخالف هذا، حيث قال: «وكان الرماة خمسين، ذهب منهم نيّف على أربعين للنهب وعصوا الأمر». وقال أيضاً: «لا يقال: كيف يقال: انقسموا فيمن فشل وتنازع وعصى، لأن هذه الأفعال لم تصدر من كلهم، بل من بعضهم». البحر المحيط (٣/ ٨٥).

(١) هذا قول عامة المفسرين. انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وبحر العلوم (١/ ٣٠٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٨٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٤)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٧). وروح المعاني (٤/ ٨٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٣) ليست في الأصل، والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٦، ٢٩٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨١)، والبحر المحيط (٣/ ٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٩)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٧).

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]، وذكر أنه عفا عما كان منهم من مخالفتهم النبي ﷺ، وإخلالهم بالمركز[2]، قال الحسن: عفا عنهم، إذ لم يستأصلهم، فقد قُتل منهم من قُتل، وكُسرَ رُباعيّة[3] الرسول ﷺ[4]، وقيل: ﴿عَفَا عَنكُمْ﴾ حيث عاقبكم في عاجل الدنيا، وأفضل عليكم بذلك لكونه موعظة لكم في معاودة مثله[5]، ثم بيّن أن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٢٩٨).

(٣) قال الفيروز آبادي: الرباعية: كثُمانيّة: السنّ التي بين الثنية والناب. القاموس ص (٩٢٩).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٢٩٨) عن الحسن قال بعد أن صفّق بيديه: وكيف عفا عنهم، وقد قتل منهم سبعون، وقتل عم رسول الله ﷺ، وكُسرت رباعيته وشُج في وجهه؟ قال: ثم يقول: قال الله عز وجل: «قد عفوت عنكم إذ عصيتموني أن لا أكون استأصلتكم». وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٨٩).

(٥) لم أجد هذا القول مفرداً في شيء من كتب التفسير، وهو يرجع إلى القول الأول، لأنهم عوقبوا في الدنيا بما دون الاستئصال، وفي نهاية قول الحسن موعظة وتحذير من معاودة مثل ذلك، حيث قال: هؤلاء مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، غضاب لله، يقاتلون أعداء الله، نُهوا عن شيء فضيعوه، فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم، فأفسق الفاسقين اليوم يجترم كل كبيرة ويركب كل=

الله ذو فضل في عفوه عنكم في انهزامكم وفي صرفكم عنهم، الذي صار/ سبباً لتهذيبكم وتمحيصكم، وسبباً لأن تصيروا مجاهدين [٢٤٤/ب] في المستقبل، فيعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، فكل ما هو سبب خير وإن كُره ففضلٌ[1]، واختُلفَ في جواب ﴿إِذَا﴾ فقال الفرّاء: تقديره تنازعتم، والواو مقحمة[2]، قال: وذلك يكثر مع إذا نحو ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾[3] وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ﴾[4] أي: فتحت، وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾[5] أي ناديناه[6]، وقال ابن بحر: ثم صرفكم جواب، وتقديره صرفكم[7]، وقال: ودخل ﴿ثُمَّ﴾

= داهية، ويسحب عليه ثيابه، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم. انظر المصادر السابق ذكرها.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٤، ١٦٥)، وجامع البيان (٧/ ٢٩٩)، والكشاف (١/ ٤٢٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٢) عبارة الفراء: وهذه الواو معناها السقوط. انظر: معاني القرآن (١/ ٢٣٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٦) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٨).

(٧) قال الجمل: «وإذا على بابها من كونها شرطية، وفي جوابها حينئذٍ ثلاثة أوجه: أحدها: أنه (تنازعتم) قاله الفراء، وتكون الواو زائدة. والثاني: أنه (ثم صرفكم) وثم زائدة. وهذان القولان ضعيفان جدًا. =

في الكلام، لأنه في المعنى مثل: إذا، وكأنه رد لفظ إذا لما طال الكلام، كقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[2] فأعاد لمّا لمّا طال، فكذلك القول في ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ وهذا القول أستطرفه، فإني أراه تصور ثُمَّ بمعنى ثَمَّ على التقدير الذي ذكره، وقال البصريون: جوابه في هذه الأمكنة كلها محذوف[3].

قوله تعالى: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4] إذ: متعلق بقوله: ﴿عَفَا﴾ وبقوله: ﴿ذُو فَضْلٍ﴾[5]، والإصعاد: الإبعاد في الأرض، سواء كان

= والثالث: وهو الصحيح أنه محذوف، واختلفت عباراتهم في تقديره. فقدره ابن عطية (انهزمتم)، وقدره الزمخشري (منعكم نصره)، وقدره أبو البقاء: (بان لكم أمركم) . . . » «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» (١/ ٣٢٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٣) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٥٤)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٠١)، والدر المصون (٣/ ٤٣٦)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٥) قال أبو حيان: «والعامل في (إذ) اذكر. محذوفة، أوعصيتم، أو تنازعتم، =

في صعودٍ أو حدورٍ، وإن كانَ أصله من الصعود[1] كقولهم: تعال في أنْ صار في التعارف، قد يقال لغير معنى العلو[2]، والصعود: الذهاب في صعود[3]. ولما روى قتادة والربيع: أن

= أو فشلتم، أو عفا عنكم، أو ليبتليكم، أو صرفكم، وهذان عن الزمخشري، وما قبله عن ابن عطية، والثلاثة قبله بعيدة لطول الفصل، والأول جيد، لأن ما قبل إذ جمل مستقلة، يحسن السكوت عليها، فليس لها تعلّق إعرابي بما بعدها...» البحر المحيط (٣/ ٨٩). وانظر: الكشاف (١/ ٤٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٥)، والدر المصون (٣/ ٤٣٨).

(١) قال الراغب: والصعود والحدور لمكان الصعود والانحدار، وهما بالذات واحد، وإنما يختلفان بحسب الاعتبار بمن يمر فيهما... وأما الإصعاد فقد قيل: هو الإبعاد في الأرض، سواء كان ذلك في صعودٍ أو حدورٍ، وأصله من الصعود وهو الذهاب إلى الأمكنة المرتفعة. المفردات ص (٤٨٤).

(٢) قال الراغب: «... ثم استعمل في الإبعاد وإن لم يكن فيه اعتبار الصعود، كقولهم: تعال، فإنه في الأصل دعاءٌ إلى العلو، صار أمراً بالمجيئ، سواء كان إلى أعلى أو إلى أسفل. المفردات ص (٤٨٤).

(٣) قال القرطبي: والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح والسلاليم والدرج. الجامع (٤/ ٢٣٩). وانظر: مجاز القرآن ص (١٠٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٩)، وجامع البيان (٧/ ٣٠٠، ٣٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٨، ٤٧٩)، وتهذيب اللغة (٢/ ٦- ١٠)، والمفردات ص (٤٨٣، ٤٨٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١٩، ١٢٠)، واللسان (٢/ ٢٥١-٢٥٣).

من هرب من المؤمنين ذهبوا في الوادي[1]. وروى الحسن أنهم صعدوا في الجبل[2]، وقُرئ (تُصْعِدون) اعتباراً بالرواية الأولى و (تَصعَدون) اعتباراً بالرواية الثانية[3]، وإنمّا ذلك باعتبار علوِّ الإنسان في أمرٍ تحرَّاه، كقولك: أبعدت في كذا، وارتقيت في كذا كل مرتقى، فكأنه قيل: إذ تبعدون في استشعار الخوف،

---

(١) روى أثر قتادة الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٠١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٤) عن قتادة. وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٩) عن قتادة والربيع.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠١)، وتفسير السمرقندي (١/ ٣٠٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٥)، والكشاف (١/ ٤٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩١).

(٣) قال ابن جرير الطبري: واختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأ عامة قرأة الحجاز والعراق والشأم سوى الحسن البصري ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ بضم التاء وكسر العين، وبه القراءة عندنا؛ لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به واستنكارهم ما خالفه. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأه (إذ تَصْعَدون) بفتح التاء والعين. جامع البيان (٧/ ٣٠٠). وانظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٩)، والكشاف (١/ ٤٣١)، والتفسير الكبير (٩/ ٣٣)، وزاد بعض المفسرين على الحسن: أبا رجاء العطاردي، وأبا عبدالرحمن السلمي وقتادة واليزيدي. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٨٩).

الاستمرار على الهزيمة[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾[2] تعريض بهم في الهزيمة[3]، ونحوه. تحرّاه حسان[4] بقوله:

ترك الأحبةَ أن يُقاتل دونهم ونجا برأس طِمِرَّة وثّاب[5]

---

(١) هذا اختيار ابن قتيبة قال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ أي تبعدون في الهزيمة. تفسير غريب القرآن ص (١١٤)، ونسبه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٣٠٨) إلى القتيبي، وهو ابن قتيبة. واقتصر عليه الواحدي في الوسيط (١/ ٥٠٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٣) قال ابن جرير: «وأما قوله: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ فإنه يعني: ولا تعطفون على أحدٍ منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض؛ هرباً من عدوكم مصعدين في الوادي». جامع البيان (٧/ ٣٠٢). وقال الراغب: اللِّيُّ: فتلُ الحبل، يقال: لويته ألويه ليًّا، ولوى يده... ويقال: فلان لا يلوي على أحد، إذا أمعن في الهزيمة. المفردات ص (٧٥٢).

(٤) **حسان** بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، يكنى أبا الوليد، وقيل: أبا الحسام، وقيل: أبا عبدالرحمن، كان ينافح بشعره عن رسول الله ﷺ حتى قال له النبي ﷺ: «**اهجهم وجبريل معك**» عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام مثلها، وتوفي وهو ابن عشرين ومائة سنة، وكان ذلك سنة ٦٠هـ وقيل توفي سنة ٥٤هـ. انظر: الإصابة (٢/ ٥٥)، وتقريب التهذيب ص (١٥٧).

(٥) البيت في ديوان حسان بن ثابت ص (٢١٥) يعيّر به الحارث بن هشام في=

وقرأ الحسن: ﴿ وَلَا تَلُونَ ﴾[1] من ولي[2]، وقال بعضهم: هو خطأ[3]. ووجهه أن ذلك تبكيت لهم، وأنهم لم يلو ما وُلُّو بل أخلّوا، وقوله: ﴿ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾، أي هو بين جماعة المتأخرين منكم[4]. وروي أن رسول الله ﷺ كان يناديهم: «**يا عباد الله ارجعوا**»[5]. **إن قيل**: كيف قال ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾،

= فراره يوم بدر، وفيه (ولجام) بدل (وثاب). والطمَّرة: أنثى الفرس الجواد، وقيل: هو الفرس المستعد للعدو والوثب، وقيل: هو الطويل القوائم الخفيف. انظر: اللسان (٤/ ٥٠٣).

(١) قال السمين: وقرأ الحسن: (تَلُون) بواو واحدة، وخرجوها على أنه أَبْدل الواو همزة، ثم نقل حركة الهمزة على اللام، ثم حذف الهمزة على القاعدة، فلم يبق من الكلمة إلا الفاء وهي اللام. الدر المصون (٣/ ٤٤٠). وانظر توجيه ابن عطية لهذه القراءة في: المحرر الوجيز (٣/ ٢٦٦) وردّ أبي حيان عليه في البحر المحيط (٣/ ٨٩)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٥).

(٢) ذكر السمين الحلبي هذا الوجه فقال: والثاني أن يكون (تلُون) مضارع «ولي كذا» من الولاية، وإنما عدّى بـ«على» لأنه ضمّن معنى العطف. الدر المصون (٣/ ٤٤١).

(٣) قال ابن عطية: «والقراءة الشهيرة أقوى». المحرر الوجيز (٣/ ٢٦٦).

(٤) قال أبو عبيدة: (أخراكم): آخركم. مجاز القرآن ص (١٠٥). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٢)، والوسيط (١/ ٥٠٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٠٣) عن ابن عباس وقتادة=

والإثابة تُقال في المحبوب دون المكروه؟! قيل: قد قال بعضهم: إن ذلك يستعمل في المكروه على أحد وجهين: إمّا لأن الثواب في الأصل ما يرجع إلى الإنسان من ثمرة فعله خيراً كان أو شرّاً، ولكن تعورف في الخير، فإذا استعمل في المكروه فعلى اعتبار الأصل[1]. والثاني: أن ذلك على الاستعارة، وضرب من التهكُّم في كلامهم[2]، كقوله:

.... تحيةُ بينهم ضربٌ وجيع[3]

= والسدي. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٩٠) عن الحسن، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٣، ١٥٤) إلى من تقدم وزاد نسبته إلى عبد بن حميد. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٢٩) حيث زاد نسبته للربيع، وزاد المسير (١/ ٤٧٧).

(١) قال الفراء: الإثابة هٰهنا في معنى عقاب... وقد يقول الرجل الذي قد اجترم إليك: لئن أتيتني لأثيبنك ثوابك. معناه: لأعاقبنك. معاني القرآن (١/ ٢٣٩). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٤). وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠).

(٢) قال الرازي: «.. فإن حملنا لفظ الثواب هٰهنا على أصل اللغة استقام الكلام، وإن حملناه على مقتضى العرف كان ذلك وارداً على سبيل التهكم، كما يقال: تحيتك الضرب، وعتابك السيف...» التفسير الكبير (٩/ ٣٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٦، ٢٦٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٢)، والدر المصون (٣/ ٤٤٢)، وروح المعاني (٤/ ٩٢).

(٣) هذا عجز بيت لعمرو بن معدي كرب، وتمامه:

وقال بعض المحققين: إنما ذكر لفظ الإثابة هاهنا في الغمّ، لأن غمّهم وإن كان مكروهاً بالطبع فهو ثوابٌ من الله من وجه، لأنه كان سبب تهذيب نفوسهم، الذي بيّنه تعالى بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[1]، وكل أمر يؤدي بالإنسان إلى أن يجعله بحيث لا يقلقه فوت مطلوب وفقد محبوب فيا له من ثواب[2]، ولهذا قال حكيم: جماع الزهادة في قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[3] فقوله: ﴿غَمًّا﴾ من المفسرين

= وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

والبيت من بحر الوافر، ودلفت: زحفت. ويستشهد بهذا البيت على التنويع، «وهو ادعاء أن مسمى اللفظ نوعان: متعارف وغير متعارف على طريقة التخييل بأن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلا عنه منزلته بدون تشبيه ولا استعارة» خزانة الأدب (٩/ ٢٥٨)، والبيت في ديوان الشاعر (١٣٧)، الكتاب (٢/ ٣٢٢)، والمقتضب (٢/ ٢٠)، والخصائص (١/ ٣٦٨)، شرح أبيات سيبويه للنحاس ص (١٦٣)، وللسيرافي (٢/ ١٤٢)، والخزانة الشاهد رقم (٧٣٧).

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٢) ذكر البقاعي نحواً من هذا القول، فقال: «وسماه وإن كان في صورة العقاب باسم الثواب، لأنه سبباً للسرور، حين تبين أنه ـ أي خبر قتل الرسول ﷺ ـ خبر كاذب، وأن النبيّ ﷺ سالم، حتى كأنهم ـ كما قال بعضهم: لم تصبهم مصيبة، فهو من الدواء بالداء». نظم الدرر (٢/ ١٦٨).

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

من اعتبر الغمّين بالمسلمين وقال: / **أحدهما**: ما وصل إلى قلوبهم [٢٢٥/أ] من الفشل. **والثاني**: الخوف[١]. وقيل: **أحدهما**: مخالفتهم للنبي ﷺ. **والثاني**: فوت الغنيمة[٢]. وقيل: ما سمعوا من قتل النبي ﷺ[٣]، وقيل: إشراف أبي سفيان عليهم[٤]، والوجه: أن كل

---

(١) وكان الخوف نتيجة إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم، ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل. قال ابن عباس رضي الله عنه: فكان غم الهزيمة؛ وغمهم حين أتوهم. رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٩١)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٩٤).

(٢) قال البغوي: وقيل: إنهم غموا الرسول ﷺ بمخالفة أمره، فجازاهم الله بذلك الغمّ غمَّ القتل والهزيمة. معالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، وهذا اختيار ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٣١٣). وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٥، ٣٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٩١)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٦-٣١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٩١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٧)،=

ذلك مراد، لأنه ليس يعني بذلك غمّين، بل غموماً كثيرة متتابعة متوالية[1] كقولهم: لبّيك[2] وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3] أي نعمه متوالية[4]، ومنهم من اعتبر أحد الغمين بالمسلمين

= والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٠)، والبحر المحيط (٣/ ٩٠، ٩١).

(١) ذكر ذلك الفخر الرازي في التفسير الكبير (٩/ ٣٤)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٣).

(٢) قال ابن السكيت: «أي: إلبابا بعد إلباب، أي لزوما لطاعتك بعد لزوم، يقال: ألب بالمكان ولبَّ به إذا أقام به ولزمه» إصلاح المنطق ص (١٥٨). وقال ابن الأثير: لبيك: هو من التلبية، وهي إجابة المنادي، أي إجابتي لك يا رب... ولم يُستعمل إلا على لفظ التثنية في معنى التكرير، أي إجابة بعد إجابة. النهاية (٤/ ٢٢٢). وانظر: الزاهر (١/ ١٠٣).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) خالف الراغب بذلك مذهب أهل السنة والجماعة بتأويله صفة اليدين لله تعالى إلى معنى النعمة، موافقاً بذلك الأشاعرة في تأويل الصفات. أما أهل السنة والجماعة فيثبتون لله تعالى يدين حقيقيتين لائقتين بذاته سبحانه وتعالى، لا تشبهان ما للمخلوق من جارحة؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كثيراً. قال الطبري « ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ يقول: بل يداه مبسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه، غير مغلولتين ولا مقبوضتين» جامع البيان (١٠/ ٤٥٣). وقال شارح الطحاوية: وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات، فيتسلّط بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية كاليد والوجه. ثم نقل عن أبي حنيفة أنه قال: له يدٌ ووجه ونفس كما ذكر=

والآخر بالكافرين. فقال: أنالوكم مثل ما أنلتموهم[1]، تنبيهاً على معنى قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3] أي عالم به يخبركم به[4]، تنبيهاً على ما قال: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ

= تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يُقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة. شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٦٤)، وانظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة بشرح القاري ص (٣٦، ٣٧).

(١) هذا القول محكي عن الحسن رضي الله عنه، ذكره: الماوردي في النكت (١/ ٤٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٧٩)، والقرطبي في الجامع (٤/ ٢٤٠)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٢)، وأبو حيان في البحر (٣/ ٩١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٤) قال أبو علي الفارسي: أخذ هذه الكلمة أبو إسحاق ـ الزجاج ـ من قولهم: خبرتُ الأرض، إذا شققتَها، وفلان خبير بالشيء إذا كان عالماً به... قال أبو علي: وهو عندنا من الخبر الذي يُسمع، لأن معنى الخبير: العالم. تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق الزجاج ص (٤٥).

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٨.

﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ. . .﴾[1] الآية.

قرئ تغشى ردًّا على لفظ أمنة، ويَغْشى إلى لفظ نُعاسًا[2]، وقُرئ كلُّه على الابتداء، وكلَّه على التأكيد[3]، وقيل: السبب في نزولها أن يوم أُحُد تواعد المشركون بالرجوع، وكان المسلمون

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤. ونصُّها: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

(٢) قال ابن زنجلة: «قرأ حمزة والكسائي: (تغشى) بالتاء والإمالة ردًّا على الـ(أمنة)... وقرأ الباقون (يغشى) بالياء إخباراً عن النعاس. حجة القراءات ص (١٧٦). وقال الأزهري: «من قرأ بالتاء فللأمنة، ومن قرأ بالياء فللنعاس وكل ذلك جائز» معاني القراءات ص (١١١). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣١٥، ٣١٦)، والمبسوط ص (١٤٨)، والغاية ص (٢١٨)، وغاية الاختصار ص (٤٥٤)، والنشر (٢/ ٢٤٢). وزادوا جميعاً خلفاً على حمزة والكسائي.

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾. قال ابن زنجلة: «قرأ أبو عمرو: (قل إن الأمر كلُّه لله) برفع اللام وقرأ الباقون بالنصب، فمن نصب فعلى توكيد «الأمر»، ومن رفع فعلى الابتداء، ولله الخبر...» حجة القراءات (١٧٧). والرفع أيضاً قراءة يعقوب من العشرة. وانظر: المبسوط (١٤٨)، والتلخيص (٢٣٦)، والنشر (٢/ ٢٤٢)، والحجة (٢/ ٣٩١- ٣٩٢).

متهيئين للقتال، فأنزل الله تعالى على المؤمنين أَمَنَةً[1] فنام بعضهم، ونفى عن المنافقين الأمنة، فسهروا منزعجين[2]، فمن حمل النوم على الحقيقة[3] قال: جعل ذلك رأفةً بهم[4]،

(١) قال ابن جرير: أمنةً وهي الأمان على أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك. ثم بين جلّ ثناؤه عن (الأمنة) التي أنزلها عليهم ما هي؟ فقال: (نعاساً) بنصب النعاس على الإبدال من الأمنة. جامع البيان (٧/ ٣١٥).

(٢) قال ابن إسحاق: أنزل الله النعاس أمنة على أهل اليقين به، فهم نيام لا يخافون، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية تخوف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة. السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٦). وانظر: جامع البيان (٧/ ٣١٦-٣١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٣، ٧٩٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢١).

(٣) وهذا هو الصواب الذي عليه المفسرون كافة، انظر ماسبق، وبحر العلوم (١/ ٣٠٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٠)، والوسيط (١/ ٥٠٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ٩٢، ٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٥)، ونظم الدرر (٢/ ١٦٩).

(٤) في الأصل: (لهم) والصواب ما أثبته. وقال النيسابوري: وكان في ذلك النعاس فوائد: . . . ومنها: أن الأرق والسهر يوجبان الفتور والكلال، والنعاس يجدد القوة والنشاط. . . ومنها أن الأعداء كانوا حراصاً متهالكين في قتلهم، فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من أدلّ=

وتخصيص النعاس تنبيه على صيانتهم من الحالة المذمومة من الامتلاء من النوم[1]، ومنهم من جعله استعارة لطمأنينة جأشهم، وزوال خوفهم، وذلك لما ترى من حال المطمئن، ويوصف المغموم بالسهر[2]، ومنهم من تجاوز ذلك، وقال: إنّه لّما ذكر في الأول قوله: ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾[3] بيّن هاهنا أنه تعالى هذّب طائفة من المؤمنين، حتى صارت نفوسهم آمنة مطمئنة تحت قضاء الله، وهذه حالة الرضى، فقد قيل: الرضى أن يكون العبد ساكنا تحت قضاء الله، مطمئناً عند كل وارد سَرَّ أم ساء[4]، وهذه الحال ادّعاها الشاعر صادقاً أو كاذباً في قوله:

= الدلائل على حفظ الله وكلاءته معهم. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٤).

(١) لأن النعاس هو الوسن وأول النوم. انظر: النهاية (٥/ ٨١).

(٢) تقدم أن قول كافة المفسرين هو حمل النوم على الحقيقة، ولم أقف على صاحب هذا القول الآخر، إلا أن النيسابوري قال: «ومن الناس من زعم أن ذكر النعاس هٰهنا كناية عن غاية الأمن، وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير ضرورة، مع أن منه إبطال الفوائد والحكم المذكورة» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٤) وهذا أيضاً يرجع إلى القول السابق، وفيه مخالفة للكافة من أهل التأويل، وصرف للألفاظ عن مدلولها بلا حاجة.

فســـرَّ ولـــم ابتهـــج وســـاء ولـــم أشتكـــي[1]

وقوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[2] تنبيه على خبث أنفسهم، وأنها أمّارة بالسوء، وذاك أن المنافق شرير[3]، والشرير لم تتهذب نفسه وأحواله من الغضب والشهوة والحرص وسائر الرذائل، وكأن ما معه عدو يؤذيه، ولهذا لا يمكنه أن يخلو بنفسه، لأنه لا يجد شاغلًا له، وكأنه خُلِّيَ مع أُسود وأساود[4]، وقوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ تنبيه على جهلهم وعدم معرفتهم بحكمة الله ونعمته في قهر الكفار للمسلمين في بعض الأحوال، وأنها نعمة. وظنُّهم غير الحق: ظنُّهم أن النبي ﷺ لم يَصدُقهم، ويأسهم من نصرة الله تعالى[5]، وقوله: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ أي ظن

---

(١) لم أقف على قائل هذا البيت.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) ذكر المفسرون أن هذه الطائفة هم المنافقون الذين لا يهمهم إلا أنفسهم، انظر: جامع البيان (٧/ ٣٢٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٠٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٠)، والوسيط (١/ ٥٠٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢).

(٤) أسود: جمع أسد، وأساود: جمع أسود والأسودُ: حيّة عظيمة من أخبث الحيات وأعظمها، انظر: النهاية (٢/ ٤١٩)، والقاموس ص (٣٧١).

(٥) قال ابن جرير: يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكًّا في أمر الله، وتكذيباً لنبيّه ﷺ، ومَحْسبةً منهم أن الله خاذل=

الكفار[١]، تنبيهاً أن هؤلاء المنافقين بعدُ في حيّز الكفار، وفي قِلّةِ معرفتهم الله بحكمة الله تعالى، وأنهم لا يعرفون الخير والنعمة إلا المال والجاه والغلبة الدنيوية، فإذا فاتهم ذلك ساء ظنُّهم، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ﴾، أي: هل لنا طمع في الغلبة، تنبيهاً أنهم استشعروا اليأس الذي يستشعره القوم الكافرون[٢]، فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي الغلبة في الحقيقة له ولأوليائه، فإن حزب الله هم الغالبون، وقيل: عنى بالأمر الاستئمار، أي لو شُووِرنا لأشرنا بترك هذا المورد[٣]، فقال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي هو أعرف

= نبيه، ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به. جامع البيان (٧/ ٣٢٠)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٥)، والبحر المحيط (٣/ ٩٤).

(١) قال ابن جرير: ﴿ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ يعني أهل الشرك (٧/ ٣٢١). وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٠٩)، والوسيط (١/ ٥٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٥).

(٢) قال الواحدي: هذا استفهام معناه الجحد، أي ليس لنا من النصر والظفر شيء كما وعدنا، بل هو للمشركين، يقولون ذلك على جهة التكذيب. الوسيط (١/ ٥٠٧). وانظر: تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (١/ ٣٠٩).

(٣) قال النيسابوري: يعنون رأي عبدالله بن أُبي، وأن النبيّ ﷺ لم يقبل قوله=

بالتدبير[1]، وقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ معناه لولا أنا أكرهنا لما خرجنا[2]، وفصل بين الحكايتين/ [٢٤٥/ب] عنهم، أعني ﴿هَل لَّنَا﴾ وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ بجملتين: **إحداهما**: جواب لهم، وهي قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾. **والثانية**: تنبيه على ما في ضمائرهم، وهي قوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾، ولمّا فصل بينهما أُعيد في الحكاية عنهم لفظ ﴿يَقُولُونَ﴾ لئلا تشتبه الحكاية عنهم بما هو إخبار منه تعالى[3]، ....

= حين أمره أن يسكن في المدينة ولا يخرج منها، ونظيره ما حكي عنه ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨]. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٥). وانظر: التفسير الكبير (٩/ ٣٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

(١) قال البيضاوي: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي الغلبة الحقيقية لله تعالى ولأوليائه، فإن حزب الله هم الغالبون، أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض. أنوار التنزيل (١/ ١٨٥). وانظر: زاد المسير (١/ ٤٨١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٥٠٧).

(٢) ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أنهم قالوا ذلك سرًّا. تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٥). وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧١)، وزاد المسير (١/ ٤٨١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٧)، والبحر المحيط (٣/ ٥٠٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

(٣) قال البيضاوي: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي في أنفسهم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، وهو بدل من (يخفون)، أو استئناف على وجه البيان له. أنوار التنزيل (١/ ١٨٥).

وقال بعض المعتزلة[1] : عنى بقوله : ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ أنه كقوله : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾[2] وهذا إن كان كما قاله هذا القائل ، فقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ تصديقٌ لهم ، وقوله : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ ﴾[3] تكذيب لهم ، وأنه محالٌ أن لا يُقتلوا مع أن قتلهم بذلك المكان جارٍ في قضائه وتقديره[4] ، وقد حُمِلَ ذلك على وجهين : إما أنَّ من قُدِّر له القتل لو لم يخرج لأتاه القتل ، وهو في مضجعه في داره[5] ،

---

(١) المعتزلة : فرقة كلامية سميت بذلك لاعتزالهم قول الأئمة ، وادعائهم أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر ، وكان هذا الرأي قد صدر عن واصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري ، فطرده الحسن ، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة ، فقيل له ولأتباعه «معتزلة» . انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٢٠ ، ٢١ ، ١١٤ ، ١١٥) . والتبصير في الدين للإسفراييني ص (٦٣-٦٥) . واعتقادات فرق المشركين والمسلمين للرازي ص (٢٧-٢٩) . والبرهان للسكسكي ص (٤٩-٥١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ .

(٤) قال ابن عطية : الآية ردٌّ على الأقوال ، وإعلام بأن أجل كلّ امرئٍ إنما هو واحد ، فمن لم يقتل فهو يموت لذلك الأجل على الوجه الذي قدَّر الله تعالى . المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٢) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٣) ، النكت والعيون (١/ ٤٣١) ، والوسيط (١/ ٥٠٨) ، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٦٩) ، وتفسير=

والثاني: أنه لو كنتم أيها المؤمنون قعدتم في بيوتكم، ولم تخرجوا للمحاربة لخرج من قُدِّر له القتل بسبب خفي إلى مضاجعهم في الحرب أي مصارعهم فيُقتلون[1]، تنبيهاً أن قضاء الله وتقديره وعلمه لا يتغير، وأنه لا ينفع حذرٌ من قدر، وإلى هذا أشار الشاعر بقوله:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجةٌ أو تطرب[2]

وقال الأصمّ معناه: لو كنتم أيها المنافقون في بيوتكم، ولم تخرجوا لبرز المسلمون الذين كتب عليهم أي أوجب أن يقاتلوا محتسبين[3]، ويكون هذا ثناء من الله تعالى على من[4] استُشهد. إن قيل: ما حقيقة الابتلاء والفصل بينه وبين المحص؟ قيل: الابتلاء

= غرائب القرآن (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٩٦)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٦)، ونظم الدرر (٢/ ١٧٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٠٢)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٧).

(١) وجه كافة المفسرين الخطاب في الآية إلى المنافقين، ولم أجد من ذكر أن الخطاب موجه إلى المؤمنين، كما ذكر الراغب في هذا الوجه.

(٢) البيت لأبي الشيص الخزاعي، انظر ديوانه ص (٣١).

(٣) انظر هذا الوجه في: النكت والعيون (١/ ٤٣١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٢)، والتفسير الكبير (٩/ ٤١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٩٧).

(٤) في الأصل (ما) والصواب ما أثبته.

في الأصل هو الاختبار، الذي يفصل به بين الخير والشر[1] فهو اسم الفعل مبدأ ونهاية، فمبدؤه الاختبار، ونهايته الفصل بين الخير والشر إذا استُعمل في الله تعالى، فإنّه يُراد به النهاية دون المبدأ، الذي هو التوصل إلى الفصل[2]. وأما التمحيص فإزالة ما قد انفصل من الخير عن الشرّ[3]. وكان المقصود به ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[4]. إن قيل: على

---

(١) قال ابن منظور: «ابتلاه الله: امتحنه. . . والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاءً حسناً، وبلاءً سيئاً» لسان العرب (١٤/ ٨٤). وانظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٩٠، ٣٩١)، والصحاح (٦/ ٢٢٨٤، ٢٢٨٥)، والمفردات ص (١٤٦).

(٢) قال الراغب: «وإذا قيل ابتلى فلان كذا وأبلاه، فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله، والوقوف على ما يُجهل من أمره، والثاني ظهور جودته ورداءته. . . فإذا قيل في الله تعالى: بلا كذا وأبلاه، فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله، والوقوف على ما يُجهل من أمره، إذ كان الله علّام الغيوب. . . » المفردات ص (١٤٦).

(٣) قال الأزهري: قال الليث: المحصُ: خلوصُ الشيء تقول: محصته محصاً، إذا خلّصته من كل عيب. . . والتمحيص: التطهير من الذنوب. . . والمحص في اللغة: التلخيص والتنقية. تهذيب اللغة (٤/ ٢٧١)، والصحاح (٣/ ١٠٥٦)، والمفردات ص (٧٦١)، (٧/ ٨٩، ٩٠).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٧.

ماذا عُطف قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ﴾؟ ولِمَ كرّر الابتلاء بعد أن ذكره في قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾؟ ولِمَ علّق الأول بالذات كلها، والثاني بما في الصدور؟ وما الفرق بين قوله: ما في الصدور، وبين قوله: ما في القلوب، وخصّ ما في القلوب بالتمحيص؟ **قيل**: أما ما عطف الابتلاء فعلى قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾، وفصل بينهما بما هو تسديد الكلام وإشباع للمعنى، وهذا جائز، وقد تقدم الكلام في نحوه، ويجوز أن يتعلق بمضمرٍ دلَّ عليه ما تقدم من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾[1]، وأما تكريره وتعليق الأول بالذات، والثاني بما في الصدور، فإن الله تعالى تكليفين: الأحكام والمكارم كما تقدم، والأحكام قبل المكارم، وجُلُّها متعلِّق بالضمائر، وعملُ الجوارح فيها قليل، فحيث

(١) ذكر السمين الحلبي خمسة أوجه في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ﴾ «أحدها: أنه متعلق بفعل قبله تقديره: فرض الله عليكم القتال، ولم ينصركم يوم أحد ليبتلي ما في صدوركم. وقيل: بفعل بعده أي ليبتلي فَعَل هذه الأشياء. وقيل: الواو زائدة، واللام متعلقة بما قبلها. وقيل: (وليبتلي) عطف على (ليبتلي) الأولى، وإنما كررت لطول الكلام، فعطف عليه (وليمحص) قاله ابن بحر. وقيل: هو عطف على علة محذوفة تقديره: ليقضي الله أمره وليبتلي. . .» الدر المصون (٣/ ٤٥٠، ٤٥١). وانظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٨)، والبحر المحيط (٣/ ٩٧).

ما أراد منهم الحكم وهو الثبات في الحرب والجد بالجوارح، علّق الابتلاءَ بالجملة، وحيث ما قصد المكارم من إصلاح الضمير، من نقض الحزن ورفض الذعر ذكر الصدر، وحينما ذكر الإيمان المحض ذكر القلب، وكل موضعٍ يذكر الله في القرآن العقل، والإيمان، فإنه يخصُّ ذكر القلب، وإذا أراد[1] ذلك وسائر الفضائل والرذائل ذكر الصدور، وهذا إذا اعتُبر بالاستقراء انكشف، نحو قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3]، وقوله: ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[5]، وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[6]، وقوله: ﴿فِى/ [٢٤٦/أ] صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[7]، ولما كان التمحيص أخصَّ من الابتلاء كما تقدم خصّه بالقلب، وهذه الأحوال الثلاث يترتب بعضها على بعض، فبإصلاح العمل يُتوصل إلى إصلاح ما في الصدور

---

(١) في الأصل: (ارا) بدون دال، والصواب ما أثبته.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٧) سورة الناس، الآية: ٥.

من الشهوة والغضب، وبهما وبإصلاح ذلك يَتوصل إلى إصلاح ما في القلوب من الاعتبارات التي لا يعتريها شكّ وريب، وذلك ما يبلغه العبد، وبه يستحق اسم الخلافة لله المذكور في قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي عالم بجميع ما ينطوي عليه من الضمائر الطيبة والخبيثة[1]، وخصَّ الصدور دون القلب إذ هي أعم[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ..﴾[3] الآية. ....

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٢٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٧).

(٢) قال الألوسي: «... إن ذات الصدور بمعنى الأشياء التي لا تكاد تفارق الصدور لكونها حالّة فيها، بل تلازمها وتصاحبها أشمل من ذات القلوب، لصدق الأولى على الأسرار التي في القلوب وعلى القلوب أنفسها، لأن كلًّا من هذين الأمرين ملازم للصدور باعتباره حالاً فيها دون الثانية، لأنها لا تصدق إلا على الأسرار، لأنها الحالة فيها دون الصدور، فحينئذ يمكن أن يراد من ذات الصدور هذا المعنى الشامل، ويكون التعبير بها لذلك» روح المعاني (٤/ ٩٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥. ونصُّ الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

قال السدّي: هو خاصٌّ في الذين انهزموا إلى المدينة[١]. وقال عمر وبه قال الربيع وقتادة: بل في الذين ولّوا المشركين أدبارهم[٢]، فيكون عامًّا فيمن أبعد ومن لم يبعد، وبيّن أن الشيطان استزلهم بخطيئة كانت منهم، قال الزجاج: إنما أذكرهم خطايا سلفت لهم، فكرهوا أن يُقتلوا قبل أن يتوبوا[٣]، وقيل: بل كان منهم خطيئة صارت مسهلة لسبيل الشيطان إليهم[٤]، فإن الإنسان إذا حصّن ثغره بالعمل الصالح والعلم فقد سدَّ طريق الشيطان على

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسير جامع البيان (٧/ ٣٢٨، ٣٢٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣١).

(٢) قول عمر بن الخطاب رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٢٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٧) وعزاه لابن جرير. وقول الربيع رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٢٨)، وقول قتادة رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٢٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٧) وعزاه لابن جرير وعبد بن حميد. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٣١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨١) وعبارة الزجاج: «وإنما أذكرهم الشيطان خطايا كانت لهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها».

(٤) قال النيسابوري: المعنى أنه كان قد صدر عنهم جنايات، فبواسطة تلك الجنايات، قدر الشيطان على استزلالهم في التولي. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٨)، وانظر: الكشاف (١/ ٤٣٠)، والبحر المحيط (٣/ ٩٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٠٣)، وروح المعاني (٤/ ٩٨).

نفسه، ومتى اهمل ثغره سَهَل سبيل عدوِّه إليه، وجعل له ثلمة[1] يدخل منها عليه، وذلك بأن يُفسد إرادته، وبيّن أنه تعالى عفا عنهم، وقيل: ذلك بحلمه[2] عن تعجيل عقوبتهم[3]، وقيل: بل بالغفران عنهم عاجلًا وآجلًا، وهو الصحيح، لأنه جعل علة عفوه الأمرين، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾[5] الآية.

---

(١) ثُلمة: الثُّلمة بالضم: فرجة المكسور والمهدوم. القاموس ص (١٤٠٢).

(٢) تصحفت في الأصل إلى (بحمله) والصواب ما أثبته.

(٣) ذكره ابن عطية عن ابن جريج. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٤)، واختاره السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٣١٠).

(٤) قال أبو حيان: «الجمهور على أن معنى العفو هنا هو حطُّ التبعات في الدنيا والآخرة... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي غفور الذنوب، حليم لا يعاجل بالعقوبة، وجاءت هذه الجملة كالتعليل لعفوه تعالى عن هؤلاء الذين تولوا يوم أحد...» البحر المحيط (٣/ ٩٩) وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦. ونصُّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الذين كفروا عام[1]، وإن كان قد قال السدّي: عُني به عبدالله بن أُبيّ وأصحابه[2]، والضرب في الأرض: الإبعاد في السفر[3]، وغُزًّى: جمع غازٍ، نحو شُهّد وقُوّل في شاهد وقائل[4]، وإخوانهم: من سلك طريقهم في الكفر والنفاق[5]، والحسرة:

---

(١) وبذلك فسرها الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٣٠)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٦)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٩٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٩٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٨) وعزاه إليهما. وانظر: البحر المحيط (٣/ ٩٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: العين (٧/ ٣٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٦)، وتفسير غريب القرآن (١١٤)، والمنتخب (١/ ٢٨).

(٤) انظر: العين (٤/ ٤٣٤)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٢٦)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٦)، وتفسير غريب القرآن (١١٤)، وغريب القرآن للسجستاني (٣٥٤).

(٥) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٣٠)، وبحر العلوم (١/ ٣١٠)، والوسيط (١/ ٥١١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٦). «وذكر ابن عطية وأبو حيان أن المراد بالأخوة هنا هي أخوة النسب، ذلك لأن قتلى أحد كانوا من الأنصار وأكثرهم من الخزرج، ولم يكن فيهم من المهاجرين إلا أربعة...» انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٥)، والبحر المحيط (٣/ ٩٩).

الغمّ على ما فات، وأصلها الإعياء عن إدراك المطلوب، وسُمّي الغمُّ بذلك: إذ لا يفيد الإعياء[(١)]، وعلى هذا قيل:

.... إن ليتاً وإن لوًّا عناء[(٢)]

إن قيل: إذا كان الإخوان هم المقول لهم، فالوجه أن يُقال: لو كنتم، لأنه يُقال: قلت لزيد: لو فعلت كذا، ولا تقول فَعَلَ وأنت تعنيه، قيل معناه: قال بعضهم لبعض لأجل إخوانهم[(٣)]، أو يعني قالوا لبعض إخوانهم إذا ضرب بعضهم في الأرض لو كان الضاربون في الأرض عندنا. وتقدير الكلام: إذا ضربوا في الأرض فماتوا أو كانوا غُزًّى فقتلوا: لو ظَلُّوا[(٤)] عندنا لما حدث

---

(١) انظر: العين (٣/ ١٣٣-١٣٤)، ومجاز القرآن (١/ ١٠٧)، وغريب القرآن للسجستاني (١٨٦، ١٩٧، ٢١٢، ٤١٩).

(٢) هذا عجز بيت لأبي زيد الطائي، وتمامه:

ليت شعري وأين مني ليت ... إن ليتا وإن لـوًّا عنـاء

والبيت من بحر الخفيف. هو في ديوان الشاعر (٢٤، ٥٧٨)، والجمهرة (١/ ١٢٢)، والمفردات (٧٥٠)، ومجمع البلاغة (٢/ ٦٧٦)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٥٣٨).

(٣) وتكون اللام على هذا الوجه هي التي تبين المفعول لأجله الفعل. انظر: اللامات (١٥٠-١٥٣)، وشرح التسهيل لابن مالك (٣/ ١٤٤).

(٤) تصحفت في الأصل إلى (حصلوا)، والصواب ما أثبته.

ذلك بهم[1]، وبيّن الله تعالى أن ذلك لا يثمر لهم إلا حسرة في قلوبهم مع العلم بأن الله هو المحي والمميت، وعلى نحوه قال أبو ذؤيب:

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت ... نُشيبة والطرّ أو يكذب قيلُها
ولو أنني استودعته الشمس لارتقت ... إليه المنايا عينُها أو رسولها[2]

إن قيل: لِمَ قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ولو علّق ذلك بالسماع لكان أليق، لأن ما كان منهم قول مسموع لا فعل مرئي؟ قيل: لما كان قول الكافرين ذلك قصداً منهم إلى عمل يجادلونهم خصَّ البصر، كقولك لمن يقول شيئاً وهو يقصد به فعلًا يحاوله: أنا أرى ما يفعله[3]، إن قيل: إذا للمستقبل، وقد جُعِل ظرفاً لقوله قالوا، ولا يجوز أن يقول: جئتك إذا زرتني، فما وجه ذلك؟ قيل: إذا متى لم يُقصد به وقت معين، كان متضمّناً للشرط، فيكون الفعل الذي هو في تقدير جوابه بمعنى/ [٢٤٦/ب]

---

(١) ذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٩٩). وانظر: الكشاف (١/ ٤٣٠)، والدر المصون (٣/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٢) هذان بيتان من بحر الطويل من قصيدة لأبي ذؤيب يرثي بها ابنه (نشيبة). انظر: ديوان الهذليين (١/ ٣٣).

(٣) قال الألوسي: «وما يعلمون عام متناول لقولهم المذكور، ولمنشئه الذي هو اعتقادهم، ولما ترتب على ذلك من الأعمال، ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع. . .» روح المعاني (٤/ ١٠٤).

الاستقبال، وكأنه قيل: إن ضربتم في الأرض، أو كلما ضربتم[1] قالوا، واللام: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ﴾ لام العاقبة[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .﴾[3] الآية.

يقال: مِت ومُت، والضم أقيس، والكسر كثير[4]، والآيتان

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٣-٢٤٤)، والأضداد ص (١٢١)، والمسائل البصريات (٢/ ٨٩٠)، الجنى الداني ص (٣٧٠)، وجامع البيان (٧/ ٣٣٣- ٣٣٥)، وقد ذهب الفراء والطبري إلى ما ذهب إليه المؤلف. ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٥)، وفيه توجيه آخر وهو أن (إذا) «ينوي عما مضى من الزمان وما يستقبل جميعاً. . . ولم يقل هنا: إذْ ضربوا في الأرض؛ لأنه يريد: شأنهم هذا أبداً. . .» والتبيان (١/ ٣٠٤) وفيه توجيهان آخران: أحدهما أن (إذا) تراد بها الحكاية، والثاني: أن يكون (كفروا) و(قالوا) فعلين ماضيين أريد بهما الاستقبال.

(٢) وتُسمى لام الصيرورة ولام المآل، ويؤتي بها لبيان ما يؤول إليه الأمر. انظر: اللامات (١٢٥)، والجنى الداني (٩٨، ١٢١)، وشرحه التسهيل لابن مالك (٣/ ١٣٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٠، ١٠١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٨٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٠٣، ١٠٤).

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨ ونصهما: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.

(٤) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم برواية شعبة ويعقوب (مُتُّم) بضم الميم في كل القرآن. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف (مِتُّم)=

تضمنتا إلزاماً[١] هو جار مجرى قياسين شرطيين[٢] اقتضيا الحرص

= بكسرها في القرآن كذلك. وقرأ حفص عن عاصم في هذين الموضعين من هذه السورة (أو مُتم)، (ولئِن مُتُّم) بضم الميم، وباقي المواضع بالكسر، وقال أبو منصور الأزهري: «القراءة العالية، واللغة الفصيحة: (مُتّ) و(مُتْنا) ومن العرب من يقول: مات يمات. ومثله: دمت أدوم، ودِمْتُ أدام، والقراءة بكسر الميم من (مِتُّ) فاشية وإن كان الضم أفشى» معاني القراءات ص (١١٢)، وحجة من ضم الميم أنه من مات يموت على مثال فَعَل يَفْعُل، مثل قال يقول ودام يَدوم، فكما يقال: قلت ودمت بضم الحرف الأول ولا يكسر كذلك ينبغي ضم الميم من (مُتّمْ)، ولهم حجة أخرى وهي أن القرّاء اتفقوا على ضم الفعل في المضارع فقرؤوا: ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ «ولو كان على اللغة الأخرى يقال: (تماتون)، و(يوم أمات)» وحجة من كسر الميم أنه يقال: مِتَّ تموت ودِمْتَ تدوم (فَعِل يَفْعُل) مثل فَضِل يَفْضُل. وأيضاً يجوز أن يقال: إنها من مِتَّ تمات مثل سَمِع يسمع، إلا أنه لم يجئ يمات في المستقبل. على عادة العرب في استعمال بعض الكلمات بلفظ وعدم قياس ما تصرف منها عليه. مثل: (رأى) همزوه في الماضي وتركوا همزه في المضارع. انظر: المبسوط (١٤٨)، والحجة (٢/ ٣٩٣-٣٩٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة (١٧٨-١٧٩)، والتلخيص (٢٣٦)، والنشر (٢/ ٢٤٤ - ٢٢٥).

(١) لعله يقصد التلازم عند المنطقيين الذي هو امتناع الانفكاك عن الشيء. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٣٠٤).

(٢) القياس عند المناطقة قسمان: استثنائي واقتراني، والاقتراني قسمان: =

على القتل في سبيل الله، وبيانه ما أقول: إن قُتلتم في سبيل الله أو متم فيه حصلت لكم المغفرة والرحمة تنبيهاً أنه أوجبهما للثواب، ولمّا عنى في الثانية الموت المطلق والقتل العارض قدم أبينهما عندهم إذ لابد منه، فكأنه قيل: إن حصل ما لابد منه بوجه وهو الموت حتف الأنف، أو ما هو عارض، وعندكم أنه قد يكون منه خلاص، وهو القتل، فالحشر لا محالة حاصل[1].

قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ. . . ﴾[2] الآية.

= حملي وشرطي، والقياس الاقتراني الشرطي: هو المركب من القضايا الحملية البسيطة، والقضية الحملية هي التي لا يكون فيها المحمول والمحمول عليه قضيتين عند التحليل. أي عند حذف ما يدل على العلاقة بينهما. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١١٩٢، ١٢٣٦).

(١) انظر البحر المحيط (٣/ ١٠٣). وقد نقل أبو حيّان هذه الفقرة بكاملها، ونسبها إلى الراغب مع زيادة مهمّة توضح المعنى، فقال: «إن قتلتم في سبيل الله أو متمّ فيه حصلت لكم المغفرة والرحمة، وهما خيرٌ مما تجمعون، فإذن الموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون، ولئن متم أو قتلتم فالحشر لكم حاصل، وإذا كان الموت والقتل لابد منه والحشر، فنتيجة ذلك أن القتل والموت اللذين يوجبان المغفرة والرحمة خير من القتل والموت الذين لا يوجبانهما».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩. ونصها: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.

قال النحويون (ما) زائدة[1]، وعلى هذا ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾[3]، وأفاد التأكيد[4]، ووجه تأكيده أنه نكرة تدل على إبهام ما عُلِّق به، وإبهامه يقتضي التعجب، فكأنه بعظيم من رحمته ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ واللّين عبارة عن حسن الخلق، وحسن الكلام بالصفو والزلال[5]، حتى قال الشاعر:

---

(١) قال الزجاج: «ما بإجماع النحويين هٰهنا صلة لا تمنع الباء من عملها فيما عملت. المعنى: فبرحمة من الله لنت لهم. معاني القرآن (١/ ٤٨٢). وانظر: كتاب سيبويه (٣/ ٧٦)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢٠)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٤، ٢٤٥)، وجامع البيان (٧/ ٣٤٠، ٣٤١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤١٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٨)، والتبيان (١/ ٣٠٥)، والدر المصون (٣/ ٤٦١).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٤) ذكر إفادة (ما) التأكيد الزجاج في معاني القرآن (١/ ٤٨٢)، وقال الجمل: قوله: «ما زائدة» أي فاصلة غير كافة للتأكيد، أي فبرحمة عظيمة، ونظيره: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾... والعرب قد تزيد في الكلام للتأكيد ما يستغنى عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] فزاد أن للتأكيد». الفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٩). وانظر البحر المحيط (٣/ ١٠٣، ١٠٤)، والدر المصون (٣/ ٤٦١).

(٥) قال الجوهري: اللين ضدُّ الخشونة، وقومٌ لَيْنون وأَلْيناء... واللَّيان=

.... فتى مثل صفو الماء ليس بباخل[1]

استعمل في ضدِّه الفظاظة[2]. وغلظ القلب: عبارة عن قلة الرحمة. وبإزائه رقّة القلب[3]، والانفضاض: التفرق[4]، وانفضَّ وارفضَّ يتقاربان إلا أن انفضَّ اعتباراً بانكسار بعضهم عن بعض، وارفضَّ اعتباراً[5] برفض بعضهم بعضاً، والمشاورة: استخراج صائب الرأي عن الغير، واشتقاقه من شور العسل[6]، وشرت الدابة وشورتها[7]، ....

= بالفتح: المصدر من اللين... واللِّيان بالكسر: الملاينة والملاطفة... وتليَّن: تملَّق. الصحاح (٦/ ٢١٩٨)، وانظر: المفردات ص (٧٥٢)، واللسان (١٣/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(١) لم أجده.

(٢) **الفظاظة**: سواء الخلق. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٢)، وقال السمين الحلبي: والفظاظة: الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلًا، الدر المصون (٣/ ٤٦٢).

(٣) قال الراغب: الغلظة ضد الرقة. المفردات ص (٦١٢) وقال السمين: والغِلْظُ: تكثير الأجزاء، ثم تجوَّز به في عدم الشفقة وكثرة القسوة في القلب. الدر المصون (٣/ ٤٦٢)، وانظر الفتوحات الإلهية (١/ ٣٣٠).

(٤) قال أبو عبيدة: «.. أي تفرقوا على كل وجه». انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٧).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٥، ٤٤).

(٦) وهو استخراجه من موضعه. انظر: الأفعال لابن القوطية ص (٧٦)، والمفردات ص (٤٧).

(٧) أي جعلتها تركض. انظر: العين (٦/ ٢٨١)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٥٤١).

والعزم: ثبات الرأي على الأمر[١]، نحو إجماع الرأي[٢]، والتوكل على الله الثقة به والوقوف حيثما وقف[٣]، وبين أدنى منزلة له نحو ما قاله للأعرابي «**اعقله وتوكل**»[٤] وبين غايته التي هي كحال إبراهيم عليه السلام بون بعيد، ونبّه بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ على نعمته على النبي ﷺ أولاً وعلى أمّته ثانياً، كقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[٥] الآية، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٦] وأمره بالعفو عن تقصيرهم فيما يلزمهم له، وأن يستغفر لهم من ذلك، كقوله:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٥٢).

(٢) أي العزيمة على الأمر. انظر: تهذيب اللغة (١/ ٣٩٦).

(٣) قال الأزهري: «المتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فاطمأن قلبه على ذلك، ولم يتوكل على غيره». انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٧١).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ذكر الأخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب والاحتراز بالأعضاء. (٢/ ١٥٠) رقم (٧٣١). ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٣٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣). وقال الذهبي: سنده جيد. وقال العراقي: سنده جيد. انظر: هامش إحياء علوم الدين للغزالي بتخريج الحافظ العراقي (٤/ ٢٧٩).

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[1] ثم أمره بإجراء نفسه مجرى أحدهم في الرأي الذي هو خاصّ بالإنسان، ثم قال: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[2] أي وإن قاربتم هذه المقاربة فليكن اعتمادك على الله، وتقويتك به، كما قال النبي ﷺ: «**من سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله**»[3]، واختُلِفَ في مشاورة النبي لأصحابه على أي وجه، فقال سفيان بن عيينة: ليقتدي به غيره[4]، وقال قتادة: تطييباً لقلوبهم[5]، ويجب أن نقدّم مقدمة تبيّن في أي أمر أولاً تدخل الاستشارة؟ ثم من استشار غيره فلأي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التوكل» رقم (١٠)، وعزاه السيوطي إليه في الجامع الصغير رقم (٨٧٤٢) ورمز بتحسينه. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٥٦٣٩).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٤٥). وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٣)، والأحكام السلطانية ص (٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٨).

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٣)، والأحكام السلطانية (٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٨٨) ونسبه لقتادة والربيع. والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٩)، وعزاه للطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر، وانظر: مجمع البلاغة (١/ ٧٤).

قصدٍ يستشير؟ فيقال: أمّا ما يُستشار فيه فهو الأمور الممكنات المتعلقة باختيار الفاعل، وأما القصد بالاستشارة فتارة لاستضاءة المُستشِير برأي المُستشَار، أو لئلا يُلام إذا استبدَّ بالأمر، فيتفق وقوعه بخلاف المراد، ولهذا قيل: الاستشارة حصنٌ من الندامة، وأمنٌ من الملامة، وتارةً طلباً لهداية المستشار، إمّا لأن يتبين له خطأ رأيه إن كان له رأيٌ خطأٌ في ذلك الأمر، وإمّا أن لا يعتقد هو أو غيره أن الاستبداد فضيلةٌ فيستبد برأيه فيما ربما يؤدّي إلى / [٢٤٧/أ] فساد: إما لإكرامه أو[1] تعظيمه، فإذا تقرر هذا فأمور النبي ﷺ لا تنفكّ: إما أن تكون شيئاً دينيًّا أو دنيويًّا، فإن كان دينيًّا فمعلوم أن النبي ﷺ غير محتاج إلى الاستضاءة برأي غيره من البشر، لما أمدّه الله تعالى به من النور الإلٰهي، وما كان يستشيرهم في أصول الشريعة، لكن ربما كان يستشيرهم في شيء من فروعها، التي هي من مسائل الاجتهاد[2] لنا، نحو ما رُوي أن النبي ﷺ استشار

(١) في الأصل (و)، والسياق يقتضي ما أثبته.

(٢) قال الجصّاص: «ولابد أن تكون مشاورة النبي ﷺ أياهم فيما لا نصّ فيه، إذ غير جائز أن يشاورهم في المنصوصات، ولا يقول لهم: في الظهر والعصر والزكاة، وصيام رمضان، ولمّا لم يخصّ الله تعالى أمر الدين من أمور الدنيا في أمره ﷺ بالمشاورة، وجب أن يكون ذلك فيهما جميعاً. . .» أحكام القرآن (٢/ ٤١).

اصحابه في شعارٍ يرفع للصلاة[1]، ومثل ذلك تشريف لهم أولاً، وتنبيه أن ما سبيله الاجتهاد فحقُّه الاستعانة فيه بالآراء الكثيرة الصحيحة، لينقدح منها الصواب[2]، وأمّا ما كان من الأمور الدنيوية كالمساحة والكتابة والحساب، فمعلوم أنه كان مستغنياً بغيره في كثير منها، بل قد صرّح في ذلك بقصوره[3] فيما رُوي أنه

---

(١) يشير إلى حديث ابن عمر في بدء الأذان، أخرجه البخاري في كتاب ـ الأذان ـ باب «بدء الأذان» رقم (٦٠٤). ورواه مسلم في كتاب ـ الصلاة ـ باب «بدء الأذان» رقم (٣٧٧). ورواه الترمذي في كتاب ـ الصلاة ـ باب «ما جاء في بدء الأذان» رقم (١٩٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. ورواه النسائي في كتاب ـ الأذان ـ باب «بدء الأذان» (٢/ ٢)، وفي الكبرى رقم (١٥٠٧) وابن ماجه رقم (٧٠٧) كتاب الأذان، ورواه أحمد في المسند (٢/ ١٤٨)، وأبو عوانه (١/ ٣٢٦)، وابن خزيمة رقم (٣٦١).

(٢) انظر ما ذكره الجصّاص في فوائد الاستشارة: أحكام القرآن (٢/ ٤١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٠٤).

(٣) الأولى عدم استخدام هذه اللفظة في حق النبي ﷺ، لأنها تحتمل عدة معان ذكرها الراغب نفسه في المفردات ص (٦٧٣) قال: «وقصَّر في كذا أي توانى، وقصّر عنه: لم ينلْه، وأقصر عنه: كف مع القدرة عليه...» وأحسن من ذلك ما قاله الجصاص: «لم يكن للنبي ﷺ تدبير في أمر دنياه ومعاشه يحتاج فيه إلى مشاورة غيره؛ لاقتصاره ﷺ من الدنيا على القوت والكفاف الذي لا فضل فيه». أحكام القرآن (٢/ ٤١، ٤٢).

عليه السلام لما ورد المدينة ووجد أهلها يؤبِّرون[1] نخلهم، فقال: «**ما أرى أن ذلك ينفع**» فتركوه، فتبين ذلك في نقصِ أثمارهم فشاوروه فقال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم، وأنا أعلم بأمور آخرتكم**»[2]، وعلى هذا ما كان يتعلّق بأمور الحرب المتعلقة بتهييجها تارة وتسكينها تارة، وبالمنِّ فيها تارة وبالافتداء تارة، ولذلك لما همَّ بمصالحة عُيينة بن حصن[3] على ثلث ثمار المدينة، قال بعضهم: أبوحي هذا أم برأي رأيته؟ قال: «**برأي رأيته**» فراجعوه وبينوا له موضع الصواب، وترك رأيه لرأيهم[4]،

---

(١) يؤبِّرون: يلقّحون: المصباح المنير ص (٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب ـ الفضائل ـ باب «وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ في معايش الدنيا» رقم (٢٣٦٣) دون قوله: «**وأنا أعلم بأمر آخرتكم**» من حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما. وروى ابن ماجه حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ مقارب، كتاب ـ الرهون ـ باب «تلقيح النخل» رقم (٢٤٧١).

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن ثعلبة بن فزارة الفزاري أبو مالك، أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح وحنيناً والطائف، كان من المؤلفة قلوبهم، ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام، كان فيه جفاء أهل البادية وغلظتهم، توفي في خلافة عثمان بن عفان. انظر: أسد الغابة (٤/١٦٦)، والإصابة (٤/ ٦٣٨).

(٤) خبر عيينة بن حصن رواه ابن إسحاق معلقاً كما في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣١٠، ٣١١)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٧٣) مرسلًا، =

وكذا مراجعة عمر له بما همَّ به من كتاب القضية عام الحديبية[1]، فثبت أن ما يتعلق بالأمور الدنيوية حال الرسول عليه السلام وغيره فيه سواء، والمشاورة مستحبة له كما هي مستحبة لغيره[2].

قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3] أكثر المفسرين جعلوا نصرة الله للعبد في الحقيقة تقويته بأعظم السلطانين الذي هو الحجّة القاهرة وأعظم التمكينين الذي هو العاقبة المذكورة في قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] وفي أشرف الدارين حيث لا

= والبزار كما في كشف الأستار (٢/ ١٣١، ١٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٣٠، ٤٣١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٣٦): ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

(١) قصة صلح الحديبية أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب ـ الشروط ـ باب «الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط» رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).
والحديبية: بضم الحاء وفتح الدال، وياء ساكنة موضع بينه وبين مكة مسافة مرحلة، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٤٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٤٠-٤١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٠، ٢٨١)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٤٩-٢٥٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

ينفع مال ولا بنون. فقالوا: معناه: إن حصل لكم النصرة فلا تعتدُّوا ما يعرض من العوارض الدنيوية في بعض الأحوال غَلَبة، وإن خذلكم في ذلك فلا تعتدّوا ما يحصل لكم من القهر في الدنيا نصرة، فالنصرة والخذلان معتبران بالمآل[1]. ومنهم من اعتبر ذلك في أمر الدنيا، فقال: معناه: إن نصركم الله في الدنيا بموافقتكم النبي ﷺ فلا غالب لكم، وإن لم ينصركم فلا ناصر[2] لكم[3]. وحَمْله على الأول يدخل فيه الثاني، فإن من نُصِر في آخرته فهو في الدنيا منصور، وإن لم يدرك نصرته إلا بالبصيرة دون البصر، وحمله على الثاني قد ينفك من نصرة الآخرة، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[4] أمرهم بالتوكل عليه، كما أمر النبي ﷺ في الآية الأولى[5]، وأن يستجلبوا النصرة منه بذلك.

---

(١) ذكر أبو حيان كلام الراغب هذا، واختصره، ولم ينسبه إليه. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٦).

(٢) تصحّفت في الأصل إلى (فالناصر). والصواب ما أثبته.

(٣) وهذا اختيار الطبري، وهو ما حكاه عن ابن إسحاق، وظاهر كلام المفسرين يدل على هذا القول، لأنهم ربطوا ذلك بما حصل يوم بدر وأحد. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٤٧، ٣٤٨)، والوسيط (١/ ٥١٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٥)، والكشاف (١/ ٤٣٢، ٤٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٨٧)، وروح المعاني (٤/ ١٠٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٥) يشير إلى قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ . . . ﴾[1] الآية.

الغلول: تناول مال الغير بضرب من المكيدة، وكثر استعماله في الغنيمة[2]، وسبب نزول ذلك، قال ابن عباس: هو أن فُقِد قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل النبي ﷺ أخذها[3]، وقال الضحاك: هو عتاب لمن استُحفظوا الثنيّة[4] يوم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١. ونصّها: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٤)، والمغرب ص (٣٤٣)، وطلبة الطلبة ص (١٨٧)، وفي الأخير تفسير الغلول بالخيانة في المغنم خاصة وقال الراغب في المفردات: «وأغلّ أي صار ذا إغلال أي خيانة، وغلّ يغلّ: إذا خان» انظر: المفردات ص (٦١٠)، وقال الفيروز آبادي: «وغلّ غلولاً خان كأغلّ أو خاص بالفيء» انظر: القاموس المحيط مادة «غلّ» ص (١٣٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحروف والقراءات، رقم (٣٩٧١)، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب (٤) ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠٠٩)، والطبري في جامع البيان (٧/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠٣). وأبو يعلى في المسند رقم (٢٦٥١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار رقم (٥٦٠٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٤٢). وقال الترمذي: حسن غريب. وانظر صحيح الترمذي للشيخ للألباني رحمه الله (٢٤٠٧).

(٤) **الثنيّة** من الأرض كالمرتفع، والثنية في الجبل كالعقبة فيه، وقيل: هو الطريق العالي فيه. انظر: مجمل اللغة ص (١١٠)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٢٢٦).

[٢٤٧/ ب]أحد، حيث قال بعضهم: ربما يقول النبي ﷺ: «من/ تناول شيئاً فهو له» فَنَبقى بلا غنيمة[١]، فعلى هذا يكون هذا القول ثناء عليه ﷺ، وقال بعضهم: بل ذلك حثٌّ للنبي على التعفف، وإن كان معلوماً أنه لا يغُلُّ[٢]، كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٣] ومن قرأ يُغَلّ[٤] فقد قيل: نهي للناس أن ينسبوا ذلك إلى النبي

---

(١) روى الطبري قول الضحاك ولفظه: عن الضحاك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يقول: ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة، لكن يعدل ويأخذ في ذلك بأمر الله عز وجل، ويحكم فيه بما أنزل الله. جامع البيان (٧/ ٣٥١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠٣). وأما القول الذي ذكره الراغب فقد ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٢٦) ونسبه للكلبي ومقاتل. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٩٠)، والنيسابوري في غرائب القرآن (٢/ ٣٠٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٠٦)، ونسبه ابن عطية للنقاش في البحر المحيط (٣/ ٢٨٤).

(٢) ذكر الطبري أن هذا المعنى على قراءة من قرأ (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين. قال: فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك: ما ينبغي لنبيّ أن يكون غالاًّ، بمعنى أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أممهم. ثم روى هذا المعنى عن السدي ومجاهد، واختاره. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٢-٣٥٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٩٩).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، ويعقوب برواية روح وزيدٍ (أن يَغُلّ)=

ﷺ من قولهم: أغللت فلاناً[1]. كقولهم: آكذبته، وقرأ رجل بحضرة ابن عباس يُغَل فقال: بلى ويُقَتل. فكأنه حمله على الخبر، ولم يرتض قراءته[2]، وقال الحسن: نَهْي أن يَخُونوه[3]، فإن قيل: فلم خصّه والخيانة معه ومع غيره مذمومة؟ قيل: قد قال بعض الناس: إن تخصيصه تعظيم له، فإن الخيانة وإن كانت مستقبحة مع كل أحد، فمع من يُرشح لهداية الناس أقبح[4]،

= بفتح الياء وضم الغين. وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب برواية دويس (أن يُغَلّ) بضم الياء وفتح الغين. انظر: المبسوط ص (١٤٩)، والغاية ص (٢١٩)، والتلخيص ص (٢٣٧).

(١) أي نسبت إليه الغلول والكذب. انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٥٠٥)، والحجة لأبي علي (٢/ ٣٩٦)، وقال الماوردي: وأما قراءة من قرأ (ويُغَلّ) بضم الياء وفتح الغين ففيها قولان: أحدهما: يعني وما كان لنبي أن يتهمه أصحابه ويخوّنوه...» النكت والعيون (١/ ٤٣٣)، وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٥٤، ٢٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٨).

(٢) القارئ هو ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٦).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٥٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٢) وعزاه للطبري وابن المنذر وسعيد بن منصور وعبد بن حميد.

(٤) قال النيسابوري: وفي تخصيصه بهذه الحرمة، والخيانة محرمة على الإطلاق=

وقال بعض الناس: إن ذلك في الحقيقة نهي عن الخيانة رأساً في كل ما أتى به النبي ﷺ من الأحكام، كقوله: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[1]. وقال بعض الناس: قراءة من قرأ: يَغُلَّ أولى[2]، لأن كل ما جاء في التنزيل من هذا النحو فمسندٌ إلى الفاعل دون المفعول، نحو ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[4] وقوله: ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ تعظيم للغلول، وأنه لا انفكاك له من جزائه، فكأنّ ما قد غلّه يَصْحبُه، وعلى هذا ما قال النبي ﷺ: «**لا أعرفنَّ رجلًا يأتي بفرسٍ له حَمْحَمة**»[5]، وعلى هذا ما قاله ﷺ: «**لا أعرفن رجلًا يأتي ببعير**

= فوائد منها: أن المجنيَّ عليه كلما كان أجلّ منصباً كانت الخيانة في حقه أفحش، ومنها أنه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي، فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا، ومنها أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر، فكانت تلك الخيانة وقتئذ أقبح. تفسير غرائب القرآن (٢/ ٢٩٩، ٣٠٠)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٥)، والتفسير الكبير (٩/ ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٥٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٦).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٥) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب «الغلول» رقم (٣٠٧٣)، ومسلم في=

قد غلّه له رغاء»[1]، وعلى هذا ما حُكِي عن لقمان[2]: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾[3] وقد تقدم الكلام في باقي الآية[4].

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[5] ....

= كتاب الإمارة، باب «غلظ تحريم الغلول» رقم (١٨٣١)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣٦). والحَمْحَمة: صوت الفرس دون الصهيل. انظر: النهاية (١/ ٤٣٦).

(١) هذا جزء من الحديث السابق. والرغاء: صوت البعير يقال: رغا البعير والضبع والنعامُ رُغاءً بالضم: صوّتت فضجّت. القاموس ص (١٦٦٣).

(٢) هو لقمان الحكيم المذكور في القرآن، والذي حملت إحدى سور القرآن اسمه. قيل: كان عبداً حبشيًا لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالاً، وكان في زمن داود عليه السلام. وقيل: كان حرًّا واسمه لقمان بن باعوراء، ذكر بعض أهل العلم أنه كان نبيًا. قال ابن كثير: «والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولم يكن نبيًا» البداية والنهاية (٢/ ١١٤). وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٨١).

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٤) وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، انظر: تفسير الراغب (ق ١٩٢ ـ مخطوط).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٢.

قَرِئ: رُضوان[1]، وهما مصدران نحو: كفران وحسبان[2]، وهو غاية الرضا[3]، وباء بكذا رجع به، ومنه البَوَاء في القصاص، إذا كان فيه مرجوع فيمن قتل[4]، والسخط: حصول غضب يقتضي عقوبة، وإذا استعمل في الله فبمعنى إيجابه العقوبة[5] والغيظ

---

(١) قرأ عاصم وحده برواية أبي بكر (رُضوان) بضم الراء في جميع القرآن إلا في سورة المائدة فإنه قرأ بالكسرة. وحجته أنه فرق بين الاسم والمصدر، وذلك أن اسم خازن الجنة (رِضوان) كما جاء في الحديث. و(رُضوان) مصدر (رضي يرضى رضىً ورضواناً). وقرأ الباقون بالكسر، وحجتهم أن ذلك لغتان معروفتان، يقال: (رضي يرضى رضىً ومرضاةً ورِضواناً ورُضواناً) والمصادر تأتي على فُعلان وفِعلان. انظر: حجة القراءات ص (١٥٧)، والمبسوط ص (١٤١)، والغاية ص (٢٠٩)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٦).

(٣) قال الراغب: «والرضوان: الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خُصّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى». انظر: المفردات ص (٣٥٦)، وتاج العروس (١٩/ ٤٦٣).

(٤) قال ابن فارس: «الباء والواو والهمزة أصلان: أحدهما: الرجوع إلى الشيء، والثاني: تساوي الشيئين.. ومن الثاني قول العرب: إن فلانا لبواء لفلان إن قتل به كان كفؤا». انظر: معجم مقاييس اللغة ص (١٦٠) بتصرف يسير. والمفردات ص (١٥٨).

(٥) قال أبو هلال: «والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير، يقال: =

يقاربه، الا أنه يُقال إذا كان معه تغيّر منكر، ولا يُوصف به الله[1]، والفرق بين المصير والمرجع: أن الرجوع هو انقلاب الشيء إلى حال كان عليها، أو ما هو مُقدّر تقديرها، والمصير: التنقُّل من حال إلى حال أخرى، فهو أعمُّ من الرجوع[2]، والقصد بالآية تبعيد ما بين الفريقين[3] كقوله: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[5]

= سخط الأمير على الحاجب. ولا يقال: سخط الحاجب على الأمير».
انظر: الفروق ص (١٤١)، والمفردات ص (٤٠٢).

(١) قال أبو هلال: «والغيظ يقرب من الغمّ». انظر: الفروق ص (١٤١)، والمفردات ص (٦١٩).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ص (٤٤٣)، (٥٨٣)، وقال الكفوي: المرجع: الرجوع إلى الموضع الذي كان فيه. والمصير: هو الرجوع إلى الموضع الذي لم يكن فيه. انظر: الكليات ص (٨٧١). المفردات ص (٣٤٢، ٤٩٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠١)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٠).

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

قيل : هي صفة لمن اتبع رضوانه[1] ، وبيّن أنه كما أن من باء بسخطٍ من الله مأواه جهنم ، فمن اتبع رضوانه هم ذوو درجات عند الله أي ثواب كبير ، والصحيح أنه قسّم الناس في الأولى قسمين : فائزاً برضوانه وبائياً بسخطه ، وبيّن في هذه أن القسمين كل واحد بين البعض والبعض تفاوت[2] ، وذاك أن الناس إذا اعتبروا فمن بين ملكٍ مقرب ، كما قال : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[3] ، وبين أخسّ بهيمة ، كما قال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾[4] ، وما بينهما بحيث لا يمكننا حصره ، ولذلك قيل في المثل :

---

(١) وهذا القول منقول عن مجاهد والسدي وابن جبير وأبي صالح ومقاتل ، والمعنى أن من اتبع رضوان الله له منازل عند الله كريمة . انظر : جامع البيان (٧/ ٣٦٧)، والوسيط (١/ ٥١٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٧٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٨)، وغرائب القرآن (٢/ ٣٠٢).

(٢) وهذا قول ابن عباس وابن إسحاق والحسن والكلبي واختاره الطبري . انظر : جامع البيان (٧/ ٣٦٧)، والوسيط (١/ ٥١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٥)، ومعاني التنزيل (٢/ ١٢٩)، (٤/ ٢٦٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٠).

(٣) سورة يوسف، الآية : ٣١ .

(٤) سورة المائدة، الآية : ٦٠ .

الناس أخيافٌ[1] وشتّى في الشيم   وكلُّهـم يجمعهـم بيتُ الأدم[2]

ولتفاوت درجاتهم وتفاوت ثوابهمْ وعقابهم ما روي أن الجنة درجات والنار دركات[3]، ونبّه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[4]، أنه لا يخفى عليه ما يتحرّاه كل واحد، فإذن

---

(١) أخياف: أي مختلفون. انظر: مختار الصحاح ص (١٩٥).

(٢) هذا الرجز في عيون الأخبار (٢/ ٤)، وهو من شواهد اللسان مادة «أدم» (١٢/ ١٣). وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨).

(٣) يدلّ على درجات الجنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله**» أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب «درجات المجاهدين في سبيل الله» رقم (٢٧٩٠)، وروى أبو هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام**» أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب «ما جاء في صفة درجات الجنة» رقم (٢٥٢٩)، ورواه أحمد (٢/ ٣٣٥، ٢٩٢)، والحاكم (١/ ٨٠) وقال الترمذي: حسن صحيح. وأما دركات النار فيدل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء، ١٤٥] وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغه**» أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب «أهون أهل النار عذاباً» رقم (٢١٢).
وفي حديث العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نعم! وجدته في غمراتٍ من النار، فأخرجته إلى ضحضاحٍ**».
رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب «شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب» رقم (٢٠٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

يقف كلٌّ موقفَه الذي يستحقه.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾[1] الآية.

[٢٤٨/أ] المِنَّة: / استكبار النعمة بالفعل أو بالقول[2]، فأما بالفعل فحسن، وأما بالقول فما لم يكن فيه وعظٌ ممن له الوعظ فمستقبح[3]، ولذلك قيل: المنّة تهدم الصنيعة[4]، وقوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤. ونصُّها: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

(٢) قال الخليل: «المن: الإحسان الذي تمن به على من لا يستثنيه، المنة الاسم». انظر: العين (٨/ ٣٧٤). ونقل الأزهري عن الزجاج قال: جملة المنّ في اللغة: ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب... ومن صفات الله تعالى المنان، ومعناه: المعطي ابتداءً، ولله المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه... والمنة: العطية. تهذيب اللغة (١٥/ ٤٧٠، ٤٧١) وانظر: مجمل اللغة ص (٦٥٠)، والمفردات ص (٧٧٧، ٧٧٨)، والقاموس (١٥٩٤).

(٣) فصّل الراغب مراده بهذا التقسم في المفردات، فقال: والمنة: النعمة الثقيلة. ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان، إذا أثقله بالنعمة... وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة. المفردات ص (٧٧٧).

(٤) انظر: أمثال أبي عبيد ص (٦٦)، مجمع الأمثال (٢/ ٢٨٧)، والمستقصى=

﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[1]، وقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[2] قيل: عنى من أهل بيتهم ومن العرب[3]، وقال بعضهم: ليس هذا بسائغ، إذ لم يُخصّ أهل بيته به ولا العرب خاصة، بل هو مبعوث إلى العالمين، فالوجه في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من البشر[4]، وذاك أن كل ما أوجده الله في هذا العالم لا يأخذ نفعه إلا مما بينه وبين المأخوذ منه ملاءمة ما، وذلك حكم مستمرٌ في كل شيء، فلما كان كذلك جعل الله تعالى الأنبياء المبعوثين إلى كافة البشر بشراً مثلهم في الخلقة والصورة، وخصّهم بفضل قوة التميز والمعرفة، يأخذون من ملائكته وحْيَهُ، ويولونهم، ولولا كونهم من جنسهم لما قدروا على أخذهم

= (١/ ٣٥٠)، والمفردات ص (٧٧٧).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) انظر: بحر العلوم (١/ ٣١٣)، والوسيط (١/ ٥١٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٥، ٣٧٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٩)، والكشاف (١/ ٤٣٥)، وغرائب القرآن (٢/ ٣٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٩).

(٤) انظر: بحر العلوم (١/ ٣١٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٣)، وغرائب القرآن (٢/ ٣٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٠٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٠).

منهم، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[1]، فبيّن تعالى نعمته عليهم أن رشح لهم من سَهُل تناولهم منه، وقوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ لم يعن تلاوة آيات القرآن فقط، بل عنى بذلك[2] تنبيههم على آيات الله في السمٰوات والأرض، وفي أنفسهم[3]، ولهذا حَسُنَ عطف قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عليه، وقد تقدم الفصل بين الكتاب والحكمة[4]، ومعنى التزكية[5].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ . . .﴾[6] الآية.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٢) في الأصل: (ذلك)، والصواب ما أثبته.

(٣) أغلب المفسرين على أن المراد تلاوة آيات القرآن، ولم يذكروا غيرها. قال الطبري: أي يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله. جامع البيان (٧/ ٣٦٩)، وقال ابن عطية: والآيات في هذه الآية يحتمل أن يراد بها القرآن، ويحتمل أن يراد بها العلامات، والأول أظهر. المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨)، وقال القرطبي: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ ومعناه يقرأ، والتلاوة: القراءة. الجامع (٤/ ٢٦٤). وقال ابن كثير: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني القرآن. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١).

(٤) انظر: تفسير الراغب للآية ١٢٩ من سورة البقرة (ق ٩٨ ـ مخطوط).

(٥) انظر: تفسير الراغب للآية ١٥١ من سورة البقرة (ق ١٠٨ ـ مخطوط).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥. ونصُّها: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ=

دخل ألف الاستفهام على واو العطف[١] ليفيد مع الاستفهام تعلق ما[٢] بعده بما قبله، وكذلك إذا قلت: أَوَ كانَ كما تقول؟ إذا أردت بناء كلامك على كلام المخاطب[٣]، وكان المسلمون قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، فلمّا كان يوم أحد، وقُتل جماعة من المسلمين تغيّر قلوب قوم، فخاطبهم الله بذلك، وعنى أنكم أنكرتم أن نالكم منهم شطر ما نالهم منكم، وأخذتم تقولون: أنَّى نالنا ذلك؟! فأجابهم الله بأن ذلك من عند أنفسكم، فإن الله وعدكم أن ينصركم بشريطة أن تصبروا وتتقوا،

= أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) ذكر الزجاج أن الواو هنا هي واو النسق. انظر: معاني القرآن (١/ ٤٨٧)، ورجح الأكثرون أنها واو العطف، كما حكاه الراغب. قال ابن عطية: والواو في قوله: (أولما) عطف جملة على جملة. المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨). وقال القرطبي: الألف للاستفهام والواو للعطف. الجامع (٤/ ٢٦٤) وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١١)، والدر المصون (٣/ ٤٧٣).

(٢) تصحفت (ما) في الأصل إلى (بما)، والصواب ما أثبته.

(٣) قال الأخفش: «فهذه الألف ألف الاستفهام، دخلت على واو العطف، كأنه قال: صنعتم كذا وكذا ولمّا أصبتكم. ثم أدخل على الواو ألف الاستفهام». انظر: معاني القرآن (١/ ٢٢٠)، وذكر ابن هشام: «أن همزة الاستفهام إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيهاً على أصالتها في التصدير». انظر: المغني ص (٢٢).

فخالفتم[1]، وقد قيل: مخالفتهم أنهم دُعُوا إلى التحصُّن بالمدينة فأبوا إلا[2] الخروج[3]، وقيل لاختيارهم الفداء يوم بدر[4]، وقيل لمخالفة الرماة[5]، والأولى أن يكون عامّاً في جميعها، وهو

---

(١) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧١)، وبحر العلوم (١/ ٣١٣)، والوسيط (١/ ٥١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٦). ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥).

(٢) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته.

(٣) وهذا مروي عن قتادة والربيع بن أنس والحسن وابن جريج، انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٢، ٣٧٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥)، وحكاه أبو حيان عن الجمهور (٣/ ١١٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١).

(٤) وهذا مروي عن عبيدة السلماني وعمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٥، ٣٧٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والوسيط (١/ ٥١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ١١٢)، ورجَّحه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٠١).

(٥) انظر: بحر العلوم (١/ ٣١٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والوسيط (١/ ٥١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ١١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١).

إشارة إلى ما فصّله قبل بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1] الآية، إن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عقب هذه الآية؟ قيل: نبّه بذلك أن لم يصبكم ما أصابكم لوهن في دينكم أو ضعف في قدرة الله، فكأنّه قيل: هو من عند أنفسكم، لا من خلل دخل في أمره، فإن الله على كل شيء قدير، ومن كان هذه حاله فهو قادر على دفاعهم[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3] الآية.

دخول الفاء في قوله: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لتضمّن الذي[4] معنى الشرط[5]، كأنّه قيل: إن أصابتكم مصيبة فإصابتها بإذن الله،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٢) ذكر أبو حيان نفس المعنى في البحر المحيط (٣/ ١١٢) ولم ينسبه للراغب.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٦، ١٦٧. ونصُّهما: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢٠).

(٥) قال السمين الحلبي: «ودخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط». الدر المصون (٣/ ٤٧٤)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٥). والفتوحات الإلهية (١/ ٣٣٣) وانظر تفصيل أحكام دخول الفاء في خبر المتبدأ وجواب الشرط في: تسهيل الفوائد (١/ ٢٣٦)، وشرحه لابن مالك (١/ ٣٢٨).

وقد أصابتكم، فإذاً كان بإذن الله[1]، وأصل الإذن العلم بالشيء من أذنت له، أي استمعت إليه فعلمته[2]، ثم يُقال في التعارف لمن لا يمنع من فعل شيء مع العلم به، والقدرة عليه على منعه، سواء أمر به أو لم يأمر: فعل كذا بإذنه[3]، فإذا حُمل على العلم فنحو قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[4] وإذا حُمِلَ على الأمر فليس يعني أنه أمر الكفار بذلك، وإنما عنى أنه أمر الملائكة المذكورين في قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[5] إن قيل: وإذا

(١) قال ابن عطية: «... فيحسن دخول الفاء إذا كان القيام سبب الإعطاء، وكذلك ترتيب الآية فالمعنى إنما هو: وما أذن الله فيه فهو الذي أصاب...» المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٠).

(٢) قال ابن فارس: أذن له: إذا استمع... وآذنتك بالشيء أعلمتُكَه، وأذنت لك فيه. مجمل اللغة ص (٤٩).

(٣) وهذا ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة في أن كل شيء يحدث في العالم إنما هو بقضاء الله وقدره، سواء أكان مما يحبه الله أو مما يبغضه، ولذلك فسّر إماما التفسير ابن جرير الطبري وابن كثير الإذن في الآية بالقضاء والقدر أي المشيئة. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠١). وفي المعنى اللغوي انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٦)، والصحاح (٥/ ٢٠٦٨)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٦٧).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٥) سورة النازعات، الآية: ٥. والصحيح أن الإذن في الآية هو الإذن الكوني، وهو يرجع إلى مشيئة الله تعالى وقضائه وقدره. قال ابن أبي العز: =

حُمِلَ على الأمر فليس يعني العلم، فكيف يصح وقد قال بعده: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] قيل: ليعلم المؤمنين أي ليحصل إيمان المؤمنين، وقد تقدم حقيقة/ ذلك[2]، ثم بيّن تعالى ما كان من ذنوبهم، [٢٤٨/ب] فقال: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾[3] أي استعملوا النفاق في أعمالهم. ولمّا قيل لهم إمّا أن تحاربوا أو تحضروا مكثّرين للسواد دافعين عن الحوزة[4]، قالوا مجيبين بما حكي عنهم، وقول السدّي: ادفعوا بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا[5]، وقول غيره: رابطوا

= «فإن قيل: كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه، وكيف يشاؤه ويكوّنه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبغضه وكراهته؟ قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقاً، وتباينت طرقهم وأقوالهم. ثم قسّم رحمه الله المراد إلى نوعين: مراد لنفسه، ومراد لغيره. فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده... فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمرٍ هو أحبّ إليه من فوته» شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٢٨). وانظر: جامع البيان (٧/ ٢٨٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٦.

(٢) انظر: تفسير الآية: ١٤٢، والآية: ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٤) الحوزة: الناحية، وبيضة الملك. انظر القاموس ص (٦٥٥).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٨٠)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٥) ونسبه للسدي، وابن جريج، وابن الجوزي في=

بالقيام على الجبل إن لم تقاتلوا[1]، وقول غيرهما: احضروا موضع الحرب[2]. ليست بأقوال مختلفة في المعنى، كما قدره بعض النَقَلَة، وإلا ذلك اختلاف عبارات وتعيين أمثلة لمقصد واحد، وحمل بعض الصوفية ذلك على الجهاد فيَقول: معناه إما أن تبلغوا منازل الصديقين في مجاهدة وإماتة الشهوات أو ادفعوها عن

= زاد المسير، وزاد ابن عباس، والحسن، وعكرمة، والضحاك. وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٠٢) وزاد أبا صالح. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ١١٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٨١) عن أبي عون الأنصاري. قال ابن عطية: «وهذا قريب من الأول، ولا محالة أن المرابط مدافع، لأنه لولا مكان المرابطين في الثغور لجاءها العدو». المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٠). وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٣٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ١١٤).

(٢) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٠)، والقرطبي في الجامع (٤/ ٢٦٦) أن بعض المفسرين ذهبوا إلى أن قول عبدالله بن عمرو بن حرام: أو ادفعوا إنما هو استدعاء القتال حميّة، لأنه دعاهم إلى القتال في سبيل الله، وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، فلما رأى أنهم ليسوا أهل ذلك عرض عليهم الوجه الذي يحشمهم ويبعث الأنفة أي: أو قاتلوا دفاعاً عن الحوزة. انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٥)، والبحر المحيط (٣/ ١١٤).

ارتكاب المحارم، وزُمُّوها[1] عن احتقاب المآثم[2] إن لم تقدروا على الأول، ثم عيّرهم بقولهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾[3]، أي لو صادفنا من أنفسنا منكراً لا ارتسمنا ما رسمتم، تنبيهاً أنه خفي عليهم عيوب أنفسهم[4]، وقوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ تنبيه على نفاقهم؛ وذاك أن المنافق كأنه بين الكافر والمؤمن، فإنه من حيث ما يُظهر الشهادتين، ويلتزم ظواهر الشريعة بالقول، وظواهر الأعمال محكوم له بالإيمان، ومن حيث يتحرى في اعتقاده تحري الكفار كافر، وبين أحوال المنافقين تفاوت، بيّن تعالى بهذا القول أنهم في هذا القول بالكفار أشبه منهم بالمسلمين[5]،

---

(١) زموها: أي شدوها. انظر القاموس ص (١٤٤٤). والمعنى هنا: امنعوها.

(٢) قال ابن فارس: «... ومنه: احتقب فلان الإثم، كأنه جمعه». مجمل اللغة ص (١٧٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٤) مرادهم: أننا لو نعلم أن ما أنتم مقدمون عليه يصح أن يسمى قتالاً لوافقناكم عليه ولخرجنا معكم، ولكنكم تلقون بأيديكم إلى التهلكة. انظر: الوسيط (١/ ٥١٨)، والكشاف (١/ ٤٣٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٥).

(٥) قال السمعاني: «﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ يعني بعد رجوعهم ومقالتهم تلك؛ لأنهم كانوا من قبل من المؤمنين في الظاهر وإن كانوا منافقين في الباطن، فلما فارقوا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٧)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٣٧٩)، والوسيط (١/ ٥١٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٥)، =

وأقرب: قيل: هو من القُرب[1] وقيل: من القَرَب من الماءِ[2]، ثم بيّن تعالى علّة قربهم من الكفر، فقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾، تنبيهاً أن الاعتبار في الإيمان المستحق به الثواب بالنيات والضمائر، لا بالأقوال المجردة عن الاعتقاد، ولهذا شهد للمنافقين في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[3] بالكذب، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[4]، وحكم لمن تلفظ بالكفر من غير مطابقة الاعتقاد[5] له بالإيمان، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[6]، ثم حذّرهم عن اعتقاد غير الحق بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[7]، كقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ

= والبحر المحيط (٣/ ١١٥).

(١) قال ابن عطية: وذهب جمهور المفسرين إلى أن قوله (أقرب) مأخوذ من القرب ضد البعد. المحرر الوجيز (٣/ ٢٩١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٧٧).

(٢) القَرَب في الماء: أي الطلب في الماء. ومنه القارب: طالب الماء. وهذا القول حكاه النقاش عن بعض المفسرين. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٩١)، والبحر المحيط (٣/ ١١٥)، والدر المصون (٣/ ٤٧٨).

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٥) في الأصل (الاعتماد) والصواب ما أثبته.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[2] وقوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[3]، وهذه الآية كالشرح لما أجمله في الأولى، حيث قال: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾[5] الآية.

هذه الآية من تمام صفة المنافقين عبدالله بن أُبّي وأصحابه، قالوا: إن قتلى أُحُد لو أطاعونا في التأخُّر عن القتال ولزموا بيوتهم ما قُتلوا، وإعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾: إما نصبٌ على البدل من الذين نافقوا، أو[6] رفع على خبر الابتداء المضمر، أو[7] بدل من الضمير في ﴿يَكۡتُمُونَ﴾[8]. إن قيل: لم أخر ذكر القعود عن القول

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨. ونصها: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

(٦) تصحفت: (أو) في الأصل إلى (و)، والصواب ما أثبته.

(٧) في الأصل: (لو)، والصواب ما أثبته.

(٨) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٨١، ٣٨٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ =

مع كونه مُقدّماً في المعنى؟ قيل: إن قوله: ﴿وَقَعَدُواْ﴾ في تقدير الحال، أي قالوا وهم قاعدون[1]، كقولك: خرج زيد وقد ركب، ويكون ركوبه قبل الخروج، وقد أكذبهم الله في ذلك بقوله: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾[2] وكأنه قال: القتل ضرب من الموت، فإن كان لكم سبيل إلى دفعه عن أنفسكم بفعل اختياري فادفعوا عنها الموت، وإذ لم يمكنكم ذلك دلّ أنكم مبطلون في دعواكم[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ

= ٤١٨)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٧٨)، وإملاء ما منَّ به الرحمن ص (١٥٧)، والبحر المحيط (٣/ ١١٦)، والدر المصون (٣/ ٤٧٩).

(١) أجاز أبو البقاء كون الواو حالية وأن تكون عاطفة لقعدوا على: قالوا. انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ص (١٥٧)، وقال السمين الحلبي: قوله: (وقعدوا) يجوز في هذه الجملة وجهان أحدهما: أن تكون حالية من فاعل (قالوا) و(قد) مرادةٌ أي: وقد قعدوا... والثاني: أنها معطوفة على الصلة، فتكون معترضة بين (قالوا) ومعمولها وهو: (لو أطاعونا) الدر المصون (٣/ ٤٧٩). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١٦)، وروح المعاني (٤/ ١٣٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٣) انظر: جامع البيان (٤/ ٢٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٠٦)، والبحر المحيط (٣/ ١١٧)، وروح المعاني (٤/ ١٣٠، ١٣١).

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1] الآية.

روي عن ابن عباس والحسن أن النبي ﷺ قال: «**لما أُصيب إخوانكم بأُحُدٍ جعل الله أرواحهم في/ أجواف طيرٍ خُضرٍ ترِدُ أنهار** [٢٤٩/أ] **الجنّة، وتأكل من أثمارها، وتأوي إلى قناديل معلّقة في ظلِّ العرش، فلما وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يُبلِّغُ إخواننا عنّا: أنّا أحياءٌ في الجنّة، نُرزق، كي لا ينكلوا[2] عن الحرب؟ فقال تعالى: أنا أبلّغهم عنكم، فأنزل هذه الآية**»[3]، فدل ذلك أن الأرواح أحياء تُثاب وتُعاقب قبل أن تُعاد إلى الأجسام يوم القيامة، وعلى هذا قال في صفة آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[4]، ودلّ عطف قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩. ونصُّها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

(٢) ينكلوا: يجبنوا ويتأخروا. انظر: المصباح المنير ص (٢٣٩).

(٣) حديث ابن عباس رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٣٨٥)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٨٧/ ٢)، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب «فضل الشهادة» رقم (٢٥٢٠). والإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٠٤). وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٢٣) وذكر تصحيح الحاكم لإسناده. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٨) وعزاه إلى ما تقدم وزاد: هناداً وعبد بن حميد، وأما حديث الحسن فلم أجده في شيء من الكتب الستة بهذا اللفظ.

(٤) سورة غافر، الآية: ٤٦.

﴿فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[1] أن عرضهم على النار قبل يوم القيامة، وروي: «**إنّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بكرة وعشية، فيقال: هذا مقعدُك حتى تُبعثَ إليه**»[2]، وهذا قول السلف[3] وأصحاب الحقائق[4]، الذين عرفوا حقيقة الروح المعنيّة هاهنا، وكونه جوهراً[5]..............................

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب «الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي» رقم (١٣٧٩). ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب «عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه» رقم (٢٨٦٦). ورواه النسائي في كتاب الجنائز، باب «وضع الجريد على القبر» (٤/ ١٠٧).

(٣) السلف: مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة والتابعين وتابعيهم، وكل من التزم بعقائد وفقه وأصول أولئك الأئمة، كان منسوباً إليهم وإن باعدت بينه وبينهم الأزمان والأمكنة. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (١/ ٤٠-٤١)، ومعالم الانطلاقة الكبرى لمحمد بن عبدالهادي المصري ص (٥٧).

(٤) أهل الحقائق المقصود بهم الصوفية. انظر: المعجم الصوفي د. الحفني ص (٧٨).

(٥) الجوهر عند المتكلمين: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع، وهو منحصر في خمسة: هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل، وهو ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة، وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة=

له بذاته قوام[1]، وأما متأخرو المعتزلة الذين لم يتجاوزوا منزلي الحِسّ والوهم، ولم يروا الروح إلا ريحاً أو عرضاً[2]، فبعضهم

= من الجنس والفصل وإلى مركب منهما كالمولدات الثلاث. انظر: التعريفات للجرجاني ص (٩٢، ٩٣).

(١) قال الإمام ابن القيم بعد أن حكى بعض الأقوال الباطلة: «فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة، فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعّمة أو معذّبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لربّ العالمين...» الروح ص (١٥٥) وكان قد قال قبل ذلك: «والصواب أن يقال: موت النفوس هي مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل، وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب» الروح ص (١١٧). وانظر: نظم الدرر (٤/ ٤٢٠) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾. [الإسراء: ٨٥].

(٢) **العرض**: عبارة عن معنى زائد على الذات أي ذات الجوهر يُجمع على أعراض. الكليات ص (٦٢٤)، وقد ردَّ ابن القيم رحمه الله على من قال: إن الروح عَرَضٌ من الأعراض، وبين مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وأنها ذاتٌ قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل، وتخرج وتذهب وتجيءُ وتتحرك وتسكن، وعلى هذا أكثر من مائة دليل. ثم قال رحمه الله: «وقد أخبر النبي ﷺ أن الملك يقبضها، فتأخذها الملائكة من يده، فيوجد لها كأطيب نفحة مسك وُجِدتْ على وجه الأرض، أو=

قال: يعني أحياء يوم القيامة، ووصفهم بذلك في الحال لقرب القيامة عند الله، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[1]، ومعنى ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي في علم الله، وبعضهم قال: أحياء بالذكر، وبعضهم قال: أحياء بالإيمان[2]، وإرادة هذه المعاني بالآية غير ممتنعة، فإن المؤمنين أحياء بكل ذلك، كما قالوا، ولكنهم مع ذلك أحياء بالأرواح على ما ورد به الخبر، وزعمهم أن ما ورد من الأخبار في أرواح الشهداء ليس بصحيح، فإن العقل لا يقتضي ذلك، فهم إن عنوا العقول الصدئة التي عناها من قال: فلان لم

= كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض؛ والأعراض لا ريح لها، ولا تمسك، ولا تؤخذ من يدٍ إلى يدٍ» الروح ص (١٢٤-١٢٦).

(١) سورة النحل، الآية: ١.

(٢) وحاول بعض المعتزلة تخصيص ذلك، فقال القاضي عبدالجبار: «وربما قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتًا﴾: كيف يصح ذلك وقد قُتلوا وماتوا؟ وجوابنا أن المراد شهداء أُحد، بين تعالى أنه قد أحياهم، فلا ينبغي أن يظن فيهم أنهم أموات...» تنزيه القرآن عن المطاعن ص (٨٣)، ويبدو أن المعتزلة مضطربون في هذا الموضع، فما حكاه الراغب عن بعض متأخري المعتزلة يخالف ما قاله القاضي عبدالجبار، وكلاهما مخالف لما قاله الزمخشري الذي قرر أن جميع الشهداء أحياء ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي مقربون عنده ذوو زلفى، ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله. انظر: الكشاف (١/ ٤٣٩).

يؤت من العقل إلا مقدار ما يلزم به حجة الله فقد صدقوا، وإن عنوا العقولَ المجلوة السليمة من درن الهوى المعنيّة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، وبقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2] فليس كما ظنّوا.

ومن زعم أن القول بحياة الأرواح يؤدِّي إلى القول بالرجعة[3] فوهم فاسد، ولئن كان ذلك يؤدي إلى ما قالوه فإحياء الله مَن وصفهم بقوله: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾[4]

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢١.

(٣) قال ابن الأثير: «والرجعةُ: مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيًّا كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون: إن عليّ بن أبي طالب مستتر في السحاب... ويشهد لهذا المذهب السوء قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] يريد الكفار نحمد الله على الهداية والإيمان» النهاية (٢/ ٢٠٢). ويرى بعض المتخصصين أن كثيراً من فرق الشيعة يقولون بالرجعة ويتواصون بكتمانها وعدم التصريح باعتقادها. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد. رسالة دكتوراه. للدكتور ناصر القفاري (٢/ ٩٤١، ٩٤٦).

(٤) سورة البقرة جزء من الآية ٢٤٣. ونصُّها: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

الآية، وإحياء عيسى الأموات أكثر تأدية إليه، وأما على طريقة المتصوفة المذكورة في قوله: ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾[1] فإنهم قالوا: لما كان الإنسان مركباً من بدن وروح، والعقل تابع للروح، والهوى تابع للبدن، وبتوهين أحدهما تقوية الآخر، نبّه تعالى أن [من][2] جاهد نفسه، وقتل هواه في سبيل الله فلا تحسبنّه ميتاً، وعلى هذا قيل: قتل النفس في الدنيا حياة الآخرة[3]، **إن قيل**: لم وصفهم بالفرح[4]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[5]؟ **قيل**: الفرح تجاوز الحد في السرور بالملاذّ[6]، ولما كانت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٢) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٣) قال القشيري: الحياة بذكر الحق بعدما تتلف النفوس في رضاء الحقِّ أتم من البقاء بنعمة الخلق مع الحجبةِ عن الحق. ويقال: إن الذي وارثُه الحيّ الذي لم يزل فليس بميتٍ وإن قتل:

إذا كان العبدان للموت أنشئت ... فقَتْلُ امرئٍ في الله لاشك أفضلُ

لطائف الإشارات (١/ ٣٠٨).

(٤) في قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ آل عمران: ١٧٠.

(٥) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٦) قال في المفردات: الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية... ولم يرخص في الفرح إلا في قوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[الروم: ٤]. المفردات ص (٦٢٨).

الملاذّ الدنيوية غير متنافس فيها ذمّ الفرحين بها، ولما كانت الملاذّ الأخروية متنافساً فيها، كما قال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾[1] أباح لهم الفرح بها، حتى قال: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[2].

وأما استبشارهم بالذين لم يلحقوا بهم، فتنبيه أنهم يعرفون نعمة الله بالموت والقتل في سبيله، ويسرون إذا أخبروا بقتل أو موت إخوانهم بخلاف أبناء الدنيا[3]، وقوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ متضمنٌ لذكر كل شيء يكدر الحياة، فإن ما يعرض في الدنيا: إما خوف لوقوع محذور، أو حزن لفوت محبوب، والضمير في: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوز أن يكون ضميراً للذين لم يلحقوا بهم، وأن يكون للمستبشرين، وأن يكون لهما، إن قيل: / لم رفع ﴿أَحْيَآءٌ﴾ [٢٤٩/ ب] ونصب ﴿فَرِحِينَ﴾؟ قيل: لأن ﴿فَرِحِينَ﴾ حال للذين قتلوا، والنصب به أولى، و ﴿أَحْيَآءٌ﴾ استئناف، ولو نصب لكان معناه: بل احسبهم أحياء، ولم يُرد ذلك، وإنما أراد بتّ الحكم بكونهم أحياء[4].

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨. وانظر: البحر المحيط (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٣٩٥)، والوسيط (١/ ٥٢١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٤).

(٤) قال الزجاج: «القراءة بالرفع ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. ولو قرئت: بل=

قوله تعالى: ﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ . . .﴾[1] الآية.

إن قيل: ما الفرق بين النعمة والفضل هاهنا؟ قيل: الإشارة بهما إلى المذكورين في قوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2]، فالنعمة هي الحسنى والفضل هاهنا الزيادة[3]، إن قيل: لِمَ نكّرهما؟ قيل: التنكير في مثله على وجهين: **أحدهما**: ليدل على بعض غير معين، **والثاني**: قصد إلى إبهام المراد تعظيماً لأمره، وتنبيهاً أنه

= أحياءَ عند ربهم لجاز المعنى: أحسبهم أحياء. . .» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٨). وقد ردّ أبو علي الفارسي على الزجاج في هذا التجويز، وقال: لا يجوز ذلك، لأن الأمر يقين، فلا يجوز أن يؤمر فيه بمحسبة، ولا يصح أن يضمر له إلا فعل المحسبة. انظر: البحر المحيط (٣/ ١١٨)، والدر المصون (٣/ ٤٨٢). وممن أجاز النصب في قوله: «أحياء» العكبري، وذكر أنها قراءة. انظر: إملاء مامنّ به الرحمن ص (١٥٧).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧١. ونصُّها: ﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) قال أبو هلال: «الفضل: الزيادة» وقال في معنى الإفضال: «وهو كالإنعام في وجوب الشكر عليه، وأصله الزيادة في الإحسان». انظر: الفروق ص (٢١٤)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٠). وقد ذكر هذا المعنى: أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢١)، ويبدو أنه أخذه من الراغب لتشابه عباراته مع عبارات الراغب. والبيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ١٩٠).

يصعب إدراك شرحه[1]، وكأن التنكير في هذا إشارة إلى نحو ما قال: «**فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت**»[2] **إن قيل**: ما حقيقة ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]؟ **قيل**: لما كان من الأعمال التي صورتها في الدنيا صورة العبادات التي يستحق بها الثواب ما هو في الحقيقة غير عبادة يستحق بها الأجر، وإياها قصد بقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[4] بيّن هاهنا أن عمل المؤمنين لا يجري مجرى أعمال هؤلاء. **إن قيل**: ما الفرق بين الإفضال والإحسان؟ **قيل**: كلاهما اسم الزيادة على فعل العدالة، وتجاوز ما يجب إلى ما يستحب، لكن الإحسان يُقال باعتبار جمال الفعل في نفسه وتحرِّي تحسينه، والإفضال يقال باعتبار فعل بفعل أو فاعل، فيقال للزائد على الإجزاء فاضل[5].

---

(١) ذكر أبو حيان هذا الكلام بتمامه في البحر المحيط (٣/ ١٢١)، ولم يشر إلى الراغب. وانظر معاني التنكير في: الإيضاح ص (٥٠-٥٣)، وشرح التلخيص لمحمد هاشم ص (٦٢).

(٢) تقدم تخريجه ص (٨٥٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٥) فرق العسكري بين الإفضال والإحسان بنحو هذا التفريق، فقال: «الفرق بين «الإحسان» و«الإفضال» أن الإحسان: النفع الحسن، والإفضال: النفع الزائد على أقل المقدار، وقد خصّ الإحسان بالفضل، ولم يجب مثل=

[. . . . .][1]، فالاستجابة لله وللرسول، وإن جمع بينهما في الإيجاب فالواجب بالقصد الأول استجابة الله، لكن لمّا لم تتم استجابته إلا باستجابة رسوله صار ذلك واجباً، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والاستجابتان مختلفتان، فإن استجابة الله بتوحيده وعبادته، واستجابة رسوله بتلقي الرسالة عنه وقبول النصح منه[2].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾[3] الآية.

= ذلك في الزيادة، لأنه جرى مجرى الصفة الغالبة، كما اختصَّ النجم بالسِّماك ولا يجب مثل ذلك في كل مرتفع» الفروق ص (٢١٧)، وكان العسكري قد ذكر قبل ذلك أن أصل الإفضال: الزيادة في الإحسان. الفروق ص (٢١٤). وانظر: المفردات ص (٢٣٦، ٢٣٧، ٦٣٩).

(١) سقط قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ سورة آل عمران الآية ١٧٢، وكذلك بداية تفسير الراغب لها.

(٢) قال أبو حيان: «قيل: والاستجابتان مختلفتان، فإنهما بالنسبة إلى الله بالتوحيد والعبادة، وللرسول بتلقي الرسالة منه والنصيحة له. والظاهر أنها استجابة واحدة وهو إجابتهم له حين انتدبهم لاتباع الكفار على ما نقل في سبب النزول. . .» البحر المحيط (٣/ ١٢٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣. ونصُّها: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

قيل: سبب نزول ذلك أن أبا سفيان وأصحابه تقدموا إلى نُعيم ابن مسعود[1] ورضخوا[2] له شيئاً، وقالوا: إذا مررت بمحمدٍ وأصحابه، فقل: إنا قد أجمعنا على قصدهم بخيلٍ لا قبل لهم بها، فلما أتاهم، وقال لهم ذلك، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل[3]. **إن قيل**: لِمَ: ﴿قال لهم الناس﴾ وإنما قال ذلك رجل واحد؟ **قيل**: لّما كان القائل لنُعيم أبا سفيان وأصحابه المعبرّ عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ سُمي المُنبّىء عنهم بذلك ﴿ٱلنَّاسَ﴾، تنبيهاً أن المخوِّفين في الحقيقة هم المخوَّف منهم، والآية وإن نزلت فيهم

---

(١) نعيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف الأشجعي صحابي مشهور، أسلم في غزوة الأحزاب، وفيها خذَّل المشركين، وأوقع بينهم وبين بني قريظة حتى صرفهم الله عن المدينة، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل في أول خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٣/ ٥٦٨) وتقريب التهذيب ص (٥٦٥).

(٢) رضخوا: الرضخ: العطاء ليس بالكثير. انظر مجمع اللغة ص (٢٨٦).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٥٩، ٦٠). والواقدي في مغازيه (٢/ ٤٨٠-٤٨٣)، والذهبي في تاريخ الإسلام، قسم المغازي ص (٢٢٦، ٢٢٧)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٦٨، ٣٦٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٤٥، ٤٤٦)، وانظر الخبر في: جامع البيان (٧/ ٤٠٩-٤١١)، وأسباب النزول ص (١٣٢)، والوسيط (١/ ٥٢٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٠).

فالمعنيُّ بها هم ومن جرى مجراهم[1]، ونبّه بما حكى من جوابهم وفعلهم على نهاية ما يُطلب من إيمان العبد وتوكله لما أظهروا قولاً وفعلًا، وبيّن أنهم عادوا بنعمة وفضل في دنياهم وأخراهم في أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا أنهم لا يَعْرِض لهم في الدنيا ما يُحزن ويُخوِّف من سوء، ولكن لا يؤثر فيهم، والمقصود بهذه النعمة والفضل أعظم مما قال بعض المفسرين من أن المسلمين لما حضروا بدراً الصغرى[2]، ولم يحضروا للموعد صادفوا بها سوقاً،

---

(١) قال النيسابوري: «... وإنما عبرّ عن الإنسان الواحد بالناس، لأنه من جنس الناس... ولأن الواحد إذا قال قولاً وله أتباع يقولون مثل قوله ويرضون به، حسن إضافة ذلك الفعل إلى الكل كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢]، وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامّونه ويصلون جناح كلامه» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، وانظر: الوسيط (١/ ٥٢٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٨). ومن العلماء من جعل (الناس) الأولى: ركب عبدالقيس، والثاني: عسكر قريش على ما جاء في بعض روايات ابن إسحاق. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٥١) وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٤/ ٣١١) والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٧٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٠).

(٢) قول الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد، وذهب مجاهد إلى أنها في غزوة بدر الصغرى. قال ابن عطية: «وشذ مجاهد رحمه الله فقال: إن هذه الآية من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ إنما نزلت في خروج النبي عليه السلام إلى بدر الصغرى... والصواب=

فاشتروا ما ربحوا فيه، فكان ذلك هو الفضل والنعمة[1]، فإن أرباح التجارة الدنيوية أدون من أن يكون مقتصراً عليها في مقابلة المتوكلين على الله، الراضين عن الله تعالى، المرضي عنهم[2]، وقوله ﴿رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾ يجوز من حيث تقدير الكلام: أن يكون على معنى،

= ما قاله الجمهور: إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد». المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٨، ٢٩٩)، وقال ابن كثير: «... وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد أن هذا السياق نزل في شأن غزوة حمراء الأسد، وقيل: نزلت في بدر الموعد، والصحيح الأول». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٦) وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٣٦)، والتفسير الكبير (٩/ ٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٤)، وانظر آراء المفسرين حول سبب نزول هذه الآية في: النكت والعيون (١/ ٤٣٨)، والوسيط (١/ ٥٢٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٢٧)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١١٤).

(١) التي في قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤]. وهذا الذي ذكره هو ما قاله ابن جرير، وهو ما رواه عن مجاهد والسدي، وهو قول عامة المفسرين. انظر: جامع البيان (٧/ ٤١٤، ٤١٥)، وبحر العلوم (١/ ٣١٧)، والوسيط (١/ ٥٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٨)والكشاف (١/ ٤٤٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٩٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٧).

(٢) ذكر بعض المفسرين أن (الفضل) في الآية هو الثواب. انظر: زاد المسير (١/ ٥٠٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥).

[٢٥٠/أ] أن رضي الله عنهم، وأن يكون على أن رضوا عن الله، / فإن من رضي عن الله فقد رضي الله عنه[١]، ولهذا قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٢] وذكر تعالى في الآيات الثلاث ثلاث فرق، بعضهم أخصُّ من بعض، وذاك أن المؤمنين المستجيبين لله عام، والذين أحسنوا واتقوا [أخصّ][٣]، فجعل تعالى للمستجيب لله أجراً غير مُعيّن، وللمحسن المتقي في ذلك أجراً عظيماً، وهذا شبيه بما تقدم في قوله ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[٤]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾[٦] الآية.

إن قيل: إلى ماذا أشار بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾؟ **قيل**: فيه أقوال:

الأول: أنّه إشارة إلى من قال: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾[٧]

---

(١) قال ابن جرير: «﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يعني بذلك أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك، واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه من اتباع أثر العدو وطاعتهم» جامع البيان (٧/ ٤١٤). وقال غيره: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بطاعة رسوله ﷺ، والمعنى واحد. انظر: الوسيط (١/ ٥٢٣)، والتفسير الكبير (٩/ ٨٢).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٣) غير موجود بالأصل، والسياق يقتضيه.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥. ونصّها: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

فسمّاه شيطاناً لمشابهته في فعله[1] ، والثاني : أنه إشارة إلى الشيطان المتعارف بين الناس ، أي الشيطان الذي عرفتموه هو الذي يُخوِّف[2] ، والثالث : إشارة إلى ما دلَّ عليه قوله : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[3] ، أي ذلك العارض الذي هو الوهن والحزن شيطان[4] : كقول الشاعر :

ما ليلة الفقير إلا شيطان[5] ....

---

(١) ذكر ذلك ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤١٦)، ورواه عن ابن إسحاق، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٠) عن ابن عباس قال: فجاء الشيطان يخوف أولياؤه فقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. وانظر بحر العلوم (١/ ٣١٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١).

(٢) قال الزجاج: «وذلك التخويف الذي كان فعل الشيطان. . .» معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٤١٧)، وبحر العلوم (١/ ٣١٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٣٨)، والوسيط (١/ ٥٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨١، ٣٨٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٤) هذا القول بعيد، لطول الفاصل بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وكذلك فإني لم أجد لهذا القول ذكراً في شيء من كتب التفسير التي بين يديّ.

(٥) الرجز للشمّاخ بن ضرار وهو في ديوانه ص (٤١٣)، وانظر: اللسان=

وأمّا ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ فقد قال ابن عباس: معناه: يخوفكم أولياءه[1]، فعلى هذا حذف المفعول الأول، كقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[2] وقولهم: فلان يعطي الدراهم[3]، فالأولياء على هذا هم المخوّف بهم[4]، ....

= مادة: (شطن) والملاحن ص (٥٢)، والدر المصون (٢/ ٦١٧)، والمفردات ص (٤٥٥)، وقد نسبه ابن دريد للجليخ بن شميذ. انظر: جمهرة اللغة مادة: (رفق). والفقير: مفازة بين الحجاز والشام، وقيل غير ذلك.

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤١٦) بلفظ: «الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه». وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٦) وقال: هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وإبراهيم وابن قتيبة. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٢) وعزاه لابن جرير الطبري. وقال ابن تيمية: «هذا هو الصواب الذي عليه جمهور المفسرين كابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والنخعي، وأهل اللغة كالفراء، وابن قتيبة، والزجاج، وابن الأنباري». دقائق التفسير (١/ ٣٠٥).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢. قال ابن قتيبة: أي لينذركم ببأس شديد. وقال الطبري: بمعنى: لينذركم بأسه الشديد. انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (١١٦)، وجامع البيان (٧/ ٤١٧).

(٣) قال الطبري: «هو يعطي الدراهم ويكسو الثياب» بمعنى: هو يعطي الناس الدراهم ويكسوهم الثياب. فحذف ذلك للاستغناء عنه». جامع البيان (٧/ ٤١٧).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٨)، وغريب القرآن ص (١١٦)، =

وقيل: بل أولياؤه هم المخوَّفون[1]، وذاك أن الناس ضربان: ضرب لا سبيل للشيطان عليه، وهم المعنيون بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[2]، وضرب بخلافهم، وهم الذين قال فيهم: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾[3]، وقد صرّح تعالى بذلك في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[4] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[5]، وحقيقة خوف الله امتثال أمره، وعلى هذا

= وجامع البيان (٧/ ٤١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٠)، والوسيط (١/ ٥٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٥).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٢٢١)، وللفراء (١/ ٢٤٨)، وقد ذكر أبو حيان هذا القول، فقال: «ويجوز أن يكون المحذوف المفعول الثاني، أي ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ شر الكفار، ويكون (أولياءه) في هذا الوجه هم المنافقون، ومن في قلبه مرض، المتخلفون عن الخروج مع رسول الله ﷺ..» البحر المحيط (٣/ ١٢٥)، وذكر الطبري هذا القول عن السدي في جامع البيان (٧/ ٤١٧)، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٨) للحسن والسدي. وانظر: دقائق التفسير (١/ ٣٠٦)، والدر المصون (٣/ ٤٩٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1] ثم قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، تنبيهاً أن من شرط الإيمان التحقُّقُ أن ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا، ومن علم ذلك علم أوامر الله، فاتّبعها في ترك ما يأمر به الشيطان[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ . . .﴾[4] الآية.

كما نهى تعالى عن الخوف مما يُتوقع من حزب الشيطان، نهى عن الحزن على ما يفوته منهم، ووصف الكفار بالمسارعة في الكفر، كما وصف المؤمنين بالمسارعة في الإيمان، فقال: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[5]، وحقيقة المسارعة في ذلك أن يترقى الإنسان فيما يتحرّاه منزلةً فمنزلة، خيراً كان أو شرًّا، فيتعوَّده فيتقوّى به

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨. وانظر: جامع البيان (٧/ ٤١٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٤١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٣١٧)، والوسيط (١/ ٥٢٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦. ونصُّها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

على المنزلة الثانية، لأن الشر حاصلٌ بعضه عن بعض، وحاملٌ بعضه بعضاً، وكذا الخير[1]، وعلى هذا قال أمير المؤمنين: تبدو نكتة بيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازداد البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيضَّ القلب كلّه، وإن النفاق يبدو نكتة سوداء، كلما ازداد النفاق ازداد السواد، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كلّه[2]، وبيّن أن لا يعود إلى الله من مسارعتهم في الكفر

---

(١) المسارعة كما ذكر اللغويون هي المبادرة إلى الشيء. انظر: الصحاح (٣/ ١٢٢٨)، والقاموس ص (٩٤٠)، وتاج العروس (٢١/ ١٩٢).
وكأن الراغب نظر في كلامه عن معنى المسارعة إلى نتائجها وهي الارتقاء في منازل الخير أو الشر، والتدرج من منزلة إلى أخرى، واستدعاء كل منزلة للتي تليها.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٥٠٤، ٥٠٥) رقم (١٤٤٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعزاه لابن المبارك.
وهذا المعنى ورد مرفوعاً عن النبي ﷺ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربها نُكتت فيه نكتة سواء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين، قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، وقلب أسود مربادًّا كالكوز مُجخّياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه»** أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب رقم (١٤٤).

مضرة، كقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1].

إن قيل: كيف جعل العلّة في قوله: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ﴾ أنهم لن يضروا الله شيئاً، ولم يكن المسلمون يحزنون، لأجل أن خطر لهم أن هؤلاء يضرُّون الله، إنما كان حزنهم أن يضروهم؟ **قيل**: معنى ذلك لن يضروا أولياءه[2]، ألا ترى أنه ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقول: من آذي لي وليًّا قد آذاني**»[3]، وعلى التنبيه على هذا المعنى قال/ [٢٥٠/ب]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[5]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٢) ذكر هذا القول الواحدي في الوسيط (١/ ٥٢٤) وحكاه عن عطاء. وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٥٠٨)، وذكره القرطبي في الجامع (٤/ ٢٨٦)، واعتمده أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣/ ١٢٦) وانظر: أنوار التنزيل (١/ ١٩١).

(٣) ورد هذا الحديث بغير هذا اللفظ، فقد أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب «التواضع» رقم (٦٥٠٢) بلفظ: «إن الله قال: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...**» الحديث. ورواه أبو يعلى (١٢/ ٥٢٠) رقم (٧٠٨٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥) بلفظ: «**من آذى لي وليًّا فقد استحلَّ محاربتي**» ورواه البزار كما في كشف الأستار (٤/ ٢٤١)، وأحمد (٦/ ٢٥٦) بنحوه.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

﴿لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[1]، يريد إحباط عملهم بما استحقوه من الذنوب[2]، وقيل: يريد الحكم بحرمان ثوابهم، وأن لا يجعل لهم ما يستحقه المطيعون[3]، والفرق بين السرعة والعجلة إذا اعتبرنا بنفس الفعل، هو أن السرعة أن لا يترك الأمر يتأخر عن وقته، والعجلة فيه أن يقدمه على وقته، وإذا اعتبرنا بقوى النفس فالعجلة ما يفعل على مقتضى الشهوة، والسرعة تقال فيها وفيما يُفعل على مقتضى الرأي والفكرة، ولذلك ذم العجلة على الإطلاق، وقد حَمِدَ السرعة في مواضع[4].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ...﴾[5] الآية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.

(٢) هذا قول ابن إسحاق، رواه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٢)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٣٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(٤) قال العسكري: الفرق بين «السرعة» و«العجلة» أن السرعة التقدم في ما ينبغي أن يتقدّم فيه، وهي محمودة، ونقيضها مذموم وهو الإبطاء. والعجلة: التقدم في ما لا ينبغي أن يتقدّم فيه وهي مذمومة، ونقيضها محمود وهو الأناة...» الفروق ص (٢٢٥) وانظر: المفردات ص (٤٠٧، ٥٤٨).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٧. ونصها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ=

قد تقدَّم حقيقة الشرى والبيع إذا استُعملا في الكفر والإيمان[1]، وقال كثير من المفسرين: هذه الآية في معنى الأولى، وقد أعيدت تأكيداً[2]، والصحيح أن الأول ذمٌّ للذين تحرّوا الكفر وتزايدوا فيه متسارعين، وهذا ذمٌّ لمن حصّل الإيمان فأفرج عنه، واستبدل به كفراً، وهم الذين وصفهم بالارتداد على أعقابهم، وذمٌّ لمن مُكِّن من الإيمان فرغِب عنه، وآثر الكفر عليه، فصار كالبائع إيمانه بكفره[3]، وقوله: ﴿شَيْـًٔا﴾ في موضع المصدر، أو تقديره

لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١) انظر: تفسير الراغب لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] (ق ٢٢ ـ مخطوط).

(٢) ظاهر كلام ابن جرير يدل على ذلك، انظر: جامع البيان (٧/ ٤١٩).
وانظر: الكشاف (١/ ٤٤٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٨٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١١٦).

(٣) قال أبو حيان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا عام في الكفار كلهم. وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إن كان عامًّا فكرر هذا على سبيل التوكيد، وإن كان خاصًّا بالمنافقين أو المرتدين أو كفار قريش، فيكون ليس تكريراً على سبيل التأكيد، بل حكم على العام بأنهم لن يضروا الله شيئاً، ويندرج في ذلك الخاص أيضاً، فيكون الحكم في حقهم على سبيل التأكيد، ويكون=

بشيء، فحذف الجارّ ونصبه[1]، وجعل لمن بدّل الكفر بالإيمان عذاباً أليماً، وهو أبلغ مما جعله للفرقة الأولى، حيث وصفه بالعِظَم، إذ يقال العظيم اعتباراً بغيره مما هو من جنسه، وقد لا يكون شديد الألم، وأليم يقال لما تناهى في الألم، إذ هو بناء المبالغة، ويقال: هو أليم، سواء اعتُبر بغيره أو لم يُعتبر[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟...﴾[3] الآية.

= قد جمع للخاص العذاب بنوعيه من العظم والألم، وهو أبلغ في حقهم في العذاب، وجعل ذلك اشتراء من حديث تمكنهم من قبول الخير والشر، فآثروا الكفر على الإيمان. البحر المحيط (٣/ ١٢٧). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١١٧).

(١) ذكر الوجه الأول الزمخشري في الكشاف (١/ ٤٤٤)، والعكبري في إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٥٨) ورجّحه، وذكر الوجهين أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢٦).

(٢) انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٥٢)، والكامل (١/ ٢٦٠)، وقال أبو السعود: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم، بذكر غاية إيلامه، بعد ذكر نهاية عظمه. قيل: لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة، وصف عذابهم بالإيلام ومراعاة لذلك». إرشاد العقل السليم (٢/ ١١٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨. ونصُّها: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

الإملاء إطالة المدة[1]، ومنه ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾[2]، وتملّيت حبيباً[3]، وإملاء الكتاب على أحد القولين[4]، والملوان[5] وإذا قرئ بالياء فسهل، وإذا قرئ بالتاء فصعب[6]، فالذين كفروا هو المفعول الأول، ولا يصح أن يُجعل ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ المفعول الثاني، لأن هذه الأفعال تدخل على مبتدأ وخبر، ويجبُ أن يكون المفعول الثاني هو الأول في المعنى، و ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ ليس في المعنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، ولا يصح أن يُجعل بدلاً كما جُعِل في

---

(١) قال الطبري: «ويعني بـ(الإملاء): الإطالة في العمر، والإنساء في الأجل». جامع البيان (٧/ ٤٢١).

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٦. قال الجوهري: أي طويلًا. الصحاح (٢٤٩٧).

(٣) أي تمتعت به زماناً طويلًا. انظر: مجاز القرآن (١/ ٨)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٩٤). وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٥).

(٤) وقيل: أصل إملاء الكتاب من الإملال فقلبت اللام الثانية تخفيفاً كما قال في المفردات ص (٧٧٧).

(٥) الملوان: طرفا الليل والنهار. انظر: معجم مقاييس اللغة ص (٩٩٤)، والقاموس ص (١٧٢١). وانظر: المفردات ص (٧٧٦، ٧٧٧)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٠-٢٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(٦) قرأ حمزة: (ولا تحسبنَّ الذين كفروا) بالتاء خطاب للنبي ﷺ. وقرأ الباقون (ولا يحسبن الذين كفروا) بالياء إخبار عن الذين كفروا. انظر: حجة القراءات ص (١٨٢)، ومعاني القراءات ص (١١٣، ١١٤)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٥٦)، والنشر (٢/ ٢٤٤).

قوله: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾[1]، وفي قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾[2] فإنه حينئذ يلزم أن ننصب ﴿خيراً﴾ حتى يصير المفعول الثاني[3]، فيجب أن يكون بالياء أجود[4]، وقد اختلف في تأويل الآية من حيث إن ظاهرها يقتضي

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٣) وهذا ما فعله الزجاج انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩١) قال: «قد قرأ بها ـ أي بنصب خير ـ خلق كثير». قال أبو حيان: «وأنكر أبو بكر بن مجاهد هذه القراءة التي حكاها الزجاج، وزعم أنه لم يقرأ بها أحد. وابن مجاهد في باب القراءات هو المرجوع إليه» البحر المحيط (٣/ ١٢٨).

(٤) تبع الراغب في ذلك أبا علي الفارسي في الحجة (٢/ ٤٠٣)، ولكن القراءة بالتاء صحيحة متواترة، ولذلك فقد حكى العلماء تخريجات لهذه القراءة، منها تقدير مضاف محذوف، فيكون المعنى: ولا تحسبن شأن الذين كفروا، أو ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم وذلك حتى يصح كون المفعول الثاني هو الأول. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٢٢)، ومشكل إعراب القرآن ص (١٧٩)، والجنى الداني ص (٩٤). وخرجه الزمخشري وأبو الحسن ابن الباذش على أن يكون ﴿ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ بدل من (الذين). حكى ذلك كله أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٢٧). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٣٩، ١٤٠)، والكشاف (١/ ٤٤٤). وهناك تخريج آخر لقراءة حمزة، وهو ما قاله الكسائي والفراء: إنها جائزة على التكرير، أي ولا تحسبن الذين كفروا، لا تحسبن أنما نملي=

أن الله تعالى يريد بإملائهم أن يكفروا. قالوا: والله يتعالى عن هذا القصد[1]، مع كون هذه الآية منافية لمقتضى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

لهم. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٢١). قال أبو حيان: وقد ردّ بعضهم قول الكسائي والفراء، فقال: حذف المفعول الثاني من هذه الأفعال لا يجوز عند أحد، فهو غلط منهما. انتهى. البحر المحيط (٣/ ١٢٧).

(١) الصواب في تفسير هذه الآية أن تفسر بظاهرها أو بنظائرها من آيات الكتاب العزيز، وذلك ما فعله ابن جرير الطبري في جامع البيان، قال: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾: «إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾، يقول: ليكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر». جامع البيان (٧/ ٤٢٣). أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد فسرها بالآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وكقوله: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]، وكقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٨). قال القرطبي: «والآية نصٌّ في بطلان مذهب القدرية؛ لأنه أخبر أنه يطيل أعمارهم ليزدادوا الكفر بعمل المعاصي. . .» الجامع (٤/ ٢٨٨) قلت: والشبهة التي أوردها الراغب عن بعض المفسرين ناتجة عن عدم تفريقهم بين الإرادة والمشيئة الكونية والإرادة والمشيئة الشرعية، وقد سبق تقرير مذهب أهل السنة في ذلك، وبيان أن الإرادة والمشيئة الكونية القدرية لا تستلزم المحبة والرضا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا=

﴿ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[1]، فمنهم من قال: الآية على التقديم والتأخير، وتقديرها: لا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثماً، بل إملاؤنا خير لهم، ويكون مفعول ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ هو ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾، وعلق أن، وجعل ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ﴾ كالعِلّة لتأخيرهم، تنبيهاً أن ذلك أولاهم ليصير معونة لاكتسابهم الخير لأنفسهم، وهذا فاسد، لأن إنما يصح أن يعلق حيث ما يدخل لام الابتداء في خبره[2]، ومنهم من قال:

= ﴿مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفسق شرعاً، ولا يحب الفاسقين. انظر: معارج القبول (١/ ١٦٢) والقضاء والقدر للدكتور عبدالرحمن المحمود ص (٢٩١-٢٩٨).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦. وليس هناك تنافٍ بين مدلول الآيتين، لأنه تعالى أرادهم للعبادة شرعاً لا كوناً، ولذلك قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن: ٢]، فالإرادة الشرعية يستطيع العبد أن يخالفها، أما الإرادة الكونية القدرية فلا يستطيع دفعها عن نفسه بأي وجه كان.

(٢) **التعليق**: هو تعدي الفعل إلى مفعوله معنى لا لفظاً، وذلك إذا كان المعمول ذا استفهام أو مضافاً إليه أومسبوقا بلام ابتداء أو قسم أومنفيًا بلا أو ما. انظر: المساعد (١/ ٣٦٨)، وذكر النيسابوري أن هذا الوجه من تأويلات المعتزلة، بناء على قراءة شاذة ليحيي بن وثّاب بكسر (إن) الأولى وفتح الثانية، ثم قال: «وردّ بأن التقديم والتأخير خلاف الأصل، والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع أن الواحديّ أنكرها». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٦)=

الكلام على الترتيب، والمفعول هو ﴿أَنَّمَا﴾ وجعل اللام لام العاقبة، وتحقيق لام العاقبة هو أن اللام تارة تجيء تبييناً لقصد [٢٥١/أ] الفاعل بفعله / نحو ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، وتارة تبييناً لما أدى إليه الفعل، لا لقصد الفاعل(٢)، نحو ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٣). **إن قيل**: لِمَ قال هاهنا: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟ **قيل**: لما ذكر هاهنا إملاء الإنسان في الأعراض(٤) الدنيوية، وذلك قد يكون في الدنيا هواناً وعذاباً

= وانظر: الكشاف (١/ ٤٤٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٨، ١٢٩)، والدر المصون (٣/ ٥٠٤، ٥٠٥).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) والقول بأن اللام هنا لام العاقبة هو قول المعتزلة أيضاً، والصواب أنها لام الإرادة. انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١١٨). ونقل أبو حيان عن الماتريدي أنه قال: المعتزلة تناولوها على وجهين: أحدهما: على التقديم والتأخير، أي ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثماً إنما نملي لهم خير لأنفسهم. الثاني: أن هذا إخبار منه سبحانه وتعالى على حسبانهم فيما يؤول إليه أمرهم في العاقبة، . . وفي التأويل الأول إفساد للنظم. وفي الثاني تنبيه على من لا يجوز تنبيهه، فإن الإخبار عن العاقبة يكون لسهو في الابتداء أو غفلة، والعالم في الابتداء لا ينبه نفسه. انتهى كلامه». البحر المحيط (٣/ ١٢٩) وقد رد ابن المنير على الزمخشري في هذا الموضع. انظر الكشاف (١/ ٤٤٤) هامش رقم (١).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٤) في الأصل (ولأعراض)، والصواب ما أثبته.

لصاحبه، وهو لفقدان بصيرته يقدر أن الهوان في فقدانه فلا يُفرج عنه؛ ذكر الهوان الذي هو أعمُّ الألفاظ الثلاثة من ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ و﴿ٱلْأَلِيمَ﴾ و﴿ٱلْمُهِينِ﴾ ليعم الدارين[1]، وعلى هذا قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾[3] الآية.

الخبيث: مستعار للعمل السيىء، والطيّب: للعمل الصالح[4]

---

(١) قال النيسابوري: «وفي وصف العذاب أولاً بالعظم، ثم بالألم، ثم بالإهانة تدرج من الأهون إلى الأشق، وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣١٦) وانظر في سبب ختم الآية بذلك: البحر المحيط (٣/ ١٢٩، ١٣٠)، والدر المصون (٣/ ٥٠٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١١٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩. ونصّها: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

(٤) قال الراغب: «الخبث والخبيث: ما يكره رداءةً وخساسة محسوساً كان أو معقولاً... وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال»، ثم ذكر هذه الآية وقال: «أي الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنفوس الخبيثة من النفوس الزكيّة...» المفردات ص (٢٧٢). وقال السمين الحلبي: «والخبث يكون في المعقولات كما يكون في المحسوسات، =

تشبيهاً للذِكر المسموع بالنشر المشموم، وعلى هذا قال الشاعر:

تبحثت عن أخباره فكأنما ... نبشت صداه بعد ثالثة الدفن[(١)]

وقال آخر:

.... ثناء مثل ريح الجورب[(٢)]

وعلى هذا حُمل ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[(٣)]، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[(٤)] أي الأعمال في الخبث والطيب جارية مجرى فاعليها، وقيل: المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث[(٥)]، والاجتباء: كالاصطفاء،

= وبذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال»، عمدة الحفاظ (١/ ٥٥٧)، وانظر: بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٢٢).

(١) البيت ذكره الراغب في مجمع البلاغة ص (٢٠٠) ونسبه لابن الرومي. وانظر: كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء ص (٥٥١).

(٢) ذكره الراغب في مجمع البلاغة ص (٢٠٠) بلفظ:

.... وثناؤه في الناس ريح الجورب

وهو مثل أصله:

أثن عليَّ بما علمت فإنني ... مُثْنٍ عليك بمثل ريح الجورب

انظر: مجمع الأمثال (٢/ ٣٥٤).

(٣) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٥) أخرج البيهقي في الشُّعب عن أنس مرفوعاً «نيّة المؤمن أبلغ من عمله»، قال ابن دحية: لا يصح، وقال البيهقي: إسناده ضعيف، والحديث في كشف=

وأصله الجمع، فكأن من اجتباه الله ضمَّه إلى نَفْسِه حتى يكون له بأجمعه[1]، بخلاف من قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾[2] وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[3] وتحقيق التمييز من الله لا على سبيل التعرف، بل ليحصِّل الخبيث خبيثاً والطيب طيباً، وذلك حقيقة التكليف[4]، وقد كرّر الله تعالى هذا المعنى مع كل فصل، فقال:

= الخفاء (٢/ ٣٢٤)، والمقاصد (٧٠١)، وضعيف الجامع (٥٩٨٨)، وأسنى المطالب (١٦١٨)، والحلية (٣/ ٢٥٥).

(١) قال الأزهري: «الجبا: بكسر الجيم: ما جمعت في الحوض من الماء... وقال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦] قال الزجاج: معناه، وكذلك يختارك ويصطفيك، وهو مشتق من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وفيه جبيت الماء في الحوض...» تهذيب اللغة (١١/ ٢١٤، ٢١٥). وانظر: العين (٤/ ١٩٢)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٢٣٣)، والصحاح (٦/ ٢٢٩٨)، والمفردات ص (١٨٦)، واللسان (١٤/ ١٢٨- ١٣١).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٤١.

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٢٤)، وفيه أن التمييز يكون بالمحن والاختبار. وقال ابن كثير: «أي لابد أن يعقد شيء من المحنة حتى يظهر فيه وليّه، ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين...» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٠٨). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٣٠).

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ﴾[1] ، ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ﴾[2] ، ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ﴾[3] و ﴿ لِيَمِيزَ ﴾[4] ، وقال من بعد: ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾[5] ، كل ذلك تنبيهاً على أن التكليف في الحقيقة هذه الأشياء، وأما الغيب فكل ما لا تدركه الحواس وبداهة[6] العقول[7] ، وهذا على القول المجمل ثلاثة أضرب: ضربٌ استبد تعالى به[8] ولم يُطلع عليه أحداً لا الملائكة المقربين، ولا من دونهم، لاستغنائهم عنه، وضرب قد يُطلِع عليه أصفياء عباده، وهو حقائق العلوم، وذلك بحسب ما عُرف من حاجتهم إليه ومصلحتهم فيه، وإياه عنى بقوله: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾[9] ، وبيّن في الآية أن اطلاع العامة على غيبه وأقضيته

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤١ .

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٧ .

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦ .

(٦) في الأصل: (وبداية)، والصواب ما أثبته.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٢١٤)، والصحاح (١/ ١٩٦)، والمفردات ص (٦١٦، ٦١٧)، واللسان (١/ ٦٥٤-٦٥٦)، والكليات ص (٦٦٣).

(٨) استبدّ تعالى به: أي تفرد. القاموس (٣٤١).

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦ .

منافٍ للحكمة، وذلك أن جماعة من الكفار سألوا النبيَّ ﷺ وقالوا: هل نحن ممن يؤمن[1]؟ ثم قال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ تنبيهاً على التوكل على الله وحُسن الظنِّ بنبيِّه، والتحقق أنه يفعل بعباده ما هو أصلح لهم، وأنّ بالإيمان والتقوى يُستحق الأجر العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[2] الآية.

قُرئ بالياء[3] على تقدير: لا يحسبن الباخلون البخل هو خير

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٢٥، ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٤) عن السدي، وعزاه السيوطي إليهما في الدر المنثور (٢/ ١٨٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠. ونصها: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

(٣) قرأ حمزة وحده (ولا تحسبن الذين يبخلون) بالتاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] (ولا يحسبن الذين يفرحون... فلا يحسبنهم) أربعتها بالياء وضم الباء من (يحسبُنهم) وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بالياء فيها إلا قوله ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم﴾ فإنه بالتاء. وقرأ حمزة كلها بالتاء. وقرأ عاصم والكسائي وخلف: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بالياء والباقي بالتاء. انظر: حجة القراءات ص (١٨٣)، ومعاني القراءات ص (١١٣، ١١٤)، والمبسوط ص (١٤٩)، والتلخيص ص (٢٣٥)، والغاية ص (٢٢٠)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٥٦)، والنشر (٢/ ٢٤٤).

لهم، فحذف البخل الذي هو المفعول الأول، لدلالة ﴿ يَبْخَلُونَ ﴾ عليه، كقولك: من كذب كان شرّاً له، وإذا قُرئ بالتاء فتقديره لا تحسبّن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، فحذف المضاف لظهور المعنى[1]، وبيّن بالآيتين أنهم جعلوا أعمارهم وأموالهم مصروفة إلى ما أورثهم إثماً أو عقوبة يوم القيامة، وتطويقهم ما بخلوا به على طريق التشبيه والتقريب[2]، نحو ما ذكر النبي ﷺ «يأتي كنز أحدهم يوم القيامة شجاعاً أقرع[3]، له زبيبتان، فيطوق في حلقه[4]»،

---

(١) هذا تقدير الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٣)، وانظر علة القراءتين في: حجة القراءات ص (١٨٣، ١٨٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٣)، والدر المصون (٣/ ٥١٠، ٥١١).

(٢) القول بأن التطويق في الآية على التشبيه والتقريب غير صحيح، والصواب كون ذلك حقيقة. قال الطبري: يعني بقوله جلّ ثناؤه ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾ ما بخل به المانعون الزكاة طوقاً في أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة. جامع البيان (٧/ ٤٣٣) وقال الواحدي: «يجعل ما بخل من المال حية يطوقها يوم القيامة في عنقه، تنهشه من قرنه إلى قدمه» الوسيط (١/ ٥٢٧).

(٣) الشجاع بالضم والكسر الحية الذكر وقيل: الحية مطلقاً. والأقرع الذي لا شعر على رأسه، يريد حيّةً قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره. والزبيبتان: النكتتان السوداوان فوق عيني الشجاع. انظر: غريب الحديث للهروي (١/ ٨٠). والنهاية (٢/ ٤٤٧)، (٤/ ٤٤، ٤٥).

(٤) وهذا التطويق أيضاً حقيقة. قال ابن حجر: يُطوقه: بضم أوله وفتح=

فيقول: أنا الزكاة التي منعتني»[1]، وعلى هذا قوله تعالى/ : [٢٥١/ب]
﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾[2] إلى قوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[3]، ونبّه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] على انتقال ما في أيديهم إليه، كما قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[5]، ونبّه أن ما خوّلهم لو أنفقوا على ما يجب وكما يجب لاستحقوا ثواباً، فلمّا لم يفعلوا ذلك انتقل عنهم، وصار عقوبة لهم، وكأنّه إلى مقتضى معناه أشار من أوصى، فقال: اكتبوا هذا ما خلّف فلان يسوءه وبنوه

= الواو الثقيلة، أي يصير له ذلك الثعبان طوقاً. فتح الباري (٣/ ٢٧٠).

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما، أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٣٣-٤٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٧)، والبخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب «إثم مانع الزكاة» رقم (١٤٠٣)، والنسائي كتاب الزكاة، باب «التغليظ في حبس الزكاة» (٥/ ١١)، والترمذي كتاب التفسير، باب «من تفسير سورة آل عمران» رقم (٣٠١٢) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه كتاب الزكاة، باب «ما جاء في منع الزكاة» رقم (١٧٨٤)، وأحمد (٢/ ٢٧٦).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

انتقل عنه نفعه، وخفي عليه وزره، وبيّن أنه عالم ببخلهم، وما يؤول إليه حالهم، وما يخبرهم به.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾(١) الآية.

لمّا أنزل الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾(٢) قال قوم من اليهود تهكماً على النبي ﷺ: إن الله فقير ونحن أغنياء، يستقرض منّا، فأنزل الله تعالى ذلك(٣)، ولم يُعَيِّرهم أنهم اعتقدوا فقر الله، وإنما عيّرهم تجاهلهم وتكذيبهم(٤) وصرفهم الكلام إلى غير الوجه المقصود به(٥)، وعلى هذا قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١. ونصها: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٤٣، ٤٤٤) عن الحسن وقتادة. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٨) عن ابن عباس، وانظر: الوسيط (١/ ٥٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٠)، والعجاب (٢/ ٨٠٤).

(٤) في الأصل (ونكدهم)، ولعله تصحيف وقع من الناسخ.

(٥) حمل الآية على الوجهين أحسن وأليق بعقول اليهود، لأن بعضهم ربما اعتقد حقيقة أن الله فقير، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيراً. قال أبو حيان: =

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1]، ونبّه بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ أنهم ارتكبوا من المعاصي ما هو مثل هذا القول، أو أكثر منه، ولم يقل ﴿بغير حق﴾: أن في قتل بعض الأنبياء حقًّا، ولكن جعل ذلك حالهم على العموم، أي هو في كل حال على غير حق[2]، وكَتْبُ ذلك قيل: هو على الحقيقة، وقيل: هو على طريق المثل، عبارة عن حفظه، وأنه لا ينسى[3]، واعلم أن الكتابة جعلها الله لنا عوناً

= «ومقالتهم هذه إما على سبيل الاستهزاء بما نزل عن طلب الإقراض، وإما على سبيل الجدل والإلزام، لأن من طلب الإقراض كان فقيراً، وإما على الاعتقاد، ولا يستبعد ذلك من عقولهم...» البحر المحيط (٣/ ١٣٥).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) وأكثر من ذلك أنهم كانوا يعتقدون عدم جواز قتل الأنبياء. قال الجمل: «قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي حتى في اعتقادهم، فكانوا يعتقدون أن قتلهم لا يجوز ولا يحل، وحينئذ فيناسب شن الغارة عليهم» الفتوحات الإلهية (١/ ٣٤١).

(٣) مرتبة الكتابة من مراتب القدر التي أجمع أهل السنة على إثباتها. قال الإمام ابن القيم: «أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب»، شفاء العليل ص (٨٥). وانظر: الإبانة لابن بطة (٢/ ٩)، العقيدة الواسطية لابن تيمية شرح الفوزان ص (١٦٤)، وقال أبو حيان: «الظاهر إجراء الكتابة على أنها حقيقة، قال بذلك كثير من العلماء، وأنها تكتب الأعمال في صحف، وأن تلك الصحف هي التي توزن، ويحدث الله سبحانه وتعالى فيها الخفة=

لحفظنا، وذاك أن اللفظ لا يُفهم إلا القريب دون البعيد، وإلا الشيء بعد الشيء، ويسرع إليه مع ذلك الاضمحلال، فربما لا يعيه السمع، وإذا وعاه فربما لم يتصوَّره، وإذا تصوَّره فربما أخلّ به الحفظ فأعانه الله بالكتابة، لتكون تكملة لقوة النطق، وواعية لما يضيع من الفهم، ومدركة جملةً في حالة واحدة، فعُلِم من ذلك أن الكتابة وإن كانت شريفة فإنما احتجنا إليها لنقصنا وتكميل أفهامنا، فمن حمل الكتابة على الحقيقة قال: كتب الملأ الأعلى أعمالنا، لا لجبران نقصهم وضعف فهمهم وخوف نسيانهم؛ ولكن لجبران نقيصة البشر، وليتذكَّر به ما لعله نسي، وليرى صورة أعماله المتفرِّقة دفعة، ومن حمله على التشبيه فإنه ذكر أن نقص القريحة والسهو والنسيان الموجودة فينا في الدنيا معدومة عنّا في الآخرة؛ فلا حاجة بنا إلى الكتابة، وحينئذٍ قال: وعلى ذلك وصف الكتابة بالنطق في قوله: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[2] وعلى هذا سمّى

= والثقل بحسب ما كتب فيها من الخير والشر». البحر المحيط (٣/ ١٣٦).
وانظر: الوسيط (١/ ٥٢٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٤٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٠).

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

الوحي كتاباً، فقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾[1]، ومعلوم أن المنزل لم يكن وقت الإنزال مكتوباً، قال: وعلى هذا معنى قوله تعالى ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[2] أي حافظين، وقال: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾[3]، قال: وعلى هذا قول الشاعر:

صحائف عندي للعتاب طويتها   ستُنشر يوماً والعتاب يطول[4]

وهذا القول وإن كان له مساغ في مجاز اللغة، فأهل الأثر[5] على الوجه الأول[6]، والله أعلم بحقائق أحوال القيامة، ومعنى

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١١.

(٣) سورة عبس، الآية: ١٥.

(٤) البيت للعباس بن الأحنف. انظر: ديوانه ص (٢٥٠)، وينسب ليزيد بن الطثرية برواية (طويل) بدل (يطول). انظر: ديوانه ص (٩٨).

(٥) أهل الأثر: هم أهل الحديث، قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أوكتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً. مجموع الفتاوى (٤/ ٩١).

(٦) وهو الصواب الذي لا شك فيه، فالكتابة من مراتب القدر التي يجب الإيمان بها، قال الطحاوي: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم». وقد قسّم شارح الطحاوية الأقلام إلى أربعة أقلام، فذكر القلم الرابع وهو الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام =

﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ ﴾[1] أي نُذَوِّقهم ذلك، ونوجب لهم[2].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ . . . ﴾[3] الآية.

أي نكتب ما قالوا ونعاقبهم[4] عليه جزاء لما ارتكبوه. إن [٢٥٢/أ] قيل: / لِمَ خصّ اليد، وفيما ذكره عنهم أفعال بغيرها من الجوارح؟

= الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد في الكتاب والسنة. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٤٤، ٣٤٨). وانظر: تفصيل مرتبة الكتابة في: شفاء العليل ص (٣٩-٤٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٢) يرى الراغب أن الأمر في هذه الآية لم يرد به طلب الفعل، بل أريدت به الإهانة، كقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص (١٤٨)، وشرح التلخيص (٢/ ٣١٧)، والصواب أن الله تعالى يقول لهم ذلك حقيقة، وليس هناك داع لصرف اللفظ عن مدلوله، كما فعل الراغب. قال أبو حيان: «وفي الجمع بين القول والفعل أعظم انتقام، ويقال للمنتَقَم منه: أحس وذق. . . والظاهر أن هذا القول يكون عند دخولهم جهنم، وقيل: قد يكون عند الحساب أو عند الموت. . .» البحر المحيط (٣/ ١٣٦)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢. ونصّها: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

(٤) في الأصل (ونعاقبه)، والسياق يقتضي ما أثبته.

قيل: لّما كانت اليد هي[1] الآلة الصانعة المختصة بالإنسان، فإنه لما كفى كل واحد من الحيوانات بما احتاج إليه من الأسلحة والملابس، وسخّره لاستعمالها في الدفع عن نفسه، وخلق الإنسان عارياً من كل ذلك، جعل له الرؤية واليد الصانعة، ليعلم برؤيته، وليعمل بيده فوق ما أعطى الحيوانات، فلما كان لليد هذه الخصوصية صارت تُخص بإضافة عمل الجملة إليها[2]، إن قيل: لِمَ خص لفظ ظلّام الذي هو للتكثير في نفي الظلم في هذا المكان، ولم يقل على ما قال في قوله: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[3]، الذي هو يقتضي نفي الظلم قليله وكثيره؟ قيل: إنما خص ذلك لأنه لما كان في الدنيا قد يُظن بمن يعذب غيره عذاباً

---

(١) في الأصل: (كان اليد هو)، ولعله خطأ من الناسخ.

(٢) قال أبو حيان: «... ونسب ما قدّموه من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية إلى الأيدي على سبيل التغليب، لأن الأيدي تزاول أكثر الأعمال، فكان كل عمل واقع بها...» البحر المحيط (٣/ ١٣٦)، وانظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب، حيث فصّل القول في هذه المسألة، وعقد لها باباً عنوانه [هداية الأشياء إلى مصالحها] ص (١٢٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٠)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٣)، وروح المعاني (٤/ ١٤٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.

شديداً أنه ظلَّام قبل أن يُفحص عن حال جُرمه، بيّن تعالى ذنبهم، وأنه إذا عاقبهم عقوبة شديدة فليس بظلَّام لهم، وإن كان قد يظن في الدنيا بمن يفعل ذلك أنه ظلَّام. تعالى الله عن الظلم[1].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ ﴾[2] الآية.

القربان: أصلُه مصدرٌ كالشُّكران والكُفران، وفي التعارف

---

(١) للمفسرين في ذلك تعليلات شتى، منها أنه أتى بصيغة المبالغة للتأكيد على نفي الظلم، ومنها أنه أتى بها لنفي أصل الظلم وكثرته باعتبار آحاد من ظلم، فالمبالغة في (ظلَّام) باعتبار الكمية لا الكيفية ومنها أنه إذا انتفى الظلم الكثير انتفى القليل، لأن من يظلم يظلم للانتفاع بالظلم، فإذا ترك كثيره مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر، كان لقليله مع قلة نفعه أكثر تركاً. ومنها أن (ظلام) للنسب (كعطار) أي لا ينسب إليه الظلم أصلًا. قالوا: فظلام من صيغ النسب على حدّ قول ابن مالك:

ومع فاعل وفعال فعل   في نسبٍ أغنى عن اليا فقُل

ومنها أنها لرعاية جمعية العبيد، من قولهم: فلان ظالم لعبده، وظلام لعبيده. انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٠، ٣٢١)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٢) والفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٢)، وروح المعاني (٤/ ١٤٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٣. ونصّها: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

اسم لما يُتقرَّبُ به إلى الله تعالى[1]، وكَثُر استعمالُه في النسيكة[2]، والعهدُ كالعقد، ولمّا تعورف في الوصية والأمر، كثُر استعماله مع: إلى، فقيل: عَهِدَ إليه[3]، ولمّا ادعى اليهود على ما أوقع شبهةً للجهلة، وكان حلُّها يصعب عليهم على التحقيق، وربّما كان اليهود مع ذلك يشغبون فيه[4]، سلّم دعواهم كتسليم جدل وناقضهم فيها، وكأنّه قيل: هَبِ

---

(١) قال ابن جرير: يقول: حتى يجيئنا بقربان، وهو ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة، وهو مصدر مثل «العدوان» و«الخسران». جامع البيان (٧/ ٤٤٨). وقال السجستاني: «ما تُقُرِّب به إلى الله جل وعز من ذبح أو غيره، وهو فعلان من القربة». غريب القرآن ص (٣٨٣). وانظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٢٤)، والصحاح (١/ ١٠٩٨). والفروق ص (٢١٧)، وأصل القربان: نار لها حفيف وصوت شديد، انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٩).

(٢) انظر: المفردات ص (٦٦٤)، والنهاية (٤/ ٣٢)، ولسان العرب (١/ ٦٦٤، ٦٦٥). والنسيكة: الذبيحة. انظر: بصائر ذوي التمييز ص (٢٥٣).

(٣) قال الجوهري: «العهد: الأمان، واليمين، والموثق، والذمة، والحفاظ، والوصية. وقد عهدت إليه أي: أوصيته، ومنه اشتُق العهد الذي يكتب للولاة». الصحاح (١/ ٥١٥). وانظر: غريب الحديث (١/ ٤٣٩)، وتهذيب اللغة (١/ ١٣٥ - ١٣٨)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٧١٣)، والفروق ص (٦١)، والمفردات ص (٥٩١، ٥٩٢)، ولسان العرب (٣/ ٣١١)، والقاموس ص (٣٨٧).

(٤) يشغبون فيه: من الشغْب وهو تهييج الشر. انظر: القاموس ص (١٣١).

الأمر كما قلتم أليس من الحق أن لا تقتلوا من الأنبياء من جاءكم بالبيّنات وبالذي قلتم، وإذا قتلتموهم ولم تقبلوا قولهم، دلَّ ذلك أنكم كاذبون في دعواكم؛ أنّه عَهِدَ إلينا بذلك، فهذا معنى قوله: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]، وهذا أوضح دلالة وأقربها مأخذاً وأخزاها لهم[2].

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ. . .﴾[3] الآية.

إن قيل: لم قال: ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ والزبور هو الكتاب، لقول الشاعر:

.... كخطِّ زبور في عسيب يمان[4]

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٣.

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٤٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٣٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٢)، وروح المعاني (٤/ ١٤٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤. ونصها: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾.

(٤) هذا عجز بيت لامرئ القيس وصدره:

لمن طلل أبصرته فشجاني ....

انظر: ديوان امرئ القيس بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ص (٨٥)، وجامع البيان (٧/ ٤٥١)، والزاهر (١/ ٧٤)، ولسان العرب مادة: «صرع»، والدر المصون (٣/ ٥١٩). وانظر في معنى: الزبور: العين (٧/ ٣٦٢)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٩٦).

قيل: قد قال بعضهم: الزبور هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعيّة[1]، والكتاب في تعارف القرآن ما يتضمن الأحكام[2]، ولهذا جاء في عامة القرآن كتاب وحكمة، ففصل بينهما لهذا، واستعمل الكتابة في معنى الإيجاب[3]، فعلى هذا اشتقاقه من زبرت الشيء أي حكمتُه[4]، وقيل: الزبور اسم لما أُجمل ولم يفصَّل، والكتاب يُقال لما قد فُصِّل، قيل: واشتقاقه من الزُّبرة أي القطعة من الحديد التي تُركت بحالها[5]، وعلى هذا قال الشاعر:

---

(١) قال الزجاج: «(الزبر) جمع زبور، والزبور: كل كتاب ذو حكمة. يقال: زبرت إذا كتبت، وزبرت إذا قرأت». معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٥) وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٣٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٢).

(٢) انظر: الصحاح (١/ ٢٠٨)، والمفردات ص (٧٠١).

(٣) انظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٣٩٤)، والأفعال ص (٦٥).

(٤) في الأصل (حسنته) والصواب ما أثبته. قال الأزهري: «وأصل الزبر: طي البئر، إذا طويت تماسكت واستحكمت. والزبر الزجر: لأن من زبرته عن الغي فقد أحكمته». تهذيب اللغة (١٣/ ١٩٦). قال ابن فارس: «الزبر يدل على أصلين: أحدهما: إحكام الشيء وتوثيقه». انظر: معجم مقاييس اللغة ص (٤٦٨).

(٥) قال الجوهري: الزُّبرة: القطعة من الحديد والجمع زُبَر. قال الله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾. وزُبرٌ أيضاً، قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾. أي: قطعاً. الصحاح (٢/ ٦٦٦) وقال الأزهري: «وزبرة الحديد: قطعة ضخمة منه» تهذيب اللغة (١٣/ ١٩٧) وانظر: العين (٧/ ٣٦٢)، والمفردات ص (٣٧٧).

وما السيفُ إلا زبرة لو تركتها   على الحالة الأولى لما كان يقطع[1]

وقيل: الزبور هاهنا اسم للزاجر من قولهم: زبرته أي زجرته[2]، قال: وبيّن أنه تعالى أتاهم بالآيات الدالة على الوحدانيّة والنبوّة، وبالمزاجر المعنيّة بقوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[3] وهذا تسليةٌ للنبي ﷺ وعتابٌ له، فقد رُوِيَ أنه قال: «**ما لقي أحد في الله ما لقيت**»[4]، فنبّه أن حال الأنبياء قبله كحاله، وحال قومهم كحال قومه، وليس/ [٢٥٢/ب] الشرط في نحو هذا الموضع للشك، كما تصوره بعض المفسرين، فأخذ يتخبط في جوابه، وإنما ذلك

---

(١) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه (٢/ ٣٣٤).

(٢) قال ابن منظور: «وزبره يزبُره ـ بالضم ـ عن الأمر زبراً: نهاه وانتهره». لسان العرب (٤/ ٣١٥). وانظر: الأفعال لابن القوطية ص (٢٨٧)، والفروق ص (٣٢١). وقال أبو حيان: «والزبر: جمع زبور، وهو الكتاب، سمي بذلك، قيل: لأنه مكتوب، إذ يقال: زبره: كتبه، أو لكونه زاجراً من زبره: زجره». البحر المحيط (٣/ ١٣٨). وانظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٨٦)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٢.

(٤) ورد نحو ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت**...» الحديث أخرجه البخاري رقم (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق. ومسلم رقم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

للتحقيق[1]، ومورده كقياس شرطي موجب للحكم[2]، وبيانه إن كذَّبوك فقد كذَّبوا من صدَّقك، وقد صدَّقك الرُّسلُ قبلك، فإذا كذَّبوك فقد كذَّبوا رسُلًا من قبلك.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ . . . ﴾[3] الآية.

[الفوز][4]: إدراك الأمنيّة. والمفازة في قوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ ﴾[5] مصدر، ويُقال للمهلكة: مفازة تفاؤلاً، والصحيح أنّهم لمّا رأوها تارة سبباً للفوز، وتارة سبباً للهلاك سمّوها بالاسمين، وذلك بنظرين مختلفين[6]، وكذا قولهم: هلك، وفاز، إذا مات،

---

(١) ذكر ابن قتيبة أنّ: (إن) تأتي بمعنى (إذ) و (لقد)، وكذلك قال الفيروز آبادي. انظر: تأويل مشكل القرآن ص (٣٥٢)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ١١٨).

(٢) القياس الشرطي هو قياس مركب من قضايا شرطية، وهو المشتمل على النتيجة أو نقيضها بالفعل نحو: «لو كان النهار موجوداً لكانت الشمس طالعة، ولو لم يكن النهار موجوداً ما كانت الشمس طالعة، فالنتيجة في الأخيرة ونقيضها في الأولى مذكوران بالفعل». الكليات ص (٧١٥) وانظر: التعريفات ص (١٩٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥. ونصها: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

(٤) ليست في الأصل والسياق يقتضيها. وقال في المفردات: «الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة». المفردات ص (٦٤٧).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٦) قال ابن فارس: واختلف في المفازة، فقال قوم: سميت تفاؤلاً بالسلامة =

كأنه رُئِيَ الموت في بعض الناس هلاكاً له، وفي بعضهم فوزاً له، إما لكونه متبلغاً بذلك إلى فوز الآخرة ونعيم الأبد، وإما لخلاصهم من شدَّةٍ يَرَى الموتَ في جنبها فوزاً[1]، وكذا المنيّة أراها والأمنيّة من أصلٍ واحد بنحو هذين النظرين[2]، وتخصيص الذوق هاهنا من حيث إنه ذكر الباخلين بالمال، وهو قوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ . . . ﴾[3] الآية، وأعظم البخل بالمال يكون خشيةً من فقدان الطعام الذي به قوام الأبدان، ولهذا ذكر

= والفوز، وقال آخرون: هو من فوَّز إذا هلك، وفوَّز الرجل إذا ركب المفازة. . .» مجمل اللغة ص (٥٥٦). وانظر: الأضداد لابن الأنباري ص (١٠٤)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢٦٤)، والمفردات ص (٦٤٧)، والنهاية (٣/ ٤٧٨).

(١) قال الراغب: «فإن يكن (فوّز) بمعنى (هلك صحيحاً، فذلك راجع إلى الفوز تصوّراً لمن مات بأنه نجا من حبالة الدنيا، فالموت -وإن كان من وجه هلكاً- فمن وجه فوز. . . هذا إذا اعتبر بحال الدنيا، فأما إذا اعتبر بحال الآخرة فيما يصل إليه من النعيم فهو الفوز الكبير. . .» المفردات ص (٦٤٧).

(٢) وأصل المادة (منى) و(المنىٰ) التقدير، يقال: منى لكَ الماني: أي قدّر لك المقدّر. والتمني: التكذُّب تفعُّل من منى يمني إذا قدَّر، لأن الكاذب يقدّر الحديث في نفسه ثم يقوله. والمنية: هو الأجل المقدّر للحيوان. انظر: مجمل اللغة ص (٦٥٢، ٦٥٣)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٦٦)، والمفردات ص (٧٧٩، ٧٨٠)، والنهاية (٤/ ٣٦٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

الأكـل في عامـة المواضع التي ذكر فيها احتجاز المال، نحو ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[1]، وقولـــه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾[2] فبيّن بالذوق أن الذي يخافونه[3] طعامٌ لابد منه[4]، **والغـرور**: مصدر أو جمع غارّ، كرقود، وقعود، في جمع راقد وقاعد[5]، **والمتاع**: التمتع[6]، ....

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٣) يعني الموت.

(٤) قال القرطبي: ﴿ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ من الذوق، وهذا مما لا محيص عنه للإنسان، ولا محيد عند لحيوان، وقد قال أمية بن أبي الصلت:

من لم يمت عَبْطَةً يمت هرماً للموت كأس والمرء ذائقها

الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٧).

(٥) قال أبو حيان: «إن جعل الغرور جمعاً فهو كقولك نفع الغافلين. وإن جعل مصدراً فهو كقولك: نفع إغفال، أي: إهمال، فيورث الغفلة عن التأهُّب للآخرة». البحر المحيط (٣/ ١٤٠). وانظر معاني الكلمة في: تهذيب اللغة (١٦/ ٦٧-٨٨)، والصحاح (٢/ ٧٦٧-٧٧٥)، والمفردات ص (٦٠٣، ٦٠٤).

(٦) قال ابن منظور: والمتاع: السلعة، والمنفعة، وما تمتعت به، وكل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها. لسان العرب (٨/ ٣٣٣) وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٠-٢٩٦)، والصحاح (٣/ ١٢٨٢)، والمفردات=

فنبّه أن السكون إلى الدنيا والتمتُّع بها غُرور، وأن الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت[1]، واقتصر على زاد يتبلَّغ به.

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2] الآية.

قيل: سبب نزولها أن كعب بن الأشرف[3] كان يهجو النبي

= ص (٧٥٧، ٧٥٨).

(١) إشارة إلى حديث شدَّاد بن أوس مرفوعاً «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٥٠) رقم (٢٤٥٩)، وقال: حسن، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣) رقم (٤٢٦٠). وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٣٨)، وابن المبارك في الزهد ص (٥٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٨١، ٢٨٤) رقم (٧١٤١، ٧١٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٧، ٢٦٨)، والبغوي رقم (٤١١٦، ٤١١٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦. ونصّها: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

(٣) كعب بن الأشرف: يهودي من أعداء الله ورسوله ﷺ، كان شاعراً واستخدم شعره في هجاء رسول الله ﷺ وإيذائه حتى قال رسول الله ﷺ: «من لي بابن الأشرف فقد آذاني». وبالإضافة إلى ذلك فقد رثى قتلى قريش في بدر، وحضهم على محاربة النبي ﷺ وأعانهم على ذلك وأخبرهم أن دينهم خير من دينه. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٥٦)، والصارم المسلول=

ﷺ، ويحرِّضُ المشركين عليه حتى قتله محمد بن مسلمة[1][2]، وقيل: بل هو أن سمع أبو بكر يهوديًا يقول: ترى إله محمدٍ فقيراً حتى يستقرض منّا، فلطمه أبو بكر[3]، وجُمَلة الأمر أنّ جميع ما يُبتلى به الإنسان ويُتعبَّد به ثلاثة أشياء: إمّا متعلِّقٌ بالمال، وإمّا بالنفس، وإمّا بمجاهدة العدو، وأعظم المجاهدة الصبر

= على شاتم الرسول لابن تيمية ص (٧٩، ٨٠).

(١) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري أبو عبدالرحمن المدني، حليف بني عبدالأشهل، صحابي مشهور، ولد قبل البعثة باثنين وعشرين سنة، وأسلم بالمدينة قبل الهجرة على يد مصعب بن عمير، شهد بدراً وما بعدها، كان من فضلاء الصحابة، شارك في قتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق بأمر النبي ﷺ، واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، توفى سنة ٤٣هـ، وقيل سنة ٤٦هـ وله سبع وسبعون سنة. الإصابة (٦/ ٢٨)، وتقريب التهذيب ص (٥٠٧).

(٢) روى عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٢) بسنده عن الزهري أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف بسبب هجائه النبي ﷺ وتشبيبه بنساء المسلمين. ورواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٣٤) بسنده عن الزهري، والواحدي في أسباب النزول ص (١٣٤، ١٣٥)، والوسيط (١/ ٥٣٠). وانظر: العجاب (٢/ ٨١٠).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٤١، ٤٤٢، ٤٥٥، ٤٥٦) عن ابن عباس وعكرمة، ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٩، ٨٣٤) وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٤١)، والبحر المحيط (٣/ ١٤١)، والعجاب (٢/ ٨٠٥).

على الأذى المسموع من الأعداء، إذ هو سبب الشرور، ولهذا قال الشاعر:

.... وإن الحرب أولها كلام[(١)]

فبيّن تعالى أنكم إن صبرتم واتقيتم في هذه الأمور التي تُبلون بها، فإن ذلك من عزم الأمور[(٢)]. **إن قيل**: ما معنى: من عزم الأمور، وما الأمور التي جعل تعالى هذه الأشياء من عزمها؟ **قيل**: **العزم**: ثبات الشيء على الشيء، وإمضاؤه[(٣)]، والحزم يقاربه[(٤)]، إلا أن العزم بالإمضاء أشبه، إذ هو من العزم، أي

---

(١) هذا عجز بيت من بحر الوافر لنصر بن سيّار، وتمامه:

فإن النار بالعودين تزكى ... وإن الحرب أولها الكلام

انظر: ديوانه ص (٤٠)، وعيون الأخبار (١/ ٢١٠)، والحماسة البصرية (١/ ١٠٧)، والأغاني (٦/ ١٢٤)، وبهجة المجالس (١/ ٤٦٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٥٥).

(٣) قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله، وكذلك العزيمة...» مجمل اللغة ص (٥١٨). وانظر: الفروق ص (١٣٥)، والمفردات ص (٥٦٥).

(٤) قال ابن الأثير: الحزم: ضبط الرجل أمره والحذر من فواته، من قولهم: حزمت الشيء: أي شددته. النهاية (١/ ٣٧٩)، وانظر: العين (٣/ ١٦٦)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٧٦)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٢٦٠)، والقاموس ص (١٤١٢).

القطع[1]، والحزم بجمع الرأي أشبه، إذ هو من حزمت الحطب والقصب، أي جمعتُ[2]، ولذلك [قيل][3]: أحزم لو أعزم[4]، وأمّا الأمور التي عناها فيجوز أنها الثواب الذي جعل للصابرين والصالحين والمتقين، وما أشبه ذلك، ويجوز أن تكون الأمور إشارة إلى ما تقدم[5]، ونبّه أنّ بالصبر والتقوى يُتوصَّل إليه.

---

(١) ومنه: «ليعزم المسألة» أي يجد فيها ويقطعها. انظر: النهاية (٣/ ٢٣٢).

(٢) قال النقاش: «العزم والحزم بمعنى واحد، الحاء مبدلة من العين. قال ابن عطية: وهذا خطأ، والحزم جودة النظر في الأمر، وتنقيحه. والحذر من الخطأ فيه، والعزم: قصد الإمضاء...». انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣١٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٢).

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) هذا الكلام مثلٌ ومعناه: «إن عزمت الرأي وأمضيته فأنا حازم، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعني حزمي». انظر: مجمع الأمثال (٢/ ١٠٤)، المستقصى (٢/ ١٨٩)، ومجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص (١٠١).

(٥) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر أن الأمور في الآية هي الثواب، بل قالوا: ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي الأمور التي ينبغي أن يعزمها كل أحد، لما فيه من كمال المزية والشرف والعز، أو مما عزمه الله تعالى وأوجبه على عباده. فعزم الأمور هو صواب التدبير الذي لا شك في ظهور الرشد فيه، فكل أمر كان حميد العاقبة، معروفاً بالرشد والصواب فهو من عزم الأمور. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٥٥)، والتفسير الكبير (٩/ ١٠٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤)، وروح المعاني (٤/ ١٤٨).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[1] الآية.

النبذ: طرح الشيء لقلّة الاعتداد به[2]، وقولهم: جعلت كذا خلف ظهري أي أهملته[3]، وقيل: تقدير الآية على ما يقرب من فهم العامة، وإذ نَبَذَ أهل الكتاب وراء ظهورهم ما أخذ الله عليهم من الميثاق من تبيين ما/ أوتوه من الكتاب للناس، واشتروا به ثمناً [٢٥٣/أ] قليلًا[4]، وقد تقدّم الكلام في أخذ الميثاق عليهم، وكيفية ذلك[5]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧. ونصها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

(٢) قال ابن فارس: «نبذت الشيء أنبذه، إذا ألقيته من يدك...» مجمل اللغة ص (٦٨٤)، وانظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٩٧)، والفروق ص (٣٢٩)، والمفردات ص (٧٨٨).

(٣) ومنه المثل: «لم أجعلها بظهر» قال الميداني: «الهاء كناية عن الحاجة يضربه المعني بحاجتك. ويقول: لم أجعل حاجتك وراء ظهري، ولم أعقل عنها بل جعلتها نصب عيني». انظر: مجمع الأمثال (٢/ ١٨٩)، والمستقصى (٢/ ٢٥٣). وقال ابن عطية: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ استعارة لما يُبَالغ في اطّراحه، ومنه: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: ٩٢]» المحرر الوجيز (٣/ ٤١٤). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٠٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٢٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٤٥٨، ٤٥٩).

(٥) انظر: تفسير الراغب للآية (٩٣) من سورة البقرة (ق ٧٧ ـ مخطوط).

وفي معاني الثمن القليل[1].

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ. . .﴾[2] الآية.

المفازة من العذاب: هي المنجاة في قول الشاعر:

تحل بمنجاة من اللوم بيتها[3] . . . .

والكلام في تكرير ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾، ودخول الفاء في الأخير

---

(١) انظر: تفسير الراغب للآية (٧٩) من سورة البقرة (ق ٦٩ ـ مخطوط).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨. ونصُّها: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وتطلق أيضاً على المهلكة تفاؤلاً. انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٥٢٣)، والأضداد ص (١٠٤). وانظر في معنى الآية: جامع البيان (٧/ ٤٧٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٣)، والوسيط (١/ ٥٣٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٤). وقال الفراء والزجاج: ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي ببعيد. قال أبو حيان: لأن الفوز معناه التباعد من المكروه. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٠)، والزجاج (١/ ٤٩٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٤).

(٣) هذا صدر بيت من بحر الطويل للشنفري في وصف امرأة يريد أنها لا تذم لإيثارها الناس على نفسها. والمنجاة من النجو أي الارتفاع. وتمامه:

تحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حلّت

انظر: شرح اختيارات المفضل (١/ ٥١٧)، والإيضاح في علوم البلاغة ص (٣٣٨)، ودلائل الإعجاز ص (٣١٠)، والمفضليات ص (١٠٨).

منه صعب، وقد قال الزجاج: لا تحسبن، مكرر لطول القصة، قال: والعرب تعيد إذا طالت القصة حسبت وما أشبهها، إعلاماً أنّ الذي جرى متصل بالأول، تقول: لا تظنن زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا فلا تظننّه صادقاً[١]، وقيل: الفاء زائدة[٢]، والوجه في ذلك عندي أن قوله: لا تحسبنّ على الخبر وتقدير الكلام فيه، وذلك إشارة إلى يوم القيامة بعد أن يدخل الكفار النار، ويقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٣] والمعنى: والله إنك لا تحسبهم حينئذٍ أنّهم بمفازةٍ من العذاب، أي لهم سبيل إلى الخلاص فلا تحسبنهم الآن، وهذا نهيٌ والأوّل خبر[٤]، وحذف

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٩٨)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ١٣٦).

(٢) قال أبو حيان: «فدخول الفاء إنما يتوجه على أن تكون زائدة، إذ لا يصح أن تكون للعطف، ولا أن تكون فاء جواب الجزاء...» البحر المحيط (٣/ ١٤٤) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٠٧)، والدر المصون (٣/ ٥٢٩). ولا يجيز سيبويه زيادة الفاء، وأجاز الأخفش زيادتها مطلقاً، وقيّدها الفرّاء وجماعة بكون الخبر أمراً أو نهياً. انظر: مغني اللبيب ص (٢٩١)، وهذا الذي ذكره الراغب من كون الفاء زائدة هو قول أبي علي الفارسي في الحجة (٢/ ٤٠١).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.

(٤) ذكر هذا الوجه ابن زنجلة في حجة القراءات ص (١٨٧). وفيه ضعف، لأن (لا) إذا كانت نافية فتوكيد الفعل الداخلة عليه بالنون قليل. انظر: =

مفعول أحد الفاعلين[1]، وإذا قُرئ بالياء[2]، فكذلك، ويكون بتقديره: لا تحسبنّ أنفسهم كذلك، والآية قيل: نزلت في قوم دخلوا على النبي ﷺ فنافقوه، فلمّا خرجوا، أثنى عليهم بعض الناس ففرحوا بذلك[3]، وقيل: نزلت في الذين كتموا أمر النبي ﷺ وادّعوا علماً وعبادة أثنى عليهم بها قومهم[4]، وقيل: نزلت

= الجنى الداني ص (١٤٣)، والمغني ص (٤٤٤).

(١) انظر: الحجة للفارسي (٢/ ٤٠٠-٤٠٤).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لا تحسبن الذين يفرحون... فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) بالتاء، وقرأ الباقون (لا يحسبن)، وقرأ ابن كثير وأبو عمر: (فلا يحسبُنَّهم)، وقرأ الباقون (تحسبنهم)، انظر: حجة القراءات ص (١٨٦، ١٨٧)، والمبسوط ص (١٤٩)، والغاية ص (٢٢٠)، والنشر (٢/ ٢٤٤).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٦٧) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٣٩)، والواحدي في أسباب النزول ص (١١٦). ورواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ رقم (٤٥٦٨). ورواه مسلم في كتاب صفة المنافقين وأحكامهم رقم (٢٧٧٨). ورواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٩٨)، والترمذي في التفسير رقم (٣٠١٤) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في الكبرى في التفسير (١٠٦) والطبراني في الكبير رقم (١٠٧٣٠)، ورواه الحاكم (١/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٦٧، ٤٦٨) عن الضحاك والسدي، =

في المنافقين المتخلفين عن الجهاد، المدعين دعاوى يُحبّون أن يُحمدوا عليها[1]، وكيف ما كان. فالآية عامة في النهي عن الرياء والتشبُّع[2]، والذمّ لمن فعل خيراً ففرح به، وإلحاق الوعيد بمن أحب أن يُحمد بما لم يفعل، وقد رُوي أنّ إبليس قال: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها: إذا أُعجب بنفسه،

= ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢٨)، ورواه عبد بن حميد في تفسيره المخطوط بهامش تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ق٩٧)، وعبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤١، ١٤٢) وذكره ابن حجر في العجاب (٢/ ٨١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٢) وعزاه لابن جرير وعبد بن حميد.

(١) يشير الراغب إلى ما رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ رقم (٤٥٦٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين رقم (٢٧٧٨)، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب في كتاب التفسير رقم (٣٠١٤) من تفسير سورة آل عمران، والطبري في جامع البيان (٧/ ٤٦٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٩)، وأحمد في المسند (١/ ٢٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان رقم (٤٧٣٢) الإحسان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا له، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت». والأقوال الثلاثة متشابهة.

(٢) التشبع: أي التكثر بأكثر مما عنده، يتجمّل بذلك، كالذي يُري أنه شبعان وليس كذلك، ومن فعله فإنما يسخر من نفسه. انظر: النهاية (٢/ ٤٤١).

واستكثر عمله، وسُرَّ بمدحه بما لم يفعله[1].

إن قيل: -فكيف قال عليه السلام: «**من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن**»[2]؟ **قيل:** السرور بذلك محمود، والفرح به مذموم، وقد تقدَّم الفرق بينهما[3]، وبين بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4] مع أنّهم لا ينجون، فإنهم يعُذّبون عذاباً أليماً.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص (٤٠) بلفظ: «إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٤) من حديث أبي أمامة. وقال: هذه الأحاديث صحيحة على شرط الشيخين، ولم يعقّب عليه الذهبي. ورواه الترمذي رقم (٢١٦٥) كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، والحاكم (١/ ١١٤)، وابن أبي عاصم في السنة، رقم (٨٨)، والخطيب في الفقيه والمتفقه رقم (٤٣٠)، وأحمد (١/ ١٨) نحوه، والنسائي في الكبرى - كتاب عشرة النساء - كما في التحفة (٨/ ٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٩١)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٤٩) رقم (٤٠٣)، والبزار كما في البحر الزخّار رقم (١٦٦)، وابن حبان رقم (٧٢٥٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٣) قال أبو هلال: السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة...». انظر: الفروق ص(٢٩١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

﴿قَدِيرٌ﴾[1] أتبع تكذيبهم فيما قالوا: إن الله فقير. وتبكيتهم فيما فعلوه، وما وعدهم به من العذاب بما أنبأ عن قدرته عز وجل وسعة ملكه، وأن لا سبيل لهم إلى النجاة وإلى الخروج عن ملكه وسلطانه، وهذا هو المعنى الذي تحرّاه النابغة[2] بقوله:

فإنك كالليل الذي هو مدركي[3] . . . .

لكن على الآية رونق الإلهية وتعميم الملك والقدرة بلا مثنويّة، وإضافة الفعل إلى موجد الليل والنهار.

قول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] الآية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٩.

(٢) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، توفي سنة ١٨ قبل الهجرة. انظر: طبقات الشعراء ص (٤١)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٧)، والمؤتلف والمختلف ص (٢٥٢)، والأغاني (١١/ ٣).

(٣) هذا صدر بيت من بحر الطويل للنابغة الذبياني، وتمامه:

فإنك كالليل الذي هومدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

انظر: ديوانه ص (٥٢)، والكامل ص (٩٢٣)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠. ونصُّها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

نبّه تعالى أن التفكر في ذلك يدل على وحدانية الله تعالى، وأن جميع هذه الأشياء لا تنفكُّ من ثلاثة أضرب: إمّا موجود العين، قائم الجوهر، قابل للانتقال وتبدّل الأمكنة بأجزائه: كالسماء والنجوم، وإمّا قابلٌ للاستحالة والتغير بجملته وأجزائه، وذلك كالأرض وما عليها، وإمّا أن يكون مما لا بقاء له بحاله، بل ينصرم، ويقابله نظيره كالليل والنهار، وقد ذكر ثلاثتها، ونبّه على حدوثها، لأن المتنقل لا ثبات له، والمستحيل لا بقاء له، وما كان هذا حاله فغير منفك من دلالة الحدث، وما لم يخل من محدِثٍ/ فمسخّر له، ومحالٌ أن يكون المسخَّر المُحدَث أزليًّا واجب [٢٥٣/ب] الوجود[١]، فإذن لابد له من موجِد يوجده، وموجده[٢] واجب الوجود، وذلك هو الباري تعالى[٣]، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

---

(١) واجب الوجود: هو الذي يكون وجوده من ذاته، ولا يحتاج إلى شيء أصلًا. انظر: التعريفات ص (٢٦١).

(٢) في الأصل طمس على الأحرف الثلاثة الأولى من الكلمة، وصورة ما بقي تدل على ما أثبته.

(٣) قال شارح الطحاوية: «. . . فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل، فإن نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم. شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٧٦).

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾[1] الآية، ونبّه بقوله: ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2] أن من لم يكن ذا لُبٍّ قلَّ عناؤه في التفكُّر فيها، واللب هو اسم للعقل[3] أزيل عنه الدرن[4]، وذاك أن العقل وإن كان أشرف مُدرك من الأشياء فهو في الأصل كسيف حديد لم يُطبع ولم يُصقل، فإذا تُفُقِّد وتُعُهِّد بالحكمة صار كسيف طبع، فأُزيل خبثه، وشُحذ حَدُّه، وكل موضع يذكر الله تعالى فيه أجلَّ مُدرَكٍ لا يمكن إدراكه إلا بأجلِّ مُدرِك، قال بعض الصوفية: هذه المنزلة وإن خُصَّ بها أولوا الألباب فمنزلة الأنبياء والأولياء أشرف منها، لأنهم ينظرون من خالق السموات والأرض إليها[5]، ولهذا قال لنبيه

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٨)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٥٢٣)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٣٤)، وفي الأصل فراغ وطمس بمقدار كلمة بين كلمتي (العقل) و(أزيل) مع استقامة المعنى بدونه.

(٤) انظر: مجمل اللغة ص (٦٢٩)، والمفردات ص (٧٣٣).

(٥) الآية عامة تشمل الأنبياء والأولياء وغيرهم من ذوي العقول السليمة. قال أبو حيان: «ومعنى (لآيات): لعلامات واضحة على الصانع وباهر حكمته، ولا يظهر ذلك إلا لذوي العقول، ينظرون في ذلك بطريق الفكر والاستدلال لا كما تنظر البهائم» البحر المحيط (٣/ ١٤٥)، فجعل الأولياء في منزلة فوق منزلة أولي الألباب، وقرنهم بالأنبياء من=

ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[1]، وهذا الذي قاله صحيح، فإن الإنسان يمكنه أن يعرف حكمة الصانع أولاً بتدبر مصنوعه، ومتى عرف حكمة الصانع حينئذٍ عرف مصنوعاته به، فيصير ما كان دالاً مدلولاً، وما كان مدلولاً دالاً، وبهذا النظر قال من سُئل: بِمَ عرفت الله؟ فقال: به عرفت كل ما سواه[2].

= حيث إنهم يتلقون عن الله مباشرة من غلو الصوفية. والقشيري نفسه ذكر عن أولي الألباب ما ذكره الراغب عن الأولياء، فقال: «قوله تعالى: ﴿ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أولو الألباب الذين صحّت عقولهم عن سُكر الغفلة، وأمارة من كان كذلك، أن يكون نظره بالحق، فإذا نظر من الحق إلى الحق استقام نظره، وإذا نظر من الخلق إلى الحق انتكست نعمته، وانقلبت أفكاره مورّثة للشبهة» لطائف الإشارات (١/ ٣١٦). وانظر: قضايا هامة في الولي والولاية، ص (٣٥٩) من الرسالة القشيرية. وص (٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٨) من قطر الولي على حديث الولي للشوكاني.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

(٢) ولهذا كان الإقرار بتوحيد الربوبية وأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان متفقاً عليه بين جميع الطوائف، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠]. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥، ٢٦).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ. . .﴾[1] الآية.

الذِّكر: ذكر باللسان، وذكر بالقلب[2]. وذكر القلب ذكران: ذكر عن نسيان، وهو إعادة ما انحذف عن الحفظ، وذلك هو التذكر في الحقيقة، وذكر هو إدامة مراعاة ما ثبت في الحفظ[3]، وقوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[4] عبارة عن حال الاضطجاع، وعلى ذلك قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾[5] فمن حمل الآية على الصلاة، وقال: معناه لا يخلون بها في شيء من أحوالهم قائمين إذا قدروا، قاعدين إذا عجزوا،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١. ونصُّها: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

(٢) قال ابن القيم: «والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة» مدارج السالكين (٢/ ٤٤٠).

(٣) وهذا ضد الغفلة، وقد أشار إلى هذين النوعين الهروي في منازل السائرين قال: «والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان». قال ابن القيم: «والفرق بين الغفلة والنسيان أن الغفلة ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره» انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٥) سورة يونس، الآية: ١٢. وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٧٥).

وعلى جنوبهم إذا مرضوا[1]. وقد رُوي في ذلك أن النبي ﷺ قال لسهل بن حنيف[2]: «**صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**»، ثم تلا الآية[3]، ومنهم من جعله أعمّ من

---

(١) ذكر أبو حيان أن هذا قول ابن عباس وجماعة. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٤٥)، وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود ما يدل على ذلك في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٠). وانظر: الوسيط (١/ ٥٣٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٢)، وزاد علي بن أبي طالب والنخعي، والمحرر الوجيز (٣/ ٣١٩)، ونسب القرطبي هذا القول للحسن وجماعة، انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١١) قال القرطبي: «وإذا كانت الآية في الصلاة ففقهها أن الإنسان يصلي قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنبه...». وانظر: الدر المنثور (٢/ ١٩٤).

(٢) الصواب أن النبي ﷺ قال ذلك لعمران بن حصين. وسهل بن حنيف هو ابن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث الأوسي الأنصاري أبو ثابت، ويقال: أبو سعيد المدني، صحابي مشهور، شهد بدراً والمشاهد كلها، وبايع النبيَّ ﷺ يوم أحد على الموت، استخلفه عليٌّ على البصرة، وولاَّه فارس، وصلى عليه حين مات سنة ٣٨هـ. انظر: الإصابة (٣/ ١٦٥)، وتقريب التهذيب ص (٢٥٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب «إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب» رقم (١١١٧). ورواه أبو داود كتاب الصلاة، باب «في صلاة القاعد» رقم (٩٥٢)، والترمذي كتاب الصلاة، باب «ما جاء على أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم» رقم (٣٧٢)، وابن ماجه =

ذلك، وقال: لا ينفكون من ذكر الله في جميع أحوالهم[1]، كقولك: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2]، ومنهم من جعله أعمّ من ذلك أيضاً، وقال: معناه لا يتحرّون بجميع أفعالهم إلا وجهه[3]، وبيان ذلك أن مباحات أولياء الله كلها قُرَبٌ يُستحق بها الثواب، وذاك أنهم لا يأكلون ولا ينامون إلا وقت الضرورة، ومقدار ما يستعينون به على العبادة، وما لا تتم عبادتهم إلا به فذاك واجب كوجوبها. وذلك قوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] إشارة إلى ما قال ﷺ: «تفكّروا في

= كتاب إقامة الصلاة، باب «ما جاء في صلاة المريض»، وأحمد في المسند (٤/ ٤٢٦)، وابن خزيمة رقم (٩٧٩، ١٢٥٠)، والدارقطني (١/ ٣٨٠)، والبيهقي (٢/ ٣٠٤)، والبغوي رقم (٩٨٣)، وليس فيه أن النبيّ ﷺ قرأ الآية.

(١) هذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢). وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٢٣).

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٣) قال السمعاني: «وقيل معناه: الذين يوحّدون الله على كل حال». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨٨). وقال القشيري: «استغرق الذكر جميع أوقاتهم، فإن قاموا فبذكره، وإنْ قعدوا أو ناموا أو سجدوا، فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر. لطائف الإشارات (١/ ٣١٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

آلاء الله، ولا تفكّروا في الله»[1]، وقوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾[2] أي يقولون[3] وليس يعني بذلك القول من دون العلم، فإن ذلك إقامة شهادة، ومن شهد بشيء وهو على ما شهد به، لكن لا يعلم كونه كذلك فشهادته مردودة بدلالة قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]، ومن عرف حقيقة ذلك وأقام هذه الشهادة فكأنهم شهدوا الله وهو يخلق

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٣١٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٢)، اللالكائي في السنة (٢/ ١٥٢٥)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥٥٦)، ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٣٦١): فيه نظر: ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٥٣٠) وأبو الشيخ في العظمة رقم (٢) نحوه. ورجح الحافظ في فتح الباري (١٣/ ٣٨٣) وقفه، وقال: سنده جيد. أي الموقوف. والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٤، ١٩٥) إلى ما تقدم، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في «التفكُّر» والأصفهاني في الترغيب والترهيب. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص (٢٦١): وأسانيده ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣) قال أبو جعفر: «قائلين. فترك ذكر «قائلين» إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه». انظر: جامع البيان (٧/ ٤٧٦). والبحر المحيط (٣/ ١٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

السموات، ولهذا قال تعالى في ذمِّ الكفار حيث ثكلوا[1] هذه الفضيلة، فقال: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾[2] وفي قوله: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ﴾[3] تنبيهٌ أنه قصد تعالى بخلق هذه الأشياء قصداً صحيحاً[4]، وذلك ما قاله الحكماء أن القصد بخلق السموات والأرض إنما هو الإنسان، وإنّما خلق النبات والحيوانات قواماً/ له، قال: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾[5]، والقصد بخلق الإنسان أن يستخلفه في الأرض، فيقوم بحق الخلافة، ويبلغُ بها إلى أعظم السعادة في جواره، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[6]، فلما تحقق المتفكرون ما لأجله خُلقت السموات والأرض، وعرفوا مآلهم سبَّحوه، واستعاذوا [٢٥٤/أ]

(١) ثكلوا: أي فقدوا. انظر: القاموس ص (١٢٥٧).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٤) قال ابن كثير: «أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً، بل بالحق؛ لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى...» تفسير ابن كثير (١/ ١٤٥)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٦٧).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٦) سورة ص، الآية: ٢٧.

به من النار[١].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٢]، يقال: خَزِيَ الرجل: إذا لحقه انكسار، إمّا من نفسه بإفراط، يقال في مصدره الخزاية، وإمّا من غيره، ويقال في مصدره الخزي[٣]، وعلى هذا هان وذلَّ، متى كان ذلك من نفسه، يقال له الهُون والذُّل، ومتى كان من غيره يُقال له الهوان والذِّل[٤]،

(١) أشار إلى هذا المعنى الألوسي بقوله: «ثم لما استغرقوا في بحار العظمة والجلال ـ وبلغوا هذا المبلغ الأعظم، وتحققوا أن من قدر على ما ذكر من الإنشاء بلا مثال يحتذيه أو قانون ينتحيه، واتصف بالقدرة الشاملة، والحكمة الكاملة، كان على إعادة من نطقت الكتب السماوية بإعادته أقدر، وأن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة، هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم القلبية والقالبية ـ طلبوا النجاة مما يحيق بالمقصرين ويليق بالمخلين فقالوا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. روح المعاني (٤/ ١٦٠، ١٦١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٢.

(٣) قال ابن فارس: خَزِيَ الرجل: إذا استحيا من قبح فعله، خزايةً فهو خزيان. مجمل اللغة ص (٢١١). وانظر: المفردات ص (٢٨١).

(٤) ذكر الراغب في المفردات الشواهد على هذا التقسيم، فقال: «الهوان على وجهين: **أحدهما**: تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيمدح به نحو قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. **الثاني**: أن يكون من جهة متسلط مستخِفٍّ به فيذم به. وعلى الثاني=

والآية من تمام الحكاية عن المتفكرين في خلق السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾[1] الآية.

الأبرار جمع برٍّ وبارٍّ، نحو جَدٍّ وأجدادٍ، وصاحبٍ وأصحابٍ، وأصله من البرّ أي المكان الواسع[2]، فبرّه خوله برًّا، أي سعة، ويُقال للإنسان إذا أكرم من دونه وأكرمه من فوقه

= قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ ﴾ [الأنعام: ٩٣] ﴿ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ ﴾ [فصلت: ١٧]. . .» المفردات ص (٨٤٨، ٨٤٩). وانظر: تهذيب اللغة (٦/ ٤٤١)، (٧/ ٤٩٠). (١٤/ ٤٠٦)، والفروق ص (٢٧٤- ٢٧٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣. ونصها: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾.

(٢) قال الزجاج: «وواحد الأبرار: بار. وأبرار مثل صاحب وأصحاب، ويجوز أن يكون بر وأبرار على فعل وأفعال». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٠١)، وقال ابن منظور: والبرُّ بالفتح: خلاف البحر، والبرية: الصحراء، نسبت إلى البر. . . والبر: القفار. لسان العرب (٤/ ٥٤، ٥٥) وانظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٨٤، ١٨٥)، ومعجم مقاييس اللغة ص (١٠٧)، والمفردات ص (١١٤). وذكر الفيروز آبادي من معاني البر: الاتساع. انظر: القاموس ص (٤٤٤).

برّه[1]، كما يقال فيهما: أحبَّ ووالى، والأبرار: هم الموصوفون بقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾[2]، والمنادي للإيمان والداعي إليه: قد يكون العقل[3]، وكتابه المنزَّل[4]، ورسوله المرسل[5]، وآياته الدالة، وإن كان الأظهر في هذا الموضع أن يكون الرسول، لقوله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[6]، وقوله:

---

(١) قال ابن الأثير: والبرّ بالكسر: الإحسان.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٣) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر أن العقل هو المنادي.

(٤) هذا قول محمد بن كعب القرظي وقتادة واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨٠، ٤٨١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٢)، والوسيط (١/ ٥٣٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨).

(٥) وهذا قول أكثر المفسرين كما قال القرطبي في الجامع (٤/ ٣١٧)، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن زيد. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٣)، والوسيط (١/ ٥٣٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٨٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٥). وقد تكررت كلمة (المرسل) في الأصل مرتين.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

﴿ أَنْ ءَامِنُوا ﴾ يعني أي آمنوا[1]، أو بأن آمنوا[2]، **إن قيل**: فعلى أي وجه قال: ﴿فآمنا﴾؟ أعلى طريق الامتنان، أو الإعلام. فإن كُلًّا مستشنعٌ إيراده على الله تعالى؟ **قيل**: بل على طريق الامتثال، وليس هذا إشارة إلى أنهم قالوه نطقاً فقط، بل إلى أنهم حققوه فعلًا، **إن قيل**: كيف جعل غُفران الذنوب وتكفير السيئات قبل التوقّي؟ **قيل**: لأن تمام غُفران الذنوب وتكفير السيئات أن يوفّق العبد في الدنيا لمرضاته، ويحرسه عن تعاطي السيئات، ليكتسب ما يترشح به لاستحقاق الثواب، وقوله: ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[3] نحو ما حكى عن غيره في قوله: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

---

(١) وعلى هذا تكون (أن) تفسيرية لا محل لها من الإعراب. انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ص (١٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨)، والدر المصون (٣/ ٥٣٦). ويصح أن تكون مصدرية في موضع نصب على حذف حرف الجر. انظر: الفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٧).

(٢) وعلى هذا تكون (أن) مصدرية، ومثلها: كتبت إليه أن أفعل. وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٢٦)، وإملا ما منّ به الرحمن ص (١٦٣)، ومغني اللبيب ص (٥٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٨)، والدر المصون (٣/ ٥٣٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، وفيه تنبيه أنهم لا يكرهون لقاء الله، وقد قال ﷺ: «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[2].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا...﴾[3] الآية.

إن قيل: ما فائدةُ استنجازِ وعده مع العلم بأنه لا يُخلف؟

---

(1) سورة يوسف، الآية: 101.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه» رقم (6507)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب «من أحب لقاء الله» رقم (2683)، والترمذي كتاب الجنائز، باب «فيمن أحب لقاء الله» رقم (1066)، والنسائي كتاب الجنائز، باب «فيمن أحب لقاء الله» رقم (4/10). وأحمد في المسند (5/316، 321)، والطيالسي رقم (574)، والدارمي (2/708)، والبزار رقم (780)، وابن حبان رقم (3009). من حديث عبادة بن الصامت. ورواه البخاري رقم (6507) تعليقاً. ووصله مسلم في الذكر والدعاء رقم (2684)، والترمذي وقال: حسن صحيح رقم (1067)، والنسائي (4/10) كتاب الجنائز، وابن ماجه في الزهد، باب «ذكر الموت والاستعداد له» رقم (4264)، وأخرجه أيضاً أحمد (6/44، 55، 207، 236)، وابن حبان رقم (3010)، والبغوي رقم (1450)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (430) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) سورة آل عمران، الآية: 194. ونصّها: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

قيل: إن وعده تعالى عِبادَه على طريق الجملة، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾(1)، وليس هذا السؤال خوفاً من إخلاف وعده، ولكن سؤالاً أن يرشحه لأن يكون من جملة من دخل في الوعد، ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ تنبيهاً أني لست أخشى خُلْفَ وعدك، لكني أخشى أن لا أكون من جملة الموعودين(2)، وقد قيل ذلك هو على جهة العبادة(3)، وقد تقدّم أن ليس القصد التفوُّه بذلك، بل فعل ما يقتضيه، وقوله: ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي على ألسنتهم، وعلى ما وعدت بإجابتهم(4).

---

(1) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(2) ذكر الطبري هذا التفسير عن قوم لم يُعيِّنهم. قال: «وقال آخرون بل ذلك قول من قائليه على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله، لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله من أنفسهم، ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم...» جامع البيان (٧/ ٤٨٣، ٤٨٤).

(3) قال أبو حيان: «وقيل: هذا السؤال جاء على سبيل الالتجاء إلى الله والتضرُّع إليه، كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم، يقصدون بذلك التذلُّل والتضرُّع إليه والالتجاء» البحر المحيط (٣/ ١٤٩).

(4) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨٥)، والوسيط (١/ ٥٣٤)، ومعالم التنزيل=

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...﴾[1] الآية.

استجاب: أراد إجابتهم[2]، والاستجابة في الحقيقة غير الإجابة، وإن كان يفهم منه ذلك، وقول الشاعر:

وداعٍ دعا بعد الهدوءِ من السرى … فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ[3]

= (٢/ ١٥٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٤٩).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. ونصها: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾.

(٢) الصواب أن (استجاب) هنا بمعنى أجاب، وليست هناك ضرورة لهذا التأويل. وهو ما ذهب إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١١٢)، وأبو هلال في الفروق ص (٢٤٥). قال الطبري: «﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني تعالى ذكره: فأجاب هؤلاء الداعين». وقال ابن عطية: «استجاب: استفعل بمعنى أجاب...». وقال أبو حيان: «ومعنى استجاب: أجاب». وكذا قال ابن كثير. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٨٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٧).

(٣) هذا البيت من بحر الطويل لكعب بن سعد الغنوي. انظر: أمالي ابن الشجري (١/ ٦٢)، والأصمعيّات (٩٦)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٥)، وشرح أبيات المغني للبغدادي (٥/ ١٦٧)، وتفسير القرطبي (٤/ ٢٧٧). =

[٢٥٤/ب] فهو أبلغ من قولك: لم يجبه، إذ فيه/ تنبيه أنه تعالى لا يضيع عمل من لم يخرج عن الإيمان بشرك، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[(١)]، وذَكَر الذكر والأنثى، فقد رُوي أنّ أمّ سلمة[(٢)] قالت: يا رسول الله، ما بال الرجال يُذكرون في الهجرة دون النساء؟ فأنزل الله ذلك[(٣)]،

= وذكر ابن عطية وابن كثير هذا البيت مع اختلاف في الشطر الأول حيث أورداه هكذا:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقد ذكر أن قوله: (فلم يستجبه) في هذا البيت بمعنى: فلم يجبه. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٧).

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، أم المؤمنين كانت ممن أسلم قديماً وهاجرت إلى الحبشة، تزوجها النبيّ ﷺ سنة ٤هـ بعد وفاة زوجها أبي سلمة، توفيت سنة ٦٢هـ في خلافة يزيد بن معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠١)، الإصابة (٨/ ٤٠٤)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٥)، وتقريب التهذيب ص (٧٥٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٨٦-٤٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٤)، وابن المنذر في تفسيره (ق ٩٩ - مخطوط)، وسعيد بن منصور (٣/ ١١٣٦)، والواحدي في أسباب النزول ص (١٣٩)، والترمذي في كتاب التفسير، باب «تفسير سورة =

و ﴿مِن﴾ للتبيين، أو لاستغراق الجنس لتقدُّم النفي[1]. **إن قيل**: ما معنى قوله: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ في هذا الموضع؟ **قيل**: تنبيهاً أن الأنوثية والذكورية لا تقتضي اختلاف الحكم في هذا الباب، وإنما الاعتبار بالأعمال والنيات، فمن قصد فيما يتحراه وجه الله فله بقدره ثواب، ثم بيّن أنّ للذين هاجروا فضل رتبة، كما قال: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا * دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾[2] ولم يعن بالمهاجرة والإخراج من الديار ما كان من الكفّار فقط، بل عناه ومن هاجر الأفعال القبيحة

= النساء» رقم (٣٠٢٣)، والحميدي في مسنده (١/ ٤٤) رقم (٣٠١)، وعبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٤)، وأبو يعلى (١٢/ ٣٩١، ٣٩٢) رقم (٦٩٥٨)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٩٤) رقم (٦٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٠) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٩٧).

(١) قال الزجاج في معاني (مِن): «وتكون. . . دالّة على أن ما بعدها واحد في معنى جنس كقولك: ما جاءني من رجل. فقد نفيت قليل الجنس وكثيره، والواحد وما فوقه. . . وتكون دالة على ضرب من النعت». انظر: حروف المعاني ص (٥٠)، ومعاني الحروف للرماني ص (٩٧)، ومغني اللبيب ص (٤٢٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٥١)، والدر المصون (٣/ ٥٣٩)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٤٨).

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٩٥، ٩٦.

والأخلاق الكريهة، وقاتل نفسه حتى قهرها[1]، والظاهر من قوله: ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[2] أن ذلك حكم الآخرة، وعليه أهل الأثر[3]، وقال بعض الصوفية: عنى بتكفير سيئاتهم إزالة درنهم عنهم في الدنيا، قال: وهذا المعنى هو المراد بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[4]، وإدخالهم الجنّات التي تجري من تحتها الأنهار التمكين من زهرات العلوم والاطلاع على كثير من الغيوب، التي وصفها حارثة[5] في حقيقة الإيمان، حيث قال: وكأنّي بعرش ربي بارزاً[6]، وقال: والأنهار هي أنهار الماء

---

(١) هذا من إشارات الصوفية. انظر: لطائف الإشارات (١/ ٣١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣١٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٢).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن مالك بن النجار الخزرجي الأنصاري أبو عبدالله، شهد بدراً والمشاهد كلها، اشتهر بديانته وبرّه بأمه، توفي في خلافة معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٨)، والإصابة (١/ ٧٠٧).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص (٤٣) رقم (١١٥) وهو معضل، فإنه من رواية زبيد عن النبي ﷺ، وزبيد من الطبقة السادسة=

المذكور في قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[1]. قال ابن عباس: قرآناً[2]، ثم قال: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3] تنبيهاً أن هذا ثوابه عاجلًا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[4] إشارة إلى ما له في الآخرة من الثواب، والله أعلم بما ادعاه هذا القائل[5]. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾

= التي لم تلق أحداً من الصحابة. انظر: كلام الألباني على هذا الحديث في الهامش رقم (١٠٥). والحديث رواه الطبراني في الكبير موصولاً (٣/ ٢٦٦) رقم (٣٣٦٧). وعبد بن حميد كما في المنتخب رقم (٤٤٥)، وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة (٧/ ٤٥٤) رقم (٧٣٢٣)، وقال: رواه عبد بن حميد بسند ضعيف. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٧) وقال: فيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج الكشف عنه.

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) ذكر ابن الجوزي هذا القول في زاد المسير (٤/ ٣٢٢) ولم ينسبه لأحد. والمروي عن ابن عباس أنه فسّر الماء في الآية باليقين والهدى والحق، وهو يشمل القرآن بغير شك. رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦/ ٤١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٥) هذا القول في التفسير من النوع الإشاري المخالف لظاهر اللفظ القرآني بتحريف الكلم عن مواضعه وتأويله على غير مقصده، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة في التفسير الإشاري فقال: «فإن إشارات =

بعد قوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ على القول الأول؟ قيل: يحتمل ذلك وجهين: أحدهما: أنّه بيّن بقوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أنّ ما ذكره ثواب لهم، ثم أخبر أنّ هذا الثواب لا يوجد إلا عنده، فيكون قوله ﴿[حسن](1) الثواب﴾ إشارة إلى المذكور قبله(2)، والثاني: أن يكون حسن الثواب غير المذكور أولاً، فنبّه أنّ ما ذكرت أولاً هو الذي عرفتكم، وعند الله حسن الثواب، الذي لم يُعَرِّفْكُموه لعجزكم عن الوقوف عليه إشارة إلى المذكور في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(3) وفي قوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(4).

= المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى: إشارة حالية، وهي إشارتهم بالقلوب... وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال، مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس، وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص، مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام... فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وإن كان تحريفاً للكلام عن مواضعه، وتأويلًا للكلام على غير تأويله، كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية». مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل والسياق يقتضيه.

(٢) ذكر هذا الوجه أبو السعود: في «إرشاد العقل السليم» (٢/ ١٣٤). وانظر: روح المعاني (٤/ ١٧٠، ١٧١).

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٦. وانظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٠، ٤٩١) ففيه=

قوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ . . . ﴾[1] الآية.

أصل الغَرِّ: الطيُّ الذي ينكسر عليه المطوي[2]، فجُعِلَ عبارة عمن انطوى على اعتقاد يمنع عن رفع بصيرته، ولذلك سُمي الاعتقاد طَوِيَّة[3]، ونحو الغرِّ الاستدراج تشبيهاً بالمدرج، ومن هذا قال: ﴿ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾[4]؛ والتقلُّب في البلاد ليس يعني المشي فيها، وإنما يعني التوسع في أعراض الدنيا[5]، والمتاع: ما

= ما يُشير إلى هذا المعنى.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٦. ونصُّها: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾.

(٢) قال الأزهري: الغَرُّ: الكسر في الجلد من السِّمن. تهذيب اللغة (١٦/ ٦٧) وانظر: معجم مقاييس اللغة ص (٨٠٩)، والمفردات ص (٦٠٣).

(٣) قال ابن منظور: والطوية: الضمير. اللسان (١٥/ ٢٠).

(٤) سورة هود، الآية: ٥.

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١١٧) وقد جعل ابن عزيز المعنيين مرادين فقال: تقلبهم في البلاد: تصرفهم فيها للتجارة، أي فلا يغررك تصرفهم وأمنهم وخروجهم من بلد إلى بلد. انظر: غريب القرآن ص (١٥٤)، وجامع البيان (٧/ ٤٩٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٤)، والوسيط (١/ ٥٣٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١٨).

فيه تمتع ما[(١)]، والآيـة تحتمل وجهين: **أحدهما**: أن جعل ما يتمتع به في الدنيـا وإن كَثُرَ، قليلًا في جنب ثواب الله تعالى، فلا يجـب أن يُغتر به، إذا اعتُبر بما يحصل لأربابها في المآل من العذاب، **والثاني**: أنه أرادَ بالقليل قلة الفناء[(٢)]، وأراد بجهنّم: جهنّم الدنيـا وجهنّم الآخرة[(٣)]، تنبيهاً أن من/ حصل [٢٥٥/أ] له مال لا ينفك من شُغلٍ لا ينقضى عناؤه، وفقر لا يُدرك غناؤه، وحزنٍ على فوت محبوب، وخوفٍ على فقد مطلوب، كأنّهم في جهنم من سَلْب ما لهم، وفي جهنم عنـد مآلهم، كما قـال: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[(٤)] وذكـر ﴿ٱلْمِهَادُ﴾ على سبيـل المثـل[(٥)]،

---

(١) تقدم الكلام على المتاع انظر ص (١٠٢٧) من هذه الرسالة. وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٠)، ومعجم مقاييس اللغة ص (٩٧٣).

(٢) ذكر الوجهين النيسابوري في تفسير غرائب التفسير (٢/ ٣٣٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٥٤).

(٣) الصحيح أن جهنم هي جهنم الآخرة. قال ابن جرير: ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: بعد مماتهم. الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٤٩٤) وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٥).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٥) قال ابن جرير: «ويعني بقوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: وبئس الفراش والمضجع جهنم». جامع البيان (٧/ ٤٩٤).

كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ...﴾[2] الآية.

ذكره تعالى لـ ﴿لَٰكِنِ﴾ لكون حكم ما بعده منافياً لما قبله[3]، وقد ذكر في قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الوجهان اللذان ذُكرا في قوله: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[4]. وقيل: عنى به أنهم من طيب عيشهم في القناعة، ورفضهم فضولات الدنيا في جنّاتٍ صفتها كذلك، وذلك على التشبيه[5]، وإياه قصد بقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨. ونصُّها: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾.

(٣) انظر: الدر المصون (٣/ ٥٤٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. وانظر: الوجهين المذكورين ص (٤٨١، ٤٨٢).

(٥) يريد أن الآية في المعيشة الدنيوية، شبهها في طيبها وصفائها بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار. وهذا التفسير لم أجد أحداً قال به، والمفسرون على أن ما ذكر في الآية من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار إنما هو في الآخرة، لأنه قال: خالدين فيها، ولا خلود في الدنيا. انظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٤)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٥)، =

حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[١] قال: والذي يدلّ على هذا قوله: ﴿نُزُلًا﴾، والنُّزُلُ ما يُجعل للإنسان في طريقه، ليستعين به على سفره[٢]، وانتصابه على أنه مصدر مؤكد أو تفسير[٣]، كقولك: هذا لك هبة، وفي قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[٤]،

= وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٠، ٣٩١)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٥).

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن ص (١١٧)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٢١١)، ومعجم مقاييس اللغة ص (١٠٢٣)، ففيه تفسير النزل بالرزق، والمعروف أن النزل ما يُعدُّ للضيف عند نزوله، وهذا لا يمنع أن يُسمِّي الله تعالى ما أعده للمؤمنين في الجنة نزلاً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]. وقال السمعاني: «النزل: ما يعدّ للضيف من النعمة، فسمى الله تعالى ما أعده للمؤمنين من نعيم الجنة نزلاً من عند الله». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٠، ٣٩١)، ولذلك فسّر ابن عباس النزل في الآية بالثواب. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٥٥).

(٣) قال الزجاج: «نزلاً: مؤكد لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها». انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٠١). وانظر الوجهين في: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٢٨)، وإملاء ما منّ به الرحمن ص (١٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٥)، والدر المصون (٣/ ٥٤٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

الوجهان المذكوران في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1]، وقيل: عنى بذلك ما قاله ﷺ: «**الدنيا جنّة الكافر وسجن المؤمن**»[2]، تنبيهاً أن المؤمن يتبرم بها شوقاً إلى ما أُعِدَّ له، والكافر يطمئن إليها، ويشتاق إليها عند فراقها مع ما[3] فيها من الشوائب لما أُعِدَّ له من العذاب، وقال عبدالله[4]: ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها، ثم تلا هذه الآية في الأبرار. وتلا قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾[5] في الفجار[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. وانظر: الوجهين المذكورين ص (٤٨٢، ٤٨٣) من هذه الرسالة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق رقم (٢٩٥٦). والترمذي في الزهد، باب «ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» رقم (٢٣٢٤)، وابن ماجه في ـ الزهد ـ باب «مثل الدنيا...» رقم (٤١١٣). وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٣، ٣٨٥، ٣٨٩)، وفي الزهد (١٥١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٥٠)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٥٢) رقم (٦٤٦٥)، وابن حبان (٢/ ٤٦٣) رقم (٦٨٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (٤١٠٤، ٤١٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رسمت في الأصل هكذا (معما) والصواب المثبت.

(٤) أي ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٦) الأثر رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٢)، والطبري في جامع البيان=

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾[1] الآية.

الخشوع: كالخضوع، لكن أكثر ما يقال في الخشوع ما اعتُبر فيه حال القلب، والخضوع فيما اعتُبر فيه حال الجوارح، وإن كان يُستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر[2]، فقول الحسن: الخشوع ثبات الخوف في القلب[3]، وقول غيره: هو ما يظهر من الخضوع الدال على الخوف من عقاب الله[4]، واحد في الحقيقة،

= (٧/ ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٤٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي. وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٩). وعزاه لابن أبي حاتم وعبدالرزاق. وذكر العلامة أحمد شاكر في حاشيته على الطبري أن هذا الأثر له حكم الرفع، لأنه مما لا يدرك بالرأي، وهو قول وجيه، والله تعالى أعلم.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩. ونصّها: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

(٢) انظر: بحر العلوم (١/ ٣٢٦)، والفروق ص (٢٧٣، ٢٧٤)، والمفردات ص (٢٨٣، ٢٨٦).

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني (٤/ ١٧٤)، ونسبه للحسن.

(٤) انظر مدارج السالكين (١/ ٥٥٨).

ولمّا ذمّ فيما تقدم كفار أهل الكتاب بيّن هاهنا: أن من خالفهم في سوء اعتقادهم وأفعالهم فحكمهم بخلاف حكمهم، وذكر ما فيه تنبيه على الإيمان والأعمال الصالحة، وترك تتبُّع دِقَاق المطامع، وذلك أحكام الشرع. **إن قيل**: ما فائدة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1] ها هنا؟ **قيل**: الحساب إشارة إلى الثواب المجعول لهم في مقابلة فعلهم[2]، وسمّاه حساباً لقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3] وبيّن بقوله: سريع الحساب أنّ ذلك لا يتأخر عنهم، لما كانت النفس مولعة بحبِّ العاجل[4]، ونبّه على أمرين: **أحدهما**: ما يجعل لهم في الدنيا المدلول عليه بقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.

(٢) قال أبو حيان: «. . . والمعنى أجرهم قريب إتيانه سريع حسابه، لنفوذ علمه، فهو عالم بما لكل عامل من الأجر» البحر المحيط (٣/ ١٥٦)، وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٠١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٤) هذا اقتباس من بيت لجرير من بحر الكامل وتمامه:

وإني لآمل منك خيراً عاجلًا   والنفس مولعة بحب العاجل

انظر: ديوان جرير ص (٤١٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٦١)، ومجمع البلاغة (١/ ٣٨٧)، ومجمع الأمثال (٢/ ٣٣٣).

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ﴾[1]، الثاني: أن المدعُوَّ به في الآخرة سريعٌ وقوعه[2] وإن كان في ظنِّ الكافرين بطيئاً حصوله[3].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] الصبر أعمُّ من المصابرة، إذ كان يقال فيما يُتصوَّر فيه فاعل واحد، والمصابرة، يقال فيما يُتصوَّر فيه فاعلان متقابلان[5]، والصبر: حبس النفس على ما يحمد،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٢) في الأصل: (ووقوعه) بتكرار الواو.

(٣) قال ابن الجوزي: وفي معنى سرعة الحساب خمسة أقوال: أحدها: أنه قلّته، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قرب مجيئه؛ قاله مقاتل. والثالث: أنه لما علم ما للمحاسَب وما عليه قبل حسابه، كان سريع الحساب لذلك. والرابع: والله سريع المجازاة، ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج. والخامس: أنه لا يحتاج إلى فكر ورويّة كالعاجزين؛ قاله أبو سليمان الد[مش]قي - عبدالرحمن بن سليمان بن أبي الجون الدمشقي، ت ١٩٥هـ -. انظر: زاد المسير (١/ ٢١٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٥) قال الطبري: «(وصابروا) يعني وصابروا أعداءكم من المشركين، لأن المعروف من كلام العرب في المفاعلة أن تكون من فريقين، أو اثنين فصاعداً، ولا تكون من واحد إلا قليلًا في أحرف معدودة...» جامع البيان (٧/ ٥٠٨) وانظر: مدارج السالكين (٢/ ١٦٦).

وعمّا يُذمُّ[1]، ولهذا قيل: هو اسم لأعم الفضائل، وله ثلاث منازل: إمساك الجوارح الظاهرة عن الإقدام على ما يُكره، وإمساك/ اللسان عن إظهار التألُّم منه، وإمساك القوى عن تحرُّكها بالتألُّم منه، وهذه منزلة الصدّيقين[2]. والمصابرة ضربان: مصابرة العِدى، وإليه ذهب الحسن ومجاهد في الآية[3]، ومصابرة قوى النفس في مدافعة الحرص والبخل والجبن وسائر الرذائل، وهي عظماهما[4]، والمرابطة كذلك على ضربين: مرابطة في [٢٥٥/ ب]

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٠)، ومجمل اللغة ص (٤٢٢)، والفروق ص (٢٢١)، والمفردات ص (٤٧٤).

(٢) قال ابن القيم: «والصبر: حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش» مدارج السالكين (٢/ ١٦٢) وهو بنحو ما ذكر الراغب. وانظر: عدة الصابرين ص (٢٧) وما بعدها، في معنى الصبر لغة واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/ ٥٠٢) عن الحسن وقتادة. وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٨) عن الحسن وقال: وروي عن مقاتل بن حيان وقتادة نحو ذلك.

(٤) قال القرطبي في معنى المصابرة: «وقيل: إدامة مخالفة النفس عن شهواتها، فهي تدعو وهو ينزع» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٢٣)، وورد أن أبا هريرة رضي الله عنه فسَّر ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ بمصابرة النفس والهوى. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٠).

ثغور المسلمين[1]، ومرابطة النفس البدن، فإنها كمن أُقيم في ثغر، وفُوِّض إليه مراعاته، فيحتاج أن يراعيه غير مُخلٍّ به إلى أن يُعزَل عنه أو يُستردّ منه[2]، وقد دخل في عموم ما قلناه قول من قال: اصبروا في أنفسكم، وصابروا عدوكم، ورابطوا الثغور[3]، وقول من قال: اصبروا بجوارحكم على الطاعة، وصابروا بقلوبكم مع الله، ورابطوا بأسراركم في سبيل المحبة[4]، وقد نبّه

---

(١) وبذلك فسَّر المرابطة جمهور المفسرين قال ابن عطية: قوله: ﴿وَرَابِطُواْ﴾ فقال جمهور الأمة: معناه: رابطوا أعداءكم بالخيل... والقول الصحيح: «أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله، وأصلها من ربط الخيل، ثم سُمِّي كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطاً فارساً كان أو راجلًا...» المحرر الوجيز (٣/ ٣٢٨، ٣٢٩). وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٠٨، ٥٠٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٦).

(٢) هذا على التفسير اللغوي للمرابطة قال القرطبي: «فإن المرابطة عند العرب: العقد على الشيء حتى لا ينحلّ، فيعود إلى ما كان صبر عنه، فيحبس القلب على النية الحسنة، والجسم على فعل الطاعة...» الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٢٤).

(٣) وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج ولفظ كلامهم: (اصبروا على دينكم) بدل: (اصبروا في أنفسكم) والباقي بمثله. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٠٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٥٦).

(٤) ذكره القشيري في اللطائف (١/ ٣٢١).

على عمـوم ذلك النبي ﷺ، حيث قال: «**من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة**»[1]، **إن قيل**: كيف أخّر ذكر التقوى؟ **قيل**: يحتمل وجهين: أن يكون ذلك إشارة إلى غاية التقوى، وهي التبرؤ من كل شيء سوى الله، وذلك لا يكون إلا بعد هذه الأشياء، وكأنه قال: إذا فعلتم ذلك فاتقوا الله راجين أن تدركوا الفلاح، إشارة إلى ما ذكر من الصبر والمصابرة والمرابطة[2]، فلمّا أمر تعالى بهذه الثلاثة، قال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي اتركوا القبائح له، فبتركها تُدرك هذه الثلاث، ويكون الفلاح عبارة

---

(١) وبهذا الحديث احتج أبو سلمـة بن عبدالرحمن على أن المرابطة في الآية هي انتظار الصلاة بعد الصلاة. والحديث رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب «فضل إسباغ الوضوء على المكاره» رقم (٢٥١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالـوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**». وأخرجه أيضاً: مالك في الموطأ (١/ ١٦١) رقم (٥٥)، وأحمـد فـي المسنـد (٢/ ٢٣٥، ٢٧٧، ٣٠١، ٣٠٣، ٤٣٨)، والترمذي رقم (٥١، ٥٢) كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، والنسائي (١/ ٨٩) كتاب الطهارة، وابن خزيمة (١/ ٦) رقم (٥)، والبغوي في شرح السنة رقم (١٤٩)، والبيهقي في السنن (١/ ٨٢)، وابن حبان رقم (١٠٣٨).

(٢) انظر: أنوار التنزيل (١/ ١٩٨).

عن هذه الثلاث[1]، فعلى هذا التقوى في المعنى متقدّم، وعلى الأول متأخّر[2]. والله أعلم.

***

---

(١) قال البيضاوي: «فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح، أو واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتّبة، التي هي الصبر على مضض الطاعات، ومصابرة النفس في رفض العادات، ومرابطة السر على جناب الحق...» أنوار التنزيل (١/ ١٩٨).

(٢) الصواب أن الأمر بالتقوى يشمل جميع الأمور، والأحوال، فهو مأمور به عند الصبر والمصابرة والمرابطة، وليس مقصوراً على ما بعد حصول هذه الثلاث، كما أشار الراغب في القول الأول. قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي في جميع أموركم وأحوالكم... ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي في الدنيا والآخرة. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٣).

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[1] الآية .

قد تقدّم الكلام في الفرق بين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، وأنه ذكر مع النّاس الربّ ومع الذين آمنوا ﴿ ٱللَّهُ ﴾[2] ، فيا أيها النّاس خطابٌ عام ، ويا أيها الذين آمنوا أخصّ منه ، ويا عبادي أخصُّ منهما ، وحيث يقصد خاصَّ الخاصِّ قال :

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١ . ونصُّ الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

(٢) قال الراغب : إن قيل : ما الفرق بين قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ ، وبين قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ ؟ قيل : في قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ إيجاب العبادة بواسطة رؤية نعمه التي بها تربيتهم وقوامهم . وفي قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ إيجاب عبادته بمراعاته عز وجل من غير واسطة ، وعلى ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء : ١] ، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] فحيث ذكر الناس ذكر معه الرب ، وحيث ذكر الإيمان ذكر الله لما تقدم . انظر : تفسير الراغب لسورة البقرة (ق ٢٥ ، وق ١٠٧ مخطوط) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾[1] و ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾[2] وإن كان الخطاب له ولغيره نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[3].

وقد تقدّم الكلام في أن أدنى منازل التقوى اجتناب الكفر، وأعلاها أن لا تراعي من الدنيا والآخرة سوى الله[4]، وقوله: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ذكر عامة المفسرين أنه عنى بالنفس آدم، وزوجها: حواء[5]، وذكر بعضهم أنه عنى بالنفس الروح المذكورة في قوله ﷺ: «**إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجسام بكذا سنة**»[6]، وعنى بزوجها البدن، وقيل: عنى به التركيب، وإلى

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٤) انظر: تفسير الراغب (ق ١٢ مخطوط)، سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٥) وهذا قول مجاهد والسُّدِّي وقتادة ومقاتل والضّحّاك واختاره ابن جرير. انظر: جامع البيان (٧/ ٥١٣-٥١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٤).

(٦) أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٤٠١)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٦٨)، والسيوطي في «اللالىء المصنوعة» (١/ ٣٨٣)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (٣٨٢)، =

نحوه أشار بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[1]، وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ولا يصحُّ معنى ذلك في النبات إلاّ على معنى التركيب، ونبّه بذكر الزوجين والأزواج في الأشياء على أنها لا تنفك من ترتيب ما، وأن الواحد في الحقيقة ليس إلا هو تعالى[3]، قال: وعلى هذا نبّه بقوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، وقال معنى الشفع: الخلق، والوتر: الخالق[4]. وهذا القول في الآية

= وقال: «رواه الأزدي عن علي مرفوعاً، وفي إسناده عبدالله بن أيوب بن أبي علاج عن أبيه، وهما كذّابان».

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٢) سورة يسٓ، الآية: ٣٦.

(٣) ذكر أبو حيان هذين القولين بنفس كلام الراغب، ولم يشر إلى الراغب أو إلى أصحابهما، بل قال: «ومن غريب التفسير أنه عنى بالنفس الروح... إلخ»، ثم قال بعد أن ذكرهما: وهذا مخالف لكلام المتقدمين. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٦٣، ١٦٤).

(٤) اختلف المفسرون في معنى الشفع والوتر في هذه الآية، فمنهم من قال: الشفع: المخلوقون. والوتر: الله سبحانه وتعالى، وقيل: الشفع: يوم الأضحى لأن له نظيراً وهو أيّام النحر. والوتر: يوم عرفة. وقيل: الشفع: ولد آدم، والوتر: آدم. وقيل: الشفع: الزوج، والوتر: الفرد. وقيل غير ذلك. انظر: تفسير غريب القرآن ص (٥٢٦)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٩٠)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٢٨).

وإن كان متجهًا، فأهل الأثر على ما تقدَّم. إن قيل: على أي وجه خلق زوجها منها أخذ جزءًا فجعل زوجها؟/ [٢٥٦/أ] قيل: قال بعضهم: الشيئان قد يُقال لأحدهما: هو من الآخر. إذا كان من عنصره وأصله، كقولك: هذا القميص من قميصك. وقد يقال ذلك إذا كانا مشتركَين في صفة[١]، نحو ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[٢]، وقال بعضهم: أخذ جزءًا من آدم، وجعل منه حواء[٣]، وعلى ذلك رُوِيَ: «خُلِقَتْ حواء من ضلع من أضلاع»[٤]، وقال

---

(١) هذا القول اختاره أبو مسلم الأصفهاني كما ذكر الرازي والنيسابوري في تفسيريهما. وقد ردّ المفسرون هذا القول بقولهم: إذا كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة كما ذكر تعالى. انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٣)، والمحرر الوجيز (٥/ ٧)، والتفسير الكبير (٩/ ١٣١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٣)، وزاد نسبته لابن بحر.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والضحاك والحسن، وهو قول جماهير المفسرين. انظر: جامع البيان (٧/ ٥١٥، ٥١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٢، ٨٥٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٥١٥، ٥١٦) عن قتادة وابن إسحاق، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٥٢) عن الضحاك. =

بعضهم: نبّه بقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أن المرأة بعض من الرجل، تنبيهًا على نقصانها وكماله[1]، وأنّه نبّه ﷺ بقوله ذلك أنها مخلوقة خلقة مُعْوَجَّة، لا ينتفع بها إلا كذلك، فلا يهمنّك تنقيتها، وعلى ذلك قال ﷺ: «**إن المرأة خُلقت من ضلع، وإنك إن أردت أن تقيمها كسرتها، وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها**»[2]، وبهذا النظر قيل: أَخسُّ صفات الرجل الشحُّ والجبنُ، وهما أشرف صفات المرأة[3].

إن قيل: ما وجه عطف الأرحام على الله، والتقوى في الحقيقة من الله ومن عذابه، لا من الرحِم، وقد كان الوجه أن يُقال:

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠٦) إلى ما تقدم، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد. والحديث فيه النص على أن حوّاء خُلقت من ضلع من أضلاع آدم.

(١) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٦٣) ولم يشر إلى قائله.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «خلق آدم وذريته» رقم (٣٣٣١). ورواه مسلم في كتاب الرضاع، باب «الوصية بالنساء» رقم (١٤٦٨). ورواه الترمذي في كتاب الطلاق، باب «ما جاء في مداراة النساء» رقم (١١٨٨) وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه وإسناده جيد. وأخرجه الحميدي رقم (١١٦٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٩)، والدارمي في سننه رقم (٢٢٢٨)، وابن حبان رقم (٤١٧٩)، والبغوي رقم (٢٣٣٣).

(٣) الصحيح أن الشحّ والجبن صفتان مذمومتان سواء اتصف بهما الرجل أو المرأة، وليس هناك دليل على تخصيص الرجل بذلك.

اتقوا الله في الأرحام أو للأرحام؟ **قيل**: أجيب عن ذلك بأوجه:

الأول: أنّه لما كان يقال: اتقِ الله، أي اتق عقوبة عصيانه، واتق ذنبك، أي عقوبة ذنبك، قال ههنا: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، أي اتقوا عقوبته على طريق الجملة، ثم قال: والأرحام. أي عقوبته في قطع الأرحام، وخصّها بالذكر تعظيمًا لأمرها، وكأنّه قيل: اتقوا عقوبات الله عامة، وعقوبته في قطع الأرحام خاصة، وذلك لتعظيمه أمر الرحم[١].

والوجه الثاني: أن تقديره: اتقوا الله في الرَّحِم، لكن حُذِف الجارّ، وأُقيم حرف العطف مقامه، كقولهم: يدك والسكين. أي احفظ يدك من السكين[٢].

---

(١) وهذا قول ابن عباس والسدي وقتادة والحسن وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع وابن زيد والكافة واختاره ابن جرير والفراء والزجاج والنحّاس. انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٢)، وجامع البيان (٧/ ٥٢١، ٥٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٦)، واعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٥).

(٢) المثال الذي ذكره المؤلف مشابه لأمثلة التحذير مثل: إياك والشرّ، ورأسك والسيف، وقد جعل النحاة هذه الأمثلة منصوبة بفعل محذوف على سبيل المفعوليّة، ويُقدّر لذلك فعل لائق مثل: احذر أو اتق أو باعِد. انظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٢٧٣)، والنكت (١/ ٣٤٥)، والتعليقة (١/ ١٨٠)، والمساعد=

والوجه الثالث: أن تقديره: اتقوا الله وقوا الأرحام. فأحدهما متقى، والآخر موقّى[1]، نحو قولهم: أعور عينك والحجر[2]. أي: قِ عينك، واتق الحجر[3].

إن قيل: ما وجه إعادة التقوى وعطف أحدهما على الآخر؟ **قيل**: إنه أمر في الأول بالتقوى أمرًا عامًا، ولهذا قال: ﴿رَبَّكُمُ﴾ تنبيهًا على أفضاله، وإحالتهم على ما لا يمكن لأحد إنكاره، ولما قصد الحثّ على المحافظة على الرَّحِم قدّم ذكر الموجد باللفظ الذي فيه التنبيه على القدرة التامة[4]. **إن قيل**: ما وجه ذكر ﴿تَسَآءَلُونَ

= (٢/ ٥٦٩).

(١) وهذا على نصب الأرحام بالإغراء أي: والأرحام فاحفظوها وصلوها، كقولك: الأسد الأسد. انظر: الوسيط (٢/ ٥)، والتفسير الكبير (٩/ ١٣٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٩)، وروح المعاني (٤/ ١٨٤).

(٢) هذا مثل يُضرب للمتمادي في المكروه المُشفي منه على الهلكة. انظر: جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٨٧-٨٨)، ومجمع الأمثال للميداني (٢/ ٦)، ومجمع الأمثال العربيّة (٣/ ٢٣٩).

(٣) وقد ذكر مكّي بن أبي طالب وجهاً آخر، وهو أن (الأرحام) معطوف «على موضع (به) كما تقول: مررت بزيد وعمراً». انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٨٧).

(٤) قال ابن عطية: وفي تكرار الأمر بالاتقاء تأكيد، وتنبيه لنفوس المأمورين. المحرر الوجيز (٤/ ٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٤).

بِهِۦ﴾؟ قيل: زيادة في الترغيب في تقواه، وتنبيهًا على كون تعظيمه منغرسًا في قلوبنا، حتى إنّا إليه نفزع إذا سألنا، ونبّه أنّا كما نقول: أسألك بالله. نقول: أسألك بالرحم، وتقدير الكلام: اتقوا الله الذي تسألون به، والأرحام التي تسألون بها، لكن نبّه بوصف الأول على وصف الثاني[(١)]، وللقصد إلى هذا المعنى قرأ من قرأ: «الأرحامِ» بالخفض[(٢)].

إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؟ قيل: تنبيهًا على وجوب مواصلة بعضنا بعضًا، لكوننا من ذات واحدة، وأنّا

---

(١) وهذا قول إبراهيم النخعي وهو مروي أيضاً عن مجاهد والحسن. انظر: جامع البيان (٧/ ٥١٨، ٥١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٣)، وبحر العلوم (١/ ٣٢٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٤، ٤٢٥).

(٢) قرأ حمزة بخفض الميم في (والأرحامِ) عطفاً على الضمير في (به)، أو أعيد الجار وحذف للعلم به، وجُرّ على القسم تعظيماً للأرحام حثّاً على صلتها. وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة أو على محلّ (به) كقولك: مررت به وزيداً، وهو من عطف الخاص على العام. انظر: حجة القراءات ص (١٨٨)، والمبسوط ص (١٥٣)، والتلخيص ص (٢٤٢)، والنشر (٢/ ٢٤٧).

كبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، وأمّا خفض قوله: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ فقد قيل: فيه ضعف من حيث الإعراب، ومن حيث المعنى؛ أمّا من حيث الإعراب فلأن ضمير المجرور لمّا كان على حرف واحد قائم مقام التنوين، والتنوين لا يصحُّ أن يعطف عليه، كذلك الضمير المجرور، وأيضًا فلأنّ كلَّ ما يُعطف عليه يصحّ أن يُعطف هو، ولّما كان ضمير المجرور لم يصحَّ أن يعطف عليه، وبيان ذلك أنّ للمرفوع والمنصوب ضميرًا منفصلًا، نحو: هو وهما وإيّا. فيصحُّ أن يُقال: / رأيتك وزيدًا، أو رأيت زيدًا وإياك، وأتيتني وزيد، [٢٥٦/ب] وأتاني زيد وأنت، ولم يكن للمجرور ضمير منفصل يقع موقع المتصل فيُعطف به، فلم يجز لذلك أن يُعطف عليه أيضًا[(١)].

---

(١) انظر تضعيف خفض (الأرحام) في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣١، ٤٣٢)، وحجة القراءات ص (١٨٨، ١٨٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٥١٩)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٩).
وقد ردّ بعض المفسرين على من ضعَّف هذه القراءة، قال أبو حيان: «وما ذهب إليه أهل البصرة، وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح، بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك، وأنه يجوز». وقال أيضاً: «وأما قول ابن عطية: ويردّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان، فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله، ولا بطهارة لسانه، إذ عمد إلى قراءة متواترة من=

وأمّا من حيث المعنى: فإن إعادة الأمر بالتقوى فلاقتران ذكرها بصفة تحثُّ سامعها على استعمال التقوى، كقولك: اتقِ الله الذي تخافه، واتقِ الله الذي بيده الخير. فهذه الصفات هي التي تُحَسِّنُ التكرير، فإذا نصبت الأرحام ففيه هذا المعنى، وإذا جررته لم يكن في ضمنه من التحذير ما فيه إذا نصبته[1]. وإنما قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ ردًّا إلى لفظ النفس، وكلُّ اسم جنس، لفظه

= رسول الله ﷺ قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله ﷺ بغير واسطة. . . عمد إلى ردّها بشيء خطر في ذهنه، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري» البحر المحيط (٣/ ١٦٧). وقال النيسابوري أيضاً: «. . . إلا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١). وانظر: حجة القراءات ص (١٩٠)، وكشف المشكلات (١/ ٢٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢، ٣).

(١) ذكر هذا الوجه في تضعيف قراءة الخفض ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٩)، وذكر وجهاً آخر حكاه غيره، وهو أن ذكر (الأرحام) على وجه الخفض تقرير للتساؤل بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك في قوله عليه السلام: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»، وانظر: ردّ المفسرين على هذا الكلام في: التفسير الكبير (٩/ ١٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤، ٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤١)، وروح المعاني (٤/ ١٨٤).

مخالف لمعناه [في][1] التذكير والتأنيث، فلك اعتبار اللفظ طورًا والمعنى طورًا، نحو: حمامة ونفس[2]، وإذا كان عَلَمًا نحو: طلحة. أو صفة نحو: علّامة ونسَّابة، فليس إلا اعتبار المعنى دون اللفظ[3].

والرَّقيب. قال مجاهد: هو الحفيظ[4]، وقال ابن زيد: عليم[5]، وكلاهما صحيح، فحافظ الشيء يقتضي أن يكون عالمًا به ليمكنه أن يحفظه[6]، وبيَّن بقوله: ﴿كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أنه قبل أن خلقكم وأوجدكم كان مراعيًا لكم، تنبيهًا أنه لا يخفى عليه أمركم في كل حال.

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل والسياق يقتضيه.

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ١٧٩) و (٣/ ٥٦١-٥٦٦)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٣٧٧)، والخصائص (٢/ ٤١١)، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص (٦٧).

(٣) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ١٦٤).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص (٥١)، جامع البيان (٧/ ٥٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٤)، وتفسير مجاهد ص (٢٦٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧).

(٥) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧).

(٦) انظر: العين ص (١٥٥)، والمحكم (٦/ ٢٤٠)، والمخصص (١٧/ ١٥٦).

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾[1] الآية.

الخبيث والطيّب: عبارتان عن الحرام والحلال، أي تدفعوا إليهم شيئًا هو طيّب لكم، وتأخذوا من مالهم ما هو خبيث لكم، طلبًا للربح. هذا قول الضّحّاك والسُّدِّي[2]. **وقيل**: لا تتبدلوا الهزيل بالسمين[3]، **وقيل**: الطيّب مقدار ما أُبيح تناوله من مال

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢، ونص الآية: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

(٢) قال الضحاك: لا تعط فاسدًا وتأخذ جيدًا. وقال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها الشاة المهزولة، ويقول: «شاة بشاة»، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم. وأما تفسير الخبيث والطيب بالحلال والحرام فهو قول مجاهد والثوري وابن جبير. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢٥، ٥٢٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٥، ٨٥٦)، وتفسير السدّي الكبير ص (١٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٥).

(٣) وهذا قول سعيد بن المسيب والزهري والسدي كما سبق. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٢٥، ٥٢٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٥، ٨٥٦)، وتفسير السدّي الكبير ص (١٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٥).

اليتيم، والخبيث ما لم يُبح منه[1]، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾[2].

وكل هذه الأقوال إشارات إلى ما يقتضيه عموم الخبيث والطيب.

والحَوْب: الإثم لكونه مزجورًا[3] عنه، من قولهم: حاب حَوْبًا وحُوبًا وحِيَابةً، والأصل فيه حَوْب لزجر الإبل[4]، وتحوّب نحو تأثَّم[5]، وإيتاء اليتامى أموالهم، قيل: دفعها إليهم بعد البلوغ، وسمّاهم حينئذ يتامى استصحابًا للحالة المتقدمة[6]،

---

(١) هذا نفس القول الأوّل، وهو مروي عن مجاهد. انظر: تفسير مجاهد ص (٢٦٥)، واختاره الزجّاج في: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧). وانظر: معاني القرآن للنحاس.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) في الأصل: (من حوبا) والتصويب من المفردات للراغب.

(٤) من قوله [لكونه] إلى هنا موجود بحروفه في: المفردات ص (٢٦١).

(٥) عبارته في المفردات ص (٢٦١): «وفلان يتحوَّب من كذا أي يتأثَّم»، وانظر: تفسير ابن عباس ص (٢٠١)، وتفسير غريب القرآن ص (١١٨)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١١)، والمحكم (٤/ ٢٢)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٨١)، والمساعد (٢/ ٦٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٥٢٩).

(٦) ويُسمّى ذلك عند أهل البلاغة بتسمية الشيء بما كان عليه، وهو نوع من المجاز المرسل. انظر: شرح التلخيص ص (١٣٨)، والإيضاح=

ويكون ذلك كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[1] وقيل: هو إنفاقها عليهم، ودفعها شيئًا بعد شيء على قدر الحاجة[2]، والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ قيل: للأكل[3]. وقيل: للتبدُّل[4]. وقيل: للأموال[5]، لكن اعتُبر المعنى

= ص (٢٨٢)، وانظر في معنى الآية: جامع البيان (٧/ ٥٢٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٤، ٣٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٥٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨)، وأنوار التنزيل (١/ ١٩٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٠).

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

(٢) انظر: التفسير الكبير (٩/ ١٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٨).

(٣) وهذا اختاره ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٥٢٩)، وهو قول الأخفش في معاني القرآن (١/ ٤٣١)، وتبعه العكبري في: إملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٧٢)، وانظر: أنوار التنزيل (١/ ٢٠٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤١).

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط مع الأول، ثم قال: «وعوده على الأكل أقرب لقربه منه، ويجوز أن يعود عليهما» البحر المحيط (٣/ ١٦٩).

(٥) لم أجد من ذكر هذا الوجه، ولو كان الضمير عائداً على الأموال لقال: إنها كانت حوبًا كبيرًا، وما ذكره الراغب من اعتبار المعنى فهو تكلّف. قال السمين الحلبي: في الهاء ثلاثة أوجه: أحدها: أنها تعود على الأكل. والثاني على التبدُّل. والثالث عليهما. الدر المصون (٣/ ٥٥٧).

لمّا كان المال والأموال في هذا الموضع سواء، كقول الشاعر:

.... فـإن الحـوادث أودى بهـا[1]

لمّا كان معنى الحوادث والحدثان واحدًا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾[2] الآية.

العَولُ: الخروج عن حد الاستقامة، والعول في الفريضة خروج عن حدِّ السِّهام المسماة، والعويل: الصياح الخارج عن حد الاستقامة في الكلام، وذلك نحو الألفاظ التي يتحرّاها المصاب. وعوَّلت عليه مِلتُ نحوه بالاعتماد، والِمعْول على بناء الآلة، كأنه آلة العول[3].

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى، وهو من بحر المتقارب، وشاهده حذف التاء في [أودى] والأصل [أودت] لضرورة القافية، وسوّغه أن الحوادث بمعنى الحَدَثان، وتمام البيت:

فإما تريني ولي لمة ... فإن الحوادث أودى بها

انظر: ديوان الأعشى ص (١٢٠)، وكتاب سيبويه (٢/ ٤٦)، وشرح أبياته للسيرافي (١/ ٤٠٣)، والأصول لابن السرّاج (٢/ ٤٣٦)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٥٩)، وفي الأصل (أولى بها) وهو تصحيف والصواب ما أثبته.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣. ونص الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾.

(٣) انظر: العين (٢/ ٢٤٨)، وجامع البيان (٧/ ٥٤٨)، وغريب القرآن=

والآية تُؤوِلَتْ على وجهين: أحدهما: قيل: إن الرجل قبل الإسلام إذا مات كان وليُّه يسير في أيتامه سيرة غير قاصدة، ويأكل أموالهم إسرافًا وبدارًا، وكانوا يسيرون في يتامى النساء/ [٢٥٧/أ] خاصة بأقبح سيرة، فإنها متى كانت اليتيمة ذات مال وجمال تزوّجوا بها بأقلّ من مهرها، ثم لم يُحسنوا إليها، وإن كان أحدهم لا يرغب فيها عَضَلها[١] عن النكاح، طمعًا في مالها، فلما جاء الإسلام نُهوا عن ذلك بهذه الآية[٢].

وقوله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ أي إن خفتم أن لا تستعملوا العدالة - أي إذا تزوّجتم بهن فتزوَّجوا من غيرهن. وإلى هذا ذهب ابن عباس وعائشة[٣]. والثاني: أنهم يتحرّجون في أموال اليتامى، لمّا

= للسجستاني ص (١٣٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٩٥)، والصحاح (٥/ ١٧٧٦)، والمفردات ص (٥٩٧)، والقاموس ص (١٣٤٠)، وطلبة الطلبة ص (٣٣٨)، وفيه: «العول: الزيادة والارتفاع، وهو أن يُجاوز سهام الميراث سهام المال»، والمعجم الوجيز ص (٤٤٢) وفيه: «والعِوَل: آلة من الحديد ينقر بها الصخر».

(١) عضلها: أي منعها. انظر المصباح المنير ص (١٥٨).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (١٤٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ١١).

(٣) انظر هذا الوجه في: جامع البيان (٥٣١-٥٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٨)، والجامع =

عظَّم الله تعالى من أمرهم في نحو قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾[١] الآية. ولم يكونوا يتحرّجون من التزوُّج بعدد من النساء، فقال تعالى إن تحرَّجتم عن تناول مال اليتيم خشية أن لا تُقسطوا، فتحرجوا النساء أن لا تعدلوا بينهن، وانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقوقهن[٢]. **وقيل**: معناه إن خفتم أن لا تُقسطوا في حفظ أموال اليتامى، وأن تجوروا في الإنفاق على نسائكم، فانكحوا عددًا مخصوصًا لا يحوجكم إلى أن تقسطوا[٣].

إن قيل: فما معنى ذكر هذه الأعداد إن كان الأمر على ما وصفت؟ وهلّا[٤] قيل: فانكحوا ماطاب لكم من النساء سواهن؟

= لأحكام القرآن (٥/ ١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٦)، وهذا القول مروي عن عائشة دون ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) وهذا القول مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقتادة والضحاك والربيع. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٣٦-٥٣٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٥٧)، وبحر العلوم (١/ ٣٣١)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢).

(٣) هذاالقول مروي عن ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٤٨، ٤٤٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٦٩).

(٤) في الأصل: (وهذا)، والصواب ما أثبته بدلالة السيّاق.

قيل: يجوز للحكيم إذا سُئل عن حكم أن يجيب عنه، ويقرن إليه ما علم أنّ بالسائل حاجة إليه. فلمّا سُئل عن ذلك، وكان فيهم من لا يُبالي أن يتزوّج بالعدد الكثير من النساء، بيّن العدد الذي لا يجوز أن يتعداه الإنسان في وقت واحد، ولذلك أحيلوا على هذه الآية لما استفتوا في يتامى النساء، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1] الآية[2].

وقد اختُلف في العدد الذي يجوز أن ينتهى إليه في النكاح، فمذهب عامة الفقهاء أنه لا يجوز مجاوزة الأربع، ومذهب بعض الشيعة أنه يجوز بلا عدد كالسراري[3]. وقال: الآية ليست بتوقيفٍ، بل هي إباحة: كقولك: تناول ما أحببت واحدًا واثنين وثلاثة، وأنّ تخصيص بعض مقتضى العموم على طريق التبيين لا يقتضي الاقتصار عليه، وذهب بعضهم ممن لا يعرف شرط الكلام إلى أن المباح منهن تسع، وقال: الواو تقتضي الجمع، فصار كقولك: اثنين وثلاثًا وأربعًا، وذلك تسع. وأكّد ذلك بأن النبي ﷺ مات عن تسع نسوة[4]، قال: وغير منكر أن

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٧.

(٢) انظر: كلام الإمام الطبري على ذلك في: جامع البيان (٧/ ٥٤٠).

(٣) انظر: مناقشة ذلك من تفاسير الشيعة: مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس (٤/ ١٧)، والميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي (٤/ ١٦٧، ١٦٨).

(٤) رواه البخاري في النكاح، باب «كثرة النساء» (٩/ ١١٢) رقم (٥٠٦٧)، =

يذكر عدد واحد بلفظين، كما قال: ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[1].

وهذا فاسد، أما أولاً: فإن العدول عن ذكر الشيء بلفظة واحدة إلى لفظين[2]، إما أن يكون لغرض نحو ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾، لمّا خالف بينّ حكميهما أورده بلفظين، أو يكون ذلك للعيّ والاستدراك عن نسيان، وكلام الله تعالى منزَّه عن ذلك[3]، ومنهم من ردَّ إلى واحدة، لتأويلٍ انتزعه من الآيتين: إحداهما هذه، والأخرى قوله: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ الآية. قال: فبيَّن أنكم لا تستطيعون تحري العدالة في النساء، وقال هٰهنا: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾، فكأنه قال: انكحوا واحدة إن لم تستطيعوا أن تعدلوا.

= ورواه مسلم في «الرضاع» باب: جواز هبتها لضرتها (٢/ ١٠٨٥) رقم (١٤٦٣) نحوه.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٢) يعني مثل العدول عن تسعة إلى ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾.

(٣) انظر: الردّ على ما ذهب إليه بعض الشيعة من إباحة الجمع بين تسع نسوة في: جامع البيان (٧/ ٥٤٦)، وبحر العلوم (١/ ٣٣٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧، ١٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٦). وغرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ محمد بن حمزة الكرماني (١/ ٢٨٢).

فقد ثبت أن لا تستطيعوا، فإذًا فانحكوا واحدة، وهذا القائل خفي عليه الفرق بين العدلين، فإن العدل في تلك الآية تركُ ميل القلب، وذلك مرفوع عن الإنسان، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[2] عنى به العدل الذي هو حق القسم والنفقة[3]، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فإن الخوف يُقال فيما فيه رجاء ما، / ولهذا [٢٥٧/ ب] لا يُقال: خفت أن لا أقدر على بلوغ السماء أو نسف الجبل[4].

وهذه الأقوال المتقدّمة يُبطلها ما رُوي أنه لمّا نزلت هذه الآية كانت تحت قيس بن الحارث[5] ثمان نسوة، فقال له ﷺ: «خل سبيل أربع»[6]، ....

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣.

(٣) قال أبو حيان: «والعدل المنفي استطاعته غير هذا العدل المنفي هنا، ذاك عدل في ميل القلب، وقد رفع الحرج فيه عن الإنسان، وهذا عدل في القسم والنفقة، ولذلك نفيت هناك استطاعته، وعلّق هنا على خوف انتفائه، لأن الخوف فيه رجاء وظن غالباً»، البحر المحيط (٣/ ١٧٢). انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠).

(٤) نقل أبو حيان هذا الكلام في البحر المحيط (٣/ ١٧٠) ونسبه للراغب.

(٥) قيس بن الحارث بن جدار الأسدي، وقيل: الحارث بن قيس صحابي له حديث. انظر: الإصابة (٥/ ٣٤٩)، والتقريب ص (٤٥٦).

(٦) رواه أبو داود، كتاب الطلاق، باب «فيمن أسلم وعنده نساء أكثر من=

وكذا قال لابن[1] مسعود الثقفي[2]، وكان قد أسلم وتحته تسع نسوة[3]، واستدلَّ أهل الظاهر بالآية على وجوب النكاح، واستدل بها بعض الفقهاء على أنه غير واجب[4]، وبيان هذا أن

= أربع» رقم (٢٢٤١، ٢٢٤٢). ورواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب «الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة» رقم (١٩٥٢). ورواه أحمد (٤٦٠٩، ٤٦٣١)، والبيهقي (٧/ ١٨٣)، وابن حبان (٤١٥٦ - ٤١٥٨)، والطبراني في الكبير (١٣٢٢١)، وفي مسند الشاميين رقم (١٢٤٩)، وحسّنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٢٩٥).

(١) في الأصل: (لأبي) والصواب ما أثبته.

(٢) هو عروة بن مسعود بن متعب بن مالك بن كعب بن عمرو بن ثقيف الثقفي، كان أحد الأكابر في قومه، ذكر اسمه في صلح الحديبية، وكانت له يد بيضاء في تقرير الصلح، أسلم سنة تسع، ثم دعى قومه إلى الإسلام فقتلوه. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٤٦-٢٤٧)، والطبقات الكبرى (٥/ ٥٠٣)، والإصابة (٤/ ٤٠٦).

(٣) رواه البيهقي في السنن (٧/ ١٨٤)، وله شاهد من حديث غيلان الثقفي بنحوه. رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب «ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة» رقم (١١٢٨)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب «الرجل يسلم على أكثر من أربع نسوة» رقم (١٩٥٣). والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٢، ١٩٣)، والبغوي (٢٢٨٨)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣١٧). وانظر: إرواء الغليل (٦/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٤) اختلف الفقهاء في حكم النكاح. قال ابن قدامة في المغني: «والناس في=

ما في قوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ إمّا أن يكون عبارة عن المنكوحة، أو عن الزمان، أو العدد. فلا يصح الأول، لأن فا لا يُعبَّر به عن أعيان العقلاء مجردًا، ولا عن العدد، لأنه مُحالٌ أن يعني نكاح العدد، وإن عنى المعدود فالكلام راجع إلى أن يكون عبارة عن العقلاء، فيجب أن يكون عبارة عن الزمان، فكأنّه قال: اعقدوا وقت ما يطيب لكم، والمخالف يوجبه طاب لنا أو لم يطب[1].

= النكاح على ثلاثة أضرب؛ منهم من يخاف على نفسه الوقوع في محظور إن ترك النكاح، فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء... الثاني: من يستحب له، وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور، فهذا الاشتغال له به أولى من التخلّي لنوافل العبادة، وهو قول أصحاب الرأي، وهو ظاهر قول الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وفعلهم... الثالث: من لا شهوة له؛ إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعنين، أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه، ففيه وجهان: أحدهما: يستحب له النكاح لعموم الأدلة. الثاني: التخلّي له أفضل، لأنه لا يحصل مصالح النكاح، ويمنع زوجته من التحصين بغيره، ويضرّ بها ويحبسها على نفسه» المغني لابن قدامة (٩/ ٣٤١-٣٤٤). وانظر: مذاهب الفقهاء في هذه المسألة في: الاختيار لتعليل المختار للموصلي (٣/ ٨٢)، وعقد الجواهر لابن شاس المالكي (٢/ ٧)، ومغني المحتاج (٣/ ١٢٦)، ومعونة أولي النهى شرح المنتهى (٧/ ١٥).

(١) انظر: إعراب (ما) في: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣٤)، ومعاني القرآن واعرابه (٢/ ٨)، وإملاء ما منّ به الرحمن ص (١٧٣)، وانظر: =

فإن قيل: معناه ما تاقت أنفسكم إليه، قيل: إن عنى ما تاقت نفسه إلى العقد فليس ذلك مذهبًا لأحد، وإن عنى المخالف: ما تاقت نفسه إلى الجماع، فلم يجر للجماع ذكر، وقد تقدَّم الكلام في العول، فقول من قال: ذلك أدنى أن لا تجاوزوا ما فرض الله[1]، وقول من قال: أن لا تميلوا، يرجعان إلى أصل واحد[2]، وقول الشافعي[3] معناه: أن لا يكثر عيالكم، وقد ذهب إلى هذا التأويل

= الكلام على هذه المسألة في: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢، ١٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٠، ١٧١).

(١) وهذا قول الفرّاء، حكاه عنه البغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ١٦٢). ولم أجده في معاني القرآن للفرّاء.

(٢) وهذا هو قول جماهير المفسرين منهم ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس، ومقاتل والسدي ومجاهد والحسن وأبو مالك وعكرمة وابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٤٨-٥٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٧).

(٣) أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن المطلب المكي أبو عبدالله الشافعي نزيل مصر، فقيه مشهور، رأس الطبقة التاسعة، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، وإليه ينسب المذهب الشافعي، توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٣٢)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٥)، وتقريب التهذيب ص (٤٦٧).

زيـد بن أسلـم، وأجـازه الأصمعي[1]، وابن الأعرابي[2]، ومنه قيل: فلان يعول عشرة[3]، وقال ابن داود[4]: غلط الشافعي، لأن صاحب الإماء في العيـال كصاحب الأزواج.

---

(١) أبو سعيد عبدالملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، إمام في اللغة والأدب والشعر، ولد سنة ١٢٢هـ بالبصرة، وبها توفي سنة ٢١٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠)، وطبقات النحويين للزبيدي ص (١٦٧)، ونزهة الألبّاء ص (١٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥).

(٢) محمد بن زياد أبو عبدالله من موالي بني هاشم، كان كثير السماع نحوياً عالماً باللغة والشعر حسن الحفظ، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه. من مؤلفاته: «النوادر» و «الأنواء» وغيرهما. وُلد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٣١هـ. انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص (١٩٥)، ونزهة الألبّاء ص (١٣٤)، وبغية الوعاة (١/ ١٠٥).

(٣) هذا قول الكسائي. انظر: معاني القرآن له ص (١١٠)، وانظر: قول زيد والأصمعي والشافعي في: تهذيب اللغة (٣/ ١٩٤)، وانظر: الرد عليه في: معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٦).

(٤) أبو بكر محمد بن داود بن علي الظاهري صاحب الفنون، وهو أحد من يضرب المثل بذكائه، له بصر تام بالحديث وبأقوال الصحابة، وله مصنفات في الأدب والشعر والفرائض والفقه، توفي في العاشر من رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين، وقد عاش ثلاثاً وأربعين سنة. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦- ٢٦٣)، وسير أعـلام النبـلاء (١٣/ ١٠٩)، والمنتظـم (٦/ ٩٣-٩٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٢٦).

وابن داود لم يتصوّر ما قاله الشافعي، وذاك أنه لم يُرِد إلا ما أراد غيره من حقيقة المعنى، وإنما تحرّى اشتقاق اللفظ، ولم يُرِد بالعيال الأولاد، وإنمّا أراد النساء، فقد يُسمَّى كل من تمونه العيال، وإن لم يكن أولادًا، وأراد تعالى إن خفتم أن يكثر نساؤكم، فتحتاجوا إلى تفقدهن بأمور تقصرون عنها، ولا يكون في مراعاتها إقساط، وهذا راجع إلى ما ذهب إليه الآخرون[1].

قول تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[2] الآية. **فالنحلة**: العطية التي لا يُطلب بها عوض، وأصله عندي من النحل، فكأنَّ نحلتهُ: أعطيته عطية النحل، وذلك ما قصده الحكماء من وصف النحل في أنه لا يضر بشيء، وينفع أعظم نفع، وكأنّه إلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[3] الآية، والنِّحلة

---

(١) انظر قول الشافعي ومن صححه أو اعترض عليه في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٦، ٣٩٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٧، ١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢١، ٢٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤. ونصها: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٨.

أخصّ من الهبة، إذ كل هِبة نِحلة، وليس كل نِحلة هِبة[1]، وسُمّي الصداق بها من حيث لا يجب في مقابلته أكثر من تمتُّع دون عوض مالي[2]. وقول قتادة وابن زيد: النِّحلة: الفريضة[3]، فنظرٌ منهم إلى حكم الآية، لا إلى موضوع اللفظ والاشتقاق، واقتضت إيجاب إيتائهن الصداق، ثم حكمه وقدره قبل الدخول وبعده، وقبل التسمية وبعدها، فمأخوذ من غير الآية.

ودلّ بقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ﴾ أن لا يتحرّج الإنسان من قبول هبتها عن طيب نفس منها بها، ودلَّت الآية على أنه يجوز لها أن تهب صداقها إذا كانت بالغة، خلافًا لما قال مالك[4]: إن ذلك

---

(١) انظر: الفروق ص (١٨٤، ١٨٥).

(٢) انظر: المفردات ص (٧٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٥١)، وفرّق ابن قتيبة بين النِّحلة والهبة، بأنّ الأولى لا تكون إلا عن طيب نفس. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٠)، وانظر: مجاز القرآن (١/ ١١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٧)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٤٠)، والأشباه والنظائر في النحو (٧/ ١٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٧/ ٥٥٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦١)، والنكت والعيون (١/ ٤٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢)، وذكره السمعاني في تفسير القرآن عن ابن عباس (١/ ٣٩٧)، وكذلك أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٧٤)، ذكره عن ابن عباس وابن جريج وابن زيد وقتادة.

(٤) أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، =

إلى وليِّها. وللأوزاعي[1] حيث قال: لا يجوز لها حتى تلد، أو يحول عليها الحول في بيت زوجها، ولليث بن سعد[2] حيث قال: لا يجوز عتق ذات الزوج ولا هبتها، إلا في/ اليسير من غير [٢٥٨/أ] إذن زوجها. وذُكِرَ عن شريح[3] أن رجلًا أتى ببيّنة أن امرأته

= رأس المتقنين محدث كبير وفقيه شهير، إليه ينسب المذهب المالكي، وهو أول من صنف في تفسير القرآن بالإسناد على طريقة الموطأ، وُلد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة سنة ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٥)، وتقريب التهذيب ص (٥١٦).

(١) أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الدمشقي، ثقة جليل من السابعة، ولد ببغداد وسكن دمشق، وانتقل إلى بيروت فاستقر بها، واشتهر بها جدًّا حتى قصده الناس، من فقهاء المحدثين، توفي ببيروت سنة (١٥٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨)، وتقريب التهذيب ص (٣٤٧).

(٢) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمن الحافظ الإمام، وُلد بمصر سنة ٩٤هـ، وتوفي بها سنة ١٧٥هـ، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩)، والتقريب ص (٤٦٤).

(٣) أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضي، مخضرم ثقة، وقيل: له صحبة، استقضاه عمر على الكوفة، ثم عثمان، وأمَّره علي، وكان يقول له: أنت أقضى العرب، ولاَّه زياد بن أبيه قضاء البصرة، توفي سنة ٧٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٠)، والإصابة (٣/ ٢٧٠)، =

أبرأته من صداقها[1] عن طيب نفس، وأنكرت المرأة ذلك، فقال شريح: هل رأيتم المال وقد دفع إليها؟ فقالوا: لا، فقال: لو طابت نفسها لم ترجع فيه، فلم يُجزه[2].

إن قيل: لِمَ قال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾[3] فأفرد وقال في الأخرى: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾[4] فجمع؟ **قيل**: التمييز على ثلاثة أضرب: **الأول**: أن يدلَّ ما قبله على عدد فلا يُجمع، نحو: عشرون درهماً. **والثاني**: أن يشتبه، فلابد من جمع إذا أُريد الجمع نحو قولهم: أفره القوم عبيدًا. **والثالث**: أن يستوي الواحد والجمع لكونه معلومًا منهما المعنى على حد، نحو قولهم: فلان أحسن القوم عينًا، لأنه يعلم أن القوم لم يشتركوا

= وتقريب التهذيب ص (٢٦٥).

(١) في الأصل: (صدقاها)، والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: الخلاف في جواز هبة المرأة صداقها في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤، ٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٦، ١٧٧). قال أبو حيان: «وظاهر الآية يدلّ على أن المرأة إذا وهبت لزوجها شيئاً من صداقها طيبة بها نفسها، غير مضطرة إلى ذلك بإلحاح أو شكاسة خلق أو سوء معاشرة، فيجوز له أن يأخذ ذلك منها ويتملّكه وينتفع به..» اهـ.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.

في عين واحدة، والآية على هذا فلا يُحتاج فيها إلى الجمع[1]، والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ راجع إلى مصدر ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ﴾[3] الآية. السفهاء قيل: النساء[4]، ....

---

(١) وجعل سيبويه وغيره ذلك من باب إطلاق المفرد وإرادة الجمع، وساق مع الآية شواهد أخرى من كلام العرب. انظر: الكتاب (١/ ٢١٠)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٣٣)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٦)، ورأيه قريب من رأي المؤلف في أنّ مثل هذا يجوز فيه الجمع والإفراد، وأنّ المفرد هنا لم يُرد به الجمع. وانظر: جامع البيان (٧/ ٥٥٨).

(٢) ذكر هذا التوجيه أبو حيان ونسبه للراغب، وقال: ذكره ابن عطية. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٩)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٥)، والتقدير على رأي المؤلف هنا: فإن طابت أنفسهن عن شيءٍ من الإيتاء فكلوه. وهذا لا يخلو من التكلّف، لأن الإيتاء لا يؤكل. والأولى كما قال غيره أن الضمير راجع إلى الصداق المفهوم من قوله تعالى ﴿صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ أو إلى المال لأن الصدقات مال. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٧)، واملاء ما منّ به الرحمن ص (١٧٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥ ونصُّها: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

(٤) وهذا مروي عن مجاهد، والحسن، والضحاك، وعكرمة. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٦٤، ٥٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٣)، وذكره الماوردي عن ابن عمر. انظر: النكت والعيون (١/ ٤٥٢). =

وقيل: الصبيان[١]، ومنهم من اعتبر ذلك في كل من لم يكن حصيفاً[٢] في تدبير المال[٣]، ومنهم من اعتبر ذلك مع الحصافة في الدين، وكُلّ واحد أشار إلى بعض من يتناوله الاسم على سبيل المثال، فمعلوم أنه لا يصحُّ صرفها إلى النساء مفردات، لقوله: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ ﴾ والنهي عن إيتائهن المال على سبيل تفويض تدبير الأموال إليهن، وقيل: على سبيل تمليكهن على وجه التمكين، لا على نهي الإعطاء بقدر ما يحتاجون إليه، وقال ابن جبير: معناه لا تعطوهم أموالهم. وإضافته إلى المخاطبين على اعتبار الجنس، نحو قوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾[٤][٥]، ونظر بعضهم نظرًا آخر، فقال: عنى

= وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٦٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨).

(١) هذا القول مروي عن سعيد بن جبير، والحسن، وأبي مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق، والزهري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٦٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨).

(٢) حصيفاً: أي عاقلًا حكيماً. انظر القاموس ص (١٠٣٤).

(٣) وهذا قول أبي موسى الأشعري والطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٦٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٥) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٦٧، ٥٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي=

بالسفهاء الوارثين، الذين يُعلم من حالهم أن يتسفهوا في استعمال ما تناله أيديهم، فنهى عن جميع المال الذي يرثه السفهاء[1]، ونبّه بقوله: ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ على الغرض الذي فصَّله الحكماء من فائدة المال الموصل به إلى السعادة الحقيقة، بل قد أبانه النبي ﷺ بأوجز لفظ، فقال: **«من طلب الدنيا استعفافًا عن المسألة، وسعيًا على أهله، وتعطُّفًا على جاره، بعثه الله ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالًا، مكاثرًا، مفاخرًا، مرائيًا، لقي الله وهو عليه غضبان»**[2]، والقيام يكون مصدرًا واسمًا، والقوام لا يكون إلا اسمًا[3].

= حاتم (٣/ ٨٦٣)، والنكت والعيون(١/ ٤٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٧).

(١) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ١٧٧)، ونقل كلام الراغب ولم ينسبه.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٨) رقم (١٠٣٧٥)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠)، و (٨/ ٢١٥)، وقال: غريب من حديث مكحول. وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٦١)، وزاد عزوه إلى أبي الشيخ في كتاب «الثواب».

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٥٦٨، ٥٦٩)، وقال النّحاس: زعم الفرّاء والكسائي أن قياماً مصدر. أي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم، فتقومون بها قياماً. وقال الأخفش: المعنى: قائمة بأموركم، يذهب إلى أنه جمع. وقيّماً وقِواماً=

إن قيل: لِمَ قال: ﴿فِيهَا﴾ ولم يقل: منها. مع كون ذلك أظهر؟

قيل: قد ذكر بعضهم أن فيه تنبيهًا على ما قاله ﷺ: «ابتغوا في أموال اليتامى، لا تأكلها الزكاة»[1]، وأن المستحب أن يكون الإنفاق عليها من فضلاتها المكتسبة[2]، والقول المعروف متضمن للأمر بتأديبهم وإرشادهم ووعدهم الجميل، الذي ذكره ابن جريج، وقال: هو أن يُقال له: إن رشدت مكنَّاك من مالك[3]،

= عند الكسائي والفرّاء بمعنى قياماً. وقال البصريون: قيم: جمع قيمة، أي جعلها الله قيمة للأشياء. إعراب القرآن (١/ ٧٣٦، ٤٣٧)، وقد نقل الأزهري كلام الفرّاء دون أن يعلق عليه. انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٣٥٧). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٧٨)، وقال الراغب في المفردات ص (٦٩٠): «والقيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء، أي يثبت كالعماد والسناد لما يعُمد ويُسند به». وانظر: العين (٥/ ٢٣٣)، ومجاز القرآن (١/ ١١٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٠)، وما قاله الراغب من أن القوام لا يكون إلاّ اسماً موافق لما في المراجع السابقة.

(١) رواه البيهقي في السنن (٤/ ١٠٧)، كتاب الزكاة، باب: من تجب عليه الصدقة. ورواه عبدالرزاق في المصنف (٤/ ٦٦)، وضعفه الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ١٥٨) بالإرسال، وكذا أعلّه البيهقي.

(٢) ذكر أبو حيان كلام الراغب في البحر المحيط (٣/ ١٧٨) ولم ينسبه إليه. وانظر: الفتوحات الإلهية (١/ ٣٥٦).

(٣) هذا مروي عن ابن جريج، ومجاهد، وعطاء، وابن زيد وهو قول الطبري. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٣)، ومعالم=

وفيه المنع عن قهرهم، وإليه ذهب مجاهد استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[1] [2].

قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾[3] الآية. الإيناس فيما رُئي مرّة بعد أخرى فأُنس به[4]، وقد فسّره ابن عباس بالمعرفة[5]، والخليل فسّره بالإحساس[6]. والرشد،

= التنزيل (٢/ ١٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٩)، وروح المعاني (٤/ ٢٠٣).

(١) سورة الضحى، الآية: ٩.

(٢) ذكره الرازي في التفسير الكبير (٩/ ١٥٢)، والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٢)، وهو محكيّ عن القفال، ولم أجده منسوباً لمجاهد.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦. ونص الآية: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

(٤) قال الراغب في المفردات ص (٩٤): أي أبصرتم أنساً بهم. وهو بمعنى قول عطاء: رأيتم. انظر: الوسيط (٢/ ١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٠).

(٥) انظر: العين للخليل (٧/ ٣٠٨)، وجامع البيان (٧/ ٥٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٠).

(٦) ذكره الجصاص عن الخليل في أحكام القرآن (٢/ ٦٣)، وانظر: تفسير=

قال الحسن وقتادة: وهو الصلاح في الدين والإصلاح للمال[1]. وقال مجاهد: هو الإصلاح للمال فقط[2]، وأمر تعالى بدفع المال إلى اليتامى بعد البلوغ وإيناس الرشد منهم، وبعد الابتلاء، وجعل/ ذلك كلّه [٢٥٨/ب] شرطًا في تسليم المال إليه، ومعلوم من الآية أن من دُفع إليه المال، ثم فُقد منه الرشد أن يُعاد الحَجْرُ[3] عليه، لأن الغرض بذلك حفظ ماله، فلا فرق بين أن يكون المعنى الموجب للحَجْرِ ابتداء أو انتهاء[4].

= غريب القرآن ص (١٢٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٥٤).

(١) ذكره الطبري عن الحسن وابن عباس في جامع البيان (٧/ ٥٧٦)، وكذلك ذكر الماوردي في النكت (١/ ٤٥٣)، وزاد الشافعي. وذكره القرطبي في الجامع (٥/ ٣٧) بلفظ: صلاحاً في العقل والدين. وزاد ابن كثير على من تقدم سعيد بن جبير، ثم قال: «وهكذا قال الفقهاء: إذا بلغ الغلام مصلحاً لدينه وماله انفك الحَجْر عنه، فيسلم إليه ماله الذي تحت وليه» تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢٩).

(٢) الوارد أن مجاهدًا فسّر الرشد بصلاح العقل، وإصلاح المال من علامات صلاح العقل. انظر: تفسير مجاهد ص (٢٦٧)، وجامع البيان (٧/ ٥٧٦، ٥٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧). أما من فسّر الرشد بإصلاح المال فهو الضحاك، كما ذكر القرطبي في الجامع (٥/ ٣٧)، ونسبه ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٣٢٢) إلى الإمام مالك رحمه الله.

(٣) الحَجْر: هو المنع من التصرف. انظر المصباح المنير ص (٤٧).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٣)، والتفسير الكبير (٩/ ١٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩، ٤٠)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٠).

والآية تقتضي أنّ كلَّ من حصل في يده مال لغيره لزمه حفظه له كمال المفقود، ومال الفقراء في بيت المال، واللُّقطة[1] في يد الملتقط.

والابتلاء المراد في الآية، قيل: هو حال الصغر بأن يُدفع إليه قليل من المال، فيرُى حفظه له وتصرفه فيه[2]. وقيل: هو بأن يُجرَّب في أمورٍ أُخر[3]. وقيل: هو أن يُختبر بعد البلوغ، وسمّاهم يتامى استصحابًا للحالة المتقدّمة[4]، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ أي متجاوزين حد القصد المباح لكم، ومبادرة أن يكبروا، فيمنعوا أموالهم[5]، وقوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، قيل: لا يتناول

---

(١) اللُّقَطة: اسم للشيء الذي تجده ملقى فتأخذه. انظر المصباح المنير ص(٢١٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٩).

(٣) كتدريبه على بعض الأعمال والصنائع، وإذا كانت بنتاً عهد إليها أمر البيت، وكلفت ببعض الأعمال: كالغزل ورعاية الصغار وغير ذلك. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦١، ٦٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٧٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٠١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٥).

(٤) قال السمعاني: «والصحيح أنه أراد به الاختبار قبل البلوغ». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٩٨)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦١).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١١٧) وجامع البيان (٧/ ٥٧٩، ٥٨٠) حيث قال: «الإسراف: الإفراط».

منه شيئًا، ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ من مال نفسه لا من مال اليتيم، لئلا يحتاج إلى مدِّ اليد إلى ماله[1]. وقيل: فليأكل بالمعروف من مال اليتيم[2]. وقيل: ذلك منسوخ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾[3] الآية[4]، وقال الأصمُّ: فليأكل من مال اليتيم قرضًا، وإليه ذهب عمر، فقال: إني في[5] مال الله كوالي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت

(١) وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وهو قول الحكم. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨١، ٥٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٤)، والبحر المحيط (١/ ١٨١).

(٢) وهذا قول عمر وابن عباس وإبراهيم وعطاء والحسن وقتادة، وعبيدة والشعبي وأبي العالية وابن جبير، على خلاف بينهم هل يقضي ما أكله أم لا. وهو قول الفقهاء كما قال أبو حيان. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٢-٥٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٨-٨٧١)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٧، ١٦٨)، والبحر المحيط (١/ ١٨١).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٤) وهذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٨١).

(٥) في الأصل: (من) والصواب ما أثبته.

أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت[1]. وقيل: يتناول الفقير الأقل من قدر حاجته[2]، أو قدر أُجرةِ مثله[3]. **وقيل**: ليس لوالي اليتيم أن يتناول ذلك، وإن تولى إصلاحه إلا بأمر من له الأمر، وإليه ينصرف ما رُوي أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إن في حجري يتيمًا أفآكل من ماله؟ قال: «**نعم، ما لم تقِ مالك بماله، أو تتخذ**

---

(١) وهو قول عمر وابن عباس والشعبي ومجاهد وأبي العالية وابن جبير. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٢-٥٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٦٩، ٨٧٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٦٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٤)، ومعالم التنزيل (١/ ١٦٨)، والتفسير الكبير (٩/ ١٥٥، ١٥٦).

(٢) فمنهم من قال: يأكل ما يسدّ جوعه، ويلبس ما يواري عورته، وقال ابن عباس: يأكل بأطراف أصابعه. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٦، ٥٨٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٦٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢). وفي الأصل: (قدر حاجة) والصواب ما أثبته.

(٣) وهذا مروي عن ابن عباس أنه إذا عمل لليتيم في إبله شرب من لبنها. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٨٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢)، وقال أبو حيان «﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾: المعروف أن يكون له أجر بقدر عمله وخدمته، وهذه رواية عن الإمام أحمد». البحر المحيط (٣/ ١٨١). وردَّ الطبري هذا القول. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٩٤، ٥٩٥).

منه ذخرًا»[1]، وإلى نحوه صُرف قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، والأمر بالإشهاد عليهم عند دفع أموالهم إليهم على سبيل الإيجاب[3]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾، تنبيه منه تعالى أنه رقيب عليهم، يعلم أسرارهم، وأنه يحاسبهم على ما يكون منهم، فليس للولي أن يخون، ولا لليتيم أن يدعي ما ليس له.

قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾[4] الآية.

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٩٠) عن قتادة مرسلًا. وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٥٠٤)، في ترجمة ثابت بن رفاعة، ونسبه لابن منده، وابن فتحون، وقال: هذا مرسل رجاله ثقات. ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٦) للطبري وعبد بن حميد، وثبت نحو هذا الحديث موصولاً رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٦٨) وأبو داود كتاب الوصايا، باب: ما جاء في ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم، رقم (٢٨٧٢). ورواه ابن ماجه في الوصايا، باب: في قوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ رقم (٢٧١٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٣) وقيل على الاستحباب، وظاهر الآية يدل على الوجوب. انظر: معالم التنزيل (٢/ ١٦٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٤)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧. ونص الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

المفروض: المقطوع بإيجابه[1]، والفرض الحزُّ في شِية القوس[2]، والفُرْضَة مقطع الماء، إمّا اعتبارًا بقطع الماء أو قطع الخصومة فيه[3]. وبعض الفقهاء فرّق بين الفرض والواجب، فجعل الفرض أخصّ، وقال: إنه يقتضي فارضًا، والواجب لا يقتضيه، قال: ولذلك يُقال: ثواب المطيعين واجب على الله، ولا يقال: فرض عليه[4]، ورُوي أن العرب كانوا يورثون الذكور دون الإناث، وقيل: كانوا لا يورّثون إلا من طعن من الرُّمَّاح[5] دون المستضعفين من الولدان[6]، قيل: إن أوس بن

---

(١) قال ابن جرير في جامع البيان (٧/ ٥٩٧): «حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة» وانظر: طلبة الطلبة ص (٣٣٧)، والمغرب ص (٣٥٧).

(٢) شية القوس: لونه. انظر لسان العرب (١٥/ ٣٩٢).

(٣) انظر: العين (٧/ ٢٨)، والجمهرة (٢/ ٣٦٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧١)، والمفردات ص (٦٣٠).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧١)،، والفروق ص (١٤٦)، وقال ابن الأثير: «والفرض والواجب سيَّان عند الشافعي، والفرض آكد من الواجب عند أبي حنيفة». النهاية (٣/ ٤٣٢). وانظر: روح المعاني (٤/ ٢١١، ٢١٢).

(٥) الرُّمَّاح: جمع الرَّمَّاح بالفتح والتشديد، الذي يتخذ الرِّماح وصنعته الرِّمَاحة بالكسر. انظر: مختار الصحاح (ص ٢٥٦).

(٦) وهذا مرويّ عن قتادة. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٩٨)، (٨/ ٣١) وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٥)، =

ثابت[١] مات وخلّف بنات وابني عم، فعمدا إلى المال وأخذاه، فجاءت امرأة أوس ببناته إلى النبي ﷺ، وأعلمته ذلك[٢]، فأخبرها أن لا شيء لها ولا لهن. فأنزل الله تعالى الآية، فبعث النبي ﷺ إلى ابني عم أوس، فأمرهما أن لا يُخرجا من المال شيئًا، ثم نزلت آية الميراث، فقسّم المال عليهم[٣]، فاستدل بهذه الآية أصحاب الإمام أبي حنيفة[٤] على توريث ذوي الأرحام. وقالوا: الأخوال والخالات وأولاد البنات من الأقربين[٥]، وتعلّق بذلك أيضًا من ورّث الإخوة مع الجد، وكذلك من ورّث العامل والمماليك[٦].

---

(١) أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، أخو حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، شهد بيعة العقبة الثانية وغزوة بدر، واستشهد في أحد في السنة الثالثة من الهجرة. انظر: الاستيعاب (١/ ١١٨)، وأسد الغابة (١/ ١٤٠)، والإصابة (١/ ٣٩٣).

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن زيد. انظر: جامع البيان (٧/ ٥٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٠)، والدر المنثور (٢/ ٢١٧).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٧) وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٤) النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الإمام، صاحب المذهب الحنفي، فقيه مشهور من السادسة، مات سنة خمسين على الصحيح وله سبعون سنة. انظر: التقريب ص (٥٦٣) والتهذيب (١٠/ ٤٤٩).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦٩، ٧٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٥).

(٦) انظر: مغني المحتاج للشربيني (٣/ ٢١)، واللباب في شرح الكتاب للشيخ عبدالغني الغنيمي (٤/ ١٩٩)، ونيل الأوطار للشوكاني (٦/ ٦٢).

وقوله/ : ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[1] يقتضي خلاف من ورّث ذوي [٢٥٩/أ] الأرحام، إذ ليس لأحد منهم نصيب مفروض[2]، **فإن قيل**: لِمَ أُعيد ذكر النصيب؟ **قيل**: لما أراد أن يبين كون نصيبهم مفروضا أعاد الموصوف معه، ليستبين أن المفروض هو النصيب لا غير[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾[4] الآية. أراد بالقسمة المقسوم[5]، ولذلك[6]: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ ردّ إلى المعنى، واختُلِفَ في الآية على أقوال: **الأول**: أنه عنى من ليس بوارث من أولي القربى، وذلك على الاستحباب، فإما أن يُعطوا، أو

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧.

(٢) ذكر ابن العربي أن هذه الآية «أفادت إجمال النصيب المفروض، وبين الله سبحانه في آية المواريث خصوص القرابة ومقدار النصيب، وكان نزول هذه الآية توطئة للحكم وإبطالاً لذلك الرأي الفاسد...». أحكام القرآن (١/ ٣٢٨).

(٣) قال ابن العربي: «ليس في الآية تعرض للقسمة، وإنما اقتضت الآية وجوب الحظ والنصيب في التركة قليلًا كان أو كثيراً. فأما إبراز ذلك النصيب فيؤخذ من دليل آخر»، أحكام القرآن (١/ ٣٢٨).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨، ونص الآية: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

(٥) وقيل غير ذلك. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٨٤).

(٦) أي ولذلك قال.

يُقال لهم قول معروف[1]، وقيل: يُجمع لهم بين الأمرين[2]. والثاني: قال مجاهد: هو واجب، لكن يُعطون على قدر ما تطيب به نفس الورثة، إذ كانوا وارثين[3]، قال الحسن والنخعي[4]: أدركنا الناس وهم يُقسّمون على الأقارب واليتامى والمساكين من الورِق[5] والفِضَّة، فإذا صاروا إلى الأرضين والرقيق ونحوها، قالوا لهم قولاً معروفاً، أي قالوا لهم: بُورِك فيكم[6]. **الثالث**: أن أولي القربى ضربان: وارث يُعطى، وغير وارث، فيُقال له قول معروف[7]. **الرابع**: يُعطى الحاضر البالغ، ويتُحرَّى في أمر

---

(١) وهذا مرويّ عن ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري. انظر: جامع البيان (٨/ ٧-٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦).

(٢) هذا مرويّ عن أبي العالية والحسن. انظر: جامع البيان (٨/ ١٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠).

(٤) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلاّ أنه يرسل كثيراً، ولد سنة ٥٠هـ وتوفي سنة ٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٧٧)، والتقريب ص (٩٥).

(٥) الوَرِق: المال من الدراهم. انظر: المصباح المنير ص (٢٥١).

(٦) انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٤).

(٧) وهذا مرويّ عن سعيد بن جبير. انظر: جامع البيان (٨/ ١٥، ١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٤).

الغائب والصغير قولٌ معروف أي مصلحة[1]. **الخامس**: قال زيد من أسلم: هذا شيء أُمِرَ به الموصي في الوقت الذي يوصي، واستدلّ في ذلك بقوله بعد هذه الآية: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً﴾ الآية[2]. **السادس**: أنّ ذلك كان في الورثة واجبًا، فنسخته آية الميراث[3]، والصحيح أنه ليس بمنسوخ[4]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[5]، ثم قال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[6].

---

(١) وهذا مرويّ عن السدي. انظر: جامع البيان (٨/ ١٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦).

(٢) ذكره الجصاص عن زيد بن أسلم في أحكام القرآن (٢/ ٧٢).

(٣) يُروى هذا عن سعيد بن المسيب والضحاك وأبي مالك، ورواية عن ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٩، ١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٥، ٨٧٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧١)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٥٦).

(٤) وهذا ما رجحه الطبري في جامع البيان (٨/ ١٢).

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٢٨. قال ابن العربي: «وأكثر أقوال المفسرين أضغاث وآثار ضعاف. والصحيح أنها مبينةٌ استحقاق الورثة لنصيبهم، =

قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾[1] الآية.

أصل السداد: إزالة الاختلال، يقال: سددت الخرقَ. إذا ردمته، والسَّهمَ إذا قوَّمته، والفقرَ إذا أزلته، والسّداد ما يُسدُّ به، والسداد يُقال في معنى الفاعل، وفي معنى المفعول، ورجل سديد متردد بين المعنيين، فإنه مسدَّد من قبل متبوعه، ومسدِّد لتابعه[2]، وفي الآية أقوال: **الأول**: أنه نهي للحاضرين عند الموصي أن يأمروه بما لا يجوز الوصية به[3]. **والثاني**: أنه نهي لهم أن يأمروه بترك

= واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له منهم بأن يُسهم لهم من التركة، ويذكر لهم من القول ما يُؤنِّسهم وتطيب به نفوسهم، وهذا محمول على الندب..». انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٩).

(١) سورة النساء، الآية: ٩، ونص الآية: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

(٢) انظر: العين (٧/ ١٨٣)، وإصلاح المنطق ص (١٠٥)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢١)، والمفردات ص (٤٠٣)، وأساس البلاغة ص (٢٠٦)، والنهاية (٢/ ٣٥٢)، ولسان العرب(٣/ ٢٠٧)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٢٠٩).

(٣) هذا القول مرويّ عن ابن عباس وقتادة والسدي وسعيد بن جبير، والضحاك ومجاهد. انظر: جامع البيان (٨/ ١٩-٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٦، ٨٧٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧١)، =

الوصية[1] . **الثالث** : ما قد رُوِيَ عن ابن عباس أن ذلك وارد في الحث على حفظ مال اليتيم، وأنّ عليهم أن يعملوا فيه بمثل ما يحبون في ذريَّتهم بعد موتهم[2] . **الرابع** : أنه نهي للموصي أن يوصي بما لا يجوز[3] . وكُلُّ هذه الأقوال يصح أن تكون مرادة بالآية، لأنه واجب أن لا يوصي بأكثر من الثلث، وواجب على من يحضره أن يحثَّه على ذلك، وأن لا يُوصي بأكثر من الثلث، وأن لا يخلّ بالوصية[4] .

= والمحرر الوجيز (٤/ ٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٢).

(١) هذا القول مروي عن سعيد بن جبير ومقسم بن بجرة - مولى عبدالله بن الحارث ويقال: مولى ابن عباس للزومه له صدوق وكان يرسل من الرابعة مات سنة ١٠١هـ - وحضرمي - وهو شيخ مجهول بالبصرة يروي عنه سليمان التيمي - وسليمان بن المعتمر. انظر: جامع البيان (٨/ ٢٢، ٢٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٢). والتهذيب (٢/ ٣٩٤)، والتقريب ص (١٧١).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٥٧)، وحكاه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٧١) عن الكلبي.

(٣) ذكر هذا القول الزمخشري في الكشاف (٤٧٨)، وابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٣٣٠)، والرازي في التفسير الكبير (٩/ ١٦١).

(٤) قال الجصاص: «وجائز أن تكون هذه المعاني التي تأول السلف عليها الآية مرادة بها» أحكام القرآن (٢/ ٧٣). وقال ابن العربي: «والصحيح أن الآية عامة في كلّ ضرر يعود عليهم بأي وجهٍ كان على ذرية المتكلم، فلا يقول إلا ما يريد أن يقال فيه وله» أحكام القرآن (١/ ٣٣٠).

إن قيل: لِمَ قال: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾، ثم قال: ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؟ وهل بين الخشية والتقوى فرق؟ قيل: الخشية الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم[1]، ولذلك وصف به العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2]. والتقوى جعل العبد نفسه في وقاية مما يخشاه[3]، ولذلك قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]، فالخشية مبدأ التقوى، والتقوى غاية الخشية، فأمر الله تعالى بمراعاة المبدأ والنهاية[5]، إذ لا ينفع الأول دون الثاني، ولا يحصل الثاني من

---

(١) قال الراغب: «الخشية: خوفٌ يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه» المفردات ص (٢٨٣). وقال العسكري: «والخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية، ولهذا قال ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]». الفروق ص (٢٦٥).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) قال ابن رجب: «وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه...» جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٥) اعتمد الراغب في التفريق بين معنى: التقوى والخشية على المعنى الأصلي للفظتين، وقد نظر الأخفش إلى السياق وجعل الكلمتين بمعنى، وأنّ الثانية توكيد للأولى، قال: «فليخشوا: أي فليخشوا هذا. أي: فليتقوا، ثم عاد أيضاً فقال: فليتقوا الله» معاني القرآن (١/ ٤٣٥). وانظر: معنى=

دون الأول، ثم أمر تعالى/ مع ذلك بتحرِّي القول السديد، وذلك [٢٥٩/ب] متناول لكل قول مأمور به، وقول من قال: هو تلقين المحتضر الشهادة[١]، وقول من قال: هو ترك الرفث في تولي القسمة، وقول من قال: هو الصدق في الشهادة ـ داخل في عموم الآية[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[٣]. الصِّلا: النار، وصلي فلان بها وصليته: أدنيته منها، وصليت اللحم: شويته، فقوله: ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ ﴾ من صِلِيَ، ويُصْلَون من أَصلَيتُ[٤]، نحو ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾[٥]، والسعير: المسعور، واستعرت النار والحرب تشبيهًا بذلك[٦]، وهذه الآية مؤكِّدة لما قبلها من

= التقوى والخشية في: العين (٤/ ٢٨٤) و (٥/ ٢٣٨)، والزاهر (١/ ١٢٢)، والجمهرة (١/ ١٨٦) (٢/ ٢٢٥).

(١) ذكره القرطبي في الجامع (٥/ ٥٣) ولم ينسبه.

(٢) وهو داخل في الأقوال السابق ذكرها.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٤) انظر: العين (٧/ ١٥٤)، وجامع البيان (٨/ ٢٧)، والمنتخب ص (٩٥) و (٣٣١)، والمفردات ص (٤٩٠)، ولسان العرب (١٤/ ٤٦٧، ٤٦٨).

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٠.

(٦) انظر: العين (١/ ٣٢٩)، وغريب القرآن ص (٢٥٩)، وجامع البيان (٨/ ٢٧-٢٩)، والمفردات ص (٤١١)، والنهاية (٢/ ٣٦٧).

الأمر بالخشية والتقوى، ووعيد لمن تعدّى، وذكر الأكل لكونه أكثر ما يُراد له المال، وقيل: إنه لما نزلت هذه الآية تحرَّج الناس من طعام اليتيم حتى أنزل الله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[1]،[2] وليس هذا ناسخًا للأول، كما ظنّه قوم، لأنه ليس في قوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ إباحة لأكل مال اليتيم ظلمًا، فتكون هذه ناسخة لها[3]، في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) رواه عن ابن عباس موقوفاً أحمد في المسند (١/ ٣٢٥)، والنسائي في السنن، كتاب الوصايا، باب: ما للموصي من مال اليتيم إذا قام عليه، (٦/ ٢٥٦) رقم (٣٦٧٠)، وأبو داود في السنن، كتاب الوصايا، باب: مخالطة اليتيم في الطعام رقم (٢٨٧١)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (٢/ ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٠٣، ٣١٨)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٧٢)، والعجاب (١/ ٥٤٧-٥٤٩)، وأسباب النزول للسيوطي ص (٦٥).

(٣) ولذلك قال سبحانه بعد أن أجاز لهم مخالطة اليتامى في الطعام والشراب: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾. قال ابن كثير: «أي يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح». تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٤).
قال الجصاص عن القائلين بالنسخ: «وهذا القول من قائله يدل على جهله بمعنى النسخ وبما يجوز نسخه مما لا يجوز، ولا خلاف بين المسلمين أن أكل مال اليتيم ظلماً محظور. .» أحكام القرآن (٢/ ٧٤).

قوله: ﴿ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[1] وجهان: **أحدهما**: أن ذلك تشبيه، إذ كان ذلك مؤدياً إليه[2]، كقول النبي ﷺ: «**يتهافتون في النار تهافت الجراد**»[3]، وكقول الشاعر:

إذا صُبَّ ما في الوَطْب فاعلم بأنه
دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا[4]

فسمّى اللبن دما لكونه بدلاً منه. والثاني ما رُوي أن النار تُجعل في بطنه يوم القيامة[5]. والقولان صحيحان وسيّان، فإنه من

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٢) انظر: تفسير النكت والعيون (١/ ٤٥٧)، والسمعاني (١/ ٤٠٠)، والكشاف (١/ ٤٧٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٧).

(٣) ثبت نحوه من حديث جابر، رواه مسلم في الفضائل، باب: شفاعته ﷺ على أمته، رقم (٢٢٨٥)، ورواه أحمد (١/ ٣٩٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

(٤) البيت لجرير وهو من بحر الطويل، يُعيرّ به جسّاس بن شداد بأنّه قبل الدية من رجلٍ من نمير قتل أباه شدّاداً. انظر: ديوان جرير (٢/ ٧٩٦)، ويعني بما في الوَطْب: لبن إبل الدية الذي في الإناء، والوطب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه. وانظر: المعاني الكبير (٢/ ١٠١٩)، والمحاضرات (٤/ ٧٤)، والقاموس ص (١٣٠).

(٥) قال أبو حيان: «وظاهر قوله: ﴿ نَارًا ﴾ أنهم يأكلون ناراً حقيقة. . . =

كان حاله في الآخرة هذه، هو الذي حاله في الدنيا ما قاله الأولون.

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[1] الآية. الوصية: تُقال فيما كان حتمًا[2]، نحو قوله

= وبأكلهم النار حقيقة قالت طائفة» البحر المحيط (٣/ ١٨٧). وانظر: جامع البيان (٨/ ٢٦، ٢٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٢). وأما ما روي أن النار تجعل في بطن آكل مال اليتيم يوم القيامة، فقد رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٧٩)، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٥٦٦)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٧٤٤٠)، من حديث أبي برزة الأسلمي، وثبت من حديث أبي سعيد في قصة المعراج، أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٧٩).

(١) سورة النساء، الآية: ١١، ونص الآية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

(٢) معنى: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ قيل: يأمركم. وقيل: يعهد إليكم، وقيل: يبين لكم. وقيل: يفرض عليكم. قال أبو حيان: وهي أقوال متقاربة. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٩). وقال الزجاج: «معنى يوصيكم: =

تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ ثم قال: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾[1]. وقال ابن عباس: كان المال للولد في الجاهلية، والوصية للوالدين والأقربين، فنسخه هذه الآية[2]، واستُدِلَّ بما رُوِيَ أنه لمّا نزلت هذه الآية قال ﷺ: «**إن الله قد أعطى كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا وصية لوارث**»[3]، وقال غيره: الآية غير ناسخة، بل هي تفسير لقوله: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾[4]، [5] واختُلِفَ: هل يدخل ولد الابن في

= يفرض عليكم لأن الوصيّة من الله عزّ وجلّ فرض..» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣٩).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٠)، وصحيح البخاري كتاب التفسير، باب ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ﴾ رقم (٤٥٧٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٨).

(٣) رواه أبو داود ـ كتاب الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث، رقم (٢٨٧٠)، وابن ماجه ـ كتاب الوصايا، باب: «لا وصية لوارث» رقم (٢٧١٣)، والترمذي ـ كتاب الوصايا، باب: ما جاء في «لا وصية لوارث» رقم (٢١٢٠) وقال: حسن.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٣١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٥)، والبحر=

إطلاق الولد؟ فمنهم من قال: يدخل فيه، لقولهم: أولاد آدم، ولأن جميع ما علق بالولد من الأحكام فابن الابن داخل فيه، نحو ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾[1]، وقوله: ﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾[2] ولا خلاف أن حكم ولد الابن إذا لم يكن ولد صلب حكمه[3]، وقد استثني من ظاهر قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الكافر والمملوك والقاتل وأهل ملَّتين، إلا عند معاذ، فإنه يُورِّث المسلم من الكافر[4]، وقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ فإنَّ الله جعل للبنات إذا كُنَّ فوق اثنتين الثلثين، وللواحدة النصف، ولم يذكر فرض

= المحيط (٣/ ١٨٨).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) نقل القرطبي عن الشافعية أنهم قالوا: قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ حقيقة في أولاد الصلب، فأما ولد الابن، فإنما يدخل فيه بطريق المجاز، فإذا حلف أن لا ولد له، وله ولد ابن لم يحنث، وإذا أوصى لولد فلان لم يدخل فيه ولد ولده. وأبوحنيفة يقول: إنه يدخل فيه إن لم يكن له ولد صلب، ومعلوم أن الألفاظ لا تتغير بما قالوه. الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٩)؛ وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٠، ٨٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠١، ١٠٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٥٩).

البنتين، قال ابن عباس: حكمهما حكم الواحدة، وقال سائر الفقهاء: حكمهما حكم ما فوقهما[1]، ثم اختُلِفَ من أيٍّ وجه صار حكم الاثنتين حكم ما فوقهما؟ فقال بعضهم: إن ذلك أُجْرِيَ مجرى الثلاث بالقياس، لأنه به أشبه/ . وقال بعضهم: [٢٦٠/أ] بل اللفظ اقتضى ذلك، وهو الصحيح. وبيان ذلك أنه قال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، ولا فرق بين أن يقال ذلك أو يقال: للأنثيين مثل حظ الذكر. وقد ثبت أن حظ الذكر إذا كان مع أنثى الثلثان، فاقتضى ذلك أن فرض الأنثيين الثلثان، فصار ذلك مدلولاً عليه بفحوى الكلام دون الصريح، وفرض الواحدة وما زاد على البنتين فبالصريح، قال: ويقوي ذلك أن القسمة العددية ضربان: مركب ومفرد، وقد ذكر حكم المركب بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾، وحكم المفرد بقوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾، والاثنان بدءُ المركب من الأعداد، فيجب أن يكون حكمه ملحقًا به، ويدلُّ على ذلك ما قاله في آخر السورة قوله:

---

(١) قال السمعاني: «أكثر الصحابة والعلماء على أن للابنتين والثلاث الثلثين. وقال ابن عباس: للابنتين النصف، وإنما الثلثان للثلاث وما زاد؛ تمسكاً بظاهر الآية، والأول أصحُّ» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠١)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٣٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٠).

﴿ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ ﴾[1] ، فجعل حظ البنتين الثلثين ، ولم يبيّن حكم ما زاد عليهما ، وبيّن في فرض البنات حكم ما فوق الابنتين ، ليعلم من نطق كل واحد من الاثنين حكم المسكوت عنه في الأخرى .

فإن قيل : متى جعل حكم الاثنتين حكم الثلاث فصاعدًا سقط فائدة قوله : ﴿ فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾؟ قيل : مثل هذا راجع إلى المخالف ، لإنه يقال له : متى جعلت حكم الاثنتين حكم الواحدة سقط فائدة قوله : ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ﴾؟ وجوابه في ذلك جوابنا عما سأل ، على أن ذكر ذلك على التنزيل الذي نزلناه لابد من ذكره ، لأنه بيّن حكم الاثنتين بقوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ ، ثم بيّن حكم ما فوق الاثنتين ، ثم حكم الواحدة ، ومن قال : تقدير الكلام : فإن كن نساء اثنتين ، وإن قوله ﴿ فَوْقَ ﴾ زائد كقوله : ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾[2] ، لأنه أراد فاضربوا الأعناق ، فغير موافق في ادعاء الزيادة في الموضعين ، وغير موافقٍ في تأويل الابنتين ، وكلام الله تعالى منزه عن ذكر لفظ خلوةً عن قصد معنى صحيح ، إذ كان ذلك لغوًا ، تعالى الله عنه[3] .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧٦ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٢ .

(٣) وردّ هذا القول أيضاً النحاس وابن عطية وأبو حيان وابن كثير . انظر : =

إن قيل: لِمَ ذكر فرض البنت إذا انفردت، ولم يذكر الابن على الانفراد؟ قيل: لأن العرب كانوا يورِّثون البنين دون البنات، فاحتيج إلى تبيين ذلك، دون ما بقوا على ما كانوا عليه، وقوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾[1] ظاهره يقتضي أن يكون للأب السدس مع الولد: ذكرًا كان أو أنثى، كما أن فرض الأم كذلك، لأنه لا خلاف متى كان الولد بنتاً لا يستحق أكثر من النصف، لقوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ فيُعطى الأبوان السدسين بحكم النص، وبقي سدس يناوله الأب بما نبّه عليه بقوله: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، لمّا جمع نصيبهما، ثم أفرد نصيب الأم على أن الباقي للأب[2]. / [٢٦٠/ب]

وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾[3] فالإخوة هٰهنا متناولة للإخوة والأخوات، لكن غلب التذكير، وبيّن تعالى ميراث

= إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٣٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ١٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٤).

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

الأم عند وجود الإخوة، والظاهر يقتضي أن الأم تستحق السدس إذا كانت للميت ثلاثة إخوة فصاعدًا. وأمّا إذا كان أخوان فالظاهر لا يقتضي ذلك[1]، وقال ابن عباس: إن الآية لا تتناول ذلك، فلم تحجب الأم عن الثلث بدون الثلاثة، ولا بالأخوات منفردات[2]، وخالفه سائر الصحابة، وحجبوها باثنين من الإخوة والأخوات، كما حجبوها بأكثر من ذلك، وقالوا: المراد بالأخوة حصول من له الإخوة دون العدد، ودون الذكورية والأنوثية، ولا خلاف أن الواحد لا يحجب الأم[3].

(١) قال الماوردي: فلا خلاف أن الثلاثة من الإخوة يحجبونها من الثلث الذي هو أعلى فرضها إلى السدس الذي هو أقله، ويكون الباقي بعد سدسها للأب. النكت والعيون (١/ ٤٥٨)، وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٤).

(٢) انظر قول ابن عباس في: جامع البيان (٨/ ٤٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨١)، وبحر العلوم (١/ ٣٣٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٥).

(٣) قال السمرقندي: «وقد اتفق أصحاب رسول الله ﷺ أن اسم الإخوة يقع على الاثنين فصاعدًا، إلا في قول ابن عباس: ثلاثة فصاعدًا، واتفقوا أن الذكور والإناث فيه سواء، فيكون للأم السدس، والباقي للأب»، بحر العلوم (١/ ٣٣٧). وقال ابن جرير الطبري: «والصواب=

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾[1] قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الوصيّة مقدّمة في اللفظ مؤخّرة في المعنى[2]، فإن مراعاة الدّين قبل مراعاة الوصية، وإنما قيل ﴿أَوۡ دَيۡنٍ﴾ ولم يقُل

= أن المعنيَّ بقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ اثنان من إخوة الميت فصاعدًا على ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما...» جامع البيان (٨/ ٤١). وقال ابن كثير: وحكم الأخوين فيما ذكرناه كحكم الإخوة عند الجمهور. تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٤). وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٤٠).

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٤٦)، والترمذي في سننه ـ كتاب الفرائض، باب: ما جاء في ميراث الإخوة من الأب والأم رقم (٢٠٩٤)، ورواه في كتاب الوصايا، باب: «ما جاء يبدأ بالدين قبل الوصية» رقم (٢١٢٢)، ورواه ابن ماجه في كتاب الوصايا، باب «الدين قبل الوصية» رقم (٢٧١٥)، وأحمد في المسند (١/ ٧٩، ١٣١، ١٤٤)، والطيالسي في مسنده رقم (١٧٩)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٦٠)، والحميدي رقم (٥٦) وابن الجارود في المنتقى (٩٥٠)، وأبو يعلى رقم (٣٠٠)، والحاكم (٤/ ٩٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٣٢)، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث ـ الأعور ـ عن علي. وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث. والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم. وضعف الحافظ ابن حجر هذا الأثر أيضاً في فتح الباري (٥/ ٤٤٤) ولكنه قال: ولم يختلف العلماء في أن الدين يقدّم على الوصية. اهـ.

[و][1]دين، ليقتضيهما مجموعين ومفردين[2]، وقوله: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾، قيل: القصد بذلك أن المنفعة بهما متفاوتة، فإن المنفعة بالآباء في الصغر، وبالأبناء في الكِبَر[3]، وقيل: معناه تحرَّوا ما أُمرتم، ولا تعتبروا نفع الولد والوالد، فإن ذلك يختلف عند اعتبار الآحاد[4]، وقيل: معناه لا يدري أحدكم أهو أقرب وفاة، فينتفع ولده بماله، أم الولد أقرب وفاة فينتفع

---

(١) الواو ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٥٩)، ولأبي حيان تعليل آخر حيث قال: «وقدَّم الوصية على الدَّين، وإن كان أداء الدين هو المقدم على الوصية بإجماع اهتماماً بها، وبعثاً على إخراجها، إذ كانت مأخوذة من غير عوض، شاقّاً على الورثة إخراجها مظنة التفريط فيها، بخلاف الدين، فإن نفس الوارث موطَّنة على أدائه، ولذلك سوّى بينها وبين الدين بلفظ «أو» في الوجوب، أو لأن الوصية مندوب إليها في الشرع محضوض عليها، فصارت للمؤمن كالأمر اللازم له، والدين لا يلزم أن يوجد، إذ قد يكون على الميت دين وقد لا يكون، فبدئ بما كان وقوعه كاللازم، وأخَّر ما لا يلزم وجوده، ولهذه الحكمة كان العطف بأو، إذ لو كان الدين لا يموت أحدٌ إلا وهو راتب لازم له لكان العطف بالواو. أو لأن الوصية حظ مساكين وضعاف، والدين حظ غريم يطلبه بقوة». البحر المحيط (٣/ ١٩٤).

(٣) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٥) ونسبه لأبي يعلى.

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٤) ونسبه إلى ابن عيسى. وقال: وقريب منه قول الزجاج.

الوالدان بماله[1]، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر:

ما عِلمُ ذي ولد أيثكله أم الـولـدُ اليتيـم؟[2]

وهذا الذكر في الآية كالاستطراد، والقصد به يجب أن يتحرَّى في ماله الوجه الذي جُعل له المال، فلا يمنع ذا حقٍّ من حقّه، شفقة على ورثته، ولا يضعه في غير حقه تفاديًا من انتقال ماله إلى ورثته، بل يجب أن يتحرى القصد في ذلك، فليس يدري عواقب الأمور، وجملة ذلك أن في الآية حثًّا على تفويض الأمر إلى الله، والرضا بحكمه، وقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] اسم موضوع موضع المصدر[4]، نحو قوله: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[5]، و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[6]، ومعناه قسمة مقدرة، وقيل: معناه حتمًا

---

(١) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٤) ونسبه لابن بحر. وذكره الرازي في التفسير الكبير (٩/ ١٧٧) ولم ينسبه.

(٢) البيت ليزيد بن الحكم، وهو ضمن قصيدة يوصي بها ابنه كما في شرح حماسة أبي تمام للتبريزي. وقال التبريزي: القصيدة من بحر الكامل المرفّل والقافية متواترة. انظر: شرح الحماسة (٣/ ١٠٧).

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٠)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٢)، والتبيان (١/ ٣٣٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٤.

لازمًا[1]، وكلا المغنيين يقتضيه لفظ الفريضة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾[2] الآية. **الكلالة**: اسم لمن عدا الولد والوالد[3]، وقال ابن عباس: اسم لمن عدا الولد وورث الإخوة مع الأب[4]، وإليه كان

---

(1) انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٥)، ونظم الدرر (٢/ ٢٢١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٥٠).

(2) سورة النساء، الآية: ١٢. ونص الآية: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

(3) قال الفرّاء: «الكلالة: ما خلا الولد والوالد» معاني القرآن (١/ ٢٥٧) وقال الزجاج: «الكلالة سوى الولد والوالد» (٢/ ٢٦). انظر: غريب القرآن ص (٣٩٠)، والمفردات ص (٧١٩)، وذكر أبو حيان أن هذا هو قول جمهور أهل العلم وجمهور أهل اللغة؛ صاحب العين، وأبي منصور اللغوي وابن عرفة وابن الأنباري والعتبي. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٩٧).

(4) وهذا القول هو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: جامع=

يذهب[1] ابن عمر[2] ثم رجع عنه، ويدلُّ أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر:

وإن أبـا المـرء أحمـى لـه ومولى الكلالة لا يغضب[3]

ورُوي أن النبي ﷺ سُئل عن ذلك، فقال: **«من مات وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة»**[4]، وقال بعضهم: الكلالة من لا ولد له ولا والد[5]، فجعله اسم الميت، وكلا القولين صحيح،

= البيان (٨/ ٥٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٩) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٦).

(١) في الأصل (يذهب كان) والسياق يقتضي ما ذكرناه.

(٢) هكذا في الأصل (ابن عمر) ولعل الصواب (عمر) قال أبو حيان: «وقالت طائفة: هي - أي الكلالة - الخلو من الولد فقط، وروى عن أبي بكر وعمر ثم رجعا عنه». البحر المحيط (٣/ ١٩٦).

(٣) البيت في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦) وتهذيب اللغة (٩/ ٤٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٧) ولم أهتد إلى قائله.

(٤) رواه أبو داود في المراسيل ص (٢٧١) رقم (٣٧١) مرسلًا، ورواه عبدالرزاق في المصنف (١٠/ ٣٠١) رقم (١٩١٩٢)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٢٣) من طرق أخرى مرسلًا. وأخرجه الحاكم موصولاً في المستدرك (٤/ ٣٣٦) عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. وضعفه الذهبي وقال: الحمَّاني ضعيف.

(٥) وهذا قول أبي بكر وعمر والمشهور عن ابن عباس رضي الله عنه. قال ابن كثير: =

فإن الكلالة مصدر، وهو اسم للمعنى الذي يجمعهما، فسُمّي به الوارث تارة والموروث تارة، وتسميتها بذلك إما لأنَّ النسب قد لحق به من طرفيه، أو لأنَّه كلَّ عن اللحوق به[1]، وذلك أن الانتساب ضربان: **أحدهما**: بالعمق كنسبة الأب والابن، **والثاني**: بالعرض كنسبة الأخ/ والعم. [٢٦١/أ]
وقال قطرب[2]: الكلالة لمن عدا الأبوين والأخ

= «وهو قول علي وابن مسعود، وصحَّ عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم، وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة، وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد، وورد فيه حديث مرفوع، قال أبو الحسين ابن اللبان: وقد روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك، وهو أنه من لا ولد له، والصحيح عنه الأول، ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٦)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٣ ـ ٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٤٦)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٦).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٨٦).

(٢) هو محمد بن المستنير أبو علي النحوي، تلميذ سيبويه، كان يرى رأي المعتزلة النظّاميّة، من تصانيفه: (معاني القرآن) و (الاشتقاق)، توفي سنة ٢٠٦هـ. انظر: بغية الوعاة (١/ ٢٤٢)، ونزهة الألباء ص (٨٥)، =

[و][1] ليس بشيء[2]، وقال بعضهم: هو اسم لكل وارث[3]، لقول الشاعر:

.... وللكلالة ما يُسيم[4]

ولم يقصد الشاعر ما ظنّه هذا القائل، فإنه إنما خصّ الكلالة ليزهد الإنسان في جمع المال، لأن تخليف المال لهم أشد من تركه الأولاد، وإذا قُرِئَ يورِث[5] فكلالة مفعول، وإذا قُرِئَ

= وطبقات النحويين واللغويين ص (٩٩)، وإشارة التعيين ص (٣٣٨)، وتاريخ بغداد (٣/ ٢٩٨)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٣٩)، وطبقات المفسرين (٢/ ٢٥٦).

(١) الواو ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في المفردات ص (٧٢٠).

(٢) وضعف أبو حيان قول قطرب أيضاً. انظر: البحر المحيط (٣/ ١٩٧)، وقد عزا الأزهري هذا القول إلى أبي عبيدة والأخفش. انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٤٤٧).

(٣) ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٧) أن هذا قول الراغب. وليس بصحيح.

(٤) هذا عجز بيت وتمامه:

والمرءُ يَجمعُ للغِنى وللكلالة ما يُسيم

وهو في: المفردات ص (٧٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٧)، وهو ليزيد ابن الحكم. انظر: شرح الحماسة (٣/ ١٠٦).

(٥) وهذه قراءة الحسن. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٢)، والبحر المحيط=

يورَث[1] فحال للميت.

فرض الله تعالى للزوج النصف إذا لم يكن للميتة ولد، دخل بها أو لم يدخل، وجعل له الربُعَ إذا كان لها ولد، سواء كان منه أو من غيره، وفرض الربُعَ للزوجات إذا لم يكن للميت ولد، والثمُنَ إذا كان له ولد، وأجمعوا أن ولد الابن يقوم مقام ولد الصلب في حجب الزوجين، إلاّ حكاية عن بعض المتقدمين، وأجمعوا أن للزوجة الواحدة إذا انفردت ما للزوجات إذا اجتمعن، وذهبت طائفة إلى أن من لا يرث من مملوك وقاتل يحجب الزوجين والأم، لأن اسم الولد يتناولهم، كما يحجب الإخوة الأم مع الولد، وإن لم يرثوا[2]،

= (٣/ ١٩٧)، والدر المصون (٣/ ٦٠٩).

(١) وهي قراءة الجمهور. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٧)، والدر المصون (٣/ ٦٠٩). وقد ذكر ابن جنّي أنّ الحسن قرأها: [يُورِثُ] وأن عيسى بن عمر قرأها [يُوَرِّث] وقال: المعنى: وإن كان رجل يورث ورثته مالاً. ولكنه جعل مفعولي الفعل محذوفين، وقال: إنّ (كلالة) تُعرب على هاتين القراءتين بما تُعرب به على القراءة المشهورة. انظر: المحتسب (١/ ١٨٢)، وجامع البيان (٨/ ٥٣)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٣٩)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٧٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٠)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٢)، وقد أعرب: (كلالة) على قراءة كسر الراء بما أعربها به الراغب.

(٢) وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الأوزاعي والحسن بن صالح: =

وقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾[1]، جعل لواحدهم السدس، وأشرك بين جماعتهم في الثلث، ولم يُفضِّل ذكرهم على أنثاهم[2]، وعنى بذلك ولد الأم بدليل قوله في إخوة[3] الأب والأم[4]، ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[5] ورُوِيَ أن سعد بن مالك[6] قرأ: وله أخ أو أخت

= المملوك والكافر لا يرثان ولا يحجبان. والقاتل لا يرث ويحجب. وقال علي وعمر وزيد بن ثابت وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن ومالك والثوري والشافعي: المملوك والقاتل والكافر لا يحجبون الزوج ولا المرأة عن نصيبهما. انظر: أحكام القرآن (٢/ ٨٣).

(١) سورة النساء، الآية: ١٢.

(٢) قال السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٠٥): «وفيه إجماع أن فرضهم الثلث وإن تعددوا وإن كثروا».

(٣) في الأصل: (قوله) والصواب ما أثبته. ويقصد إخوة المتوفّى لأبيه وأمه.

(٤) قال القرطبي: «فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عنى بها الإخوة للأم..» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٨). وانظر: جامع البيان (٨/ ٦١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٤٨).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٦) سعد بن مالك: هو سعد بن أبي وقاص بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب الزهري أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، صحابي جليل، مناقبه كثيرة، كان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، أمّره عمر على الكوفة سنة إحدى وعشرين وهو الذي فتح مدائن كسرى وقاد=

من أم[1]. قال بعضهم: لعله فسَّر الإخوة بذلك، فظنَّ السامع أنه قرأه في القرآن[2]، كما روي عن عمر: فامضوا إلى ذكر الله على معنى التفسير للسعي، فظنَّ أنه قرآن، وقوله: ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ فذلك لتغليب المذكَّر، وقُرِىء يوصِي بها، فإذا قُرِىء يوصَى بالفتح فصفة الوصية، وإذا قُرِىء بكسر الصاد احتمل أن تكون صفة للوصية وأن تكون حالاً للموصي[3] وقرأ الحسن: غير مضار وصيةٍ بالإضافة، والباقون بالتنوين، ونصب وصية على المصدر أو على المفعول به[4]، والإضرار أن يُقرَّ بمالٍ لأجنبي، ردًّا

= معركة القادسية، توفي بالعقيق سنة ٥٥هـ على المشهور. انظر: الإصابة (٣/ ٦١)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩)، والتقريب ص (٢٣٢).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٦١، ٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٨٧، ٨٨٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٦).

(٢) الذي عليه عامة المفسرين أنها قراءة وليس تفسيراً. انظر: المصادر السابقة.

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر: (يوصىٰ بها) وقرأ الباقون (يوصِي). انظر: حجة القراءات ص (١٩٣)، والمبسوط ص (١٥٤)، والتلخيص ص (٢٤٢)، والنشر (٢/ ٢٤٨). وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٩٩).

(٤) ذكر قراءة الحسن ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٤٤)، والعكبري في «إعراب القراءات الشواذ» (١/ ٣٧٥)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٨٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٩٩)، والسمين الحلبي في «الدر المصون»=

للميراث، أو يبيع ماله أو شيئاً منه محابياً فيه، أو يهب، أو يُعتق، أو يوصي لوارثه قصدًا للإضرار بغيره.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾[1] الآية. بيّن بذكر الحدّ أن ذلك يؤدي بالإنسان إلى العصيان، ونبّه بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ على وجوب مراعاة ما بيّنه تعالى في الكتاب من أحكام المواريث، وما بيّنه ﷺ من نحو قوله: «**لا وصية لوارث**»[2]، وقوله: «**لك الثلث والثلث...**»[3]، قال ابن عباس: الضرار

= (٣/ ٦١٣). وانظر: المحتسب (١/ ١٨٣)، واملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٧٧)، ونصبُ [وصيّة] إن كان على المصدر ففيها حيئنذٍ وجهان: أحدهما: أنها مفعول مطلق مؤكد ليوصيكم. وثانيهما: أنها مصدر في موقع الحال. وإن كان نصب [وصيّة] على المفعول به فيكون العامل فيه [مضارّ] على سبيل التجوّز. انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٨)، وجامع البيان (٨/ ٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ١٩٩).

(١) سورة النساء، الآية: ١٣ ونصّها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الوصايا، باب: ما جاء «لا وصية لوارث» رقم (٢١٢٢)، والنسائي في الوصايا، باب: إبطال الوصية للوارث (٦/ ٢٤٧)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) جزء من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حينما سأل رسول الله ﷺ عن الوصية فقال له: «**الثلث والثلث كثير**» رواه البخاري ـ كتاب=

في الوصية من الكبائر، ثم قرأ ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[2]، وقال ﷺ: «**إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة، فإذا أوصى حاف[3] في وصيته، فيُختم له بسوء عمله**»[4]، ووصف الفوز بالعظيم اعتبارًا بفوز الدنيا

= الوصايا، باب: «أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس» رقم (٢٧٤٢). ورواه مسلم ـ كتاب الوصية، باب «الوصية بالثلث» رقم (١٦٢٨). ورواه أبو داود في الوصايا، باب: «ما لا يجوز للموصي في ماله» رقم (٢٨٦٤). ورواه الترمذي في الوصايا، باب: «ما جاء في الوصية بالثلث» رقم (٢١١٦) وقال: حسن صحيح.

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٨٩)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٧١).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٨٩)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٧١)، وقال البيهقي عن الموقوف: هذا هو الصحيح موقوف. وكذلك رواه ابن عيينة وغيره عن داود موقوفاً. وروي من وجه آخر مرفوعاً، ورفعه ضعيف.

(٣) حاف: أي جار وظلم. انظر: مختار الصحاح ص (١٦٥).

(٤) رواه أبو داود ـ كتاب الوصايا، باب: «ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية» رقم (٢٨٦٧). ورواه الترمذي في الوصايا، باب: ما جاء في الضرار في الوصية رقم (٢١١٧). ورواه ابن ماجه في كتاب الوصايا، باب: «الحديث في الوصية». ورواه البيهقي في سننه (٦/ ٢٧١)، وعبدالرزاق رقم (١٦٤٥٥) والطبراني في الأوسط رقم (٣٠٢٦) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

الموصوف بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[1] والقليل والصغير في وصفها متقاربان.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾[2] الآية. كما وصف في مراعاة الحدود ثواب مراعيها وصف في تضييعها عقاب متعديها، وأطلق القول فيهما ليكون عامًّا في ذلك/ وفي غيره من الحدود التي بيّنها، وذكر في العذاب الهوان، [٢٦١/ب] كما ذكر[3] في غيره الخزي لما عُرِف من عادة كثير من الناس أن تقل مبالاتهم بالشدائد ما لم يضامَّها، الهوان حتى قالوا: المَنيّة ولا الدنيّة[4]، والنار ولا العار[5]. فبيّن أنه يُجمع لهم الأمران.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾[6] الآية. فائدة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٢) سورة النساء الآية: ١٤، ونصها: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

(٣) في الأصل: (ذكره) والصواب حذف الهاء.

(٤) هذا مثل يُنسب لأوس بن حارثة. يُضرب لمن يختار المسلك الأصعب على السهل المزْري. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٣٠٣)، والأمثال للقاسم بن سلام ص (١١٣) و(١٨٣)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٥٣).

(٥) المثل في المستقصى للزمخشري (١/ ٣٥١)، ومجمع الأمثال (٤/ ٣١٥).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥. ونص الآية: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

الإضافة في قوله: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ تنبيه على الحرائر، وقيل: تنبيه على المحصنات دون الأبكار، وقيل: على المزوجات أبكارًا كن أو ثيِّبات[1]، قال ابن عباس في هذه الآية، وفي قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾[2] إن الزانيين كانا يُؤذيان بالتعيير والتعزير، والمرأة كانت تُحبس في البيت إلى أن أنزل الله قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[3] الآية[4]، وقيل: المراد بالآيتين البكران[5]، وقوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[6]: «**البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثّيب بالثّيب جلد مائة**

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٧٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٥). وقال ابن العربي: «والصحيح عندي أنه أراد جميع النساء، لأنه مطلق اللفظ الذي يقتضي ذلك وعمومه». أحكام القرآن (١/ ٣٥٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦.

(٣) سورة النور، الآية: ٢.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٢، ٨٩٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٥).

(٥) هذا القول مرويّ عن السدي وابن زيد وسعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير الطبري وذلك في الآية الثانية دون الأولى. انظر: جامع البيان (٨/ ٨٢، ٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠٧).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥.

والرجم»[1] ، وهذا مما استدلّ به من ادّعى جواز نسخ القرآن بالسنة[2] ، ومن أنكر ذلك[3] فله من ذلك أجوبة : **أحدها** : أن هذا كان حكمًا مقيدًا بوقت ، لقوله : ﴿ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ ، وتقديره : أمسكوهن إلى أن يتبين لكم حكمهن ، فصار ذلك بالكتاب معلومًا ، وإنما حظ السنة فيه بيان قدر الزمان ، الذي وقَّته الكتاب مجملًا[4] . **والثاني** : أن الأذى كان في الأبكاراللاتي لم يتزوجن ، والحبس في المتزوجات منهن قبل الدخول ، بدلالة

---

(١) لفظ الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلًا** . . . » فذكره. رواه مسلم في كتاب الحدود ، باب : حدّ الزنى رقم (١٦٩٠) .

(٢) وهو قول أبي حنيفة وأصحابه والجمهور . انظر : الكلام على نسخ القرآن بالسنة في : أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٧) ، والمستصفى للغزالي (١/ ٢٣٦) ، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/ ٥١٨) ، وللآمدي (٣/ ٢١٧) ، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٦) ، وإرشاد الفحول ص (١٩١) . وقال ابن عطية : «وهذا الذي عليه الأئمة المحققون أن السنة المتواترة تنسخ القرآن إذا هما جميعًا وحي من الله ويوجبان جميعاً العلم والعمل» المحرر الوجيز (٤/ ٤٨) .

(٣) كالشافعي وأحمد . انظر : التفسير الكبير (٩/ ١٨٨) ، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٦) ، ومذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص (١٠١) .

(٤) انظر : معالم التنزيل (٢/ ١٨١) ، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٣) ، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٦) .

قوله: ﴿ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾، ثم نُسِخَ حكم الحبس والأذى في الأبكار بآية الجلد، وأمّا الرجم فقد أُخذ حكمه عن السنة[(١)]، ولهذا قال عليّ عليه السلام حيث جلد محصنًا ورجمه، فسُئل عن ذلك؟ فقال: «أجلده بكتاب الله، وأرجمه بسنة رسوله ﷺ»[(٢)]، فدلَّ أنه لم يفهم من سنة النبي نسخ الآية. **والثالث**: أن حُكم النسخ وقع بقرآن، قد رُفع تلاوته، وبقي حكمه، وهو ما رُوي عن عمر رضي الله عنه: كان مما يقرأ في القرآن: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم[(٣)]. فهذه أقوال عامة المفسرين، وأما ابن بحر فإنه قال: المراد بقوله: ﴿ وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾، وبقوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٨٤-٨٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٧، ١٠٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠٦، ٤٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٧)، وهو قول السدي وقتادة.

(٢) أثر علي رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب الحدود، باب: رجم المحصن، رقم (٦٨١٢)، وفيه أنه رجم امرأة لا رجلًا. وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٧).

(٣) أثر عمر في الرجم أخرجه أبو داود ـ كتاب الحدود ـ باب: في الرجم، رقم (٤٤١٨)، وابن ماجه ـ كتاب الحدود، باب: «الرجم» رقم (٢٥٥٣) من حديث ابن عباس. وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٨٣) من حديث زيد بن ثابت. وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٥٣).

﴿يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ ما يتعاطى الرجال بعضهم من بعض، والنساء بعضهن مع بعض، وبقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[1] ما يتعاطى الرجل مع المرأة، قال: ولا نسخ في ذلك، قال: ويدل على ذلك أن ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ﴾ متضمنة للإناث فقط، ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ يتضمن المذكرين، قال: ولا يصحُّ أن يقال: إن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر، لأن ذلك إنما يكون حيث تقدم لهما ذكر، نحو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾[2] قال: وقد روي عنه ﷺ: «**مباشرة الرجل الرجل زنى، ومباشرة المرأة المرأة زنى**»[3]، وهذا الذي قاله وإن ساعده اللفظ فعدول عن سنن السلف[4].

---

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٣)، وفي شعب الإيمان (٤/ ٣٧٥) رقم (٥٤٥٨) من حديث أبي موسى مرفوعاً بلفظ: «**إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان**» وعزاه ابن حجر في التلخيص (٤/ ٦٢) للبيهقي وأبي الفتح الأزدي في الضعفاء والطبراني في الكبير وقال: «وفيه محمد بن عبدالرحمن القشيري، كذبه أبو حاتم...» ولم أقف عليه بهذا اللفظ في المعجم الكبير للطبراني.

(٤) انظر قول ابن بحر والرد عليه في: التفسير الكبير (٩/ ١٨٧، ١٨٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٤). وذكر قوله السمعاني أيضاً في تفسير القرآن (١/ ٤٠٧) ولم يذكر قائله أو الرد عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾[1] الآية.

قد ذُكر تفسيرها في الآية المتقدمة، وقال مجاهد: هما الرجلان الزانيان، يعني المتعاطيين اللواطة، يُعبَّر عنها بالفاحشة[2].

وقد رُوِي عن النبي ﷺ أن «**اللواطة الزنى الصغير**»[3]، وظاهر قوله: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ﴾ يقتضي أن التوبة تُسقط الحبس والأذى عن الزانيين[4]، وقد قيل: الإعراض عنهما هو ترك التثريب[5] المذكور في قوله ﷺ: «**إذا زنت أمة أحدكم..**» [٢٦٢/أ] الخبر / إلى قوله: «**فليبعها ولو بضفير، ولا يُثرِّب عليها**»[6].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٦ ونصها: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٤، ٢٠٦).

(٣) لم أقف عليه، ولكن ورد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال في الرجل يأتي امرأته في دبرها: «هي اللوطية الصغرى». رواه أحمد في المسند (٢/ ١٨٢، ٢١٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٩٨): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط. وكذا قال المنذري في الترغيب رقم (٣٥٧٥).

(٤) وهذا اختيار الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٨٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٨). ومعنى التثريب: التعيير والاستقصاء في اللوم. انظر: مختار الصحاح ص (٨٣).

(٦) رواه البخاري ـ كتاب البيوع، باب: بيع المدبّر (٤/ ٤٩١) رقم (٢٢٣٤). =

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾[1] الآية. تعني أن قبول التوبة قد أخذ الله على نفسه تفضُّلًا لمن تاب من قريب إذا بدر منه سوء، وقوله: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ فيه أقوال: **الأول**: يأتيه سهوًا من غير قصد إلى الفاحشة[2]. **الثاني**: عن جهل بكونه ذنبًا[3]. **الثالث**: أن يعلمه لكن لا يعلم كونه كبيرة، ولا قدر عقوبته[4]. **الرابع**: أن يعلمه ويعلم عقوبته، لكن يتبع شهوته[5]،

= ورواه مسلم: كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا (٣/ ١٣٢٨) رقم (١٧٠٣). ورواه أبو داود: كتاب الحدود، باب: في الأمة تزني ولم تحصن رقم (٤٤٧٠). والترمذي في كتاب الحدود وقال: حسن صحيح، باب: ما جاء في الرجم على الثيّب رقم (١٤٣٣). وابن ماجه، باب: إقامة الحدود على الإماء (٢/ ٨٥٧) رقم (٢٥٦٦).

(١) سورة النساء، الآية: ١٧ ونصُّها: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(٢) نقل أبو حيان هذا القول عن الماتريدي في البحر المحيط (٣/ ٢٠٨).

(٣) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢٠٨) ولم ينسبه.

(٤) ذكر ابن عطية هذا القول عن ابن فورك وضعفه. المحرر الوجيز (٤/ ٥٤)، وذكره الطبري عن بعض أهل العربية وردّه، ويبدو أنه يقصد الفرّاء. انظر: جامع البيان (٨/ ٩٢)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢).

(٥) وهذا اختيار الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩)، والوسيط=

ومرتكب الذنب وإن كان يعلم كونه ذنباً يقال له جاهل، ومن هذا الوجه قال مجاهد: الجهالة: العمد[1]، وقول من قال: الجهالة: المعصية[2] فعلى هذا، لأن كل معصية جهالة، وإن لم يكن كل جهالة معصية، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي قبل الموت[3]، بدلالة قوله ﷺ: «إن الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب».

= (٢/ ٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٨).

(١) وهذا مروي عن مجاهد والضحاك وضعّفه ابن جرير. انظر: جامع البيان (٨/ ٩٠، ٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٧)، وتفسير مجاهد ص (٢٧٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٠٨).

(٢) وهذا قول كافة الصحابة. قال قتادة: أجمع أصحاب النبي ﷺ على أن كل معصية فهي بجهالة عمداً كانت أو جهلًا وهو قول ابن عباس والسدي وأبي العالية ومجاهد وابن زيد واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٨٩، ٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٤)، والوسيط (٢/ ٢٦، ٢٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٩).

(٣) وهذا مروي عن الضحاك وعكرمة وقتادة وابن زيد وأبي قلابة والحسن والضحاك، واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٩٤- ٩٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٨٩٨، ٨٩٩)، والنكت والعيون=

قيل: يا رسول الله: وما وقوع الحجاب؟ قال: «**موت النفس مشركة**»[1]، وروي: «**من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه**»[2]، وسُمِّي مرةً قليلاً[3] لقوله: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾[4] والقريب والقليل في نحو ذلك يتقاربان، وقال بعضهم: نبّه بقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ على لطيفة، وهي أن الإنسان إذا ارتكب ذنباً صدأ قلبه، فإن أقلع زال صدأه، وإن استمرَّ رِين على قلبه، وإن لم ينزع طُبِعَ عليه وأُقفل، ثم يتعذر عليه الرجوع، وعلى ذلك نبَّه بقوله في قصة المنافقين[5] ﴿إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾[6] فإذا كان كذلك فحق لمن بدرت منه بادرة أن يتداركها قبل أن

= (١/ ٤٦٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٠٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٩).

(١) رواه أحمد (٥/ ١٧٤)، والحاكم (٤/ ٢٥٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢/ ٢١). وقال الحاكم: صحيح. ووافقه الذهبي. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦١) إلى ابن مردويه.

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٢٧) بهذا اللفظ. ورواه الطبري (٤/ ٢٠٦) بلفظ: من تاب قبل موته بفواق ناقة، ورواه الحاكم (٤/ ٢٥٧)، والخطيب في التاريخ (٨/ ٣١٧) بلفظ: من تاب قبل أن يغرغر.

(٣) في الأصل: (قريباً) وهو خطأ والصواب ما أثبته.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٥) في الأصل المتلفقين، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٨٣.

تصير الشهوة مستولية عليه، فتأبى الطباع على الناقل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ﴾[1] الآية. أعتدنا. قيل: أصله: أعددنا، فأُبدل من إحدى الدالين تاء، وقيل: هو أفعلنا من العتاد أي العدة، وهو ادخار الشيء قبل الحاجة إليه[2]، والله تعالى غني عن الإعداد، وإنما القصد أنه لا يعجزه عذابهم حيث شاء، والسيئات هٰهنا عبارة عن الشرك والكبائر. وحضور الموت: معاينة مَلَكِ الموت. بيّن تعالى أن التوبة تفوت إذا أُخِّرت إلى ذلك، ولذلك لم ينفع إيمان من آمن عند رؤية العذاب، حيث قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾[3]، وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾[4] الآية، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾[5] الآية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨. ونص الآية: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١٠٣)، والمفردات ص (٥٤٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ١٨).

(٣) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

وجعل الناس قسمين: مقصرين في العمل غير تاركين للإيمان، وهم الذين عناهم الله بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾، وتاركين للعمل والإيمان وهم المعنيون بقوله: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾[1] الآية.

العضل: التضييق عليها بالمنع من التزويج[2]، وعضلت الدجاجة بيضها، والمرأة بحملها، والبقعة بأهلها، وداء عضال منه[3]، ومعنى قوله: ﴿أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ ما روي أن الرجل إذا مات في الجاهلية يرث امرأته ورثتهُ: أخًا كان أو ابنًا من غيرها، فإن شاء تزوجها بالصداق الأول، وإن شاء زوّجها وأخذ مهرها[4]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٩ ونصُّها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤١).

(٣) انظر: العين (١/ ٢٧٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠)، ومجمل اللغة ص (٥٢٤)، والمفردات ص (٥٧١)، حيث قال الراغب: «وعَضَلت الدجاجة ببيضها والمرأة بولدها إذا تعسّر خروجهما. . وداء عضال: صعب البرء».

(٤) ورد هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه. رواه البخاري في صحيحه =

وقوله: (كَرها)، وقرئ: (كُرها)[1]. قال الفرّاء: ما أكره عليه الإنسان فكَره وما كان من قبيل نفسه فكُره[2]، وقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قيل: هو نصب معطوف على قوله: ﴿أَن تَرِثُوا۟﴾[3]، وذكر أن في قراءة عبدالله/ (ولا أن تعضلوهن)[4]، وقيل: هو [٢٦٢/ب]

= كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ رقم (٤٥٧٩)، والطبري في جامع البيان (٨/ ١٠٤)، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح باب: قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا . . .﴾. رقم (٢٠٨٩)، والبيهقي في سننه (٧/ ١٣٨).

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف (كُرها) بالضم. وقرأ الباقون (كَرهًا) بالفتح. انظر: حجة القراءات ص (١٩٥)، والمبسوط ص (١٥٥)، والتلخيص ص (٢٤٣)، والنشر (٢/ ٢٤٨).

(٢) لم أجده في معاني القرآن للفراء، ولكن ذكره النحاس ونسبه إلى الفرّاء. انظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٤٧). وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢١٢) ونسبه للفراء. وذكره ابن زنجلة في حجة القراءات ص (١٩٥) ونسبه لأبي عمرو. وقال الكسائي: الكَرْهُ والكُرْه بمعنى واحد. انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١١٢)، وانظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٣٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٥٩)، وجامع البيان (٨/ ١١٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٣).

(٤) ذكر هذه القراءة الفرّاء في معاني القرآن (١/ ٢٥٩)، والطبري في جامع=

جزم على النهي[1]، قال ابن عباس وقتادة: المنهي عن العضل الزوج إذا لم يحتج إلى المرأة، فيمسكها رغبة في مالها[2]، وقيل: بل الوارث المانع لها من التزوُّج على سُنَّة الجاهلية[3]، وقيل: بل الولي[4]، وكل هؤلاء منهيون في الشرع عن العضل، فيصحُّ أن يكون خطاباً لجماعتهم، والفاحشة المذكورة هٰهنا قال الحسن: هي الزنا، وللزوج أخذ الفدية إذا اطلع منها على ذلك[5]، وقال

= البيان (٨/ ١١٤)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٤٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٦١)، والعكبري في إملاء ما منّ به الرحمن (١/ ١٧٩)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٩٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢١٣)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٣/ ٦٢٨).

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، وهو مروي عن ابن زيد والشعبي والضحاك.

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٠، ١١١)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، وهذا مروي عن ابن عباس والحسن وعكرمة.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٢، ١١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٢)، ورجح الطبري وأبو حيان أن يكون الخطاب للأزواج.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم=

ابن عباس: هي نشوزها[1]، وقد تقدَّم الكلام في الخُلع وجواز أخذ الفدية عن البضع[2]، وقال الزبيري[3]: الاستمناء من العضل، وكان للزوج منعها على ما أمر به تعالى في قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ﴾[4]، وذلك قبل نزول الحد، وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي حسب ما يعرفه العقل

= (٣/ ٩٠٤)، وذكر ذلك عن ابن عباس قال: وروي عن ابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي وعكرمة في إحدى الروايات، والضحاك في إحدى الروايات، وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن سيرين وأبي قلابـة، وعطاء الخراساني وأبي صالح والسدي وزيد بن أسلم وسعيد بن أبي هلال نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٦٦).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١١٦، ١١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٦)، وهو مروي أيضاً عن الضحاك وعائشة وابن مسعود، وقتادة.

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق١٥٣ - مخطوط).

(٣) الزبيري: الزبير بن أحمد بن سليمان بن عاصم الزبيري أبو عبدالله فقيه شـافعي ثقة، كان إمام أهل البصرة في عصره، عالم بالحديث والتفسير، من مصنفاتـه «ناسـخ القرآن ومنسوخه» توفي سنة ٣١٧هـ. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٤٧١)، وطبقات المفسرين (١/ ١٨٢)، والأعلام (٣/ ٤٢).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥.

والشرع[١]، **وقيل**: هو النصفة والنفقة والإجمال في القول[٢].

وفي قوله: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ الآية.

أي ربّ شيء تكرهه، ويكون في ذلك خير، تنبيهًا على أمرين: **أحدهما**: أن لا يجب للإنسان أن يتّبع الهوى، بل يفعل ما يقتضيه العقل والشرع. **والثاني**: التنبيه على كراهية الطلاق المدلول عليه بقوله ﷺ: «**أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق**»[٣]، ورُوي عنه ﷺ: «**تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الله [لا][٤] يحب الذواقين والذواقات**»[٥]، وقال بعضهم: ذلك تنبيه أنه ربما كانت الكراهية

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٢١).

(٢) وهو قول الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠)، والوسيط (٢/ ٢٩).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الطلاق، باب: «في كراهية الطلاق» رقم (٢١٧٨)، ورواه ابن ماجه في كتاب الطلاق، الباب الأول، حديث رقم (٢٠١٨)، ورواه ابن عدي في الكامل (٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في العلل (٢/ ٦٣٨) وقال: هذا حديث لا يصح. وضعفه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٠٤٠).

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل وأثبتّه من مصادره.

(٥) رواه ابن أبي شيبة بنحوه (٥/ ٢٥٣)، والطبراني في الأوسط رقم (٧٨٤٨)، والجصاص في أحكام القرآن (٢/ ١١٠)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٣٥) إلى البزار والطبراني في الكبير والأوسط، وقال: أحد أسانيد البزار فيه عمران القطّان، وثقه أحمد وابن حبان وضعفه يحيى بن سعيد وغيره.

تعرُض لمصلحة، قال: وذلك حثٌّ على مفارقتها حيث عدم موافقتها، وإن كانت النفس تكره ذلك[1]، وعلى هذا نبّه بقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ ﴾[3] الآية. **البهتان**: الكذب الذي يبهت سامعه لفظاعته، ويُستعمل في الفعل استعمال الصدق والكذب[4]، ولذلك قال ابن عباس: بهتانا: ظلما كبيرًا، ﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾: ذنْباً ظاهرًا[5]، بيّن أنه لا يجوز لكم

(١) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢١٤) ونسبه للأصم. ثم قال: وهذا القول بعيد من سياق الآية.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٠ ونصُّها: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

(٤) قال أبو عبيدة: «بهتاناً: ظلماً» مجاز القرآن (١/ ١٢٠)، وانظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٢)، وقال الزجاج: «البهتان: الباطل الذي يتحير من بطلانه» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٢٤١)، ومجمل اللغة ص (٨٦)، والمفردات ص (١٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٥).

(٥) الوارد عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: ﴿بهتاناً﴾ أي حراماً. ﴿وإثماً مبيناً﴾ أي ظلماً بيناً. وزد هذا في التفسير المنسوب لابن عباس المسمى: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» ص (٨٨) وهذا التفسير لا يجوز الاحتجاج به لأنه مروي من طريق الكلبي عن أبي=

الرجوع فيما أعطيتموهن طلقتموهن أو أمسكتموهن، وخصَّ حال الاستبدال ليدخل فيه الحالة الأخرى، وذلك توكيد لقوله: ﴿ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾[1] وقد استثنى من ذلك المطلقات قبل الدخول بهن[2]، لقوله: ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ ﴾[3] واستثنى منه أيضًا حال الافتداء المذكور في قوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾[4] الآية منسوخة بقوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾[5]، والصحيح أنها ليست منسوخة[6]، وقد تقدم ذلك في سورة البقرة[7]، وروي

= صالح عن ابن عباس. والكلبي ذكره الذهبي في الميزان (٣/ ٥٥٩) وقال: «يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف».

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ٣٠٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٢٤١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢١٨).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٩٤، ١٩٥).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٦) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠١، ١٠٢).

(٧) انظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ١٥٢).

أن رجلًا كان عليه لامرأته من صداقها ألف دينار، فوضعتها له، فطلقها وتزوج غيرها، فارتفعا إلى عبدالملك فقال: رد عليها. فقال: أليس الله يقول: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾[1]، فقال: اقرأ الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾[2] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] الآية. يقال: أفضى إلى فلان أي وصل إلى فضاء منه أي سعة غير محظورة[4]، فمن الفقهاء من جعل ذلك عبارة عن الخلوة حصل معها المسيس أو لم يحصل[5]، ومنهم من جَعَلَهُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢١. ونص الآية: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

(٤) انظر: العين (٧/ ٦٤)، حيث قال الخليل: «يُقال أفضى فلان إلى فلان إذا وصل إليه، وأصله أنه صار في فُرجَتِه وفضائه» وانظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٥٤)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٧٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والمفردات ص (٦٣٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٧).

(٥) وهذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وأبي حنيفة والكلبي والفراء. انظر: معاني القرآن (١/ ٢٥٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والنكت والعيون=

كناية عن المسيس، وإليه ذهب ابن عباس ومجاهد والسدي[1]، ونبه أن المهر بإزاء ذلك المعنى، وقد نلتموه منهن فلا حق لكم إذًا عليهن، والميثاق الغليظ: قيل[2] هو ما قاله ﷺ: «**أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»[3]، وقال مجاهد: الميثاق كلمة النكاح[4]، وقال الحسن: هو قول:/ ﴿**فَإِمْسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ** [٢٦٣/أ]

= (١/ ٤٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٧)، واختار هذا القول. والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(١) وهذا مرويّ أيضاً عن ابن مسعود وهو قول ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٥، ١٢٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٧)، وحُكي عن مالك في ذلك ثلاث روايات: إحداهن: يستقر المهر بالخلوة. الثاني: لا يستقر إلا بالوطء. والثالث: يستقر بالخلوة في بيت الإهداء. قال: والأصح استقراره بالخلوة مطلقاً، ويليه في بيت الإهداء، وأما وقوفه على الوطء فضعيف.

(٢) هذا قول الربيع ومجاهد وعكرمة. انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٩، ١٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ١١٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب: «حجة النبي ﷺ» رقم (١٢١٨). وأبو داود في كتاب المناسك، باب: صفة حجة النبي ﷺ رقم (١٩٠٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٨، ١٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي=

﴿تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[1]، وقيل: قول الذين يزفونها[2]، وكل ذلك يصح إرادته بالميثاق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[3] الآية. اختلفوا في النكاح هٰهنا، فحمله أصحاب أبي حنيفة على الجماع، وقال: هو حقيقة فيه، فَحَرَّموا كل امرأة باضعها الأب حلالاً أو حراماً على الابن[4]. وحمله الشافعي على العقد، وقال: هو حقيقة فيه، ولم يحرم من النساء على الابن إلا ما تزوج بها أبوه دون

= حاتم (٣/ ٩٠٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والنكت والعيون (١/ ٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩. وهو قول الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي. انظر: جامع البيان (٨/ ١٢٧، ١٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١١)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(٢) يزفونها: يهدونها إلى زوجها. انظر: المصباح المنير ص (٩٦).

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٢ ونصُّها: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

(٤) انظر: قول الإمام أبي حنيفة وأدلته في: التفسير الكبير (١٠/ ١٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٨، ٣٧٩)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١٢، ١١٣). وذكر الأزهري عن الليث: أنه: «لا يُعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلاّ على معنى التزويج..» انظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٠٢)، وقال الخليل: نَكَحَ يَنكِح نَكْحاً وهو التبضع (أي الوطء) ويجري نَكَحَ أيضاً مجرى التزويج» انظر: العين (٣/ ٦٣).

من زنى بها[1]، والصحيح أنه للعقد، لأن أسماء الجماع والفرج والغائط في لسانهم كنايات[2]، وذلك أنهم لما عنوا بإخفاء هذه الأشياء أخفوا أيضاً أسماءها، فعدلوا عن التصريح إلى الكنايات، حتى إنهم متى عُرف فيما بينهم كناية في شيء من ذلك عدلوا إلى كناية أخرى، ومن تتبع كلامهم عرف ما قلته، فكيف يستعيرون لفظ الجماع لما هو أحسن عندهم منه[3]، ثم لا خلاف أن العقدية مراد، ولا خلاف أيضًا أن الوطء بملك اليمين يجري مجرى العقد في العقد بها، وقوله: ﴿ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ قيل: هو في موضع المفعول، فوضع ما الذي هو للجنس موضع من الذي هو

---

(١) انظر: قول الإمام الشافعي في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٠)، والتفسير الكبير (١٠/ ١٥) وما بعدها. وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٩).

(٢) فالجماع في الأصل: الاجتماع، والفَرْجُ في الأصل: كل فُرجَةٍ بين شيئين، والغائط: المكان المنخفض. ثم كُنّيَ بها عن الوطء والعورة والعَذِرَةَ. انظر: العين (٦/ ١٠٩)، والقاموس المحيط ص (٢١٢) و (٦٤٠).

(٣) بيّن الراغب رأيه أكثر في المفردات، إذ قال: «أصل النكاح للعقد، ثم استعير للجماع، ومحالٌ أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد، لأن أسماء الجماع كلها كنايات، لاستقباحهم ذكْرَه كاستقباحهم تعاطيه، ومحالٌ أن يستعير من لا يقصدُ فحشاً اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه». المفردات ص (٨٢٣).

للنوع[1]، وقيل: معناه لا تنكحوا كنكاح آبائكم، فما في موضع المصدر[2]، وقوله: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾. قال: بعضهم: معناه بعدما قد سلف كقولك: لا تبع من متاعي إلا ما قد بعت[3]، وقول الشاعر:

هجاؤك إلا أنّ ما كان قد مضى   عليَّ كأثوابِ الحَرَامِ المُهيْمِ[4]

وقيل: هو بمعنى لكن على الاستئناف، كأنه قيل: لكن ما قد

---

(١) وهو رأي أبي عبيدة في المجاز (١/ ١٢٠)، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٨، ٣٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٦).

(٢) وهو قول الطبري والزجاج والنيسابوري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٧، ١٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٤). وقال الأخفش في تفسير هذه الآية: «ومِثل هذا في كلام العرب كثير، تقول: لا تصنع ما صنعت، ولا تأكل ما أكلت». معاني القرآن (١/ ٤٤٠)..

(٤) البيت في: المعاني الكبير (١/ ٤٨٤) و (٣/ ١١٧٧) وهو من بحر الطويل، قال ابن قتيبة: معناه: «هجاؤك عليّ حرام كحرمة الثياب على المُحرِم (الحرام) المسبِّح الذي يقرأ (المُهَيْمِ).

سلف أنه كان فاحشة ومقتًا[1]. وقال بعضهم: تقديره ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم، إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا، ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي ما قد سلف ليس بفاحشة، وهذا لا يصح من أجل اللفظ، فإن ما يتصل بما بعد (أن) لا يقدم عليه، لا تقول: عمرًا إن زيدًا يضرب، وتعنى أن زيدًا يضرب عمرًا[2]، وتحقيق هذا الاستثناء أن قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ دل على أنه محرم، وتعاطي المحرم يقتضي العقوبة، فكأنه قيل: تستحقون العقوبة بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، فإن ذلك متجافى عن عقوبته عنكم، ولا يجوز أن يكون معناه متجافى عن الإقرار عليه، فإنه مجمع أن لا يُقَارّ عليه أحد إلا حكاية عمن لا يعتد به[3].

---

(١) وهو قول المبرّد والطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٦، ١٣٧)، وقال النحّاس: «وسيبويه يجعل (إلاَّ) بمعنى: (لكن) المعنى: لكن ما قد سلف فإنه مغفور أو فدعوه» انظر: معاني القرآن (٢/ ٥٠)، وانظر: كتاب سيبويه (٢/ ٣٢٦)، وانظر: معنى الآية في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٧).

(٢) أي ما كان في حيّز (إن) لا يتقدم عليها. انظر: التفسير الكبير (١٠/ ٢٠)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٧).

(٣) قال ابن كثير: «وقد أجمع العلماء على تحريم من وطئها الأب بتزويج أو=

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾، قيل: معناه نكاحهن بعد النهي فاحشة[1]، وكان زائدة[2]، وقيل: عنى أنه كان فاحشة، من قبل[3] تنبيهًا أن ذلك لم يكن من الأشياء التي ورد بها الشرع، ثم نسخ، كذا كثير من الأحكام، بل كان ذلك من المستشنع الممقوت، ولذلك كان يسمى ولد الرجل من امرأة أبيه المقتي[4]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي إن ذلك النكاح[5]، ودل عليه بذكر الفعل،

= ملك أو شبهة، واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع، أو نظر إلى ما لا يحل له النظر إليه منها لو كانت أجنبية، فعن الإمام أحمد رحمه الله أنها تحرم أيضاً بذلك». تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٤).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٨).

(٢) وهذا قول المبرد وقد نسبه النحاس وابن عطيّة وأبو حيّان للمبرد، انظر: معاني القرآن (٢/ ٥١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٧). وقال ابن عطية: «وذلك خطأ يرد عليه وجود الخبر منصوباً». وقال أبو حيان: «وينبغي أن يتأول كلامه على أن (كان) لا يراد بها تقييد الخبر بالزمن الماضي فقط، فجعلها زائدة بهذا الاعتبار». وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٠)، والدر المصون (٣/ ٦٣٨).

(٣) في المخطوط: (وقيل) ولا يستقيم به الكلام، والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٣٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ٦٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٤، ١٠٥)، وعمدة الحفاظ (٤/ ١١٨).

(٥) قال السمين الحلبي: (إنه) عائد على النكاح المفهوم من قوله: ﴿وَلَا=

كما دل على السفه بلفظ السفيه في قول الشاعر:

إذا نهي السفيه جرى إليه[1] ....

قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ ﴾[2] الآية. قال ابن عباس: حرم الله أربع عشرة امرأة: سبعًا من جهة النسب، وسبعًا من جهة السبب[3]،

= نَنكِحُواْ ﴾، ويجوز أن يعود على الزنا إذا أريد بقوله ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الزنا. الدر المصون (٣/ ٦٣٨). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢١٧).

(١) هذا صدر بيت من بحر الوافر وتمامه:

إذا نهي السفيه جرى إليه   وخالف والسفيه إلى خلاف

وهو في معاني القرآن للفرّاء (١/ ١٠٤)، وتأويل مشكل القرآن ص (٢٢٧)، ومجالس ثعلب (١/ ٦٠)، ونقائض جرير والأخطل ص (١٥٧)، والخصائص (٣/ ٤٩)، والمحتسب (١/ ١٧٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٠٣)، وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (٣/ ٩٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣، ونصُّها: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٤١، ١٤٢)، وابن أبي حاتم=

فالمحرمات من جهة النسب: الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، ومن جهة السبب: أمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم، وربائبكم اللاتي في حجوركم، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم، وأن تجمعوا بين الأختين، / [٢٦٣/ب] وقد قال قبل: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾[(١)] فقوله: ﴿ أُمَّهَـٰتُكُمْ ﴾ تناولهن والجدات وإن علون، وكذا البنات: تناولهن وبنات الأولاد وإن سفلن، وكذلك الأخوات يتناول التي للأب والتي للأم والتي لهما، وكذلك بنات الأخ وبنات الأخت: يتناول بناتهما على ذلك الحد بناتهما وإن سفلن، وخص تحريم العمات والخالات دون أولادهن، وجاز أن تكون بنات الأخ وبنات الأخت مفردين، لأن الأخ والأخت يتناول كل واحد منهما، وكان لفظ الواحد هٰهنا أخص لإضافة الجمع إليهما[(٢)]،

= في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ولفظه عندهم: «حرم من النسب سبع، ومن الصِّهر سبع». أما قول الراغب: «سبعًا من جهة النسب، وسبعاً من جهة السبب» فهو اصطلاح الفقهاء، كما ذكر السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤١١).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٢.

(٢) انظر: تعداد المحرمات من النساء في: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١١-=

وإنما قال: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ تنبيهاً على تأكيد تحريم الرضاع أنها تجري مجرى النسب[1]، ولأن في ذكر ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ﴾ تنبيهًا أن ليس كل رضاع يحرم[2]، إشارة إلى ما روي من قوله ﷺ: **«لا تحرم الإملاجة والإملاجتان»**[3]

= ٤١٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٩-٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٥-١٠٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٥- ٣٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٨، ٢١٩)، ونظم الدرر (٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(١) قال البيضاوي: «نزَّل الله الرضعة منزلة النسب، حتى سمى المرضعة أمًّا، والمرضعة أختاً، وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درَّ عليه اللبن». أنوار التنزيل (١/ ٢٠٨)، وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٨٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٩).

(٢) انظر: أقوال العلماء حول الرضاع المحرِّم في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٤-١٢٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٣-٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٩-١١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٥).

(٣) رواه مسلم في كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، رقم (١٤٥١). والنسائي في كتاب النكاح، باب: «القدر الذي يحرم من الرضاعة» (٦/ ١٠٠). وأبو داود كتاب النكاح، باب: «هل يحرم ما دون خمس رضعات» رقم (٢٠٦٢). والترمذي وقال: حسن صحيح، في كتاب «الرضاع»، باب «لا تحرم المصة ولا المصتان» رقم (١١٥٠). وابن ماجه في الرضاع، باب «لا تحرم المصة ولا المصتان» رقم (١٩٤٢).=

وقوله: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ لا خلاف أنه صفة لربائبكم، وأنه لا يحرم التزوج بهن إلا بالدخول بأمهاتهن[1]، واختلف هل يرجع إلى قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ مع كونه شرطاً في الربائب؟[2]، فروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه يرجع إليهما، وأن من طلق امرأته قبل الدخول بها فله أن يتزوج بأمها[3]، وقال عمر وابنه وابن مسعود: ليس يرجع إلا إلى الربائب، وذكروا أن أم المرأة تحرم بنفس العقد[4]، وأكد ذلك

= وابن حبان رقم (٤٢٢٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار رقم (٤٥٥٦) والإملاجة: هي تناول الثدي بأدنى الفم. انظر: مجمل اللغة ص (٦٧٣).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧١، ٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٢).

(٢) قال ابن عطية: قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ قال جمهور أهل العلم: هي تامة العموم فيمن دخل بها أو لم يدخل، فبالعقد على الابنة حرمت الأم، وهذا مذهب جملة الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار. وانظر: جامع البيان (٨/ ١٤٣-١٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٤٤، ١٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١١)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٧، ١٢٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٢). قال الجصاص: «وأهل النقل يضعفون حديث خلاس عن علي، ويروى عن جابر بن عبدالله مثل ذلك، وهو قول مجاهد وابن الزبير وعن ابن عباس روايتان..».

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١١)، وزاد على ما ذكر=

بما روي عن عمرو بن شعيب[1] عن أبيه عن جده إلى النبي ﷺ قال: «**أيما رجل نكح امرأة فدخل بها أو لم يدخل بها فلا يحل له نكاح أمها**»[2]، وحكي عن زيد أنه فصل بين أن يطلقها قبل الدخول أو تموت عنه، ولم يحرم بالطلاق وحرم بالموت، وأجرى الموت مجرى الدخول، كما جعل الفقهاء في استقرار المهر[3]،

= الراغب من أصحاب هذا القول: عمران بن حصين ومسروق وطاوس وعكرمة، وعطاء والحسن ومكحول وابن سيرين وقتادة والزهري. وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٧).

(١) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي أبو إبراهيم، ويقال: أبو عبدالله المدني، ويقال الطائفي، سكن مكة وكان يخرج إلى الطائف، صدوق من الخامسة. قال أبو زرعة: روى عنه الثقات، وإنما أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه عن جدّه. توفي سنة ثماني عشرة ومائة. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٤٨-٥٥)، وتقريب التهذيب ص (٤٢٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/ ١٤٦) وضعفه، ورواه البيهقي في السنن (٧/ ١٦٠)، وقال: مثنى بن الصباح غير قوي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٢) وزاد نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) قال الجصاص: «ويشبه أن يكون زيد بن ثابت إنما فرق بين الموت والطلاق في التحريم، لأن الطلاق قبل الدخول لا يتعلق به شيء من أحكام الدخول، ألا ترى أنه يجب فيه نصف المهر، ولا تجب عليها العدة، وأما الموت فلما=

وذهب عامة الفقهاء إلى أن لا فرق بين تحريم ربيبتك في حجرك كانت أو لم تكن[1] إلا ما حكى إسماعيل بن إسحاق[2]: أن امرأتي توفيت فلقيت عليًا عليه السلام فقال: ألها بنت؟ فقلت: نعم، وهي بالطائف، فقال: أكانت في حجرك؟ فقلت: لا، فقال: انكحها، فقلت: فأين قوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾[3] فقال: إنما ذلك إذا كان في حجرك[4]، وما قاله

= كان في حكم الدخول في باب استحقاق كمال المهر ووجوب العدة جعله كذلك في حكم التحريم» أحكام القرآن (٢/ ١٢٧).

(١) قال القرطبي: «واتفق الفقهاء على أن الربيبة تحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم، وإن لم تكن الربيبة في حجره، وشذّ بعض المتقدمين وأهل الظاهر فقالوا: لا تحرم عليه الربيبة، إلا أن تكون في حجر المتزوج بأمها». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٢)، وقال ابن كثير: «وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور الخلف والسلف» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٦). ولمعرفة أقوال الفقهاء انظر: المقدمات لابن رشد (١/ ٤٥٧)، وعقد الجواهر الثمينة (٢/ ٣٩)، والحاوى الكبير للماوردي (٩/ ٢٠٩)، ومعونة أولي النهى (٧/ ١٢١).

(٢) هكذا في الأصل، والثابت في الرواية أنه مالك بن أوس بن الحدثان.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١٢)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٣) نسبته إلى عبدالرزاق، وقال: سنده صحيح. وقال ابن كثير بعد أن ساق إسناد ابن أبي حاتم: هذا إسناد قوي ثابت إلى=

فهو ظاهر الآية، واختلف في قوله: ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ هل يقتضي الزنا؟ فمنهم من قال: يتناوله وعليه تأول ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[1] ومن قال: لا يتناوله، وقد تقدم ذلك[2]، وقوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ إنما خص ذلك ليخرج منه المتبنى، فذلك في معنى قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾[3] الآية[4]، والحلائل هٰهنا كالأزواج[5]، ثم وفي قوله: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾[6] تنبيه أنه لا يصح العقد عليهما معًا في الإسلام، ومتى فعل فعقدهما باطل، ومتى عقد على إحداهما فعقد الثانية باطل، وعند أبي حنيفة:

= علي بن أبي طالب على شرط مسلم، وهو قول غريب جدًّا. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٦)، وضعف بعض العلماء هذا الإسناد. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٩)، وقال ابن العربي: «هذا باطل» أحكام القرآن (١/ ٣٧٨)، ونقل القرطبي عن ابن المنذر والطحاوي تضعيفه. انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٢).

(١) سورة النساء، الآية ٢٢.

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٠/ ٢٨).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٩).

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ١٤٩).

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٣.

لا يجوز التزويج بإحدى الأختين إذا كانت الأخرى منه في عدة[١]، ولا يجوز وطؤهما بملك اليمين عند عامة الفقهاء[٢]، ومتى وطئت إحداهما لا يجوز وطء الأخرى إلا بإخراج الأولى من ملكه[٣]، وقال أمير المؤمنين: أحلتهما آية وحرمتهما آية[٤]، أي عموم

---

(١) انظر: الكلام على قول أبي حنيفة في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٨٠)، وشرح فتح القدير لابن الهمام (٣/ ٢١٤)، واللباب في شرح الكتاب لعبد الغني الغنيمي (٣/ ٥)، وانظر: أحكام الجمع بين الأختين في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٠، ١٣١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٧٩، ٣٨٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٢)، والتفسير الكبير (١٠/ ٣٠-٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٦-١١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٧).

(٢) وهو قول عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والزبير وابن عمر وعمار وزيد بن ثابت. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٠)، والمقدمات لابن رشد (١/ ٤٥٨)، والحاوي الكبير للماوردي (٩/ ٢٠١)، ومعونة أولي النهى شرح المنتهى (٧/ ١٢٧).

(٣) قال ابن كثير: «وأما الجمع بين الأختين في ملك اليمين فحرام أيضاً لعموم الآية» تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٧)، وانظر ما سبق.

(٤) هذا مروي عن علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وابن عباس رضي الله عنهم. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٣، ٩١٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٨).

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1] يقتضي تحليلهما، وعموم قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريمهما، قال: وأما أنا فأحرم ذلك[2]، وروي عن ابن عباس أنه أجاز ذلك[3]، وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4] يراد به ما/ يراد بقوله ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[5]. [٢٦٤/أ]

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[6] الآية. . . . .

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) القول بالتحريم مشهور عن علي ولكن لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روي عنه أنه قال: «لا أجد أحدًا فعل ذلك إلا جعلته نكالاً» انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٠٩). وذكر ابن عطية في تفسيره (٤/ ٧٢) عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال: «فأما أنا في خاصة نفسي، فلا أرى الجمع بينهما حسناً». اهـ. ولكن المشهور عنه عدم المنع من ذلك كما في الأثر الذي أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٨).

(٣) قال الجصاص: «وروي عن عثمان وابن عباس أنهما أباحا ذلك وقالا: أحلتهما آية، وحرمتهما آية» أحكام القرآن (٢/ ١٣٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٢. وقد تقدم الكلام على ذلك.

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٤. ونصُّها: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم=

أصل الإحصان والحُصن[1] من الحِصن[2]، ومنه درع حصينه لكونه حصنًا للبدن، وكذلك فرس حصان[3]، وبهذا النظم قال الشاعر:

.... أن الحصون الخيل لا مدر القرى[4]

والحصان في الجملة المحصنة أي الممنوعة، إما بعفتها أو بزوجها أو بمانع من شرفها[5] أو حريتها، ولما كان الحِصْن في

= مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(١) يُقَال أَحْصَنَت المرأة وحَصُنت بضم الصاد وفتحها. ومصدر الأولى الإحصان ومصدر الثانية: الحُِصن بتثليث الحاء. انظر: الأفعال لابن القوطيّة ص (٤٤)، والقاموس (١٠٧٣).

(٢) قال الخليل: «الحِصنَ: كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه». انظر: العين (٣/ ١١٨).

(٣) الحَصان: الفرس الفحل. انظر: العين (٣/ ١١٨)، وانظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٠)، ومجمل اللغة ص (١٧٢)، والمفردات ص (٢٣٩، ٢٤٠).

(٤) هذا عجز بيت من الكامل وتمامه:

ولقد علمت على تجشمي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وهو للأسعر الجعفي. انظر: الأصمعيّات ص (١٤١)، الحيوان (١/ ٣٤٦)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٧٢).

(٥) في الأصل: شرعها والتصويب من المفردات ص (٢٣٩).

أكثر المواضع يصح أن يكون من جهة الإنسان نفسه، وأن يكون من جهة غيره صح أن يقال محصَن ومحصِن، وهذا الموضع لما كان المقصود به التزويج قُرئ المحصَنات لا غير[1]، إذ كان سبب إحصانها الزوج، والسفاح الزنا، وسمي بذلك لكون ذلك الماء مضيعًا، إذ وضع في غير الموضع الذي يجب أن يوضع فيه[2]، وقوله: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ منهم من أجرى على العموم، وقال: حدوث الملك في الأمة يفرِّق بين الأمة وزوجها، ورُوِي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود[3]، ورُوِي في ذلك أن

---

(١) انظر: المفردات ص (٢٣٩) حيث قال الراغب: «يُقال امرأة محصِن ومحصَن. فالمحصِن يُقال إذا تصوّر حصنها من نفسها والمحصَن يُقال إذا تصوّر حصنها من غيرها.. ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بعد قوله ﴿ حُرِّمَتْ ﴾ بالفتح لا غير، وفي سائر المواضع بالفتح والكسر لأن اللواتي حرم التزوج بهن المتزوجات دون العفيفات وفي سائر المواضع يحتمل الوجهين». وقال ابن زنجلة: «اتفق القراء على فتح الصاد في هذا الحرف». حجة القراءات ص (١٩٦).

(٢) قال ابن فارس: والسفاح: صبُّ الماء بلا عقد نكاح، فهو كالشيء يُسفح ضياعاً. مجمل اللغة ص (٣٥١)، وانظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ١٥٥-١٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٦)، ولابن العربي (١/ ٣٨٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٩، ٤٧٠)، والجامع لأحكام القرآن=

النبي ﷺ قال: «بيع الأمة طلاقها»[1]، ومنهم من خص ذلك في المشركات، وجعل قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ استثناء منها، وقال: كل امرأة سُبِيت فقد حلّت لسابيها[2]، واستدلَّ في ذلك بما روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ بعث جيشًا إلى أوطاس[3] فأصابوا سبايا لها أزواج من المشركين، فتحرّجوا من

= (٥/ ١٢٢). وانظر: كلام الطبري عن هذا القول في جامع البيان (٨/ ١٦٧).

(١) روي ذلك موقوفاً على ابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وسعيد ابن المسيب وأُبي بن كعب وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك. انظر: جامع البيان (٨/ ١٥٥، ١٥٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٦)، ولابن العربي (١/ ٣٨٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٢). ولم أجده مرفوعاً.

(٢) وهذا قول علي ورواية عن ابن عباس وعمر وعبدالرحمن بن عوف وابن عمر وأبي قلابة والزهري ومكحول وابن زيد ومحمد بن كعب القرظي. انظر: جامع البيان (٨/ ١٥١، ١٥٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٥، ١٣٦)، ولابن العربي (١/ ٣٨٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٦٩)، وقال القرطبي: «وبه قال مالك وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وهو الصحيح إن شاء الله تعالى» اهـ. الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢١).

(٣) أوطاس: وادٍ في ديار هَوَازن شمال شرقي مكة، تبعد عن مكة ١٩٠كيلًا. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص (٣٤). ومعجم ما استعجم (١/ ٢١٢).

غشيانهن، فأنزل الله ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ ﴾[1] وظاهر ذلك يقتضي أن الزوجين إذا سبيا معاً أو مفترقين أن النكاح يبطل، كما قال مالك[2]، بخلاف ما قال أبو حنيفة حيث قال: إذا سُبِيَا معًا لا يبطل النكاح[3]، وظاهر الآية يقتضي أنه يصح وَطْؤُها على كلِّ حال، وإنما علم وجوب استبرائها بالسنة، وقال طاوس[4] ....

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: «جواز وطء المسبية بعد الاستبراء» رقم (١٤٥٦)، ورواه أبو داود في كتاب النكاح، باب: «في وطء السبايا» رقم (٢١٥٥)، ورواه الترمذي في كتاب النكاح، باب: «ما جاء في الرجل يسبي الأمة ولها زوج هل يحلّ له أن يطأها» رقم (١١٣٢)، وقال: حديث حسن. ورواه النسائي في كتاب النكاح، باب: تأويل قول الله عز وجل ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٦/ ١١٠). وأحمد (٣/ ٧٢)، وأبو يعلى (١١٤٨)، والطحاوي في شرح «مشكل الآثار» رقم (٣٩٢٧، ٣٩٢٨).

(٢) حكاه الجصاص عن الشافعي كذلك. انظر: أحكام القرآن (٢/ ١٣٧).

(٣) وحكاه الجصاص كذلك عن أبي يوسف ومحمد وزفر، قال: وهو قول الثوري. انظر: أحكام القرآن (٢/ ١٣٧).

(٤) أبو عبدالرحمن طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، ويقال: اسمه ذكوان وطاوس لقب، من مشاهير التابعين في الزهد والفقه والحديث، ثقة فقيه فاضل من الثالثة، روى عن العبادلة الأربعة وأبي هريرة، وعائشة، =

وابن المسيب[1]: القصد بالآية نهي عن الزنا. والمحصنات محرّمة على كل واحد منكم إلا امرأته المعقود عليها بالنكاح أو ملك اليمين، فهذا معنى إلا ما ملكت أيمانكم[2]، ويكون هذا أمرًا إنما مدح به في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾[3]، وقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[4] قيل: هو مصدر مؤكد من غير لفظ الأول[5]، وقيل: هو إغراء وحثٌّ والعامل فيه فعل مضمر[6]، وقال الكوفيون: هو إغراء

= وُلد سنة ٣٣هـ، وتوفي سنة ١٠٦هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٨)، وتقريب التهذيب ص (٢٨١).

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، جمع الحديث والفقه والزهد والورع، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، من كبار الثانية. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ومات سنة ٩٤هـ وقيل سنة ٩١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٨٤)، والتقريب ص (٢٤١).

(٢) وهذا مرويّ عن مجاهد وابن عباس أيضاً. انظر: جامع البيان (٨/ ١٦٠، ١٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٢).

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥، ٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ١٦٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٣).

(٦) أجازه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٤٤).

والعامل فيه عليكم، كأنه قيل: عليكم كتاب الله[1]، وعلى ذلك حملوا قوله:

يا أيها الماتح[2] دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا[3]

وقوله: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ قال السدي: ما وراء المذكورات[4]، ....

---

(١) انظر: معاني القرآن للكسائي (١١٣)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٠)، وجامع البيان (٨/ ١٧٠، ١٧١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٦، ٣٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٥)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٢٩٤)، وقد ضعف الطبري والزجاج ومكي قول الكوفيين، وأجازه الفرّاء لكنه جعله مرجوحاً. وذهب أبو عبيدة في المجاز (١/ ١٢٢) إلى أنه مفعول مطلق لفعل محذوف أي (كتب الله ذلك عليكم)». وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٤).

(٢) الماتح: المستسقي. انظر لسان العرب (٢/ ٥٨٨).

(٣) هذا بيت من الرجز لشاعر جاهلي غير معروف، وقيل لجارية من الأنصار. وهو في معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٠)، وغريب الحديث لأبي عبيدة (١/ ٣٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٧٩)، وشرح المفصل لابن يعيش (١/ ١١٧)، وخزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٢٠٠)، والإنصاف ص (٢٢٨).

(٤) المروي عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾: ما دون الأربع. انظر: جامع البيان (٨/ ١٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٣٩). والمحرر الوجيز (٤/ ٧٩)، أما ما ذكره المصنف فهو معنى قول السدي، والمراد: ما وراء المذكورات في قوله تعالى: ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾. وقد =

وقال عطاء: ما وراء ذات المحارم[1]، قيل: والصحيح أن المراد ما وراء كل ما حرّم الله كتاباً وسنة[2]، واختُلف هل في قوله: ﴿ مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾ نسخ؟ فقال بعضهم: نسخ منه بعضه[3] بقوله ﷺ: «**لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا الصغرى على الكبرى، ولا الكبرى على الصغرى**»[4]، وقال بعضهم: لا نسخ

= ضعف أبو حيان هذا القول. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٢٣)، وكذلك ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٩).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٣)، وصحح ابن كثير هذا القول في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٩).

(٢) قال الجصاص: «هو عام فيما عدا المحرمات في الآية وفي سنة النبي ﷺ». أحكام القرآن (٢/ ١٣٩)، وانظر: زاد المسير (٢/ ٥١).

(٣) قال ابن الجوزي: «وذهب طائفة إلى أن التحليل المذكور في الآية منسوخ بهذا الحديث». زاد المسير (٢/ ٥٢). وقال أبو حيان: ولا يعد هذا التخصيص نسخاً للعموم، خلافاً لبعضهم، وقد خصّص بعضهم هذا العموم بالأقارب من غير ذوات المحارم» البحر المحيط (٣/ ٢٢٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب: «لا تنكح المرأة على عمتها» رقم (٥١٠٨). ورواه مسلم في كتاب النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها رقم (١٤٠٨). وأبو داود في كتاب النكاح، باب: ما يكره أن يجمع بينهن من النساء رقم (٢٠٦٥). والترمذي في كتاب النكاح، باب: «ما جاء لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها» رقم (١١٢٦)=

فيه، وإنما ذلك تخصيص للآية[1]، وقيل: ولأنه لما حرم الجمع بين الأختين للنسب الذي بينهما نبّه على تحريم ذلك، لأن إحداهما لو كانت ذكرًا لم تحل له الأخرى من قبل النسب، ولا ينتقض ذلك بأن يجمع الرجل بين المرأة وبين ابنة زوجها الأول، وإن كانت إحداهما لو كانت ذكرًا لم تحل له الأخرى، لأن ذلك التحريم ليس من جهة النسب.

وقوله: ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾[2] يقتضي أن لابد من المهر سُمِّي/ أو لم يسم في العقد[3]، واستدلّ أصحاب أبي حنيفة في أن [٢٦٤/ب] لا يصح أن يجعل مهرًا إلا ما وقع عليه اسم المال[4]، وعلى ذلك

= وقال: حسن صحيح. ورواه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها» رقم (١٦٢٩). ورواه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٤٦) والدارمي (٢١٨٤)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٢٩٤) وابن الجارود رقم (٦٨٥) وأبو يعلى رقم (٦٦٤١) وابن حبان رقم (٤١١٧) والبيهقي (٧/ ١٦٦).

(١) قال ابن الجوزي: قال شيخنا علي بن عبيدالله: وعامة العلماء ذهبوا إلى أن قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ تحليل ورد بلفظ العموم، وأنه عموم دخله التخصيص، والمخصّص له: نهي النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو على خالتها، وليس هذا على سبيل النسخ. زاد المسير (٢/ ٥٢). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٢٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٩).

(٤) نقل النيسابوري عن أبي حنيفة أنه قال: «لو تزوّج بها على تعليم سورة من=

قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1]، وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ﴾[2] كناية عن الدخول، وأصله الانتفاع به[3]، وقوله: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن[4].

ورُوي عن ابن عباس أنه حمل ذلك على متعة النساء، ورُوي عنه أنه قال: نزل (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)[5]،

= القرآن، لم يكن ذلك مهرًا، ولها مهر مثلها، لأن الابتغاء بالمال شرط، والمال اسم للأعيان لا للمنافع». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩١)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٧، ١٢٨).

(١) سورة النساء، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٣) قال الزجاج: «والمتاع في اللغة كلُّ ما انتفع به فهو متاع. معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨). وقال الجصّاص: والاستمتاع هو الانتفاع، وهو هٰهنا كناية عن الدخول..» أحكام القرآن (٢/ ١٤٦). وانظر عمدة الحفاظ (٤/ ٧٢).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٧٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٢٩).

(٥) قال ابن كثير: «وكان ابن عباس وأُبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة» وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤٩، ٤٥٠).

وقال قتادة: كذلك هو في قراءة أبيّ[1]، وحمل ذلك عامة الصحابة على النكاح[2]، وقد ورد في تحريم المتعة أخبار كثيرة، ذكرها الفقهاء في كتبهم[3]، ونبّه بقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ١٧٨). قال الطبري: وأما ما روي عن أُبي بن كعب وابن عباس من قراءتهما «فما استمتعتم به إلى أجل مسمى» فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين، وغير جائز لأحدٍ أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبر القاطع العذر عمن لا يجوز خلافه» جامع البيان (٨/ ١٧٩).

(٢) وهذا ثابت عن ابن عباس أيضاً ومجاهد والحسن وابن زيد ـ عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم، ت ١٧٠هـ، والزهري. انظر: جامع البيان (٨/ ١٧٥، ١٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩١٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٨).

(٣) ذكر البغوي وابن كثير في تفسيريهما طرفًا من هذه الأحاديث. انظر: معالم التنزيل (٢/ ١٩٣)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٤٥٠). قال الزجاج: «هذه آية غلط فيها قوم غلطًا عظيمًا جدًّا لجهلهم باللغة، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل الفقه أنها حرام»، معاني القرآن (٢/ ٣٨). وقال البغوي: «ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام» معالم التنزيل (٢/ ١٩٣). وقال أبو حيان: «واتفق على تحريمها فقهاء الأمصار» البحر المحيط (٣/ ٢٢٦). وقد ورد أن ابن عباس رضي الله عنه رجع عن القول بجواز المتعة. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٤٨)، وقال أبو حيان: والأصحّ عنه الرجوع=

بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾[1] أن لا جناح في وضعه بعد التسمية وإعطائه إياها والزيادة فيه[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾[3] الآية. **الطول**: سعة في العطية، وهو أخصُّ من النيل، فإن النيل يقال في القليل والكثير، والطَّول لا يقال إلا فيما يزيد على غيره كالطول في أنه يقال اعتبارًا بغيره[4]، وقال ابن عباس وعامة الصحابة: هو

= إلى تحريمها. البحر المحيط (٣/ ٢٢٦). وانظر: زاد المسير (٢/ ٥٣، ٥٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ١٨٠، ١٨١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٥٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٤، ١٩٥)، وزاد المسير (٢/ ٥٤، ٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٥ ونصُّها: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

(٤) انظر: معاني الطول في: مجاز القرآن (١/ ١٢٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٤)، وجامع البيان (٨/ ١٨٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٧)، والصحاح (٥/ ١٧٥٣)، والمفردات ص (٥٣٣)، وتفسير القرآن للسمعاني=

الغنى[1]، وذلك أن يجد من المال ما يجعله صداق حرة، وإليه ذهب الثوري[2]، والشافعي[3]، وقوّى ذلك بما رواه جابر عن النبي ﷺ: «**من وجد ما يتزوج به حرّة فلا ينكح أمة**»[4]، وقال أبو حنيفة: هو أن يكون تحته حرة[5]، وقال بعض الصحابة: هو أن يجد في قلبه غنى عنها بأن لا يهواها[6]، وحُكي عن مالك:

= (١/ ٤١٥).

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ١٨٢، ١٨٣)، وتفسير القران العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٠)، وأحكام القرآن للجصّاص (٢/ ١٥٧).

(٢) أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، من رؤوس الطبقة السابعة، وُلد بالكوفة سنة ٩٧هـ، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، وتهذيب التهذيب (٤/ ١١١)، والتقريب ص (٢٤٤).

(٣) انظر: قول الشافعي في: التفسير الكبير (١٠/ ٤٧)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان عن الحسن مرسلًا (١٨٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٤) وعزاه لعبدالرزاق وابن أبي شيبة والطبري عن الحسن مرفوعاً. ولم أجده عن جابر مرفوعًا.

(٥) انظر: التفسير الكبير (١٠/ ٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٦)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٥).

(٦) وهذا مروي عن ابن مسعود وجابر وعطاء والشعبي والنخعي وربيعة، وهؤلاء فسّروا (الطول) في الآية بمعنى الجَلَد والصبر لمن أحبّ أمة. انظر: =

لا بأس أن يتزوج الحُرَّةَ على الأمة، والأمة على الحُرَّةِ[1]، وأصل العنت: الشِّدَّة نحو العَنَد، لكن العِنات أبلغُ من العِنَادِ، لأنه هو المؤدي إلى الهلاك، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾[2] ومنه قيل: أَكَمَةٌ عَنُوتٌ[3]، وقد فسر بالزنا تفسير عموم بخصوص[4]

= جامع البيان (٨/ ١٨٣، ١٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٢٩).

(١) نقل ابن العربي عن مالك أنه قال: إذا خشي العنت مع حُرَّة واحتاج إلى أخرى ولم يقدر على صداقها، فإنه يجوز له أن يتزوج الأمة، وهكذا مع كل حرة وكلّ أمة حتى ينتهي إلى الأربع بظاهر القرآن. وقال مرة أخرى: إذا تزوج الأمة على الحرة ردَّ نكاحه. وصحح ابن العربي الرواية الأولى. انظر: أحكام القرآن (١/ ٣٩٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٣) انظر: معاني العنت في: مجاز القرآن (١/ ١٢٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٧)، وغريب القرآن ص (٣٣١)، وجامع البيان (٨/ ٢٠٦)، والمفردات ص (٥٨٩، ٥٩٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٤)، ومعنى [أكمة عنوت] أيٍ تَلّ شاق الصعود. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٧)، وتاج العروس (١/ ٥٦٥).

(٤) وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، والضحاك، وعطاء، وعمرو بن دينار، والحسن، والسدي، والشعبي، وقتادة، وعطية العوفي وعبدالرحمن بن زيد. انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦١)، وجامع البيان (٨/ ٢٠٤-٢٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم=

إذ هو المقصود منه، وهو المؤدي إلى هلاك الآخرة، ولما بيّن الله تعالى المحرَّمات، وأحل ما وراء ذلك بشروط ذكرها عقب ذلك بمن لا يستطيع مهر الحرائر ونفقتهن، فأباح لهم تزوُّج الأمة، إذ هي أخف مهرًا ونفقة، وشرط في جواز التزوُّج بها شرطين: عدم الطَّوْل، وخوف العنت، وفصل بين بعض هذا الحكم وبعضه بفصلين: **أحدهما**: قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، **والثاني**: حكم الأمة كيف ينبغي أن تكون صفتها حتى يجوز التزوج بها؟ ومثل هذا الاعتراض يسمى في البلاغة الالتفات[1].

وقوله: ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فمنهم من جعل الإيمان شرطًا، وقال: يجوز للرجل أن يتزوج بالأمة، وإن وجد طول الذمية الحرة[2]، وقوي بقوله: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾[3] ومنهم من قال: ذكر المؤمنات على طريق الفضل،

= (٣/ ٩٢٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٣)، وزاد المسير (٢/ ٥٩).

(١) الالتفات في البلاغة هو: العدول عن الغيبة إلى الخطاب، أو التكلم أو على العكس. انظر: التعريفات ص (٥٠).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٥٩)، ولابن العربي (١/ ٢٩٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٨).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

ولا يجوز التزوج بالأمة مع طول الذمية، قال: لأن العلة التي لأجلها منع من التزوج بالأمة تعرض الولد للاسترقاق، وذلك معدوم في الكتابيات الحرائر، فيجب أن يكون التزوج بها أولى من الأمة[1]، وقوله: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم﴾ قال الأصم: أجمعوا أنه أريد به التزوج، وشرط الإيمان في الأمة، وقال الحسن ومجاهد والثوري وأبو حنيفة: هو على الاستحباب، فأجازوا التزوج بالأمة الكتابية، وقال مالك والشافعي والأوزاعي: لا يجوز نكاح الأمة الكتابية المؤمنة، لأن ما أبيح بشرط/ [٢٦٥/أ] فلا يجوز ذلك على غير ذلك الشرط، سيما إذا كان الشرط بياناً لحكم[2]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُمْ﴾ تنبيه على أن الاعتبار بالمواصلات في الأحكام الدنيوية بظاهر الإيمان لا بحقائقه، فإن الله يتولى

---

(١) نقل الجصاص عن مالك والليث والأوزاعي والشافعي أن الرجل إذا وجد طولاً إلى الحرة فإنه لا يتزوج أمة، وإن لم يجد طولاً لا يتزوجها أيضاً حتى يخشى العنت على نفسه. أحكام القرآن (٢/ ١٥٨). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٨٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٣٨).

(٢) انظر قول أبي حنيفة في: شرح فتح القدير (٣/ ٢٣٠)، وشرح العناية على الهداية (٣/ ٢٣٠) مطبوع مع شرح فتح القدير. وانظر: مذهب أحمد وقول الحسن والثوري والأوزاعي في المغني (٩/ ٥٥٤). وانظر: قول الشافعي في الحاوي الكبير (٩/ ٢٤٤). وانظر: مذهب المالكية في عقد الجواهر الثمينة (٢/ ٥١).

السرائر[1]، وقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ تنبيه على أمور منها: معنى ما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[2] ومنها ما دلَّ عليه النبي ﷺ بقوله: «مولى القوم»[3]، ومنها أنهم كانوا يعيّرون بالهجنة[4]، فأراد أن يزيل هذا الاعتقاد عنهم[5]،

---

(١) قال الزجاج في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْۚ﴾ «أي اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبّدون بما ظهر من بعضكم لبعض». معاني القرآن (٢/ ٤٠)، وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٨٤).

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) هكذا في المخطوط وتمام الحديث: «مولى القوم من أنفسهم» رواه البخاري في كتاب الفرائض، باب: «مولى القوم من أنفسهم» رقم (٦٧٦١). وأبو داود في كتاب الزكاة، باب: «الصدقة على بني هاشم» رقم (١٦٥٠)، والترمذي وقال: حسن صحيح في كتاب الزكاة، باب: «ما جاء في كراهية الصدقة للنبي ﷺ وأهل بيته ومواليه» رقم (٦٥٧). والنسائي في كتاب الزكاة، باب: مولى القوم منهم (٥/ ١٠٧). ورواه الطيالسي (٩٧٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢١٤)، وابن خزيمة (٢٣٤٤)، وابن حبان (٣٢٩٣)، والحاكم (١/ ٤٠٤)، والبغوي (١٦٠٧)، والبيهقي (٧/ ٣٢).

(٤) الهجنة: أن يكون الأب عتيقاً، أي كريماً، والأم ليست كذلك، فيصير الولد هجيناً. انظر مختار الصحاح ص (٦٩١).

(٥) قال الزجاج: «كانوا يسمون ابن الأمة: الهجين، فأعلم الله عز وجل أن أمر العبيد وغيرهم مستوفى الإيمان..» معاني القرآن (٢/ ٤١). وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٩٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٤، ٨٥). ونقل النيسابوري اتفاق العلماء على بطلان نكاح الأمة بغير إذن سيدها. انظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٥).

وقوله: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾، أي أربابهن، وذلك يقتضي أن لا يصح تزوج الأمة إلا بإذن أهلها[1]، ويقوي ذلك قوله ﷺ: «إذا تزوج العبد بغير إذن سيده فهو عاهر»[2]، [3] وقال عطاء: إذنه على الاستحباب لا على الوجوب[4]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ قيل: تقديره بإذن أهلهن، لكن حذف[5]، كقوله ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾[6]

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٥).

(٢) في الأصل: عاصي. والتصويب من كتب السنة.

(٣) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب: نكاح العبد بغير إذن سيده، رقم (٢٠٧٨). والترمذي في كتاب النكاح، باب: «ما جاء في نكاح العبد بغير إذن سيده» رقم (١١١١، ١١١٢) وقال عقب الحديث الأول: حسن. وعقب الثاني: حسن صحيح. ورواه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب «تزوج العبد بغير إذن سيده» رقم (١٩٥٩، ١٩٦٠). ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٤)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. ورواه الطيالسي (١٦٧٥)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٦١)، والدارمي (٢٢٣٩)، وأبو يعلى (٢٠٠٠)، والبيهقي (٧/ ١٢٧).

(٤) نقل الجصاص عن عطاء قال: نكاح العبد بغير إذن سيده ليس بزنا، ولكنه أخطأ السنة. أحكام القرآن (٢/ ١٦٦).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٢).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

وقال بعضهم: أجورهن: نفقاتهن[1] والأول هو الوجه، لأن النفقة تتعلّق بالتمكين لا بالعقد[2]، وقال مالك: تستحق الأمة المهر، واستدل بهذه الآية على أن الرقيق يملك[3]، وقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي على ما عرف من حكم الشرع[4]، وقيل: على سبيل الهبة، فإن المعروف يعبَّر به عن العطية، وذلك كقوله: ﴿نِحْلَةً﴾، وقوله: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أمر بأن يكون وطؤها لازمًا، ولا على سبيل المخادنة[5]، واشتراط الأمرين أن قومًا كانوا يبيحون اتخاذ الجارية خدنًا[6]، وقرأ الحسن:

---

(١) قال النيسابوري: «وقيل: الأجور: النفقة عليهن، لأن المهر مقدَّر، فلا معنى لاشتراط المعروف فيه، فكأنه تعالى بين أن كونها أمة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حقّ الحرة...» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٦).

(٢) ولذلك قال النسفي: «وهو حجة لنا في أن لهنَّ أن يباشرن العقد بأنفسهن، لأنه اعتبر إذن الموالي لاعقدهم» مدارك التنزيل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (١/ ٣٤٩).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٢)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٢).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ١٩٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٦).

(٥) المخادنة: المصادقة. انظر المصباح المنير ص (٦٣).

(٦) انظر: الروايات في ذلك في: جامع البيان (٨/ ١٩٣، ١٩٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

محصِناتٍ[١]، وقال: معناها عفائف[٢]، ولم يُجوِّز نكاح الأمة الزانية التي أُقيم عليها الحد.

وقوله: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ أي زوّجن، وقُرئ: أَحصَنّ[٣]، أي تزوَّجن، وقيل: أسلمن[٤]، والأول أصح[٥]، وعلى التفسير

---

(١) هذه قراءة الكسائي قال السمين الحلبي: «قرأ الجمهور هذه اللفظة سواء كانت معرفة بـ «أل» أم نكرة بفتح الصاد. والكسائي بكسرها في الجميع إلا قوله: ﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في رأس الجزء فإنه وافق الجمهور». الدر المصون (٣/ ٦٤٥). وانظر: حجة القراءات ص (١٩٦)، والمبسوط ص (١٥٥)، والتلخيص ص (٢٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٢).

(٢) وهذا قول الكسائي كما ذكر ابن زنجلة في حجة القراءات ص (١٩٦). وهو قول عمر بن الخطاب وأبي العالية وعطاء وعبيدة والسدي. أما الحسن فقد قال: المحصنات هن ذوات الأزواج. انظر: زاد المسير (٢/ ٥٠).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم برواية أبي بكر: (فإذا أَحصَنَّ) بفتح الألف والصاد. وقرأ الباقون (أُحْصِنَّ) بضم الألف. انظر: حجة القراءات ص (١٩٨)، والمبسوط ص (١٥٦)، والتلخيص ص (٢٤٤)، والغاية ص (٢٢٥)، وانظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٤).

(٤) انظر: معاني (أحصن) في: جامع البيان (٨/ ١٩٥)، وحجة القراءات ص (١٩٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

(٥) وهو قول سعيد بن جبير والحسن وقتادة، وروي عن ابن عباس وأبي الدرداء وبه قال أبو عبيد. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٨)، =

الثاني[1] يقتضي أن الأمة إذا زنت ـ وإن لم تكن مزوّجة ـ تحدُّ بحكم الآية، وأن الكتابية لا تحد وإن كانت مزوّجة[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ قد تقدّم أنه يتعلق بما قبله[3]، وقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إبانة أن الاختيار ترك نكاح الأمة رأسًا، لئلا يكون ولده رقيقاً لغيره[4]، وبين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ

= وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

(١) أي أسلمن وهو قول ابن مسعود والشعبي والزهري والسدي والجمهور كما ذكر ابن عطية. انظر: جامع البيان (٨/ ١٩٩-٢٠١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٦٨، ١٦٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٥، ٥٠٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٣، ١٤٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٧).

(٣) انظر: أقوال العلماء في تفسير العنت في: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٧).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٠٧، ٢٠٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٧).

﴿رَّحِيمٌ﴾ أن هذا وإن كان مكروهًا فقد غفر لكم، ورحمكم في إباحته، فالأول هو تبين العادة، والثاني وهو قوله: ﴿تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ حث على مكرمة، كقوله ﷺ: «**إياكم وخضراء الدمن**»[1]، وكثيرًا ما يجمع تعالى بين الحكم المراد[2] وبين الفضل ليكون قد أدّب عباده بالأمر.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[3] الآية. **السنن**: جمع السنة أي الطريقة المستقيمة، وأصلها من سن الماء، وعنه استُعير من سن السيف لما كان يشبه عند صقله بالماء، واستُعير منه سن الفرس، كما يقال: صقل الفرس[4]. واللام في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾

---

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٣٤٨) رقم (٩٥٧)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» ص (١٢٠، ١٢١) رقم (٨٤)، وعزاه الحافظ في تلخيص الحبير (٣/ ١٤٥)، إلى الخطيب في «إيضاح الملتبس» ونقل عن ابن عدي والدارقطني تضعيف الحديث.

(٢) سقط الألف والدال من الأصل والصواب إثباتهما.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٦ ونصُّها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(٤) قال الراغب: سننتُ البعير: «صقلته.. وسنةُ الوجه: طريقته، وسنة النبي ﷺ: طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته...» المفردات ص (٤٢٩)، وفي تهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٠): «سنّ الإبل يسنّها سنّاً إذا أحسن رعيتها حتى كأنه صقلها». وانظر: الزاهر =

فيه قولان؛ قال الفرّاء: أردت أن يكون كذا وأردت ليكون، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وأمرت أن أعدل. قال: ويُعَدَّى هذان الفعلان باللام تارة، لكونهما طالبين للفعل المستقبل[2]، وقال بعضهم: بل الفعل محذوف واللام للعلة على تقدير: يريد الله ما يريد لأن يبين[3]، وقوله: ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ منهم من خصَّ وقال: أراد أن يحرم علينا ما حرم عليهن بالنسب والرضاع والمصاهرة[4]،/ وقيل: [٢٦٥/ب] عنى به ما ذكره في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[5]

= (٢/ ٣٣٩)، والقاموس والمحيط ص (١٥٥٨)، ولسان العرب (١٣/ ٢٢٤).

(١) سورة الزمر، الآية: ١٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦١)، والراغب ينقل عن الفرّاء بالمعنى والاختصار. واختار الطبري هذا القول في جامع البيان (٨/ ٢١٠)، ورده الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٢)، وضعفه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٨٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤٧)، والتبيان (١/ ٣٥٠)، والدر المصون (٣/ ٦٥٩)، وهو رأي الأخفش. انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤١) وذكر أنه قول البصريين.

(٤) اقتصر على هذا الوجه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٠٩). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ١٩٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٨).

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٣. قال البغوي: «وقيل: ويهديكم الملة الحنيفية=

ومنهم من أخذه أعم من ذلك، فقال: إن الله تعالى شرع لكل أمة عبادة ومكارم، ولم يختلف حكم أصولها، وإن اختلفت فروعها، وعلى ذلك قال: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[1] فبين أنه يريد أن تكون هذه الأمة جارية مجرى هؤلاء في ذلك[2]، وقيل: عنى أنه يبين لكم طريق من قبلكم إلى الجنة، وهو المسئول في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3]، وبين أنه أراد به ذلك لعلمه وحكمته.

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[4] الآية. الميل وإن كان عامًا في الميل إلى الخير والشر، فالمقصود به هٰهنا الجور عن قصد السبيل[5]، ولما كان جميع عبادة الله بالقول المجمل ضربين؛

= وهي ملة إبراهيم عليه السلام». معالم التنزيل (٢/ ١٩٩).

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٣٩٨).

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠١. قال الزجاج: «أي يدلكم على طاعته كما دلَّ الأنبياء والذين اتبعوهم من قبلكم» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٧، ونصُّها: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾.

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٤)، =

صقل العقل، وقمع الشهوة، وكلُّ أمر ونهي فذريعة إليهما، صار اتباع الشهوة سبب كل مذمة، فلذلك عبر بمتبع الشهوات عن الفاسق والكافر، وعلى هذا قوله: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[1]، فإن قيل: فليس اتباع الشهوات مذمومًا في كل حال، بل منها ما هو محمود، قيل: قد قال بعض المتكلمين[2] وبعض المفسرين: عنى بذلك بعض الشهوات[3]، وقال بعضهم: عنى من يتبع الشهوات كلها[4]، والصحيح أن اتباع الشهوة في

= ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٦٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٥١).

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩.

(٢) المتكلمون: هم كلّ من انتسب إلى الكلام المذموم باعتقاده والمجادلة عنه، وتكلم في الله وصفاته وأسمائه بما يخالف الكتاب والسنة. انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ١٧٨).

(٣) كالزنا على تفسير مجاهد والضحاك رحمهما الله. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٩٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٩)، وزاد المسير (٢/ ٦٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٩).

(٤) وهو قول ابن زيد واختاره ابن جرير الطبري والقرطبي. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٩، ٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٦).

كل حال مذموم، لأن ذلك هو الائتمار لها من حيث ما دعت، وما سوّغ من تعاطي ذلك، فليس جواز تعاطيه من حيث دعت الشهوة إليه، بل من حيث سوغ العقل أو الشرع، فذلك هو اتباع لهما، ويؤكد ذلك قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[2] وقيل: عبد الشهوة أذل من عبد الرق.

إن قيل: كيف أدخل اللام في قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[3] ولم يدخله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[4]؟ وكيف أعاد ذكر إرادته التوبة؟ ولِمَ قال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ فقدم ذكر المخبر عنه، ثم قال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ فأخر المخبر عنه؟ قيل: أما إدخال اللام في الأول فلأنه عنى أنه يريد ما يريد لأجل التوبة عليهم[5]، وأراد بقوله أن يتوب أنه كما أراد ما هو سبب التوبة عليهم، فقد أراد التوبة عليهم، إذ قد يصح إرادة سبب الفعل دون الفعل نفسه، ففي هذا ظهور فائدة اللام وحسن

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٥) وهذا على قول البصريين كما سبق.

إعادته، واقتضى إعادته أيضاً ذكر قوله: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ليبين أن إرادة الله لكم مضادة لما يريدونه، وأما تأخير المخبر عنه في قوله: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ﴾ فيجوز أنه جعل الواو للحال لا العطف، تنبيهاً أنه يريد التوبة عليكم في حال ما يريدون أن تميلوا، فخالف بين الإخبارين ليبين أن الثاني ليس على العطف[1]، وتخصيص الميل العظيم هو أن الإنسان قد يترك تحري الخيرات من الإيمان والأعمال الصالحة، إما لعارض شغل وإما لكسل، وإما لضلالة، وهو أن يسبق إلى اعتقاد باطل فينشأ عليه، وإما لفسق وهو/ أن يكون مع الاعتقاد يستلذ تعاطي الشر، ومن تركه [٢٦٦/أ] للشغل فهو أسهل معالجة ممن يتركه لكسل، ومن تركه للكسل

---

(١) نقل أبو حيّان عن الراغب هذا الوجه وجعله مرجوحاً فقال: «وأجاز الراغب أن تكون الواو للحال لا للعطف، قال: تنبيهًا على أنه يريد التوبة عليكم في حال أن تميلوا، فخالف بين الإخبارين في تقديم المخبر عنه في الجملة الأولى، وتأخيره في الجملة الثانية، ليبين أن الثاني ليس على العطف. انتهى. وهذا ليس بجيد، لأن إرادته تعالى التوبة علينا ليست مقيدة بإرادة غيره الميل، ولأن المضارع باشرته الواو وذلك لا يجوز، وقد جاء منه شيء نادر، يؤوّل على إضمار مبتدأ قبله، لا ينبغي أن يحمل القرآن عليه، لاسيما إذا كان للكلام محمل صحيح فصيح، فحمله على النادر تعسّف لا يجوز».
البحر المحيط (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧)، وانظر: الدر المصون (٣/ ٦٦١، ٦٦٢) حيث نقل السمين الحلبي اختيار الراغب والردّ عليه بشيءٍ من التفصيل.

فهو أسهل ممن تركه للضلال، وكذا ما بعده[1]، وكأنه قال: إنهم أرادوا أن يجوروا جورًا عظيمًا، ليكونوا أبعد من الرشاد، والإشارة بالمعنى إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[2]، وعلى ذلك قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[3] فإن قيل: فهلا خصَّ الميل ليزيل الإشكال، إذ الميل تارة إلى الحق وتارة إلى الباطل؟ قيل: لما كانت العدالة وسطًا وكان أطرافها كلها جورًا، ولذلك سميت وسطًا، وسواء، وعدلاً، وصراطًا مستقيمًا، نبّه بإطلاق لفظ الميل: أن الكفار يريدون منكم الميل عن العدالة على أي وجه كان، إفراطًا كان أو تفريطًا، وكل ذلك ضلال، ولهذا وصَّى الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[5] الآية. قوله: ﴿يُرِيدُ

---

(١) ذكر أبو حيان نحوًا من هذا الكلام في البحر المحيط (٣/ ٢٣٦)، ولم ينسبه للراغب.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٨، ونصُّها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾ في موضع الحال[1]، كأنه قال: والله يريد أن يتوب عليكم، مريدًا أن يخفف عنكم، وفي الآية أقوال: **الأول**: قول من خصَّصها وحملها على ما تقدّم، وقال: عنى أنه أباح نكاح الأمة تخفيفًا عنكم، فالإنسان ضعيف في تَحَيُّرِهِ عن إمساك نفسه عن مشتهاه[2]، **الثاني**: أنه خفف عنكم تكلّف النظر، وأزال الحيرة فيما بين لكم مما يجوز من النكاح[3]، **الثالث**: أنه قصد به ما قال ﷺ: «**جئتكم بالحنيفية السمحة**»[4]، وما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾[5]، **والرابع**: أنه تبين لكم مقصودكم وما دعيتم

---

(١) وهناك احتمال آخر، وهو أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب، قال السمين الحلبي: وهو الأصح. انظر: الدر المصون (٣/ ٦٦٢). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٢) وهو قول مجاهد وطاوس وابن زيد. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٥، ٢١٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧) ولم ينسبه.

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٦) وضعف العراقي إسناده كما في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٨٤).. ورواه الطبراني في الكبير (٥/ ٢٥٧)، والخطيب البغدادي في التاريخ (٧/ ٢٠٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٧٩)، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. ورواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥١).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧. وهذا القول ذكره السمعاني في تفسير=

إليه من الثواب العظيم لتعرفوه، فيخف عليكم الصبر في تحريه، فالإنسان لا يمكنه الصبر فيما لا يعرف ثمرة الصبر فيه، ولهذا قال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[1]، **الخامس**: يريد الله أن يخفف عنكم بما يُحمّلكم من التعب، فإن كل تعب يفضي إلى راحة عظيمة، فذلك في الحقيقة راحة، ولهذا قيل للرجل يتحمل تعبًا عظيمًا في عبادة: ألا تريح نفسك؟ فقال: راحتها أريد. **السادس**: إنه لم يعن بالتخفيف ما يستخفه الطبع وتميل إليه النفس، وإنما عنى ما يخف به تحمل ما يبلغنا إلى ثوابه[2]، وعلى نحو هذه الآية قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4]، ووصف الإنسان بأنه خلق[5] ضعيفًا إنما[6] هو باعتباره بالملأ الأعلى نحو:

= القرآن (١/ ٤١٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧)، ولم ينسباه.

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٨.

(٢) هذه الأقوال الثلاثة السابقة تتقارب وقد ذكر أبو حيان نحوًا منها في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ٦٨.

(٥) في الأصل (مخلوق) والصواب ما أثبته، وهكذا نقله أبو حيان عن الراغب في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(٦) في الأصل (أنه) والصواب ما أثبته، وهكذا نقله أبو حيان عن الراغب=

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾[1] أو باعتباره بنفسه دون ما يقويه من فيض الله ومعونته، أو اعتبارًا بكثرة حاجاته، وافتقار بعضهم إلى بعض، أو اعتبارًا بمبدئه ومنتهاه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[2] فأما إذا اعتُبر بعقله، وما أعطاه الله من القوة التي يتمكّن بها من خلافة الله في أرضه، ويتبلّغ بها في الآخرة إلى جواره تعالى ـ فهو أقوى ما في هذا العالم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[4] الآية. روي أنه لما نزلت هذه الآية امتنع بعضهم من أن يأكل عند غيره، حتى نزل قوله: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ

= في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧).

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠. وقد نقل أبو حيان كلام الراغب هذا كاملًا في البحر المحيط (٣/ ٢٣٧) ونسبه إليه. وعبارة (خلافة الله في الأرض) التي أطلقها الراغب فيها نظر والأسلم اجتنابها.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩، ونصُّها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾.

[٢٦٦/ب] ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾[١] إلى آخر الآية[٢]، ولم يكن نسخًا/ لكن تبيينًا[٣]، وقوله: ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إشارة إلى الوجوه التي حظر تناول المال منها ووضعه فيها، واستثنى التجارة تنبيهًا على إباحة الكسب إذا كان من وجهه، فمن نظر نظرًا فقهيًّا قال: ظاهرها يقتضي أن لا يجوز تناول الغير منها، كالصَّلاة والزكاة والميراث وغير ذلك، وقال بعضهم: لم يعن بالتجارة المبايعة فقط[٤]، بل عنى كل معاملة مباحة من قرض وفرض[٥]، كما قال ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**»[٦]، ومنهم من

---

(١) سورة النور، الآية: ٦١.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤).

(٣) قال أبو حيان: «وهو قول ابن مسعود والجمهور». البحر المحيط (٣/ ٢٤٠، ٢٤١)، وانظر: الرواية عن ابن مسعود في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٢٦). وروي عن ابن عباس والحسن القول بالنسخ. انظر: جامع البيان (٨/ ٢١٨)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٠).

(٤) قال القرطبي: «والتجارة هي البيع والشراء». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥١).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧٢، ١٧٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤١).

(٦) رواه أحمد في المسند (٥/ ٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٠٠)، =

عنى بذلك المنع من وضع المال وإنفاقه في غير الوجه المباح، وقال: عنى بالتجارة الوجهة المباحة التي يحلُّ صرف المال إليها[1]، وأما من نظر نظرًا أدق من ذلك، فإنه جعل أكل المال بالباطل تناوله من حيث لا يسوّغه العقل، ولا يجوّزه الشرع، من استنزال الناس عما في أيديهم بالخدع، ومساعدتهم على الباطل طمعًا في نفع، وجعل من ذلك أيضاً وضعه حيث لا يجوز، وإنفاقه رياء كما قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[2]، وجعل هذه التجارة هي التجارة المذكورة بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] الآية، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[4]

= (٨/ ١٨٢)، والدارقطني في سننه (٣/ ٢٥)، وابن عبدالبر في التمهيد (١/ ٢٠٢). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧٥) من طريق أبي حرّة الرقاشي عن عمه يرفعه. وقال: رواه أبو يعلى وفيه أبو حرّة وثقه أبو داود وضعفه ابن معين. وانظر: مسند أبي يعلى (٣/ ١٤٠) رقم (١٥٧٠). وهذا الطريق ضعيف ولكن الحديث صحيح لوروده من طرق أخرى عن جماعة من الصحابة. انظر: إرواء الغليل (٥/ ٢٧٩).

(١) ذكر هذا الوجه البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢١١) ولم يذكر قائله.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٣) سورة الصف، الآية: ١٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.

الآية. وشرط فيها التراضي، تنبيهًا أنه يحمد ذلك متى أنفق الإنسان في سبيل الله عن طيب نفس على الوجه الذي ينبغي وبمقدار ما ينبغي، حسب ما بيّنه الله تعالى، ودل على رضاه في صرفه إليه[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ نظر إليه نظرات مختلفة، ففسر بحسبها، **الأول**: لا يقتل بعضكم بعضًا[2]، قال: والنهي لا يصحّ إلا على هذا، فإن الإنسان مضطر إلى أن لا يقتل نفسه ما لم تعرض له شبهة كشبهة أهل الهند[3] في قتلهم أنفسهم، قال: واستعار لفظ الخطاب في قوله ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ تنبيهًا أنه يجب أن تكون نفس كل واحد منكم عند صاحبه كنفسه[4]، قال: وعلى

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٧٣) فقد ذكر نحوًا من هذا الكلام.

(٢) وهو قول السدي وعطاء بن أبي رباح. انظر: جامع البيان (٨/ ٢٢٩)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٢٨) عن أبي صالح وعكرمة. وقال: وروي عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير وعطاء وأبي سنان ومقاتل بن حيان ومطر الوراق نحو ذلك. وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٨٢)، وزاد المسير (٢/ ٦١).

(٣) أهل الهند يتوزعون على ملل شتى أشهرها: «البراهمة» وقد اشتهروا بإنكار النبوات، كما أن أهم ما يجتمع عليه أهل الهند القول بالتناسخ حتى قال البيروني: «التناسخ علم الملة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها». انظر: تحقيق ما للهند ص (٣٨).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٢٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٨٢)، =

ذلك نبّه بقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، قال: وعلى هذا قال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾[2]، **الثاني**: من حمل الخطاب على ذلك لكن خصّص، وقال: لا يأكل بعضكم مال بعض، الذي به قوامه، فيكون فيه قتله[3]، **الثالث**: لا يقتل بعضكم بعضًا فيقتص منه فيكون كمن قتل نفسه، **الرابع**: لا تقتلوا أنفسكم بضجر وغضب[4]، **الخامس**: لا تركبوا ما يؤدي بكم إلى القتل، فتكونوا قد قتلتم أنفسكم[5]، وهذا كالرابع إلا أن مأخذه أعم منه، **السادس**: قول من نظر نظرًا أشرف فقال: لا تفعلوا ما يؤدي بكم إلى هلاك الأبد، فتكونوا قد قتلتم أنفسكم، وذلك بتصريف النفس في غير ما خُلِقَتْ له، وبيَّن للناس من

= وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٢).

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٦١. ولم أهتد إلى صاحب هذا القول ويبدو أن الراغب يتعمد عدم ذكر اسمه.

(٣) قال أبو حيان: «ويحتمل أن يراد مجاز القتل أي: يأكل المال بالباطل..» البحر المحيط (٣/ ٢٤٢).

(٤) ذكره الجصاص في أحكام القرآن (٢/ ١٨٢).

(٥) ذكر الجصاص نحوًا من هذا القول فقال: «ويحتمل: ولا تقتلوا أنفسكم في طلب المال، وذلك بأن يحمل نفسه على الغرر المؤدي إلى التلف» أحكام القرآن (٢/ ١٨٢).

العلم والعمل الصالح المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ولذلك سمى من صرف نفسه في غير ذلك خاسرًا، حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[2] الآية. قال: وقتل النفس في الحقيقة ترفيهها في الدنيا، وباعتبار الدنيا والآخرة أُمِر الإِنسان تارة بقتل نفسه أي قمعها وتذليلها، ونهي تارة عن قتلها، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾[3] ويجري مجراها في احتمال/ [٢٦٧/أ] النظرين قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[5] العدوان تجاوز العدالة بإفراط[6]، وذلك أن العدل هو الوسط الذي تجاوزه الإِفراط والقصور عنه جميعًا، فمن حاد عنه قيل: جار، ومن بالغ في

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٠.

(٦) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٣١)، وغريب القرآن ص (٣٤١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩٤).

الجور قيل: طغى، ومن تخطاه بإفراط قيل: تعدّى، وقيل لجميع ذلك: الظلم، فالظلم أعم الأسماء[1]، **إن قيل**: كيف جمع بين الظلم والعدوان، وقدم العدوان مع كونه أخصَّ من الظلم، وحكم العام والخاص إذا اجتمعا أن يقدم العام على الخاص، نحو قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[2]؟

قيل: في ذلك جوابان: **الأول**: أن يكون العدوان إشارة إلى الظلم الذي يتجاوزه الإنسان إلى غيره، وعنى بالظلم ظلم النفس المعني في قوله: ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[3] وهو الإثم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[4] فبيّن أن من جمع بين الأمرين فقد ظلم نفسه، وظلم غيره، فهو مستوجب للنار، على هذا يكون المعني بالظلم غير المعني بالعدوان[5]، **الثاني**: أنه قدّم العدوان الذي هو أخصّ من الظلم تنبيهًا أن من ارتكب صغيرة ولم يقمع نفسه عنها جرّته إلى ما هو أعظم منها، فنبه أن حق

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤)، والزاهر (١/ ١١٦)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٦٧)، والمحكم (٢/ ٢٢٧)، و (٧/ ٣٧٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٥) ذكر هذا الوجه البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢١١)، وأبو السعود في «إرشاد العقل السليم» (٢/ ١٧٠).

الإنسان أن يحفظ نفسه عن الصغيرة خشية أن يقع فيما هو أعظم منها، ومعنى الآية أن من يفعل ما نُهي عنه من قتل النفس وأكل المال بالباطل وسائر ما تقدم النهي عنه فسوف يجعله صلا[1] كما قال: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[2].

ونبّه بقوله ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ أنه لا يتعذر عليه عقابهم.

قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[3] من المفسرين ـ وهو أكثرهم ـ من حمل السيئات على الصغائر، وقال: معنى الآية: إن تجتنبوا كبائر الذنوب نُكفّر عنكم صغائرها[4]، ثم اختلفوا على أي وجه اعتبار الصغيرة والكبيرة، وذاك أن الصغير والكبير من الأسماء المتضايفة التي لا يعرف أحدهما إلا باعتبار الآخر،

---

(١) الصَّلا: اسم للوقود. لسان العرب (١٤/ ٤٦٨)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٢٣٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤١٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٩٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٥٤)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٣).

وقال بعضهم: في الذنوب كبيرة لا أكبر منها كالشرك، وصغيرة لا أصغر منها كحديث النفس أو همِّه بسيئة ونحو ذلك، وبينهما وسائط كل واحد بالإضافة إلى ما فوقه صغير، وبالإضافة إلى ما دونه كبير[(١)]، وقال: ومعنى الآية أن من عنَّ له أمران فيهما مأثم، واضطر إلى ارتكاب أحدهما فارتكب أصغرهما وترك أكبرهما: كمن أكره على أن يقتل مسلمًا، أو يشرب قدح خمر فارتكب أصغرهما كُفِّر عنه ما ارتكبه، وقال بعضهم: الذنوب كلها ضربان: ضرب: كبيرة كالشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنا، وضرب: صغيرة[(٢)]، وهؤلاء اختلفوا فمنهم من قال: الصغيرة غير معلومة، . . . . [(٣)]، وهي كل ما عُلِّق به وعيد في

---

(١) قال أبو حيان: «وذهب جماعة من الأصوليين، منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو المعالي ـ عبدالملك الجويني ـ وأبو نصر عبدالرحيم القشيري إلى أن الذنوب كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال: الزنا صغيرة بالنسبة للكفر، والقبلة المحرمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا. . .» البحر المحيط (٣/ ٢٤٣). وللاستزادة في مسألة الكبيرة والصغيرة والفرق بينهما انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٢ـ٣٥٤)، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (١/ ٥ ـ ١٢). والتعريفات للجرجاني ص (١٩٧).

(٢) وهذا مذهب جمهور العلماء كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٤٣).

(٣) هنا سقط في المخطوط لأن ما بعد النقاط هو تعريف الكبيرة وليس الصغيرة.

الآخرة، أو جُعِل له عقوبة في الدنيا[1]، وبعضها غير معلوم، قالوا: والصغائر كلها يجب أن تكون غير معلومة، وإلا كان إغراءً بالمعصية، وذلك أن الله تعالى وعد أن يغفر بتجنُّب الكبائرِ الصغائرَ، فلو بُيِّنا جميعًا لكان المكلَّف لا يبالي بارتكاب الصغائر مع تجنب الكبائر، فكان يؤدي ذلك إلى مفسدة[2]، ومنهم من قال: يجب أن يكونا معلومين، وإلا لم يصح أن تكون الكبيرة معلومة من حيث ما هي كبيرة لما تقدم أن ذلك/ [٢٦٧/ب] من الأسماء المتضايفة، التي لا يُعرف أحدهما إلا بالآخر، قال: فالكبائر هي

---

(١) وهذا قول الضحاك رواه عنه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٤٧)، وذكره عن الضحاك البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٦٦)، وقال: روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. وذكره ابن القيم عن الضحاك في مدارج السالكين (١/ ٣٤٩). ورجح البيضاوي هذا القول في أنوار التنزيل (١/ ٢١٢).

(٢) قال النيسابوري: «والحق في هذه المسألة وعليه الأكثرون ـ بعدما مرَّ من إثبات قسمة الذنب إلى الكبير والصغير ـ أنه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بيّن في هذه الآية أن الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر، فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط، واجترأ على الإقدام على الصغائر، أما إذا عرف أنه لا ذنب إلا ويجوز كونه كبيراً صار هذا المعنى زاجرًا له عن الذنوب كلها.. هذا ولا مانع من أن يبين الشارع في بعض الذنوب أنه كبيرة..» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٠٤).

محارم الله التي علم كونها محجورة، والصغائر ما هو متشكك فيه المعني بقوله: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[1]، وعليها دلّ النبي ﷺ بقوله: «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك أمور مشتبهات، وسأضرب لكم مثلًا: إن الله حمى حمىً، وإن حمى الله محارمه، ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه**»[2]، فمرتكب الكبائر

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «صفة القيامة» باب: «٦٠» رقم (٢٥١٨) وقال: حديث صحيح. ورواه النسائي (٨/ ٣٢٧) والإمام أحمد في المسند (١/ ٢٠٠)، (٣/ ١١٢، ١٥٣)، والبيهقـــي في الكبرى (٥/ ٣٣٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣) (٤/ ٩٩) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن خزيمة رقم (٢٣٤٨). وابن حبان رقم (٧٢٢)، وأبو يعلى رقم (٦٧٦٢)، والبغوي في شرح السنة رقم (٢٠٣٢)، والطيالسي (١١٧٨)، وعبدالرزاق (٤٩٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٤). وأشار المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٨) (٣/ ١٨٨) إلى صحته.

(٢) رواه بنحوه: البخاري ـ كتاب البيوع، باب «الحلال بيّن والحرام بيّن» رقم (٢٠٥١)، ورواه مسلم ـ كتاب المساقاة، باب «أخذ الحلال وترك الشبهات» رقم (١٥٩٩). وأبو داود في كتاب البيوع، باب «ما جاء في اجتناب الشبهات» رقم (٣٣٢٩). والترمذي في كتاب البيوع، باب «ما جاء في ترك الشبهات» رقم (١٢٠٥)، وقال: حسن صحيح. والنسائي ـ كتاب البيوع، باب «اجتناب الشبهات في الكسب» (٧/ ٢٤١)، وابن ماجه ـ كتاب الفتن، باب «الوقوف عند الشبهات» رقم (٣٩٨٤)، ورواه الحميدي (٩١٨)، وابن حبان (٧٢١)، والطبراني في الأوسط

جار مجرىً داخل الحمى، ومرتكب الصغائر جار مجرىً حوله، والإنسان منهيٌّ عن الدنو منه، ومن لا يعرف ذلك فهو مُعَرَّض الوقوع فيه، ثم كما قد بين تعالى في كتابه أن يغتفر الصغائر بشرط اجتناب الكبائر، فقد بين ﷺ أن الصغيرة إنما تكون صغيرة ما لم يكن عليها إصرار. فقال: «لا صغيرة مع إصرار»[1]، وقال: «إن المحرمات تجتمع على الرجل فتهلكه»[2]، وإذا كانت الصغيرة منهيًّا عنها محذرًا منها فلا ضير بتعريفها، بل يجب تعريفها، فالإنسان بتجنُّب الكبيرة يصير مطيعًا غير فاسق، وبتجنُّب الصغيرة وهي المتشكك فيها يصير ورعًا، ولذلك قيل لبعض الصحابة: ما أشد الورع؟ فقال: ما أيسر الورع، إذا شككت في شيء فدعه[3]،

= والبيهقي (٥/ ٦٤)، والبغوي (٢٠٣١).

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٥/ ٢٨٧) رقم (٧٩١٤) والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٨٥٣) عن ابن عباس. وعزاه السيوطي في الجامع الصغير (٤/ ١٩٧٨) للديلمي وأشار إلى ضعفه وانظر: فيض القدير (٦/ ٤٣٦) وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٥٣٧) وقال: خبر منكر. وضعفه كذلك الألباني في ضعيف الجامع رقم (٦٣٠٨). وهذا الأثر ثبت موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٣٤).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن ورد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» أخرجه أحمد (١/ ٤٠٢)، والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين رقم (٥٠٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٢٨٥). وله شاهد صحيح من حديث سهل بن سعد. انظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٨٩).

(٣) نقل البيهقي عن حسان بن أبي سنان أنه قال: ما شيء أهون عندي من =

وقال بعض الصوفية: اعتبار الصغيرة والكبيرة بمرتكب الذنب، فقد يكون الذنب من زيد صغيرًا ومن عمرو كبيرًا، وذلك بحسب مراتبهم في المعارف والأحوال، فالأولياء[1] الذين بلغوا المنازل قد يُستعظم منهم ما لا يستعظم ممن لم يترشح لمنزلتهم، وذلك معروف في السياسة الدنيوية، قال: ولهذا عاتب الله تعالى نبيه في كثير من خطراته التي قد تجاوز بها عن غيره[2]، وقال بعض المفسرين: معنى الآية: إن تجتنبوا هذه الكبائر التي نهيتم عنها في الآيات المتقدمة كفَّرنا عنكم ما قد أسأتم فيه من

= الورع، إذا رابني شيء تركته. انظر: الزهد الكبير (٣١٥).

(١) **الأولياء**: عند الصوفية العارفون بالله وصفاته الفانون عن أحوالهم، الباقون في مشاهدة الحق، وهم عندهم لا يعصون أبدًا، ولا يخفى ما في هذا التعريف من غلو وإفراط. انظر: المعجم الصوفي د. الحفني ص (٢٦٣).

(٢) فصَّل الإمام ابن القيم رحمه الله القول في هذه المسألة فبين أن العبد «إذا كملت عليه نعمة الله، واختصه منها بما لم يختص به غيره، فحُبِيَ بالإنعام، وخُصَّ بالإكرام ومزيد التقريب، وجُعِلَ في منزلة الولي الحبيب، اقتضت حاله من حفظ مرتبة الولاية والقرب والاختصاص بأن يراعي مرتبته من أدنى مشوش وقاطع، فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره، تكون حقوق وليّه وسيده عليه أتم، ونعمه عليه أكمل، والمطلوب منه فوق المطلوب من غيره، فهو إذا غفل وأخلّ بمقتضى مرتبته نُبِّه بما لم يُنبَّه عليه البعيد البراني مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك أيضاً، فيجتمع في حقه الأمران». مدارج السالكين (١/ ٣٦٢).

قبل[1] ، والمدخل الكريم : ما وعد به من الثواب العظيم ، وأشار به إلى جميع منازله على اختلاف مراتبها ، ونبه أن كل مدخل لا يخرج عن كونه كريمًا أي مكرمًا[2] .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[3] الآية . التمني : تشهِّي الإنسان أن يُمنى له شيء ، أي يُقدر[4] ، وذلك مذموم ، فإن تمنيّه إن كان لشيء قَدَرُهُ أن لا يُبلَغ إلا بالطلب فيجب أن يطلبه لا أن يتشهّاه ، وإن كان لشيء يأتيه بغير طلب فتشهيه محال ، وإن كان الشيء لم يُقدَّر ففي تشهيه معارضة حكمة

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٥٥)، وفتح القدير (١/ ٥١٣) .

(٢) قال الطبري : «وأما المدخل الكريم فهو الطيب الحسن المكرَّم بنفي الآفات والعاهات عنه ، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دخله» جامع البيان (٨/ ٢٥٩) .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٣٢ ، ونصُّها : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ .

(٤) قال الأزهري : «المَنى بالياء : القدر ، وقد منى الله لك ما يسرّك أي : قدر الله لك ما يسرّك» وقال : «تمنيت الشيء أي : قدرته وأحببت أن يصير إليّ . من المني وهو القدر» انظر : تهذيب اللغة (١٥/ ٥٣٠ ، ٥٣٣) ، وانظر : جامع البيان (٨/ ٢٦٠) ، وغريب القرآن ص (٤٨) ، والنهاية (٤/ ٣٦٧) ، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤) .

الله فيما قدر[1]، ولذلك قيل: من تمنى فقد أساء الظن بالله، ولكون ذلك غير مغن، قال الشاعر:

.... إن لَيْتًا وإن لواً عناء[2]

وقال:

.... وما يغني عن الحدثان ليتُ[3]

وهو مع ذلك ذريعة إلى التحاسد والبخل والظلم[4]، وقد رُوِيَ في الآية أن أم سلمة قالت: ليتنا كنا رجالاً فنجاهد،

---

(١) انظر: المفردات ص (٧٨٠).

(٢) هذا عجز بيت من الخفيف لأبي زبيد الطائي، وصدره:

ليت شعري وأين مني ليتُ ....

وهو في ديوانه ص (٢٤)، وكتاب سيبويه (٣/ ٢٦١)، والمقتضب (١/ ٣٢٥)، و (٤/ ٣٢)، والجمهرة لابن دريد (١/ ١٢٢)، وخزانة الأدب (٧/ ٣١٩)، والمفردات ص (٧٥٠).

(٣) هذا عجز بيت من بحر الوافر يُنسب إلى النابغة الجعدي وابن قعاس الأسدي وصدره:

ألا يا ليتني والمرءُ ميت ....

وهو في ديوان النابغة الجعدي ص (٢١٥)، والمقتضب (٤/ ٣٣)، والجمهرة لابن دريد (٢/ ٢٨)، والمنصف (٣/ ٦٢)، وخزانة الأدب (٦/ ٥٣٠).

(٤) قال الطبري: «فنهى الله عباده عن الأماني الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله، إذ كانت الأماني تورثُ أهلها الحسد والبغي بغير الحق» جامع

فأنزل الله تعالى ذلك[1]، وقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ قيل: إنها قالت: ليتنا لم يجعل ثوابنا في الآخرة على نصف ثواب الرجل، كما جعل نصيبنا من الميراث[2]، فأنزل الله تعالى تنبيهًا على أن لا اعتبار في مجازاة الأعمال بالذكورية والأنوثية، وقيل: هو تبيين لفضل الرجال كقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، وقيل: هو تبيين أن الحسد لا يُغني، وأن الله لا يغير لحسد حاسد، وقيل: هو حث على طلب منزلة المحسود بالعمل الصالح دون الحسد والتمني، كما قال ﷺ: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي»[3] وقال محمد بن بحر: معناه ليس كل ما للميت واجبًا/ للورثة، بل له نصيب [٢٦٨/ أ] يوصي به، قال: وذلك نحو ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿كُتِبَ

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٦١-٢٦٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢١)، وأسباب النزول ص (١٥٠).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٥)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٢٢)، والترمذي في كتاب التفسير، باب «ومن سورة النساء» رقم (٣٠٢٢)، وقال الترمذي: هذا حديث مرسل. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦) وقال: هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد عن أم سلمة، ووافقه الذهبي، ورواه أبو يعلى (٦٩٥٩)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٦٠٩) وهو في صحيح الترمذي للألباني رقم (٢٤١٩).

(٣) روي هذا من كلام الحسن البصري رحمه الله، ولا يصحّ مرفوعاً أخرجه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» ص (٤٢، ٤٣) رقم (٥٦). والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٨٠) رقم (٦٦).

عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[1] ، وبين بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ أنه أعلم بما يستحق كل إنسان[2] ، كقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3] .

قوله تعالى : ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ﴾[4] الآية . المولى من الولاء ، وهو تتابع الشيء من غير حائل[5] ، وجعل المولى لمن تولى حفظ الشيء ، وتُعورف في المعتِق ، والمعتَق ، وابن العم ، والحليف ، وولي الأمر[6] ، والعصبة[7] ، قال ابن عباس :

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٠ .

(٢) انظر : جامع البيان (٨/ ٢٦٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٠٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٦) .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤ .

(٤) سورة النساء، الآية : ٣٣، ونصُّها : ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ .

(٥) قال ابن فارس : وواليت بين الشيئين ، أي : تابعت ولاءً . وافعل هذه الأشياء على الولاء أي متابعة ، وكل ذلك يرجع إلى القرب . مجمل اللغة ص (٧٦٢) .

(٦) قال السجستاني : «والمولى على ثمانية أوجه : المعتِقُ ، والمعتَقُ ، والوليُّ ، والأولى بالشيء ، وابن العم ، والصهر ، والجار ، والحليف» غريب القرآن ص (٤١١) ، وانظر : المفردات ص (٨٨٥-٨٨٧) ، ولسان العرب (١٥/ ٤٠٨) .

(٧) انظر : الأضداد للأصمعي ص (٢٤)، ولابن السكّيت ص (١٨٠)، =

هم الورثة هٰهنا[1]، وقال مجاهد وقتادة: العصبة[2] لقول النبي ﷺ: «**من مات وترك مالاً فماله للموالي العصبة، ومن ترك كلًّا فأنا وليه**»[3]، بيّن أن لكل مال تركه الوالدان والأقربون موالي يرثونه، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾[4] **قيل**: عنى به

= ولابن الأنباري ص (٤٦)، وللسجستاني ص (١٥٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٥٠).

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾، رقم (٤٥٨٠)، وابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٣٧). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٣).

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٧٠، ٢٧١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٣٧)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٧)، وذكر الماوردي وأبو حيان أن ابن عباس رضي الله عنه فسر الموالي بالعصبة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفرائض، باب «ابني عم أحدهما أخ للأم..» رقم (٦٧٤٥). ورواه مسلم في كتاب الفرائض، باب «من ترك مالاً فلورثته» رقم (١٦١٩). وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في «أرزاق الذرية» رقم (٢٩٥٤)، والنسائي (٤/ ٦٦)، والترمذي في كتاب الجنائز، باب «ما جاء في الصلاة على المديون» رقم (١٠٧٠) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الصدقات، باب «من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله» رقم (٢٤١٥)، والطيالسي في مسنده رقم (٢٣٣٨).

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (والذين=

عقد الحلف، وكانت العرب تتوارث به، ثم نُسِخَ بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[1] وذلك عن ابن عباس والحسن وسعيد وقتادة[2]، وقال أصحاب أبي حنيفة: الآية تقتضي أن المعاقدة يُستحقُّ بها الإرث، قالوا: ويقوِّي ذلك قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، فجعل ذوي الأرحام أولى من المعاقد، فدلّ ذلك أن المعاقد فيه حقًّا[3]، قالوا: وروى تميم الداري[4] أنه قال: يا رسول الله: ما السنّة في الرجل يسلم على يد مسلم؟ فقال: «**هو أولى بمحياه**

= عاقدت أيمانكم) بالألف. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ بغير ألف. انظر: حجة القراءات ص (٢٠١)، والمبسوط ص (١٥٦)، والتلخيص ص (٢٤٤).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٧٤-٢٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٧، ٩٣٨)، وصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ رقم (٤٥٨٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٧٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥، ١٦٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٧).

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٨٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٨).

(٤) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، صحابي مشهور، كان نصرانياً، ثم قدم المدينة فأسلم سنة تسع، وكان صاحب عبادة، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ومات بها سنة أربعين. انظر: الإصابة (١/ ٤٨٨)، وتقريب التهذيب ص (١٣٠).

ومماته»[1]، وقيل: عنى الذين عقدت أيمانهم في الجاهلية، فجعل تعالى لهم نصيبًا كنصيب الأخ من الأم، وسقط حكمهم بموتهم، وقيل: جعل لهم النصيب من النصرة دون الإرث، وقد روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعطاء. قالوا: وحكم الأول قديم بقوله: ﴿وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾، واستُؤنِف قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾[2] قال ابن الحسن: عنى بالذين عاقدت أيمانكم: الأزواج[3] لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ قال: وصار المذكور في هذه الآية جملة ما فصَّله في آيات المواريث، فصار هذه الآية كقوله ﷺ: «إن الله أعطى

---

(١) رواه أبو داود - كتاب الفرائض - باب في الرجل يسلم على يدي الرجل، رقم (٢٩١٨). والترمذي - كتاب الفرائض - باب ما جاء في ميراث الرجل الذي يسلم على يدي الرجل، رقم (٢١١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن وهب، ويقال: ابن موهب، عن تميم الداري... وهو عندي ليس بمتصل. وأخرجه أيضاً ابن ماجه - كتاب الفرائض - باب الرجل يسلم على يدي الرجل، رقم (٢٧٥٢). وأحمد في المسند (٤/ ١٠٢، ١٠٣)، والدارمي - كتاب الفرائض - باب في الرجل يوالي الرجل رقم (٣٠٣٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ٥٦) رقم (١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤). وهذا الحديث علّقه البخاري في صحيحه - كتاب الفرائض - باب (٢٢) إذا أسلم على يديه ووصله في التاريخ، وضعفه الشافعي والبخاري والخطابي وابن المنذر والترمذي كما ذكر الحافظ في الفتح (١٢/ ٤٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٣.

(٣) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٤٧) ولم ينسبه.

كل ذي حقٍّ حقَّه»[1]، قال: والأيمان جمع اليمين التي هي الجارحة، وسُمِّي الحلف بها اعتبارًا بالصفقة في المبالغة.

قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[2] الآية. **القنوت**: القيام على وجه الطاعة، ويُستعمل في كل واحد منهما[3]. **والنشوز**: بغض المرأة للزوج، وأصله من النشز، فكأنها هي المرتفعة بنفسها أو طرفها عن التزام ما يلزمها للزوج[4]، ولهذا النظر قال الشاعر:

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الوصايا، باب «ما جاء في الوصية للوارث» رقم (٢٨٧٠)، ورواه الترمذي في كتاب الوصايا، باب «ما جاء: لا وصية لوارث» رقم (٢١٢٠) وقال: حسن، ورواه ابن ماجه في كتاب الوصايا، باب «لا وصية لوارث» رقم (٢٧١٣)، ورواه الطيالسي في مسنده رقم (١١٢٧) وابن أبي شيبة (٤/ ٤١٥)، والبيهقي (٦/ ٢٦٤) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٠٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤، ونصُّها: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾.

(٣) قال الأزهري: «فحقيقة القنوت: العبادة والدعاء لله في حال القيام، ويجوز أن يقع في سائر الطاعة..» تهذيب اللغة (٩/ ٦٠)، وانظر: الزاهر (١/ ٦٨)، وجامع البيان (٨/ ٢٩٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧)، ومجمل اللغة ص (٥٧٩)، والمفردات ص (٦٨٤، ٦٨٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٥)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٦)، وجامع=

إذا جَلسَت عند الإمام كأنها ترى رفقةً من ساعة تستحيلها[١]

بيّن تعالى أن السياسة للرجل دون المرأة[٢]، وأن لكلٍّ واحدٍ من الرجل والمرأة فضيلتين: **إحداهما**: تسخير من الله تعالى، والأخرى من كسبه، فإحدى فضيلتي الرجل: ما خصّه به من علوه على المرأة، والثانية: بإنفاق المال، وإحدى فضيلتي المرأة: قيامها بما يلزمها من طاعة الأزواج، وحفظ غيبهم، وتحصين ما سلّموه إليهن، **والثانية**: إسبال الله ستر رحمته عليها وحفظها بوصية الزوج بها، وتسخيره للقيام بمراعاتها[٣]، وقرأ أبو جعفر المدني[٤]: بما حفظ اللهَ

= البيان (٨/ ٢٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧)، والمفردات ص (٨٠٦).

(١) البيت للفرزدق من قصيدة له يُخاطب بها زوجته. وفي رواية «ترى رفقةً من خلفها» ومعنى: تستحيلها: تتبيّن حالاتها. انظر: ديوان الفرزدق ص (٢/ ٦٠٦)، والكامل (٢/ ٩٣٩)، والمفردات ص (٨٠٦).

(٢) ذكر ابن العربي لذلك ثلاثة أسباب هي: الأول: كمال العقل والتميز. الثاني: كمال الدين والطاعة في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على العموم. الثالث: بذله لها المال من الصداق والنفقة. انظر: أحكام القرآن (١/ ٤١٦).

(٣) قال ابن العربي: «الزوجان مشتركان في الحقوق.. فعليه أن يبذل المهر والنفقة، ويحسن العشرة، ويحجبها، ويأمرها بطاعة الله، وينهى إليها شعائر الإسلام.. وعليها الحفظ لماله، والإحسان إلى أهله، والالتزام لأمره في الحجبة وغيرها إلا بإذنه، وقبول قوله في الطاعات» أحكام القرآن (١/ ٤١٦).

(٤) يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش، وعلى ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم. وروى عنه القرآن نافع ومالك، وإسماعيل=

بالنصب[1]، أي فعل ذلك بهن/ بحفظهن الله، وجعل بما بمنزلة [٢٦٨/ر] المصدر[2].

وقوله: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ﴾[3] قال بعض أهل اللغة: أي تعلمون[4]، وأنشد:

فلا تدفنني في الفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها[5]

= ابن جعفر وآخرون، انتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة، ثقة من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين وقيل سنة ثلاثين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٨٧)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٥٨)، وتقريب التهذيب ص (٦٢٩).

(١) أي بنصب لفظ الجلالة. انظر: المبسوط ص (١٥٦)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٥)، وجامع البيان (٨/ ٢٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٥٢)، والمحتسب (١/ ١٨٨)، والمبسوط ص (١٥٦)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ١٩٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٠)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٤٨).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٤) ممّن قال ذلك الفرّاء وأنشد البيت الذي ذكره المؤلف. انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ١٤٦، ٢٥٦)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٢٩٨، ٢٩٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٠).

(٥) البيت لأبي محجن الثقفي رضي الله عنه. وهو من بحر الطويل. انظر: ديوانه ص (٤٨)، ومعاني القرآن (١/ ٢٦٥)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣٨٧)، و (٣/ ١٥٨)، وخزانة الأدب (٨/ ٣٩٨)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٣٢٠).

وأرى قائل هذا تصوَّر الظَّنَّ بصورة العلم، فأطلق عليه اسمه، فأكثر الخوف مضمّن بالظن، وقوله: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ تنبيه على أنها تُوعظ أولاً، ثم تُهجر، ثم تُضرب، وهذا مقتضى حكمة السياسة[1]، وعليه بني قول الشاعر:

أناة فإن لم تغن عَقَّبَ بعدها وعيد فإن لم تغن أغنت عزائمه[2]

وقوله: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ كالتصريح في الكناية عن الجماع[3]، وقول من قال: هجر الكلام فليس بشيء[4]،

---

(١) قال النسفي: «أمر بوعظهن أولاً، ثم بِهجرانهن في المضاجع، ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهِجران» مدارك التأويل (١/ ٣٥٥).

(٢) البيت لإبراهيم الصولي وهو من بحر الطويل وقد ختم به مسألة أمره الخليفة المتوكل أن يكتبها لأهل حمص لمّا أخرجوا عاملها. انظر: الأوائل للعسكري (١/ ٣٧١)، وصبح الأعشى (٦/ ٢٩٦)، ومجمع البلاغة (١/ ١٩٢)، ومعجم الأدباء (١/ ١٨٨).

(٣) وهذا مروي عن ابن عباس، والسدي، والضحاك، وسعيد بن جبير. انظر: جامع البيان (٧/ ٣٠٢، ٣٠٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٦).

(٤) وهذا مروي أيضاً عن ابن عباس وعن عكرمة والضحاك والسدي. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٠٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم=

وقد قال ﷺ: «لا تهجروا النساء إلا في بيوتهن، ولا تهجروهن إلا في المضاجع، فإن أبين[1] فاضربوهن ضربًا غير مبرح»[2]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ تنبيه على أن الذي يلزم هو بذل الطاعة في الظاهر. فأما المحبة بالقلب فليس من فعلها فتؤخذ به[3]، ونبّه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ على أن الله تعالى مع هذه الحالة يقتصر من عباده في كثير من عبادتهم على الظاهر، وقيل:

= (٣/ ٩٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥١).

(١) تصحفت في الأصل إلى (فأبين) والصواب ما أثبته.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٣١٥) وفي سنده انقطاع بيّن وإرسال. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧٨) وعزاه لابن جرير وحده.

(٣) كما قال سفيان الثوري: «. . . فإن فعلت ذلك فلا يكلّفها أن تُحبه، فإن قلبها ليس في يديها» ذكره الطبري في جامع البيان (٨/ ٣٠٦). وقال الطبري: «فإن راجعن طاعتكم عند ذلك وفِئن إلى الواجب عليهن، فلا تطلبوا طريقاً إلى أذاهن ومكروههنّ ولا تلتمسوا سبيلًا إلى ما لا يحلّ لكم من أبدانهن وأموالهن بالعلل، وذلك أن يقول أحدكم: «إنك لست تحبيني، وأنت لي مبغضة» فيضربها على ذلك أو يؤذيها فقال تعالى للرجال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أي على بغضهن لكم فلا تجنوا عليهن، ولا تكلفوهن محبتكم فإن ذلك ليس بأيديهن». جامع البيان (٨/ ٣١٦)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٨٣).

نبه أن لا يظن أحد الزوجين إن كلفه إلا الحق، فإنه يتعالى ويكبر عن الظلم[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾[2] الآية. **الشقاق**: التعادي[3]، ومنه قيل: شقّ فلان العصى[4]، إذا تباعد في الخروج عن الطاعة، ومنه المشقة، وشقّ على فلان كذا[5]، والتوفيق كالمساواة، ومنه توفيق الله تعالى، فإنه موافقة قضائه فعل العبد فيما يقصده، ويقال الاتفاق في كل متطابقين على بعض الوجوه[6]،

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٣١٨)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٣).

(٢) سورة النساء، الآية ٣٥، ونصُّها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٦)، وجامع البيان (٨/ ٣١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٨)، وغريب القرآن ص (٢٩٢)، والصحاح (٤/ ١٥٠٣)، والمفردات ص (٤٥٩، ٤٦٠)، وزاد المسير (٢/ ٧٧)، ويدور معنى الشقاق في هذه المراجع على المخالفة والعداوة والتباعد وهي معانٍ متقاربة يستلزم بعضها بعضاً.

(٤) انظر: مجمع الأمثال للميداني (١/ ٣٦٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٢٤٥).

(٦) قال ابن فارس: «الوفْقُ من الموافقة بين الشيئين كالالتحام». مجمل=

ولما بيّن تعالى من حال نشوزها ما يمكن للزوج إصلاحه، بين هٰهنا ما يشتبه الحال فيه، واحتيج إلى ناظر فيما بينهما. وأكثر العلماء على أن المأمور ببعث الحكمين الإمام أو صاحبه، وإليه ذهب مالك، والأصم[1]، وجعلوا للحاكم الطلاق والخلع كالوكيل، وإليه ذهب ابن عباس[2]، ومن الفقهاء من لم يجوِّز لهما الخلع والطلاق[3]، فإن ظاهر الآية لم يقتضهما، ولا فرق

= اللغة ص (٧٥٧)، وانظر: العين (٥٢٥)، وتهذيب اللغة (٩/ ٣٤٢)، والمفردات ص (٨٧٧).

(١) وهو قول سعيد بن جبير والضحاك. انظر: جامع البيان (٨/ ٣١٩، ٣٢٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٢٥-٣٢٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠- ١٩٢)، ولابن العربي (١/ ٤٢٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠٩)، وزاد المسير (٢/ ٧٧، ٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٦، ١٧٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٣، ٢٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٧).

(٣) وهذا أحد قولي الشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وقول عطاء وابن زيد وقتادة والحسن وأبي ثور. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٢٢-٣٢٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٩٠-١٩٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٧٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٣)، وتفسير=

بين أن يكون الحكمان من أقاربهما، أو من قبلهما، وقال ابن عباس: إرادتهما الإصلاح أن يخلو كل واحد من الحكمين بأحد الزوجين، فيتعرَّف حاله في السِّرِّ ليبني الأمر عليه[1]، وفي الآية دلالة على أن كُلّ أمرٍ وقع فيه تنازُع يجوز فيه التحكيم، وبهذه[2] الآية استدل في أمر الحكمين، ونبّه بقوله: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾ أن من أصلح نيته في أمر يتحرّاه أصلح الله مبتغاه، كما رُوِيَ في الخبر أن «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته»[3]، وقيل: إذا فسدت النيّة وقعت البليَّة.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[4] الآية. **الجار** اعتبارًا بكونه من ناحية دارك، من قولهم: جار عن الطريق، ثم جُعِلَ أصلًا في بابه، **فقيل**: استجرت فلانًا

= القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٧).

(١) انظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٥٦)، والبحر المحيط (٢٥٤).

(٢) في الأصل: (وهذه) والصواب ما أثبتّه.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٠٥) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم أجده مرفوعاً.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦، ونصُّها: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾.

وآجرته. إذا رعيته مراعاة الجار[1]، والجنب أصله في الجارحة، ثم قيل في المكان اعتبارًا به، فقيل: جنبته إذا أخذته في ناحية الجنب، واجتنب عنه إذا تركه وتباعد عنه، والأجنبي: الغريب، والجنابة: الاعتزال والتباعُد، ومنه قيل للحالة المقتضية لترك الصلاة: جنابة[2]. / والجار ذي القربى والجار الجنب: قيل: [٢٦٩/أ] عنى به قرب الرحم وبعده[3]، وقيل: عنى به قرب المسافة

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ١٧٥)، والصحاح (٢/ ٦١٧)، والمُحكم (٧/ ٣٦٧)، والمفردات ص (٢١١)، وقال ابن منظور: وجارُك: الذي يجاورك، ونقل عن ابن الأعرابي أنه قال: «الجار: الذي يجاورك بيت بيت، والجار: النِّفِّيح وهو الغريب، والجار: الشريك في العقار، والجار: المقاسم، والجار: الحليف، والجار: الناصر، والجار: الشريك في التجارة، والجارة: امرأة الرجل...» ثم قال: وجارك: المستجير بك، لسان العرب (٤/ ١٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٧)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٤٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٥٥)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٧٣)، والصحاح (١/ ١٠١)، ومعجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨٣)، ومجمل اللغة ص (١٤٠)، والمفردات ص (٢٠٥)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٠٨).

(٣) قال أبو بكر السجستاني: «الجار ذي القربى: أي ذي القرابة. والجار الجنب: أي الغريب». غريب القرآن ص (١٧٣)، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك وقتادة. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٣٥، ٣٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٣).

وبعدها[1]، والصاحب بالجنب: قيل: جار البيت، دانيا كان نسبه أو نائياً[2] وقيل: هو الرفيق في السفر[3]، وقيل: هو المنقطع إليك رجاء خيرك[4]، وقيل: المرأة[5] ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾، قيل: وقد أمر بالإحسان إليهم، وأن لا يكلفوا ما لا

---

(١) قال النسفي: الجار ذي القربى: الذي قرب جواره. والجار الجنب: أي الذي جواره بعيد. مدارك التنزيل (١/ ٣٥٧). وهو قول ميمون بن مهران كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٥٤، ٢٥٥). وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٦).

(٢) قال الزمخشري: «هو الذي صحبك، إما رفيقًا في سفر، وإما جاراً ملاصقاً» الكشاف (١/ ٥٠٩)، وانظر: تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٢).

(٣) وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير والضحاك. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٦)، وجامع البيان (٨/ ٣٤٠-٣٤٢)، وغريب القرآن ص (١٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٥).

(٤) وهو قول ابن زيد وهو مروي عن ابن عباس كذلك. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٤٣، ٣٤٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١١)، وزاد نسبته إلى ابن جريج، وزاد المسير (٢/ ٨٠).

(٥) وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن أبي ليلى والنخعي. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٤٢، ٣٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٩).

يطيقون[1]، إن قيل: لم قدم الأمر بالإيمان على النهي عن الشرك، ومعلوم أن تجنُّب الشرك مقدَّم على حقيقة الإتيان بالإيمان، قيل: إن الشرك يقال على ضربين: أحدهما: الشرك الأكبر، وهو إثبات صانع غير الله[2]. والثاني: الرياء[3]، وإياه

---

(١) قال ابن كثير: «﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ وصية بالأرقاء، لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس..» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٦٩). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٢) قصر الشرك الأكبر على إثبات صانع غير الله قصور شديد، بل إن هذا النوع من الشرك لا يكاد يوجد إلا في بعض الطوائف اليسيرة. وهذا تعريف الأشاعرة للشرك، بناء على تعريفهم للتوحيد، إذ أن الألوهية عندهم هي القدرة على الاختراع والخلق. انظر: أصول الدين للبغدادي ص (١٢٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٠). أما التعريف الصحيح للشرك الأكبر فهو الذي ذكره ابن القيم بقوله: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كلّ شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم..» مدارج السالكين (١/ ٣٦٨) وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٩١).

(٣) قال ابن القيم: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء والتصنُّع للخلق، =

عنى النبي ﷺ فيما روى شداد بن أوس[1] أن النبي ﷺ قال: «**أمران أتخوّفهما على أمتي من بعدي: الشرك، والشهوة الخفية. ألا إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا، ولكنهم يراءون**»، فقلت: أشرك ذلك؟ قال: «**نعم**»[2]، وإياه عنى تعالى بقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية[3].

إن قيل: لِمَ ذكر هٰهنا تسعة أصناف وأمر بالتوفُّر عليهم، وذكر في سورة البقرة: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

= والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده» مدارج السالكين (١/ ٣٧٣).

(١) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري أبو يعلى ويقال: أبو عبدالرحمن المدني، صحابي، روى عن النبيّ ﷺ وعن كعب الأحبار. قال عبادة بن الصامت: شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم، توفي سنة ٥٨هـ، وقيل سنة ٦٤هـ، ببيت المقدس وله من العمر خمس وسبعون عامًا. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٠)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣١٥)، والتقريب ص (٢٦٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٤)، والطبراني في الكبير (٧/ ٣٤١) رقم (٧١٤٤). وعزاه السيوطي في الجامع الكبير (٣/ ١٣٦٦) إلى الحاكم والبيهقي.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾[1]، وقال بعده: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾[2]؟
قيل: إن المذكور أولاً في سورة البقرة ما أمر به بني إسرائيل[3]، وأما قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فهو أمر بإيتاء المال الذي يقتضيه البر، لأنه قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[4]، وهذه الآية حثٌّ على فعل الإحسان كلّه، نصرة كان أو صلة، وقيل: إن قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ عنى المال كله على سبيل التبرُّع[5]، وذلك إذا طلب الإنسان غاية البر، ولهذا قال الشعبي[6]: ما بَقَّى[7] قول الله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) انظر: تفسير الراغب لهذه الآية (ق ٧٢ - مخطوط).

(٤) انظر: تفسير الراغب لهذه الآية (ق ١١٨ - مخطوط).

(٥) في الأصل: التورع وهو تصحيف.

(٦) أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، فقيه مشهور استقضاه عمر بن عبدالعزيز، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه. ثقة فاضل من الثالثة، وُلد بالكوفة سنة ١٩هـ، ومات بعد سنة ١٠٣هـ وله نحو من ثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، وتقريب التهذيب ص (٢٨٧).

(٧) قال ابن منظور: «وبقيته بالتشديد، وأبقيتُه، وتَبَقَّيته كلّه بمعنى». لسان العرب (١٤/ ٨١).

أحد شيئاً من المال[1]، ولإرادة إخراج المال كلّه على التبرُّع خصَّ الزكاة بعده بالذكر، فقال: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، وأراد بهذه الآية ما يحصل للإنسان به تمام العبادة. وفعل الإحسان. وذلك لعبادة الله المتعرية عن الرياء، ومراعاة هؤلاء بالإحسان، **فإن قيل**: لم قدم الجار على ابن السبيل وله حق واجب في المال؟ **قيل**: ابن السبيل الذي له حقٌّ في المال هو الفقير، ولم يقصده بهذه الآية، وإنما المقصود تفقُّد المذكورين على سبيل التبرُّع، وحقُّ الجار أوكد من حقِّ الغُرباء. ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورثه**»[3]؟ **إن قيل**: كيف قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[4]؟ **قيل**: المختال

---

(١) . لم أقف على هذا القول فيما بين يدي من كتب التفسير.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب «الوصايا بالجار» رقم (٦٠١٤) (٦٠١٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب «الوصية بالجار والإحسان إليه» رقم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥). وأبو داود في كتاب الأدب، باب «في حق الجوار رقم (٥١٥١، ٥١٥٢)، والترمذي وقال: حسن صحيح، في البر والصلة، باب «ما جاء في حق الجوار» رقم (١٩٤٢، ١٩٤٣)، وابن ماجه في كتاب الأدب رقم (٣٦٧٢، ٣٦٧٣)، والطحاوي في شرح المشكل (٢٧٨٥ ـ ٢٧٩٠)، وابن حبان رقم (٥١١)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٤٥)، والبيهقي (٦/ ٢٧٥، ٧/ ٢٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.

هو الذي يظن أن له بماله كرمًا، من قولهم: خِلْتُ[1]، وكأنما إلى معناه أشار تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾[2] والفخور: من يتبجح بالقُنْيات الزائلة[3]، فبيَّن تعالى أن من أمسك ماله، وصرفه عن الوجوه المذكورة فذلك لظنه أن له بماله خيلاءً وفخرًا فيضنّ به، ويُبيِّن[4] أن هذين سبب البخل ما روي: «**أهلك الناس شيئان: حبّ الفخر، وخوف الفقر**»[5]، / ولهذا عقبه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾[6] الآية. فجعل تفسير الاحتيال والفخر البخل بالمال، والإنفاق على وجه الرياء. [٢٦٩/ب]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ﴾[7] الآية. **البخل**:

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٧)، وجامع البيان (٨/ ٣٤٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥١)، وغريب القرآن ص (٤٣٥).

(٢) سورة الهمزة، الآية: ٣.

(٣) القنيات الزائلة: المكاسب الزائلة. القاموس المحيط ص (١٧١٠)، ولسان العرب (١٥/ ٢٠١). وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٥٠)، والوسيط (٢/ ٥١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٦).

(٤) تصحفت في الأصل إلى (تبين) والسياق يقتضي ما أثبته.

(٥) لم أجده.

(٦) سورة النساء، الآية: ٣٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ٣٧، ونصُّها: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

أعظم المعايب، لقوله ﷺ: «**أي داء أدوى من البخل؟**»[1] وأعظم منه حثُّ الغير عليه[2]، وكأن الشاعر بهذه الآية ألمَّ في قوله:

وإن امرأً ضَنَّت يداه على امرئ ... بنيل يد من غيره لبخيل[3]

وقالوا: فلان يمنع دَرَّه[4] ودرَّ غيره، والحرُّ يعطي والعبد يألم قلبه[5]، ولم يرُد تعالى بالبخل البخل بالمال فقط، بل بجميع ما منه نفع الغير، من نصرة وعلم[6]، ودخل في عموم الأمر بالبخل: من ترك شكر من أحسن إليه، أو أخل بقضاء دين فيصير سببًا لمنع الإسداء إلى الغير، ولهذاقيل: لعن الله قاطعي المعروف، وقال بعضهم: معناه يبخلون ويتأمرون على الناس، ويأمرونهم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (١٩/ ٨١)، والخطيب البغدادي في التاريخ (٤/ ٢١٧)، وعبدالرزاق في المصنف رقم (٢٠٧٠٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣١٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني.

(٢) قال الراغب: «والبخل ضربان: بخل بقُنياتِ نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثر ذمًا. .» المفردات ص (١٠٩).

(٣) البيت لأبي تمّام. انظر: ديوانه (٤/ ٤٨٦).

(٤) دَرَّه: لبنه. انظر: مختار الصحاح ص (٢٠٢).

(٥) انظر: مجمع البلاغة ص (٤١٤).

(٦) ذكر أبو حيان هذه العبارة في البحر المحيط (٣/ ٢٥٦) ونسبها للراغب.

بشكرهم مع بخلهم، فيكون قوله ﴿ بِٱلْبُخْلِ ﴾ في موضع الحال[1]، وإلى هذا أشار الشاعر بقوله:

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما   تيه الملوك وأفعال المماليك[2]

وقوله: ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3]، يدخل فيه من يستحقر ما آتاه الله من نعمته مالاً كان أو عافية، ومن خُوِّل[4] علمًا ولم يفده مقتبسه منه، ومن ينسى كثير ما أنعم الله عليه ويتذكر قليل ما يناله من نائبة[5]، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[6] قيل في تفسيره: ينسى النعم ويذكر المحن[7]، ونبه بقوله: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[8] أن من

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٥٧)، والدر المصون (٣/ ٦٧٧).

(٢) البيت لعلي بن الجهم وهو من بحر البسيط. انظر: ديوانه ص (١٦١)، ومجمع البلاغة (١/ ٢٥٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٧).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٧.

(٤) خُوِّل: أي أعطي. انظر: المصباح المنير ص (٧٠).

(٥) قال ابن كثير: «فالبخيل جحود لنعمة الله، فلا تظهر عليه ولا تبين، لا في مأكله، ولا في ملبسه، ولا في إعطائه وبذله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٠).

(٦) سورة العاديات، الآية: ٦.

(٧) وهذا تفسير الحسن البصري. انظر: جامع البيان (٢٤/ ٥٦٦).

(٨) سورة النساء، الآية: ٣٧.

فعل ذلك فهو كافر للنعمة، ومن كفر نعمة الله فقد أعدَّ له عذابًا[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[2] الآية. ذم في هذه الآية السّرف[3]، كما ذمّ في الأولى البخل، فمن السرف أن يتشبَّع الإنسان بإنفاقه، فلا ينفقه على ما يجب، وكما يجب[4] فصار الإتيان كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[5] وليس يعني بقوله: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ جحود ذلك باللسان فقط، بل عنى معه ترك ما تقتضيه هذه المعرفة، تنبيهًا أن المنفق رياء لو كان له حقيقة إيمان لتذكر في تناول ما يتناوله، ولأدّاه ذلك إلى أن يتفكّر أين يضعه[6]،

---

(١) قال ابن كثير: والكفر هو الستر والتغطية، فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجحدها، فهو كافر لنعمة الله عليه. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٠). وانظر: أنوار التنزيل (١/ ٢١٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٨، ونصُّها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾.

(٣) السرف: تجاوز الحد في سائر الأفعال وغلب على الإنفاق. انظر عمدة الحفاظ (٢/ ٢٢١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٦).

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٦) انظر: أنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

فإن قيل: فأيّ تعلُّق لقوله: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾[1] قيل: هذا الكلام فيه إيجاز، كأنه قيل: الذين ينفقون أموالهم رياء الناس زين لهم الشيطان الذين هم قرناؤهم ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2]، وعلى ذلك قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3] ولم يعن بالشيطان إبليس فقط، بل عناه والهوى، وكل ما دعاه إلى باطل، وصرفه عن حقٍّ[4]، وقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾[5] في قوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ استدعاء لطيف إلى تحرّي الإيمان والإنفاق على ما يجب، لأن لفظه استخبار يستدعي جوابًا، ولا يمكن جواب المستخبر عنه المشتبه إلا بعد التفكُّر فيه، والتفكُّر فيما/ ذكره تعالى يؤدّي إلى أن ليس على [٢٧٠/أ]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦. وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

(٤) قال البيضاوي: «والمراد: إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة». أنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وقال أبو حيان: «والشيطان هنا جنس لا يراد به إبليس وحده». البحر المحيط (٣/ ٢٥٩). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٩، ونصُّها: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

متحري ذلك ضير، بل له كل خير[1].

إن قيل: لِمَ قدّم الإنفاق في الآية الأولى وأخَّره هٰهنا؟ **قيل**: لما قصد في الأولى إلى ذمهم بالإنفاق رياء لكونهم غير مؤمنين، قدّم ذكره، وجعل قوله: ﴿وَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ في موضع الحال تنبيهًا أن ذلك منهم لكونهم غير مؤمنين، ولما حثّهم في هذه الآية على ما يجب أن يتحروه ابتدأ بذكر الإيمان، تنبيهًا أن إنفاقهم غير معتد به إلا بعد الإيمان بهما[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ﴾[3] الآية. عنى بالظلم

---

(١) قال النسفي: «وأيُّ تبعة ووبالٍ عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله. والمراد: الذم والتوبيخ، وإلا فكلٌّ منفعة ومصلحة في ذلك». مدارك التنزيل (١/ ٣٥٨). وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٧).

(٢) ذكر أبو حيان نحوًا من هذا الكلام فقال: «ولما وصفهم تعالى بتلك الأوصاف المذمومة، كان فيه الترقي من وصفٍ قبيح إلى أقبح منه، فبدأ أولاً بالبخل ثم بالأمر به، ثم بكتمان فضل الله، ثم بالإنفاق رياء، ثم بالكفر بالله وباليوم الآخر. ولما وبّخهم وتلطّف في استدعائهم بدأ بالإيمان بالله واليوم الآخر، إذ بذلك تحصل السعادة الأبدية، ثم عطف عليه الإنفاق...» البحر المحيط (٣/ ٢٦٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

هٰهنا بخس الحقّ[١] ومثقال: مفعال: من الثقل[٢]، وضرب تعالى الذَّرَّ مثلًا للشيء الصغير، تقريبًا على المخاطب. واستُعمل لفظ المثقال تنبيهًا أن ذلك يعظم جزاؤه وإن صَغُر قدره[٣]، وفي قراءة ابن مسعود: مثقال نملة[٤]. وإذا قرئ حسنةً بالنصب[٥] فتقديره: إن تكن الذرة حسنة، وردّ الضمير إلى المضاف إليه دون المضاف، وإذا رفع فمعناه: إن تقع حسنة، ولا تحتاج كان هٰهنا إلى

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٠)، والزاهر (١/ ١١٨)، والوسيط (٢/ ٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١٤).

(٢) «يُقال هذا مثقال هذا أي على وزن هذا» انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٧)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢/ ٥٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦١).

(٣) قال أبو عبيدة: «مثقال ذرة أي زنة ذرة». مجاز القرآن (١/ ١٢٧)، وقال السجستاني: «مثقال ذرة: زنة نملة صغيرة» غريب القرآن ص (٤٥٥). وقال أبو حيان: «ومثقال كل شيء وزنه، ولا تظن أنه الدينار لا غير، الذرة: النملة الصغيرة..» البحر المحيط (٣/ ٢٦١).

(٤) قال أبو حيان: وقرأ ابن مسعود (مثقال نملة)، ولعلّ ذلك على سبيل الشرح للذرة. البحر المحيط (٣/ ٢٦١)، ونسب ابن عطية هذه القراءة لابن عباس في المحرر الوجيز (٤/ ١١٨).

(٥) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير (وإن تك حسنةٌ) بالرفع، وقرأ الباقون (حسنةً) بالنصب. انظر: حجة القراءات ص (٢٠٣)، والمبسوط ص (١٥٧)، والتلخيص ص (٢٤٤)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٣).

خبر[1]، ويضاعِف ويُضَعِّفُ يتقاربان[2]، وقال القتيبي[3]: يُضاعِف للمرة ويُضعِّف للتكثير[4]، وقد قال

---

(١) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٦٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١١٩)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٣٨٧)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص (٢٠٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٢)، والدر المصون (٣/ ٦٨١، ٦٨٢).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر: (يُضَعِّفُها) بالتشديد. وقرأ الباقون (يضاعفها) قال ابن زنجلة: «وهما لغتان يقال: أضعفتُ الشيء وضعّفتهُ. . .» حجة القراءات ص (٢٠٣). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٦٢)، والدر المصون (٣/ ٦٨٢).

(٣) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي الكبير صاحب الفنون، كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس ولد سنة ٢١٣هـ، من مصنفاته تفسير (غريب القرآن)، و (غريب الحديث) وغيرهما: توفي سنة٢٧٦هـ. انظر: الفهرست ص (١٢٣)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠ - ١٧١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦).

(٤) قال ابن قتيبة: «(يُضاعفها) أي يؤتي مثلها مرّات. ولو قال: (يُضعِّفها) لكان مرّة واحدة». انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٢٧). ولعل في عبارة الراغب تصحيفاً أدّى إلى قلب المعنى، فجعل يُضعّف للتكثير ويُضاعف للمرّة. وصواب العبارة: «يضعّف للمرّة ويُضاعف للتكثير، وهو الموافق لما نقله الراغب في المفردات ص (٥٠٨)». ـ والله أعلم ـ وقد اختلف اللغويون في (ضَعَّف) و (ضاعف) أبينهما فرق أم هما لغتان ومعناهما واحد. فالذي ذهب إليه أبو عبيدة في المجاز (١/ ١٢٧)، وابن قتيبة في=

تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[1]، وقال: ﴿ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[2] و ﴿ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾[3].

وفائدة قوله: ﴿ مِن لَّدُنْهُ ﴾ أن كلَّ ما أريد تعظيمه ينسب إلى الله، فيقال: ﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[4]، و ﴿ مِن لَّدُنْهُ ﴾[5]، و ﴿ لَّهُۥ ﴾[6]، و (بيت الله)[7]، و ﴿ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾[8]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[9]، ووصْفُ الأجر بالعظيم اعتبار بالأجور الدنيوية.

= تفسير غريب القرآن ص (١٢٧) أن (ضاعف) أبلغ في التكثير من (ضعّف)، وقد نقل الطبري هذا الرأي في تفسيره وأبهم قائله ولم يعلّق عليه. وذهب الأزهري في تهذيب اللغة (١/ ٤٨٢) وابن سيده في المحكم (١/ ٢٥٥)، وابن زنجلة في حجة القراءات ص (٢٠٣) إلى أن معناهما واحد.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٦) سورة الإخلاص، الآية: ٤.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ ﴾ سورة الحج، الآية: ٢٦.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٩) سورة مريم، الآية: ٥.

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[1] الآية. تقديره: كيف حالهم في ذلك الوقت استعظامًا لأمرهم[2]؟! وقوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[3] فيه أقوال: **أحدها**: أنه أشار إلى أُمته[4]، ويكون قوله: ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ عامًّا، وخصّ النبي ﷺ وأمته بالذكر تعظيمًا لهم. **والثاني**: ما قاله ابن عباس: إن هذه الأمة تشهد للأنبياء، والنبي ﷺ يشهد لأمته تزكيةً لهم، واستدلَّ بقوله[5]: ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[6]. **والثالث**: إن قوله: ﴿ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤١، ونصُّها: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢/ ٥٣)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٥)، والوسيط (٢/ ٥٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٤) انظر: بحر العلوم (١/ ٣٥٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٩٨)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٢).

(٥) في الأصل زيادة كلمة (صلى) بعد كلمة (بقوله) والصواب حذفها.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣. وهذا قول السديّ. انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٩)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٥)، والتفسير الكبير (١٠/ ٨٥).

إشارة إلى الأنبياء الذين هم الشهداء على أممهم[١]. **إن قيل**: كيف يصحّ أن يكون النبي ﷺ شاهدًا للأنبياء الذين قبله وهو لم يحضرهم؟ وأي فائدة لشهادته وشهادتهم؟ **قيل**: إن الأنبياء لم يختلفوا في أصول ما دعوا إليه، بل كلُّهم لسان واحد في الدعاء إلى التوحيد، وأصول الاعتقادات والعبادات، وسائر جمل الشريعة، وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ﴾[٢] الآية. وكل واحد منهم معتقد لما اعتقده الآخر، ومبلِّغ ذلك مثل ما بلَّغه الآخر، ثم شريعة النبي ﷺ جامعة لأصول شرائع من تقدّمه، ولذلك قيل له: خاتم الأنبياء[٣]، وعليه نبّه ﷺ بقوله: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتًا، وترك موضع لبنة منه، فكنت موضع اللبنة**»[٤]،

---

(١) ذكر هذا القول صاحب الفتوحات الإلهية (١/ ٣٨٣).

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣، ونصُّها: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

(٣) نقل صاحب الفتوحات الإلهية عن الكرخي أنه قال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾: وذلك بأن تشهد للأنبياء بأنهم بلّغوا، لعلمك بعقائدهم، لاستجماع شرعك لجميع قواعدهم». الفتوحات الإلهية (١/ ٣٨٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب «خاتم النبيين ﷺ» رقم (٣٥٣٤). =

وبهذا المعنى ألمّ بعض المُحدثين فقال:

[٢٧٠/ب] نُسِقوا لنا نَسْقَ الحسابِ مقدّمًا   وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا[١] /

وأما فائدة إقامتها عليهم فتبكيت للعاصين، وتشنيع عليهم، وتزكية للمؤمنين، على ما ذكر في قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[٢]، وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾[٣] منهم من جعل الصفتين لفريق واحد، أي الذين جمعوا بين الكفر ومخالفة الأمر، ومنهم من جعلهما وصفين لفريقين، أي الذين كفروا وعصوا الرسول؛ فالأول للكفار، والثاني لأهل الكبائر[٤]،

= ومسلم في كتاب الفضائل، باب «كونه ﷺ خاتم النبيين» رقم (٢٢٨٦).
والترمذي في كتاب الأمثال، باب «ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله» رقم (٢٨٦٢)، وقال: صحيح غريب من هذا الوجه. ورواه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير باب ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾» رقم (١١٤٢٢). وأخرجه الطيالسي رقم (١٧٨٥)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٩٩)، وأحمد (٣/ ٣٦١)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٥)، وفي الدلائل (١/ ٣٦٥).

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي وهو من بحر الكامل، وقد ورد في قصيدة يمدح بها جعفر بن الفرات وزير كافور. انظر: شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي (٢/ ٣٣٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٢.

(٤) قال النيسابوري: «﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾ قيل: =

وقوله: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾[1] أي تمنوا أن لم يُبعثوا من القبور[2]، وقيل: أن جعلوا ترابًا كالبهائم[3]، وقيل: أن لم يُخلقوا رأسًا[4]، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾[5]، وقوله:

= هذه الجملة معترضة والمراد: وقد عصوا. والظاهر أن الواو للعطف وحينئذٍ تقتضي كون عصيان الرسول مغايرًا للكفر، لأن عطف الشيء على نفسه غير جائز، فإما أن يخصّ الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله، أو يقال: إنه عام وأفرد ذكر قسم منه إظهارًا لشرف الرسول ﷺ وتفظيعاً لشأن الجحود به، أو يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر، فيكون في الآية دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرع». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٧)، وانظر: التفسير الكبير (١٠/ ٨٦)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥، ٢١٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(١) سورة النساء، الآية: ٤٢.

(٢) انظر هذا القول في: مدارك التنزيل (١/ ٣٥٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٣)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٨٨، ٤٨٩)، والوسيط (٢/ ٥٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٢٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١٧، ٢١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٩٩).

(٤) ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢١٦)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(٥) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

لَوْ تُسَوَّى بتشديد السين على إدغام التاء في السين، وتُسَوّى بالتخفيف على حذف إحدى التاءين[1]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ قيل: فيه أقوال: **أحدها**: ما رُوِيَ عن ابن عباس وقد سُئِلَ عن هذه الآية. وقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[2] فقال: إن المشركين يوم القيامة لما رأوا أن لا يدخل الجنة إلا من كان مسلمًا، قال بعضهم لبعض: تعالوا نجحد[3]، نقول: ما كنا مشركين. فلما قالوا ذلك ختم الله على ألسنتهم، وتكلّمت جوارحهم، فشهدت عليهم، فودّوا لو ساخت بهم الأرض[4] ولا يكتمون الله[5].

---

(١) قال ابن زنجلة: «قرأ نافع وابن عامر (تَسَّوَّى) بتشديد السين والواو. الأصل: (تتسوى) ثم أدغمت التاء في السين. وقرأ حمزة والكسائي (تَسَوّى) بتخفيف السين وفتح التاء والأصل (تتسوى) ثم حذفوا إحدى التاءين تخفيفاً مثل (تذكرون)» ولم يُشر الراغب إلى القراءة السبعيّة الثالثة وهي (تُسَوَّى) وهو فعل مضارع مبني للمفعول ماضيه (سَوَّى) انظر: حجة القراءات ص (٢٠٣، ٢٠٤)، ومعاني القراءات ص (١٢٧). وانظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٦)، والمبسوط ص (١٥٧)، والتلخيص ص (٢٤٤)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.

(٣) في الأصل: (حتى) والصواب ما أثبته وهو الموافق للروايات.

(٤) ساخت بهم الأرض: أي: خسفت. انظر المصباح المنير ص (١١٢).

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٣، ٣٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢١٨)، والجامع لأحكام =

والثاني: ما قاله الحسن: إن الآخرة مواقف، وفي بعضها يظهرون، ورُوِيَ عنه أن في بعضها لا يتكلّمون[1]. **والثالث**: أنهم لا يكتمون الله حديثًا، لنطق جوارحهم بذنوبهم، فعلى هذا لا يكون قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ داخلًا في التمنِّي، بل هو استئنافُ كلام[2].
والرابع: أنه لم يقصد بقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ أنهم لا يقصدون كتمانه، بل عنى أنه لا يتكتم، وذلك كقولك لمن كتم عنك شيئًا فاطلعت عليه: لِمَ تكتم أسرارك عني[3]. **والخامس**: أن ذلك داخل في التمني، ولكن إشارة إلىٰ حالهم في الدنيا وجحودهم[4]، فإن كفرهم جحود لما ركَّز الله تعالى في فطرتهم، ونقضٌ لما أخذ عليهم من الميثاق المدلول عليه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ

= القرآن (٥/ ١٩٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٤).

(١) ذكره السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٣٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٨٧) وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٢٦٤).

(٢) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٢٣)، وذكره عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٦٤). وانظرْ: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٨).

(٣) قال أبو حيان: والمعنى: «لا يقدرون على كتمان الحديث». البحر المحيط (٣/ ٢٦٤). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٤).

(٤) انظر هذا القول في: البحر المحيط (٣/ ٢٦٤).

﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] الآية .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾[2] الآية . السُّكر : هو من السَّكْر ، أي سُدّ مجرى الماء ، وذلك لسد البخار الصاعد من المعدة قوة الفهم ، وسكرت الريح : أي سكنت ، تشبيهًا بسكون الماء إذا سُدّ مجراه ، وكذلك سكرت أبصارنا : أي سُدّ مجراها ، والسّكر قد يقال لما يعرض من الهوى والشباب والغنى[3] . قال الشاعر :

سكران سكر هوى وسكر شراب[4] ....

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٤٣ ، ونصُّها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ .

(٣) انظر معاني السكر في : العين (٥/ ٣٠٩) ، وغريب القرآن ص (٢٧٦) ، وتهذيب اللغة (١٠/ ٥٥) ، ومجمل اللغة ص (٣٥٤) ، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٨٩) ، والمفردات ص (٤١٦) ، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٣٣) ، واللسان (٤/ ٣٧٢-٣٧٥) .

(٤) صدر بيت من بحر الكامل يُنسب للخليع الدمشقي وتمامه :

سُكْران سُكرُ هوىً وسكر مُدامةٍ ... أنى يُفيق فتى به سُكرانِ

انظر : يتيمة الدهر (١/ ٣٣٣) ، والدر المصون (٣/ ٦٨٩) ، وبصائر ذوي=

ويقال: سُكارى وسكرى. **والغائط**: المنهبط من الأرض فكنى به عن الحدث[1]؛ كالنجو في كونه للمرتفع من الأرض[2]، والعذرة للفناء[3]، والحشّ للبستان[4]، والكنيف للحظيرة[5]. **والصَّعيد** كالصُّعود، لكن الصعيد يقال لوجه الأرض. والصعود

= التمييز (٣/ ٢٣٣)، والإكسير في صناعة التفسير ص (٣٢٨)، وقد ذكره الراغب في المفردات ص (٤١٦) بعبارة [مُدامة] بدل [شراب].

(١) قال السجستاني: «الغائط: مطمئنٌّ من الأرض، وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة أتوا غائطاً، فكُنِّي عن الحدث بالغائط» غريب القرآن ص (٣٤٩). وانظر: الزاهر (١/ ٤٠٩)، ومجمل اللغة ص (٥٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٨٨).

(٢) قال ابن فارس: «والنجوة: الأرض لا يعلوها السيل» مجمل اللغة ص (٦٨٩). وانظر: الصحاح (٦/ ٢٠٥٢).

(٣) قال ابن فارس: «وعذرة الدار: فناؤها» مجمل اللغة ص (٥٠٨)، وانظر: الزاهر (١/ ٤٠٩).

(٤) قال ابن منظور: والحَشّ والحُشّ: جماعة النخل، وقال ابن دريد: «هما النخل المجتمع، والحش أيضاً: البستان، والحش: المتوضأ...» لسان العرب (٦/ ٢٨٦)، وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ١٦٥)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٩٤).

(٥) قال ابن فارس: «الكنيف: الساتر، ويسمى الترس كنيفاً لأنه يستر.. والكنيف: الحظيرة...» مجمل اللغة ص (٦١٢)، وانظر: الزاهر (١/ ٤٠٩).

للعقبة[(١)]، ولما كان الصعيد يقال لوجه الأرض وللساطع منه، اختلف الفقهاء لاختلاف نظرهم في أنه هل يجب أن يعلق باليد شيء من التراب أم لا؟ فجوز الكوفيون أن لا يعلق باليد شيء من الأرض، لكون الصعيد اسمًا لوجه الأرض، ولم يجوِّز الحجازيون ذلك اعتبارًا بالصعود، ولقوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[(٢)] وكذلك اختلفوا في أنه هل يجوز التيمم بما يخرج من الأرض سوى/ التراب كالخل والزرنيخ[(٣)]؟ فجوّز ذلك بعضهم ومنع [٢٧١/أ] منه آخرون، فمن جوّزه قال: لأن الصعيد اسم لما تصاعد من الأرض[(٤)]. والتيمُّم والتأمُّم: التعمُّد، وفي قراءة عبدالله

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٦)، وغريب القرآن ص (٢٩٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٧)، والمفردات ص (٤٨٤). وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣. وقد جوّز مالك وأبو حنيفة ألاّ يعلق باليد شيء عند التيمم، ولم يجوّز ذلك الشافعي وأحمد. انظر: خلاف العلماء في ذلك في: بدائع الصنائع (١/ ٣٤٠)، والمغني لابن قدامة (١/ ٢٤٧، ٢٤٨)، والعزيز شرح الوجيز للرافعي (١/ ٢٣٠، ٢٣٥).

(٣) «الزرنيخ: عنصر شبيه بالفلزات له بريق الصلب ولونه، ومركباته سامّة يُستخدم في الطب في قتل الحشرات» المعجم الوجيز ص (٢٨٨)، وانظر: المعرب ص (٣٥٦).

(٤) جوّز مالك وأبو حنيفة التيمم بكل ما كان من جنس الأرض كالنورة=

فتأمّموا[1]. وعابري سبيل: قال علي وابن عباس: هم المسافرون، قالـوا: ويجـوز لهم التيمُّم عند الجنابـة. والصلاة عندهما اسم الفعل[2]، وقال الحسن وسعيد: عابر السبيل: المجتاز، والصلاة يريد به موضعها[3]، كقوله: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

= والزرنيخ والحجارة، ومنع ذلك الشافعي وأحمد. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٢، ١٣٣)، بدائع الصنائع (١/ ٣٣٩)، والمغني (١/ ٢٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٣٦، ٢٣٧)، والعزيز (١/ ٢٣٠)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٨).

(١) قال السجستاني: تيمَّموا: تعمدوا. غريب القرآن ص (١٣٥). وانظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٢٨)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٧٩، ٣٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٥٩، ٩٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٠٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٣٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٠)، وهو قول مجاهد والحكم وابن زيد وابن جبير. وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠٦).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وتفسير القران العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٠٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٣٦)، وهو مروي عن ابن عباس. قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأبي عبيدة، وسعيد بن المسيب، وأبي الضحى، وعطاء، ومجاهد، ومسروق، وإبراهيم=

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾[1]. والمريض الذي جُوّز له التيمّم: الجريح والقريح دون المحموم والمصدّع[2]. والملامسة: الجماع، عن علي وعن ابن عباس[3]، وقيل: اللمس

= النخعي، وزيد بن أسلم، وأبي مالك، وعمرو بن دينار، والحكم بن عتيبة، وعكرمة، والحسن البصري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن شهاب وقتادة نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٩٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠٦).

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٢) قال ابن العربي: «المرض: عبارة عن خروج البدن عن حدّ الاعتدال والاعتياد إلى الاعوجاج والشذوذ؛ وهو على ضربين: يسير وكثير، وقد يخاف المريض من استعماله ـ أي الماء ـ وقد يُعدم من يناوله إياه، وهو يعجز عن تناوله، ومطلق اللفظ يُبيح التيمّم لكل مريض إذا خاف من استعماله وتأذّيه بالماء». أحكام القرآن (١/ ٤٤٠). وانظر: خلاف العلماء في ذلك في: بدائع الصنائع (١/ ٣١٨-٣٢١)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٢٨)، والمغني (١/ ٢٣٩)، والعزيز (١/ ٢١٨-٢٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢١٦)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٨٩-٣٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦١). ذكر رواية ابن عباس ثم قال: ورُوِيَ عن علي وأبي بن كعب ومجاهد وطاوس والحسن، وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٩١)، والوسيط (٢/ ٥٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٢)، وتفسير القرآن العظيم=

باليد وما دون الجماع؛ عن ابن مسعود، وابن[1] عمر[2]، وقُرِئ: لمستم[3]، والأول في الجماع أكثر[4]، وقوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[5] ليس بنهي للسكران عن قربان الصلاة، كما تصوّره بعض الناس فأطال فيه الكلام، وقال: كيف يصح نهي من لا يعقل ما يقول، وإنما ذلك نهي المؤمنين عن السكر المانع

= لابن كثير (١/ ٤٧٦).

(١) في الأصل: (وأبي) والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٩٢-٣٩٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦١)، وقال بعد أن ذكر الأثر عن ابن مسعود: وروي عن ابن عمر وعبيدة، وأبي عثمان النهدي، والشعبي، وثابت بن الحجاج، وإبراهيم النخعي، وزيد بن أسلم نحو ذلك. وانظر: النكت والعيون (١/ ٤٩١)، والوسيط (٢/ ٥٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٢٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٦).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف (أو لمستم) بغير ألف. وقرأ الباقون (أو لامستم). انظر: حجة القراءات ص (٢٠٤، ٢٠٥)، والمبسوط ص (١٥٧)، والتلخيص ص (٢٤٥)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٤).

(٤) قال الطبري: «وأولى القولين من ذلك بالصواب قول من قال: «عنى الله بقوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ، أنه قبّل بعض نسائه ثم صلّى ولم يتوضأ» جامع البيان (٨/ ٣٩٦).

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٣.

من الصلاة[1] ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] ، وقيل : إن ذلك نهيٌ عن الشرب ، وكان هذا تعريضًا بالتحريم ، فلما أنزل الله ذلك تحرَّج [قوم][3] فتركوها ، وشربه قوم في غير أوقات الصلوات إلى أن ورد تصريح التحريم[4] ، وقال بعض أهل الورع : ليس النهي عن تعاطي الخمر ، بل ذلك عنه ، وعن مقتضى سكر الهوى ، وسكر الاشتغال بالدنيا ، وأمر بأن يجمع الإنسان

---

(١) وهذا يتوافق مع كلام ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٣٧٥)، وقال ابن عطية : «والخطاب لجميع الأمة الصاحين ، وأما السكران إذا عدم الميْزَ لسكره فليس بمخاطب في ذلك الوقت ، وإنما هو مخاطب إذا صحا . . » المحرر الوجيز (٤/ ١٢٥) . وانظر : البحر المحيط (٣/ ٢٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٧٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .

(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٦٦)، ولم يذكر صاحبه . وردَّ النيسابوري هذا القول بقوله : «ومن قال : إن مدلول الكلام يرجع إلى النهي عن الشرب المخلّ بالفهم عند القرب من الصلاة ، وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ، فلا يكون منسوخاً ، يكذبه أن الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق ، فكانوا لا يشربون في أوقات الصلاة ، فإذا صلوا العشاء شربوها ، فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السُّكر ، وعلموا ما يقولون إلى أن نزلت آية المائدة فقالوا : انتهينا يا رب» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤١٩) .

نفسه ويفرِّغ للعبادة همّه، قال: وليست الجنابة للحالة المعروفة فقط، بل هي عبارة عن نجاسة النفس بالذنوب، وحثَّ على تجنُّبها وتطهير النفس منها بقوله: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[1] فإن قيل: فما وجه تعلق هذه الآية بما قبلها، والإتيان بحكم التيمُّم عقب ما تقدم؟ قيل: لما أمر فيما تقدّم بالعبادة بقوله: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[2] وأعظم العبادة الصلاة، ولا تصحّ بغير طهارة بين عقيبها حكم ما يُطَهِّر، وحكم ما ينوب منا به إذا فُقِدَ[3].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4] الآية. رَأَيْتَ: يُعدّى بإلى تنبيهًا على معنى النظر والاعتبار، وذلك في رؤية القلب دون الحاسة[5]، واشتراء الضلالة بالهدى:

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وهو الذي ذكره الراغب من التفسير الإشاري الذي اشتهر به المتصوفة، وانظر: نحوًا مما ذكر في: لطائف الإشارات (٢/ ٣٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) ذكر القرطبي نحوًا من هذا التوجيه في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٠٠، ٢٠١).

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٤، ونصُّها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾.

(٥) قال الزّجّاج: «المعنى: ألم ينته علمك إلى هؤلاء» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٦)، وقال أبو حيان: «والرؤية هنا علمية، وضمنت معنى ما يتعدى بإلى، فلذلك لم يتعدّ إلى مفعولين، وكأنه قيل: ألم ينته علمك إلى كذا؟=

استبدالها به بعْد حصوله، والرغبة في الضلالة بعد التمكّن من الهدى[1]، وقد أعاد تعالى هذا المعنى في مواضع تحذيرًا منهم، وتخويفًا من الاغترار بهم، وعلى ذلك قوله من قبل: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾[2]، ونحوه قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾[4] ظاهره كالبعيد من الأول، وكذلك قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾[5] وذلك لتحرِّي الاختصار فيه، وتقدير الكلام: يريدون أن تضلوا السبيل، وإذا أرادوا ذلك فهم أعداؤكم، والله أعلم منكم بعداوتهم لكم، وهو تعالى وليكم ونصيركم، فإذن الواجبُ عليكم أن تتركوا

= وقال الراغب: رأيت يتعدى بنفسه دون الجار، لكن لما استعير قولهم: (ألم تر) لمعنى: ألم تنظر عدّي تعديته، وقلما يستعمل ذلك في غير التقرير، ما يقال: رأيت إلى كذا» اهـ. البحر المحيط (٢/ ٢٥٨)، عند تفسيره للآية: ٢٤٣ من سورة البقرة. وانظر: الكشاف (١/ ٥١٥).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٥، ونصُّها: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٥.

موالاتهم، واستنصارهم، وتَسْتَكْفوا بولاية الله ونصرته، وكفى به وليًا ونصيرًا[1].

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[2] الآية.

اللّيّ أصله الفَتْلُ فاستعير لصرف الإنسان عما يريده، وصرف الكلام من وجه إلى وجه استعارة الجدل في الجدال، ومنه لَيّ الغريم، ولواء الجيش لكونه/ في الأصل خيطًا ملويًا، واللِّوى: الملويّ من الرمل؛ لا يصنعه [٢٧١/ب] البشر[3]، وقوله[4]: ﴿بألسنتهم﴾ أي جارحتهم أو كلامهم، وكلاهما في الحقيقة واحد ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ أي يطعنون بألسنتهم في الدين[5]،

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٢٩)، وبحر العلوم (١/ ٣٥٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٣٦، ١٣٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٦، ونصُّها: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٣) انظر: معاني اللّيّ في: العين (٨/ ٣٦٤)، وجامع البيان (٦/ ٥٣٥-٥٣٧)، وغريب القرآن ص (٥٠٤)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٢٨)، والمفردات ص (٧٥٢)، واللسان (١٥/ ٢٦٢، ٢٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٥).

(٤) في الأصل: (وقولهم) والصواب ما أثبته.

(٥) قال أبو حيان: «﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ أي باللسان». البحر المحيط (٣/ ٢٧٥)، وانظر: العين (٧/ ٢٥٦)، والمفردات ص (٧٤٠).

وقوله ﴿ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ يقال على وجهين: أحدهما: دعاء على الإنسان بالصمم(١). والثاني: دعاء له(٢)، فقد تُعورِف قوله: أسمعته؛ في السب، ورُوِيَ أن أهل الكتاب كانوا يقولون ذلك، يرون أنهم يعظمون النبيَّ، وأنهم يدعون له، لأن قولهم ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ يقتضي ظاهره: أنا قد عصينا من أمرتنا بعصيانه، واسمع غير مشتوم؛ وحافظنا، وهم يقصدون بقولهم ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ أنا عصيناك، واسمع لا سمعت، وراعنا أي رَاعنًا(٣)، وذلك شتم فيما بينهم(٤)، فذكر تعالى أن ذلك لَيّ

---

(١) ذكر هذا الوجه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٤٣٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٣٨، ١٣٩)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٢٤٣).

(٢) أي لا أُسمعت مكروهًا. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٧٥). أو اسمع غير مأمور أو غير صاغر. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٧).

(٣) من الرعونة. قال ابن جرير: «وقد حُكِيَ عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (راعنًا) بالتنوين بمعنى: لا تقولوا قولاً راعنًا، من الرعونة وهي الحمق والجهل. وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة...» جامع البيان (٢/ ٤٦٦) عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا.. ﴾ الآية. وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج (٢/ ٥٨)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٦).

(٤) ذكر أبو حيان أنهم كانوا يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقًا. وقال ابن عطية: «وهذا اللّي باللسان إلى=

وطعن في الدين بألسنتهم، أي لُغتهم، ولو عدلوا عن هذه الألفاظ إلى ما أُمِرُوا به لكان أنفع لهم، ولكن لما كفروا لعنهم الله، أي منعهم التوفيق[1] وشرح الصدر[2]، وقد تقدّم معنى اللعنة وتفسير قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]، وقوله: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ فيه قولان: **الأول**: أنه متعلّق بما تقدَّم، كأنه قال: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من الذين هادوا فيكم، فتكون من للجنس أو للتبيين، وتكون للوقف على قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، **والثاني**: أن تكون استئنافًا على تقدير: من الذين هادوا فريق[4]، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ

= خلاف ما في القلب موجود حتى الآن في بني إسرائيل، ويحفظ منه في عصرنا أمثلة»، قال أبو حيان: «وهو يحكي عن يهود الأندلس، وقد شاهدناهم وشاهدنا يهود ديار مصر على هذه الطريقة، وكأنهم يربون أولادهم الصغار على ذلك. .» انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٥).

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٣٢٨-٣٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٣٦، ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٤).

(٣) انظر تفسير الراغب المخطوط لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] (ق ٧٥ - مخطوط).

(٤) انظر هذين القولين في: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧١)، ومعاني القرآن للأخفش (١/ ٤٤٨)، وجامع البيان (٨/ ٤٣٠، ٤٣١)، ومعاني القرآن=

﴿مَّعۡلُومٞ﴾[1] واستقبح المبرّد هذا الوجه لحذف الموصول وترك الصلة[2].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾[3] الآية. **الطمس** والطلس والدرس يتقارب، ولكن الطمس زوال الأعلام المماثلة، قال: وبلدة طامسة أعلامها، **والطلس** زوال الصورة، ومنه قيل: درهم مطلس، إذا لم يكن عليه نقش، **والدرس** قد يقال في الأثر الخفي[4]. وطمس الوجوه منهم من أخذه

= وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٣).

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٢) انظر: الدر المصون (٣/ ٦٩٤، ٦٩٥)، ولم أجد للمبرد كلاماً على هذه الآية، نعم رأيت أنه لا يجيز حذف الموصوف وإبقاء الصلة كما في المقتضب (٢/ ١٣٦)، وليست هذه الآية من ذلك في شيء، بل هي على هذا الوجه الأخير من باب حذف الموصوف لوجود ما يدل عليه، وهذا لم يمنعه المبرِّد مطلقًا، بل حمل عليه أبياتاً، وحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ [النساء: ١٥٩]. انظر: الكامل (٣/ ١٩٦)، والمقتضب (٢/ ١٣٧-١٣٩).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٧، ونصُّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾.

(٤) انظر: معاني الطمس في: العين (٧/ ٢٢١)، وجامع البيان (٨/ ٤٤٤، ٤٤٥)، وغريب القرآن ص (١٠٦، ٣١٩، ٤٦٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٥١)، و (١٢/ ٣٥٩)، والصحاح (٣/ ٩٢٨)، ومجمل اللغة =

محسوسًا ثم اختلفوا؛ فمنهم من قال: عنى ذلك في الدنيا، وهو أن ينبت الشعر على وجوههم فتصير صورتهم كصورة القردة والخنازير[1]، وتكون وجوههم إلى أقفائهم[2]، ومنهم من قال: عنى ذلك في الآخرة[3]، وعلى ذلك قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾[4]، لأن وجوههم التي فيها العيون إلى ظهورهم، ومنهم من أخذه معقولاً، ثم اختلفوا: كيف يكون ذلك؟ فمنهم من قال: عنى أنا نردّهم عن الهداية إلى الضلالة لما ارتكبوه من المعاصي[5]،

= ص (٤٥٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٤)، والمفردات ص (٥٢٤)، وقال ابن فارس: «الطلسُ: محو الكتاب» مجمل اللغة ص (٤٥٠)، وقال: «الدرس: الطريق الخفي، ودرس المنزل: عفا..» مجمل اللغة ص (٢٣٨)، والصحاح (٣/ ٩٢٨).

(١) وهذا قول الفرّاء. انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٢)، وجامع البيان (٨/ ٤٤٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣١).

(٢) هذا قول آخر ذكره الفرّاء كذلك في معاني القرآن (١/ ٢٧٢)، وهو قول ابن عباس وقتادة وعطية العوفي واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٠، ٤٤١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٨).

(٣) ذكر أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢٧٩) ولم يذكر قائله.

(٤) سورة الانشقاق، الآية: ١٠.

(٥) وهذا قول مجاهد والحسن والضحاك. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٢)، =

نحو قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾[1] الآية.
والثاني: أن تكون الوجوه الأعيان والرؤساء، والمعنى قيل: أن يجعل الرؤساء منكم أذنابًا[2]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[3] الآية.
وقيل: إن ذلك في الآخرة، وهو أن قومًا من الكفار كانوا يسخرون في الدنيا من المؤمنين، فيُعرضون على الجنة ثم يُردّون على أعقابهم فيدخلون النار[4]، وقوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ إشارة إلى ما تقدّم ذكره في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾[5] في سورة البقرة ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ

= وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٩)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٤)، وزاد ابن أبي نجيح والسدي. والبحر المحيط (٣/ ٢٧٨).

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) ذكر الزمخشري هذا الوجه في الكشاف (١/ ٥١٩)، وحكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٧٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.

(٤) قال أبو السعود: «وقد اختلف في أن الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا أو في الآخرة، فقيل: كان بوقوعه في الدنيا.. وقيل: إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر، وسيقع فيها لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما على سبيل التوزيع.. والحق أن النظم الكريم ليس بنصّ في أحد الوجهين...» انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٦)، والفتوحات الإلهية (١/ ٣٨٨).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٥، وانظر: تفسير الراغب (ق٦٣ ـ مخطوط).

مَفۡعُولًا﴾[1] أي نافذًا في حكم المفروغ منه[2]. وقيل: هو إشارة إلى ما قال ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم، فقال له: اجر بما هو كائن [إلى][3] يوم القيامة**»[4]، وقيل: الأمر هٰهنا إشارة إلى الإبداع، وهو اختراع/ الشيء من غير أصل، لا في زمان ولا في مكان، ولا بآلة، وذلك يعبر عنه بالأمر[5]، [و][6] على ذلك قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾[7]. [٢٧٢/أ]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[8]، الآية. معنى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٧.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٧٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٦).

(٣) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، وهو من لفظ الحديث.

(٤) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في القدر، رقم (٤٧٠٠) نحوه. ورواه الترمذي في كتاب القدر، رقم (٢١٥٥) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وفي كتاب التفسير رقم (٣٣١٩) وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أحمد (٥/ ٣١٧).

(٥) البحر المحيط (٣/ ٢٧٩).

(٦) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٨) سورة النساء، الآية: ٤٨، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾.

أن يشرك به: أن يديم الإنسان الشرك، فلا خلاف أن من لم يُدم ذلك بل أقلع عنه بالتوبة على الوجه الذي يجب يُغفر له. لكن اختُلِف في قوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لكونه مجملًا، فقال بعضهم: عنى به غير المشركين، فكأنه قيل: يغفر ما دون ذلك لغير المشركين، ففيه توعُّد أن المشرك مأخوذ بكل ذنب مع الشرك بخلاف المؤمنين[1]، الذين قال لهم: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[2]. ومنهم من قال: عنى به التائب[3] بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]، وقول من قال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ يقتضي ذلك، أن فيما دون الكفر ما يُغفر، وهو الصغائر، وفيه ما لا يغفر وهو الكبائر، وإلا لم يكن لقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فائدة، فليس بصحيح لأن قوله: ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ عام للذنوب صغائرها وكبائرها، والمغفور له هو

---

(١) قال الحافظ ابن كثير، «ثم أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء أي من عباده». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٢). وانظر: جامع البيان (٨/ ٤٤٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٣) وهو قول المعتزلة. انظر: الكشاف (١/ ٥١٩، ٥٢٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٤٤)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

الذي جعله خاصًّا منهما، فيقتضي أن ما دون الشرك كله يُغفر، لكن يُغفر لبعض دون بعض، واشتراط ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ لئلا يقرر أن ذلك عامٌّ للمشرك وغير المشرك، فصار قوله: ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ عبارة عن غير المشركين[١]، وقولهم: إن الكبائر دون الشرك لو صح غفرانها لم يثبت فيها اللعن ولا الحد على وجه النكال ليس بشيء، فليس في ذكر اللعن ما يقتضي أن لا يُغفر لصاحبه، وأما النكال في الدنيا فتعلُّقهم به جهل أو تجاهل، لأن موضوع النكال ليكون قمعًا للمنكَّل به عن معاودته وقمع غيره عن أن يحذو حذوه، وليس ذلك من عقوبة الآخرة في شيء، بل قد قيل هو مُسقطٌ لعقوبة الآخرة، لقوله ﷺ: «**الحدود كفّارات لأهلها**»[٢]،

---

(١) ذكر ابن عطية أن هذه الآية أبطلت قولي المعتزلة والمرجئة، «وذلك أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ فصل مجمع عليه، وقوله ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ فصل قاطع بالمعتزلة، رادّ على قولهم ردًّا لا محيد عنه. ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصحَّ قول المرجئة، فجاء قوله ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ رادًّا عليهم، موجباً أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن. ثم قال: «ورامت المعتزلة أن تردَّ هذه الآية إلى قولها بأن قالوا: (من يشاء) هو التائب، وما أرادوه فاسد، لأن فائدة التقسيم في الآية كانت تبطل، إذ التائب من الشرك يُغفر له» المحرر الوجيز (٤/ ١٤٣، ١٤٤).

(٢) رواه بمعناه البخاري في كتاب الحدود، باب «الحدود كفارة» رقم=

ألا ترى أنه قد يُحدّ التائب مع أن العقوبة في الآخرة قد سقطت عنه بالتوبة[1]؟! وما رواه جابر أنا كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى نزل قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ الآية[2] دلالة على فساد قولهم، وما قالوه بأن هذا من أخبار الآحاد فلا يقبل فيما هو من باب التدين والعلم[3]، فإن أخبار

= (٦٧٨٤)، وكذلك رواه مسلم بمعناه في كتاب الحدود، باب «الحدود كفارات لأهلها» رقم (١٧٠٩). ورواه الترمذي في كتاب الحدود، باب «ما جاء أن الحدود كفارة» رقم (١٤٣٩) بمعناه، وقال: حسن صحيح. والدارمي في كتاب الحدود، باب «الحد كفارة لمن أقيم عليه» (٢/ ١٨٢) رقم (٣٤٥٧) بمعناه أيضاً. وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣١٤، ٣٢٠) وابن الجارود رقم (٨٠٣)، والطحاوي في شرح المشكل رقم (١٩٤، ٢١٨٣)، والبيهقي في السنن (٨/ ٣٢٨) والحميدي في المسند (٣٨٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (٢٩).

(١) وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمة عشرة أسباب تغفر بها الذنوب وتدفع بها العقوبات سوى التوبة. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٤٨٧- ٥٠١).

(٢) الصواب أن هذا الأثر عن ابن عمر، وليس عن جابر كما ذكر الراغب، وقد ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بنفس اللفظ (١/ ٤٨٤)، وعزاه للبزار، وقد ذُكِرَ بألفاظ أخرى، رواها ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٧٠).

(٣) مذهب أهل السنة والجماعة الأخذ بكل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ، سواء أكان متواتراً أم آحادًا، وسواء أكان في أبواب الفقه أو العقيدة أو غيرهما، =

الآحاد تُردّ فيما تعافه العقول الصحيحة[1]، وقد علم أن العفو من باب الإحسان الذي حثنا عليه العقل والشرع، وبتحريه يصير العبد من الصديقين والشهداء والصالحين، والافتراء: يقال في القول والفعل كالصدق والكذب، بل الافتراء وإن تُعوُرِف في القول فهو بالفعل أولى، وكذا الاختلاق، لأنهما من فريت الأديم وخلقته[2]، ومعنى الإثم العظيم هو الذي إذا اعتبر بالآثام كان

= وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك. قال الإمام ابن عبد البر: «وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة». التمهيد (١/ ٨). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات» المسوّدة ص (٢٤٨). وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٨/ ١٦)، (٢٠/ ٢٥٧)، والرد على المنطقيين ص (٣٧-٣٨).

(١) مذهب أهل السنة والجماعة تقديم الشرع على العقل وألاّ تعارض النصوص الصحيحة بدعوى مخالفتها للعقل، لأن العقول تتفاوت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجدٍ ومكاشفة. ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلًا عن أن يقول: فيجب تقديم العقل» مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨، ٢٩)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(٢) انظر: معاني الافتراء في: جامع البيان (٨/ ٤٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه=

أكثرها عقوبة .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1] التزكية ضربان : أحدهما : بالفعل ، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهير بدنه ، وذلك يصحّ أن ينسب إلى العبد تارة نحو قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[2] وإلى من يؤمر بفعله ، نحو قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[3] ، والثاني : بالقول ، وذلك بالإخبار عنه بذلك ، ومدحه به ، ومحظور على الإنسان أن يفعل ذلك بنفسه ، لا بالشرع فقط ، بل بمقتضى العقل ، من غير داعٍ إلى ذلك ، ولمّا قالت اليهود والنصارى ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[4] ، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ﴾[5] ذمّهم الله تعالى بذلك ، وذمّ من

= (٢/ ٦٠)، وغريب القرآن ص (١٠٢، ١٠٣، ١٠٩)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٥)، ومجمل اللغة ص (٥٦٦)، والمفردات ص (٦٣٤) . وانظر : معاني الاختلاق في : مجمل اللغة ص (٢٢٢)، والفروق ص (١٤٩)، والمفردات ص (٢٩٦) .

(١) سورة النساء، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الشمس، الآية : ٩ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة المائدة، الآية : ١٨ .

(٥) سورة البقرة، الآية : ١١١ .

يفعل فعلهم، وحظر أن يمدح الإنسان نفسه، بل أن يزكي غيره إلا على وجه مخصوص، فالتزكية في الحقيقة/ هي الإخبار [٢٧٢/ب] عما ينطوي عليه الإنسان، ولا يعرف ذلك إلا الله تعالى[١]، ولهذا قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ ونبّه بقوله: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أن تزكيته ليست لضرب من الميل، فهو منزه عن كبير الظلم وصغيره[٢]. **والفتيل**: هو الخيط الذي في شق النواة[٣]، **وقيل**: هو ما فتل من الوسخ بين الأصبعين[٤]، تشبيهًا بالفتيلة هيئة وصغر قدر[٥]، قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ

---

(١) نقل أبو حيان كلام الراغب في التزكية، وقام بتلخيص تقسيمات الراغب لها، ونسب الكلام إلى الراغب. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٨١).

(٢) قال أبو حيان: «﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ إشارة إلى أقل شيء». البحر المحيط (٣/ ٢٨١).

(٣) وهذا قول عطاء ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وعطية، وهو أحد قولي ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٥٨، ٤٥٩)، وزاد المسير (٢/ ١٠٥).

(٤) وهو قول ابن عباس المشهور والسدي. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد في إحدى الروايات، وسعيد بن جبير، وأبي مالك والسّدّي نحو ذلك. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٥٧، ٤٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٥)، وزاد المسير (٢/ ١٠٥).

(٥) وانظر: معنى الفتيل في: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٢٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٦٠)، ومجمل اللغة ص (٥٥٩)، وغريب القرآن=

يَفۡتَرُونَ﴾[1] الآية. ذكر ذلك تعظيمًا لزعمهم ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾[2] ونبّه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ أنه لا يخفى كونه مأثمًا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا﴾[3] الآية. الجبت والطاغوت: في الأصل اسمان لصنمين[4]، ثم صارا يستعملان في كُل باطل، ولذلك قيل: ما عُبِدَ من دون الله فهو طاغوت[5]،

= ص (٣٦٠)، والمفردات ص (٦٢٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٠، ونصُّها: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨. وقال ابن كثير: وقوله ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ أي في تزكيتهم أنفسهم، ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٥)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٨٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥١، ونصُّها: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾.

(٤) وهو قول عكرمة. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٦١)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٥)، وزاد المسير (٢/ ١٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٣).

(٥) وهذا اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال بعد أن سرد جملة من الأقوال في معنى الطاغوت: «والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كلّ ذي طغيان على الله، فعُبِدَ من دون الله؛ إما بقهرٍ منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبّده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، =

ولذلك فُسِّر مرة بالصنم، ومرّة بالشيطان، ومرّة بالسحر، ومرّة بكل معظّم من دون الله[1]، وإنما ذكرهم بإيتاء نصيب من الكتاب تقبيحًا لفعلهم[2]، فمن جحد الحقّ مع معرفته به فهو أقبح فعلًا وأعظم مأثمًا، وعنى بالذين كفروا مشركي العرب، حيث زعموا أنهم أهدى سبيلًا من المسلمين[3]، ومعنى قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ أي لأجلهم وفيهم،

= أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء». جامع البيان (٥/ ٤١٩). وانظر: المفردات ص (٥٢٠-٥٢١).

(١) انظر: أقوال المفسرين في معنى الجبت والطاغوت في: جامع البيان (٨/ ٤٦١-٤٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤-٩٧٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥)، وزاد المسير (٢/ ١٠٧، ١٠٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٥، ٤٨٦). وانظر في معناه لغةً: تفسير غريب القرآن ص (١٢٨)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٨١) و(٣١٦)، وتهذيب اللغة (١١/ ٧).

(٢) قال أبو حيان: «فكونهم أوتوا نصيباً من الكتاب يقتضي لهم ألا يقعوا فيما وقعوا فيه...» البحر المحيط (٣/ ٢٨٣).

(٣) وذلك أن كعب بن الأشرف لما قدم مكة، قالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه، فأنزلت هذه الآية. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٦٦، ٤٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٣، ٩٧٤)، والوسيط (٢/ ٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٣، ٢٨٤).

ولهذا قال: هؤلاء ولم يقل: أنتم، وباقي الآية مفهوم.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾[١]

النقير: النقطة في ظهر النواة[٢]، **وقيل**: حبة فيها[٣]، **وقيل**: ما نُقِرَ بالأصبع من الحصى[٤]، وكيفما كان فذلك كالفتيل والقطمير فيما يضرب به المثل في الشيء الحقير[٥]، وإذن متى تقدّمه حرف عطف فقد يُترك إعماله[٦]، نحو قوله: ﴿وَإِذًا لَّا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٣.

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس والسدّي وعطاء بن أبي رباح والضحاك، وأبي مالك، انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٢-٤٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٢/ ١٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٦). قال: وهو قول ابن عباس والأكثرين.

(٣) وهو مروي عن مجاهد والضحاك بن مزاحم. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٢/ ١٠٩).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس أيضاً وأبي العالية. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٥)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٩، ٢٥٠).

(٥) قال النسفي: وهو مثلٌ في القلّة كالفتيل. وانظر في معنى النقير: مجاز القرآن (١/ ١٣٠)، وتفسير غريب القرآن ص (٧٩)، وفي مجمع الأمثال (٢/ ٢٨٢)، «يُقَال: ما ظننته نقيرًا ولا فتيلًا...» أي «ما ظننته شيئاً».

(٦) انظر: كتاب سيبويه (٣/ ١٢- ١٥)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٣)، =

يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]، وعطف بالجملة على ما قبله بأم على تقدير كلام قبله، كأنه قيل: أهم أولى بالنبوة أم لهم نصيب من الملك، فيلزم الناس طاعتهم[2]؟ وقيل: أم بدل على معنى بل[3]، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾[4]، ونبّه على بخلهم مع تمكُّنهم من المال.

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾[5] الآية. الحسد: غم يلحق الإنسان بسبب خير ناله مستحقه[6]،

= ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج (٢/ ٦٣)، وإعراب القرآن للنحّاس (١/ ٤٦٣)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٢٠٠)، ومعاني الحروف للرماني ص (١١٦).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٦.

(٢) هذا قول النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٦٣).

(٣) وهذا رأي الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٢)، وقد ذكر هذا القول أيضاً القرطبي في الجامع (٥/ ٢٤٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٨٤)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٩).

(٤) سورة السجدة، الآيات: ١-٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٤، ونصُّها: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾.

(٦) يبدو أن الراغب فسّر الحسد هنا بسببه، والذي في تهذيب اللغة (٤/ ٢٨٠)=

قال ابن عباس: عنى بالناس هٰهنا النبيَّ ﷺ[1]، وقال قتادة: عنى به العرب[2]، وقيل: عنى به المسلمين[3]. **والفضل**: ما خصّ به ﷺ من النبوة[4]، وإنما ذكر الناس - وإن قصد به مخصوصًا - لأنهم إذا كرهوا ما أُنزل على النبي ﷺ فقد حسدوا الناس بما

= والفروق للعسكري ص (١٣٩) بل وفي المفردات للراغب ص (٢٣٤) أن الحسد: تمنّي زوال نعمةٍ من صاحبها. وقال أبو البقاء: والحسد: اختلاف القلب على الناس لكثرة الأموال والأملاك». وقال أيضاً: والحسد: إرادة زوال نعمة الغير». الكليات ص (٤٠٨، ٦٧٢).

(١) وهو مروي كذلك عن مجاهد والسدي والضحاك وأبي مالك. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٦، ٤٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٨)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٠)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠).

(٣) أي النبي ﷺ وأصحابه وهو اختيار ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٧)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦) وذكر أنه قول بعض المتأخرين، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠).

(٤) وهو قول قتادة وابن جريج والزجاج. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٧٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٦٤)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥١).

أولاهم كمال الإنسانية، وفيه تنبيه أنهم خارجون عن جملتهم، ونبّه أنه كما آتاهم الفضل فقد آتى آل إبراهيم ما ذكره، وأنه لو كان ما آتى محمدًا يقتضي أن يحسد عليه فما آتى آل إبراهيم أولى بذلك، فيكون الكتاب والحكمة راجعًا إلى ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما[1] ويجوز أن يكون الكتاب والحكمة إشارة إلى ما أوتي النبي ﷺ، ويكون فيه تنبيه، وما أنعم الله عليه هو إنعام عليهم إذ كان معرضاً لانتفاعهم به، والملك العظيم قيل: ملك سليمان[2]، والأصحّ أنه عامٌّ، وأنه لم يعن به تملُّك الغير، بل هو عام في ذلك، وفيما اقتضى تملُّك الإنسان على نفسه وقمعه لحرصه وسائر شهواته، فذلك هو أعظم الملكين، وقوله: ﴿فَمِنْهُم﴾[3] قال مجاهد: أي من أهل الكتاب من آمن بمحمد ﷺ[4]، وقيل: منهم من آمن بإبراهيم من أمته، كما أنكم في أمر

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٣٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢١٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٠).

(٢) وهذا مروي عن ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨١)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٧)، وزاد المسير (٢/ ١١١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٥، ونصُّها: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٢، ٤٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، وزاد المسير (٢/ ١١٢). =

محمد كذلك[1] تنبيهًا أنه ليس في صدّ بعضهم عن محمد توهين لأمره، كما لم يكن في صدّ بعضهم عن إبراهيم توهين لأمره، وفي قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ تنبيه أنهم وإن لم تلحقهم العقوبة معجّلة فقد كفاهم ما أُعِدَّ لهم من سعير جهنم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾[2] الآية.

[٢٧٣/أ] **إصلاؤهم بالنار: جعلهم/ صَلىً لها**[3]، كقوله: ﴿وَقُودُهَا

= والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥٣).

(١) وهو قول السدي. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨١)، وزاد المسير (٢/ ١١٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٨٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

(٣) أي وقودًا لها. قال أبو عبيدة في المجاز (١/ ١٣٠) «نصليهم ناراً: نشويهم وننضجهم بها». وقال ابن منظور: «ويقال: صليت الرجلَ نارًا، إذا أدخلته النار، وجعلته يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاء، كأنك تريد الإحراق، قلت: أصليته بالألف، وصلّيْته تصلية. والصِّلاءُ والصَّلَى: اسم للوقود تقول: صَلَى النار، وقيل: هما للنار، وصلَّى يده بالنار: سخّنها..» لسان العرب (١٤/ ٤٦٨). وانظر: مجمل اللغة ص (٤١٤)، والمفردات ص (٤٩٠).

ﭐلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1]، وقوله[2]: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[3] فيه قولان؛ **أحدهما**: أنه يُعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى، كقولك: بدّلت الخاتم قرطا، إذا خالفت بين الصورتين[4]. **الثاني**: أنه يُخْلَق لهم جلودٌ إذا نضجت لهم جلود، فالعذاب والألم يصل إلى ما تحت الجلود من الروح وغيرها بوساطة الجلود كوصول النار إليه بوساطة سرابيل القطران[5] المذكور في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[6]، وتبيين ذلك أن الجلد واللحم متى تعريا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٢) في الأصل: (وقولهم)، والصواب ما أثبته.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٤) ذكر هذا القول في: جامع البيان (٨/ ٤٨٦)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨)، وزاد المسير (٢/ ١١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٥) ونسبه إلى الفضيل.

(٥) وهذا القول مروي عن ابن عمر وابن عباس وقتادة والربيع والحسن. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٤، ٤٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٢، ٩٨٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٧)، والوسيط (٢/ ٦٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٧)، وزاد المسير (٢/ ١١٣)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٥).

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٥٠.

عن الروح لم يلحقهما ألم، فعُلِمَ أن المقصود بالألم ما فيه الروح دون الجلود والأغشية، ولكون البدن للروح كالثياب للبدن، يعبّر بالثياب عن البدن كقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] وقول الشاعر:

ثياب بني عوف طهارى نقية[2] . . . .

وقوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ استعارة متناهية في وصول الألم إلى الباطن، وعلى ذلك استُعير لهم الطعام في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[3] ذُكِرَ مع الذوق المس في قوله: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[4] تنبيهًا أن ذلك استعارة، ونبّه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أن لا سبيل إلى الامتناع عليه والفرار من عذابه، وبقوله: ﴿حَكِيمًا﴾ أن ذلك تقتضيه الحكمة.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٤.

(٢) صدر بيت من بحر الطويل لامرئ القيس وتمامه:

ثياب بني عوفٍ طهارى نقيّة . وأوجههم عند المشاهد غرانُ

انظر: ديوان امرئ القيس برواية الأعلم الشنتمري ص (١٩٩)، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين (١/ ٧٧)، والمعاني الكبير (١/ ٤٨١)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٧١).

(٣) سورة المزمل، الآية: ١٣.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] الآية. قد تقدّم الكلام في ذكر الإيمان والأعمال الصالحة، ومعنى الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وذكر الخلود فيها أبدًا، والأزواج المطهّرة[2]، فأما قوله: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ فإشارة إلى النعمة، والنعمة الدائمة، كما يقال: أنا في ظلك[3]، وكما رُوي في الخبر: «**سبعة يظلهم الله في ظلِّ عرشه يوم لا ظل إلا ظله**»[4]، والظليل إشارة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٧، ونصُّها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق٢٩ - مخطوط). عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

(٣) ذهب عامة المفسرين إلى أن الظل في الآية ظل حقيقي. قال الطبري: يقول: وندخلهم ظلًّا كنيناً كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]. وقال ابن عطية: «أي: ظل لا يستحيل ولا ينتقل». وقال ابن كثير: «أي ظلًّا عميقاً كثيرًا غزيرًا طيبًا أنيقًا». انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٥٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٨)، وأسند ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٨٥) عن الربيع أنه قال: «هو ظل العرش الذي لا يزول».

(٤) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة=

إلى تمام وجود معنى الظلّية فيه، كقولهم: شمس شامس، وليل أَلْيَل[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[2] الآية. قال ابن جريج: نزل ذلك في عثمان بن طلحة رضي الله عنه لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، فأمره الله أن يردَّه

= وفضل المساجد» رقم (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب «فضل إخفاء الصدقة» رقم (١٠٣١). والترمذي في كتاب الزهد، باب «ما جاء في الحب في الله» رقم (٢٣٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائي (٨/ ٢٢٢) ـ كتاب آداب القضاة ـ باب الإمام العادل. ومالك في الموطأ رقم (٢٠٠٥) وأبو عوانة في مسنده (٤/ ٤١١)، والطحاوي في شرح المشكل رقم (٥٨٤٤)، وابن حبان في صحيحه رقم (٧٣٣٨)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٨٧) وفي الأسماء والصفات ص (٣٧٠، ٣٧١)، والبغوي في شرح السنة رقم (٤٧٠).

(١) وذلك من إسناد الفعل إلى غير ما هو له في الأصل لإرادة المبالغة. انظر: شروح التلخيص (١/ ٢٣٨) وما بعدها، والإيضاح في علوم البلاغة ص (٢٨).
والليل الأليل: شديد الظلام. انظر: العين (٨/ ٣٦٣). ولعل في تفسير الراغب للظلِّ الظليل بالنعمة الدائمة ميلًا إلى التفسير الرمزي.
وقال الزمخشري: «(ظليلًا) صفة مشتقة من لفظ الظلّ لتأكُّد معناه، كما يقول: ليل أليل، ويوم أيوم، وما أشبه ذلك...» الكشاف (١/ ٥٢٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨، ونصُّها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

إليه[(١)]، وقال: زيد ومكحول[(٢)]: نزل في ولاة الأمر[(٣)]. قال ابن عباس: في كل مؤتمن على شيء، وهو أصحّ. فإنه عامٌّ[(٤)]، وقد

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان (٨/ ٤٩١)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٤٩٨)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٦٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٣٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٥٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٨٨). وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (١٥٧)، والعجاب لابن حجر (٢/ ٨٨٩-٨٩٤).

(٢) أبو عبدالله مكحول الشامي، ثقة فقيه كثير الإرسال، مشهور من الخامسة، قال أبو حاتم ما أعلم بالشام أفقه من مكحول، رأى أبا أمامة وأنسًا، وسمع من واثلة، مات سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: سنة اثنتي عشرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٠، ٢٩١)، والتقريب ص(٥٤٥).

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان (٨/ ٤٩٠، ٤٩١)،عن زيد بن أسلم ومكحول، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٦)، وقال: وروي عن محمد بن كعب وشهر بن حوشب وزيد بن أسلم قالوا: ذلك في الأمراء. وانظر: النكت والعيون(١/ ٤٩٨)، وزاد المسير (٢/ ١١٤)، وتفسر القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٩).

(٤) قال الطبري: «. . . فإنه جائز أن تكون نزلت في عثمان بن طلحة وأريد به كل مؤتمن على أمانة، فدخل فيه ولاة أمور المسلمين وكل مؤتمن على أمانة في دين ودنيا». ثم ذكر الأثر عن ابن عباس. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٩٣)، والنكت والعيون (١/ ٤٩٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٨) وزاد المسير (٢/ ١١٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٨٩)، وبعد أن ذكر ابن

عظَّم الله أمر الأمانة، وبين أنه من خصائص الإنسان، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[1] وقال ﷺ: «**ثلاث يؤدين إلى البَّر والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم**»[2]، وتأدية الأمانة استحفاظ المستودع ووضعه حيث ما أمر بوضعه فيه، وليس ذلك في ردّ الوديعة فقط، بل في جميع ما خصّ الله تعالى به الإنسان من ماله ونفسه، فكلُّ ذلك أمانة من الله عليه بحفظه حيث ما يجب حفظه، ويضعه حيث ما يجب وضعه[3]، ولذلك قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ

= كثير سبب نزول الآية، وأنها نزلت في شأن مفتاح الكعبة، قال: «وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك، وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام». ولهذا قال ابن عباس ومحمد ابن الحنفية: «هي للبر والفاجر أي هي أمر لكل أحد». تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٩).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٤) من كلام ميمون بن مهران وعزاه للبيهقي. وهو في شعب الإيمان (٤/ ٣٢٧) رقم (٥٢٨٢).

(٣) قال أبو حيان: «... والأظهر ما قدمناه من أن الخطاب عام يتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات؛ في قسمة الأموال، وردّ الظلامات، وعدل الحكومات، ومن دونهم من الناس في الودائع والعواري والشهادات، والرجل يحكم في نازلة...» البحر المحيط (٣/ ٢٨٩). وقال أبو السعود: «الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بالذمم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد، سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية..» إرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٢).

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]، ولهذا قال ﷺ: «**كلُّكم راع، وكلكم مسئولٌ عن رعيته**»[2]، وقد دخل في عمومه: النهي عن كتمان العلم عن أهله، وحفظه عن غير أهله، ولهذا قيل: لا تضع الحكمة في غير أهلها فتظلمها، ولا تمنعها أهلها فتظلمهم[3]، وقد حثّ الله تعالى على حفظ جميع العدالات بهذه، وبيانه أن العدالة في شيئين: **أحدهما**: في حكم يختصُّ به الإنسان في نفسه، أو فيما بينه وبين

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب «الجمعة في القرى والمدن» رقم (٨٩٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب «فضيلة الإمام العادل» رقم (١٨٢٩)، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: ما يلزم الإمام في حق الرعية، رقم (٢٩٢٨)، والترمذي في كتاب الجهاد، باب «ما جاء في الإمام» رقم (١٧٠٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح. وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥، ٥٤)، وعبد بن حميد في مسنده رقم (٧٤٥)، وأبو عوانة (٤/ ٤١٥ ـ ٤١٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥٨٣١)، وابن حبان رقم (٤٤٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١) وفي شعب الإيمان رقم (٧٣٦٠، ٨٧٠٣).

(٣) هذا القول ينسب إلى المسيح عليه السلام، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده (٤٧/ ٤٥٨). وذكره صاحب كشف الخفاء (٢/ ٥٠٣) وعزاه لابن عساكر. ونسبه الراغب للمسيح عليه السلام في: المحاضرات ص (١٩)، والذريعة ص (٢٤٧، ٢٤٨).

غيره، وقد تناول ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، والثاني: في حكم يتولاّه الإنسان بين اثنين، وذلك قد تناوله في قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾[1]، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ تنبيهًا أن من سمع وعظه واستعمله/ [٢٧٣/ب] فقد فاز فوزًا عظيمًا، ونبّه بذكر السمع على حكم الأول على علمه بما يحدِّث الإنسان به نفسه، وبالبصر على حكم مشاهدته لما يتعاطاه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[2] الآية. قيل: أولو الأمر الأمراء على عهد رسول الله ﷺ[3]، ولذلك قال: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وقيل: الأمراء في زمانه وبعده، ورده إليهما إنما هو إلى حكمهما[4]، وحمل الشيعة ذلك

---

(١) ذكر هذا التقسيم أبو حيان في البحر (٣/ ٢٨٩) ولعلّه استفاد فيه من الراغب.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩، ونصّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

(٣) وهذا مروي عن ميمون بن مهران قال: «أصحاب السرايا على عهد النبي ﷺ». انظر: جامع البيان (٨/ ٤٩٨).

(٤) ذكر أبو حيان عن ابن عباس وأبي هريرة والسديّ وابن زيد أنهم قالوا: أولو الأمر هم الأمراء. وذكر عن ابن زيد أنه قال: «أطيعوا الله في أوامره ونواهيه، والرسول ما دام حيًا، وسنته بعد وفاته». البحر المحيط (٣/ =

على الأئمة من أهل البيت[1]. وقال أبو هريرة: أولو الأمر أمراء السرايا[2]. وقد رُوِي أن النبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله**»[3]، وقال ابن عباس: هم أهل الفقه والدين، وأهل طاعة الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[4]، وكل هذه الأقوال صحيح، ومراد بالآية، ووجه ذلك

= ٢٩٠). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٥٩). قال البيضاوي: «يريد به أمراء المسلمين في عهد رسول الله ﷺ وبعده، ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية». أنوار التنزيل (١/ ٢٢٠).

(١) ذكره الرازي في التفسير الكبير (١٠/ ١١٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٩٠)، والنيسابوري في تفسيره غرائب القرآن (٢/ ٤٣٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٨٨) عن أبي هريرة. وذكره أبو حيان عن ميمون ومقاتل والكلبي. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٠).

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٤٩٥)، والبخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ رقم (٧١٣٧). ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب «وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية» رقم (١٨٣٥). والنسائي (٧/ ١٥٤) (٨/ ٢٧٦). وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب «طاعة الإمام» رقم (٢٨٥٩). وفي المقدمة، باب «اتباع سنة رسول الله ﷺ» رقم (٣).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس وجابر بن عبدالله ومجاهد وعطاء بن السائب والحسن وأبي العالية. انظر: جامع البيان (٨/ ٤٩٩-٥٠٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٨، ٩٨٩)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٠)،=

أن أولي الأمر الذين يرتدع بهم الناس أربعة؛ **الأول**: الأنبياء، وحكمهم على ظواهر الخاصة والعامة وبواطنهم. **والثاني**: الولاة، وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم. **والثالث**: الحكماء، وحكمهم على بواطن الخاصة[1]، **والرابع**: الوعاظ، وحكمهم على بواطن العامة، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾[3] **قيل**: هو خطاب للكافة[4]، **وقيل**: بل لأولي الأمر منهم إذا وقع تنازع فيما بينهم في حكم[5]، وقوله:

= والوسيط (٢/ ٧١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٣٩)، وزاد المسير (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٠).

(١) في الأصل: «الخاص»، والصواب ما أثبته، بدليل ما بعده.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) قال ابن جرير الطبري: يعني بذلك جلّ ثناؤه: فإن اختلفتم أيها المؤمنون في شيء من أمور دينكم أنتم فيما بينكم، أو أنتم وولاة أمركم فاشتجرتم فيه «فردوه إلى الله». جامع البيان (٨/ ٥٠٤). وانظر: الوسيط (٢/ ٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٥٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٣٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٥) يعني إذا حصل خلاف بين العلماء والأمراء أو العلماء والعلماء أو الأمراء والأمراء، انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٤)، والوسيط (٢/ ٧٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦٠).

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي راجعوه بالسؤال في زمانه، وإلى كتاب الله وسنة نبيه بعده[1]، وقال الأصمّ: معناه ما لا تعلمونه فقولوا: الله ورسوله أعلم[2]. وهذا إن أراد به فيما لا سبيل لبشر إلى معرفته، أو فيما لا يبلغ إلى مرتبته فصحيح، وإن أراد أنه يقتصر على ذلك مع وجود سبيل إليه، أو احتياجه إليه فرضى بأخسِّ منزلة، وقد تعلّق بذلك مثبتوه أيضًا، وقالوا: جعل الله أحكامه ثلاثة أقسام: مثبتًا بالكتاب، ومثبتًا بالسنة، وعليهما دل قوله: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[3]، ومثبتًا بالاجتهاد والاستنباط، وهو ما يرد إلى الكتاب وسنة نبيه، قال: فالرد إليهما هو البناء على حكمهما[4]، وهذا هو القياس الشرعي[5]، والرد

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٣)، والوسيط (٢/ ٧٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٩١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٠/ ١١٧، ١١٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٣٥، ٤٣٦).

(٥) أما تعريف القياس. ففي اللغة: يقال: قاس الشيء يقيسه قياساً وقيساً، أي: قدّره. والمقياس: المقدار. والفعل: قسا يقسو فهو قاسٍ. والقياس: =

على هذا محمول على فائدة غير مستفادة من قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي من شرط الإيمان أن لا يتخطَّى مرسوم الله تعالى ومرسوم نبيه ﷺ، فمن ترك ذلك فقد ترك الإيمان[1]، وقوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ قال مجاهد: أحسن جزاء وعاقبة[2]، وقال قتادة والسُّدِّي: عاقبة[3]، وقال الزجاج: أحسن من تأويلكم من غير رد إلى كتاب الله والسنة[4].

= التقدير. وفي الاصطلاح: حمل فرع على أصل في حكمٍ بجامع بينهما. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٢٥)، ومختصر الروضة للطوفي (٣/ ٢١٨).

(١) قال ابن كثير: «﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ دلَّ على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر...» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٠)، وزاد المسير (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٠٦، ٥٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٠)، والوسيط (٢/ ٧٢)، وزاد المسير (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩١).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨)، والنكت والعيون (١/ ٥٠١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾[1] الآية. قد تقدّم أن الزعم مطية الكذب[2]. والطاغوت مبنيٌّ من طغى[3]، كالجالوت من جال[4]، وقيل: كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت[5]، وقيل: هو اسم لكل ما شغل عن الله من نحو

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠، ونصّها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

(٢) انظر المفردات ص (٣٨٠)، وجاء في تاج العروس (١٦/ ٣١٩): «.. وقال شريح: زعموا كنه الكذب.. فشبّه ما يُقدِّمه المتكلم أمام كلامه ويتوصّل به إلى غرضه من قوله: زعموا كذا وكذا بالمطيّة التي يتوصل بها إلى الحاجة».

(٣) انظر: ما سبق في تفسير الآية (٥١) من سورة النساء ص (٦١٣) من هذه الرسالة.

(٤) ذكر الراغب [جالوت] في المفردات ص (٢١٣) في مادة: [جال]. وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١١/ ٥) في مادة [جَلَتَ]. وما ذكره من أنه مشتق من [جال] مخالف لما ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٨) من أنه اسم أعجمي غير مشتق بدليل أنه ممنوع من الصرف، ولما ذكره الفارسي أيضًا في المسائل الحلبيات ص (٣٥٣)، وانظر: المعرب للجواليقي ص (٢٤٥).

(٥) قال الطبري: «... وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكلِّ معظَّم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائناً ما كان ذلك المعظَّم=

الهوى ونحوه[(١)]، وعليه نبه بقوله ﷺ: «**الهوى إله معبود**»، ثم تلا: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[(٢)] ورُوِيَ أن ذلك نزل في رجل من المنافقين دعاه يهودي في خصومة إلى حكم النبي ﷺ، فقال المنافق:/ بل نتحاكم إلى الكاهن، وقيل: بل قال [٢٧٤/أ] إلى الصنم، وهو أنهم كانوا يحضرونه ويضربون بالقداح، فمن خرج قدحه حكم له[(٣)]، ونبّه بقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ

= من حجر أو إنسان أو شيطان...» جامع البيان (٨/ ٤٦٥). ونسب أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٢٨٣) إلى الزجاج وابن قتيبة ومالك.

(١) هذا ليس قولاً مستقلًا بل هو مندرج ضمن القول الأول وما ذكره من استدلال يدل على ذلك، وقال القشيري: «طاغوت كل أحد نفسه وهواه» لطائف الإشارات (٢/ ٣٤).

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣، ونصُّ الحديث: «**ما تحت ظل السماء إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع**» أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٠٣) رقم (٧٥٠٢) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٨): رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسن بن دينار وهو متروك الحديث. وقال الألباني في تخريج السنة: موضوع، إسناده مسلسل بالمتروكين. وليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الآية.

(٣) انظر هذا الخبر في: جامع البيان (٨/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩١، ٩٩٢)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٤)، والنكت والعيون (١/ ٥٠١)، والوسيط (٢/ ٧٣)، وأسباب النزول ص (١٦١)، =

﴿ضَلَـٰلًا بَعِيدًا﴾ بعد قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ أن إرادتهم بهذا الفعل مقرونة بإرادة الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدًا، وأن بفعلهم ذلك يجد الشيطان إلى ضلالهم سبيلًا، وهذا تنبيه أنه لولا اتباعهم الشهوات وإخلالهم بالعبادات لما وجد الشيطان إليهم سبيلًا، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ﴾[1] الآية. والضلال البعيد هو الذي يصعب الرجوع عنه[2]، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾[4] الآية. **الصد**: كالسد: إلا أن السد بحائل محسوس، والصد بحائل في النفس من إرادة أو كراهة، ونحو ذلك[5] من

= ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٢)، وزاد المسير (٢/ ١١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٢).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) قال النسفي: «﴿ضَلَـٰلًا بَعِيدًا﴾: مستمرًا إلى الموت». مدارك التنزيل (١/ ٣٦٩).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦١، ونصُّها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

(٥) **الصدّ**: هو المنع من قصد شيء مخصوص. انظر: الفروق ص (١٢٣)، والسَّدُّ: يُطلق على الصدّ، ويُطلق على ما يسدّ به من الموانع. انظر: المفردات=

الحوايل[1]. والآية من تمام القصة الأولى، ومن الأشياء التي دعوا إليها فصدّوا عنها آيات القتال، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾[2] الآية. والتأكيد بالمصدر كقوله: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ هو أن الفعل له حقيقة ما وتجوُّزٌ به كاستعماله في بعض ما وُضِعَ له أو في غير ما وُضِعَ له، وإذا أريد أن يبين أنه مستعمل على وجهه وحقيقته ضُمَّ إليه مصدره. هذا فائدته.

قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾[3] الآية. رُوِي أن ذلك المنافق مع اليهودي لما تحاكما إلى النبي ﷺ فحكم لليهودي قال المنافق: لا أرضى بذلك. ثم تحاكما إلى أبي بكر فكان كمثل، ثم تحاكما إلى عمر، فقال المنافق: كان من الأمر كذا، فقال له عمر: قف لأخرج إليك، فدخل وأخذ السيف فخرج وقتله،

= ص (٤٠٣). وقال الزمخشري: «صدَّ السبيل: إذا اعترض دونه مانع من عقبة أو غيرها، فأخذت في غيره». أساس البلاغة ص (٢٥٠)، وانظر: المفردات (٤٧٧)، واللسان (٣/ ٢٤٥).

(١) في الأصل: ونحو ذلك قوله من الحوايل، وليس له معنى.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٢، ونصُّها: ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾.

فشكوا إلى النبي ﷺ فلما سأله؟ قال عمر: قتلته لأنه ردَّ حكمك، فقال ﷺ: «أنت الفاروق»، ثم جاء أصحابه إلى النبي ﷺ يحلفون كذبًا إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا[1]. **إن قيل**: ما المسئول عنه بقوله: كيف؟ وما الذي يتعلق به إذا؟ وعلى ماذا عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾؟ وأيّ مصيبة أريدت بذلك: التي نالتهم في الدنيا بقتل صاحبهم أم شيء منتظر؟ **قيل**: أما المسئول عنه فمحذوف كما حُذِفَ في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[2]، وبقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾[3] وتقديره: كيف حالهم ومقالهم[4]؟ وأما إذا فإنه يتعلّق بذلك المضمر[5]، وأما قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ فمعطوف على قوله: ﴿أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾،

---

(١) ورد هذا الخبر من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انظر: أسباب النزول ص (١٦٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣)، والعجاب (٢/ ٩٠٣). وأخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٤٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٤) قال الزجاج: «أي فكيف تكون حالهم إذا قتل صاحبهم بما أظهر من الخيانة وردّ حكم النبي ﷺ». معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٩). وانظر: الدر المصون (٤/ ١٦).

(٥) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ١٦).

وتقديره: كيف حالهم إذا أصابتهم مصيبة بما قدّمت أيديهم بارتكابهم وبمجيئهم من بعد إليك حالفين كذبًا: إننا ما أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا، وأما المراد بالمصيبة المذكورة فما ينالهم في الآخرة من العذاب والحسرة والندامة، فيقول: إن تألَّموا من هذه فكيف تألُّمهم إذا أصابتهم مصيبة في الآخرة[1]، وقد تقدَّم[2] أن الإحسان هو الفضل الموفي على العدالة[3]، **والتوفيق**: موافقة أمر الله والرضا بقضائه، وهما غاية ما يراد من الإنسان[4]، فنبه أنهم

---

(١) من العلماء من قال: إن المصيبة في الآية هي قتل ذلك المنافق كما ذكره الزجاج. ومنهم من قال: إن المصيبة هي ما يُنزل الله بهم من النقمة على ذنوبهم. وهو قول ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٥١٤)، وقيل: كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة. ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٣، ٢٤٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٢٩٣).

(٢) انظر: تفسير الراغب (ق ٥٧ - مخطوط)، لقوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. البقرة: ٥٨.

(٣) قال الراغب: «والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير. والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا.. أو عمل عملًا حسنًا والإحسان أعم من الإنعام.. وقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾، فالإحسان فوق العدل، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع..» المفردات ص (٢٣٦، ٢٣٧).

(٤) فسّر أبو حيان التوفيق بأنه ما يوافق الحق من الأمور. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٣)، والمفردات ص (٨٧٧).

يدّعون هاتين الحالتين كذبًا . / [٢٧٤/ ب]

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[١] . القول البليغ : [إذا][٢] اعتُبر بنفسه ، فهو ما يجمع أوصافاً ثلاثة : أن يكون صوابًا في موضع لغته ، وطبقًا للمعنى المقصود به ، لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه ، وصدقًا في نفسه ، وإذا اعتبر بالمقول له والقائل فهو الذي يقصد به قائله الحق ، ويجد من المقول له قبولاً ، ويكون وروده في الموضع الذي يجدر[٣] أن يورد فيه ، فكل قول اجتمع فيه هذه الأوصاف فهو البليغ من كل وجه[٤] ، وقول العرب : أحمقُ بُلْغٌ وبَلْغٌ ، إذا بلغ مع حماقته حاجته ، وقد يقال ذلك للمتناهى في حماقته[٥] ، وقول من قال : القول البليغ هو أن يقال لهم :

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٣ .

(٢) ساقط من الأصل ، والسياق يقتضيه .

(٣) في الأصل : (يجد) ، ويبدو أن الناسخ أسقط الرّاء في آخر الكلمة بدلالة السياق .

(٤) ذكر الراغب ذلك في المفردات ص (١٤٥) ، وقال الزجاج : «يقال : قول بليغ : إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه» . معاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٠) ، والإيضاح في علوم البلاغة (١١/ ١٤) ، وشروح التلخيص (١/ ٧٣) ، وشرح التلخيص ص (١٤-١٥) .

(٥) قال الميداني : «أحمق بُلْغٌ . أي : يبلغ ما يريد مع حمقه ، ويروى : بَلْغُ بفتح الباء أي : بالغ مراده» مجمع الأمثال (١/ ٢٠٥) . وانظر : معاني القرآن=

[إن][1] أظهرتم ما في أنفسكم قتلناكم[2]، وقول من قال: خوِّفهم بمكاره تنزل بهم في الدنيا والآخرة[3]، فإشارة إلى بعض مقتضى الآية، ونبه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ على أمرين: **أحدهما**: نهي الناس أن يُخفوا في أنفسهم غير الحق. **والثاني**: أن يقتصر من كل واحد في أحكام الدنيا على ما يظهره، وترك الفحص عما يضمره، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ

= وإعرابه (٢/ ٧٠) حيث قال فيه الزجاج: «إنه أحمق يبلغ ما يريد، ويكون أحمق بُلْغ وبَلْغ: قد بلغ في الحماقة. والقول الأوّل قول من يوثق بعلمه والثاني وجه جيّد». وانظر: جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ١٦٨).

(١) ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في معاني القرآن للزجاج، والمفردات للراغب.

(٢) وهو قول الحسن. انظر: النكت والعيون (١/ ٥٠٣)، والوسيط (٢/ ٧٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٦٤)، وذكر الزجاج ونحوه في معاني القرآن (٢/ ٧٠).

(٣) قال أبو السعود: «أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم، مؤثراً في قلوبهم، يغتمون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً، وهو التوعد بالقتل والاستئصال، والإيذان، بأن ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خافٍ على الله تعالى، وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات...» إرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٦). وكلام أبي السعود نقله من الزمخشري. انظر: الكشاف (١/ ٥٢٧). وذكر الراغب هذا القول في المفردات ص (١٤٥). وانظر: التفسير الكبير (١٠/ ١٢٨).

عَنْهُمْ﴾ الآية، قولان: **أحدهما**: أنه أمر أن يقابل جماعتهم بهذه المعاملة الثلاث، من الإعراض عنهم، والتجافي عن ذمهم، وقول المعروف لهم[1]، **والقول الثاني**: أن كل واحد من الأحكام الثلاثة إلى فرقة على حدة، فالإعراض عمن يظهر الإسلام، لقوله [عليه][2] السلام: «**أمرت أن أقاتل الناس...**»[3] الخبر.

---

(١) هذا القول هو الذي اقتصر عليه عامة المفسرين ولم يذكروا في الآية قولين.
انظر: جامع البيان (٨/ ٥١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٣)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٦٤)، والتفسير الكبير (١٠/ ١٢٧، ١٢٨)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٦٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٢)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٦).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب «فضل استقبال القبلة» رقم (٣٩٢).
ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب «الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» رقم (٢٠). وأبو داود في كتاب الزكاة رقم (١٥٥٦)، وفي كتاب الجهاد، باب «على ما يقاتل المشركون» رقم (٢٦٤٠). والترمذي في كتاب الإيمان، باب «ما جاء في أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» رقم (٢٦٠٦، ٢٦٠٧) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب «الكف عمن قال: لا إله إلا الله» رقم (٣٩٢٧-=

والوعظ للأوساط. والقول البليغ للخواص. وهؤلاء الفرق الثلاث هم المذكورون بقوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[1] إلى آخر القصة.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2]. استغفار الإنسان وتوبته يمكن أن يقال: هما في الحقيقة/ [٢٧٥/أ] واحد، لكن اختلافهما بحسب اعتبارهما بغيرهما؛ فالاستغفار يقال إذا استُعمل في الفزع إلى الله تعالى، وطلب الغفران منه. والتوبة تقال إذا اعتُبر بترك العبد ما لا يجوز فعله وفعل ما يجب، ولا يكون الإنسان طالباً في الحقيقة لغفران الله إلا بإتيان الواجبات، وترك المحظورات، ولا يكون تائبًا إلا إذا حصل على هذه الحالة، ويمكن أن يقال: الاستغفار مبدأ التوبة، والتوبة تمام الاستغفار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟

= ٣٩٢٩)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٧٧)، والطبراني في الأوسط (١٢٩٤)، وابن حبان (٢١٧)، والبزار كما في البحر الزخار رقم (٢١٧)، وابن خزيمة (٢٤٤٨).

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ ﴾[(١)] وأما استغفار الرسول ﷺ لهم فهو الدعاء لهم، وهو ضرب من الشفاعة في الدنيا[(٢)]، وعلى ذلك حثَّ تعالى بقوله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ ﴾[(٣)] والقصد بالآية لما قَتَل عمر ذلك المنافق، وكان ظاهره الإسلام ووقع شبهة على من لم يتصوَّر حاله، بيَّن تعالى جواز قتله بألطف حجة، دل عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾[(٤)]، وبيانه أن خصوصية الرسول عليه الصلاة والسلام طاعته فيما[(٥)] يحكم به، تنبيهًا أن [من][(٦)] لم يطعه لم يؤمن به، وهذا المقتول لم يطعه، فإذًا لم يؤمن به، ومن لم يؤمن برسوله من غير مانع فمستحقٌّ للقتل، فإذًا هذا المنافق

---

(١) سورة هود، الآية: ٩٠. قال العسكري: «الفرق بين الاستغفار والتوبة أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرها من الطاعة، والتوبة: الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة..» الفروق ص (٢٥٨).

(٢) قال الواحدي: «﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ سأل الله لهم أن يغفر لهم ما تقدم من تكذيبهم». الوسيط (٢/ ٧٤). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٧).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٥) في الأصل: [فيما لم يحكم به]، والصواب ما أثبتناه.

(٦) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

مستحق للقتل. إن قيل: لِمَ قال ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يقل: فاستغفرت؟ قيل: تنبيهًا على مقتضى فضيلة الرسالة، وأن بفضيلتها يستحق قبول شفاعته وموقع استغفاره[1].

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2]. المشاجرة: المنازعة، وأصله من اختلاط الأشجار، وشَجَر بيته رفعه بالشجر، والشِّجار اسم ما يرفع به من الشجر. ومصدر شَاجَره أي نازعه، والتشاجُر يكون بالأبدان بالحرب وباللسان في القول[3]. والحرج: الضيق، وأصله الحرجة الملتفة

---

(١) قال أبو حيان: «والتفت في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يجيء على ضمير الخطاب في ﴿جَآءُوكَ﴾ تفخيمًا لشأن الرسول، وتعظيمًا لاستغفاره، وتنبيهًا على شفاعة من اسمه الرسول من الله تعالى بمكان، وعلى أن هذا الوصف الشريف وهو إرسال الله إياه موجب لطاعته. . .» البحر المحيط (٣/ ٢٩٥). وانظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٣١)، وتفسير غريب القرآن (١٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٢٩)، وغريب القرآن ص (٢٨٥)، ومجمل اللغة ص (٣٩٩)، والمفردات ص (٤٤٦)، واللسان (٤/ ٣٩٦)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٢٩٠).

من الأشجار، وسأل عمر رضي الله عنه أعرابيًا عن الحرج، فقال: هو أن يلتف الشجر ويناشب فلا يصل إليه شيء، قال: فكذلك قلب الكافر محظور عليه الإيمان، ممتنع امتناع/ هذه الحرجة[1]. [٢٧٥/ ب]

وقوله: ﴿لَا﴾ في أول الكلام هو ردّ لزعمهم: أنا آمنا. فقال: لا، أي ما آمنوا[2]، ولفظة: لا، قد ينفى به الفعل الماضي إذا لم يذكر معه الفعل، كقوله: أخرجت؟ فتقول: لا، ويجوز أن [يكون][3] نفيًا للثاني، لكن حذف معه الفعل اكتفاء بما ذكر من بعده[4]، وعلى الوجهين قول الشاعر:

لا وأبيـك أبنـت العـامـري   لا يدعي القوم أنّي أفِرُّ[5]

---

(١) ذكر ابن منظور هذا الخبر في اللسان (٢/ ٢٣٤)، ونسبه إلى ابن عباس بدلاً من عمر رضي الله عنهما. وانظر: معاني الحرج في: العين (٣/ ٧٦)، ومجاز القرآن (١/ ١٣١)، وجامع البيان (٨/ ٥١٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٠)، ومجمل اللغة ص (١٦٦)، والمفردات ص (٢٢٦، ٢٢٧)، والقاموس ص (٢٣٤، ٢٣٥)، واللسان (٢/ ٢٣٣-٢٣٥)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٧).

(٢) قاله الطبري في جامع البيان (٨/ ٥١٨).

(٣) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: مغني اللبيب ص (٣٢٧-٣٣٠). وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٩٢).

(٥) البيت لامرئ القيس. قال البغدادي: «وهذا البيت مطلع قصيدة لامرئ=

والآية من تمام القصة المتقدّمة، وقول من قال: نزل في حاطب ابن أبي بلتعة[1] حيث اختصم مع الزبير بن العوّام[2] في سبب

= القيس على الصحيح». الخزانة (١١/ ٢٢٤). وهو في ديوان امرئ القيس بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص (١٥٤)، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين (١/ ١١٢)، وفي ديوان امرئ القيس برواية الأعلم ص (٣٠٠) بزيادة فاء في مطلعه [فلا وأبيك]، والمحتسب (٢/ ٢٧٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (١/ ١٠)، وخزانة الأدب (١١/ ٢٢١)، وضرائر الشعر لابن عصفور ص (١٣٢).

(١) **حاطب** بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد، شهد بدرًا، وكان بنوه وإخوته بمكة، فكتب لكبار قريش كتابًا، يخبرهم فيه بعزم رسول الله ﷺ على فتح مكة ليكون له يدٌ عندهم، فأعلم الله نبيَّه ﷺ خبره، فعفا عنه لشهوده بدرًا، مات سنة ٣٠هـ، وله خمس وستون سنة. انظر: الاستيعاب (٤٧٢)، وأسد الغابة (١/ ١٠)، والإصابة (٢/ ٤).

(٢) **الزبير** بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعُزّى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبدالله، حواري رسول ﷺ وابن عمته، أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل: ثمان سنين، وكان من المعذَّبين في الله، قتل رحمه الله بعد أن رجع عن قتال علي بن أبي طالب يوم الجمل، وكان قتله في جمادي الأولى سنة ٣٦هـ وله ست أو سبع وستون سنة، قتله رجل من بني تميم يقال له عمرو بن جرموز. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤١)، والتقريب ص (٢١٤)، والإصابة (٢/ ٤٥٧).

الماء[1] إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فحكم للزبير، فسخط حاطب[2]، فإنه يجوز أن شأن نزوله هذه الحال، ويجوز

---

(١) سبب الماء: مسيل الماء. وهو المعروف بشراج الحرّة. انظر فتح الباري (٥/ ٤٣، ٤٤).

(٢) اتفقت الروايات التي أوردت هذه القصة أن الزبير خاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرًا، واختلفت الروايات في تعيين الرجل الذي خاصم الزبير، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أنه وقع في بعض الروايات أن اسمه حميد، قال: وليس في البدريين من الأنصار من اسمه حميد، قال: وحكى ابن بشكوال في مبهماته عن شيخه أنه ثابت بن قيس بن شماس، قال: ولم يأت على ذلك بشاهد، وليس ثابت بدريًّا، وحكى الواحدي أنه ثعلبة بن حاطب الأنصاري الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ ولم يذكر مستنده، وليس بدريًّا أيضاً. . وحكى الواحدي أيضاً وشيخه الثعلبي والمهدوي أنه حاطب بن أبي بلتعة، وتُعقِّب بأن حاطباً وإن كان بدريًّا لكنه من المهاجرين، لكن مستند ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن عبدالعزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية. قال: «نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة، اختصما في ماء. الحديث. وإسناده قوي مع إرساله. فإن كان سعيد بن المسيب سمعه من الزبير فيكون موصولاً، وعلى هذا فيؤول قوله: من الأنصار على إرادة المعنى الأعم. . .» فتح الباري (٥/ ٤٣، ٤٤). والقصة رواها ابن جرير الطبري في جامع البيان(٨/ ٥١٩-٥٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم=

أن يكون قد نزل فيهما، وبيّن تعالى أن التوقُّف في إلزام حكمك فيما وقع بينهم من المشاجرة هو مخرج لهم عن الإيمان، وإنما يكون حصول الإيمان الحقيقي بعد أن لا يروا ضيق صدر في جميع ما تحكم به، ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾: أي يسلمون ظواهرهم وبواطنهم[1]، والتسليم منّا هو الإسلام المأمور به في قوله: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2]، وهو

= (٣/ ٩٩٣، ٩٩٤)، والبخاري في كتاب الشرب والمساقاة، باب «شرب الأعلى مثل الأسفل» رقم (٢٣٦١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب «وجوب اتباعه ﷺ» رقم (٢٣٥٧)، وأبو داود في كتاب الأقضية، باب «في القضاء» رقم (٣٦٣٧)، والترمذي في كتاب الأحكام، باب «ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء» رقم (١٣٦٣) وقال: حديث حسن. والنسائي (٨/ ٢٣٨)، وابن ماجه في كتاب الرهون، باب «الشرب من الأودية ومقدار حبس الماء» رقم (٢٤٨٠). وأخرجه أحمد (٤/ ٤)، وعبد بن حميد (٥١٩)، وابن الجارود (١٠٢١)، وابن حبان (٢٤)، والبغوي (٢١٩٤)، والبيهقي (٦/ ١٥٣)، (١٠/ ١٠٦).

(١) قال النسفي: أي: وينقادوا لقضائك انقيادًا. وحقيقته: سلم نفسه له وأسلمها، أي: جعلها سالمة له. أي خالصة. و ﴿تَسْلِيمًا﴾ مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره، كأنه قيل: وينقادوا لحكمك انقيادًا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم. والمعنى: لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك. مدارك التنزيل (١/ ٣٧١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

المسئول في قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[2]. نبّه تعالى على عقيدتهم ووهن إيمانهم، وأن المؤمن في الحقيقة من يسلِّم تسليمًا كما تقدّم ذكره، وبين أن هؤلاء [لم يؤمنوا][3] بعد، بحيث لو أوجب عليهم قتل أنفسهم أو الإخلال بدورهم لكان أكثرهم ممتنعين، ثم أخبر أنهم لو قبلوا الموعظة لكان ذلك خيرًا لهم وأشدّ تثبيتًا[4]، أي أشد لتحصيل عملهم ونفي جهلهم، وقيل: أثبت لأعمالهم واجتناء ثمرة فعالهم[5]، وأن يكونوا بخلاف من قيل فيهم: ﴿وَقَدِمْنَا

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والسياق يقتضيه.

(٤) نقل أبو حيان هذه العبارة عن الراغب في البحر المحيط (٣/ ٢٩٨).

(٥) أكثر المفسرين على أن التثبيت في الآية هو التصديق واليقين. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٢٩)، والوسيط (٢/ ٧٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٥)، وزاد المسير (٢/ ١٢٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٦٩)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧١)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٥).

﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1] ورُوِيَ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قالوا: لو أن ربنا تعالى فعل لفعلنا، فالحمد لله الذي عافانا فعرف رسول الله ﷺ أن ذلك منهم حقٌّ [فقال][2]: «والذي نفس محمد بيده للإيمان أثبت في[3]/ [٢٧٦/أ] قلوب المؤمنين من الجبال الرواسي»[4]، ورُوِيَ أنه أشار إلى عبدالله بن رواحة[5]، وقال: «إنه من القليل»[6]، ورُوِيَ أنه

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) تكرر حرف (في) في الأصل.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٢٦) بسنده عن أبي إسحاق السبيعي مرسلًا. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٩٥) عن الحسن مرسلًا. وانظر: العجاب (٢/ ٩١١)، والدر المنثور (٢/ ٣٢٤).

(٥) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن الخزرجي الأنصاري الشاعر الفارس المشهور، كان أحد النقباء ليلة العقبة وكان يكتب للنبي ﷺ، وهو الذي جاء ببشارة وقعة بدر إلى المدينة، شهد بدرًا وما بعدها حتى استشهد بمؤتة. انظر: الإصابة (٤/ ٧٢)، وتقريب التهذيب ص (٣٠٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٩٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال: «إن ثابت بن قيس[1] من القليل الذي استثنى الله تعالى»[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[3]. بيّن أنهم لو قبلوا الموعظة لجمع لهم بين خير الدنيا والآخرة، وذلك هو المعني بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾[4] والصراط المستقيم الذي وعدهم هو الذي حرّضَ على سؤاله في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[5]. وإنما قال: ﴿ مِّن لَّدُنَّآ ﴾ لأنه تعالى لا يكاد ينسب إلى نفسه من النعم إلا ما كان أجلَّها قدرًا وأعظمها خطرًا، نحو: وروحنا.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك الخزرجي الأنصاري، خطيب الأنصار، من كبار الصحابة، شهد أحدًا وما بعدها، بشره النبي ﷺ بالجنة، وقتل يوم اليمامة شهيدًا. انظر: الإصابة (١/ ٥١١)، والتقريب ص (١٣٣).

(٢) ذكره ابن حجر في العجاب (٢/ ٩١٢)، وعزاه لمقاتل. وهو في تفسيره (١/ ٢٥٠).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

رَفِيقًا ﴾[1]. أصل الرفق: التفكُّر في الأمر والتثبُّت، ويضاده الخرق، وقيل ذلك للمعاونة، ومنه المِرفق والمَرفق[2]، والرفقة للجماعة المعاونة في السفر، والرفيق كالصديق، ويقالان للواحد والجمع[3]، والفرق بين الرسول والنبيّ أن الرسول أخصّ، فكل رسول نبيٌ وليس كلُّ نبيٍ رسولاً، فإنّ الرسول يختص بمن جعله واسطة بينه وبين عباده لتبيين أحكامٍ بوحيٍ مسموع عن مَلَكٍ، والنبيّ قد يقال لمن يجدد على الناس شريعة من تقدمّه وإن كان يوحى إليه بإلهام أو منام وأخصّ من الرسول أولو العزم من الرسل[4]، وقد تقدّم ذكر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) قال ابن منظور: «والرفقُ، والمِرْفَقُ، والمَرْفِقُ، والمَرْفَقُ: ما استعين به. وقال الجوهري: والمِرْفقُ، والمَرْفِقُ: موصِلُ الذراع في العضد». لسان العرب (١٠/ ١١٨، ١١٩).

(٣) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (١٠١، ١٠٢)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٠٩-١١٣)، والصحاح (٤/ ١٤٨٢)، والفروق ص (٢١٥).

(٤) انظر: الزاهر (١/ ٣٤-٣٦)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٢٩١-٢٩٣)، والفروق لأبي هلال ص (٣١٩)، والكليات لأبي البقاء ص (٩٠٠). وأولو العزم من الرسل خمسة ذكرهم الله عز وجل على انفرادهم في موضعين من كتابه؛ في سورة الأحزاب الآية (٧)، وسورة الشورى الآية (١٣) وقد جمعهم الناظم في قوله:

أولو العزم نوحٌ والخليل الممجَّد ... وموسى وعيسى والنبيّ محمد

انظر: محاسن التأويل (٩/ ٥٣٦٩)، وأعلام السنة للحكمي ص (١٠٥).

ذلك[1]، وقد قسّم الله تعالى المؤمنين في هذه الآية أربعة أقسام، وجعل لهم أربعة منازل، بعضها دون بعض، وحثّ كافة الناس أن لا يتأخروا عن منزل واحد منهم؛ **الأوّل: هم الأنبياء**: الذين تمدهم قوة إلاهية، ومثلهم كمن يرى الشيء عيانًا من قريب، ولذلك قال تعالى في صفة نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[2]. **والثاني: الصديقون**: وهم الذين يتاخمون[3] الأنبياء في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عيانًا من بعيد، وإياه عنى أمير المؤمنين/ [٢٧٦/ب] حيث قيل: هل رأيت الله؟ فقال: ما كنت لأعبد شيئًا لم أره، ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان[4]. **والثالث: الشهداء**: وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين، ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب، كحال حارثة[5]، حيث قال: كأني

---

(١) انظر: تفسيره الراغب (ق ١٦٩ - مخطوط).

(٢) سورة النجم، الآية: ١٢.

(٣) يتاخمون: أصل المتاخمة: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود والمعنى هنا: يقاربون. انظر القاموس ص (١٣٩٩).

(٤) هذا قول محمد بن علي ابن الحسين، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٤/ ٢٨٢).

(٥) الحارث بن مالك الأنصاري لم يذكر مترجموه شيئًا عنه سوى هذا الحديث الذي أورد الراغب قطعة منه، وهو أن النبيّ ﷺ قال له: «كيف =

أرى عرش ربي[1]. وإياه قصد النبي ﷺ، حيث قال: «اعبد[2] الله كأنك تراه»[3]. والرابع: **الصالحون**: وهم الذين يعلمون الشيء بإقناعات وتقليدات للراسخين في العلم، ومثلهم كمن يرى

= أصبحت يا حارث؟» قال: أصبحت مؤمناً حقًّا. فقال: انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا. . .» الحديث. انظر: أسد الغابة رقم (٩٥٧)، والإصابة رقم (١/ ٦٨٩).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦، ٢٦٧) رقم (٣٣٦٧)، وابن أبي شيبة: في كتاب الإيمان ص (٤٣) وضعفه الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب ص (٤٣) هامش رقم (١٠٥).

(٢) في الأصل «اعبدوا» بواو الجماعة والمحفوظ الإفراد.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان رقم (٥٠). ومسلم في كتاب الإيمان، باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان» رقم (١)، وأبو داود في كتاب السنة، باب «في القدر» رقم (٤٦٩٥). والترمذي في كتاب الإيمان، باب «ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام» رقم (٢٦١٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في كتاب الإيمان، باب «نعت الإسلام» (٨/ ٩٧). وابن ماجه في المقدمة، باب «في الإيمان» رقم (٦٣)، وأخرجه أحمد (١/ ٢٧ - ٢٨)، والطيالسي رقم (٢)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٤، ٤٥)، وابن حبان رقم (١٦٨، ١٧٣)، وابن خزيمة رقم (١، ٢٥٠٤)، والبغوي رقم (٢)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٩٧٣).

الشيء من بعيد في مرآة، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: **«اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[1]، أي كن من الشهداء بما تكتسبه من العلم والعمل الصالح، فإن لم تكن منهم فكن من الصالحين، وتقدير الآية على وجهين: **أحدهما**: من أطاع الله ورسوله منكم ألحقه الله بالذين يقدمهم ممن أنعم عليهم من الفرق الأربع في المنزلة والثواب، النبي بالنبي والصّدّيق بالصديق، والشّهيد بالشّهيد والصّالح [بالصّالح][2]. **والثاني**: أن قوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ إشارة إلى الملأ الأعلى، ثم قال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ويبين ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام في حين الموت: **«اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى»**[3]، وهذا

---

(١) تقدم تخريجه في الهامش السابق. وقد نقل أبو حيان كلام الراغب بتمامه في تقسيم المؤمنين إلى أربعة أقسام ثم قال بعد أن ذكره: «وهو شبيه بكلام المتصوفة» البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) رواه البخاري في الرقى، باب «تمني المريض الموت» رقم (٥٦٧٤). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٤٤). ومالك في الموطأ في كتاب الجنائز، باب «جامع الجنائز» (١/ ٢٠٦)، رقم (٤٦). وأحمد في المسند (٦/ ٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٠٨).

ظاهر[1]، وهذه الآية كأنها مردودة إلى ما تقدّم من قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[2] فلما تمّم القصة بيّن ما لمطيعهم من الثواب بهذه الآية، ورُوِي أن رجلًا من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ كئيبًا، فقال: يا رسول الله نحن نغدو[3] عليك ونروح ننظر في وجهك ونجالسك، وغدًا ترفع إلى النبيين فلا نصل إليك. فسكت النبي ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام بهذه الآية[4].

---

(١) اعترض أبو حيان على ما ذكره الراغب في الوجه الثاني حيث قال بعد أن أورد كلام الراغب: «وهذا الوجه الذي هو عنده ظاهر فاسد من جهة المعنى ومن جهة النحو، أما من جهة المعنى، فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ، أخبر الله تعالى أن من يطيعه ويطيع رسوله فهو مع من ذكر. ولو كان ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ معلقًا بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ لكان قوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ تفسيرًا لـ ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ﴾، فيلزم أن يكون في زمان الرسول أو بعده أنبياء يطيعونه، وهذا غير ممكن، لأنه قد أخبر تعالى أن محمدًا هو خاتم النبيين. وقال هو ﷺ: «لا نبيّ بعدي». وأما من جهة النحو: «فما قبل فاء الجزاء لا يعمل فيما بعدها...» البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) في الأصل: (نغتدوا) وهو تصحيف، والصواب ما أثبتّه.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٣٤)، وبنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن ا لعظيم (٣/ ٩٩٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٧٧)، وأسباب النزول ص (١٦٥، ١٦٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٧)، والعجاب (٢/ ٩١٢).

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[1].

لما كانت نعم الله تعالى ضربين: دنيويًّا ولا يصل إلينا من الله إلا بواسطة، أو وسائط كالمال والجاه وغير ذلك. وأخرويًّا يصل إلينا لا بواسطة، بين الله تعالى أن ذلك الفضل الذي ذكره بقوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[2] هو من الله على الإطلاق، فنُسِبَ إلى نفسه تفخيمًا لأمره، كما قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3]،/ وقوله: [277/أ] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[4] ونحو ذلك، فخبر الابتداء على هذا هو ﴿مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾، ويجوز أن يكون مبتدأ، و ﴿ٱلْفَضْلُ﴾ خبره، كقولك: ذاك هو الرجل، وهذا هو المال، تنبيهًا على كماله، فإن الشيء إذا عظم أمره يوصف باسم جنسه، كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ﴾[5]، ويكون قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ في موضع الحال، أو خبر ابتداء مضمر[6]، ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ

---

(1) سورة النساء، الآية: ٧٠.

(2) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(3) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(4) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(5) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(6) الوجه الأول وهو كون (من الله) الخبر هو قول النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٧٠)، وأجاز أبو البقاء الوجهين، انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٩٣).

﴿بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ تنبيهًا أنه هو أعرف بمقادير الفضل، وقد حكم بأن الفضل المعتد به هو ذاك.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾[1]. حذركم: قيل: معناه أسلحتكم[2]، وقيل: معناه احذروا[3]، والثبة للجماعة المنفردة[4]، قال الشاعر:

وقد أغدو على ثبةٍ كرام[5] ....

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٢) وهو قول ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٣٦) وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٥٠٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٧٩)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٤٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٢٩).

(٣) وهو قول الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٧٤). وذكره الماوردي في النكت (١/ ٥٠٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٢٩)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٢٧٣)، والنسفي في مدارك التنزيل (١/ ٣٧٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٠٢)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٧).

(٤) قال أبو عبيدة: ومعنى (ثبات): جماعات متفرقة. مجاز القرآن (١/ ١٣٢). وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٣٦، ٥٣٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٥)، وغريب القرآن ص (١٧٠)، وعمدة الحفاظ (١/ ٣١٤).

(٥) هذا صدر بيت من بحر الوافر لزهير بن أبي سلمى، وتمامه:

وقد أغدو على ثبة كرام نشاوى واجدين لمن نشاء

وهو في ديوانه ص (٧٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وجامع البيان (٨/ =

ومنه ثبت على فلان إذا ذكرت متفرق محاسنه، وتصغر ثُبة على ثُبَيَّة، وتجمع على ثُبات وثُبين، وأما ثُبة الحوض فوسطه الذي يثوب إليه الماء[1]. وأصل النفر: الانزعاج، وذلك على ضربين: انزعاج عن الشيء، وانزعاج إليه[2]، وعلى ذلك الفزع: فزع عن الشيء، وفزع إليه[3]، قال:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم[4] ....

والنفر: للجماعة الذين ينفرون إلى حرب[5]، والمنافرة في

= ٥٣٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٥)، والمفردات ص (١٧٢).

(١) عبارات الراغب هنا في شرح الثبة تكاد تكون مطابقة لعباراته في المفردات ص (١٧٢)، وانظر: لسان العرب (١٤/ ١٠٧، ١٠٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٩، ٢١٠)، والمفردات ص (٨١٧)، وعباراته فيه قريبة من عباراته هنا.

(٣) انظر: الصحاح (٣/ ١٢٥٨).

(٤) هذا صدر بيت من بحر الطويل لزهير بن أبي سلمى وتمامه:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم   طوال الرماح لاضعاف ولا عزل

من قصيدة مطلعها:

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو   وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

انظر: ديوانه ص (٩٦) و (١٠٢).

(٥) قال العسكري: «النفر: الجماعة نحو العشرة من الرجال خاصة، ينفرون لقتال وما أشبهه. . ثم كثر حتى سموا نفرا وإن لم ينفروا» الفروق ص (٣٠٧).

الحكم أصله أن يتحاكم اثنان أيّهما أفضل نفرًا[١]، قال ابن عباس: هذه الآية نسخها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾[٢] وإنما عنى بذلك التخصيص والتنبيه أن ليس يلزم النفر جماعتهم، ونحو ذلك قوله: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[٣] الآية، أنها في الحرب وفي الحقيقة فيها وفي المبادرة إلى جميع ثواب الله.

وقوله: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ نحو ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[٥]، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾[٦]، ونحو قوله: ﴿فَٱنفِرُوا۟﴾[٧]، ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

---

(١) في العين: «والمنافرة: المحاكمة إلى من يقضي من خصومه أو مفاخره.. وكأنما جاءت المنافرة في بدء ما استعملت أنهم كانوا يسألون الحاكم: أينا أعزُّ نفرًا» العين (٨/ ٢٦٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢. وانظر قول ابن عباس في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٨)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠٢).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٧) سورة النساء، الآية: ٧١.

عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، وفي قوله: ﴿ثُبَاتٍ﴾ أو ﴿جَمِيعًا﴾ تنبيه أنه لا يجب أن يعتبر طالب الحق كثرة مصاحبيه وقلتهم، نحو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ۝ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ/ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3]. البطء والريث والأناة والثبات واللبث تتقارب، ولكن الثبات يقتضي الزوال، ويقالان متعديين عن بطء تقول يُبطئن أي يثبط غيره، وقيل: يكثر هو التثبيط في نفسه[4]، بيّن تعالى أن قومًا بعد فيكم ومنكم أي يتأخرون عن الحرب أو يؤخرون غيرهم، فإن أصابكم جهد وبلاء من الدنيا يُسرّون بتأخرهم عنكم، ويريدون أن ذلك نعمة نالتهم، تنبيهًا أنهم لا يعدون النعمة إلا من أعراض الدنيا، ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ﴾

[٢٧٧/ ب]

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

(٤) انظر: أفعال ابن القوطية ص (١٢٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٥)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣٨، ٢٦٧)، و (١٥/ ٩٢، ١٢٥، ٥٥٣)، والمفردات ص (١٣٢).

أي غنيمة وظفر يتحسرون على تأخرهم عنكم ويحسدونكم على الفضل الذي أوتيتم[1]، وفي قوله: ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ أقوال: **الأول**: أن يكون حكاية عنهم، أي ليقولن لمن يثبطكم: كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة، حيث لم يستعينوا بكم، ثم يقولون: ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ ﴾ فيكون القول الأول منهم إثارة للشر. والقول الثاني منهم إظهارًا للحسد[2]. **والثاني**: أن ذلك اعتراض متعلق بالجملة الأولى، وتقديره يقولون: قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدًا، كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة، فأخّر ذلك[3]، وذلك مستقبح في العربية،

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣٨، ٥٤٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٧٦)، والوسيط (٢/ ٧٩، ٨٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧).

(٢) هذا قول عامة المفسرين. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٣٨-٥٤٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٩، ١٠٠٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٧)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٧٣، ١٧٤)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٠، ٢٠١).

(٣) وهذا رأي الزجاج. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٦)، وجوّزه النحاس في معاني القرآن (٢/ ١٣٣)، وانظر: مشكل إعراب القرآن ص (٢٠٢)، وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ١٩٣).

فإنه لا يفصل بين بعض الجملة التي دخل في إثباتها[1] ، وتقديره : يقول : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا كأن لم تكن[2] ، أي قولهم ذلك قول من ليس بينكم وبينهم مواصلة دينية ، وذلك تنبيه على ضعف عقيدتهم ، وسوء نيتهم ، وقيل في قوله : ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ مِنَّةٌ منه على قومه من المنافقين[3] ، إذ يثبطهم عن الخروج ، وإنه قد ظهر ثمرة نصيحته في قوله : ﴿يَـٰلَيْتَنِى﴾ إيهام للذين قالوا لهم : إن ذلك كان بإيثار الرسول لمن أخرجهم من دونه ، وفي الآيتين تنبيه أن عامة الناس لا يعدّون إلا أعراض الدنيا ، فيفرحون بما ينالهم منها ، ولا من المحن إلا مصائبها ، فيتألمون بما يصيبهم منها ، وذلك قوله : ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾[4] الآية .

---

(١) قال أبو حيان : «قال الراغب : «وذلك مستقبح ، فإنه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بجملة أخرى» . البحر المحيط (٣/ ٣٠٤) .
وقال البيضاوي : «وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف ، إذ لا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظًا» أنوار التنزيل (٢/ ٢٢٤) .

(٢) قال أبو حيان : «ولو تأخّرت جملة الاعتراض لم يحسن ، لكونها ليست فاصلة ، والتقدير : ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيماً ، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة» البحر المحيط (٣/ ٣٠٥) .

(٣) لم أجد من أشار إلى هذا القول .

(٤) سورة الفجر ، الآية : ١٥ .

قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ/ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]. الذين يشرون: أي يبيعون[2] وهو المعني [٢٧٨/أ]

بقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ ﴾[3] وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ هو فاعل ﴿ يُقَٰتِلْ ﴾، والمفعول محذوف[4]، وقيل قوله: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ ﴾ أمر لمن يُبطّىء وهم الذين يشرون، ومعناه يشترون، فحثوا على ترك ما حكي عنهم في الآية المتقدمة، وأن يجاهدوا في سبيل الله[5]، فإن قيل:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٤.

(٢) في الأصل (يبتغون) وهو تصحيف، وانظر: مجمل اللغة ص (٤٠٤)، والمفردات ص (٤٥٣).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٤٥٠)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٧٧).

(٥) قال ابن عطية: و (يشرون) معناه: يبيعون في هذا الموضع، وإن جاء في مواضع: يشترون، فالمعنى هٰهنا يدلُّ على أنه بمعنى: يبيعون. المحرر الوجيز (٤/ ١٧٥). وقال النيسابوري: «(يشرون) ومعناه: يشترون أو يبيعون، وعلى الأول فهم المنافقون المبطئون، وغطوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق، ويجاهدوا حق الجهاد، ولا يختاروا الدنيا على المعاد، وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا الدنيا لأجل الآخرة». تفسير غرائب=

لِمَ لَمْ يقتصر على قوله: ﴿ وَمَن يُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بل عقبه بقوله: ﴿ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾[1]؟ قيل: تنبيهًا أن من تحرّى القتال سواء قَتل أو قُتل، غَلب أو غُلب فقد وقع أجره على الله، وتقدير الكلام: يقتل أو يُقتل أو يغلِب، لئلا يتوهم السامع أن التزام الغلبة والبَراح من المعركة في كل حال سائغ، ألا ترى أنه قد عظم التولي عن القتال بقوله: ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾[2] الآية، ومنهم من جعل المقاتلة في سبيله مجاهدة للنفس، نحو ما رُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام: «جاهدوا أهواءكم»[3]، وجعل سبيل الله هو المذكور في قوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[4]، والأجر العظيم ثواب الآخرة، ووصفه بالعظيم اعتبارًا بعرض الدنيا، كما وصف الثمن بالقليل.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ

= القرآن (٢/ ٤٤٧)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٧).

(١) سورة النساء، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٣) ورد هذا من كلام ميمون بن مهران، انظر الرسالة ص (٨٨٨).

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1].

قال ابن عباس: القرية الظالم أهلها: مكة[2]. وقال: كنت من الولدان، وإني كنت من المستضعفين فيها[3]، فإن قيل: ما الفرق بين المولى والنصير؟ قيل: المولى هو الذي يتولى حفظ الشيء في كل حال، والنصير هو الذي ينصره إذا حزبه أمر[4]، فكان الولي هو النصير في كل حال، والنصير هو المولى في حال دون حال[5]، ومن هذا الوجه قال بعض المفسرين: أريد بالولي النبي وبالنصير الملائكة، وقال بعضهم: جعل الله وليَّهم النبي عليه الصلاة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٥.

(٢) قال الماوردي: «هي مكة في قول جميع المفسرين، لما كانوا عليه، كما أخبر الله به عنهم من استضعاف الرجال والنساء والولدان وإفتانهم عن دينهم بالعذاب والأذى». النكت والعيون (١/ ٥٠٦)، وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٤٣، ٥٤٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٢)، والوسيط (٢/ ٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٠٢) قال: وروي عن عطاء نحو ذلك. ورواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ رقم (٤٥٨٧) بلفظ: كنت أنا وأمي من المستضعفين. وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٧٩)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧).

(٤) تصحفت في الأصل إلى (أمن) والصواب ما أثبته.

(٥) هكذا فرّق بينهما أبو هلال في الفروق ص (٢٠٨).

والسلام،/ ونصيرهم التابع الذي ولاّه[1] عليهم[2]، ونبّه بعطف [٢٧٨/ ب] المستضعفين على أن الحماية عليهم هو المقاتلة في سبيل الله، وأنّ نصرتهم نصرته تعالى[3]، وعطف قوله: ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ على الله تعالى تعظيمًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[4]، فعطف ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ على لفظ ﴿ٱللَّهِ﴾ تعظيمًا لأمره.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[5]. المقاتل في سبيل الله يتناول المحارب بالسيف والمدافع عن الدين بالقول[6]، والمنازع لهوى النفس ولوساوس الشيطان[7]،

---

(١) في الأصل (ولاّهم) والصواب ما أثبته.

(٢) القول الثاني هو قول كافة المفسرين، ولم أجد من فسّر النصير بالملائكة.
انظر: بحر العلوم (١/ ٣٦٨)، والوسيط (٢/ ٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٠)، والكشاف (١/ ٥٣٤)، وزاد المسير (٢/ ١٣٣)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧٤، ٣٧٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٤٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٥).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٧)، والدر المصون (٤/ ٣٧).

(٤) سورة النساء، الآية: ١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٦) في الأصل: يتناول المحارب والمدافع بالسيف عن الدين بالقول.

(٧) اقتصر المفسرون على أن معنى القتال في الآية هو القتال الحقيقي لأعداء الله، =

وقد تقدّم أن الطاغوت عام في كل [ما شغل][1] عن الله، والمراد به وبالشيطان واحد، ونبّه أن من قاتل في سبيل الله فهو وليّه. ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو ولي الشيطان، ونبه بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ على ضعف أوليائه، ووصف كيده بالضعف إذ لا بطش له، وإنما سلطانه بيّن باطل[2]، ولضعفه في الحقيقة قال تعالى حاكيًا عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[3] الآية.

قال بعض المفسرين: وصف كيد الشيطان بالضعف عند مقاتلة الإنسان في سبيل الله، فكأنه قيل: إن كيد الشيطان كان ضعيفًا على

= ولم أجد من أشار إلى ما ذكره الراغب. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٤٦، ٥٤٧)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨٠)، البحر المحيط (٣/ ٣٠٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٩٧).

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل والسياق يقتضيه. وقد نصَّ عليه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ في الآية رقم (٦٠)، من هذه السورة، حيث قال: «هو اسم لكل ما شغل عن الله». انظر: ص (٦١٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٤٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٤٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٣).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

من يقاتل في سبيل الله[(١)]، وقال بعضهم: وصف كيد الشيطان بالضعف لضعف نصرة أوليائه بالإضافة إلى نصرة الله المؤمنين[(٢)]، وقال بعضهم: الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت هم الذين ينكرون ما تدعو إليه الحُجَج.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[(٣)].

رُوِيَ أن قومًا استأذنوا النبي ﷺ في قتال المشركين قبل أن فرض عليهم القتال، / [٢٧٩/أ] فلم يأذن الرسول عليه الصلاة والسلام، فلما فرض ذلك عليهم وهم بالمدينة صعُب على قوم منهم ذلك،

(١) كما قال البغوي معالم التنزيل: «﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ كما فعل يوم بدر لمّا رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فخاف وهرب». معالم التنزيل (٢/ ٢٥٠).
وانظر: بحر العلوم (١/ ٣٦٩)، وزاد المسير (٢/ ١٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨٠).

(٢) أشار أبو حيان إلى هذا المعنى فقال: «﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾ وهنا محذوف، التقدير: فقاتلوا أولياء الشيطان، فإنكم تغلبونهم لقوتكم بالله، ثم علل هذا المحذوف وهو غلبتكم إياهم بأن كيد الشيطان ضعيف، فلا يقاوم نصر الله وتأييده...» البحر المحيط (٣/ ٣٠٨).

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٧.

فقالوا: ﴿ لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[1] أي هلَّا[2]؟ وهذا يجوز أن يكون قد تفوَّهوا[3] به، ويجوز أنهم اعتقدوه: وقالوه في أنفسهم، فحكى الله تعالى عنهم تنبيهًا أنهم لما استصعبوا ذلك[4] دلّ على استصعابهم أنهم غير واثقين بأحوالهم ولا مقدمين لما يعتقدونه من حسن أعمالهم، ومن نحو هذا التمنّي حذّر في قوله: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5]، قال الحسن: هذا من صفة المؤمنين وما طُبِعَ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧. وانظر هذا الخبر في: جامع البيان (٨/ ٥٤٧، ٥٤٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٥)، وبحر العلوم (١/ ٣٦٩)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٧)، وقال: هو قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والسديّ، والوسيط (٢/ ٨١، ٨٢)، وأسباب النزول ص (١٦٦، ١٦٧)، وزاد المسير (٢/ ١٣٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٠٨)، والعجاب (٢/ ٩١٧، ٩١٨).

(٢) لولا تكون للإقناع، وتكون للتحضيض، والأخير هو المراد بها في الآية، وتكون حينئذٍ بمعنى (هلّا). انظر: حروف المعاني (٣-٥)، ومعاني الحروف ص (١٢٣). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٠).

(٣) في الأصل (بنوا به) والتصويب من البحر المحيط الذي نقل كلام الراغب.

(٤) نقل أبو حيان هذا الكلام، ونسبه للراغب. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٠).

(٥) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

عليه البشر من المخافة لا على إظهار العصيان وكراهة الحق[1]، وقال غيره: بل هو من صفة المنافقين، الحُرَّاص على البقاء في الدنيا[2]، وبيّن أنهم يخشون القتل منهم كخشية الموت من الله، وفيه تنبيه على جبنهم، وأنهم يخشون جيشهم الذين هم أمثالهم، وذلك نهاية الخوف، وعلى هذا دلّ الشاعر في ذمِّ قومٍ وجبنهم حيث قال:

القوم أمثالكم لهم شعر ... في الرأس لا يُنشِرون إن قتلوا[3]

قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ٥٠٧)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٨٢)، والسمعاني دون عزو (١/ ٤٤٨، ٤٤٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٥١) دون عزو، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٣٤، ١٣٥) دون عزو، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨١).

(٢) انظر: المصادر السابقة، وقال أبو حيان: «الظاهر أن القائلين هذا هم منافقون، لأن الله تعالى إذا أمر بشيء لا يسأل عن علته من هو خالص الإيمان، ولهذا جاء السياق بعده: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨]، وهذا لا يصدر إلا من منافق» البحر المحيط (٣/ ٣١٠).

(٣) البيت للشاعر الشدّاخ بن يعمر الكناني. انظر: الحماسة (١/ ١١٣)، وشرح نهج البلاغة (٣/ ٢٦٣)، وشرح الحماسة للتبريزي (١/ ١٩١).

يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۞ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[١]. البروج: بيوت في قصور، وبها شُبِّه بروج السماء، وسُميت بها[٢]، والمُشيَّدة المبنيّة بالشِّيد[٣] والمزينة بها، ومن قال المشيدة المطولة فنظر منه إلى صفتها لا إلى حقيقة لفظها[٤]، وفقهت كذا أي علمته بالتفكُّر، ومنه سمّي الفقه[٥]، وقد حمل البروج في الآية على

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) قال في المفردات: البروج: القصور، الواحد برج، وبه سمّي بروج السماء لمنازلها المختصة بها... وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ يصحُّ أن يراد بها بروج في الأرض، وأن يراد بها بروج في النجم، ويكون استعار لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة». المفردات ص (١١٥)، وانظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٠).

(٣) الشيد: أي الجصّ. انظر المصباح المنير ص (١٢٦).

(٤) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٣٤).

(٥) انظر: العين (٣/ ٣٧٠)، والزاهر (١/ ١٠٩)، والصحاح (٦/ ٢٢٤٣).

القصور[1]، فيكون معناه كقول الأسود بن يعفر[2]:

ولو كنت في غُمران يحرسُ بَابَه . أَرَاجيلُ أُحبوشٌ وَأَسْوَدُ أَلِفُ/ [٢٨٠/ب]

إذًا لأتتني حيث كنت منيتي . يَخُبُّ به حَادٍ لإثري قَائف[3]

وحمل على بروج السماء، فيكون كقول زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقها . ولو نال أسباب السماء بسلَّم[4]

فعلى هذا وصف البروج بالمشيّدة على طريق التشبيه، ولاعتبار

---

(١) انظر: ما سبق في ص (٦٥١) هامش (١).

(٢) هو الأسود بن يعفر بن عبدالأسود بن جندل التميمي. ذكره ابن سلَّام في الطبقة الخامسة من الشعراء، وهو شاعر مقدَّم من شعراء الجاهلية ليس بمكثر. ترجمته في طبقات الشعراء ص (٦٢-٦٣)، والشعر والشعراء ص (٤٣)، والأغاني (١٣/ ١٤)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٣٨)، والخزانة (١/ ٤٠٥-٤٠٦)، والبيتان ليسا في ديوانه، وقد وهم الراغب في نسبتهما إليه.

(٣) هذان بيتان من بحر الطويل لثعلبة بن عمر العبدي من قصيدة له مطلعها:

لمن دِمنٌ كأنهنّ صحائف . قفار خلا منها الكثيب فواجف

انظر: اختيارات المفضل بشرح التبريزي (٣/ ١٢٣٠، ١٢٣١). وقال التبريزي: غُمْرَان: حصنٌ منيع وهو قصبة صنعاء، والأراجيل: الرجالة، والأحبوش: الحبش، والأسود: الحيّة، والإلف: الأنس، يخبُّ: يُسرع، والقائف: الذي يتبع الآثار ويعرفها.

(٤) هذا بيت من معلقة زهير، وهي من بحر الطويل، والبيت في ديوانه ص (٣٠)، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين (١/ ٢٨٧)، والبحر المحيط ص (٣٦١).

ذلك فُسِّرتْ بالمطوّلة[١]، والقصد بذلك إلى نحو ما قيل: والموت ختم في رقاب العباد، وإلى نحو معناه قصد بقوله: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[٣]، أي لا يفهمون ما يوعظون به، وقيل: عنى بالحديث الحادثة من صروف الزمان، والمعنى ما لهم لا يتدبرون ما يحدث حالاً فحالاً من صروف الزمن[٤]، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[٦] الآية. قد طعن في ذلك قوم من الملحدة، وزعموا أن الآيتين متناقضتان، قالوا: ويدل على تناقضهما على وهم مُوردها[٧] ونسيانه في الوقت

(١) وهو قول أبي مالك ومقاتل، وأبي عبيدة وابن قتيبة والزجاج. انظر: مجاز القرآن ص (١٣٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣١١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٥)، والفتوحات الإلهية (١/ ٤٠٣).

(٥) سورة غافر، الآية: ٨٢.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٧) هكذا في الأصل. والصواب حذف (على) الأولى.

ما قد سبق من كلامه، وإلا فأي ذي مسكة من العقل يقول: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ثم يقول منكرًا على ما قال ذلك ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] فيثبت ما قد نفاه، وينقض ما قد بناه، هذا من طعن الملحدة[2]، فأما أهل الشرع فقد[3] تعلق بالآية الأولى الفرقة التي لقبها المعتزلة بالجبر[4]، فقالوا: إن قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ عام يدل على أن الأفعال الظاهرة من العباد هي من الله، وتأولوا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ يقتضي أن لا ينسب فعل السيئة إلى الله تعالى بوجهٍ[5]، وجعلوا الحسنة والسيئة في الآية الأولى بمعنى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٤٨-٢٥١).

(٣) في الأصل (قد) والسياق يقتضي إضافة الفاء في أولها.

(٤) الجبر: هو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى، وهم أصناف، منهم من لا يثبت للعبد فعلًا ولا قدرة أصلًا، ومنهم من يثبت له قدرة غير مؤثرة، وأشهر فرقهم الجهمية. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفرق بين الفرق ص (١٩٤، ١٩٥)، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص (٦٨).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما السيئة: فهو إنما يخلقها بحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الربَّ لا يفعل سيئة قط، بل=

الخصْب والجدب والفقر والغنى[1]، فأما طعْن الملاحدة فظاهر الوهن، وذلك أن الحسنة والسيئة من الألفاظ المشتركة:

= فعله كله حسن وحسنات، وفعله كله خير.. فإنه لا يخلق شرًّا محضًا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شرٌّ كليّ أو شر مطلق، فالرب منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه. أما الشر الجزئي الإضافي فهو خير باعتبار حكمته، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط.. ثم قال: وهذا الموضع ضلّ فيه فريقان من الناس الخائضين في القدر بالباطل، فرقة كذبت بهذا وقالت: إنه لا يخلق أفعال العباد، ولا يشاء كلّ ما يكون، لأن الذنوب قبيحة، وهو لا يفعل القبيح، وإرادتها قبيحة، وهو لا يريد القبيح. وفرقة لما رأت أنه خالق هذا كله لم تؤمن أنه خلق هذا لحكمة»، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٦٦، ٢٦٧). وقال أيضاً: «والمقصود أن الحسنة مضافة إليه سبحانه من كل وجه، والسيئة مضافة إليه، لأنه خلقها كما خلق الحسنة، فلهذا قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثم إنه خلقها لحكمة، ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة، بل تضاف إلى النفس التي تفعل الشر بها لا لحكمة، فتستحق أن يضاف الشر والسيئة إليها» مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٥٧).

(١) انظر أقوال المفسرين في معنى الحسنة والسيئة في الآية في: جامع البيان (٨/ ٥٥٨، ٥٥٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٨، ٥٠٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٢/ ١٣٨، ١٣٩).

كالحيوان الذي يقع على الإنسان والفرس والحمار، أو من الأسماء المختلفة كالعين[1]، ولو أن قائلًا قال: الحيوان متكلم، والحيوان غير متكلم، وأراد بالأول الإنسان، وبالثاني الفرس والحمار /ـ لم يكن مناقضًا، وكذا إذا قيل: العين في الوجه، [٢٨٠/أ] والعين ليست في الوجه، وأراد بالأولى الجارحة، وبالثانية عين الميزان أو السحاب، فكذلك الآية إذا أريد بالحسنة والسيئة في الآية الثانية غير الذي أريد بهما في الآية الأولى[2]، وفي هذا قناعة لإبطال هزيل هذا المعترض، ثم إذا تُؤمِّل مورد الكلام، وسبب نزول الآية بان ألا تعلّق لأحد الفريقين بالآية على وجه يثلج صدرًا أو يزيل شكًّا، وسبب نزول ذلك أن قومًا أسلموا ذريعة إلى غنى ينالونه، وخصب يجدونه، وظفر يحصِّلونه، فكان إذا ناب أحدهم نائبة أو فاته محبوب، أو ناله مكروه أضاف سَيِّئه إلى النبي عليه الصلاة والسلام متطيرًا به، فقال تعالى: ﴿تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي خصب وسعة ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ

---

(١) انظر: المفردات ص (٢٣٥).

(٢) نقل أبو حيان كلام الراغب بتمامه في البحر المحيط (٣/ ٣١٤)، ونسبه إليه. ثم قال: «والذي اصطلح عليه الراغب بالمشتركة وبالمختلفة ليس اصطلاح الناس اليوم، لأن المشتركة هو عندهم كالعين، والمختلفة هي المتباينة، والراغب جعل الحيوان من الأسماء المشتركة، وهو موضوع للقدر المشترك، وجعل العين من الأسماء المختلفة وهو في الاصطلاح اليوم من المشترك» اهـ.

سَيِّئَةٌ﴾ أي جدب وفقر، لقالوا بك ونسبوها إليك[1]، الحسنة والسيئة هاهنا هما المذكورتان في قوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[2]، وفي قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾[3]، ونحو هذه الآية قوله في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[4]، وفي قوله

---

(١) قال ابن تيمية: وقد ظن طائفة أن في الآية إشكالاً أو تناقضاً في الظاهر، حيث قال: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾، ثم فرّق بين الحسنات والسيئات، فقال ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾، وهذا من قلة فهمهم وعدم تدبُّرهم الآية، وليس في الآية تناقض: لا في ظاهرها ولا في باطنها، ولا في لفظها ولا معناها، فإنه ذكر عن المنافقين والذين في قلوبهم مرض الناكصين عن الجهاد ما ذكره بقوله ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾ هذا يقولونه لرسول الله ﷺ أي بسبب ما أمرتنا به من دينك، والرجوع عما كنا عليه أصابتنا هذه السيئات.. فإنهم جعلوا ما يصيبهم من المصائب بسبب ما جاءهم به الرسول، فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾: هذا وهذا ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ لا من عند محمد...» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣١.

في صالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[1]، إن قيل: ما الفرق بين قولك: هذا من عند الله، وهذا من الله، حتى قال في الأول: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾[2]، وقال في الثاني: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾[3]؟ قيل: قد قال بعضهم: إن قوله هذا من عند الله أعم، فإنه قد يقال: فيما كان برضاه وبسخطه وفيما يحصل، وقد أمر به ونهى [عنه][4]، ولا يقال: هو من الله إلا ما كان برضاه وبأمره، وبهذا النظر قال عمر: إن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن الشيطان[5]، ثم ذكر تعالى ما يصيب الإنسان من ثواب وعقاب ومحابّ ومكاره، مما في سببه صنع بشر، فقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، وعنى بالنفس المذكورة هاهنا المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[6]، ومقتضى الآية كقوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٤) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها وقد ذكرها أبو حيان أثناء نقله لكلام الراغب.

(٥) ذكر أبو حيان كلام الراغب هذا بتمامه، ولكنه نسبه إلى بعض أهل العلم مع أنه ذكره بعد كلام الراغب السابق مباشرة. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٤).

(٦) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾[1]، وكقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[2]، / وعلى [هذا][3] فسَّر ابن عباس فقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾: يوم بدر ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: يوم حنين ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾[4]. [٢٨٠/ب]

إن قيل: كيف سمَّى العقاب سيئة، ومعلوم أنه في الحقيقة ليس بسيئة؟ قيل: إن ذلك كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[5] وقد تقدم مثل ذلك[6]، إن قيل: إذا كان معنى الآية الثانية على

---

(١) سورة النمل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٣) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٥٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٠٩)، والوسيط (٢/ ٨٣)، وزاد المسير (٢/ ١٣٨).

(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٦) قال ابن تيمية: «والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل.. وإذا كانت السيئات التي يعملها الإنسان، قد تكون من جزاء سيئات تقدّمت ـ وهي مضرّة ـ جاز أن يقال: هي مما أصابه من السيئات، وهي بذنوب تقدمت». مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٣٩، ٢٤٥).

ما ذكرت في أنه أريد به الثواب والعقاب فهلّا قال: ما أصابك من حسنة وسيئة فمن نفسك، إذا كان مقتضى ثوابه وعقابه فعل العبد؟ قيل: إنما نسب الله تعالى الحسنة إلى نفسه في الثواب، تنبيهًا أنه سبب الخيرات، ولولاه لما حصل بوجه، فإنه يكسبه للعبد بإرادة من الله وأمر وحثّ وتوفيقٍ، وأما السيئة وإن كانت بإرادة من الله عند قوم فليست بأمر منه ولا حث ولا توفيق، ومع ذلك أدّب بذكر ذلك عباده، ليراعوا فيما ينالهم نعمته عليهم، وينسبوا الحسنات إليه، ويعلموا أنه سبب كل خيرات، وأنه لولاه لما حصل منها شيء[1]، وعلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا»[2]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تخش إلا ذنبك، ولا ترج إلا ربّك»[3]، إن قيل: ما الفرق بين الحسن

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٥٩-٢٦٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب «القصد والمداومة على العمل» رقم (٦٤٦٣). ورواه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب «مثل المؤمن مثل النخلة» رقم (٢٨١١). وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٤، ٣١٩، ٣٤٤، ٤٨٢، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥١٤، ٥٢٤)، (٦/ ١٢٥).

(٣) ذكره البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٢٤) رقم (٩٧١٨) وعزاه إلى علي بن أبي طالب. ونسبه إلى علي بن أبي طالب كذلك الشيخ تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح في كتابه «مصائب الإنسان من مكائد=

والحسنة والحسنى، والسيىء والسيئة والسوءى؟ قيل: الحسن والحسنة يقالان في الأعيان والأحداث، ولكن الحسنة إذا استعملت اسمًا فمتعارف في الأحداث دون الأعيان[1]، والحسنى لا تقال إلا في الأحداث[2]، ومتى قيل: رجل سيِّىء فإنما يعني به المسيء[3]، إن قيل: كيف قُوبل الحسنة بالسيئة، وحقُّها أن تقابل بما يقتضي معنى المسرة كما قال: مساءة ومسرّة، وساءه وسرّه، ولا يقال في مقابلة ساء شيء من لفظ حسن؟ قيل: الحسن لفظ عام كما تقدم، والحسنة والحسنى المقابل بهما السيئة والسُّوءى مخصوصان في الأفعال ولما كان كل فعل حسن يسرّ صاحبه، وكلّ فعل قبيح يسوء صاحبه، صار القبح والسوء في الأفعال متلازمين فيصح أن يُقال: الحسنة بالسيئة. إن قيل: من المخاطب في قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾؟ قيل:

= الشيطان» ص (٤).

(١) وقد فرق بينهما العسكري في الفروق ص (٢٤٥) بأن الحسنة أخصّ من الحسن؛ فالحسنة «تدخل فيها الفروض والنوافل، ولا يدخل فيها المباح. وإن كان حسنًا».

(٢) انظر: المفردات ص (٢٣٥، ٢٣٦)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٦٧).

(٣) ذكر الأزهري أن السيىء والسيئة وصفان للأعمال قال: «والسيِّىء والسيئة عملان قبيحان، يصير السيّىء نعتًا للذكر من الأعمال، والسيئة للأنثى» تهذيب اللغة (١٣/ ١٣١).

قال بعضهم: هو خطاب للنبي ﷺ ومعناه للقوم/ الذين يبكتهم[1]، [٢٨١/أ] وفي هذا النوع من الخطاب ضرب من التعريض، ولأجل قصد التعريض في نحوه. قيل: إياك أعني واسمعي يا جارة[2].

ويدلّ على كونه خطابًا له قوله من بعده: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ وقيل: هو خطاب لكل إنسان، وذلك نحو قول القائل: أيها الإنسان وكلكم ذلك الإنسان[3]، وقال ابن بحر: هو خطاب للفريق المذكور في قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾[4] قال: ولما كان لفظ الفريق والحي والجند مفردًا [صحَّ][5] أن يخاطب

---

(١) انظر: الوسيط (٢/ ٤٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٢).

(٢) هذا مثل يُضرب لمن تكلّم بكلامٍ ويريد به شيئًا غيره. وأصله شطر من رجز لسهل بن مالك الفزاري، قاله يعرِّض به لخطبة امرأة نزل عندها ضيفًا، وتمامه:

يا أخت خير البدو والحضارة ... كيف ترين في فتى فزارة

أصبح يهوى حرّة معطارة ... إياك أعني واسمعي يا جارة

انظر: جمهرة الأمثال (١/ ٢٩)، ومجمع الأمثال (١/ ٤٩).

(٣) قال أبو حيان: «الخطاب عام، كأنه قيل: ما أصابك يا إنسان» البحر المحيط (٣/ ٣١٢).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٥) ساقطة من الأصل والاستدراك من البحر المحيط حيث نقل كلام ابن=

ويخبر عنه بلفظ الواحدة تارة وبلفظ الجمع تارة، كلفظ كل ونحوه من الألفاظ، وعلى هذا قول الشاعر:

تفرق أهلانا بُثَيْن فمنهم فريق أقام واستقلَّ[1] فريق[2]

وكل هذا كلام في مقتضى حكم اللفظ، فأما من حيث المعنى فالناس خاصهم وعامهم مراد بقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[3] إن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ بعد ذلك الكلام؟ قيل: لما كان قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ إنذارًا لهم، نبه بذلك أنه قد أزاح عللهم به، وأنهم متى عصوا فلا حجة لهم، إشارة إلى قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[5] أي يشهد تعالى ما يفعله

= بحر هذا.

(١) في الأصل «واسفل» والصواب ما أثبته.

(٢) هذا بيت من بحر الطويل لجميل بثينة، واسمه جميل بن معمر الجمحي، والبيت في ديوانه ص (٩٦) ط دار صادر. وديوانه ص (١٥١) بتحقيق: حسين نصّار. وانظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٣/ ٢٩٤). والبحر المحيط (٣/ ٣١٢)، والدر المصون (٤/ ٤٨) دون نسبة.

(٣) إلى هنا انتهى كلام ابن بحر وقد نقله بتمامه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣١٢، ٣١٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

ويفعلونه، ويشهد يوم القيامة، وكفى به مشاهدًا وشاهدًا[1].

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2]. نبّه بذلك على حجة ظاهرة في وجوب طاعـة نبيه، وبيانه أنه إذا كان طاعة الله واجبة، وطاعته لا تتم إلا بطاعته[3]، لأن عامة أوامره لا سبيل إلى الوقوف عليها إلا من جهته، وما لا يتم الواجب إلا به فواجب كوجوبه، اقتضى ذلك أن من أطاع رسول لله فقد أطاعه، فنبّه بذلك على مقابله، وهو أن من عصى رسوله فقد عصى الله، وكالأمر بطاعة الله ورسوله الأمر بالإيمان بهما في نحو قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

(١) قال ابن تيمية: «... لما قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، قال بعدها: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، فإنه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات والمعجزات، وإذا شهد الله له كفى به شهيدًا، ولم يضره جحد هؤلاء لرسالته بما ذكروه من الشبه التي هي عليهم لا لهم، بما أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة على إبطال رسالته.. والله تعالى قد شهد له أنه أرسله للناس رسولاً، فكان ختم الكلام بهذا إبطالاً لقولهم: إن المصائب من عند الرسول، ولهذا قال بعد هذا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤/ ٢٥٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٣) الضمير هنا يعود على النبيّ ﷺ.

وَرَسُولِهِۦ﴾[1]، فكذلك الأمر باستجابته في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]، ثم قال: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ حثًّا على إبلاغ ما ندب إليه من المأمور به في قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ / بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3] وتنبيهًا أن ليس يعود عليك مضرة ما يفعلونه في أنفسهم، المدلول عليه بقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[5]. [٢٨١/ب]

قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[6]، المعني بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ٨١. قال الطبري: «ونزلت هذه الآية فيما ذكر قبل أن يؤمر بالجهاد، ثم ساق بسنده عن ابن وهب قال: سألت ابن زيد عن قول الله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ قال: هذا أول ما بعثه. قال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ قال: ثم جاء بعد هذا بأمره بجهادهم والغلظة عليهم حتى يُسلموا» جامع البيان (٨/ ٥٦٢).

الذين يخشون الناس، وقد تقدّم أن ذلك قيل من صفة المنافقين، وقيل من صفة الناس كافة[1]، والتبييت: كل فعل أو قول دُبِّر بالليل[2]، ولأجله قيل: دع الرأي تَبِتْ[3]، قال الشاعر:

أتـونـي فلـم أرض مـا بيّتـوا ... وكانوا أتوني بأمر نُكُرْ[4]

وقيل: اشتقاقه من بيت الشعر، أو البيت المبني، وهو الذي سوى من القول أو الفعل تسوية بيت شَعرٍ أو بيت شِعرٍ[5]،

---

(١) انظر: ص (٦٥٠) من هذه الرسالة.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٣٧، ١٣٨)، والزاهر (١/ ٤٤٣). وعمدة الحفاظ (١/ ٢٧٩).

(٣) في تاج العروس (٣/ ٢٤): بيَّت فلان رأيه، إذا فكر فيه وضمّره.

(٤) هذا بيت من بحر المتقارب وبعده:

لأنكــحَ أيِّمَهــم منــذرًا ... وهل يُنكِحُ العبدَ حرٌّ لحرّ

والبيتان منسوبان في المجاز (١/ ١٣٢) لعبيدة بن همام. وجامع البيان (٨/ ٥٦٣)، ونسبا في اللسان (٧/ ٩٢) للأسود بن يعفر وديوان الأعشين ص (٢٩٨). وهما غير منسوبين في الكامل (٢/ ٩٢٠)، (٣/ ١٠٧٧)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١). وبصائر ذوي الميز (٥/ ١٢١).

(٥) لعله أخذ هذا من قول النحاس في معاني القرآن (٢/ ١٣٧) في تفسير الآية: «أي أظهر المعصية في بيته».

ونحو قوله: ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ ﴾ قوله: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[1]، قال الكلبي: التبييت في لغة طيّ[2]: التبديلُ[3]، ومعنى الآية أنهم يبذلون من أنفسهم الطاعة قولاً، فإذا خرجوا من عنده عليه الصلاة والسلام دبروا أن يفعلوا خلاف ما قالوا[4]، والله يكتب ما يُبيّتون، أي يعلمه ويحفظه[5] فيجازيهم به، ....

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

(٢) طيّ: قبيلة قحطانية عظيمة كانت في اليمن، ثم نزحوا وسكنوا الجبلين، وهي تعرف اليوم بمنطقة حائل. وهم نسبة إلى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب، ولهذه القبيلة بقايا إلى اليوم في حائل وما حولها، ومن ذلك معظم قبائل شمر وغيرها. انظر: الانباه على قبائل الرواه لابن عبدالبر ص (١١٦)، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد لحمد الجاسر (٢/ ٤٧٠).

(٣) قال القرطبي: «والتبييت: التبديل». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨٩)، وانظر: زاد المسير (٢/ ١٤٣).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٦٢).

(٥) قال الزجاج: «وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فيه وجهان: يجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ ينزله إليك في كتابه، وجائز أن يكون ﴿يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يحفظه عليهم ليجازوا به» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١).

والكتابة هاهنا كالاستنساخ في قولـه: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، ونسـب ذلك إلى نفسـه هنا، وإلى ملائكته في قوله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[2]، وفي قوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[3]، وقد تقدَّم أنه تعالى قد ينسب فعل أوليائه إلى نفسه تنبيهًا على ارتضائـه، وكونه آمراً نحو قوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[5]. وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[6]، ثم أمره بالتوكل عليه، وقد تقدم أن من التوكل ملازمة أوامره والانتهاء عن نواهيه، وأن لا يرْجى ولا يُخاف سواه، ونحو قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[7]، قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[8].

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢١.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٦) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٧) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٨) سورة الطلاق، الآية: ٣.

[٢٨٢/أ] ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾. **التدبير**: النظر في دُبُر/ الأمور وتأملها، وقد يقال ذلك في تأمل الشيء بعد حصوله ومعرفة خيره من شره، وصلاحه من فساده، كقولك: تدبَّرت ما فعل فلان فوجدته سديدًا، وأصل التدبر من الدَّبر، ومنه الدّبور، والدَّبر: المال الكثير الذي يخلفه الإنسان ويجعله عدة: إما لنفسه في مستأنف عمره، أو لعقبه(١). **إن قيل**: كيف قال: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾، وما من كلام لعل فيه من الاختلاف ما في القرآن، فما من آية إلا وقد اختلف فيها(٢) الناس؟ **قيل**: لم يعن بالاختلاف ما يرجع إلى أحوال المختلفين، لاختلاف تصوُّرهم لمعناه، أو اختلاف نظرتهم، ولا الاختلاف الذي يرجع إلى تباين الألفاظ والمعنى والإيجاز والبسط، وإنما قصد إلى معنى التناقض، وهو إثبات مانفى أو نفي ما أثبت، نحو أن يقال: زيد خارج، زيد ليس بخارج، والمخبر عنه والخبر والزمان والمكان فيهما واحد(٣). ادعت

---

(١) انظر: العين (٨/ ٢٣)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٢-١٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٢)، والمفردات ص (٣٠٧، ٣٠٨).

(٢) في الأصل: (فيه) والصواب ما أثبتّه.

(٣) انظر: المقصود بالاختلاف في الآية في: جامع البيان (٨/ ٥٦٧)، والنكت والعيون (١/ ٥١٠، ٥١١)، والوسيط (٢/ ٨٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٨٧، =

الملحدة ـ لعنهم الله ـ فيه التناقض، من نحو قوله: ﴿ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[(١)]، وقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾[(٢)]، فذلك خبران قد اختلفا، إما في الزمان أو في المكان أو في المخبر عنه، أو في الخبر، وهذا ظاهر[(٣)]. **وقيل**: معنى قوله: ﴿ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ أنّ للإنسان هاديين: الشرع والعقل، كالأصل للشرع، فبيّن تعالى أن الذي أتاكم به من الشرع لو كان من عند غير الله لكان مقتضى العقل يخالفه، فلمّا [لم][(٤)] يوجد بينه وبين العقل منافاة عُلم أنّه من عند الله[(٥)]، فإن

= ١٨٨)، وزاد المسير (٢/ ١٤٤، ١٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٢).

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.

(٣) قال النيسابوري: «... والذي تظنُّ به التناقض كقوله: ﴿ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ مع قوله: ﴿ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.. ليس بذاك عند التدبر وملاحظة شروط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٥٦)، وانظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٧٨).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) قال البيضاوي: «أي ولو كان من كلام البشر كما يزعم الكفار ﴿ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم.. وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض» أنوار التنزيل (١/ ٢٢٧).

قيل: فقد ورد في الشرع أشياء يقتضي العقل خلافها، **قيل**: كلا، فإن جميع ما ورد به الشرع لا ينفك من وجهين؛ إما شيء يحكم به العقل لكونه حسنًا، مثل استعمال إلٰه في الجملة، وعبادة الرّب، أو يكون غير مهتد إلى معرفته لا أنه يستقبحه، فيُبيّن الشرع حسنه، وذلك كأعداد الصلوات وهيئاتها وأركانها، في كونها عبادة على وجه دون وجه، وأما أن يأتي الشرع بشيء قد قضى العقل بكونه قبيحًا فليس ذلك بموجود، وبعض الناس تصور أشياء ينفر الطبع منها لعادات جارية، أو اعتقادات فاسدة، ولم يفرِّقوا بينه وبين حكم العقل، فظنوا أن العقل حكم بضد الشرع، كذبح البهائم.

[٢٨٢/ب] **إن قيل**: ما وجه تعلُّق/ هذه الآية بما تقدّم؟ [**قيل**][1]: لمّا ذكر فيما تقدّم أحوال الذين يتحاكمون إلى الطاغوت، ويتركون كتاب الله ورسوله، ويقاتلون في سبيل الطاغوت، وذكر الذين يخشون الناس ومقالهم فيما نالهم من حسنة أو سيئة، ومخالفتهم في الطاعة، وكان كل ذلك منهم لقلة تأمّلهم كتاب الله، وتقديرهم أن ما أمروا به في ثاني الحال من القتال مناقض لما أمر به قبل، من كفّ اليد وغير ذلك، بما يختلف لاختلاف الأحوال، نبههم تعالى في هذه الآية أن كل ذلك لقلة تدبرهم،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وأنهم لو تدبّروا لعلموا أن ذلك حق نزل عليهم من الله[1]، كما قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

الاستنباط: استخراج الشيء من أصله، كاستنباط الماء من البئر، والجوهر من المعدن، وذلك كالإثارة في إخراج التراب، واستعير للحديث، قال الشاعر:

.... يكفيك أثرى القول واستنباطي[4]

قال الفرّاء[5]: يقال نبطه، قال: ومنه النبط[6] لاستنباطهم

---

(١) انظر: نظم الدرر (٢/ ٢٨٦).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٤) القائل هو رؤبة بن العجاج. انظر: مجموع أشعار العرب ص (٨٥).

(٥) ليس في معاني القرآن له، ولم أجده من نقل عنه ذلك، ولعله في كتاب «المصادر» للفرّاء وهو مفقود.

(٦) قال ابن منظور: «والنبيط والنبط، كالحبيش والحبش في التقدير: جيلٌ ينزلون السواد. وفي المحكم: ينزلون سواد العراق، وهم الأنباط، والنسب إليهم نبطي... ويقال: تنبّط فلان إذا انتمى إلى النبط، والنبط إنما سمُّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين» لسان العرب (٧/ ٤١١).=

الأرض عمارتها[1]، والذين يستنبطونه منهم، قيل: هم أولو الأمر الذين لهم معرفة استنباطه[2]، فيكون ذلك حثًّا على ترك من لا يعلم لمن يعلم ليستنبط هو بمعرفته، فإذا عرف عرفهم ما يجب تعريفه، وقيل: عنى بالذين يستنبطونه الذين يبينونه، ويكون ذلك نهيًا لهم عن الاستنباط بالتخمين والنظر، وحثًّا على رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم[3]، وقد تقدّم الكلام آنفًا في أولي الأمر منهم[4]، وقيل: سبب ذلك أن قومًا كانوا إذا

= وانظر: تاج العروس (٢٠/ ١٣١).

(١) انظر: معاني هذه المادة في: العين (٧/ ٤٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٤)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٢)، وجامع البيان (٨/ ٥٧١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٣)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧٥)، ومعاني القرآن له (٢/ ١٤١)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٧١)، والنكت والعيون (١/ ٥١١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩١)، وزاد المسير (٢/ ١٤٧)، ونسبه لابن زيد.

(٣) قال السمعاني: «لعلمه الذين يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، وقيل أراد به العلماء، يعني: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم ما ينبغي أن يكتم، ويعلمون ما ينبغي أن يفشى» تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٣، ٤٥٤). وانظر: الكشاف (١/ ٥٤١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧٩).

(٤) انظر: ص (٧٩٦) من هذه الرسالة.

سمعوا من أفعال المؤمنين أو الكافرين ما فيه أمن أو خوف بادروا إلى إشاعته، قبل أن يتحققوا معناه[1]، قال الفرّاء في سرايا النبي عليه الصلاة والسلام: وأنه كان إذا نفذ سرية بحث المنافقون عنها، فأشاعوا حديثها[2]. / [٢٨٣/أ]

قال الحسن: قد كان يفعل ذلك ضعفاء المسلمين، ويقولون أقوالاً تخمينًا، فنهوا عن ذلك[3]، والآية تقتضي أن لا يقدم الإنسان على ما لا يتحقق جواز الإقدام عليه، ولا يقول إلا عن بصيرة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[4] الآية، وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5]، اختلف في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ عمّا استثنى، وذلك لاختلاف تصوُّرهم لمعنى الفضل، **فالأول** عن الحسن

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٦٨-٥٧٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٤)، والوسيط (٢/ ٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩١)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٨)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٧).

(٢) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ٥١١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩١)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٨)، دون نسبة في المصدرين الأخيرين.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٣.

وقتادة تقديره: •يستنبطونه منهم إلا قليلًا[1]. **الرابع**[2]: لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا منكم[3]. **الخامس**: لاتبعتم الشيطان إلا اتباعًا قليلًا[4].

إن قيل: كيف القول الرابع والخامس، وقد علمنا أنه لولا فضله لاتبع الشيطان، بل ماكانوا يوحدون[5]، فضلًا[6] / عن أن يضلوا، فإنا لو تصوَّرنا فضله مرتفعًا لارتفع وجود الناس، بل وجود العالم، **قيل**: إذا جرى الفضل على العموم فهو كما يقول، ومن أجله تحاشى من امتنع من أن يكون ذلك استثناء من قوله ﴿لَاتَّبَعْتُمُ﴾ فأما إذا جعلت فضله خاصًّا في هذا الموضع

[٣٨٢/ ب]

---

(١) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٧٩)، وجامع البيان (٨/ ٥٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٠). قلت: هو اختيار الزجاج في معاني القرآن (٢/ ٨٤).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الثاني والثالث سقطا.

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٥٤٢)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٩).

(٤) انظر: الكشاف (١/ ٥٤٢)، وردَّ أبو حيان هذا القول في البحر المحيط (٣/ ٣٢٠).

(٥) في هذا الموضع من الأصل تكرار للكلام السابق، وهو ما مجموعه أربعة عشر سطراً في الأصل، بداية من قوله: [الذين لهم معرفة استنباطه فيكون ذلك حثًّا].

(٦) تكررت كلمة (فضلًا) في الأصل..

فمعناه صحيح، وبيان ذلك أن فضل الله وإن كان لا تُحصى تفصيلاته، فالذي به هدانا إلى البلوغ إلى ثوابه فضلان: فضل العقل وفضل الشرع، وعنى هاهنا بالفضل الشرع دون العقل، وبيّن أنه لولا ما أنعم به على الناس من رسوله وكتابه لما اهتدى من خلائقه بالعقل المجرد إلا قليلٌ من الناس، والقليل الذين لم يكونوا يتّبعون الشيطان لولا فضل [الله][1] هم الحكماء والأولياء، الذين تتلو[2] منزلتهم منزلة الأنبياء عليهم السلام، وهذا ظاهر.[3]

قوله عز وجل: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[4].

---

(١) سقط لفظ الجلالة من الأصل.

(٢) سقطت اللام والواو من آخره، والكلمة صورتها في الأصل هكذا: (تنا).

(٣) أشار أبو حيان إلى قريب من هذا المعنى، فقال: «قال الضحاك: هدى الكلّ منهم للإيمان. فمنهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شكٍّ، ولا عنت له شبهة ارتياب، وذلك هو القليل، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان، ويكون الفضل معيناً أي رسالة محمد ﷺ والقرآن، لأن الكلّ إنما هُدِيَ بفضل الله على الإطلاق» البحر المحيط (٣/ ٣٢٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٤.

التنكيل: مصدر نكلت به، والنكال العقوبة التي تنكل المعاقب وغير المعاقب عن إتيان مثله، وأصله من النكل، وهو ضرب من القيد، ومنه نكل عن الشيء[1]، إن قيل: كيف قال: ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ وقد بعث النبي ﷺ ليكلّف الناس؟ قيل: لم يعنِ التكليف الاستدعاء الذي رشح له[2]، ألا ترى أنه قال: ﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ على القتال، وهذه الآية تقتضي أنّ على الإنسان أن لا يني[3] في نصرة الحق وإن تفرّد، بعد أن لا [يني][4] في فعله، وروي أن أبا بكر رضي الله عنه [قال][5]: «لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي»[6] وتلا هذه الآية. وقال بعض الحكماء: من

---

(١) انظر: العين (٥/ ٣٧١، ٣٧٢)، وجامع البيان (٨/ ٥٨٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٤٥-٢٤٧)، والمفردات ص (٨٢٤، ٨٢٥).

(٢) قال ابن جرير: «فأما قوله: ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ فإنه يعني: لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوّه وعدوك إلا ما حَمَّلك من ذلك دون ما حمَّل غيرك منه أي أنك إنما تتّبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كلّفته دون ما كلّفه غيرك». جامع البيان (٨/ ٥٧٩).

(٣) يني: يضعف ويفتر. انظر المصباح المنير ص (٢٥٨).

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل، والأقرب ما أثبته بمقتضى السياق.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) ذكر هذا الأثر السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٣٧٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ١٩٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٣)، =

طلب رفيقًا في سلوك طريق الحق فلقِلّة يقينه، وسوء معرفته، فالمحقق للسعادة والعارف بالطريق إليها لا يفرح على رفيق ولا يبالي بطولِ طريق، فمن خطب الحسناء لم يغلها مهر، والفاء في قوله: ﴿فَقَٰتِلۡ﴾[1] قال الزجاج: هو جواب لقوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ﴾[2]، ووجه ذلك أنه محمول على المعنى كأنه قال: إن أردت الفوز بذلك فقاتل، وقال بعضهم: هو متصل بقوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ﴾[3]، وقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾[4] أي كن/ راجيًا في دفع أذاهم، وقول [٢٨٤/أ]

= وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٢١)، ونسبوه إلى الصديق رضي الله عنه.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٤. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٤)، ومراده أنها متصلة بالآية المذكورة لا الجواب النحوي. وقد صرح بذلك النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٧٦). وأما جواب: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ﴾ فهو: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٥. قال الزجاج والنحاس: «ويجوز أن تكون متصلة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧٦). وجزم النحاس به في معاني القرآن له (٢/ ١٤٤)، وقال أبو حيان: «والفاء هنا عاطفة جملة كلام على جملة كلام يليه». البحر المحيط (٣/ ٣٢١).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٤.

المفسرين: عسى من الله واجب، أي الكريم إذا رُجي حقّق[1]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[2] تنبيه أنك لا تحتاج أن تقصر عن قتالهم، فالله معك، وهو أشد بأسًا من عداك، فلا يجب أن يَنْكَادك من تأخر عنك[3].

قوله عز وجل: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾[4]. الشفاعة: من الشفع أي ضم الشيء إلى غيره، وضد قولهم شفعه: أفرده، ولهذا قال الشاعر:

ومن يفرد الإخوان فيما ينوبهم   تصبه الليالي مرة وهو مفرد[5]

---

(١) قال أبو عبيدة: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ هي إيجاب من الله، وهي في القرآن كلُّها واجبة، فجاءت على إحدى لغتي العرب، لأن عسى في كلامهم رجاء ويقين. مجاز القرآن (١/ ١٣٤). وانظر: جامع البيان (٨/ ٥٧٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٤)، والمجرر الوجيز (٤/ ١٩٣)، وزاد المسير (٥/ ١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢١)، ونظم الدرر (٢/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٥) لم أجده.

والشفعة متعارفة في ضم ملك بِيعَ إلى ملكك، والشفاعة في انضمام إنسان إلى آخر فيما يطلبه[1]، والشفاعة المذكور[ة][2] في نحو قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾[3] هي في الآخرة معروفة وأما[4] في الدنيا فبأن يهدي الإنسان غيره، فمن هدى غيره إلى طريق خير فقد شفع له[5].

وأصل الكِفل الكَفل[6]، فجعل اسمًا لمركب من خِرَقٍ وكساءٍ يوضع على الكِفْل[7]، وقد يسمَّى ما يُكْسى العضو باسمه، كقولهم: يد القميص وبدنُه، ورجل السراويل، والساقُ والساعدُ لما يُلْبِسُ هذين العضوين، ثم استعير الكفل تارة

---

(١) انظر: العين (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، وتهذيب اللغة (١/ ٤٣٦، ٤٣٧)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، والمفردات ص (٤٥٧، ٤٥٨)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٢) سقطت التاء من الأصل.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

(٤) في الأصل (ولهذا) وليس له معنى، والسياق يقتضي ما أثبته.

(٥) انظر: بحر العلوم (١/ ٣٧٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٤، ٤٥٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٣، ١٩٤)، والكشاف (١/ ٥٤٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٦) انظر المفردات ص (٧١٨)، وعمدة الحفاظ (٣/ ٤٨١).

(٧) انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١١٧)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٥).

إن نبا[1] ركوبه تشبيهًا بذلك المركب[2]. قال الشاعر:

غير مِيلٍ ولا عواوين في الهَيْـ ـجا ولا عُزّل ولا أكْفَالِ[3]

ثم سُمّي الفاجر في أي أمر كان كفلًا[4]، ولما كان ذلك الكفل يجعل على قدر الكفل تصوِّر فيه المماثلة، فقيل للمثل في العدد كفل[5]، **فإن قيل**: فلم فرق بينهما فقال في الحسنة: ﴿نَصِيبٌ﴾، وفي السيئة ﴿كِفْلٌ﴾؟ **قيل**: يجوز أنه لما كان النصيب يقال فيما

---

(١) نبا: نفر ولم يقبل. انظر المصباح المنير ص (٢٢٦).

(٢) قال الأزهري: «والكفل من الرجال الذي يكون في مؤخرة الحرب لا يثبت على الدابة» تهذيب اللغة (١٠/ ٢٥٣).

(٣) هذا بيت من بحر الخفيف للأعشى من قصيدة له يمدح بها الأسود بن منذر أخا النعمان، وهو في ديوانه ص (١١)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٦)، والصحاح (٥/ ١٨١١).

(٤) قال في المفردات ص (٧١٨): «... الكفل هٰهنا ليس بمعنى الأول، بل هو مستعار من الكفل وهو الشيء الرديئ، واشتقاقه من الكفل، وهو أن الكفل كما كان مركبًا ينبو براكبه صار متعارفًا في كلّ شدة..».

(٥) قال الزجاج: «الكفل في اللغة النصيب، أخذ من قولهم: أكفلت البعير إذا أدرت على سنامه أو على موضع من ظهره كساءً، وركبت عليه. وإنما قيل له كفل.. لأنه لم يستعمل الظهر كله، وإنما استعمل نصيب من الظهر ولم يستعمل كله» معاني القرآن (٢/ ٨٥). وانظر عمدة الحفاظ (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٣).

يقل ويكثر، والكفل لا يقال إلا في المثل[1] جاء في السيئة بلفظ الكفل تنبيهًا على معنى المماثلة، وإشارة إلى ما قال: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[2] وقد قيل: الكفل المذكور هاهنا أكثر ما يقال في الشيء الرديئ، فنبّه بلفظه على ذلك تنبيهًا على قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[3] فإن قيل: / فقد قال ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾[4]، وليس ذلك بمذموم[5]، قيل: إنه عنى بالكفلين هاهنا أي له كفيلان من رحمته يتكفلان به من العذاب[6]، [٢٨٤/ب]

(١) قال أبو السعود: «﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي نصيب من وزرها مساوٍ لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيء» إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٠).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٥) قال السمين الحلبي: والكفل: النصيب إلا أن استعماله في الشر أكثر عكس النصيب، وإن كان قد استُعمل الكفل في الخير، قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾» الدر المصون (٤/ ٥٥). وقال ابن الأنباري: «أراد بالكفل: الحظ، لأنه يمنع من غضب الله، كما يمنع كِفْلُ البعير الراكب من السقوط» الزاهر (٢/ ٢٧١).

(٦) الذي عليه المفسرون أن المراد بالكفلين في آية الحديد هما النصيبان أو الحظّان، وقال أبو موسى الأشعري: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي ضعفين بلسان الحبشة. ونقل الألوسي عن الراغب أنه قال: «الكفل: الحظ الذي فيه الكفاية، كأنه تكفَّل بأمره، والكفلان هما المرغوب=

فيضَارع اللفظان، والمعنيان مختلفان، ولما حثَّ الله تعالى في الآية المتقدّمة على تكلُّف ما أمر وتحريض المؤمنين، ورجاء الظفر بالكفار، بين هاهنا أن من أعان غيره في فعل حسن فله نصيب في ثوابه، وإن أعانه في فعل سيِّيء فله كفل منه، وذلك عبارة عمّا بينه النبي ﷺ بقوله: «**من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»[1] الخبر. وقال بعضهم: القصد بذلك أن من يدعو لغيره دعاءً حسنًا فله فيه نصيب، ومن فعل بخلاف ذلك فكذلك.

قال: والسبب في هذا أن اليهود والمنافقين كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يقولون: السام عليكم، يوهمون أنهم يقولون:

= فيهما بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾، ثم قال الألوسي: ولا دلالة على التخصيص» روح المعاني (١٩٣/٢٧)، وانظر: جامع البيان (٢٠٨/٢٣، ٢٠٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٦٦)، وتفسير غرائب القرآن (٦/ ٢٦٢).

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب «الحث على الصدقة ولو بشق تمرة» رقم (١٠١٧). والترمذي في كتاب العلم، باب «ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة» رقم (٢٦٧٥) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة، باب «من سن سنة حسنة أو سيئة» رقم (٢٠٣)، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٥٧ ـ ٣٥٩)، والطيالسي رقم (٦٧٠)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٠٩)، وابن حبان رقم (٣٣٠٨)، والطبراني رقم (٣٧٢ ـ ٣٧٥)، والبغوي رقم (١٦٦١)، والبيهقي (٤/ ١٧٥).

السلام عليكم، فأنزل الله ذلك[1]، واستدل قائل هذا بقوله تعالى بعد ذلك[2]: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[3]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ قال السدي: المقيت: المقتدر[4]، وأنشد الكسائي فيه:

---

(١) رواها البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم (٢٩٣٥). ومسلم في كتاب السلام، باب «النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم» رقم (٢١٦٥، ٢١٦٦). والترمذي في كتاب الاستئذان، باب «ما جاء في التسليم على أهل الذمة» رقم (٢٧٠١). وقال: حديث عائشة حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه ـ كتاب الأدب، باب الرفق رقم (٣٦٨٩)، وأحمد في المسند (٦/ ٣٧) والنسائي في اليوم والليلة رقم (٣٨١ ـ ٣٨٤)، وعبد بن حميد رقم (١٤٧١)، وابن حبان رقم (٥٤٧، ٦٤٤١)، والبيهقي (٩/ ٢٠٣)، والبغوي رقم (٣٣١٤)، والبخاري في الأدب رقم (٤٦٢).

(٢) قال أبو السعود عن الشفاعة الحسنة: «... ويندرج فيها الدعاء للمسلم، فإنه شفاعة إلى الله سبحانه، وعليه مساق آية التحية الآتية» إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠)، وفيهما: قديراً بدل مقتدراً، وتفسير السُّدّي ص (٢١٠)، والنكت والعيون (١/ ٥١٢)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٥٦) عن ابن عباس.

.... وكنت على مساءته مقيتا[1]

وقال ابن عباس: الحفيظ[2]، وقوّاه الزّجّاج[3]، وقال مجاهد: الشهيد[4]، ورُوِيَ عنه: الحسيب[5]، وقال الضحاك:

---

(١) هذا عجز بيت من بحر الوافر للزبير بن عبدالمطلب وتمامه:

وذي ضغنٍ كففتُ النفس عنه وكنت على مساءته مقيتاً

كما في: غريب القرآن في شعر العرب ص (١١٥)، وجامع البيان (٨/ ٥٨٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣١٦)، واللسان (٢/ ٣٨٠). ونسب في طبقات الشعراء ص (١٠٨) لأبي قيس بن الأسلت. وهو غير منسوب في تفسير غريب القرآن ص (١٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٤٧)، والزاهر (١/ ٩٢)، ونسبه في المشوف المعلم (٢/ ٦١٦) إلى ثعلبة بن محيصة الأنصاري.

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٩) قال: وروي عن عطية وقتادة وعطاء ومطر الوراق نحو ذلك، والوسيط (٢/ ٩٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٥)، وزاد المسير (٢/ ١٥١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥).

(٤) انظر: تفسير مجاهد ص (٢٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠)، والنكت والعيون (١/ ٥١٣)، والوسيط (٢/ ٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٥٨٣).

(٥) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠)، والنكت والعيون (١/ ٥١٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

الرازق[1]، وقال غيرهم: المجازي[2]، وحقيقته الذي يجعل للإنسان قوتًا[3]، وفي الحديث: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت**»[4] ـ ويقيت ـ كأن الله تعالى يجعل لكل إنسان قوتًا من الجزاء بقدر فعله، ويجعل له في الدنيا والآخرة قدر ما يستوجبه، وما قالوه فصحيح من حيث المقصد، لأن ما قدّره الله تعالى للعبد فقد حفظه وشهده[5]، ورُوِيَ أن رجلًا سأل عبدالله بن رواحة عن المقيت[6]؟ فقال: يقيت كل إنسان[7] بقدر

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠).

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ٥١٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٤٣٥)، والمخصص (٢/ ٩١).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٨٥)، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب: «فضل النفقة على العيال والمملوك» رقم (٩٩٦) بلفظ: «... إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته». والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٧٤) رقم (٩١٧٦، ٩١٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢٢) (٥/ ٨٧) نحوه.

(٥) قال أبو حيان: «وهذه أقوال متقاربة لاستلزام بعضها معنى بعض» البحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٦) قال الزجاج: «المقيت: قال أهل اللغة: إن المقيت المقتدر على الشيء». تفسير أسماء الله الحسنى ص (٤٨). وقال ابن منظور: «المقيت: الحافظ» لسان العرب (٢/ ٩٠).

(٧) تكررت عبارة كل إنسان في الأصل فحذفت المكرر.

علمه[١]، كأنه إشارة إلى ما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يحاسب عباده بقدر عقولهم**»[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٣]. / [٢٨٥/أ]

التحية: من قولهم حيَّا الله فلانًا، أي جعل له حياة، وذلك إخبار، ثم يُجعل دعاء، ثم يقال: وحيًّا فلان فلانًا إذا قال له ذلك، وحكم به، كما يقال: أضللت فلانًا وأرشدته إذا حكمت له بذلك، وأصل التحية من الحياة، ثم يقال لكل دعاء تحية، لكون جميعه غير خارج عن كونه حياة، أو سبب حياة، إما دنيوية وإما أخروية[٤]، **إن قيل**: علي أي وجه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠١٩) رقم (٧٢٠)، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «العقل وفضله» رقم (١٣) من حديث ابن عمر. وأورده الذهبي في الميزان (٤/ ١٨٥)، ونقل عن ابن معين أنه قال: هذا باطل. وكذا عن أبي حاتم. ورواه ابن حبان في المجروحين (٣/ ٤٠) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٩٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٦)، والزاهر ص (٦٠، ٦١)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٨٢). وقد نقل أبو السعود في إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١١)=

جعل[١] قولهم: السلام تحية الملتقين؟ **قيل**: السلام والسِّلم واحد، بدلالة قوله: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سِلْمٞ﴾[٢] ولما كان الملتقيان من الأجانب قد حذر أحدهما الآخر استعملوا هذه اللفظة تنبيهًا من المخاطب، أي بذلت لك ذلك وطلبته منك، ونبه المجيب إذا قال: وعليك السلام. على نحو ذلك، ثم صار ذلك مستعملًا في الأجانب والأقارب والأعادي والأحباب، تنبيهًا أني أسأل الله ذلك لك[٣]، وأكثر المفسرين حملوا الآية على التحية المجردة، فقالوا معناه: من حيّاكم بتحية فحيُّوا بأحسن منها أو ردّوها أي قابلوه بمثلها[٤]، قالوا: وردُّ ذلك أنه متى قال قائل: السلام عليكم، فإنه يقول: وعليكم السلام، أو يقول: وعليكم، فهذا هو ردُّه، ويدلّ أنه إذا قال: وعليكم. فقد ردّ، أن رجلًا دخل على عمر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال عمر: وعليكم، فظن الرجل أنه لم يسمع عمر،

= قول الراغب في أصل التحية.

(١) تكررت في الأصل عبارة: (إن قيل: على أي وجه جعل).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٥. قرأ حمزة والكسائي (سِلْم) بكسر السين وسكون اللام، وقرأ باقي السبعة (سلام). انظر: التبصرة ص (٥٤١)، وحجة القراءات ص (٦٧٩، ٦٨٠).

(٣) انظر: الزاهر (١/ ٦٣-٦٦)، والفروق ص (٦٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٦)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

فأعاد عليه، فأعاد عمر مثل ما قال، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ألا تردُّ عليَّ كما أقول؟ قال: أولم أفعل[1]؟ وأما أحسن منها فأن يقول له أكثر من ذلك ما لم يستوف المسلِّم ألفاظ التحية[2]، وذلك أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم فقال النبي ﷺ: **«عليكم السلام ورحمة الله»**، ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال ﷺ: **«وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»**، فجاء ثالث فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال ﷺ: **«وعليكم»**. فقيل له في ذلك، فقال: **«إن الأول والثاني أتيا من التحية شيئًا فرددت عليهما بأحسن مما سلَّما، والثالث حيّاني بالتحية كلِّها فرددت عليه مثلها»**[3].

[٢٨٥/ب] ومن المفسرين/ من قال له: إن من حيّاكم ببعض التحية

---

(١) . لم أقف على هذا الأثر.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٨)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١١).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٢١)، ورواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٧) رقم (٦١١٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٣): وفيه هشام بن لاحق قوَّاه النسائي، وترك أحمد حديثه وبقية رجاله رجال الصحيح. وحسّنه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٦)، وزاد نسبته إلى أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن مردويه.

فحيُّوا بها تامَّة، ومن حياكم بالتحية تامّة فردّوا مثلها[1]، ومنهم من قال: بل خُيِّرَ كلهم بين الأمرين[2]، وقال قتادة: بأحسن منها للمسلمين، وبمثلها أهل الكتاب، وهو أن يقال: وعليكم[3]، وقال ابن عباس: من سلّم عليك من خلق الله فاردد عليه، وإن كان مجوسيًّا[4]. ومن المفسرين من حمل ذلك على الهدايا واللطف،

---

(١) قال النيسابوري: قال العلماء: الأحسن أن يزيد في جواب السلام الرحمة، وإن ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في جوابه البركة، وإن ذكر المجموع أعادها فقط، فإن منتهى الأمر في السلام أن يقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لأن هذا القدر هو الوارد في التشهُّد. تفسير الغرائب (٢/ ٤٦٢).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٦).

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٧، ٥٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢١) قال: ورُوِيَ عن عطاء والحسن نحو ذلك. ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٨) ولم ينسبه. وزاد المسير (٢/ ١٥٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٠) قال: ورُوِيَ عن الحسن، والنكت والعيون (١/ ٥١٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٢). والمجوس: هم عبدة النار، والقائلون بالأصلين: النور وهو عندهم أزلي. والظلمة وهي عندهم محدثة. انظر: الفصل (١/ ٨٦)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٧٨-٢٨٤)، والتبصير للإسفراييني ص (١٥٠).

وقال: حقّ من تولّى شيئًا أن يولّي مثله وأحسن منه[1]، ومنهم من قال: السلام هاهنا السِّلْم، وهو أصله، قال: وهذا أمر منه أن من بذل لكم السلم من الكفار بأن يروم الدخول في الشرع، فابذلوا له، كقوله: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[2]، قال: وأمر بأن يرد على باذلها مثلها أو أكثر منها، قال: ومثله أن يبذل له الأمان مما خافه، وأكثر منه أن يبين أن له ما لهم، وعليه ما عليهم من النصرة والموالاة[3]، وذلك[4] مما قد بيّنه في قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[5] قال: وذلك هو الذي بسطه من بعد في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ

---

(١) نقل القرطبي في تفسيره عن ابن خويز مَنْداد أنه قال: «وقد يجوز أن تحمل هذه الآية على الهبة إذا كانت للثواب، فهو بالخيار؛ إن شاء ردّها، وإن شاء قبلها وأثاب عليها قيمتها». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٨). وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢١٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٢٨).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

(٣) قال القرطبي: «ووجه النظم بما قَبْلُ أنه قال: إذا خرجتم للجهاد كما سبق به الأمر، فحُييتم في سفركم بتحية الإسلام، فلا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً، بل ردّوا جواب السلام، فإن أحكام الإسلام تجري عليهم» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٨).

(٤) تكررت في الأصل: (وذلك).

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧١.

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[1]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾[2] أي يحاسبكم على كل شيء قلَّ أو كثر، فلا تتغافلوا عن صغيرة وكبيرة[3]، وقول عطاء: حفيظًا[4]، وقول ابن جبير: شهيدًا[5] فإشارة إلى هذا المعنى، وقيل: ﴿ حَسِيبًا ﴾ أي كافيًا، من قولهم: أحسبني هذا الشيء - أي كفاني - حتى قلت حسبي[6]، ومن قال ذلك جعله من باب: الداعي السميع. أي المسمع[7]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) انظر: جامع البيان (٨/ ٥٩١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٨١)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٦٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١١).

(٤) هذا القول مروي عن مجاهد، ولم أجد من نسبه لعطاء. انظر: جامع البيان (٨/ ٥٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢١)، والنكت والعيون (١/ ٥١٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٨).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٢).

(٦) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١٣٥). وانظر: معالم التنزيل (٢/ ٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٥)، وقد ردَّ الطبري هذا القول في جامع البيان (٨/ ٥٩١).

(٧) يعني أن حسيبًا بمعنى (محسب) فهو من باب فعيل الذي بمعنى مُفْعِل، وهنا جزء من بيت من بحر الوافر لعمرو بن معد يكرب الزبيدي وتمامه:

=

وفيه[1] ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾[2] أي كافيًا، والمعنى أن الله يعطي كل شيء من المعرفة والحفظ والرزق ما يكفيه إذ هو حافظه.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[3] سمّى يوم القيامة لقوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[5] إن قيل: ما وجه هذه بعد تلك الآية؟ قيل: لمّا أمر المسلمين أن يقبلوا من بذل لهم السلام، بيّن لهم بهذه الآية أن ذلك حكم للظاهر، فأما السرائر فإن الله يتولاها يوم القيامة، / [٢٨٦/أ] تنبيهًا أن الله لا يحب المنافق أن يغتر بهذا، بل يتحقق أن الله له بالمرصاد[6]. إن قيل: كيف قال: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾

= أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحاب هجوع

وهو في ديوانه ص (١٣٦)، والكامل (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، والشعر والشعراء ص (٨٣)، وأمالي الشجري (١/ ٩٧، ٩٨)، والأغاني (١٤/ ٣١).

(١) تصحّفت في الأصل إلى: (ومنهم) والسياق يقتضي ما أثبتّه.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٢٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة المطففين، الآية: ٦.

(٥) سورة النبأ، الآية: ٣٨. وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٥).

(٦) قال البقاعي: «. . . فالحكم على البواطن إنما هو له تعالى، وأما أنتم فلم=

وما[1] كان صدقًا من الحديث لا يتضارب، فيكون من بعض قائليه أكثر صدقًا من قائل آخر؟ قيل: إن الصدق من صفة القائل لا من القول، والقائلون إذا اعتبروا بأقوالهم فمنهم من يكون صدقه في أحاديثه أكثر، فكأنه قيل إذا اعتبر الصادقون في أقوالهم فليس فيهم أكثر صدقًا من الله، فإنه لا يقع في خبره كذب بوجه[2].

قوله عز وجل: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾[3].

الرَّكْسُ والنَّكْسُ: الرَّذْلُ، والركس أبلغ، لأن النكس ما جعل أسفله أعلاه، والركس أصله ما جعل رجيعًا[4] بعد أن كان

= تكلّفوا إلا بالظاهر.. فيفصل بينكم وبين من أخبركم بهم من المنافقين، ونقد أحوالهم وبيّن محالهم، فيجازي كلًّا بما يستحق» نظم الدرر (٢/ ٢٩٣).

(١) تصحفت في الأصل إلى: (من)، والصواب ما أثبتّه.

(٢) قال النيسابوري: «﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ استفهام على سبيل الإنكار، وذلك أن الصدق من صفات الكمال، والكمال للواجب أولى وأحقّ وأقدم وأتمّ من غيره». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٦٤). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٩٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٤).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٨.

(٤) في الأصل (من جعل طوفا) وليس له معنى مفهوم، والتصحيح مما نقله=

طعامًا فهو كالرجس، وقد وصف أعمالهم به، كما قال تعالى[1]: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[2] ويقال: ركسه وأركسه، وأركس أبلغ، كما أنَّ أسقاه أبلغ من قولهم سقاه[3]، **إن قيل**: كيف قال: ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ فنفى نفيًا مطلقًا، وقد أثبت للكفار سبيلًا فقال: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾[5]؟ **قيل**: اسم الجنس إذا أطلق فليس يتناول إلا الصحيح، ولهذا يقال: لا صلاة إلا بكذا، وقالوا: فلان ليس برجل. لما كان أخلاق الرجل تتناول للكامل، فلذلك لا يعد قائل ذلك كاذبًا[6]، واختلُف في سبب نزول هذه الآية على

= أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٢٦) عن الراغب.

(١) تكررت جملة (كما قال تعالى) في الأصل مرتين.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٣) انظر: العين (٥/ ٣١٠)، ومعاني القرآن للكسائي ص (١١٨)، ومجاز القرآن (١/ ١٦٣)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٨)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٥٩، ٧٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦)، وعمدة الحفاظ (٢/ ١٢٢).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٦) لم أجد هذا التوجيه لغير المؤلف، وعامة المفسرين على أن المعنى «فلن تجد لهدايته سبيلًا» أو «لن تجد له طريقًا إلى الجنة أو طريقاً إلى الحق» وهما بمعنى=

أوجه: **الأول**: قال زيد[1]: هي في الذين تخلَّفوا يوم أحد[2]، وقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾[3]. **الثاني**: قال الحسن ومجاهد: هي في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك[4]. **الثالث**: قال ابن عباس وقتادة: في

= الأول. انظر: جامع البيان (٩/ ١٦)، والوسيط (٢/ ٩١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٧)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٧).

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النَّجَّاري، أبو سعيد وأبو خارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي، وكان بارعًا في الفرائض والقرآن، وقد عدّه مسروق من الستة أصحاب الفتوى في صحابة النبي ﷺ، مات سنة خمس ـ أو ثمان ـ وأربعين، وقيل بعد الخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٦)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩)، والتقريب ص (٢٢٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٢٢، ١٠٢٣)، والبخاري في كتاب التفسير، باب «فما لكم في المنافقين فئتين» رقم (٤٥٨٩). ومسلم في كتاب صفات المنافقين، رقم (٢٧٧٦). وانظر: النكت والعيون (١/ ٥١٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ٩، ١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٤)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والوسيط (٢/ ٩١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، وزاد المسير (٢/ ١٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦).

قوم أسلموا بمكة، ثم أعانوا المشركين على المسلمين[1]،
[الرابع][2] قال السدي: في قوم بالمدينة أرادوا الخروج منها[3].
الخامس: قال ابن زيد: في قوم من أهل الإفك، وما بعده نزل أنه في شأن الهجرة[4]، وجملة الأمر أن الناس كانوا اختلفوا في فئة من المنافقين فئتين، أمَّنهم بعضهم ووالاهم بعضهم، فقال تعالى: ما لكم قد صرتم فئتين مختلفتين فيهم، وقد خذلهم الله، فبيّن أن لا سبيل لهم / بعد أن أضلهم[5] الله، كقوله [٢٨٦/ ب] تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[6]، وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾[7]، قال

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٠، ١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، وزاد المسير (٢/ ١٥٣، ١٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٥).

(٢) ساقط من الأصل والسياق يقتضيه.

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٢، ١٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٨)، وزاد المسير (٢/ ١٥٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ١٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٩٩)، وزاد المسير (٢/ ١٥٤).

(٥) في الأصل: (ضلهم) والسياق يقتضي زيادة الألف.

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٧) سورة النساء، الآية: ٨٨.

الحسن: معناه: أتريدون أن تجعلوا لأهل الضلال ما جعله الله لأهل[1] الهدى[2]، وقيل: أتريدون أن تسموهم مهتدين، وقد سمّاهم الله ضالين. وقيل: أتريدون أن تهدوهم كرهًا وقد جعلهم الله بما اكتسبوه حالاً فحالاً ضالين[3]، وذلك إشارة إلى نحو قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[4].

وقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[5]، وقوله: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[6] فقد تقدّم أن الله تعالى لما أجرى العادة أن من تحرى الخير حالاً فحالاً ازداد هداية بسبب ذلك نفسه، إذ كان فاعل أسباب الشيء قد يقال إنه فاعل للشيء، فإنه[7] هو أولى بأن يُسمّى فاعلًا، وقد تقدّم الكلام في الهداية والضلال بما فيه الكفاية[8]، وانتصاب قوله: ﴿فِئَتَيْنِ﴾ على

---

(١) تصحّفت في الأصل إلى: (لأهدى) والصواب ما أثبته.

(٢) ذكر الماوردي نحوه فقال: «تهدوهم إلى الثواب بمدحهم، والله قد أضلّهم بذمهم». النكت والعيون (١/ ٥١٥). ولم أجد من نسب القول الذي ذكره الراغب إلى الحسن.

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٦)، والنكت والعيون (١/ ٥١٥)، والوسيط (٢/ ٩١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٥٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٧).

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٩٣.

(٧) في الأصل: [بأن هو] والسياق يقتضي ما أثبته.

(٨) انظر تفسير الراغب (ق ٥، ٨ - مخطوط).

الحال عند البصريين، وعلى تقدير (كانوا) عند الكوفيين[١]، وعلى هذا القولين قولهم: مالك خارجًا؟.

قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٢].

الهجرة: ترك الشيء والإعراض عنه مكانًا أو خليطًا، وسُمِّي القبيح من الكلام هُجْرًا[٣] لكونه مقتضيًا لهجره، والرفث هَاجِرَةً لكونه حاملًا على أن يهجره، [و][٤] سُمّي المهاجر لتركه وطنه، وصار اسم مدح في الإسلام، وسُمّي من رفض فضولات شهواته مهاجرًا[٥]، عنى تعالى أن الذين تقدّم ذكرهم ممن بقوا بمكة وادعوا الإسلام أنهم كفار، ويريدون لكم الكفر الذي هم

---

(١) انظر: كتاب سيبويه (٢/ ٦٠، ٦١)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨١)، وللأخفش (١/ ٤٥١)، والمقتضب (٢/ ٢٧٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٨)، وإعراب القرآن للنحّاس (١/ ٤٧٨، ٤٧٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) في الأصل: (هجر)، ولعل الألف سقطت سهواً من الناسخ.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) انظر: العين (٣/ ٣٨٦، ٣٨٧)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤١-٤٦)، والصحاح (٢/ ٨٥١)، والمفردات ص (٨٣٣، ٨٣٤).

عليه، ومن أراد لكم الكفر فمحال موالاتهم، فلا تتخذوهم أولياء حتى يسلموا، ويحققوا إسلامهم بالهجرة، ثم قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي إن كشفوا الغطاء فقط صاروا مرتدين، ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، ولا تكونن بينكم وبينهم موالاة ونصر بوجه[1]. إن قيل: فما فائدة قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ بعد أن قال: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؟ قيل: قد قال بعضهم ذلك على التوكيد، والصحيح أن الذين دخلوا في الإسلام من الأعراب/ فرقتان، فرقة هاجروا وفرقة أقاموا، وبيّن [٢٨٧/أ] الله تعالى أن من أقام ولم يهاجر فلا ولاء له، إلا أن يستنصروكم على قومهم فتنصرونهم، وذلك في قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[2] فمنع تعالى عن موالاتهم بقوله: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ كما منع بتلك الآية، ولم يمنعهم من نصرتهم، ثم بيّن أنهم إن تولوا، أي ارتدوا عما أظهروه من

---

(١) انظر تفسير الآية في: جامع البيان (٩/ ١٧، ١٨)، والوسيط (٢/ ٩١، ٩٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٠، ٢٠١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٨)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٧).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

الإسلام، وكشفوا الغطاء بالكفر، فلا يجوز أن توالوهم، ولا أن تنصروهم بوجه[١].

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾[٢].

الحصر: حبس في ضيق، وعبّر عن البخل والجبن لانحصار النفس، وكذلك عبر عنهما بضيق الصدر وعن ضدهما بسعة الصدر، وبالبر المشتق عن البر أي السعة، والحصور: الممنوع عن الجماع بحبس شهوته، وعن الشراب بحبس ماله لبخله[٣]، وفي اتصال هذه الآية بما قبلها وحكمتها صعوبة، ووجه ذلك

---

(١) ذكر المفسرون هذا التقسيم الذي ذكره الراغب عند تفسيرهم لآية الأنفال التي أوردها الراغب، ولم يذكروه عند تفسير آية النساء. انظر: جامع البيان (١٤/ ٧٧-٧٩)، (٨/ ٥٦)، والبحر المحيط (٤/ ٥١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣١٤، ٣١٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٠.

(٣) انظر: العين (٣/ ١١٣)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٣٦)، وتفسير غريب القرآن ص (١٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٧٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٣٠-٢٣٣).

أنه لما أمر تعالى الناس فيما تقدم بالهجرة، ونهى عن موالاة من تأخَّر، استثنى بهذه الآية من يحصل له إحدى حالتين؛ إما أن يصلوا إلى قوم بينهم وبين النبي ﷺ عهد لتعذر لحوقهم به، فيقيموا إلى وقت الإمكان به؛ وإما أن يهاجروا ويأتوا النبي ﷺ والمسلمين فتحصر صدورهم أن يقاتلوا المسلمين لعلمهم بكونهم على الحق، وأن يقاتلوا قومهم لكونهم غير آمنين على مالهم وذويهم، فهذا معنى قوله: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إظهار من الله تعالى لنعمته على المسلمين وأنه لو لم يهدهم لكانوا في جملة المتسلطين عليكم، ثم بيّن أنهم إذ قد اعتزلوا وأظهروا الإسلام فاتركوهم[1]؛ فهذا على ما ذكر هذا القائل هم الذين أسلموا/ ولم يستحكم إيمانهم، [٢٨٧/ب]

---

(١) قال القرطبي: «ووجه النظم والاتصال بما قبل: أي اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم إلا أن يهاجروا، وإلا أن يتصلوا بمن بينكم وبينهم ميثاق، فيدخلون فيما دخلوا فيه، فلهم حكمهم، وإلا الذين جاؤوكم قد حصرت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فدخلوا فيكم، فلا تقتلوهم». الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١٠). وانظر: تفسير الآية في: جامع البيان (٩/ ١٩، ٢١، ٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٥٩، ٤٦٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠١-٢٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٨-٣١٠)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٨-٣٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٥، ٥٠٦).

ولم يبلغوا الحدَّ الذي لا يخرجون في نصرة الدين إلى أهلٍ، وقال قتادة ـ وقد رُوِيَ عن ابن عباس : ـ أن قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ ﴾ هو في قوم من الكفار[1] اعتزلوا المسلمين يوم فتح مكة فلم يكونوا من الكافرين، ولا مع المسلمين، قال: وهذا معنى ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ قال: ثم نسخ ذلك بآية القتال، والقول الأول أظهر وأحسن[2]، وقوله: ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ في موضع الحال عند الفرّاء، قال: وتقديره قد حصرت صدورهم[3]، وتقوَّى ذلك بقراءة الحسن (أو جاءوكم حَصِرةً صدورهم)[4]، وقال بعضهم:

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٢٨).

(٢) تحسين الراغب للقول الأول خلاف قول الجمهور، قال النيسابوري: «ثم هؤلاء الجاؤون من الكفار أو من المؤمنين؟ قال الجمهور: هم من الكفار، بنو مدلج جاؤوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين، وعلى هذا يلزم النسخ، لأن الكافر وإن ترك القتال جاز قتله». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٦٧). وقال البقاعي: «وهم من الكفار عند الجمهور». نظم الدرر (٢/ ٢٩٥). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٢٩).

(٣) انظر: معاني القرآن للكسائي ص (١١٨)، وللفرّاء (١/ ٢٨٢)، والدر المصون (٤/ ٦٦).

(٤) قال السمين الحلبي: «وقرأ الجمهور «حَصِرَتْ» فعلًا ماضياً. والحسن وقتادة ويعقوب: «حَصِرَةً» نصباً على الحال بوزن «نَبِقَة»، وهي تؤيد كون «حصرت» حالاً». الدر المصون (٤/ ٦٧، ٦٨). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

هو خبر بعد خبر، كأنه قيل: أو حصرت صدورهم[1]، وقال الجرجاني[2] في كتاب النظم: تقديره: وإن ﴿جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ فحذف إن. قال: والفعل الماضي يقع في الشرط موقع المستقبل[3]، وفيما ادعاه إضمار إن عُهدة، فما أرى أهل اللغة يطابقونه عليه[4]، وقال المبرد: هو دعاء عليهم[5]، وردّ

---

(١) معنى ذلك أنها إخبار بجملة مستقلة بعد أخرى، قال ابن الأنباري: «كأنه قال: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾، ثم أخبر فقال: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾. الإنصاف (١/ ٢٥٤، ٢٥٥). وهذا القول حكاه الزّجّاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٧٩)، ومعاني القرآن (٢/ ١٥٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ٦٧).

(٢) الجرجاني: هو أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجماجمي الجرجاني، كان مسكنه بجرجان بباب الخندق، من تصانيفه في نظم القرآن مجلدتان، كان من أهل السنة، روى عن العباس بن عيسى العقيلي ـ شيخ محمد بن جرير الطبري ـ وروى عنه محمد بن محمد بن يوسف الطوسي المتوفى سنة ٣٤٤هـ. انظر: تاريخ جرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني ص (١٨٧)، وكشف الظنون (٢/ ١٤٦٧)، ومعجم البلدان لياقوت (٢/ ١٥٩).

(٣) لم أجد قول الجرجاني هذا، وقد نقله عنه أبو حيان مختصراً، ولم ينسبه إلى أحد كتبه. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

(٥) انظر: المقتضب (٤/ ١٢٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٣)، والبحر المحيط=

ذلك أبو علي الفسوي[1]، وقال: قد أُمرنا أن نقول: «اللهم أوقع بين الكفار العداوة والبغضاء»، فلا يجوز أن يُحمل على الدعاء، فيكون في قوله: ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ نفي ما اقتضاه دعاء المسلمين عليهم، وهذا القول من المبرد، ومن الرادِّ عليه مبني على أن الآية في الكفار على ما تقدّم من القول الثاني فيه[2]، ولقائل أن يقول: كما يجوز أن يُدعى عليهم بإيقاع العداوة، يجوز أن يدعى عليهم بأن يجعلهم الله حيث لا يقاتلون أعداءهم ولا قومهم، ويكون ذلك سؤالاً لموتهم[3]، ويدلّك على جواز ذلك أنه لو جمع بين المقاتلين لم يمتنع، فكأن يقال: أوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأوهن كيدهم، واجعلهم بحيث لا يقاتلون المسلمين ولا بعضهم بعضًا، على أن قوله ﴿قَوْمَهُمْ﴾ قد يُعبّر به عمن ليس منهم، بل هم من معاديهم كقولك: فلان صاحبك وهم قومك، أي المناصبون لك.

= (٣/ ٣٣٠).

(١) الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان الفارسي الفسوي، قرأ النحو على الزجاج وغيره. من مؤلفاته: التذكرة في النحو، والحجة في القراءات، والإيضاح، والتكملة وغيرها، توفي سنة ٣٧٧هـ. ترجمته في الفهرست ص (٦٤)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٧٩)، وبغية الوعاة (١/ ٤٩٦).

(٢) وهو قول الجمهور كما سبق بيانه.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣٠)، عن غير ابن عطية.

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[1]. / [٢٨٨/أ]

الركس والرجسُ يتقاربان، لكن الرجس الحس، وقيل: ركسه وركزه بمعنى؛ إلا أن الركس يقال في مكروه[2]، وقيل: الفتنة هاهنا الكفر[3]، وقيل: الاختبار[4]، والسلطان: الحجة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩١.

(٢) قال في المفردات ص (٣٦٤): «الركس: قلب الشيء على رأسه، وردّ أوله على آخره». وقال: «الرجس: الشيء القذر». المفردات ص (٣٤٢). وقال: ركزه: دفنه دفناً خفيًا.. ويقال: ركز رمحه». وهذه المفردات مشروحة في المعاجم بما يقارب ما ذكره في المفردات، ولا يبدو أن بينها تقاربًا، كما قال المؤلف، الذي لم يوضِّح أوجه التقارب. والله أعلم. انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٥٩، ٩٤، ٥٨٠)، والصحاح (٣/ ٨٨٠، ٩٣٣، ٩٣٦)، والقاموس ص (٤٦١، ٤٩٣، ٤٩٤).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره ابن جرير الطبري. انظر: جامع البيان (٩/ ٢٧، ٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩)، والوسيط (٢/ ٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٦).

(٤) وهو مروي عن قتادة وأبي العالية، وقد جمع الطبري بينه وبين الوجه الأول، ولم ير بينهما تعارضًا. انظر: جامع البيان (٩/ ٢٨)، وتفسير القرآن=

والبطش[1]، وقد تقدّم حقيقته، والآية قيل: نزلت في نعيم[2] بن مسعود[3]، وكان ينقل حديث النبي ﷺ إلى كفار مكة[4]، وقال ابن عباس: نزلت في قبيلتي أسد وغطفان[5]،[6] وقال قتادة: . . . .

= العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٢٧٥)، والوجوه والنظائر (١/ ٤١٢، ٤١٣).

(٢) في الأصل: (حنتم) والصواب ما أثبتّه.

(٣) نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن أشجع، يكنى أبا سلمة الأشجعي، صحابي مشهور، أسلم ليالي الخندق، وهو الذي أوقع الخلف بين الحيين: قريظة وغطفان في وقعة الخندق، قُتل في أول خلافة علي قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل. وقيل: مات في خلافة عثمان. انظر: الإصابة (٦/ ٣٦٣)، وتقريب التهذيب ص (٥٦٥).

(٤) ذكره الطبري بإسناده عن السدي في جامع البيان (٩/ ٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٢٩)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣١).

(٥) نسبه إلى ابن عباس: السمعاني في تفسير القرآن (١/ ٤٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٦١). وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣١)، ونسبه لمقاتل. ولم ينسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٢٠٥)، ولا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١).

(٦) أسد: قبيلة مضرية كبيرة، وهم نسبة إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس=

في حيٍّ من تهامة[1]، وجملة الأمر أنه لمّا ذكر فيما تقدم من له عذر بأحد الأمرين اللذين ذكرهما، ذكر هاهنا فرقة لا عذر لهم كانوا[2] يظهرون الإسلام ثم يرجعون إلى عبادة الأصنام، كمن ذكرهم في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[3]، فذكر ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾، ويطلبوا

= ابن مضر، كانت ديارها غربي القصيم حتى أطراف الجبلين الجنوبية، ثم تفرقوا في أقطار العالم الإسلامي ولم يعد لهم بقية في أرضهم. انظر: جمهرة النسب للكلبي ص (١٦٨)، ومعجم قبائل الحجاز ص (١٧).

وغطفان: اسم يضم قبائل كبيرة مضرية، وهم نسبة إلى غطفان بن سعد ابن قيس عيلان بن مضر. ومن قبائلهم المشهورة: بنو ذبيان وعبس، كانت منازلهم غرب الجبلين وحرة النار حتى أطراف خيبر والمدينة والقصيم، ثم تفرقوا في البلاد، ولهم بقايا في مطير، ومنهم بنو عبدالله. انظر: جمهرة النسب ص (٤١٤)، ومعجم قبائل الحجاز ص (٣٨٢).

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣١). وتهامة: بكسر التاء «تطلق على الأرض المنكفئة إلى البحر الأحمر، من الشرق من العقبة في الأردن، إلى (المخا) في اليمن». المعالم الأثيرة ص (٧٣). وانظر: معجم ما استعجم (١/ ١٣)، والمعجم الوسيط ص (٩٠).

(٢) في الأصل (كا) حيث سقط آخر الكلمة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤.

بدخولهم الإسلام، ويكُفّوا أيديهم عنكم، فقد أُبيح لكم قتلهم، وقد جعل الله لكم عليهم[1] حجة بما بيّنه، وقوله: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي إذا ردوا إلى الكفر عادوا إليه فتنجّسوا به، وقيل: إذا رُدّوا إلى الاختبار[2] أي الإسلام وجدوا يركسون فيها، ويكون قوله: ﴿أُرْكِسُواْ﴾ وجدوا كقولهم: أُحْمِدُوا وأُذِمُّوا[3]، وقيل: الفتنة الاختبار إنما أريد به ما قصد بقوله: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[4] ومعناه أنه إذا نالتهم محنة ارتدوا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾[5] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ

---

(١) في الأصل: (عليكم) وهو تصحيف، والصواب ما أثبته.

(٢) تقدّم بيان معنى (الفتنة) في الآية قريباً.

(٣) من معاني صيغة (أفعل) أنها تدلُّ على وجود المفعول به على حالة معينة مثل: أحمدت فلانًا، إذا وجدته محمودًا، وأبخلتُه: إذا وجدته بخيلًا. انظر: الشافية ص (١٩)، وتسهيل الفوائد ص (١٩٨)، والمساعد (٢/ ٦٠٠).

(٤) سورة العنكبوت، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة الحج، الآية: ١١.

أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]

إن قيل: هل يجوز أن يقتل المؤمن خطأ حتى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾؟ قيل: إن قولك يجوز أو لا يجوز. إنما يقال في الأفعال الاختيارية/ [٢٨٨/ب] المقصودة[2]، فأما الخطأ فلا يقال فيه ذلك، وقولك: ماكان لك أن تفعل كذا، وقولك: ما كنت لتفعل كذا متقاربان، وهما تعليلان بمعنى، وإن كان أكثر ما يقال للأول لما كان الإحجام عنه من قبل نفسه، ويدلّ على أنه قد يقال: ما كان لك أن تفعل كذا ـ لِما ذكرنا ـ قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[3]، لأن معناه: ما كان لله ليتخذ ولدًا في أنه لا نهي، وعلى هذا قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٢) الأفعال الاختيارية: هي كل فعل يفعله الإنسان بإرادته لا على سبيل الإكراه والاختيار: هو طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرًا وإن لم يكن خيرًا. وقال بعضهم: «الاختيار: الإرادة مع ملاحظة ما للطرف الآخر، كأن المختار ينظر إلى الطرفين ويميل إلى أحدهما. انظر: الكليات ص (٦٢). لا على سبيل الإكراه.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٥.

شَجَرَهَآ﴾[1]، فقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما كان المؤمن ليقتل مؤمنا إلا خطأ، وهذا ظاهر، وهذا المعنى أراد من قال معناه: ما ينبغي للمؤمن أن يقتل مؤمنًا متعمدًا، ولكن يقع ذلك منه خطأ، وكذا من قال: ليس في حكم الله أن يقتل المؤمن مؤمنا إلا خطأ، وقال الأصمّ: معناه ليس القتل لمؤمنٍ بمتروك لا يقتص له إلا أن يكون قتله خطأ[2]، وهذا يرجع إلى الأول، وقول بعض النحويين: إن هذا استثناء خارج[3] فليس على التقدير الذي ذكرناه، كذلك، بل هو واجب، وذكر عليّ بن موسى القمّي[4]

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٠.

(٢) نقل أبو حيان كلام الراغب من أول تفسيره للآية وحتى هذا الموضوع ونسبه إليه. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٣). وانظر كلام العلماء حول هذه الآية في: جامع البيان (٩/ ٣٠)، وبحر العلوم (١/ ٣٧٥)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣١١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٨٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٦).

(٣) يعني استثناء منقطعًا، وقائل ذلك أبو عبيدة والزجاج. انظر: مجاز القرآن ص (١٣٦-١٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٠).

(٤) علي بن موسى بن يزداد القمي أبو الحسن، فقيه حنفي، انتهت إليه إمامة أهل الرأي في عصره، من مصنفاته: «أحكام القرآن»، و «إثبات القياس والاجتهاد وخبر الواحد»، و «نقض ما خالف فيه الشافعي العراقيين في أحكام القرآن»، توفي سنة ٣٥٠هـ. انظر: الفهرست لابن=

أن معنى ذلك: ليس للمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا أن يراه في دار الحرب، فيظنه كافرًا فيقتله خطأ، فيكون الخطأ راجعًا إلى القاتل في كونه غير عالم بحال المقتول، وأما من قال: معنى ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ ولا خطأً[1]، واستدلاله بقول الشاعر:

وكـــلُّ أخ مفـــارقـــه أخـــوه   لعَمْرُ أبيك إلا الفَرْقَدانِ[2]

أي: ولا الفرقدان[3]، فذلك تشبيه فيه ما أرى أن محققي

= النديم ص (٣٥٠)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٤٣٩)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص (٢٦).

(١) قال السمعاني: «وقال بعضهم: (إلا) بمعنى (ولا) يعني: ولا خطأ. ولا يعرف في كلام العرب (إلا) بمعنى (ولا)، ولأنه يقتضي النهي عن قتل الخطأ، والخطأ لا يدخل تحت النهي والأمر». تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦١). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٣٤).

(٢) هذا بيت من بحر الوافر لعمرو بن معدي كرب، وقيل لحضرمي بن عامر، وهو في ديوان عمرو ص (٢٦٧)، وكتاب سيبويه (٢/ ٣٣٤)، والأغاني (١٤/ ٣١)، والكامل (٤/ ٧٦)، والبيان والتبيين (١/ ٢٢٨)، والمؤتلف والمختلف ص (١١٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وتاج العروس (٨/ ٤٩٢). والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان. وقيل: كوكبان قريبان من القطب. انظر: تاج العروس (٨/ ٤٩١).

(٣) نسب هذا القول إلى رؤبة في البحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وهو بغير نسبة في معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦١).

النحويين يوافقونه[1]، وقيل: الخطأ في الأصل على وجوه؛ منها: أن يقع بلا قصد من القاتل إلى القتل، ولا إلى الإتيان به بوجه، كمن سقط من يده شيء فأصاب نفسه فقتله، ومنها أن يقصد إصابة الشيء غير المقتول، فاتفق إصابته فقتله، كمن يرمي صيدًا فأصاب إنسانًا فقتله، أو يقصده ولكن لا بسلاح يقتل مثله، أو يقصده بسلاح لكن لا يريد قتله، أو يقصده بسلاح ويريد قتله لكن لا يعلمه محظور القتل، كمن يرمي مسلمًا في صف المشركين، أو يقصده بسلاح ويريد قتله لا في دار الحرب، لكن القاصد غير مكلف كالصبي والمجنون، / [٢٨٩/أ] وكل ذلك يقال له: قتل الخطأ، لكن لذلك تعارفٌ في الشرع هو المُراعى، وقد بُيِّن ذلك في كتب الفقه[2].

والرقبة المؤمنة: أن يكون مولودًا في دار الإسلام صغيرًا كان أو

---

(١) أجاز الكوفيون أن تكون (إلا) بمعنى الواو، ومنع ذلك البصريون. انظر: المسألة رقم (٣٥) من الإنصاف ص (٢٦٦-٢٧٢)، وقد ردَّ النحاس على من قال (إلا) هنا بمعنى (ولا) في معانيه (٢/ ١٥٩)، والإعراب له (١/ ٤٨٠)، وفي تهذيب اللغة (١٥/ ٤٢٧): «وأما قول أبي عبيدة في (إلا) الأولى يعني التي تكون للاستثناء إنها تكون بمعنى الواو فإنه خطأ عند النحويين».

(٢) انظر: أوجه قتل الخطأ في: جامع البيان (٩/ ٤٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٢، ٢٢٣)، والمغني (٧/ ٦٥٠، ٦٥١)، والعزيز (١٠/ ١٢٠ وما بعدها).

كبيرًا، أو سباه من دار الحرب مسلم قبل البلوغ، أو أسلم بعد البلوغ، وهذا الإيمان هو الإسلام[1]، دون كمال الإيمان المتقدّم ذكره في غير هذا الموضع، قال الحسن: ما في القرآن مؤمنة فلا يُجزئ إلا من صام وصلى وحسن إسلامه، وما عدا ذلك فيجزئ فيه الصغير والكبير[2]، وقال إبراهيم: لا يجزئ في ذلك إلا البالغ[3]، وقدر الدية مختلفٌ فيه والمفزع فيه إلى السنة، وظاهر الآية يقتضي شيئًا مقدرًا[4]، والتتابع في صيام الشهرين مشروط، والظاهر

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٤)، والنكت والعيون (١/ ٥١٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٠٩)، وزاد المسير (٢/ ١٦٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٩/ ٣٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٢)، والنكت والعيون (١/ ٥١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٠٦).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٣٤)، وقد روى الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٦) بسنده عن إبراهيم في قوله ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ قال: إذا عقل دينه. وهو بمعنى ما ذكره الراغب. وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٢).

(٤) قال الجصاص: «وقد تواترت الآثار عن النبيّ ﷺ بمقدار الدية، وأنها مائة من الإبل» أحكام القرآن (٢/ ٢٣٢). وانظر: جامع البيان (٩/ ٤٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٥)، وقد حكى الإجماع على ذلك.

[أن][1] ما لا يمكن الاحتراز منه لا يبطل التتابع كالحيض والمرض الطارئ والإغماء، وأما مصادفة الأيام التي حُظر فيها الصوم كيوم العيد، وأيام التشريق، والإفطار في السفر، أو الشهر الذي يستحق صومه بالشرع كشهر رمضان، فإن ذلك يقطع التتابع، ويوجب الاستئناف[2]، وحكي عن مسروق[3] أن ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ عنى من لم يجد الدية والرقبة[4]، وسائر أهل العلم بخلافه، فالدية حق الآدميين، والكفارة حق

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٤٦)، وزاد المسير (٢/ ١٦٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٧، ٣٢٨)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٨).

(٣) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة، من فقهاء الكوفة وعبادها، وهو من العلماء بالفتوى ومن أصحاب ابن مسعود الذين كانوا يعلمون الناس السنة، ثقة مخضرم من الثانية، مات سنة ٦٢هـ، وقيل: ٦٣هـ. انظر: تقريب التهذيب ص (٥٢٨)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩).

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ٥٥، ٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٥)، والنكت والعيون (١/ ٥١٩)، وزاد المسير (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٧). وقال ابن عطية: «وهذا القول وهمٌ، لأن الدية، إنما هي على العاقلة، وليست على القاتل» المحرر الوجيز (٤/ ٢١١). قال أبو حيان: «وليس بوهم، بل هو ظاهر الآية» البحر المحيط (٣/ ٣٣٨).

الله، فلا تنوب إحداهما عن الأخرى[1]، وقال الأصمّ: ظاهر الكتاب يدل على أن الدية تلزم القاتل، لأنه قال: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ فعطفها على الكفارة، ومعناه: عليه ذلك[2]. وإنما بيّن النبي ﷺ أن دية الخطأ تتحمَّل العاقلة عن القاتل على سبيل المواساة، لا أنه نسخ الكتاب بالسنة[3]، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ أي: يعفوا عن الدية، فجعل العفو عنها صدقة منهم، تنبيهًا على فضيلة العفو وحثًّا عليه، وأنه جار مجرى الصدقة في استحقاق الثواب الآجل به دون طلب العوض

---

(١) قال الطبري: الصواب من القول في ذلك: أن الصوم عن الرقبة دون الدية، لأن دية الخطأ على عاقلة القاتل، والكفارة على القاتل بإجماع الحجة على ذلك، نقلًا عن نبيّها ﷺ، فلا يقضي صوم صائم مما لزم غيره في ماله. جامع البيان (٩/ ٥٦). وانظر: النكت والعيون (١/ ٥١٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢١١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٧)، وزاد المسير (٢/ ١٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٨).

(٢) ذكر هذا القول الرازي في التفسير الكبير (١٠/ ١٨٤)، ونسبه للأصم وجمهور الخوارج.

(٣) قال الجصاص: «وليس في إيجاب الدية على العاقلة أخذهم بذنب الجاني، إنما الدية عندنا على القاتل، وأمر هؤلاء القوم بالدخول معه في تحمُّلها على وجه المواساة له من غير أن يلزمهم ذنب جنايته...» أحكام القرآن (٢/ ٢٢٤).

العاجل، وهذا حكم من قُتل في دار الإسلام خطأ[1]، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[2] أي من أهل الحرب في الدار والمعركة، وفي فقد التمييز لا في معنى القرابة، ولا فرق بين أن يكون مسلمًا دخل دار الحرب، أو أسلم هناك ولم يهاجر، وقيل: قد دخل في ذلك من أسلم في دار الإسلام من المشركين ولم يعلم القاتل به، وخبر الحارث[3] يدلّ/ على ذلك، [٢٨٩/ب] لأنه قتل بالمدينة وقد كان أسلم[4]، وقيل: إنما أسقط الدية فيه إذا كان أولياؤه كفارًا وهو مؤمن، فإن ديته راجعة إلى المؤمنين

---

(١) ذكر أبو حيان كلام الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ ولكنه لم ينسبه إليه. وانظر: نحواً من كلام الراغب في: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٣) الحارث بن يزيد بن أبي أنيسة، ويقال: ابن نبيشة، من بني معيص بن عامر بن لؤي، كان يؤذي المسلمين بمكة وهو كافر، فلما هاجر الصحابة أسلم ولم يعلموا بإسلامه، وأقبل مهاجرًا حتى إذا كان بظاهر الحرة لقيه عيّاش بن أبي ربيعة، وظنه على شركه فعلاه بالسيف حتى قتله. انظر: الاستيعاب رقم (٤٥٥)، وأسد الغابة رقم (٩٨٢)، والإصابة (١/ ٧٠٠).

(٤) انظر الخبر في: جامع البيان (٩/ ٣٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣١)، والنكت والعيون (١/ ٥١٧)، وأسباب النزول ص (١٦٩)، وزاد المسير (٢/ ١٦١)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٢).

فلا معنى لإلزامهم[1]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[2] أي كان المقتول خطأ من قوم كذلك. واختلفوا هل الإيمان شرط فيه؟ فقال الحسن ومالك: هو شرط[3]، تقديره: إن كان المقتول خطأ مؤمنًا، قال مالك: ولا كفارة في قتل الذمي[4]، ومنهم من قال: الآية واردة فيمن

---

(١) قال القرطبي في الجامع (٥/ ٣٢٤): «وقالت طائفة: بل الوجه في سقوط الدية أن الأولياء كفار فقط، فسواء كان القتل خطأ بين أظهر المسلمين أو بين قومه ولم يهاجر، أو هاجر ثم رجع إلى قومه كفارته التحرير ولا دية فيه، إذ لا يصحّ دفعها إلى الكفار، ولو وجبت الدية لوجبت لبيت المال على بيت المال، فلا تجب الدية في هذا الموضع، وإن جرى القتل في بلاد المسلمين، هذا قول الشافعي، وبه قال الأوزاعي والثوري وأبو ثور، وعلى القول الأول إن قتل المؤمن في بلاد المسلمين وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة». وللعلماء في ذلك أقوال متعددة. انظر: جامع البيان (٩/ ٣٨-٤٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٤٠-٢٤٢)، ولابن العربي (١/ ٤٧٦، ٤٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٣، ٣٢٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٣) انظر: قول الحسن ومالك في: جامع البيان (٩/ ٤٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٨)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٧).

(٤) قال ابن العربي: «كل كافر لا كفارة في قتله، كالمستأمن، وقد اتفقنا على=

كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فأسلم، ثم قتله مسلم من غير حرب، قالوا: وكان هذا في زمن الرسول ﷺ، فأما بعد فقد أُمروا بقتالهم[1]، ومنهم من قال: عنى بالميثاق الذمة إما بالعهد أو الاستئمان[2]، والظاهر أن كل قَتْل في عهد جائز بين المسلمين ففيه الدية والكفارة[3]. وتعلّق هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر فيما قبلها[4] حُكم[5] من أسلم فمنعه عذر من مقابلة أعداء المسلمين، وحُكم من لم يسلم، وإنما يريد أن يَسْلَمَ على

= أنه لا كفارة في قتله». أحكام القرآن (١/ ٤٧٨).

(١) ذكر هذا القول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٥).

(٢) قال الطبري: «وأما الميثاق فإنه العهد والذمة» جامع البيان (٩/ ٤٤). وانظر: النكت والعيون (١/ ٥١٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦٢)، والوسيط (٢/ ٩٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٧)، والتفسير الكبير (١٠/ ١٨٧).

(٣) ذلك سواء أكان المقتول خطأ مؤمنًا أو كافرًا، وهذ قول ابن عباس والشعبي وإبراهيم والزهري والشافعي. انظر: جامع البيان (٩/ ٤١، ٤٢)، والنكت والعيون (١/ ٥١٩)، والوسيط (٢/ ٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٣)، وزاد المسير (٢/ ١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٧).

(٤) تكررت في الأصل عبارة: (وهو أنه لما ذكر فيما تقدم).

(٥) كُرِّر في الأصل هذا المعنى بقوله: (وبيّن حكم)، بعد كلمة: (حكم)، والسياق مستقيم بدونها.

الفريقين، فأمر في الأولى بالتجافي وفي الثانية بقتلهم، بيّن هاهنا خطر قتل المؤمنين، وجعلهم صنفين: مقتولاً خطأ، ومقتولاً عمدًا. فبيّن حكم الخطأ وجعل المقتولين ثلاثة أصناف على ما فسرناه، ثم بيّن حكم قتل العمد، فقال تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

العمد: فعل الشيء عن إرادة واختيار، ويضاده الخطأ[2]، وصفة قتل العمد أن يقصده بحديدة أو حجر يقتل غالبًا، أو توبع عليه بخنق أو بسوط فتوالى عليه حتى يموت[3]، والآية قيل نزلت في رجل فقده الكفار، وذاك أنه خرج [في][4] سرية فنزلوا ماء، فخرج من أصحابه عليه السلام رجل فحمل عليه فقتله[5]، وقيل: هي في رجل رآه أخوه مقتولاً في بني

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) قال ابن فارس: «عَمَدت للشيء إذا قصدت له، وهو نقيض الخطأ» مجمل اللغة ص (٤٨٤)، وانظر: المفردات ص (٥٨٥)، والكليات ص (٥٩٩).

(٣) انظر أوجه قتل العمد في: جامع البيان (٩/ ٥٧-٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٢٣)، والوسيط (٢/ ٩٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٤)، والمغني (٧/ ٦٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٩).

(٤) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٥) ذكر العلماء هذا السبب ضمن أسباب نزول الآية التي تلي هذه الآية =

النجار[1]، فشكا إلى النبي ﷺ فأمر أن تُدفع إليه الدية فدفعت إليه، ثم حَمَل على مسلم فقتله فهرب إلى مكة[2]، ولا خلاف بين عامة المسلمين أن التائب يخرج من هذا الحكم[3]، وقد روي عن

= انظر: جامع البيان (٩/ ٧٣ ـ ٧٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٠)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٠، ٥٢١)، والوسيط (٢/ ١٠١)، وأسباب النزول ص (١٧١)، وزاد المسير (٢/ ١٦٩ ـ ١٧١).

(١) بنو النجار: بطن من أنصار الخزرج من أهل المدينة، وهم الذين ناصروا النبي ﷺ، اشتهروا بالشجاعة والثبات على الإيمان، كان موطنهم الأصلي المدينة، ثم تفرَّقوا، ولم يبق لهم باقية. ونسبتهم إلى النجار بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج. انظر: الإنباه على قبائل الرواه (٨/ ١١٠).

(٢) انظر هذا الخبر في: جامع البيان (٩/ ٦١، ٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧)، والنكت والعيون (١/ ٥١٩)، والوسيط (٢/ ٩٥، ٩٦)، وأسباب النزول ص (١٧٠، ١٧١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٦٦)، وزاد المسير (٢/ ١٦٦).

(٣) خالف في ذلك ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: «وأنّى له التوبة». ورُوِيَ عن ابن عمر وأبي هريرة أنهما قالا: «ولا توبة له». انظر: بحر العلوم (١/ ٣٧٦). وقال البغوي في معالم التنزيل: «والذي عليه الأكثرون، وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمدًا توبته مقبولة، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [طه: ٨٢]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل...»=

النبي ﷺ أن رجلًا جاء فقال: هل للقاتل/ توبة؟ فقال: «نعم». [٢٩٠/أ]
ثم جاءه آخر فسأله عن ذلك، فقال: «لا توبة له»، فراجعه بعض أصحابه في ذلك، فقال: «إن الأول كان قد قَتَل فكرهت أن أؤيسه من رحمة الله، فيتملّكه الشيطان فيهلكه، وأما الثاني فرأيته عازمًا على قتل رجل اعتمادًا على أن يتوب من بعد، فكرهت أن يمضي عزيمته»[(١)]، وأهل الوعيد يجرون الآية على العموم، ويخصصون به قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٢)]، ومخالفوهم يخصصون قوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ﴾ الآية، ويجرون تلك على العموم[(٣)]، والمفزع لمن يريد تحقيق ذلك إلى غير

= معالم التنزيل (٢/ ٢٦٧). وانظر: جامع البيان (٩/ ٦٩، ٧٠)، وزاد المسير (٢/ ١٦٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٣٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٣٩).

(١) هذا أثر يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥٣) وعزاه إلى عبد بن حميد، والنحاس، عن سعد بن عبيدة.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨. قال أبو حيان: «وذهبت المعتزلة إلى عموم هذه الآية، وأنها مخصصة بعمومها لقوله ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾...» البحر المحيط (٣/ ٣٣٩).

(٣) كما ورد فيما نقلته عن البغوي آنفًا.

الآيتين، والله أعلم، وقد تقدّم أن القصد بغضبه تعالى إلى إنزال عقابه، دون تغيّر حال يعتري ذاته، تعالى الله عن التغيّرات[1]، ولعنته في الدنيا: إبعاده من لَعَنَهُ عن الصفات النفيسة التي يتخصص به أولياؤه، وفي الآخرة عقابه وتبعيده عن ثوابه[2].

قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[3].

قرئت: تثبتوا و تبينوا[4]، وقيل: التبيُّن أبلغ[5]؛ لأنه قل ما يكون إلا بعد التثبُّت[6]، وقد يكون التثبُّت ولا

---

(١) انظر ص (٣٦٧) من هذه الرسالة.

(٢) تقدم ذكر معنى اللعن. انظر ص (١٨٧) من هذه الرسالة.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبّتوا) بالثاء. وقرأ الباقون: (فتبيّنوا). انظر: حجة القراءات ص (٢٠٩)، ومعاني القراءات ص (١٣٢)، والمبسوط ص (١٥٧)، والغاية ص (٢٢٨)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٦).

(٥) قال النحاس: «(وتبينوا) في هذا أوكد، لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبين» إعراب القرآن (١/ ٤٨١).

(٦) قال أبو هلال: «والتبيين: علم يقع بالشيء بعد لبسٍ فقط»، الفروق ص=

تبيُّن[1]، وقد قُوبل بالعجلة في قولهم: التبيُّن من الله، والعجلة من الشيطان فتبيّنوا، وقُرِئَ السَّلَم والسلام[2]، والسلام قيل: التحية[3]، وقيل: الاستسلام[4]. والسَّلم والسِّلْم: الصلح[5]، وقيل: هو بمعنى الإسلام[6]، ويقال للصلح: السلم، فلا يكون مرادًا هاهنا، لأن المسلم مخيّر إذاطلب الكافر منه السلم بين أن يبذله له، وبين أن يمنعه، ورُوِيَ أنه خرج مقداد[7] في سريته فمر برجل في غُنَيمات، فقال: إني مسلم. فلم

= (١٠٣)، وانظر: حجة القراءات ص (٢٠٩) وقال الأخفش: «هما بمعنى» معاني القرآن (١/ ٤٥٢، ٤٥٣). وقال الفرّاء: «هما متقاربان في المعنى» معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٣).

(١) نقل أبو حيان عن الراغب هذه الجملة في البحر المحيط (٣/ ٣٤٢) ونسبها إليه.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحمزة وأبو جعفر وخلف: (لمن ألقى إليكم السَّلَم) بغير ألف. وقرأ الباقون: (السلام). انظر: حجة القراءات ص (٢٠٩)، والمبسوط ص (١٥٨)، والغاية ص (٢٢٨)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٦٦).

(٣) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٨٢)، وحجة القراءات ص (٢٠٩).

(٤) انظر: تأويل المشكل ص (٤٧٩)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٩)، فقد جوّز ذلك، وكذلك فعل الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٢).

(٥) نسب هذا القول إلى الربيع. انظر: حجة القراءات ص (٢٠٩).

(٦) قاله ابن جرير. انظر: جامع البيان (٩/ ٨٢).

(٧) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة الكندي المعروف بالمقداد بن=

يلتفت إلى قوله، فقتله وأخذ غنيماته، فلما رجع إلى النبي ﷺ أنكره، فقال: «هلَّا شققت/ عن قلبه»[1]، والآية تدلُّ على أن [٢٩٠/ب] المجتهد في مسائل الاجتهاد معذور[2]، ولولا ذلك لما قارّه النبي

= الأسود، من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا والمشاهد كلَّها مع النبي ﷺ، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه عليّ وأنس وآخرون، توفي سنة ٣٣هـ. انظر: الإصابة (٦/ ١٥٩)، والتقريب ص (٥٤٥).

(١) انظر خبر المقداد في: جامع البيان (٩/ ٨٠) بنحوه، وقد ذكره البخاري في صحيحه معلقًا (١٢/ ١٩٤) رقم (٦٨٦٦) كتاب الديات، باب ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾. ورواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٠) رقم (١٢٣٧٩)، وقال الحافظ في الفتح (١٢/١٩٨): «وهذا التعليق وصله البزار والدارقطني في الأفراد، والطبراني في الكبير». قال الماوردي: واختلف في قاتله على خمسة أقاويل: أحدها: أنه أسامة بن زيد، وهو قول السدي. والثاني: أنه المقداد، وهو قول سعيد بن جبير. والثالث: أبو الدرداء، وهو قول ابن زيد. والرابع: عامر بن الأضبط الأشجعي، وهو قول ابن عمر. والخامس: هو محلّم بن جثامة الليثي. النكت والعيون (١/ ٥٢١).

(٢) يدلّ على ذلك قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» متفق عليه. قال النووي: «قال العلماء: أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن أصاب فله أجران؛ أجر باجتهاده وأجر بإصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده..» شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٣، ١٤). وانظر: =

ﷺ، وقرأ أبو جعفر: لست مَأْمنًا أي مبذولاً له الأمان[1].

قوله عز وجل: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

الدرجة معروفة[3]، ومنها أدرجت الكتاب: طويته طيًّا يشبه الإدراج[4]، وغير يوصف به النكرة، وما فيه الألف واللام إذا دلّ على الجنس[5]، وقد يُستثنى

= فتح الباري (١٣/ ٣٣١، ٣٣٢).

(١) قال أبو حيان: «قرأ أبو جعفر (مأَمنًا) بفتح الميم، أي لا نؤمنك في نفسك، وهي قراءة عليّ وابن عباس وعكرمة وأبي العالية ويحيى بن يعمر» البحر المحيط (٣/ ٣٤٢). وانظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٨٢)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٤٠٣).

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٩٥، ٩٦.

(٣) في المفردات ص (٣١٠): «والدرجة: نحو المنزلة، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيطة، كدرجة السطح والسلّم، ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة». وانظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٦٤٢).

(٤) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (١٢٤)، والصحاح (١/ ٣١٣).

(٥) انظر: مغني اللبيب ص (٢١٠)، وقال الزجاج: «الأصل أن يكون صفة للنكرة» معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٣).

به[1]، فإذا قُرِئ منصوبًا فعلى الاستثناء أو على الحال، وإذا جُرّ فصفة[2] للمؤمنين، وإذا رُفع فصفة[3] للقاعدين[4]، والضرر: اسم عام لكل ما يضر بالإنسان في بدنه ونفسه[5]، وعلى سبيل الكفاية عبّر عن الأعمى بالضرير[6]، **فإن قيل**: كيف يصحُّ حمله على الأمراض النفسية، وقد قال في ذم الكفار: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[7]؟ [**قيل**][8]: إن الذي عذرهم الله تعالى فيه هو ما لم يكن الإنسان نفسه سببه، وما ذموا به فهو المرض، أي الجهل الذي يكون[9] هو سبب استجلابه من ترك إصغائه إلى

---

(١) انظر: المفصل ص (٨٨)، وتسهيل الفوائد ص (١٠٦).

(٢) في الأصل (نصفه) وهو تصحيف ظاهر والصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل (نصفه) وهو تصحيف ظاهر والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: معاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٣)، وللأخفش (١/ ٤٥٣)، وللنحاس (٢/ ١٧٠، ١٧١)، وإعراب القرآن له (١/ ٤٨٣)، والإيضاح ص (٢٠٩).

(٥) انظر: العين (٧/ ٧)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٣١٢)، والصحاح (٢/ ٧١٩-٧١٨). قال الخليل: «الضرر: النقصان يدخل في الشيء.. والضرر: الزمانة». وقال الجوهري: «الضرر: خلاف النفع».

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٧٠).

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٨) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٩) تصحّفت في الأصل إلى: (يكرهون)، والصواب ما أثبته.

الحق، وإهمال نفسه من العادات الجميلة، ولذلك قال ابن عباس أولي الضرر: هم أهل العذر[1]، فعمّم، وقد ذكر عامة ما أجمله هاهنا في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[2] الآية. **إن قيل**: لم كرر الفضل وأوجب في الأول درجة، وفي الثاني درجات، وقيدها بقوله: ﴿مِّنْهُ﴾، وجهّل معها المغفرة والرحمة؟ **قيل**: في ذلك أجوبة: **الأول**: أنه عنى بالدرجة ما يؤتيه في الدنيا من الغنيمة، ومن السرور بالظفر وجميل الذكر، وبالثاني ما يخولهم في الآخرة، ونبه بإفراد الأول، وجمع الثاني أن ثواب الدنيا في جنب ثواب الآخرة يسير، **والثاني**: أن المجاهدين في ثواب الدنيا [يتساوون][3] فيما يتناولونه، كمن يأخذ سلب مقتوله، وكتساوي نصيب/ كل واحد من الفرسان، ونصيب كل واحد من الرجالة، وهم في الآخرة يتفاوتون بحسب إيمانهم، فلهم درجات حسب استحقاقه، ومنهم من يكون له الغفران، ومنهم من تكون له [٢٩١/أ]

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ٩٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢١)، وزاد المسير (٢/ ١٧٤).

(٢) سورة النور، الآية: ٦١.

(٣) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها. وقد نقل أبو حيان هذه العبارة بنحو ذلك فقال: «وقيل: المجاهدون تتساوى رتبهم في الدنيا بالنسبة إلى أحوالهم، كتساوي القاتلين بالنسبة إلى أخذ سلب من قتلوه، وتساوي نصيب كل واحد من الفرسان...». انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٤٦).

الرحمة فقط، وكأن الرحمة أدنى المنازل، والمغفرة فوق الرحمة، ثم بعده الدرجات على الطبقات[1]، وعلى هذا نبه بقوله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2].

ومنازل الآخرة تتفاوت، وقد نبّه على ذلك بنحو قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[3] إلى قوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[4]. **والثالث**: أن الجهاد جهادان: صغير وكبير، فالصغير مجاهدة الكفار، والكبير مجاهدة النفس، وعلى ذلك دلّ قوله عليه الصلاة والسلام: «**رجعنا من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر**»[5]، وبقوله: «**جهادك** . . . .

---

(١) نقل أبو حيان هذين الوجهين اللذين ذكرهما الراغب بنحو ما ذكر الراغب في البحر المحيط (٣/ ٣٤٥، ٣٤٦). وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٢١، ٢٢٢)، وزاد المسير (٢/ ١٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٤٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

(٥) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» ص (١٦٥) رقم (٣٧٣) وقال: هذا إسناد فيه ضعف. وأخرجه الخطيب في تاريخه (١٣/ ٤٩٣) وعزاه العراقي في تخريج أحاديث «إحياء علوم الدين» للبيهقي في الزهد. انظر هامش الإحياء (٣/ ٧).

هواك»[1]، وإنما كان مجاهدة النفس أعظم، لأن من جاهد نفسه فقد جاهد الدنيا، ومن غلب الدنياهان عليه مجاهدة العدى، فخصَّ بمجاهدة النفس بالدرجات تعظيمًا لها. **والرابع**: أن الأول عنى به الجهاد بالمال، والثاني الجهاد بالنفس[2].

إن قيل: لِمَ ذكر مع الدرجات المغفرة والرحمة معًا؟ وما الفرق بينهما؟ **قيل**: إن المغفرة تُقال اعتبارًا بإزالة الذنوب، والرحمة تقال اعتبارًا بإيجاب التوبة، وإدخال الجنة،

---

(١) يبدو أن هذا جزء من الحديث السابق، وقد ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤٢٤) فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جُهاد القلب». قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عيلة». انتهى. وأقول: الحديث في الإحياء قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ: «قدم النبيّ ﷺ من غزاة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**مجاهدة العبد هواه**» اهـ. ولم أقف على كلام الحافظ ابن حجر في القسم المطبوع من «تسديد القوس».

(٢) ذكر النيسابوري الوجه الثالث والرابع ودمجهما في قول واحد، فقال: «وقيل: المراد بالمجاهد الأول صاحب الجهاد الأصغر، وهو الجهاد بالنفس والمال، وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الأكبر، وهو المجاهد بالرياضة والأعمال». تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٧٩).

والدرجات هي: المنازل الرفيعة بعد إدخال الجنة، **وقيل**: إن الرحمة هي: أن يتوب عليه [من][1] الذنب وإن كان بعد تبكيت وعقاب، **والمغفرة** هي: أن يستر ذنوبه فلا تبكيت به، والدرجات: هو أن يجعل لكل واحد درجة بقدر ما يليق به، وهي المعبرة عنها بالغرفات[2]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدّ الله أعلاها للمجاهدين في سبيله**»[3]، فقال رجل: ما الدرجة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أما إنها ليست بعتبة**»[4]، **إن قيل**: كيف

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) قال أبو حيان: «قيل الدرجات باعتبار المنازل الرفيعة بعد إدخال الجنة، والمغفرة باعتبار ستر الذنب، والرحمة باعتبار دخول الجنة» البحر المحيط (٣/ ٣٤٧).

(٣) في الأصل: (سبيل)، والصواب ما أثبته. والحديث إلى هنا أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب «درجات المجاهدين» رقم (٢٧٩٠)، وفي كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء» رقم (٧٤٢٣). وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص (٣٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) على عادة الراغب فإنه اختصر الحديث، وتمامه: «**أما إنها ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مائة عام**» وهو حديث آخر غير حديث أبي هريرة، أخرجه النسائي في سننه (٦/ ٢٧)، كتاب الجهاد، باب «ثواب من رمى بسهم في سبيل الله» ونصّ الحديث عن كعب بن مرة رضي الله عنه، قال: =

قال: وكلًّا وعد الله الحسنى والكفار من جملة الكل؟ قيل: إن كلًّا هاهنا لم تتناول إلا من تقدّم ذكره من المؤمنين والمجاهدين والقاعدين.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ/ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ❁ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ❁ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾[1]. توفاهم. قيل: هو ماض، وقيل: تقديره تتوفاهم الملائكة[2]، وذلك في وصف قوم أظهروا الإسلام ولم يهاجروا، بل كثّروا سواد المشركين يوم بدر فقتلوا، [٢٩١/ب]

= سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ارموا من بلغ العدوّ بسهم رفعه الله به درجة». قال ابن النحام: يا رسول الله وماالدرجة؟ قال: «أما إنها ليست بعتبة أمك...» الحديث. وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٣٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٥) ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٤).

(١) سورة النساء، الآيات: ٩٧-٩٩.

(٢) جوّز الوجهين الفرّاء في معاني القرآن (١/ ٢٨٤)، والطبري في جامع البيان (٩/ ١١١، ١١٢)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٤)، والنحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٨٤).

فادعوا لما سألهم الملائكة الذين توفُّوهم أنهم كانوا مستضعفين، فكذبهم الله[1]، وقيل: هم الذين نهى عن موالاتهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾[2] إن قيل: كيف لم يعذرهم لما اعتذروا بالاستضعاف وقد قال من قبل: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؟ قيل: لأنهم كذبوا في دعواهم، والذين عذرهم هم الذين سلبهم الله القوى والقدرة، أو لم يعطهم ذلك كالصبي[3]، وقال بعض المحققين: ظلم النفس في الحقيقة هو التقصير في تهذيبها وسياستها المذكورة في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[4] وذلك [أن][5] كل إنسان سائسُ نفسِه، فمتى لم يوف حق السياسة . . . .

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٠٠، ١٠١)، والوسيط (٢/ ١٠٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٤٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٤٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥١٣).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢. ولم أجد من ذكر هذاالقول.

(٣) انظر: كلام العلماء حول المستضعفين المعذورين في: جامع البيان (٩/ ١٠١)، والوسيط (٢/ ١٠٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢٧).

(٤) سورة الشمس، الآية: ١٠.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

فقد ظلمها ظلم الوالي رعيته، قال: وخاطب بذلك من أعطاه القوة ومكّنه أن يبلغ الدرجات الرفيعة، فرضي لنفسه بأخس منزلة، وكذبهم فيما ادعوه من استضعافهم تنبيهًا أن من أمكنه استفادة ما به يقدر فهو في حكم القادر فلا يعذر، ثم استثنى الأصناف الثلاثة[1] فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ فذكر لفظ عسى لئلا يركنوا كل الركون[2]، وليكونوا ممن قال فيهم: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾[3]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ أَخَّر ذكر الغفران إذ هو أبلغ[4]، وقد تقدّم أن

---

(١) وهم المستضعفون من الرجال والنساء والولدان.

(٢) وهذا لا يخالف ما قرره الراغب من قبل: من أنّ عسى من الله واجب. قال أبو حيان: «(وعسى) كلمة إطماع وترجية، وأتى بها وإن كانت من الله واجبة، دلالة على أن ترك الهجرة أمر صعب لا فسحة فيه، حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول: عسى الله أن يعفو عني. وقيل: معنى ذلك: إنه يعفو عنه في المستقبل، كأنه وعدهم غفران ذنوبهم» البحر المحيط (٣/ ٣٤٩). وانظر: أنوار التنزيل (١/ ٢٣٣)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٤) يؤيّد ذلك قول البقاعي: «﴿عَفُوًّا﴾ أي يمحو الذنب إذا أراد، فلا يعاقب عليه، وقد يعاتب عليه. ﴿غَفُورًا﴾ أي يزيل أثره أصلًا ورأسًا بحيث لا يعاقب عليه ولا يعاتب، ولا يكون بحيث يذكر أصلًا» نظم الدرر (٢/ ٣٠٤).

الوصفين إذا اجتمعا يقدمّ الأعم ويؤخر [الأخص][(١)]، تنبيه على أن مثل هذه الصفة ليست على وجه المطابقة، واعتبارًا لحصول المعفو عنه والمغفور له، بل ذلك له على وجه أشرف من ذلك، والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ/ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٢)]. [٢٩٢/أ]

المُرَاغَم: المُتَحَرَّكُ[(٣)] إما من الرغام أي التراب[(٤)]، وقيل: هو من رغم أنفه إذا غضب[(٥)]، والمراد به قريب من قول الشاعر:

---

(١) رسمت في الأصل هكذا «وإدخال» ولا يظهر له معنى، ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٣) أي المكان الذي يتحول إليه المهاجر من بلده. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٨)، ومعاني القرآن للفرّاء (١/ ٢٨٤)، وغريب الحديث للهروي (٢/ ٣٥٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٩٦، ٩٧)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٨٤).

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) قال ابن الأنباري: «والرغم أيضاً: المساءة والغضب». الزاهر (١/ ٢٢٩)، وفي تهذيب اللغة (٨/ ١٣٢): «رغم فلان إذا لم يقدر على الانتصاف... وبهذا المعنى: رغم أنفه».

إذا كنت في دار يهينك أهلها ولم تك ممنوعًا بها فتحول[1]

وقيل: نزل ذلك في رجل من بني ضمرة[2] كان مريضًا، فقال: أخرجوني، فأشرف في الطريق، وقيل: إنه أخذ يمينه بشماله وقال: قد بايعتك يا رسول الله[3]، فبين تعالى أن المهاجر وإن لم يبلغ المقصد فله بذلك ثواب، وكذا من نوى

---

(١) البيت لهَبَنَّقة القيسي المُحمَّق، وهو ذو الودعات، واسمه يزيد بن ثروان من بني قيس بن ثعلبة. انظر: معجم الشعراء ص (٤٩٥)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ٢٧٢)، وديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب ص (٧٤٧).

(٢) الرجل هو حبيب بن ضمرة الليثي، وقيل: ضمرة بن جندب الضمري، وقيل غير ذلك. وانظر الخبر في: جامع البيان (٩/ ١١٥، ١١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٠، ١٠٥١)، وبحر العلوم (١/ ٣٨٢)، والوسيط (٢/ ١٠٧)، وأسباب النزول ص (١٧٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، وزاد المسير (٢/ ١٨٠، ١٨١). وبنو ضمرة: قبيلة مضرية، نسبة إلى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة. كان موطنها الأصلي بين مكة والمدينة، ثم تفرقت في الأقطار الإسلامية. انظر: جمهرة النسب لابن الكلبي ص (١٥٢)، ومعجم قبائل الحجاز ص (٧٥).

(٣) انظر: الوسيط (٢/ ١٠٧)، وأسباب النزول ص (١٧٨)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٤).

خيرًا وعاقه عائق عن إتمامه[١].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[٢].

الضرب في الأرض من قولهم: ضرب العرق ضربًا، إذا أسرع التحرك[٣]، والفتنة: المحنة وذلك يشتبه، لذلك استعمل في القتل والإحراق، ولأجل عمومها قال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٤]، لأن الفتنة قد تكون قتلًا، وما هو أعظم من القتل[٥]، وأهل الحجاز يقولون: فتنته، وأهل نجد يقولون: افتنته ففتن فتونًا[٦]، قال أبو عبيدة يقال: قصرت الصلاة

(١) قال الواحدي: «. . . والمؤمن إذا قصد طاعة، ثم أعجزه العذر عن إتمامها، كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة» الوسيط (٢/ ١٠٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠١.

(٣) قال الأزهري: «ضرب العرق ضرباً وضرباناً إذا آلمه» تهذيب اللغة (١٢/ ١٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

(٥) انظر: مجالس ثعلب (١/ ٨٤)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٤١، ٤٢٨)، وتأويل مشكل القرآن ص (٤٧٢-٤٧٤)، والوجوه والنظائر (٢/ ١٢١-١٢٣).

(٦) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (١٤٠)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٨)، والصحاح (٦/ ٢٧٥، ٢٧٦)، وتاج العروس (١٨/ ٤٢٥).

وقَصَّـرتها وأقصرتها[1].

والعدو يقال للواحد وللجمع[2]، كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾[3] واشترط في القصر السفر والخوف، وقيل: إنه لما سأل عمر رضي الله عنه النبي ﷺ: ما بالنا نقصر وقد أمنّا؟ قال: «صدقة تصدق الله عليكم بها، فاقبلوا صدقته»[4].

---

(١) نسب ذلك إليه النحاس في إعراب القرآن (١/ ٤٨٥). وانظر: معاني القرآن له (٢/ ١٧٨)، والأفعال لابن القوطية ص (١٥٣)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٥٨).

(٢) انظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري ص (٣١٢، ٣١٣)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٠٨).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٧٧.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ١٢٤، ١٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٥١)، ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد، باب: صلاة المسافر وقصرها، رقم (٦٨٦)، والترمذي ـ كتاب التفسير، من سورة النساء، رقم (٣٠٣٤)، وقال: حسن صحيح، وأبو داود ـ كتاب الصلاة، باب: صلاة المسافر، رقم (١١٩٩)، والنسائي (٣/ ١١٦)، وأحمد في المسند (١/ ٢٥، ٢٦)، وعبدالرزاق في المصنف (٢/ ٥١٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (١٨١) وفي معالم التنزيل (٢/ ٢٧٥)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٧)، وابن خزيمة رقم (٩٤٥)، وابن حبان رقم (٢٧٣٩ ـ ٢٧٤١)، والبيهقي (٣/ ١٣٤، ١٤٠، ١٤١)، والدارمي رقم (١٥١٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤١٥).

والقصر. قيلَ: عنى به الهيئات[1] وأن صلاة المسافر ركعتان تامتان، وذلك عن عمر وعائشة[2]، **وقيل**: عنى قصر الركعات عمَّا عليه في الحضر[3]، قال ابن عباس وجابر: إن صلاة الحضر أربع، والسفر ركعتان، والخوف ركعة[4]، والضرب في الأرض

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٢٣، ١٣٠، ١٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٨)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٣).

(٢) قال ابن عطية: «وحكى ابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه قال: «صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم، وقد خاب من افترى، ويؤيد هذا قول عائشة: فرضت الصلاة ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر» المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٤).
قلت: وقول عائشة أخرجه البخاري - كتاب التقصير، باب: «يقصر إذا خرج من موضعه» رقم (١٠٩٠)، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين، باب «صلاة المسافرين وقصرها رقم (٦٨٥).

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٢٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٢)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٣٤).

(٤) انظر قول ابن عباس في: جامع البيان (٩/ ١٣٧)، ومسند الإمام أحمد (١/ ٢٣٧، ٢٥٤)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب «صلاة المسافرين وقصرها» رقم (٦٨٧).

بعضهم يجعله على التعارف، ويعتبره بما يسمى سفرًا، ولا خلاف/ أن الخارج إلى قرية بظاهر البلد لا يجوز له القصر[1]، [٢٩٢/ب]
وبعضهم قيده بمسيرة ثلاثة أيام بناء على تحديد مسح المسافر وتحريم سفر المرأة بغير ذي محرم[2]، وبعضهم حده بثمانية وأربعين ميلًا، اعتبارًا بسفر النبي عليه الصلاة والسلام[3]، وظاهر الآية يقتضي أن لا فرق بين الحج والجهاد وغيره من الأسفار، ولا بين المطيع والعاصي[4][5].

---

(١) قال ابن العربي: «تلاعب قوم بالدين فقالوا: إن من خرج من البلد إلى ظاهره قصر الصلاة وأكل، وقائل هذا أعجمي لا يعرف السفر عند العرب...» أحكام القرآن (١/ ٤٨٨). وقال ابن عطية: «وجمهور العلماء على أن المسافر لا يقصر حتى يخرج من بيوت القرية، وحينئذٍ هو ضارب في الأرض...» المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٣). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٦).

(٢) وهو قول ابن مسعود وعثمان وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٢).

(٣) وهو مروي عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالك. وحكاه أبو حيان عن الشافعي وأحمد وإسحاق. انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٢).

(٤) تصحّفت في الأصل إلى: (القاضي)، والصواب ما أثبتّه.

(٥) قال القرطبي: «والجمهور من العلماء على أنه لا قصر في سفر المعصية، =

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

قد علَّمنا تعالى كيف نصلِّي صلاة الخوف، فظاهر الآية يقتضي ما قال ابن عباس: إن الإمام يلي بكل فرقة صلاة تامة، وهم يصلُّون صلاتهم في سائر الأوقات[2]، وقيل: كانت الرخصة في

= كالباغي وقاطع الطريق وما في معناهما...» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٥٥). وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨٧، ٤٨٨)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٣٢، ٢٣٣)، وزاد المسير (٢/ ١٨٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٢، ٣٥٣).

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

(٢) القول بأن النبيّ ﷺ صلِّي بكل طائفة ركعتين ركعتين، فكانت لرسول الله ﷺ أربع، ولكل رجل ركعتان. مروي عن جابر بن عبدالله، وهذه الكيفية رواها االبخاري في كتاب المغازي، باب: «غزوة ذات الرقاع، رقم (٤١٣٦). ومسلم في صلاة المسافرين، باب: صلاة الخوف، رقم (٨٤٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٧٨). قال: ولو صلَّى الإمام=

ذلك للنبي ﷺ فقط لفضل الجماعة معه، ومذهب عامة الفقهاء على خلاف ذلك[1]، وكيفية صلاة الخوف[2]، والخلاف فيها مبينة في كتب الفقه[3]، وقال من يذهب إلى وجوب الجماعة: إن في شرع صلاة الخوف تنبيهًا على وجوب الجماعة[4]، وقيل: في

= أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز، ثم ساق الحديث عن جابر. وانظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٤١). وقد روى هذه الكيفية أبو بكرة عن النبي ﷺ، كما في المغني (٢/ ٤١٣)، ولم أجدها مروية عن ابن عباس.

(١) قال القرطبي: «وشذّ أبو يوسف وإسماعيل ابن عُليّة فقالا: لا نصلي صلاة الخوف بعد النبيّ ﷺ، فإن الخطاب كان خاصًّا له بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾، وإذا لم يكن فيهم لم يكن ذلك لهم.. وقال الجمهور: قد أمرنا باتباعه والتأسّي به في غير ما آية وغير حديث.. فلزم اتباعه مطلقًا، حتى يدل دليل واضح على الخصوص...» الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٦٤). وانظر: النكت والعيون (١/ ٥٢٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٧٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٩٣)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٤).

(٢) قوله: «وكيفية صلاة الخوف» تكرر في الأصل.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٥٧-٢٦٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٩١-٤٩٦)، والمغني (٢/ ٤٠٠) وما بعدها. والعزيز (٢/ ٣١٩) وما بعدها.

(٤) قال ابن قدامة: «الجماعة واجبة للصلوات الخمس، رُوِي نحو ذلك عن ابن مسعود وأبي موسى، وبه قال عطاء والأوزاعي وأبو ثور، ولم يوجبها =

صلاة الخوف تنبيه على أن العمل القليل لا يبطل الصلاة(١)، وأن تأخير أداء الصلاة عن وقتها لا يجوز(٢)، وأن إقامة الصلاة كانت إلى النبي ﷺ مادام فيهم. ونبّه تعالى بقوله: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بما لأجله أمر بتناول الأسلحة للتحرُّز، وأن في حال [٢٩٣/أ] المرض والمطر يجوز/ وضع الأسلحة(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا

= مالك والثوري وأبو حنيفة والشافعي.. ولنا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية. ولو لم تكن واجبة لرخص فيها حالة الخوف، ولم يجز الإخلال بواجبات الصلاة من أجلها...» المغني (٢/ ١٧٦).

(١) انظر: المغني (٢/ ٢٤٧-٢٤٩، ٤١٦، ٤١٧).

(٢) قال النيسابوري: «... أي مكتوبة موقوتة محدودة بأوقات، لا يجوز إخراجها عنها ولو في شدة الخوف» تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٠).

(٣) قال ابن كثير: «وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب بظاهر الآية، وهو أحد قولي الشافعي، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٠). وانظر: جامع البيان (٩/ ١٦٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٦٤، ٢٦٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٩٦)، وزاد المسير (٢/ ١٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧١، ٣٧٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٥).

﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1].

قيل: إن قوله: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وارد في صلاة المريض، والآية تقتضي غير ذلك[2]، لأنه قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، اللهم إلا أن يقول قائل ذلك: هو مثل قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[3] أي إذا أردت قراءة القرآن، وقيل: هو حثٌّ على ذكر الله تسبيحًا وتعظيمًا[4]، كقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[5]، وقوله: ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي مؤدىً في أوقاته[6]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٢) قال ابن عطية: «ذهب جمهور العلماء إلى أن الذكر المأمور به إنما هو إثر صلاة الخوف على حدّ ما أُمروا به عِند قضاء المناسك بذكر الله، فهو ذكر باللسان. وذهب قوم إلى أن (قضيتم) بمعنى فعلتم، أي إذا تلبستم بالصلاة، فلتكن على هذه الهيئات بحسب الضرورات؛ المرض وغيره، وبحسب هذه الآية رتّب ابن المواز صلاة المريض. . .» المحرر الوجيز (٤/ ٢٤٣، ٢٤٤). وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٥٦).

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٤) قال أبو حيان: «والذكر المأمور به هنا هو الذكر باللسان» البحر المحيط (٣/ ٣٥٦). وانظر: جامع البيان (٩/ ١٦٤).

(٥) سورة الروم، الآية: ١٧.

(٦) وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وزيد بن أسلم وابن قتيبة. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٣٥)، وأحكام القرآن=

وقيل: منجمًا في أوقاته[1]، قال ابن عباس في هذه الآية وفي قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[2] إن الآيتين متضمّنتان لأوقات الصلاة مجملة، وأن السنة شرحتها[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[4].

لمّا كان بناء الكلام على فرض الجهاد، وكان ذكر الصلاة كالاعتراض عاد إلى ما كان في ذكره، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ﴾ والوهن: ضعف مع فتور[5]، وعاتبهم، فكأنه قال:

= للجصاص (٢/ ٢٦٦)، والوسيط (٢/ ١١٠)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٢)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢١).

(١) وهو قول زيد بن أسلم. انظر: جامع البيان (٩/ ١٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٤/ ١٠٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٧٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢١). وهذا القول بمعنى القول الأول. انظر: جامع البيان (٩/ ١٧٠)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٤٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٣) ذكر هذا المعنى الجصاص في أحكام القرآن (٢/ ٢٦٦)، دون ذكر ابن عباس.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٥) لم أجد من سبقه في ذكر الفتور في معنى الوهن، ولم يُشِرْ إليه المؤلف=

إذا تساويتم في الألم وزدتم عليهم في أن حصل لكم من الرجاء ما لم يحصل لهم، وعرفتم كون الله عليمًا بما يفعلونه حكيمًا فيما أمركم به فأمْرُكم إذًا أعلى، فيجب أن تكون قلوبكم أقوى[1]، والآية يقاربها قول الشاعر وإن كان هي أبلغ:

قاتلي القوم يا خُزاع ولا يَدْ خُلْكُم من قتالهم فشلُ

القوم أمثالكم لهم شعر في الـ ـرأس لا ينشرون إن قتلوا[2]

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

= في المفردات، والذي ذكروه هو أن الوهن بمعنى الضعف. انظر: تفسير غريب القرآن ص (١٣٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (١٣٨، ١٨٥)، والأفعال لابن القوطية ص (١٥٥)، ومعاني القرآن للنحاس ص (١٨٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٤٤)، والصحاح (٦/ ٢٢١٥، ٢٢١٦)، والمفردات ص (٨٨٧).

(١) انظر تفسير الآية في: جامع البيان (٩/ ١٧١)، وبحر العلوم (١/ ٣٨٤)، والوسيط (٢/ ١١١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٤، ٤٧٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٣)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٠).

(٢) . البيتان: للشدّاخ بن يعمر الكناني. انظر: الحماسة لأبي تمام (١/ ١١٣)، وشرح الحماسة للتبريزي (١/ ١٩١)، وشرح نهج البلاغة (٣/ ٢٦٣).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

قيل: نزل ذلك في أنصاري سرق درعًا لعمه، فاتُّهم بها فَرُئِي في دار يهودي فأوهم القوم أن اليهودي سرقها، فأعان قوم من المسلمين هذا الأنصاري، فاعتمد النبي[1] [٢٩٣/ب] / ﷺ قولهم، فأطلعه الله على الأمر، وعاتبه، وأمر بالاستغفار مما همّ به[2]. قال ابن بحر: يجوز أن تكون هذه الآية راجعة إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾[3] فبيّن أنهم مع إظهارهم الإيمان بما أنزل على الأنبياء يصدّون عمّا يُدعون إليه من حكم الكتاب، قال: ومعنى ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ راجع إلى قوله: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾[4]، فنهى عن حسن الظن بأمثالهم، ونهى في هذه الآية عن الدفع عنهم.

---

(١) تكررت كلمة «النبي» في الأصل.

(٢) انظر: جامع البيان (٩/ ١٨٤، ١٨٥)، والنكت والعيون (١/ ٥٢٨)، والوسيط (٢/ ١١١، ١١٢)، وأسباب النزول ص (١٨١)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٢).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٨.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾[1].

أعاد النهي عن الذب عنهم بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾ **والمجادلة**: المقاتلة، من قولهم: جدلت الخيل، **وقيل**: المنازعة من الإلقاء على الجدالة[2] والجدال المطلق مذموم، ولهذا لم يطلقه للنبي ﷺ حتى قيّده[3]، قال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[4].

والاختيان: افتعال من الخيانة[5]، واختيانهم أنفسهم

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

(٢) الجدالة: الأرض. انظر: في معاني هذه المادة: الأفعال لابن القوطية ص (٢١٧)، والصحاح (٤/ ١٦٥٣)، ومجمل اللغة ص (١٢٣، ١٢٤)، والمفردات ص (١٨٩، ١٩٠)، وتفسير السمعاني (١/ ٤٧٦)، والكليات ص (٣٥٣).

(٣) قال الفيومي: «جَدِل الرجل.. إذا خاصم بما يشغَلُ عن ظهور الحق ووضوح الصواب، هذا أصله، ثم استُعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة بظهور أرجحها، فهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فمذموم» المصباح المنير (١/ ٩٣).

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) أوضح الراغب هذا المعنى في المفردات ص (٣٠٥) بقوله: والاختيان: =

جعلهم إياها خائنة بما يفعلونه، كقولك: ظلم نفسه[1]، إن قيل: لم خصَّ لفظ الخوّان بنفي المحبة عنه، وهو لا يحب الخائن أيضاً، وقيل: تخصيصه هاهنا تعريض بهم، وتعظيم لفعلهم، وتنبيه أن من يتحرى خيانة ولا يستمر عليها فهو مُعرّض أن يقلع فيحبه، ومتى استمر عليها صار مطبوعًا على قلبه، لا يقلع فتُرجى له المحبة[2]، فإذًا الخائن قد يكون محبوبًا على وجه، [و][3]الخوان[4] لا يكون محبوباً بوجه، وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي الخونة أبدًا يسترون على أنفسهم خيانتهم، لكون قبحها مركوزًا في نفوسهم، ونبّه أنهم إن ستروها على الناس فليست تستتر على

= مراودة الخيانة.. فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحرّي الخيانة، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣]. وانظر: الصحاح (٥/ ٢١٠٩).

(١) انظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٩٣).

(٢) قال أبو حيان: «أي بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم، ليخرج منه من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القصد» البحر المحيط (٣/ ٣٥٩). وانظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٩٣)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٩).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل تكرار لآخر حرفين من كلمة (الخوان).

[الله][1]، وأنهم لنقصهم وجهلهم بالله يراعون[2] الناس أكثر من مراعاتهم لعظمة الله، وإلى نحو هذا أشار النبي عليه[3]/ الصلاة والسلام بقوله: «**استحيوا من الله كما تستحيون من أحدكم**»[4]، وهذا قريب من قوله: ﴿ **وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ** ﴾[5] الآية. وقوله: ﴿ **وَهُوَ مَعَهُمْ** ﴾ نحو ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾[6]. قال ابن مسعود: من صلَّى صلاة عند الناس لا يُصلّي مثلها إذا خلى فقد استهان بالله. ثم تلا هذه الآية[7]. [٢٩٤/أ]

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود في الأصل، والسياق يقتضيه.

(٢) سقط من الأصل أول حرفين من الكلمة، ودل عليها سياق الكلام بعدها.

(٣) تكررت كلمة (عليه) في الأصل.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وثبت نحوه بلفظ: «... **أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**» رواه ابن بشران في «الأمالي» ص (٣٠) رقم (١٥)، والطبراني في الكبير (٦/ ٦٩). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤) وقال: ورجاله وثّقوا على ضعف في بعضهم. وأورده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٧٤١).

(٥) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٠٦١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٨٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

قوله عز وجل: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[1].

خاطب الذَّابِّين عن هذا الخائن، ونبه أنكم وإن اعتقدتم الذَّبَّ عنه في الدنيا وستر خيانته، فالشأن في يوم القيامة عند من لا تخفى عليه خافية، وحيث لا ينفع إلا[2] من أتى الله بقلب سليم[3].

ومن فسّر الوكيل بالكفيل فتفسير عام بخاص، فإن الكفيل وكيل ما، وليس كل وكيل كفيلًا[4].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5].

عامل السوء وظالم النفس وإن كانا يعودان إلى معنى واحد،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٩.

(٢) في الأصل (إلى) والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٣)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٣).

(٤) إذ يشترط في الوكيل أن تكون له ولاية. انظر: جامع البيان (١/ ٤٠٥).

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٠.

فذكرهما اعتبارًا بحالتين[1]، وقيل: عمل السوء إشارة إلى فعل الصغائر، وظلم النفس إلى الكبائر[2].

وقوله: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ راجع إليه دون الأول، فكأنه قيل: من فعل صغيرة أو استغفر من كبيرة يجد الله غفورًا رحيمًا[3]. وقيل: عمل الإساءة ما يُفعل بالغير، وظلم النفس ما يختصُ به الإنسان من ذنب لا

---

(١) لعله يقصد حالتي عمل السوء وظلم النفس.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٣٦٠)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٢٣٦)، وأبو السعود في الإرشاد (٢/ ٢٣٠) دون نسبة. ولعل الراغب يشير إلى معنى قول ابن عباس في الآية حيث قال: «أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا، ولو كانت ذنوبه أعظم من السمٰوات والأرض والجبال». انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٦).

(٣) لم أجد هذا المعنى عند غير الراغب، وكلام المفسرين يدلّ على أن قوله ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يرجع إلى عمل السوء وظلم النفس كليهما، إذ لا دليل على التخصيص. قال الطبري: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومن يعمل ذنباً وهو السوء، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بإكسابه إياها ما يستحق به من عقوبة الله، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، ومراجعته ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾...» جامع البيان (٩/ ١٩٤).

يتعدّاه[1]، وقد تقدّم الكلام في السوء والسيئات، ومقابلتهما بالحسنات[2].

قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

الأصل في الاكتساب ما يجرّ به نفع[4]، فاستعاره لما يجلب ضرًّا، تنبيهاً أن صاحبه يقدر فيما تتحراه أنه يكسب خيرًا وهو يكسب شرًّا[5]، ونحوه معنى قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ

---

(١) انظر: مدارك التنزيل (١/ ٣٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٠) ورجّحه، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر الرسالة ص (١٣٣٣) وما بعدها.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١١.

(٤) انظر: العين (٥/ ٣١٥)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٧٩)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٤٩).

(٥) لم أجد هذا المعنى عند غير الراغب، وأغلب المفسرين فسروا الآية بما يدلّ عليها لفظها من أن من يكسب إثمًا فإن وبال ذلك لاحق به، لا يتعداه إلى غيره. انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٦)، والوسيط (٢/ ١١٣)، والكشاف (١/ ٥٦٣)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٤، ٣٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٤)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٠)، وروح المعاني (٥/ ١٤٢)، وفتح القدير (١/ ٥٧٧).

أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1]، وقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾[2]، ونبّه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ على نحو قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا/ وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[4]. [٢٩٤/ ب]

عنى بالخطيئة ما لا يكون عن عمد، وبالإثم ما كان عن عمد[5]، ونبّه أن من رمى بأحدهما بريئًا فهو في استحقاق العقاب سواء، وإن كان في ارتكاب أحدهما بخلاف الآخر، وبيَّن أنه يحصل له بذلك معاقبة مرتكب البهتان، ومعاقبة مرتكب الإثم، وذلك تعظيم لنسبة الإنسان ما ارتكبه إلى غيره عمدًا كان أو خطأً[6]، قال ابن بحر: إن ذلك يرجع إلى المنافقين الذين حكى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٢.

(٥) وهو قول الطبري وأبي سليمان الدمشقي. انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٣)، والفروق ص (٢٥٦). والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥٢)، وزاد المسير (٢/ ١٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦١)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٣٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٠).

(٦) ذكر أبو حيان هذا المعنى بنحوه في البحر المحيط (٣/ ٣٦١). وانظر: =

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾[1] ، فقال تعالى في رده ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[2] ، وقال تعالى في آل عمران : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ ﴾[3] ، فبين بالآيتين أن الذي أصابهم عقوبة لما كان منهم ، وأنه عفا عنهم ، وبين هاهنا أن من أضاف ما أصابه من سوء في متوجهاته إلى النبي فقد أتى ببهتان وإثم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[4] .

كان همّهم أن يضلوه بشهادتهم للأنصاري أنه برئ مما قُرن[5]

= تفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٣)، وروح المعاني (٥/ ١٤٣).

(١) سورة النساء، الآية : ٧٨ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٧٨ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٥٥ .

(٤) سورة النساء، الآية : ١١٣ .

(٥) في الأصل : (قرب) والصواب ما أثبتّه .

به، ومسألتهم إياه أن يقوم بعذره[1]، وقد تقدَّم الكلام في الفرق بين الكلام والحكمة[2]، وذكر ابن بحر وجهين: **أحدهما**: لولا فضل الله بما أنزله من الكتاب والحكمة لهّم الكافرون بإضلاله وإدخاله معهم في عبادة الأصنام، لكن لما هداه صاروا لا يضلونه، بل يضلون أنفسهم[3]، **والثاني**: أن الإضلال عبارة[4] عن الإهلاك، كقول الشاعر:

فآب مضلوه بخمر جلبه وغودر بالحولان حزم وقائل[5]

---

(١) انظر: جامع البيان (٩/ ١٩٩)، والوسيط (٢/ ١١٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/ ٤٧٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٥، ٢٨٦)، وزاد المسير (٢/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨٢)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٤).

(٢) في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ انظر: تفسير الراغب المخطوط (ق ١٠٨) وجامع البيان (٩/ ٢٠٠)، وزاد المسير (٢/ ١٩٧).

(٣) ذكر أبو حيان هذا الوجه ولكنه لم ينسبه، فقال: «. . . أو يخصّ الضلال عن الدين فإن الهمَّ بذلك، أي لهموا بإضلالك عن شريعتك ودينك» البحر المحيط (٣/ ٣٦٢).

(٤) تكررت كلمة (عبارة) في الأصل.

(٥) هذا بيتٍ من بحر الطويل للنابغة الذبياني، من قصيدة يرثي بها النعمان ابن الحارث. قال ابن قتيبة: يُروَى: (مصلوه) بالصاد المهملة أي الزمرة الثانية من ناعيه. و (مضلوه) بالضاد المعجمة، وهو الموافق لرواية الراغب، =

أي لولا أن الله حرسك لهمّ طائفة بإهلاكك، وما يهلكون بما يفعلون إلا أنفسهم بما/[1] يكسبون لها من العذاب الدائم[2]. [٢٩٥/أ]

إن قيل: قد كانوا همُّوا بذلك فكيف قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ قيل: في ذلك جوابان: أحدها: أن القوم كانوا مسلمين، ولم يهموا بإضلال النبي ﷺ، فقد كان عندهم على الصواب[3]. والثاني: أن القصد إلى نفي تأثير ما همُّوا به كقولك: فلان شتمك، وأهانك، لولا أني تداركت، تنبيهًا أن أثر فعله لم يظهر[4].

= أي قابروه الذين أضلوه في القبر. انظر: ديوان النابغة ص (١٢١)، والمعاني الكبير (٣/ ١٢٠٠).

(١) تكررت «بما» في الأصل.

(٢) ذكر الألوسي هذا المعنى عند تفسير الآية في روح المعاني (٥/ ١٤٣)، ولكنه لم يشر إلى ابن بحر أو غيره، ولم أجد من نسب هذا القول إلى ابن بحر سوى المصنِّف.

(٣) لم أجد هذا الوجه عند غير الراغب.

(٤) يشير هذا القول إلى عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ من كل كيد وسوء، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ فقال: بالنبوة والعصمة. انظر: الوسيط (٢/ ١١٤)، والكشاف (١/ ٥٦٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٥٣)، وزاد المسير (٢/ ١٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨١)، ومدارك التنزيل (١/ ٣٩٥)، وتفسير غرائب القرآن (٢/ ٤٩٣، ٤٩٤)، والبحر المحيط (٣/ ٣٦٢).

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	٧١	١٧٦
آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ	٧٢	١٧٢، ٦٣٢، ٦٣٥
آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ	٧٢	٨٢٩
وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ	٧٣	٢٥١، ٦٣٨
قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ	٧٣	٢٥٣
أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ	٧٣	٢٤٤، ٣١١، ٦٤٠
قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ	٧٣	٢٥٣
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ	٧٤	٢١١، ٦٤٨
وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ	٧٥	٦٥٢
لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا	٧٥	٣٠٢
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا	٧٥	٢١٣
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ	٧٥	٦٥٤
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ	٧٥	٦٥٦
بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى	٧٦	١٧١، ٢٢٢، ٢٦٢، ٦٥٦
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً	٧٧	٦٥٨
وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ	٧٧	٦٦١
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ	٧٨	٦٦٤
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ	٧٩	٦٨٤
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ	٧٩	٦٦٧
ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ	٧٩	١٨١
وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ	٧٩	١٥٣، ١٨١، ٢١٣، ٣٧٦، ٦٧٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	١٣٩	٨٧٣
وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ	١٣٩	٨٧٤
إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ	١٤٠	٨٧٦
وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا	١٤٠	٨٨٠
وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ	١٤٠	٩٢٧
وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ	١٤٠	٨٨١
وَلِيُمَحِّصَ	١٤١	١٠١٠
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ	١٤١	٨٨١، ١٤٧
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ	١٤٢	٩٠٢، ٢٥٥
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ	١٤٢	٨٨٤
وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ	١٤٢	٩١٥
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ	١٤٣	١٩٧
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ	١٤٣	٨٨٨
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	١٤٤	٨٩١، ٦٧٣، ٣٠٧
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ	١٤٤	٢٦٥
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ	١٤٥	٩٦٠
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً	١٤٥	٨٩٢
كِتَابًا مُؤَجَّلاً	١٤٥	١١٢٩، ٨٩٣
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ	١٤٥	٨٩٥
وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ	١٤٥	٨٦٨
وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ	١٤٦	٨٩٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ	١٤٦	٨٩٩
وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ	١٤٧	٩٠٠
فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا	١٤٨	٩٠٢
فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ	١٤٨	١٠٦٥
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٤٨	٩٩٢
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا	١٤٩	٢٠٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ	١٤٩	٩٠٥
إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ	١٤٩	١٢٦٤
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ	١٥٠	٩٠٦
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	١٥١	٩٠٧
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ	١٥٢	٩١١
إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ	١٥٢	١٤٩
حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ	١٥٢	٩٧١
مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا	١٥٢	٩١٤
إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ	١٥٣	٩١٨
وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ	١٥٣	٩٢١
فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ	١٥٣	٢٥٨
فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ	١٥٣	٩٣٠
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	١٥٣	٩٢٧
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا	١٥٤	٩٢٧،٢٥٩
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ	١٥٤	٩٣١
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا	١٥٤	٨٩٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ	٧٧	١٣٤٠
لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ	٧٧	١٣٢٨
قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ	٧٧	١١٣٩
مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ	٧٧	١١٤٧
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ	٧٨	٢٢٢، ٨٩٣
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨-٧٩	١٣٢٩
وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا	٧٨	١٧٧
وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨	١٣٣٢
وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ	٧٨	١٤٣٤
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨	٢٧٠، ٢٨٦، ١٣٣٧
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا	٧٨	١٤٣٤
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	٧٨	١٢٤٣
فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا	٧٨	١٣٣٢
وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ❖	٧٨-٧٩	١٧٧
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ	٧٩	١٩٩، ٢٨٦
وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ	٧٩	٢٧٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا	٨٠	١٣٤٣
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ	٨١	٥١٤
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ	٨١	١٤٢٩
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً	٨١	١٣٤٤
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ	٨١	١٣٤٧
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً	٨١	١٣٤٧
أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ	٨٢	٢٦٦
أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا	٨٢	١٣٤٧
وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا	٨٢	٢٦٠
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً	٨٣	١٣٥١
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ	٨٣	١٢٨٨
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ	٨٣	٤٢٨، ٤٢٩
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ	٨٣	٢٦١
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً	٨٣	١٣٥٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا	٨٩	١٣٧٨
وَلا تَتَّخِذُوا مِنهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا	٨٩	٢٣٣
إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ	٩٠	٢٦٦
إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً	٩٠	١٣٨٠
أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ	٩٠	١٥٦، ١٦٠، ٢٤٦، ٦٩٩
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ	٩٠	٢٤٣
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ	٩١	١٩٩
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا	٩١	١٣٨٥
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	٩٢	١٣٨٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ	٩٢	١٣٩٦
وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ	٩٢	١٣٩٧، ٢٨٩
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا	٩٣	٢٧٧، ١٩٨
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا	٩٣	١٣٩٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٩٤	٢٩٢
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا	٩٤	١٣٧٠
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا	٩٤	١٤٠٢
لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا	٩٥-٩٦	١٤٠٥
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ	٩٥-٩٦	١٠٥٥
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا	٩٦	٧٩٢، ٢٥٨، ٢٥٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا	١٠٣	١٤٢٢
إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا	١٠٣	١٤٢
إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ	١٠٤	٨٧٥
وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	١٠٤	١٤٢٤
إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا	١٠٥- ١٠٦	١٤٢٥
وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ	١٠٧	١٧٦
وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا	١٠٧- ١٠٨	١٤٢٧
إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ	١٠٨	١٣٤٦
هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً	١٠٩	١٤٣٠
وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا	١١٠	١٤٣٠
وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	١١١	١٤٣٢
وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا	١١٢	١٤٣٣
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ	١١٣	١٦١

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة الأنبياء

سورة الحج

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ	٤٠	١٢٥٣
فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ	٤٦	٤٤٨
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ	٧٨	١٢٠٠،٧٨١

سورة المؤمنون

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ	٥-٦	١١٧٦
وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ	٨	١٧١
وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ	٨	٦٥٩
عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ	٤٠	٩٤٨
وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً	٥٠	٣٦١
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ	٩٩	١٧٢
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ	٩٩-١٠٠	١١٤٨
اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ	١٠٨	١٠٣٤،٢٤٥

سورة النور

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي	٢	١١٤٣
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ	٢	١١٤٠
وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ	٢٢	٨٢٠،٢٢١
وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا	٢٢	٨٦١
الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ	٢٦	١٠٠٨،٥٣٥
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ	٢٦	١٠٠٨
رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ	٣٧	١٠٤٤
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ	٣٩	٨١٩
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ	٤٨	٤٨٤
وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ	٥٩	٣٨٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ	٦١	١٢٠٥
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ	٦١	١٤٠٧
وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ	٦١	١٢٠١
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	٦٢	١٣٤٣

سورة الفرقان

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ	٢٣	٨١١، ٤٨٠
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا	٢٣	١٣٠٧، ٩٨٧
أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً	٤١	٦٧٧
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ	٤٥	١٠٤١
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا	٥٤	٤٩٩
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا	٦٧	١٢٣٨
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا	٦٨	٨٨

سورة الشعراء

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي	٧٧	١٤١٧
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ	٨٠	٤٩٧
يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ	٨٨	٨٧٨
أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ	١٦٥	٧٨٨، ٢٥٧

سورة النمل

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ	٤٠	٨١٢
قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ	٤٧	١٣٣٧
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا	٦٠	١٣٨٩

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	٨٧	٦٨٧

سورة الجاثية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا	١٤	٤٤١
سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ	٢١	٦١٣
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ	٢٣	١٢٩٢
وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ	٢٣	١٢٦٤
إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ	٢٤	١٢٤
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	٢٩	١٣٤٧، ٥١٧
هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ	٢٩	١٠١٦

سورة محمد

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ	٤-٦	٦٩٥، ١٧٤
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا	١١	٩٠٧
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى	١٧	١٣٠٩، ٦٩٤
فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ	٢٠	١٢٩٤
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ	٢٧	٢٣٦
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ	٢٧	٤٨٧
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ	٣٠	٨٢٤
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ	٣١	٨٨٨، ٨٨٠

سورة الفتح

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	١٠	٣٤٩
وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ	٢٥	٤١٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة الطلاق

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ	١	٦٨٣
يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ	١	١٠٧٢
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	٣	١٣٤٧
أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا	١٢	٨٣٤

سورة التحريم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ	١	٧١٨
ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ	١١	٧٤٢
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا	١٢	١٣١٥

سورة الملك

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ	٢	٢٨٠
وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ	٥	٥٢٨، ١٧٣
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا	١٥	٨٧١

سورة الحاقة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ	٧	٥٤٩
وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	١٢	٦٥٠، ٢١١
مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَ	٢٨	٨١٤، ٤٣٦

سورة المزمل

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ	١٣	٢٥٩
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا	١٣	١٢٨٠

سورة المدثر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ	٤	١٢٨٠، ٥٨٤

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأشعار

الصدر	العجز	القائل	الصفحة
فـآب مضلـوه بخمـر جلبـه	وغـودر بـالجولان حـزم وقـائل	النابغة الذبياني	١٤٣٥
غـير ميـل ولا عواويـن في الهيـ	ـجـا ولا عـزل ولا أكفـال	الأعشى	١٣٦٠
إذا فزعـوا طـاروا إلى مسـتغيثهم	طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل	زهير بن أبي سلمى	١٣١٧
القـوم أمثـالكم لهـم شـعر	في الـرأس لا ينشـرون إن قتلـوا	الشداخ بن يعمر	١٤٢٥، ١٣٢٩
قـاتلي القـوم يـا خـزاع ولا يـد	خلكـم مـن قتـالهم فشـلُ	؟	١٤٢٥
كـأبي براقـش كـل لـو	نِ لونـه يتخيـل	الأسدي	٤٥٢
صحائف عندي للعتاب طويتها	ستنشـر يومـاً والعتـاب يطـول	العباس بن الأحنف	١٠١٧
وإن امرأ ضنت يداه على امرئ	بنيـل يـد مـن غـيره لبخيـل	أبو تمام	١٢٣٦
ولم أر كـالمعروف أمّـا مذاقـه	فحلـو وأمـا وجهـه فجميـلُ	أبـو الضيـاء	٧٧١
لقـد زادني حبـاً لنفسـي أنـني	بغيض إلى كل امرئ غير طائل	؟	٣.١٢
إذا كنـت في دار يـهينك أهلـها	ولم تـك ممنوعـاً بـها فتحـول	هبنقة القيسي	١٤١٥، ٣٤٦
....	فتى مثل صفو الماء ليس بباخل	؟	٩٤٩

أكلت يدي لما جنته تندماً	؟	؟ ٨٢٥
مـا ليلـة الفقـير إلا شـيطان	....	الشـماخ بـن ضرار ٩٩٣

فهرس الأمم والشعوب والقبائل والجماعات

فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

المذاهب والفرق والطوائف والأديان

فهرس الكلمات الغريبة المفسرة

الفوائد اللغوية والنحوية والبلاغية

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١ ـ آثار البلاد وأخبار العباد. زكريا محمد القزويني. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

٢ ـ الإبانة عن شريعة الفرق الناجية. لابن بطة العكبري. تحقيق مجموعة. الرياض: دار الراية للنشر، ط ٢، ١٤١٥هـ.

٣ ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري. تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي. الرياض: دار الوطن للنشر. ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

٤ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. محمد بن محمد الحسيني الزبيدي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٥ ـ الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. تحقق: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٦ ـ الإحسان في ترتيب ابن حبان. الأمير علاء الدين الفارسي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية. أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي. تحقيق: خالد عبداللطيف السبع العلمي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٨ ـ الإحكام في أصول الأحكام. أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩ ـ أحكام القرآن. أبو بكر الجصاص. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. مصورة عن طبعة مطبعة الأوقاف الإسلامية في دار الخلافة العلية سنة ١٣٣٥هـ.

١٠ ـ أحكام القرآن. أبو بكر ابن العربي. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الفكر، بدون تاريخ.

١١ ـ إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.

١٢ ـ أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي. تحقيق: خليل محمود عساكر، ومحمد عبده عزام، ونظير الإسلام الهندي. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط ١، ١٣٩٦هـ.

١٣ ـ أخبار مكة للأزرقي. تحقيق: رشدي الصالح، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ط ٨، ١٤١٦هـ.
١٤ ـ أخبار مكة للفاكهي. تحقيق: عبدالملك بن دهيش. مكة المكرمة: مطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ.
١٥ ـ الاختيار لتعليل المختار. عبدالله بن محمود الموصلي الحنفي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
١٦ ـ أدب الكاتب. ابن قتيبة. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. ط ٤. مصر: مطبعة السعادة، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.
١٧ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. أبو السعود محمد بن محمد العمادي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ٤، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٨ ـ إرشاد الفحول. محمد بن علي الشوكاني. بيروت: دار الفكر، مصورة على الطبعة المصرية، بدون تاريخ.
١٩ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٠ ـ الأزمنة. محمد بن المستنير. تحقيق: حنا حداد. الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م.
٢١ ـ أساس البلاغة. جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: عبدالرحيم محمود. بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
٢٢ ـ أساس التقديس. فخر الدين الرازي. تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٣ ـ أسباب النزول. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. تخريج: عصام بن عبدالمحسن الحميدان. الدمام: دار الإصلاح، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٢٤ ـ أسباب النزول. جلال الدين السيوطي. تحقيق: حمزة النشرتي وآخرين. بدون تاريخ أو مكان الطباعة.
٢٥ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لابن عبدالبر. تحقيق: علي محمد معوض، وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٦ ـ أسد الغابة. عزالدين ابن الأثير. تحقيق علي محمد معوض، وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، توزيع مكتبة عباس الباز.
٢٧ ـ أسرار العربية. عبدالرحمن بن محمد الأنباري. تحقق: محمد بهجة البيطار. دمشق: مطبعة الترقي، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

٢٨ ـ الأسماء والصفات للبيهقي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٢٩ ـ أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب. لمحمد بن درويش الحوت. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

٣٠ ـ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبدالسلام. اعتنى به: رمزي سعدالدين دمشقية. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٧م.

٣١ ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين. لعبدالباقي عبدالمجيد اليماني. تحقيق: محمد عبدالمجيد دياب. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ط ١، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.

٣٢ ـ الأشباه والنظائر في النحو. جلال الدين السيوطي. تحقق: عبدالعال سالم مكرم. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٥م.

٣٣ ـ الاشتقاق. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.

٣٤ ـ أشعار الشعراء الستة الجاهليين. اختيار يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري. ط ٣. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.

٣٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية. توزيع دار الباز مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م.

٣٦ ـ أصدق الدلائل في أنساب بني وائل. عبدالله بن عبار العنزي. الرياض: مطابع الفرزدق، ط ٢، ١٤١١هـ.

٣٧ ـ إصلاح المنطق. ابن السكيت. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون. ط ٤، مصر: دار المعارف، ١٩٨٧م.

٣٨ ـ الأصمعيات (اختيار الأصمعي) تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون. ط ٥، مصر: دار المعارف، ١٩٧٩م.

٣٩ ـ الأصول في النحو. أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي. تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي. ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م.

٤٠ ـ أصول الدين للبغدادي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

٤١ ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية (الإثني عشرية) عرض ونقد. رسالة دكتوراه. للدكتور ناصر بن عبدالله بن علي القفاري. جامعة الإمام محمد بن سعود. كلية أصول الدين.

٤٢ ـ الأضداد. محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٣ ـ الأضداد لأبي حاتم السجستاني. تحقيق الدكتور محمد عودة أبو جري. مراجعة الدكتور رمضان عبدالتواب. مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
ـ نسخة أخرى تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبدالقادر أحمد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
ـ الأضداد للأصمعي: = ثلاثة كتب في الأضداد.
ـ الأضداد لابن السكيت: = ثلاثة كتب في الأضداد.
ـ الأضداد للصاغاني: = ثلاثة كتب في الأضداد.
٤٤ ـ اعتقادات فرق المشركين والمسلمين. للرازي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م.
٤٥ ـ إعراب القراءات السبع وعللها: أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه. تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٦ ـ إعراب القراءات الشواذ. أبو البقاء العكبري. دراسة وتحقيق: محمد السيد عزوز. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٤٧ ـ إعراب القرآن المنسوب للزجاج. تحقيق: إبراهيم الإبياري. ط ٢. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٤٨ ـ إعراب القرآن. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق الدكتور: زهير غازي زاهد. ط ٢. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ومكتبة النهضة العربية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٩ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي. بيروت: دار العلم للملايين. ط ٦، ١٩٨٤م.
٥٠ ـ أعلام السنة المنشورة، حافظ حكمي. تحقيق: أحمد علي مدخلي. الرياض: مكتبة الرشد. ط ٣، ١٤١٥هـ.
٥١ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين. شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: لجنة التحقيق بدار النشر السعودية. مكتبة نزار الباز، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
ـ طبعة أخرى. القاهرة: المكتبة التجارية.
٥٢ ـ أعيان الشيعة: محمد الأميني الحسيني العاملي. دمشق: مطبعة ابن زيدون، ط ١، ١٣٥٨هـ.

٥٣ ـ الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني. بيروت: دار إحياء التراث: مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
ـ نسخة أخرى بتصحيح أحمد الشنقيطي. القاهرة: مطبعة التقدم، بدون تاريخ.
٥٤ ـ الأفعال. ابن القوطية. تحقيق: علي فودة. ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٣م.
٥٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. لابن تيمية. تحقيق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل. الرياض: مكتبة الرشد، ط ٤، ١٤١٤هـ.
٥٦ ـ اقتضاء العلم العمل. للخطيب البغدادي ـ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٥، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٥٧ ـ الإكسير في علم التفسير. سليمان بن عبدالقوي الطوفي الصرصري. تحقيق: عبدالقادر حسين. القاهرة: مكتبة الآداب، سنة ١٣٩٧هـ.
٥٨ ـ الأمالي لابن بشران. ضبط عادل بن يوسف العزازي. الرياض: دار الوطن للنشر. ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٥٩ ـ أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي. تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي. ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٦٠ ـ الأمالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، ط ٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.
٦١ ـ الأمثال لأبي الشيخ. تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد. الهند، بومباي: الدار السلفية، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
٦٢ ـ أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، للقاضي أبي الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي. تحقيق: أحمد عبدالفتاح تمام. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٦٣ ـ الأمثال لأبي عبيد القاسم، تحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش. دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٦٤ ـ إملاء ما منَّ به الرحمن. أبو البقاء العكبري. بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٦٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

٦٦ ـ الإنباه على قبائل الرواه، لابن عبدالبر، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في الأنساب، الجزء الثامن، مكتبة المعارف: محمد سعيد جمال.
٦٧ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين. أبو البركات عبدالرحمن الأنباري النحوي. ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، طبع سنة ١٩٨٢م.
٦٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل. القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٦٩ ـ الأوائل. أبو هلال العسكري. تحقيق: وليد قصّاب ومحمد المصري. الرياض: دار العلوم، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧٠ ـ الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(ب)

٧١ ـ البحر الزخّار المعروف بمسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمر العتيكي البزار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله. المدينة: مكتبة العلوم والحكم. ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٧٢ ـ بحر العلوم. أبو الليث السمرقندي. تحقيق علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٧٣ ـ البحر المحيط. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي. تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٧٤ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٧٥ ـ بداية المجتهد. ابن رشد، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة. بدون تاريخ.
٧٦ ـ البداية والنهاية. عمادالدين ابن كثير. تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين. القاهرة: دار الريان للتراث. ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٧٧ ـ البرهان لأبي الفضل السكسكي، تحقيق بسام العموش. الأردن: مكتبة المنار. ط ١، ١٤٠٨هـ.
٧٨ ـ البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي. تحقيق د. يوسف المرعشلي وآخرين. بيروت: دار المعرفة. ط ٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٧٩ ـ بصائر ذوي التمييز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق: محمد النجار. بيروت: المكتبة العلمية. بدون تاريخ.

٨٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. لجلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية. بدون تاريخ.
٨١ ـ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري. ط ١، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، مركز المخطوطات والتراث، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٨٢ ـ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث. أبو البركات ابن الأنباري. تحقيق: د. رمضان عبدالتواب، ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٨٣ ـ بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني. القاهرة: دار النهضة المصرية.
٨٤ ـ البناية في شرح الهداية. محمود بن أحمد العيني. بيروت: دار الفكر. ط ٢، ١٤١١هـ.
٨٥ ـ بهجة الأريب بما في كتاب الله العزيز من الغريب. علي بن عثمان التركي. تحقيق: علي حسين البواب. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٨٦ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس. أبو عمر يوسف بن عبدالبر. تحقيق: مرسي الخولي، ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١م.
ـ نسخة أخرى تحقيق محمد الخولي وعبدالقادر القط. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٨٧ ـ البيان والتبيين. عمر بن بحر الجاحظ. تحقيق وشرح: محمد عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل ودار الفكر. بدون تاريخ.

(ت)

٨٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. تحقيق: مجموعة من الباحثين، تحت إشراف قسم التراث العربي بوزارة الإعلام بدولة الكويت. ١٣٨٥هـ ـ ١٤٠٨هـ.
٨٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان. بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٣م.
٩٠ ـ تاريخ الأدب العباسي. نيكلسون، ترجمة د. صفاء خلوصي. بغداد: المكتبة الأهلية، ١٩٦٧م.
٩١ ـ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان. ترجمة د. رمضان عبدالتواب. القاهرة: دار المعارف، ط ٣. بدون تاريخ.

٩٢ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الحافظ شمس الدين الذهبي، (قسم المغازي) تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي ط ٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٩٣ ـ تاريخ بغداد. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. بيروت: دار الكتب العلمية. توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة. بدون تاريخ.
٩٤ ـ تاريخ جرجان للسهمي. طبع تحت مراقبة: محمد بن عبدالمعيد خان. بيروت: عالم الكتب، ط ٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٩٥ ـ تاريخ حكماء الإسلام، نشر وتحقيق محمد كرد علي. دمشق، ١٩٤٦م.
٩٦ ـ تاريخ مدينة دمشق. لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر. نسخة مخطوطة مصورة عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق، نشرتها مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
٩٧ ـ تأويل مشكل القرآن. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. شرحه: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار التراث، ط ٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٩٨ ـ التبصرة في القراءات السبع. للإمام المقرىء أبي محمد مكي بن أبي طالب. تحقيق الدكتور المقرىء محمد غوث الندوي. ط ٢، الهند، بومباي، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٩٩ ـ التبصير في الدين للإسفراييني. تحقيق: كمال الحوت. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ.
١٠٠ ـ التبيان شرح الديوان. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري. ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
١٠١ ـ التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري. تحقيق: علي محمد البجاوي. القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي. بيروت: دار الكتاب العربي. عني بنشره: القدسي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٠٢ ـ التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر. بدون تاريخ.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ جمال الدين المزي. صححه: عبدالصمد شرف الدين. الهند: الدار القيمة ١٣٨٤هـ.
١٠٣ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني. بيروت: عالم الكتب، مصورة عن طبعة الهند، ١٣٧٧هـ.

١٠٤ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للحافظ جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي. اعتنى به: سلطان بن فهد الطبيشي. الرياض: دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ.
١٠٥ ـ التخمير (أو شرح المفصل في صنعة الإعراب) لابن يعيش. القاسم بن الحسين الخوارزمي. ط ١، تحقيق عبدالرحمن العثيمين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.
١٠٦ ـ التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: محمد السعوي. ط ١، ١٤٠٥هـ.
١٠٧ ـ الترغيب والترهيب. زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري. القاهرة: دار التراث.
ـ نسخة أخرى، تحقيق: محي الدين مستو وآخرين. دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب ومؤسسة علوم القرآن. ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٠٨ ـ تسديد القوس للحافظ ابن حجر العسقلاني. مطبوع بهامش فردوس الأخبار للديلمي. تحقيق فواز زمرلي ومحمد المعتصم البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي. ط١، ١٤٠٧هـ.
١٠٩ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك. تحقيق: محمد كامل بركات. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.
١١٠ ـ التسهيل لعلوم التنزيل. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١١١ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي. تحقيق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ.
١١٢ ـ التعريفات. علي بن محمد الجرجاني. ضبط: محمد بن عبدالحكيم القاضي. القاهرة: دار الكتاب المصري. بيروت: دار الكتاب اللبناني. ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م
١١٣ ـ التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب. أحمد بن محمد الأشعري القرطبي. تحقيق: د. سعد ظلام. دار المنار، بدون تاريخ.
١١٤ ـ تعظيم قدر الصلاة. للإمام محمد بن نصر المروزي. تحقيق الدكتور عبدالرحمن الفريوائي. المدينة المنورة: مكتبة المدينة. ط ١، ١٤٠٦هـ.
١١٥ ـ «تعليقان» مقال للدكتور إحسان عباس، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد ٢٣، ٢٤ يناير ـ يونيو ١٩٨٤م.
١١٦ ـ التعليقة على كتاب سيبويه. أبو علي الفارسي. تحقيق: عوض القوزي. ط ١، القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١١٧ ـ تغليق التعليق. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: سعيد عبدالرحمن القزقي. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١٨ ـ التفريع. لعبيدالله بن الحسين بن الجلاب البصري. تحقيق: د. حسين سالم الدهماني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١١٩ ـ تفسير أسماء الله الحسنى. لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. دار الثقافة العربية. ط ٥، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٢٠ ـ تفسير السدي الكبير. جمع وتوثيق ودراسة: د. محمد عطا يوسف. مصر: دار الوفاء. ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٢١ ـ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الكتاب الثالث والخمسون، بدون تاريخ.

١٢٢ ـ تفسير ابن عربي. محي الدين ابن عربي. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

١٢٣ ـ تفسير غريب القرآن. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٢٤ ـ تفسير القرآن. أبو المظفر السمعاني، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس، الرياض: دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٥ ـ تفسير القرآن. عبدالرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق الدكتور: مصطفى مسلم محمد. الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٢٦ ـ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين. عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكة، الرياض: مكتبة نزار الباز، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٧ ـ تفسير القرآن العظيم. عماد الدين ابن كثير. القاهرة: دار الحديث. ط ٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٢٨ ـ تفسير مجاهد بن جبر. تحقيق: الدكتور محمد عبدالسلام أبو النيل. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة. ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٢٩ ـ تفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، دراسة وتحقيق: هدى الطويل المرعشلي. ط ١، بيروت: دار النور الإسلامي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣٠ ـ تفسير ابن المنذر ـ مخطوط ـ بهامش تفسير ابن أبي حاتم المخطوط.

١٣١ ـ التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط ٢، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
١٣٢ ـ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. الراغب الأصفهاني. تحقيق: د. عبدالمجيد النجار. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٣٣ ـ تقريب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد عوامة. سوريا ـ حلب ـ دار الرشيد. ط ٣، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٣٤ ـ تلبيس إبليس. لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣٥ ـ التلخيص في علوم البلاغة. للخطيب القزويني. ضبطه وشرحه: عبدالرحمن البرقوقي. ط ٢، بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م.
١٣٦ ـ التلخيص الحبير. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: شعبان إسماعيل. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ.
١٣٧ ـ التمهيد لابن عبدالبر. حققه جماعة من العلماء. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.
١٣٨ ـ التنبيهات. علي بن حمزة بن ولاَّد. تحقيق: عبدالعزيز الميمني. ط ٣، مصر: دار المعارف، ١٩٨٦م. مع المنقوص والممدود.
١٣٩ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة. لأبي الحسين علي بن محمد بن عراق الكناني. تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله محمد الصديق. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
١٤٠ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن. عماد الدين أبو الحسن عبدالجبار. بيروت: الشركة الشرقية للتوزيع، ودار النهضة الحديثة. بدون تاريخ.
١٤١ ـ تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. بدون تاريخ.
١٤٢ ـ تهذيب اللغة. محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين. القاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والدار المصرية. ١٩٧٨م.
١٤٣ ـ التوكل على الله عز وجل. للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا. تحقيق: جاسم الفهيد. بيروت: دار البشائر. ط ١، ١٤٠٧هـ.
١٤٤ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.

(ث)

١٤٥ ـ ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي، وللسجستاني، ولابن السكيت. ومعها ذيل في الأضداد للصاغاني. نشرها أوجست هفنر. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

(ج)

١٤٦ ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري. تحقيق: محمود محمد شاكر. مصر: دار المعارف. بدون تاريخ.

١٤٧ ـ جامع بيان العلم وفضله. أبو عمرو يوسف بن عبدالبر النمري. تحقيق أبي الأشبال الزهيري. السعودية: دار ابن الجوزي. ط ١، ١٤١٤هـ.

١٤٨ ـ الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. لجلال الدين أبي الفضل عبدالرحمن السيوطي. تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، مكة، الرياض: مكتبة نزار الباز. ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٤٩ ـ جامع العلوم والحكم. ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٥٠ ـ الجامع لأحكام القرآن. أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي. طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. بدون تاريخ.

١٥١ ـ الجمل في النحو. لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي. تحقيق الدكتور علي توفيق الحكم. ط ٤. بيروت: مؤسسة الرسالة. والأردن: دار الأمل، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥٢ ـ جمهرة الأمثال. أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش. ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. بيروت: دار الجيل.

١٥٣ ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. ط ٢، ١٤٠٩هـ.

١٥٤ ـ جمهرة اللغة. لابن دريد. أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي. مصر: مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.

١٥٥ ـ جمهرة النسب. هشام بن محمد الكلبي. بيروت: عالم الكتب. تحقيق د. ناجي حسن. ط ١، ١٤٠٧هـ.

١٥٦ ـ الجنى الداني في حروف المعاني. الحسن بن قاسم المرادي. تحقيق: فخر الدين ومحمد نديم فاضل. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٥٧ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: العسكر وابن ناصر والحمدان. الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ.
١٥٨ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. لابن قيم الجوزية. تحقيق: بشير محمد عيون. بيروت: مكتبة المؤيد، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(ح)

١٥٩ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. للإمام: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. السيد الجميلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦٠ ـ الحاوي الكبير. لعلي بن حبيب الماوردي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ.
ـ الحبائك في أخبار الملائك. للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦١ ـ الحجة في بيان المحجة. قوام السنة الأصبهاني، تحقيق المدخلي وأبي رحيم. الرياض: دار الراية للنشر، ط ١، ١٤١١هـ.
١٦٢ ـ الحجة في علل القراءات السبع. الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي. تحقيق: علي ناصف وزميليه. ط ٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٦٣ ـ حجة القراءات. لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط ٥. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
١٦٤ ـ حديث اختلاف أمتي رحمة. رواية ودراية. الدكتور سعود بن عبدالله الفنيسان. الرياض: مكتبة الرشد. ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٦٥ ـ حروف المعاني. أبو القاسم عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، الأردن: دار الأمل. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٦٦ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٥، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٦٧ ـ الحماسة. لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي. تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان. السعودية: جامعة الإمام، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٦٨ ـ الحماسة البصرية. علي بن أبي الفرج البصري. تحقيق: مختار الدين أحمد. ط ٣. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٦٩ ـ حياة الحيوان الكبرى. كمال الدين الدميري. بيروت: دار الفكر. بدون تحقيق.
١٧٠ ـ الحيوان. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق: عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(خ)

١٧١ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي. ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٧٢ ـ الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار. بيروت: دار الكتاب العربي.
١٧٣ ـ الخطط المقريزية. للمقريزي. عناية: خليل منصور. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

(د)

١٧٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية. ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين. القاهرة: نشرة إبراهيم زكي خورشيد، ط ١، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م.
١٧٥ ـ درء تعارض العقل والنقل. لابن تيمية: تحقيق: د. محمد رشاد سالم. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
١٧٦ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط. دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٧٧ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١٧٨ ـ درة التنزيل وغرة التأويل. الخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
١٧٩ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية. تحقيق: الدكتور محمد السيد الجليند. دمشق، بيروت: مؤسسة علوم القرآن. ط ٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٨٠ ـ دلائل الإعجاز. أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط ٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٨١ ـ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: محمد رواس قلعجي وعبدالبر عباس. حلب: المكتبة العربية. توزيع دار ابن كثير ومكتبة التراث الإسلامي. ط ١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
١٨٢ ـ دلائل النبوة. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٨٣ ـ ديوان الأخطل المسمى: شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: فخرالدين قباوة. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ط ٢، ١٩٧٩م.
١٨٤ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق عبدالكريم الدجيلي. بغداد: شركة النشر والطباعة العراقية، ١٣٧٣هـ.
ـ نسخة أخرى تحقيق محمد حسن ياسين، بغداد: مكتبة النهضة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
١٨٥ ـ ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره. صنعة: عبدالله الجبوري، ط ١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٨٦ ـ ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد حسين. القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٥٠م.
ـ نسخة أخرى نفس التحقيق. بيروت، المكتب الشرقي، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
ـ ديوان الأعشين (ضمن كتاب الصبح المنير) انظر: الصبح المنير.
١٨٧ ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م.
١٨٨ ـ ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
١٨٩ ـ ديوان أبي زبيد الطائي. المسمى: (شعر أبي زبيد الطائي). تحقيق: نوري حمودي القيسي. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦٧م.
١٩٠ ـ ديوان أبي العتاهية قدم له وشرحه مجيد طرَّاد. بيروت: دار الكتاب العربي. ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٩١ ـ ديوان امرىء القيس بشرح الأعلم الشنتمري. اعتنى بتصحيحه ابن أبي شنب. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٩٢ ـ ديوان امرىء القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢. مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م.

١٩٣ ـ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب. تحقيق: نعمان محمد أمين طه. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م.
١٩٤ ـ ديوان جميل بثينة. بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
١٩٥ ـ ديوان جميل بن معمر. جمع وتحقيق: حسين نصار. ط ٢، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦٧م.
ـ ديوان حسان بن ثابت = شرح ديوان حسان بنْ ثابت.
ـ ديوان الحماسة. = (شرح ديوان الحماسة).
ـ ديوان زهير. = (شرح ديوان زهير).
١٩٦ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق: صلاح الدين الهادي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م.
١٩٧ ـ ديوان العباس بن الأحنف. تقديم كرم البستاني. بيروت، ١٤٠٢هـ.
١٩٨ ـ ديوان عبدالرحمن بن حسان المسمى: (شعر عبدالرحمن بن حسان الأنصاري). تحقيق: سامي مكي العاني. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧١م.
١٩٩ ـ ديوان عبدالله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره. تأليف: وليد قصاب. عمان: دار الضياء. ط ٢، ١٤٠٨هـ.
٢٠٠ ـ ديوان علي بن الجهم. تحقيق: خليل مردم بك. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م.
٢٠١ ـ ديوان علي بن أبي طالب. جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم. بيروت: دار القلم. بدون تاريخ.
٢٠٢ ـ ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي. جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي. ط ٢. دمشق: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
ـ ديوان الفرزدق: = (شرح ديوان الفرزدق).
٢٠٣ ـ ديوان أبي قيس صفي بن الأسلت. دراسة وجمع وتحقيق: حسن باجودة. القاهرة: مكتبة التراث، ١٩٧٣م.
٢٠٤ ـ ديوان كثير عزة. جمع وشرح إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
٢٠٥ ـ ديوان كعب بن مالك الأنصاري. دراسة وتحقيق: سامي العاني، ط ١، بغداد: مكتبة النهضة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
٢٠٦ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري. بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

- ديوان المتنبي. = التبيان شرح الديوان..
٢٠٧ - ديوان أبي محجن الثقفي. صنعة أبي هلال العسكري. نشر وتقديم د. صلاح الدين المنجد، ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
٢٠٨ - ديوان النابغة الجعدي المسمى (شعر النابغة الجعدي) تحقيق: عبدالعزيز رباح، ط١، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢٠٩ - ديوان النابغة الذبياني. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م.
٢١٠ - ديوان نصر بن سيار الكناني. جمع وتحقيق: عبدالله الخطيب. ط ١، بغداد: مطبعة شفيق، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
٢١١ - ديوان الهذليين. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية. القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٥٠م.
٢١٢ - ديوان يزيد بن الطثرية المسمى: شعر يزيد بن الطثرية. دراسة: ناصر سعد الرشيد. دار مكة للطباعة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(ذ)

٢١٣ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة. أغابزرك الطهراني. طهران: النجف الأشرف.
٢١٤ - الذريعة إلى مكارم الشريعة. الراغب الأصفهاني. تحقيق ودراسة د. أبو اليزيد العجمي. القاهرة: دار الصحوة ودار الوفاء ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

(ر)

٢١٥ - «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» مقال للأستاذ: محمد عدنان الجوهري. نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد يناير ١٩٨٦م.
٢١٦ - «رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني» مقال للدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد ١١-١٢، يناير-يونيو ١٩٨١م.
٢١٧ - الراغب الأصفهاني وجهوده في التفسير وعلوم القرآن. شلواح بن عواض اللويحق المطيري. رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الدراسات العليا: شعبة التفسير.
٢١٨ - الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب. الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي. الأردن: مكتبة الأقصى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢١٩ ـ الراغب الأصفهاني ومنهجه في التفسير. محمد إقبال فرحات. رسالة دكتوراه. تونس ـ جامعة الزيتونة: المعهد الأعلى لأصول الدين.
٢٢٠ ـ الراغب الأصفهاني ومنهجه في المفردات. رسالة ماجستير. عباس محمد أحمد. الإسكندرية، كلية الآداب، ١٩٧١م.
٢٢١ ـ الرد على الجهمية للدارمي. تحقيق: بدر البدر، الكويت، الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢٢٢ ـ الرد على المنطقيين. ابن تيمية. مكة المكرمة: المكتبة الإمدادية، ط ٦، ١٤٠٤هـ.
٢٢٣ ـ رد المحتار على الدر المختار: «حاشية ابن عابدين» محمد أمين ابن عابدين، بيروت: دار الفكر. ط ٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٢٢٤ ـ رسالة إلى أهل الثغر للأشعري. تحقيق: عبدالله الجندي. المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٢٢٥ ـ رسالة في أدب مخالطة الناس. للراغب ـ مخطوط ـ رقم (٣٦٥٤/ ٣) ـ مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.
٢٢٦ ـ رسالة في الاعتقاد للراغب. تحقيق شمران العجلي. بيروت: مؤسسة الأشرف.
٢٢٧ ـ رسالة في أن فضيلة الإنسان بالعلوم ـ الراغب الأصفهاني ـ مخطوط برقم (٣٦٥٤/ ١) ـ مكتبة أسعد أفندي ـ إسطانبول، تركيا.
٢٢٨ ـ رسالة في ذكر الواحد الأحد ـ مخطوط ـ رقم (٣٦٥٤/ ٢) مكتبة أسعد أفندي، السليمانية، إستانبول.
٢٢٩ ـ رسالة في الاعتقاد للراغب. رسالة ماجستير. أختر جمال محمد لقمان، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.
٢٣٠ ـ رسالة في مراتب العلوم (مخطوط) رقم (٣٦٥٤/ ٤) مكتبة أسعد أفندي. تركيا، إستانبول.
٢٣١ ـ الرسالة القشيرية. لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، تحقيق: معروف مصطفى زريق، وعلي عبدالحميد أبو الخير، بيروت: دار الخير، ط ٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٣٢ ـ رصف المباني في حروف المعاني. أحمد بن عبدالنور المالقي. تحقيق: أحمد محمد الخراط. دمشق: مجمع اللغة. بدون تاريخ.
٢٣٣ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام. لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٣٤ ـ رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز للحافظ عز الدين عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي. دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن صالح البراك. السعودية: دار ابن الجوزي. ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٣٥ ـ الروح لابن القيم. حقق نصوصه: يوسف علي بديوي. دار ابن كثير: بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٣٦ ـ روح المعاني. شهاب الدين الألوسي البغدادي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية. مصر.

٢٣٧ ـ روضات الجنات. محمد باقر الموسوي الخواساري، طهران. بدون تاريخ.

٢٣٨ ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين. ليحيى بن شرف النووي. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٢هـ.

٢٣٩ ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء. عبدالله الأفندي الأصبهاني. تحقيق: السيد أحمد الحسيني. إيران: مطبعة الخيام سنة ١٤٠١هـ.

(ز)

٢٤٠ ـ زاد المسير في علم التفسير. أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، دمشق ـ بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٤١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد. شمس الدين بن قيم الجوزية. تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط الخامسة عشرة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٤٢ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق: صالح الضامن. (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٤٣ ـ الزهد لابن المبارك. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٢٤٤ ـ الزهد الكبير للبيهقي. تحقيق: عامر حيدر. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٢٤٥ ـ زوائد الزهد ضمن كتاب الزهد. للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٤٦ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر. لابن حجر الهيتمي. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(س)

٢٤٧ ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. محمد أمين البغدادي السويدي. بيروت: دار الكتب، ١٤٠٩هـ.

٢٤٨ ـ السبعة لابن مجاهد. تحقيق: د. شوقي ضيف. ط ٢، القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ.

٢٤٩ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. محمد بن يوسف الصالحي. تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوّض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٥٠ ـ سر صناعة الإعراب. لأبي الفتح عثمان بن جني. دراسة وتحقيق: حسن هنداوي. ط ١. دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥١ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار. عباس القمي، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٣٥٩هـ.

٢٥٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، والرياض: مكتبة المعارف.

٢٥٣ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة. لمحمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، والرياض: مكتبة المعارف.

٢٥٤ ـ سنن الترمذي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- طبعة أخرى بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٥٥ ـ سنن الدارقطني. بيروت: عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

ـ نسخة أخرى بتصحيح السيد عبدالله هاشم يماني المدني. بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢٥٦ ـ سنن الدارمي. عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل التميمي الدارمي، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

٢٥٧ ـ سنن أبي داود. لأبي داود السجستاني. إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، بيروت: دار الحديث للطباعة والنشر، ط ١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٢٥٨ ـ سنن سعيد بن منصور. دراسة وتحقيق الدكتور سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد. الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ طبعة أخرى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥٩ ـ السنن الكبرى للبيهقي. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٣هـ، توزيع: مكتبة المعارف بالرياض.
٢٦٠ ـ سنن ابن ماجه. ابن ماجه القزويني. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.
٢٦١ ـ سنن النسائي. أحمد بن شعيب النسائي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
ـ طبعة أخرى تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية. ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ١٩٨٨م.
٢٦٢ ـ السنة، لابن أبي عاصم. أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٣، ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م.
٢٦٣ ـ سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس. أو: (غريب القرآن في شعر العرب). تحقيق محمد عبدالرحيم وأحمد نصر الله. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م.
٢٦٤ ـ سير أعلام النبلاء. شمس الدين الذهبي. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.
٢٦٥ ـ السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: الدكتور همام عبدالرحيم سعيد ومحمد عبدالله أبو صعيليك. الأردن: مكتبة المنار، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ١٩٨٨م.

(ش)

٢٦٦ ـ الشافية في علم التصريف. لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني النحوي المعروف بابن الحاجب. ط ١، مكة المكرمة: المكتبة المكية، ودار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م.
٢٦٧ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. محمد بن محمد مخلوف. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.
٢٦٨ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ.
٢٦٩ ـ شرح أبيات سيبويه. لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس. تحقيق: زهير زاهد. بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة. ط ١، ١٤٠٦هـ.
٢٧٠ ـ شرح أبيات سيبويه للسيرافي. تحقيق د. محمد علي سلطاني. دمشق: دار المأمون.

٢٧١ ـ شرح أبيات مغني اللبيب لعبدالقادر بن عمر البغدادي. تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف دقاق. ط ١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٧٢ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي، تحقيق أحمد حمدان، الرياض: دار طيبة، ط ٢.

٢٧٣ ـ شرح تسهيل الفوائد لابن مالك. تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد المختون. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر. ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٧٤ ـ شرح التصريح على التوضيح. خالد الأزهري، بدون تاريخ، بيروت. دار الفكر.

٢٧٥ ـ شرح التلخيص في علوم البلاغة. محمد هاشم دويدري. ط ٢. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٧٦ ـ شرح اختيارات المفضل الضبي. الخطيب التبريزي، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٧٧ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. وضع الديوان وصححه عبدالرحمن البرقوقي. بيروت: دار الأندلس. بدون تاريخ.

٢٧٨ ـ شرح ديوان الحماسة للتبريزي. بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ.

٢٧٩ ـ شرح ديوان الحماسة. لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. مصر: المكتبة التجارية، بدون تاريخ.

٢٨٠ ـ شرح ديوان زهير. صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م

٢٨١ ـ شرح ديوان الفرزدق. تعليق: عبدالله الصاوي. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى. بدون تاريخ.

٢٨٢ ـ شرح السنة للإمام البغوي. تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٨٣ ـ شرح شافية ابن الحاجب. رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي. تحقيق: محمد نور الحسين وزميليه. بيروت: دار الفكر العربي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٨٤ ـ شرح شواهد المغني. جلال الدين السيوطي. تعليق: أحمد ظافر كوجان. بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

٢٨٥ ـ شرح صحيح مسلم للإمام النووي. مصر: المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م.

٢٨٦ ـ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ود. عبدالله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٢٨٧ ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ. جمال الدين محمد بن مالك. تحقيق: عدنان عبدالرحمن الدوري. بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٢٨٨ ـ شرح العناية على الهداية. محمد محمود البابرتي. طبع مع شرح فتح القدير لابن الهمام. مصر. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط ١، ١٣٨٩هـ.

٢٨٩ ـ شرح فتح القدير على الهداية. لمحمد بن عبدالواحد السيواسي المعروف بابن الهمام الحنفي. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ١، ١٣٨٩هـ.

٢٩٠ ـ شرح مختصر الروضة: سليمان بن عبدالقوي الطوفي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤١٠هـ.

ـ شرح المفصل في صنعة الإعراب انظر (التخمير).

٢٩١ ـ شرح مشكل الآثار للطحاوي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٩٢ ـ شرح المقدمة الجزولية للأستاذ أبي علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي. دراسة وتحقيق: د. تركي بن سهو العتيبي. ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٩٣ ـ شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش. تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة. ط ١، حلب: المكتبة العربية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٩٤ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى، بدون تاريخ.

٢٩٥ ـ شروح التلخيص وهي: مختصر العلامة سعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني. ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاخ. لابن يعقوب المغربي. وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي. بيروت: دار السرور، بدون تاريخ.

٢٩٦ ـ شعب الإيمان. للبيهقي. تحقيق: محمد السعيد زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، توزيع مكتبة الباز، ط ١، ١٤١٠هـ.

ـ طبعة أخرى تحقيق الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد. الهند: بومباي. الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٩٧ ـ شعب الإيمان للإمام الزاهد أبي محمد عبدالجليل بن موسى بن عبدالجليل القصري، تحقيق: أيمن صالح شعبان، وسيد أحمد إسماعيل، القاهرة: دار الحديث، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٩٨ ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ. مصورة عن طبعة بالقسطنطينية ١٢٩٢هـ.
ـ طبعة أخرى. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مصر: دار المعارف، ١٩٦٦م.
٢٩٩ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. لابن قيم الجوزية، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة. بدون تاريخ.
٣٠٠ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. تحقيق: د. محمد كشاش، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٠١ ـ الشوارد. الحسن بن محمد الصاغاني، تحقيق مصطفى حجازي. ط ١، القاهرة: مجمع اللغة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٠٢ ـ الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي. عبدالعال سالم مكرم. ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

(ص)

٣٠٣ ـ الصاحبي. أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. بدون تاريخ.
٣٠٤ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين. ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٣٠٥ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول. أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الدمام: دار رمادي للنشر، ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٠٦ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. أحمد بن علي القلقشندي. تحقيق: يوسف علي طويل. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٠٧ ـ الصبح المنير في شعر أبي بصير (ومعه ديوان الأعشين). ميمون بن خبيس بن جندل الأعشى. لندن، مطبعة آدُلف هلز هوسن، ١٩٢٧م.
٣٠٨ ـ صحيح الجامع الصغير. محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٠٩ ـ صحيح ابن حبان. بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٣هـ.
٣١٠ ـ صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣١١ ـ صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري، متن فتح الباري، القاهرة: المكتبة السلفية ومطبعتها، ط ٣.
٣١٢ ـ صحيح سنن الترمذي. محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣١٣ ـ صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار الحديث، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٣١٤ ـ صفة الجنة. لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: علي رضا بن عبدالله علي رضا، دمشق: دار المأمون للتراث، ط ٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣١٥ ـ الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية. تحقيق: د. علي الدخيل الله، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

(ض)

٣١٦ ـ ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي. تحقيق: السيد إبراهيم محمد. بيروت: دار الأندلس، بدون تاريخ.
ـ ضرورة الشعر: انظر (ما يحتمله الشعر من الضرورة).
٣١٧ ـ الضعفاء الكبير للعقيلي. تحقيق: الدكتور عبدالمعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣١٨ ـ ضعيف الجامع الصغير. محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣١٩ ـ ضعيف سنن الترمذي. محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(ط)

٣٢٠ ـ طبقات أعلام الشيعة. تأليف أغابزرك الطهراني. تحقيق ولده علي نقي منزوي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
٣٢١ ـ طبقات ابن سعد. بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ.

٣٢٢ ـ طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي. دراسة: طه إبراهيم، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
ـ طبعة ثانية. تحقيق: محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٤م.
٣٢٣ ـ طبقات القراء. محمد بن سلام الجمحي. تحقيق: طه أحمد إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٢هـ.
٣٢٤ ـ طبقات المفسرين. جلال الدين السيوطي. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة. ط ١، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٣٢٥ ـ طبقات المفسرين. شمس الدين محمد بن علي الداوودي. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٣٢٦ ـ طبقات النحويين واللغويين. لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢، مصر: دار المعارف، ١٩٨٤م.
٣٢٧ ـ الطرائف الأدبية. عبدالعزيز الميمني. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٧م.
٣٢٨ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين. ابن قيم الجوزية. بيروت: دار مكتبة الحياة، طبع سنة ١٩٨٠م.
٣٢٩ ـ طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية. عمر بن محمد النسفي. ضبط وتعليق: خالد العك. ط ١، بيروت: دار النفائس، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(ظ)

٣٣٠ ـ ظهر الإسلام. أحمد أمين. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، بدون تاريخ.

(ع)

٣٣١ ـ العبر في أحوال من غبر. شمس الدين الذهبي. تحقيق: محمد السعيد بسيوني. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٣٢ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. زكريا بن محمد القزويني. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ، بهامش حياة الحيوان الكبرى.
٣٣٣ ـ العجاب في بيان الأسباب. شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس. السعودية: دار ابن الجوزي. ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٣٣٤ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٣٥ ـ العزيز شرح الوجيز. أبو القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني الشافعي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٣٦ ـ العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني. تحقيق: رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري. الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٣٣٧ ـ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة. عبدالله بن نجم بن شاس. تحقيق: د. محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤١٥هـ.

٣٣٨ ـ العقد الفريد. لأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي. تحقيق الدكتور عبدالمجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية، توزيع: دار الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٣٩ ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني. تحقيق: د. ناصر الجديع. الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٥هـ.

٣٤٠ ـ العقيدة الواسطية بشرح الفوزان. الرياض: مكتبة المعارف، ط ٤، ١٤٠٧هـ.

٣٤١ ـ العلل الكبير. أبو عيسى الترمذي. ترتيب أبي طالب القاضي. تحقيق: السيد صبحي السامرائي والسيد أبو المعاطي النوري. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٣٤٢ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. للإمام أبي الفرج ابن الجوزي. تحقيق الأستاذ: إرشاد الحق الأثري. باكستان: إدارة ترجمان السنة، توزيع المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، بدون تاريخ.

٣٤٣ ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: الدكتور: محمد التونجي. بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٤٤ ـ العمدة في غريب القرآن. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. شرح وتعليق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي. ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٤٥ ـ عمل اليوم والليلة. للحافظ أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني. تحقيق: بشير محمد عيون. بيروت: مكتبة دار البيان، ط ٢، ١٤١٠هـ ـ ١٨٨٩م.

٣٤٦ ـ عمل اليوم والليلة للنسائي. تحقيق: فاروق حمادة، بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٣٤٧ ـ عيون الأخبار. عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. تحقيق: يوسف علي طويل. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

٣٤٨ ـ العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ط ١، بيروت: مؤسسة الأعلمي ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(غ)

٣٤٩ ـ غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار. أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار. دراسة وتحقيق: الدكتور أشرف محمد طلعت. القاهرة: مكتبة التوعية الإسلامية، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٥٠ ـ الغاية في القراءات العشر. للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين النيسابوري. تحقيق: محمد غياث الجنباز. ط ١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٥١ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل. للشيخ محمود بن حمزة الكرماني. تحقيق: د. شمران سركال العجلي. بيروت: مؤسسة علوم القرآن. جدة: دار القبلة، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٥٢ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان. نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري. ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٥٣ ـ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٥٤ ـ غريب القرآن. محمد بن عزيز السجستاني. تحقيق: محمد أديب عبدالواحد. ط ١، دار قتيبة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

ـ غريب القرآن في شعر العرب = سؤلات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس. تحقيق: محمد عبدالرحيم وأحمد نصرالله. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(ف)

٣٥٥ ـ الفائق في غريب الحديث. محمود بن عمر الزمخشري. وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.

٣٥٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري. القاهرة: المكتبة السلفية ومطبعتها، ط ٣.

٣٥٧ ـ فتح القدير. محمد بن علي الشوكاني. مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٣٥٨ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. سليمان بن عمر الشهير بالجمل. بيروت: دار حياء التراث العربي. بدون تاريخ.

٣٥٩ ـ الفتوحات المكية. محي الدين ابن عربي. بيروت: دار صادر. بدون تاريخ.

٣٦٠ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. للطيبي، رسالة دكتوراه، إعداد صالح بن ناصر الناصر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، قسم التفسير.

٣٦١ ـ الفرق بين الفرق. لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي. اعتنى به الشيخ إبراهيم رمضان. بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦٢ ـ الفروق. أبو هلال العسكري. علق عليه: د. أحمد سليم الحمصي. طرابلس: جروس برس. ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٦٣ ـ الفصل. لابن حزم الأندلسي. تحقيق: د. محمد نصر، ود. عبدالرحمن عميرة. مكة المكرمة: شركة مكتبات عكاظ، ط ١، ١٤٠٢هـ.

٣٦٤ ـ فصول في أصول التفسير. الدكتور مساعد بن سليمان الطيار. السعودية: دار ابن الجوزي ط٣، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٦٥ ـ فضائل القرآن. لأبي الفداء عمادالدين ابن كثير. تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٦هـ.

٣٦٦ ـ فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي. تحقيق: فائز محمد وإميل يعقوب. ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٦٧ ـ الفقيه والمتفقه. للخطيب البغدادي. تحقيق: عادل العزازي، الرياض: دار ابن الجوزي.

٣٦٨ ـ فهرس المكتبة التيمورية. الجزء الأول: التفسير، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.

٣٦٩ ـ الفهرست. لابن النديم. ضبطه وشرحه د. يوسف علي الطويل. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٧٠ ـ الفوائد لتمام الرازي، تحقيق حمدي السلفي، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٢هـ.

٣٧١ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضعة. لمحمد بن علي الشوكاني. تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى اليماني. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٧٢ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبدالرؤوف المناوي. مصر: المكتبة التجارية، ط ١، ١٤٠٦هـ.

(ق)

٣٧٣ ـ القاموس الإسلامي. أحمد عطية الله. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٣٧٤ ـ القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٧٥ ـ القضاء والقدر. الدكتور عبدالرحمن المحمود. الرياض: دار الوطن، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٧٦ ـ قطر الولي على حديث الولي. للإمام الشوكاني. تحقيق وتقديم الدكتور إبراهيم هلال، كلية البنات، جامعة عين شمس. بدون بيانات.

٣٧٧ ـ القول المسدد في الذب عن مسند أحمد. للإمام أحمد بن حجر العسقلاني. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ط ١، ١٤٠١هـ.

(ك)

٣٧٨ ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبوع في آخر تفسير الكشاف للزمخشري. بيروت: دار المعرفة، ط١.

٣٧٩ ـ الكامل في التاريخ. أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٥، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٨٠ ـ الكامل في ضعفاء الرجال. أبو أحمد بن عبدالله بن عدي، بيروت: دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٩هـ.

٣٨١ ـ الكامل. محمد بن يزيد المبرد. تحقيق: محمد الدالي. ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٨٢ ـ كتاب الإيمان للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي. ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٨٣ ـ «كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لا تصح نسبته للراغب الأصفهاني» مقال للدكتور أحمد حسن فرحات. نشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد ١٥ جمادى الأولى ١٤١٠هـ.
٣٨٤ ـ كتاب سيبويه. عمرو بن عثمان بن قنبر. تحقيق: عبدالسلام هارون. ط ٣، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٨٥ ـ كتاب العيال. لابن أبي الدنيا. تحقيق: الدكتور نجم عبدالرحمن خلف. القاهرة: دار الوفاء، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٣٨٦ ـ كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي، رواية أبي سعد الماليني. تحقيق: د. محمود الطناحي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
٣٨٧ ـ كتاب المجروحين. لابن حبان البُستي. سوريا، حلب، دار الوعي.
٣٨٨ ـ كشاف اصطلاحات الفنون. محمد علي التهانوي. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.
٣٨٩ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. جارالله الزمخشري، صححه مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٩٠ ـ الكتاب الموضّح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي. تحقيق ودراسة: د. عمر حمدان الكبيسي. مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٣٩١ ـ كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي. بيروت: عالم الكتب.
٣٩٢ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار. للهيثمي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
٣٩٣ ـ كشف الخفاء. إسماعيل بن محمد العجلوني. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٥١هـ.
٣٩٤ ـ كشف الظنون. حاجي خليفة. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٣٩٥ ـ كشف المشكلات وإيضاح المعضلات. جامع العلوم، علي بن حسين الأصبهاني. تحقيق: محمد الدالي، ط ١، دمشق: مطبعة الصباح، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٩٦ ـ الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي. تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم. بيروت: دار الكتاب العربي. ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦.
٣٩٧ ـ الكليات. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. باعتناء: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٩٨ ـ الكنى والأسماء. لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٩٩ ـ الكنى والألقاب. عباس القمي. لبنان ـ صيدا: مطبعة العرفان.

٤٠٠ ـ كنوز الأجداد. محمد كرد علي. دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(ل)

٤٠١ ـ لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. بيروت: دار صادر. بدون تاريخ.

٤٠٢ ـ لسان الميزان. للإمام ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود. وعلي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٠٣ ـ لطائف الإشارات. لأبي القاسم القشيري. تحقيق: د. إبراهيم بسيوني. القاهرة: دار الكتاب العربي، طبعة ١٣٩٠هـ.

٤٠٤ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. بيروت: دار المعرفة. ط ٣، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٤٠٥ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل. للإمام علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن. القاهرة: المكتبة التجارية.

٤٠٦ ـ اللباب في شرح الكتاب. عبدالغني الغنيمي الدمشقي الحنفي. الرياض. مكتبة الرياض الحديثة. تحقيق: محمد أمين النواوي. بدون تاريخ.

٤٠٧ ـ اللامات. عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي. تحقيق: مازن المبارك، ط ٢، بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٠٨ ـ اللمع. للطوسي. تحقيق: د. عبدالحليم محمود، وطه سرور، مصر: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ.

٤٠٩ ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. لابن قدامة المقدسي، ضمن مجموع فيه: إثبات صفة العلو، وذم التأويل، بعناية: بدر البدر. الكويت، دار ابن الأثير، ط ٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(م)

٤١٠ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه. هبة الله بن علي الحسني. تحقيق: أحمد حسن، ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤١١ ـ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه. عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: ماجد الذهبي، ط ١، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤١٢ ـ ما يحتمل الشعر من الضرورة. لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي. تحقيق: عوض القوزي. ط ٢، مصر: دار المعارف، ١٩٩١م.
٤١٣ ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. الحسن بن بشر الآمدي. تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٤١٤ ـ المبسوط في القراءات العشر. أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي. جدة: دار القبلة. بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط ٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤١٥ ـ متن العقيدة الطحاوية. للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي. بتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز. الرياض: دار القاسم للنشر، ط ١، ١٤١٨هـ.
٤١٦ ـ المجاز بين اليمامة والحجاز. عبدالله بن محمد بن خميس. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ط ٤، ١٤١٠هـ.
٤١٧ ـ مجاز القرآن. لأبي عبيدة معمر بن المثنى. تحقيق: محمد فؤاد سيزكين. القاهرة: مكتبة الخانجي، بدون تاريخ.
٤١٨ ـ مجالس ثعلب. أحمد بن يحيى ثعلب. تحقيق: عبدالسلام هارون. القاهرة: دار المعارف ١٩٨٧م.
٤١٩ ـ مجالس ثعلب. أحمد بن يحيى ثعلب. تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٤، القاهرة: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٤٢٠ ـ مجالس العلماء. عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق: عبدالسلام هارون. ط ٢، الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٨٤م.
ـ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. انظر: رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني.
ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. انظر: رأي في تحديد عصر الراغب الأصفهاني.
٤٢١ ـ مجمع الأمثال. أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٢٢ ـ طبعة أخرى تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٢٣ ـ مجمع الأمثال العربية. لرياض مراد. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٢٤ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين، للحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق ودراسة: عبدالقدوس بن محمد نذير، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٢٥ ـ مجمع البلاغة. الحسين بن مفضل الراغب الأصفهاني، تحقيق: عمر الساريسي، عمان: مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٢٦ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن. للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.
٤٢٧ ـ مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي. أحمد قبش. دار الرشيد، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٢٨ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٦هـ.
٤٢٩ ـ مجمل اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق: الشيخ شهاب الدين أبو عمرو، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٤٣٠ ـ مجمع أشعار العرب. وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن الحجاج. اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي، برلين: خزانة كتب روطرو ريخرد. بدون تاريخ.
٤٣١ ـ مجموعة الرسائل الكمالية. محمد سعيد كمال، مكتبة المعارف بالطائف، طبعة دار الشعب بالقاهرة.
٤٣٢ ـ المجموع شرح المهذب. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.
٤٣٣ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام. جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين. إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
٤٣٤ ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث. أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني. تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٣٥ ـ محاسن التأويل. محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، بدون تاريخ.
٤٣٦ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. الراغب الأصفهاني. بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

٤٣٧ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لأبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين. دار سزكين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٣٨ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٤٣٩ ـ المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده. تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط ١، مكة: المكتبة التجارية، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.
٤٤٠ ـ المحلى. لابن حزم الأندلسي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار التراث.
٤٤١ ـ مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. مؤسسة علوم القرآن، ودار القبلة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
ـ مختصر الروضة. انظر شرح مختصر الروضة.
٤٤٢ ـ مختصر زوائد البزار للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: صبري عبدالخالق أبو ذر، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٤٣ ـ مختصر القراءات. لابن خالويه أو مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه. بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ.
٤٤٤ ـ المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٤٤٥ ـ مدارج السالكين. ابن قيم الجوزية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٤٦ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل. أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٤٤٧ ـ مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٤٤٨ ـ المذكر والمؤنث. لابن شتري الكاتب. تحقيق: أحمد هريدي، ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٤٩ ـ المذكر والمؤنث. محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: رمضان عبدالتواب، وصلاح الدين الهادي، ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٤٥٠ ـ المذكر والمؤنث. محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: طارق الجنابي، ط ٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٥١ ـ مذهب أهل التفويض. أحمد القاضي، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ.

٤٥٢ ـ المراسيل لأبي داود. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٤٥٣ ـ المسائل البصريات. لأبي علي الفارسي، تحقيق ودراسة: محمد الشاطر، ط ١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٥٤ ـ المسائل الحلبيات. أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن هنداوي، ط ١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٥٥ ـ المساعد على تسهيل الفوائد. بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: محمد بركات وآخرين، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٥٦ ـ المستدرك. للحاكم النيسابوري، بيروت: دار المعرفة.

٤٥٧ ـ المستصفى من علم الأصول. لأبي حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور محمد سليمان الأشقر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٥٨ ـ المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، بيروت: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٥٩م. مصور عن طبعة الهند.

٤٥٩ ـ المسند. للإمام أحمد بن حنبل وبهامشه المنتخب من كنز العمال، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٥هـ.

٤٦٠ ـ مسند إسحاق بن راهويه. تحقيق: عبدالغفور البلوشي، توزيع مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٠هـ.

٤٦١ ـ مسند أبي بكر الصديق. للمروزي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٣٩٩هـ.

٤٦٢ ـ مسند الحميدي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٤٦٣ ـ مسند أبي داود الطيالسي. طبعة الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط ١، ١٣٢١هـ.

٤٦٤ ـ مسند الروياني. للإمام أبي بكر محمد بن هارون الروياني، تحقيق: صلاح محمد عويضة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٦٥ ـ مسند الشاميين. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٦٦ ـ مسند الشافعي. محمد بن إدريس الشافعي. بترتيب محمد عابد السندي. ط مكتبة الثقافة الإسلامية عام ١٣٦٩هـ.
٤٦٧ ـ مسند الشهاب للقضاعي. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٤٦٨ ـ مسند أبي عوانة: لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني. تحقيق: أيمن عارف الدمشقي. بيروت: دار المعرفة. ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٤٦٩ ـ مسند الفردوس أو فردوس الأخبار. للحافظ الديلمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ومحمد المعتصم البغدادي، القاهرة: دار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٧٠ ـ مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٤هـ.
٤٧١ ـ المسودة في أصول الفقه. جمعها: شهاب الدين أبو العباس الحنبلي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
٤٧٢ ـ مشكاة المصابيح. للخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٧٣ ـ مشكل الآثار. للطحاوي، بيروت: دار صادر، ط ١.
ـ طبعة أخرى ضبط وتصحيح محمد عبدالسلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٤٧٤ ـ مشكل إعراب القرآن. مكي بن أبي طالب، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٧٥ ـ المشوف المعلم في ترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم. عبدالله بن الحسين العكبري. تحقيق: ياسين السواس، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
ومكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٧٦ ـ مصائب الإنسان من مكائد الشيطان. للشيخ تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، ط المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٩١م.
٤٧٧ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه. أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: موسى محمد علي، ود. عزت علي عطية. القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٧٨ ـ المصباح المنير للفيومي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٠م.

٤٧٩ ـ مصطلحات علم الكلام الإسلامي، د. سميح دغيم، بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٨م.
٤٨٠ ـ المصنف لابن أبي شيبة. تحقيق: عبدالخالق الأفغاني، الهند: الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.
٤٨١ ـ مصنف عبدالرزاق: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
٤٨٢ ـ معارج القبول بشرح سلّم الوصول. لحافظ بن أحمد حكمي، تخريج: أحمد بن يوسف القادري، بيروت: دار الكتب العلمية، طبع سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٤٨٣ ـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة. محمد محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٤٨٤ ـ معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة، محمد بن عبدالهادي المصري، الرياض: دار الوطن، ط ٧، ١٤١٣هـ.
٤٨٥ ـ معالم التنزيل. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه: محمد عبدالله النمر وآخران، الرياض: دار طيبة، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٤٨٦ ـ معاني الحروف. علي بن عيسى الرماني، تحقيق: عبدالفتاح شلبي، ط ٣، جدة: دار الشروق، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٤٨٧ ـ معاني القرآن للأخفش. سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالأمير محمد أمين الورد، بيروت: عالم الكتب ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٨٨ ـ معاني القرآن. أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، مكة: جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ.
٤٨٩ ـ معاني القرآن. علي بن حمزة الكسائي، تحقيق: عيسى شحاته عيسى، القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م.
٤٩٠ ـ معاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، بيروت: دار السرور، بدون تاريخ.
٤٩١ ـ معاني القرآن وإعرابه. للزجاج. تحقيق: د. عبدالجليل شلبي، بيروت: المكتبة العصرية.
٤٩٢ ـ معاني القراءات لأبي منصور الأزهري. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٩٣ ـ المعاني الكبير في أبيات المعاني. لابن قتيبة الدينوري، ط ١، حيدرآباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

٤٩٤ ـ معجم الأدباء. ياقوت الحموي، ط ٣، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ـ طبعة أخرى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، نشرة الدكتور أحمد فريد رفاعي، ١٣٥٥هـ.

٤٩٥ ـ المعجم الأوسط. للطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٩٦ ـ معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي. بيروت: دار صادر، ط سنة ١٣٧٦هـ.

٤٩٧ ـ معجم الشعراء للإمام أبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني. تصحيح وتعليق: ف. كرانكو. عنيت بنشره: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

٤٩٨ ـ المعجم الصغير للطبراني. تحقيق: محمد شكور، بيروت: المكتب الإسلامي، والأردن: دار عمار، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٤٩٩ ـ المعجم الصوفي. الدكتور عبدالمنعم الحفني، القاهرة: دار الرشاد، ط ١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٠٠ ـ المعجم الفلسفي لجميل صليبا. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤م.

٥٠١ ـ معجم قبائل الحجاز، عاتق بن غيث البلادي، مكة المكرمة: دار مكة، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٥٠٢ ـ المعجم الكبير للطبراني: تحقيق: حمدي السلفي، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية، ط ٢ توزيع: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية.

٥٠٣ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. عبدالله بن عبدالعزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

٥٠٤ ـ معجم المطبوعات العربية. يوسف سركيس. مصر: مطبعة سركيس، ١٩٢٨م.

٥٠٥ ـ معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٥٠٦ ـ معجم المؤلفين. عمر رضا كحّالة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٥٠٧ ـ المعجم الوجيز. تصدير الدكتور إبراهيم مدكور، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٠٨ ـ المعجم الوسيط. قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢، عن دار الدعوة، تركيا.

٥٠٩ ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. موهوب بن أحمد الجواليقي، تحقيق: ف. عبدالرحيم، ط ١، دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥١٠ ـ معرفة علوم الحديث. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط ٤، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٥١١ ـ معرفة الصحابة. أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل العزازي، الرياض: دار الوطن للنشر، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥١٢ ـ المعلقات السبع. شرح سليمان العطار، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٨م.

٥١٣ ـ المعلقات العشر. دراسة فوزي عطوي، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م.

٥١٤ ـ معونة أولي النهى شرح المنتهى. محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٦هـ.

٥١٥ ـ مغازي الواقدي. تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، بيروت: عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٥١٦ ـ المغرب في ترتيب المعرب. أبو الفتح ناصر بن عبدالسيد المطرزي، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

٥١٧ ـ المغني لابن قدامة. الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ـ طبعة أخرى. تحقيق: د. عبدالله التركي، ود. عبدالفتاح الحلو، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٦هـ.

٥١٨ ـ المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. زين الدين عبدالرحيم العراقي. هامش إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.

٥١٩ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي رحمة الله. ط ١، بيروت: دار الفكر.

٥٢٠ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. محمد الخطيب الشربيني، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٣٧٧هـ.

٥٢١ ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي. تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
٥٢٢ ـ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٥٢٣ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده. مراجعة وتحقيق: كامل كامل بكري، وعبدالوهاب أبو النور، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م.
٥٢٤ ـ مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٥٢٥ ـ المفصل في علم العربية، لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، تعليق الدكتور محمد السعيدي، ط ١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
ـ المفضليات: انظر (شرح اختيارات المفضل).
٥٢٦ ـ المقاصد الحسنة للعلامة محمد بن عبدالرحمن السخاوي. تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٥٢٧ ـ مقالات الإسلاميين للأشعري. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت: المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
٥٢٨ ـ المقتضب. محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب، بدون تاريخ.
٥٢٩ ـ المقدمات الممهدات. محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: د. محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٥٣٠ ـ مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني. تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط ١، الكويت: دار الدعوة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٥٣١ ـ المقصور والممدود، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: عبدالإله نبهان، ومحمد خير، دار قتيبة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٥٣٢ ـ الملل والنحل للشهرستاني. تحقيق: أمير علي. بيروت: دار المعرفة، ط ٤، ١٩٩٥م.
٥٣٣ ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد. تحقيق: مصطفى العدوي، الكويت: دار الأرقم.
ـ طبعة أخرى تحقيق: السيد صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٣٤ ـ المنتخب من غريب كلام العرب. كراع النمل، تحقيق: محمد العمري، ط ١، مكة: جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٥٣٥ ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٥٣٦ ـ المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، لابن الجارود. فهرسة عبدالله بن عمر البارودي. بيروت: دار الجنان. ط ١، ١٤٠٨هـ.
٥٣٧ ـ المنصف (شرح ابن جني لتصريف المازني). عثمان بن جني النحوي. تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة: وزارة المعارف العمومية، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.
٥٣٨ ـ المنقوص والممدود. للفراء، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، ط ٣، مصر: دار المعارف، ١٩٨٦م، مع التنبيهات.
٥٣٩ ـ منهاج السنة لابن تيمية. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٥٤٠ ـ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد. عثمان علي حسن، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٢هـ.
٥٤١ ـ منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه. الدكتور مصطفى الصاوي الجويني، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، بدون تاريخ.
٥٤٢ ـ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم. الدكتور عبدالوهاب فايد. بيروت: المكتبة العصرية، وبالداخل: القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٥٤٣ ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي، المدينة المنورة، مكتبة البخاري.
٥٤٤ ـ المهذّب في فقه الإمام الشافعي. إبراهيم بن علي الشيرازي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ٣، ١٣٩٦هـ.
٥٤٥ ـ الموسوعة العربية الموسعة. دار القلم، ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٦٥م.
٥٤٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١٦هـ.

٥٤٧ ـ الموضوعات لابن الجوزي. ضبط وتقديم: عبدالرحمن محمد عثمان، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٥٤٨ ـ موطأ مالك، مالك بن أنس، تصحيح وتخريج محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الكتب العلمية، مصورة عن طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٥٤٩ ـ موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبدالرحمن المحمود. الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤١٦هـ.
٥٥٠ ـ موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة. د. سليمان الغصن، الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ.
٥٥١ ـ الملاحن. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. صححه وعلق عليه: إبراهيم طفيش الجزائري، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ.
٥٥٢ ـ ميزان الاعتدال. للإمام الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
٥٥٣ ـ الميزان في تفسير القرآن. للسيد محمد حسين الطباطبائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٥، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(ن)

٥٥٤ ـ نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة. شمس الدين محمد بن محمود الشهرورزي، تصحيح السيد خورشيد أحمد، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٥٥٥ ـ نزهة الألبَّاء في طبقات الأدباء. لأبي البركات عبدالرحمن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.
٥٥٦ ـ النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام. بيروت: دار الفكر، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، ١٤١٠هـ.
٥٥٧ ـ النشر في القراءات العشر. محمد بن محمد بن الجزري، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
ـ طبعة أخرى، بيروت: دار الكتاب العربي، تصحيح علي محمد الصباغ، بدون تاريخ.
٥٥٨ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين البقاعي، تخريج: عبدالرزاق المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٥٥٩ ـ نقائض جرير والأخطل، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، بعناية: أنطون صالحاني، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٦٠ ـ نقض التأسيس (بيان تلبيس الجهمية) شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، بدون تاريخ.

٥٦١ ـ النكت على مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق الدكتور: ربيع بن هادي عمير، الرياض، دار الراية، ط ٤، ١٤١٧هـ.

٥٦٢ ـ النكت والعيون. أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد عبدالمقصود، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ودار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٥٦٣ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. أحمد بن علي القلقشندي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٥٦٤ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر. المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، ط ٢، بيروت: دار الفكر.

٥٦٥ ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ومصطفى محمد الهواري، القاهرة: مكتبة القاهرة، طبع سنة ١٣٩٨هـ.

(هـ)

٥٦٦ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لإسماعيل باشا البغداي، تصوير المكتبة الإسلامية، تبريزي، طهران، ط ٣، ١٩٩٧م عن طبعة وكالة المعارف باستانبول عام ١٩٥١م.

(و)

٥٦٧ ـ الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب. ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير عيون، بيروت.

٥٦٨ ـ الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ألمانيا، دار النشر: فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٥٦٩ ـ الوجوه والنظائر. الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: محمد الزفيتي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٧٠ ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق ـ بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٧١ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٧٢ ـ وضح البرهان في مشكلات القرآن. محمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق ـ بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٧٣ ـ وفيات الأعيان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

(ي)

٥٧٤ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. عبدالملك الثعالبي، شرح وتحقيق الدكتور: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات